

# الجمهورية

في حياضها من راحة وآدابها ونقدها

دار الكتب

بغداد











# العُملَة

في محاسن الشعر ، وآدابه ، ونقده

## المجلد الأول

تأليف

أبي علي الحسن بن رَشِيق ، القَيَّوَانِي ، الأَزْدِي

٣٩٠ - ٤٥٦ من الهجرة

حققه ، وفصله ، وعلق حواشيه

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْجَمِيدِ

عفا الله تعالى عنه !

## دار الجيل

مُنشورة في بيروت ، طبع في الطبعة

الطبعة الأولى سنة ١٩٧٧

٨٧٣٧

الطبعة الخامسة  
١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

جميع الحقوق محفوظة

يطلب هذا الكتاب من «دار الجيل» بناية صالحة وصمدي  
- الطابق الثالث - شارع سوريا - ص.ب ٨٧٣٧ - تلفون ٢٥٨٦٣٠

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي دل على وجُوده بجُوده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد  
مَنَّا الحق ونَعْمُوده ، وعلى آلِه وصحبِه القائمين بالحق من بعده .

أما بعد ، فهذا كتاب « العمدة » ، في محاسن الشعر وآدابه « تصنيف أبي  
على الحسن بن رشيقي ، الأزدي : المولود في عام ٣٩٠ من الهجرة ( ٩٩٩ م )  
والمُتوفى في ليلة السبت غرة ذي القعدة من عام ٤٥٦ من الهجرة <sup>(١)</sup> ( ١٠٦٤ م ) وهو  
الكتاب الذي « جَمَعَ أَحْسَنَ ما قاله كلُّ واحدٍ من صنف في معاني الشعر  
ومحاسنه وآدابه ، وعَوَّلَ مؤلفه فيه على قريحة نفسه ، ونتيجة خاطرِه ؛ خوفَ  
التكرار ، ورجاء الاختصار ، إلا ما تعلق بالخبر ، وضبطته الرواية ؛ فإنه لم يغير  
شيئا من لفظه ولا مُعْنَاهُ ؛ ليؤتى بالأسر على وجهه » <sup>(٢)</sup> .

وقد صنفه كمادة أكثر العلماء لأبي الحسن علي بن أبي الرجال الكاتب  
« زعيم الكرم » ، وواحد القُثم ، الذي نال الرياسة ، وحاز السياسة ، وانفرد  
بالبسط والقُبص ، واتخذ في الإبرام والنقص . . . إلخ » <sup>(٣)</sup> وأبو الحسن هذا  
رجل في نظر ابن رشيقي قد جمع هذه الخلال ، وزاد عليها « سلامة طبع واندفاعه ،  
وقُرْبَ لفظٍ واتساعه ، ورقَّةَ معاني وإرهاقها ، وظهورها مع ذلك وانكشافها ،  
مع لطيف مواقعها من القلوب ، وسرعة تأثيرها في النفوس » <sup>(٤)</sup> ؛ فهو أديب

(١) احتجب العلماء في تاريخ وفاة ابن رشيقي ، حكى ابن حلكان ثلاثة أقوال ،  
وبعضهم يافوت على هذا الذي ذكرناه ، وعبارته تدل على خريه وقصده  
إلى التدقيق .

(٢) انظر ( ص ٤ ) من الجزء الأول من هذا الكتاب ، والأرقام التي تذكرها  
في هذه الإحالات روحه عام هي أرقام الطبعة الأولى بتحقيقنا

(٣) انظر ( ص ٢٢٨ ج ٢ ) من هذا الكتاب .

وشاعر عظيم ، وابن رشيق مَفْتُون به وبأدبه ، وَقَلَّما خلا بابٌ من أبواب كتابه من غير أن يختار من شعره ما يناسب هذا الباب [انظر شاهد ذلك ص ١١٢ و ١١٣ من الجزء الأول ، وص ١٠٦ و ١٠٧ من الجزء الثاني] .

والذى يظهر أن هذا الكتاب لقي - منذ ظهر للناس بعضه - إقبالا وذيوعا جمل بعض خُصُوم المؤلف يَحْقِدُون عليه وينقصون من قيمته : تارة بالتخطئة ، وأخرى بادعاء الانتحال والسرقة ، حتى اضطر المؤلف إلى أن يَبْهَتَهُمْ ، وَيُزَيِّرَ عليهم ، وينال من أعراضهم ، ويدعوم إلى الإتيان بمثله ، أو ببعضه ؛ فهو يقول <sup>(١)</sup> « وكَم في بلدنا هذا من الحُفَاثِ <sup>(٢)</sup> قد صاروا ثَمَّاعِينَ ، ومن البَغَاثِ قد صاروا شَوَاهِينَ ، إن البغاث في أرضنا يستنسر ، ولولا أن يُعَرَّفُوا بعد اليوم بتخليد ذكركم في هذا الكتاب ، ويدخلوا في جملة من يُعَدُّ خَطْلُهُ ، وَيُحْصَى زَلُّهُ ؛ لَذَكَرْتُ من لحن كل واحد منهم ، وتصحيفه ، وفساد معانيه ، وركاكة لفظه ؛ ما يدلك على مرتبته من هذه الصناعة التي اَدَّعَوْهَا باطلا ، وانتسبوا إليها انتحالا . وقد بلغنى أن بعض من لا يتورع <sup>(٣)</sup> عن كذب ، ولا يستحي من فضيحة ، زعم أني أَخَذْتُ عنه مسائل من هذا الكتاب لو سُئِلَ عنها الْآبُ ماعلمها ، والامتحان يُقَطِّع الدَّعْوَى ، كما قال بعض الشعراء :

مَنْ تَحَلَّى بِغَيْرِ مَا هُوَ فِيهِ فَضَّحَ الْإِمْتِحَانُ مَا يَدَّعِيهِ  
وكفت غَنِيًّا عن تهجين هذا الكتاب بالإشارة إلى مَنْ أشرت إليه ، أَنفًا من ذكره ، وَعُزُوفًا بهمتي عن الانحطاط إلى مُسَاوَاتِهِ ، ولكني رأيت السُّكُوت عنه عَجْزًا وتقصيرًا . »

(١) انظر ( ص ٢٢٨ ج ٢ ) من هذا الكتاب .

(٢) الحفَاث - بوزن الغراب - حية تنفخ ولا تؤذى ، قاله الجوهري .

(٣) لعله يريد ابن شرف القيرواني ؛ فهو قريبه ؛ وكانت بينهما ملاحاة ومحاقدة على

ما ستعرف في ترجمته .

وأنت إذا قرأت هذا الكتاب استدللت على فضل الرجل ، وسعة اطلاعه ، وحسن تخرجه ، وإن كان يتقيد برأى قدامى العلماء : لا يخرج عنهم ، ولا يرضى بنقدهم وإن ظهر له وجه النقد ؛ فهو يجري في بحثه على قاعدة « كلام العقلاء مَصُون عن الخطأ » وهو - في هذا الكتاب - رجل هادئ النفس ، وادِعُ الخلق ، طويل الأناة : يعرض له الرأى يخالف فيه رأى المتقدمين بتخطئة ماصوبوا أو تصويب ماخطأوا أو بيان وجه من التأويل فيه غاب عن أذهانهم فيجْلُوهُ لك في أسلوب لا تكاد تقرأه حتى تلمس رزائنه وهدوء طبعه ، وهو - بعد ذلك كله - صاحب آراء لو شاء أن يدعى أنه منشئها وأبو عُذْرَتِها ، ثم يباهى بأقلها شأنًا وأهونها خطأ كدأب أكثر الأدباء في عصرنا ودأب كثير من أدباء عصره ؛ لما أعوزته الحجة ، ولا غاب عنه البرهان . انظر إليه وهو يقول<sup>(١)</sup> : « وقد نص ابن الرومي في بعض تسيطرته على محمد بن أبي حكيم الشاعر حين عاب عليه قوله في الفرس من قصيدة رثى بها عبد الله بن طاهر \* فله شهامة . . . البيت \* وذكر قول حبيب [ أبي تمام ] :

يَحْوَافِرُ حُفْرٍ وَصُلْبٍ صُلْبٍ

فخفل به ، واعتذر له ، وخرَّجَ التخراريجَ الحسان ، وذكر أن الحافر الوأب والحافر المقعب ونحوهما أشرف في اللفظ من الحافر الأحقر ، إلا أن الطائي عنده كان يطلب المعنى ولا يبالى باللفظ ، حتى لو تم له المعنى بلفظة نبطية لآتى بها ، والذي أراه أن ابن الرومي أبصر بحبيب وغيره منا ، وأن التسليم له والرجوع إليه أحزم ؛ غير أنني لو شئت أن أقول - ولست راداً عليه ، ولا معترضاً بين يديه - إن المعنى الذي أراده وأشار إليه من جهة الطائي إنما هو معنى الصنعة

(١) انظر ( ج ١ ص ١١١ ) من هذه المطبوعة .

كالنطق والتجسس وما أشبههما لا معنى الكلام الذى هو رُوحُه ، وإن اللفظ الذى ذكر أنه لا يبالي به إنما هو فصيح الكلام ومستعمله ، ويدلك على صحة ما ادعيت به على ابن الرومى قوله : إن الحافر الو أب واللقعب أشرف فى اللفظ من الحافر الأحفر ؛ فكلامه راجع إلى ما قلته فى الطائى ، غير مخالف له ، وإن كان فى الظاهر على خلافه ؛ لينسأ ، إلا أن أكثر الناس على ما قال ، وإنما هذا مغرض للكلام ، لا مخالفة « اه ومثل ذلك فى أضعاف الكتاب كثير لا أحب أن أقفك على جميعه ، ولكنى أنبهك فى هذه الكلمة إلى قوله « ولست راداً عليه ، ولا معترضاً بين يديه » وقوله فى آخرها « وإنما هذا معرض للكلام ، لا مخالفة » بعد قوله « إلا أن أكثر الناس على ما قال » ثم أدعك بعد ذلك تستنبط من هذا الكلام ما تشاء .

ولقد طبع كتابه هذا كاملاً مرتين فى مصر ، وطبع نصفه فى تونس ، وكل هذه الطبعات قليل الغناء عديم الجدوى ؛ فإن التصحيف والتحريف ليفشوان فيها ، وإن نظام وضعها وتلاحق مباحث الكتاب — مع تشعبها وكثرة فنونها — ليباعد بينك وبين الإفادة منه ، وهذه العيوب فاشية فى مطبوعاتها العربية ، ولما يخلو منها — مع الأسف الذى يقطع نياط قلوبنا — كتاب من كتب هذه اللغة المسكينة ، وبخاصة كتب أسلافنا المتقدمين ، وليس من علة لانصراف الناشئة العربية — فيما نعتقد — عن هذا التراث الثمين إلا هذا التشويه الغريب الذى يظهر الناشرون عليه كتب آبائنا الذين لم يقصروا فى توريثنا أعظم تراث علمى ، ولم يألوا جهداً فى تبرئة أنفسهم مما جعل الله فى أعناقهم من ميثاق العلم أن يبنوه للناس ولا يكتُموه ، ونحن نعتقد عقيدة لا تدخلنا فيها خلجة شك أن الحرف الصغير والورق الأصفر وحرم التجار على ظهور الكتاب فى أقرب وقت وفى أقل ما يمكن من عدد الصفحات ،

كل أولئك أكتبُ الفوارق بين الكتب المصرية الشيقة الأسلوب المتسلطة على قلوب النُشء ، وبين كتب العصر القديم ، والآياتُ على ذلك كثيرة ، والشواهد أكثر من أن يحيط بها العد .

وقد خلق الله في نفسى حب السلف ، والتفانى في الدفاع عن علومهم وأفكارهم ، والحرص على إذاعة فضلهم وعظيم مننتهم علينا وعلى من يأتى بعد من الأجيال المتلاحقة ، ولست أدري سرَّ ذلك كله ، غير أنى لا أشك في أن بين يدينا ثروة يحس بها المستشرقون أكثر مما نحس بها نحن أبناء هؤلاء المؤرِّخين ، وأنا نضيق هذه الثروة بأحد سببين لا ثالث لهما : الانصرافُ عنها إلى الافتتان بالغرب وعلوم الغرب ، وردَّ كل نبوغ وفوقٍ إلى نبوغ الغرب وفوقه ، وثانيهما : الاقتناع من باعة الكتب بأن يظهروا لنا كتب أسلافنا على صور مشوهة ممسوخة لا تسد نهمة ولا تبلى أواماً ، ولو أننا أرغمناهم على أن يظهروها موافقةً لروح العصر الحديث لاستطعنا أن نفيد ، وأن نجد في ميراثنا النفع والغناء .

لهذا كله حرصت كل الحرص على مراجعة هذا الكتاب على أصوله التى أمكن الوقوف عليها ، ثم معاودة هذه المراجعة ، حتى أخرجته لك من بين فرثٍ ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين .

\*\*\*

في دار الكتب المصرية بالقاهرة نسختان خطيتان كاملتان من الكتاب إحداهما مكتوبة بقلم النسخ ، كتبها محمد بن أحمد الخوذة ، فرغ من كتابتها في عصر يوم الأحد الثانى عشر من شهر ربيع الآخر سنة ١٢٩٨ من الهجرة ، والثانية : مخطوطة بقلم معتاد بخط السيد أحمد بن محمد بن عبده . . . الديروطى فرغ من كتابتها ومقابلتها في يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر ذى القعدة سنة



١٢٩٨ من الهجرة ، وهذه النسخة الثانية مكتوبة ومقابلة على النسخة الأولى ، ولم يُصلح كاتبها ومقابلها أغلوطاً واحدة من الأغاليط الكثيرة في سابقتها . وفي الخزانة التيمورية نسخة خطية كاملة أقدم من هاتين عهداً ، وأسبق منهما تاريخاً ، كتبت بخط معتاد ، وفرغ من كتابتها في يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٩٩٣ من الهجرة ، وهي أقل من نسختي الدار خطأ ، فلم يكن لي بد من مراجعة هذه المطبوعة على هذه النسخ الثلاث ، وعلى النسختين المطبوعتين بمصر ، ومراجعة النصف الأول — مع ذلك — على مطبوعة تونس ، وم وجدت في هذه النسخ جميعها من أغاليط كانت تضطرنني في أكثر الأحيان إلى مراجعة الأمهات والأصول التي نقل عنها المؤلف ، وإلى مراجعة دواوين الشعراء الكثيرة بنوع خاص ، ولو أنني أردت أن أحدثك عن المراجع التي استخلصت لك الصواب من بينها لما لك الأمر ، وخرج الحال في نظرك عن حد المستساغ المقبول ، ولكنها على أية حال الحقيقة التي لا غلو فيها ولا إغراق ، وستقف بنفسك حين تقرأ في الكتاب بعد هذا آثار ما كابدت من العناء والمشقة ، ولم كنت أحب أن أذكر لك عند كل تصويبة أصلها في خطأ أصول الكتاب وكيف أصاحت ومصدر إصلاحها ، ولكنني اكتفيت بالتنبيه على بعض ذلك ، وتركت بعضه لعلمي أن ذلك لا يعني به غير نفر قليل من القراء ، وهؤلاء يكتفون باللمعة ، ويحتزنون بالخبر .

وكان لا بد أن أجد في بعض النسخ زيادة عما في بعضها الآخر ، أو أعتز على سقطة في كلام نقله المؤلف عن كتاب آخر بعد مراجعة هذا النقل ؛ فاهتممت لذلك ، ووضعت الزائد بين قوسين على هذه الصورة [ ] ثم قد أنبه على موطن الزيادة ، وقد أترك التنبيه مكثفياً بعلم القارئ ذلك من سياقة الكلام .

ولست أدعى — مع هذا كله — العِصْمَةَ من كل خطأ ، والبراءة من كل زَلَل ؛ فالله وحده الذى تفرد بالكمال ، ولو لم يكن فى عملى إلا أنى أصلحت أكثر من أربعمائة أغلوطة وقعت فى الطبعتين السابقتين لهذا الكتاب لكان ذلك عملاً جديراً بأن أفخر به .

والله المستول أن يثيبنى عليه ، ويغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ؟

كتبه

عبدالحى الدين عبدالحق

ربيع الثانى ١٣٥٣

أغسطس ١٩٣٤

## ترجمة المؤلف

(١)

قال صاحب الحلل السندسية في كلامه على القَيْرَوَان :  
ومن بلغاء القيروان وأبنائها الحسن بن رَشِيق ، أحدُ البلغاء الأفاضل ،  
الشعراء ، ولد بالمَسِيلَة ، وتأدَّب بها قليلا ، ثم ارتحل إلى القَيْرَوَان سنة ستِ  
وأربعمائة . كذا قال ابن بسام ، وقال غيره : ولد بالمحمدية سنة تسعين  
وثلاثمائة ، وأبوه مملوك رومي من مَوَالِي الأَزْدِ ، وتوفي سنة ثلاث وستين  
وأربعمائة<sup>(١)</sup> ، وكانت صنعة أبيه في بلده المحمدية الصياغة ، فعلمه أبوه صنعة ،  
وقرأ الأدب بالمحمدية ، وقال الشعر ، وتآقت نفسه إلى التزيُّد منه وملاكاة  
أهل الأدب ، فرحل إلى القَيْرَوَان ، واشتهر بها ، ومدح صاحبها [ المعز بن  
باديس بن المنصور ] ولم يزل بها إلى أن هجم العربُ عليها وقتلوا أهلها  
وخرَّبوها ، فانتقل إلى صقلية وأقام بجازر إلى أن مات ، ومازr: قرية بجزيرة  
صقلية منها المازري رحمه الله ، واختلف في تاريخ وفاته . قال ابن خلكان:  
رأيت بخط بعض الفضلاء أنه توفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة ، قال :  
وقيل : إنه توفي ليلة السبت غرة ذي القعدة سنة ست وخسين<sup>(١)</sup> . ومن شعره :  
يَا رَبَّ لَا أَقْوَى عَلَى دَفْعِ الْأَذَى      وَبِكَ اسْتَعْنْتُ عَلَى الضَّعِيفِ الْمُوْذَى  
مَا لِي بَعَثْتَ إِلَى أَلْفِ بَعُوضَةٍ      وَبَعَثْتَ وَاحِدَةً إِلَى نَمْرُودَ  
وكان بينه وبين أبي عبد الله محمد بن أبي سعيد بن أحمد المعروف بابن شرف  
القيرواني مناقضات ومُهاجاة ، وصنف عدة رسائل في الرد عليه ، منها :  
(١) الأكثرون على أن مولده في سنة ٣٩٠ ، وقد حكى ابن خلكان (١/٣٩٦)  
بتحقيقنا في وفاته هذا القول ، وحكى قولين آخرين: أحدهما أنه توفي في سنة ٤٥٦  
بجازر ، وثانيهما أنه توفي في ليلة السبت غرة ذي القعدة من سنة ٤٥٦ والفرق بين  
القولين أن الأول لم يحدد يوم الوفاة ولا الشهر ، وذكر ياقوت القول بأنه توفي  
في سنة ٤٥٦ .

رسالة سماها ساجور الكلب ، ورسالة نجح الطلب ، ورسالة قطع الأنفاس ، ورسالة : نقض الرسالة الشعوزية ، والقصةيدة الدعية ، والرسالة المنقوضة ، ورسالة رفع الإشكال ودفع المحال ، وله كتاب أمودج الشعراء شعراء القيروان ، ورسالة قراضة الذهب ، والعمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وغميوبة ، وهو كتاب جيد ، وغير ذلك .

\*\*\*

(٢)

وقال صاحب الوافي ما نصه :

وقد وقفت على هذه المصنفات والرسائل المذكورة جميعها ، فوجدتها تدل على تبخُّره في الأدب ، وإطلاعه على كلام الناس ، ونقله لمواد هذا الفن ، وتبحره في النقد ، وله كتاب في شذوذ اللغة ، يذكر فيه كل كلمة جاءت شاذة في بابها .  
ومن شعره :

أحبُّ أخى وإن أعرضتُ عنه	وقلِّ على مسامحه كلامى
ولى فى وجهه تقطيبُ راضٍ	كما قطبتُ فى وجهه المدام
ورُبَّ تقطيبٍ من غيرِ بغضٍ	وبغضٍ كامنٍ تحت ابتسام

ومنه :

إذا ما خففت العهد الصِّبا	أبتُ ذلك الخمسُ والأربَعونا
وما ثقلتُ كبراً وطائى	ولكن أجُرُّ ورأى السُّنينا

ومنه :

وقائلة : ماذا الشُّحوبُ وذ الضنى ؟	فقلت لها قولَ المشوق المتيِّم :
هواك أتانى ، وهو ضئيفٌ أعزُّه ،	فأطعمته لحى ، وأسقيته دَمِي

ومنه :

ذمت لعينك أعين الغزلان	قمرٌ أقرَّ لحسنه القمران
------------------------	--------------------------

وَمَشَتْ فَلَا وَاللَّهِ مَا حَقَفُ النِّقَا  
وَمِنْ الْمَلَاخَةِ غَيْرَ أَنْ دِيَا نَتِي  
بِمَا أَرْتَنَكَ وَلَا قَضِيبُ الْبَانِ  
تَأْبَى عَلَى عِبَادَةِ الْأَوْنَانِ  
ومنه في المديح :

يَا بَنَ الْأَعِزَّةِ مِنْ أَكْبَرِ خَيْرِ  
مِنْ كُلِّ أَبْلَجٍ أَمْرٍ بِلِسَانِهِ  
وَسُلَالَةَ الْأَمْلاَكِ مِنْ قَحْطَانِ  
يَضَعُ السِّیُوفَ مَوَاضِعَ التَّيْجَانِ  
ومنه :

فِي النَّاسِ مَنْ لَا يُرْتَجَى نَفْعُهُ  
كَالْمُودِ لَا يَطْمَعُ فِي طَيْبِهِ  
إِلَّا إِذَا مُسَّ بِأَضْرَارِ  
إِلَّا إِذَا أَخْرِقَ بِالنَّارِ  
ومنه :

أَقُولُ كَالْمَأْسُورِ فِي لَيْلَةٍ  
يَا لَيْلَةَ الْهَجْرِ الَّتِي لَيْلُهَا  
أَلْقَتْ عَلَى الْأَفَاقِ كَلَامَهَا:  
قَطَعَ سَيْفُ الْهَجْرِ أَوْصَالَهَا  
مَا أَحْسَنْتَ هَنْدًا، وَلَا أَجَلْتَ  
جُحْلًا، وَلَيْسَ الْحَسَنُ إِلَّا هَا  
ومنه :

وَمِنْ حَسَنَاتِ الدَّهْرِ غِنْدَى لَيْلَةٍ  
خَلَوْنَا بِهَا نَفْسِي الْقَذَى عَنْ عُيُونِنَا  
مِنْ الْعُمْرِ لَمْ تَتْرَكْ لِأَيَّامِهَا ذَنْبًا  
بِلَوْلُؤَةٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا سَكَبًا  
وَمِلْنَا لِتَقْبِيلِ الثُّغُورِ وَلَشَمِهَا  
كَمِثْلِ جُنُوحِ الطَّيْرِ يَلْتَقِطُ الْحَبَّ  
قَالَ الْأَبْيُورْدِيُّ : وَمَا هَذَا بِأَحْسَنَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الْمُعْتَزِ :

كَمْ مِنْ عِنَاقٍ لَنَا وَمِنْ قُبَلٍ  
نَقَرِ الْعَصَافِيرِ، وَهِيَ خَائِفَةٌ  
مُخْتَلَسَاتٍ حِذَارَ مَرُ تَقَبِيرِ  
مِنْ النُّوَاطِيرِ، يَأْنَعُ الرُّطَبِ

قال في الوافي : قلت : مقام ابن المعتز غير مقام ابن رشيق ؛ لأن ابن  
ارشيقي ذكر أنه في ليلة أمن ، وهي عنده من حسنات الدهر ؛ فلهذا حسن  
تشبيهه التقبيل مع الأمن بالنقاط الطير الحب ؛ لأنه يتوالى دفعة بعد دفعة ،

وأما ابن المعتز فإنه كان خائفاً يختلس التقبيل ويمسكه ، كما يفعل العصفور في  
نقر الرطب اللينح ؛ لأنه يقدم جازعاً خائفاً من الناطور ، فلا يطمئن فيما يلتصقه ،  
ألا ترى الآخر كيف قال فأحسن :

أقبله على جزعي كشرب الطائر الفزع  
رأى ماء فواقعه وخاف عواقب الطمع  
ومن شعر ابن رشيق :

قد أحكت مني التجا رب كل شيء غير جودي  
أبدأ أقول : لئن كسبت لأقبضن يدي شديد  
حتى إذا أثريت عذت إلى الساحة من جديد  
إن المقام بمثل حال لا يتم مع القعود  
لا بد لي من رحلة تدني من الأمل البعيد

ومنه :

معتقة يعلو الحجاب متونها فتحسبه فيها نثير جنان  
رأت من لجين راحة لمديرها فطافت له من عسجد بينان  
وذكر له في المعجب ( ص ٧٠ ) بيتين مشهورين ، وترى كثيراً من شعر  
ابن رشيق في تضاعيف هذا الكتاب ، وفي عامة فنون القول ، نرشدك في ذلك  
إلى ( ج ٢ ص ١٥٢ و ١٥٤ ) .

\*\*\*

(٣)

وله سوى ما ذكر هؤلاء المترجمون له من الكتب كتاب نادر في باب  
يصفه لنا في كتاب العمد ( ج ٢ ص ٢٢٩ ) فيقول : « على أن الحدين قد  
شاركوا القدماء في كل ما ذكرته أيضاً ، إلا أن أولئك أولى به ، وأحق بالتقدمة  
فيه ، كما خالطوهم في صفات النجوم ومواقعها ، والسحب وما فيها من البروق  
والرعود ، والغيث وما ينبت عنه ، وبكاء الحمام ، وكثير مما لا يتسع له هذا الباب ،

ولكني أفردله كتاباً قائماً بنفسه، أذكر فيه ما انفرد به المحدثون ، وما شاركهم فيه المتقدمون » ويذكره مرة أخرى فيقول ( ج ٢ ص ٢٩٢ ) « وأنا أقول : إن أكثر الشعراء اختراعاً ابن الرومي ، وسيأتي برهان ذلك في الكتاب الذي شرطتُ تأليفه ، إن شاء الله تعالى » فهل عاقته الصروف عن تأليفه ؟ أو ألقه كما شرط ولكنه ضاع فيما ضاع من كتب المتقدمين ؟ علم ذلك عند الله تعالى ! .. ..

وأخذ ابن رشيق الأدبَ عن أبي عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيرواني النحوي من أهل القيروان، وعن الأديب أبي محمد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي، وله في كتاب العمدة نقول كثيرة عنهما وعن غيرهما من أدباء عصره وعلمائه، رحمهم الله تعالى .

\*\*\*

(٤)

وإذا أحببت للزيد في ترجمة ابن رشيق - وما نحسبك تجد إلا تكراراً لهذا الكلام أو بعضه - فارجع إلى المصادر الآتية :

- (١) بغية الوعاة للسيوطي ٢٢٠ .
- (٢) الحلل السندسية ١٠٠
- (٣) شذرات الذهب لابن العماد ٢٩٧/٣
- (٤) معجم الأدباء لياقوت الرومي ١١٠/٨
- (٥) كشف الظنون لحاجي خليفة ١٨٥ و ٣١٠ و ٩٧٣ و ١٠٢٩ و ١١٦٩ و ١٩٠٧ و ١٩١٨

(٦) الإنباه للقفطي ٢٩٨/١

(٧) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٦٦/١ بتحقيقنا



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم  
الحمد لله أهل الحمد ومستحقه ، وصلاته على صفوته من خلقه : محمد خيرته ،  
وعلى أبرار عترته ، وسلم تسليماً .

أما بعد ، فإن أحقَّ مَنْ جَنَى ثمر الألباب ، واقتطف زهر الآداب ، متزهاً  
في عقول الحكماء ، متفكهاً في أقاويل العلماء ، بالغاً بهيمته أعلى المراتب ، خاطباً  
لنفسه أسنى المطالب ، مستقراً في أرفع ذروة ، متمسكاً بأوثق عروة ، مَنْ عَرَفَ  
للعلم حقه وفضله ، وسلك به طريقه وسبله ، وأكرم في الله مثواه ونزله ، وخص  
بالقرب ذويه وأهله ؛ فاستوجب من جميل الذكر ، وجزيل الدُّخْرِ ؛ ما هو أزين  
في الدنيا ، وأبقى في الأخرى : كالسيد الأجد ، والقدُّ الأوحد ، حَسَنَةُ الدنيا ،  
وعِلْمُ العليا ، وباني المكارم ، وآبى المظالم<sup>(١)</sup> ، رجل اُخْطَبَ ، وفارس السُّكُتِ :  
أبي الحسن علي بن أبي الرجال الكاتب ، زعيم الكرم ، وواحد الفهم ، الذي نال  
الرياسة ، وحاز السياسة ، وانفرد بالبسط والقبض ، واتحد في الإبرام والنقض ،  
عن سعي مشكور ، وفضل مشهور ، وعِلْمُ بالموارد والمصادر ، ونظر في الأوائل  
والأواخر ، وتبّع لآثار مَنْ سلف ، من أهل القدر<sup>(٢)</sup> والشرف ؛ وتقلب في  
مجالس الحكم ، بين ذوى الأقدار والهمم ؛ إلى أن صار نسيجَ وَخْدِهِ ، وقَرِيعَ  
دَهْرِهِ ؛ غير مُدَافِعٍ عن ذلك ، ولا منازع فيه .

فالحمد لله الذي اختصه بالجلالة ، واستخلصه لشرف الحالة ، وقدّمه على

---

(١) آبى المظالم : أى الممتنع عن قبولها ، وفي نسخة « ودارى المظالم »  
أى : دافعها .

(٢) في نسخة « الأخطار » وهو جمع خطر بفتحيتين .

المتقدمين في الرتب ، وأقام به سوق العلم والأدب ، وجعل ذكره باقياً ، وجَدَّه سامياً ، وأيده من النصر والتوفيق ، بما فيه رضا الخالق والمخلوق ، فضلاً من الله ونعمة ، والله عليم حكيم .

وأنا — أطل الله بقاء السيد محروس النعمة ، مَرَّهَوْبَ النعمة ، مَوْقَى في دنياه ودينه ، منتفعاً بظنه ويقينه ، قليل الأنداد ، كثير الحساد — وإن لم أَعْلَقْ من العلم إلا بمحاشية ، ولا أخذت منه إلا في ناحية ؛ لسوء المكان ، وقلة الإمكان ، وزمانة الزمان ، وحدوث الحداث ، قبل أن أعلق بحبل عنايته ، وأحفظ وأصير في حرم حمايته ، فقد وجدت الشعر أكبر علوم العرب ، وأوفر حظوظ الأدب ، وأحرى أن تُقبَلْ شهادته ، وتمثّل إرادته ؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من الشعر <sup>(١)</sup> لحكماً » وروى « لحكمة » وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه « نعم ما تعلمته العربُ الآياتُ من الشعر يُقدِّمُها الرجلُ أمام حاجته : فيستنزل بها الكريم ، ويستعطف بها اللئيم <sup>(٢)</sup> » . مع ما للشعر من عظيم المزية ، وشرف الآية ، وعز الأنفة ، وسلطان القدرة ، ووجدت الناس مختلفين فيه ، متخلفين عن كثير منه : يقدمون ويؤخرون ، ويقولون ويكثرون ، قد بوبوه أبواباً مبهمه ، ولقبوه ألقاباً متهمه ، وكل واحد منهم قد ضرب في جهة ، وانتحل مذهباً هو فيه إمام نفسه ، وشاهد دَعْوَاهُ ، فجمعت أحسن ما قاله كل واحدٍ منهم في كتابه ؛ ليكون (العمدة ، في محاسن الشعر وآدابه) ، إن شاء الله تعالى .

(١) قال ابن الأثير : « أى : إن من الشعر كلاماً نافعاً يمنع من الجهل والسمه وينهى عنها ، قيل : أراد بها المواعظ والأمثال التي ينتفع بها الناس ، والحكم : العلم ، والفقهاء والقضاء بالعدل ، وهو مصدر حكم بحكم ، وروى : إن من الشعر لحكمة ، وهى بمعنى الحكم » اهـ ، وانظر ص ٢٧ من هذا الجزء فقد فسره المؤلف .  
(٢) في التونسية « فيستنزل بها اللئيم ، ويستعطف بها الكريم » .

وعولت في أكثره على قريحة نفسى ، ونتيجة خاطرى ؛ خَوْفَ التكرار ،  
ورجاء الاختصار ، إلا ما تعلق بالخبر ، وَضَبَطَتْهُ الرواية ، فإنه لا سبيل إلى تغيير  
شيء من لفظه ولا معناه ؛ ليؤتى بالأمر على وجهه ، فكل ما لم أُسْنِدْهُ إلى رجل  
معروف باسمه ، ولا أَحَلْتُ فيه على كتاب بعينه ؛ فهو من ذلك ، إلا أن  
يكون متداولاً بين العلماء ، لا يختص به واحد منهم دون الآخر ، وربما  
نحلته أحد العرب ، وبعض أهل الأدب ، تستراً بينهم ، ووقوعاً دونهم ، بعد أن  
قرنت كل شكل بشكله ، ورددت كل فرع إلى أصله ، وبينت للناسى المبتدئ  
وجه الصواب فيه ، وكشفت عنه لبس الارتياح به ، حتى أعرف باطله من  
حقه ، وأميز كذبه من صدقه ، ولم أَسِمُ كتابى هذا باسم السيد — زاده الله  
تعالى سُمُوًّا — لأكون كجالب التمر إلى هَجَرٍ<sup>(١)</sup> ، ومهدى الوشى إلى عَدَنٍ<sup>(٢)</sup> .  
ولكن تزيينا باسمه الشريف ، وذكره الطيب ، واستسلاماً بين يدى علمه الطائل  
وأدبه الكامل :

إِنْ قَصَّرْتَ عَنْ غَرَضٍ رَمِيَّةٍ      أَوْ زَلَّ فِكْرُ أَوْبَا خَاطِرٍ  
لَأَسْنِي فِيهِ عَلَى نِيَّةٍ      يُخْبِرُ عَنْ بَاطِنِهَا الظَّاهِرُ

(١) هجر — بفتح الهاء والجيم جميعاً — بلدة باليمن ، ولفظه مذكر مصروف ،  
وقد يؤنث ويمنع ، وقد يطلق هذا الاسم على جميع أرض البحرين ، وقال ابن  
الأثير : بلد معروف بالبحرين ، وقال غيره : هى قسبة بلاد البحرين ، والمثل الذى  
ذكره المؤلف مشهور ، وقد ذكره الجوهري بلفظ « كبضع التمر إلى هجر » ونحوه  
فى المعنى قولهم « كجالب الدر إلى البحر » .

(٢) عدن : مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ، وهى بلدة  
تجارة ، وهى مرفأً مراكب الهند ، وهى أقدم أسواق العرب ، وإلى اليمن عامسة  
تنسب برود وحبر وأنواع من الوشى .

ولما عدلت بي الحال عن حضور مجلسه الباهر ، ومنعني الإجلال من مناسبة خلقه الزاهر ، وطال اشتياقي إلى تلك الطلعة الكريمة ، واشتد حرصى على تلك المشاهد العظيمة ، وعلمت أن لا بد لى منه ، ولا غنى لى عنه ، إلا ما حجز دونه آنفاً من خدمة مولانا — خلد الله ملكه — لما غمرنى من فضله ، وقيدنى من إحسانه :

وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقِيدًا<sup>(١)</sup>

نفضت جِرَابَ صدرى ، واستقدت كنز معرفتى ، وأيقنت أن صورة الإنسان ، فضلةٌ عن القلب واللسان<sup>(٢)</sup> ، وأن استحقاقه للفضل ، إنما هو من جهة النطق والعقل ، فثقلت له نفسى ، وأهديتها إليه ، ومثلت بها حقيقة بين يديه ؛ إذ كانت الأنفاس مَنُوطَةٌ بالأنفس ، والمرء لولاهما مَوَاتٌ مُلَقًى لا خير فيه ، ولا نفع عنده ، وأيضاً فإن النفس تفوت الحس ، وإنما تُدْرَكُ بالبصائر لا بالأبصار ، والسيد — أدام الله عزه — أعلم بمعذرتى ، وأقوَمُ بحجتي ، من أن أعرض خَزَفَى على جوهره ، أو أقيسَ وَشَلِيَّ بأبحرِه ، بل أستقبله وأسترشده ، وأستغفیه وأستنجديه ، ثم إنى لا أظهر حرفاً من كتابى هذا إلا عن أمره وبعد إذنه ؛ لأكون به أقوى ثقة ، وله أشد مِقَّةً<sup>(٣)</sup> ، فإن

(١) هذا عجز بيت لأبى الطيب المتنبي ، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة بن حمدان ، وصدره :

\* وَقَيِّدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحَبَّةً \*

(٢) يشير بهذه العبارة إلى قول الشاعر :

لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ ، وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّخْمِ وَالْدِّمِ  
(٣) المقة : الحب ، وفعله ومقه يمه بوزن وعده يهده .

وقع منه بموقع ، وحل من قبوله في موضع ؛ بلغت الإرادات ، ورجوت  
الزيادات :

وَأَزْرَقُ الْفَجْرِ يَبْدُو قَبْلَ أَبْيَضِهِ وَأَوَّلُ الْغَيْثِ قَطْرُهُ ثُمَّ يَنْسَكِبُ

وإلا سترته ستر العورة ، وطرحته طرح القلامة ، لعل الله يحدث بعد ذلك .  
أمراً ، أسأله حسن التوفيق والهداية ، وأرغب إليه في العصمة والكفاية ، بمنه  
وقدرته ، ولطفه ورحمته .

### (١) - باب في فضل الشعر

العرب أفضل الأمم ، وحكمتها أشرف الحكم ؛ لفضل اللسان على اليد ،  
والبعد عن امتهان الجسد ؛ إذ خروج الحكمة عن الذات ، بمشاركة الآلات ؛  
إذ لا بد للإنسان من أن يكون تولى ذلك بنفسه ، أو احتاج فيه إلى آلة أو معين  
من جنسه .

وكلام العرب نوعان : منظوم له ومنثور . ولكل منهما ثلاث طبقات :  
جيدة ، ومتوسطة ، ورديئة ، فإذا اتفق الطبقتان في القدر ، وتساوتا في القيمة ،  
ولم يكن لإحدهما فضل على الأخرى - كان الحكم للشعر ظاهراً في التسمية ؛  
لأن كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة ، ألا ترى  
أن الدر - وهو أخو اللفظ ونسيبه ، وإليه يقاس ، وبه يُشَبَّه - إذا كان منشوراً  
لم يؤمن عليه ، ولم يُذتفع به في الباب الذي له كسب ، ومن أجله انتخب ؛ وإن  
كان أعلى قدراً وأعلى ثمناً ، فإذا نظم كان أصون له من الابتذال ، وأظهر لحسنه  
مع كثرة الاستعمال ، وكذلك اللفظ إذا كان منشوراً تبدد في الأسماع ، وتدحرج  
عن الطباع ، ولم تستقر منه إلا المفرطة في اللفظ وإن كانت <sup>(١)</sup> أجمله ، والواحدة  
من الألف ، وعسى أن لا تكون أفضله ، فإن كانت هي اليتيمة المعروفة ، والفريدة

(١) لعل الصواب « إن كانت أجمله » بدون واو .

الموصوفة ؛ فكم في سَقَط الشعر من أمثالها ونظرائها لا يُعْبَأُ به ، ولا يُنْظَرُ إليه ، فإذا أخذَه سلك الوزن ، وعقد القافية ؛ تألفت أشتاته ، وازدوجت فرأئده وبناته ، وأتخذَه اللابس جمالا ، والمدخرُ مالا ، فصارقِرَطَةَ الأذان ، وقلائد الأعناق ، وأمانى النفوس ، وأكاليل الرؤوس ، يقلب بالأسن ، ويُنْجَبُ في القلوب ، مصوناً باللب ، ممنوعاً من السرقة والغصب .

وقد اجتمع الناس على أن المنشور في كلامهم أكثر ، وأقل جيداً محفوظاً ، وأن الشعر أقل ، وأكثر جيداً محفوظاً ؛ لأن في أدناه من زينة الوزن والقافية ما يقارب به جيد المنشور

وكان الكلام كله منشوراً فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها ، وطيب أعرافها ، وذكر أيامها الصالحة ، وأوطانها النازحة ، وفرسانها الأنجاد ، وسمحاتها الأجواد ؛ لتَهْزِنَ أنفسها إلى الكرم ، وتدل أبناءها على حسن الشيم فتوهوا أعاريض جعلوها موازين الكلام ، فلما تم لهم وزنه سموه شعراً ؛ لأهم شعروا به ، أى : فطنوا .

وقيل : ما تكلمت به العرب من جيد المنشور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ؛ فلم يحفظ من المنشور عُشره ، ولا ضاع من الموزون عُشره .

ولعل بعض الكتاب المنتصرين للنثر ، الطاعنين على الشعر ، يحتجُّ بأن القرآن كلام الله تعالى منشورٌ ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم غير شاعر ؛ لقول الله تعالى : ( وما علمناه الشعر ، وما ينبغي له ) ويرى أنه قد أبلغ في الحاجة ، وأبلغ في الحاجة ، والذي عليه في ذلك أكثر مما له ؛ لأن الله تعالى إنما بعث رسوله أمياً غير شاعر إلى قوم يعلمون منه حقيقة ذلك ، حين استوت الفصاحة ، واشتهرت البلاغة ؛ آيةً للنبوة ، وحجة على الخلق ، وإعجازاً للمتساطين ، وجعله منشوراً ليسكون أظهر برهانا لفضله على الشعر الذي من عادة صاحبه أن يكون

قادراً على ما يحبه من الكلام ، وتحدّى جميع الناس من شاعر وغيره بعمل مثله فأعجزهم ذلك ، كما قال الله تعالى : ( قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ) فكم أن القرآن أعجز الشعراء وليس بشعر ، كذلك أعجز الخطباء وليس بخطبة ، والمرسلين وليس بترسل ، وإعجازه الشعراء أشدّ برهاناً ، ألا ترى كيف نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الشعر لما غلبوا وتبين عجزهم ؟ فقالوا : هو شاعر ، لما في قلوبهم من هبة الشعر وفخامته ، وأنه يقع منه مالا يُلاحق ، والمنثور ليس كذلك ، فمن ههنا قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمَهُا الشَّعْرُ ، وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ أى : لتقوم عليكم الحجة ، ويصح قبلكم الدليل ، ويشهد لذلك رواية يونس عن الزهري أنه قال : معناه ما الذى علمناه شعراً ، وما ينبغى له أن يبلغ عنا شعراً . وقال غيره : أراد وما ينبغى له أن يبلغ عنا ما لم نعلمه ، أى : ليس هو من يفعل ذلك ؛ لأمانته ومشهور صدقه . ولو أن كون النبي صلى الله عليه وسلم غير شاعر غض من الشعر لكانت أميته غضاً من الكتابة ، وهذا أظهر من أن يخفى على أحد .

واحتج بعضهم بأن الشعراء أبداً يخدمون الكتاب ، ولا تجد<sup>(١)</sup> كاتباً يخدم شاعراً ، وقد عميت عليهم الأنباء ، وإنما ذلك لأن الشاعر واثق بنفسه ، مُدِلٌّ بما عنده على الكاتب والملك ؛ فهو يطلب ما فى أيديهما ويأخذه ، والكاتب بأى آية يُفْضَلُ<sup>(٢)</sup> الشاعر فيرجو ما فى يده ؟ وإنما صناعته فضلة عن صناعته ، على أن يكون كاتب بلاغة ، فأما كاتب الخدمة فى القانون وما شاكله فصانع

(١) فى نسخة « يجدون » .

(٢) فى نسخة « يقصد » .



مستأجرٌ ، مع أنه قد كان لأبي تمام والبحترى قهّارمة<sup>(١)</sup> وكتاب ، وكان من عريان الشعراء كتاب أزمة كبشار<sup>(٢)</sup> وأبي على البصير ، وكان ابن الرومي من أكبر كتاب الدواوين ، فغلب عليه الشعر ؛ لأنه غلاب . وكما تجد من يمدح السوق في الشعراء فكذلك تجد للسوق كتاباً ، وللتجار الباعة ، في زمننا هذا وقبله . ولم أهجم بهذا الرد ، وأورد هذه الحجة ، لولا أن السيد - أبقاه الله - قد جمع النوعين ، وحاز الفضيلتين ، فهما نقطتان من بحره ، ونوّرأتان<sup>(٣)</sup> من زهره ، وسيرد في أضعاف هذا الكتاب من أشعاره ما يكون دليلاً على صدق ما قلته ، إن شاء الله تعالى .

ومن فضل الشعر أن الشاعر يخاطب الملك باسمه ، وينسبه إلى أمه ، ويخاطبه بالكاف كما يخاطب أقلّ السوق ؛ فلا ينكر ذلك عليه ، بل يراه أوكد في المدح ، وأعظم اشتهاً للممدوح ، كل ذلك حرص على الشعر ، ورغبة فيه ، ولبقائه على مرّ الدهور واختلاف العصور ، والكاتب لا يفعل ذلك إلا أن يفعله منظوماً غير منشور ، وهذه مزية ظاهرة وفضل بيّن

ومن فضائله أن الكذب - الذي اجتمع الناس على قبحه - حسن فيه ، وحسبك ما حسن الكذب ، واغتر له قبحه ، فقد أوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير لما أرسل إلى أخيه بجبر ينهيه عن الإسلام ، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم بما أحفظه ، فأرسل إليه أخوه «ويحك ! إن النبي صلى الله

(١) قهّارمة : جمع قهرمان - بفتح القاف وسكون الهاء وفتح الراء - قال في اللسان : هو كالحازن والوكيل الحافظ لما تحت يده والقائم بأمور الرجل ، بلغة الفرس .

(٢) قال الجاحظ : « كان بشار خطيباً صاحب منشور ، ومزدوج ، وسجع ، ورسائل ، وهو من الطبوعين ، أصحاب الإبداع والاختراع ، المتفنيين في الشعر ، القائلين في أكثر أجناسه وضروبه » اهـ

(٣) واحدهما نواره - بضم النون ، وتشديد الواو - والجمع نوار مثل رمان

عليه وسلم أوعذك لما بلغه عنك ، وقد كان أوعد رجلا بمكة من كان يهجوهم ويؤذيه فقتلهم - يعنى ابن خَطَلٍ <sup>(١)</sup> وابن حُبَابَةَ <sup>(٢)</sup> - وإن من بقى من شعراء قريش كإبن الزَّبَعْرَى وهبيرة بن أبى وهب قد هربوا فى كل وجه ، فإن كانت لك فى نفسك حاجة فَطِرْ <sup>(٣)</sup> إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه لا يقتل من جاء تائباً ، وإلا فأنج إلى نجائك ؛ فإنه والله قاتلك ، فضاقت به الأرض ، فأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم متنكراً ، فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر وضع كعب يده فى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : يا رسول الله ، إن كعب بن زهير قد أتى مستأمنًا تائباً ، أفنؤمنه فأتيك به ؟ قال : هو آمن ، فحسّر كعب عن وجهه وقال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله [ هذا ] مكانُ العائذ بك ، أنا كعب بن زهير ، فأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنشد كعب قصيدته التى أولها :

(١) ابن خطل - بفتح كل من الحاء والطاء - قيل : اسمه عبد الله بن خطل وقال الزبير بن بكار : اسمه آدم ، القرشى الأدرمى ، وهو من ولد تميم بن غالب ، وقد كان النبی صلى الله عليه وسلم أهدر دمه لارتداده مشركاً ، وأنه كان يأمر قينتين له بأن تغنيا بهجاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد قتله أبو بركة الأسلى يوم الفتح وهو متعلق بأستار الكعبة .

(٢) ابن حبابه - بضم الحاء المهيمة - وكان فى الأصول بضاد معجمة ، وفى سيرة ابن هشام بصاد مهجمة ، والصواب ما أثبتناه ، وهو مقيس - بزة منبر - أحد بى كلب بن عوف من الدیل ، وقد قتله نائلة بن عبد الله - وهو رجل من قومه - يوم فتح مكة ؛ لأنه كان قد قتل رجلاً من المسلمين ثم ارتد مشركاً ، فأهدر النبی دمه .

(٣) فى نسخة « فصر » وهى رواية شرح قصيدة كعب لابن هشام ، ورواية السيرة كما أثبتنا .

بَانتُ سَعَادُ قَلْبِي الْيَوْمَ مَتَّبُولُ مُتِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفَدَ مَكْبُولُ  
يقول فيها بعد تغزله وذكر شدة خوفه ووجله :

أَنْبَتُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ  
مَهْلًا هَذَا الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْقُرْآنِ فِيهِ مَوَاعِظٌ وَتَفْصِيلُ  
لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوَشَاةِ فَلَمْ أَذْنَبْ ، وَلَوْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ  
فَلَمْ يَنْكُرْ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلَهُ ، وَمَا كَانَ لِيُوعِدَهُ عَلَى بَاطِلٍ ،  
بَلْ تَجَاوَزَ عَنْهُ وَوَهَبَ لَهُ بُرْدَتَهُ ، فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ مَعَاوِيَةُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . وَقَالَ  
الْقَتَيْبِيُّ <sup>(١)</sup> بَعَثَ أَلْفًا ، وَهِيَ الَّتِي يَتَوَارَثُهَا الْخُلَفَاءُ يَلْبَسُونَهَا فِي الْجُمُعِ وَالْأَعْيَادِ  
تَبَرُّكًا بِهَا .

وذكر جماعة - منهم عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي الشاعر - أنه أعطاه  
مع البردة مائة من الإبل ، قال : وقال الأحموس يَدُ كَرُّ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَطِيَّةُ  
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَعْبًا ، وَقَدْ تَوَقَّفَ فِي عَطَاءِ الشَّعْرَاءِ :  
وَقَبْلَكَ مَا أُعْطِيَ هُنَيْدَةً <sup>(٢)</sup> جَلَّةٌ عَلَى الشَّعْرِ كَعْبًا مِنْ سَدِيسٍ وَبَازِلٍ  
رَسُولُ الْإِلَهِ الْمُسْتَضَاءِ بِنُورِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالضُّحَى وَالْأَصَائِلِ  
وَاعْتَذَرَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ مِنْ قَوْلِهِ فِي الْإِفْكِ بِقَوْلِهِ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي  
أَبْيَاتٍ مَدَحَهَا بِهَا :

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيَّةٍ وَتُصْبِحُ غَرْنِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ  
يقول فيها :

فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُ فَلَا رَفْعَتْ سَوَاطِي إِلَى أَنْامِلِي  
ثم يقول :

(١) في نسخة « القتيبي » .

(٢) هُنَيْدَةٌ : اسم للمائة من الإبل ، ويقال « سَدِيسٌ » للناقة إذا كانت في  
السنة الثامنة ، والبازل : فوق السديس .

فإن الذي قد قيل ليس بلائط<sup>(١)</sup> ولكنه قولُ امرئ بى ماحلٍ  
فاعتذر كما تراه مغالطاً في شيء نفذ فيه حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم  
بالحدّ ، وزعم أن ذلك قولُ امرئ ماحلٍ ، أى : مُكَايِد ، فلم يعاقب لما يرون  
من استخفاف كذب الشاعر ، وأنه يحتج به ولا يحتج عليه .

وسئل أحدُ المتقدمين عن الشعراء فقال : ما ظنك بقوم الاقتصاد محمود إلا  
منهم ، والكذب مدموم إلا فيهم .

حكى أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين النيسابورى أن كعب الأحماس قال له  
عمر بن الخطاب وقد ذكر الشعر : يا كعب ، هل تجد للشعراء ذكراً في التوراة ؟  
فقال كعب : أجد في التوراة قوماً من ولد إسماعيل ، أناجيلهم في صدورهم ينطقون  
بالحكمة ، ويضربون الأمثال ، لا نعلمهم إلا العرب .

وقيل : ليس لأحد من الناس أن يُطْرِى نفسه ويمدحها ، في غير منافرة ،  
إلا أن يكون شاعراً ، فإن ذلك جائز له في الشعر ، غير معيبٍ عليه .

وقال بعضهم — وأظنه أبا العباس الناشئ — العلم عند الفلاسفة ثلاث  
طبقات : أعلى ، وهو علم ما غاب عن الحواس فأدرك بالعقل أو القياس ، وأوسط ،  
وهو علم الآداب النفيسة التي أظهرها العقلُ من الأشياء الطبيعية كالأعداد  
والمساحات وصناعة التنجيم وصناعة اللحون ، وأسفل ، وهو العلم بالأشياء الجزئية  
والأشخاص الجسمية ، فوجب — إذا كانت العلوم أفضلها ما لم تشارك فيه  
الجسوم — أن يكون أفضل الصناعات ما لم تشارك فيه الآلات ، وإذا كانت

(١) في نسخة : ليس بمقولى ، وما أثبتناه هو رواية الديوان ، وقوله « ليس  
بلائط » معناه : ليس بلازم ولا لاصق ، وتقول : هذا المقال لا يلوط بهلان ، بمعنى  
لا يلصق به ، والماحل : الذى يمشى بالجميمة ويسعى إلى السلطان ، وتفسير المؤلف له  
قريب من هذا .

البحون عند الفلاسفة أعظم أركان العمل الذي هو أحد قسمي الفلسفة وجدنا الشعر أقدم من لحنه لا محالة ، فكان أعظم من الذي هو أعظم أركان الفلسفة ، والفلسفة عندهم علم وعمل . هذا معنى الكلام المنقول عنه مختصراً وليس نصاً .

فإن قيل في الشعر : إنه سبب التكلف ، وأخذ الأعراض ، وما أشبه ذلك ؛ لم يلحقه من ذلك إلا ما يلحق المنثور .

ومن فضائله أن اليونانيين إنما كانت أشعارهم تقييد العلوم والأشياء النفيسة والطبيعية التي يخشى ذهابها ، فكيف ظنك بالعرب الذي هو فخرها العظيم وقسطاسها المستقيم ؟

وزعم صاحب الموسيقى أن ألد الملاذ كلها اللحن ، ونحن نعلم أن الأوزان قواعد الألحان ، والأشعار معايير الأوتار لا محالة ، مع أن صنعة صاحب الألحان واضحة من قدره ، مستخدمة له ، نازلة به ، مُسْقِطة لمروته ، ورتبة الشاعر لا مَهَانَة فيها عليه ، بل تكسبه مهابة العلم ، وتكسوه جلالة الحكمة .

فأما قيامه<sup>(١)</sup> وجلس صاحب البحون فلأن هذا متشوّف إليه ، يحب إسماع من بحضرته أجمعين ، بغير آلة ولا مُعِين ، ولا يمكنه ذلك إلا قائماً أو مشرفاً ، وليلدل على نفسه ، ويُعلم أنه المتكلم دون غيره ، وكذلك الخطيب ، وصاحب البحون لا يمكنه القيام لما في حجبهِ كرامة منه<sup>(٢)</sup> على القوم ، على أن منهم من كان يقوم بالدَف والمزْهَر .

(١) يريد أن الشاعر ينشد شعره وهو قائم ، وصاحب الألحان يطرب وهو جالس .

(٢) هكذا في الأصول كلها ، ونعتقد أن الصواب « لا كرامة به على القوم » .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكماً » وقيل « لحكمة » : فقرن البيان بالسحر فصاحته منه صلى الله عليه وسلم ، وجعل من الشعر حُكماً ؛ لأن السحر يخيل للإنسان ما لم يكن للطافته وحيلة صاحبه ، وكذلك البيان يتصور فيه الحق بصورة الباطل ، والباطل بصورة الحق ؛ لرقعة معناه ، ولطف موقعه ، وأبلغ البيّانين عند العلماء الشعر بلا مدافعة ، وقال<sup>(١)</sup> رؤبة :

لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ تَكُونَ سَاحِرًا رَاوِيَةً مَرًّا وَمَرًّا شَاعِرًا

فقرن الشعر أيضاً بالسحر لتلك العلة ، ويروى أيضاً \* لقد حسنت \* بسين مضمومة غير معجمة ، ونون ، والتاء مفتوحة .

## ( ٢ ) - باب في الرد على من يكره الشعر

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنما الشعر كلامٌ مؤلفٌ فوافق الحقُّ منه<sup>(٢)</sup> فهو حسن ، وما لم يوافق الحقُّ منه فلا خير فيه » ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « إنما الشعر كلامٌ ، فن الكلام خبيث وطيب » ، وقالت عائشة رضي الله عنها : الشعر فيه كلام حسن وقبيح ، فخذ الحسن واترك القبيح ، ويروى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم بنى لحسان بن ثابت في المسجد منبراً ينشد عليه الشعر ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه ، وقال

(١) في ديوان أراجيز رؤبة أرجوزة طويلة على هذه القافية ليس فيها

هذا البيت .

(٢) في المصريتين «عنه» وليس بشيء .

على بن أبي طالب رضى الله عنه : الشعر ميزان القول ، ورواه بعضهم : الشعر ميزان القوم .

وروى ابن عائشة يرفعه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشعر كلام من كلام العرب جزل ، تتكلم به في بواديها ، وتسأل به الضعائين من بينها » وأنشد ابن عائشة قول أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

قَلَدْتُكَ الشُّعْرَ يَا سَلَامَةً ذَا فَائِشٍ ، وَالشَّيْءَ حَيْثُ مَا جُعِلَ (١)  
وَالشُّعْرُ يَسْتَنْزِلُ الْكَرِيمَ كَمَا يُنْزِلُ رَعْدُ السَّحَابَةِ السَّيْلَ

ويروى عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما قالت : مرّ الزبير بن العوام رضى الله عنه بمجلس لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وحسان ينشدهم ، وهم غير آذنين (٢) لما يسمعون من شعره ، فقال : ما لي أراكم غير آذنين لما تسمعون من شعر ابن القريرة ؟ لقد كان ينشد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحسن استماعه ، ويجزل عليه ثوابه ، ولا يشتغل عنه إذا أنشده .

ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بحسان وهو ينشد الشعر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أرغلا كرهاء البكر ؟ فقال حسان : دعني عنك يا عمر ، فوالله إنك لتعلم لقد كنت أنشد في هذا المسجد من هو خير منك فما يغير عليّ ذلك ، فقال عمر : صدقت .

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبي موسى الأشعري : مرّ من قبلك بتعلم الشعر ؛ فإنه يدل على معالي الأخلاق ، وصواب الرأي ، ومعرفة الأنساب .

---

(١) البيتان في ديوان الأعشى ( ص ١٧٥ ) ويروى في البيت الأول « يا سلامة ذا التفضال » ويروى « يا سلامة ذا التقصار » وهي القلائد ، ويروى في الثاني « كما استنزل رعد » والسبل — بفتحيتين — المطربين السحاب والأرض .  
(٢) غير آذنين : أى غير منصتين .



وقال معاوية رحمه الله : يجب على الرجل تأديب ولده ، والشعر أعلى مراتب الأدب .

وقال : اجعلوا الشعر أكبر همكم ، وأكثر دأبكم ، فلقد رأيتني ليلة الهريز بصفين — وقد أتيت بفرس أغرٍّ مُحَجَّلٍ بعيد البطن من الأرض ، وأنا أريد الهرب لشدة البلوى — فما حلتني على الإقامة إلا أبيات عمرو بن الإطنابة :

معاوية تمنعه  
أبيات من  
الفرار

أَبْتُ لِي هِمَّتِي وَأَبَى بَلَائِي وَأَخَذِي الْحَمْدَ بِالْثَنِّ الرِّيحِ  
وإقحامى على المكروه نفسى وَصَرِي هَامَةً الْبَطْلِ الْمُشِيحِ  
وقولى كلما جَشَأْتُ وَجَاشْتُ : مَكَانَكَ تُحَمَّدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي  
لأدفع عن مآثرَ صالِحَاتٍ وَأُخِي بَعْدُ عَنْ عِرْضٍ صَحِيحِ

بين طي  
وأعرابى

ويروى أن أعرابياً وقف على على بن أبي طالب رضى الله عنه فقال :  
إن لى إليك حاجة رمتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك ، فإن أنت قضيتها  
حدثتُ الله تعالى وشكرتك ، وإن لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك ، فقال  
له على : خُطَّ حاجتك فى الأرض ، فإني أرى الضر عليك ، فكتب الأعرابى  
على الأرض « إني فقير » فقال على : يا قنبر ؛ ادفع إليه حلتى العلانية ، فلما  
أخذها مثل بين يديه فقال :

كسوتنى حُلَّةً تَبْلَى مُحَاسِنُهَا فَسَوْفَ أَكْسُوكَ مِنْ حَسَنِ الثَّنَاحِلَا  
إن الثناء ليحى ذكر صاحبه كَالْغَيْثِ يُحْيِي نَدَاهُ السَّهْلَ وَالْجَبَلَا  
لا تزهد الدهر في عُربٍ بدأت به فَكُلُّ عَبْدٍ سَيُجْزَى بِالذِّى فَعَلَا

فقال على : يا قنبر ، أعطه خمسين ديناراً ، أما الحلة فله سألتك ، وأما الدنانير  
فلأدبك ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أنزلوا الناس منازلهم »

معيدين السيب  
يعيب من يكره  
الشعر

وقيل لسعيد بن المسيب : إن قوماً بالعراق يكرهون الشعر ، فقال : نسكوا

نسكا أعجمياً

رأى ابن سيرين في الشعر ، وكذلك ما قبح منه . وقال ابن سيرين : الشعر كلام عقد بالقوافي ، فما حسن في الكلام حسن وسئل في المسجد عن رواية الشعر في شهر رمضان - وقد قال قوم : إنها تنقص الوضوء - فقال :

نَبَيْتُ أَنْ فَتَاةً كُنْتُ أَخْطُبُهَا عُرْتُ قَوْمَهَا مِثْلُ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي الطَّوْلِ  
ثُمَّ قَامَ فَأَمَّ النَّاسَ ، وَقِيلَ : بَلْ أَنْشُدْ :  
لَقَدْ أَصْبَحَتْ عِرْسُ<sup>(١)</sup> الْفَرَزْدَقِ نَاشِزًا

ولو رَضِيتَ رُمَحَ أَسْتَه لَا سَتَقِرْتُ وقال الزبير بن بكار : سمعت العمري يقول : رَوُّوا أَوْلَادَكُمْ الشَّعْرَ ؛ فَإِنَّهُ يَحُلُّ عُقْدَةَ اللِّسَانِ ، وَيَشْجَعُ قَلْبَ الْجَبَانِ ، وَيَطْلُقُ يَدَ الْبَخِيلِ ، وَيَحْضُ عَلَى الْخَلْقِ الْجَمِيلِ .

ابن عباس يسخر بمن يكره الشعر وسئل ابن عباس : هل الشعر من رفث القول ؟ فأنشد :  
وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيصًا إِنْ تَصَدَّقِ الطَّيْرُ نَنِكَ لَيْسًا  
وقال : إنما الرفث عند النساء ، ثم أحرم للصلاة .  
وكان ابن عباس يقول : إذا قرأت من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب ؛ فإن الشعر ديوان العرب . وكان إذا سئل عن شيء من القرآن أشد فيه شعرا .

عائشة كثيرة الرواية وكانت عائشة رضي الله عنها كثيرة الرواية للشعر . يقال : إنها كانت تروى جميع شعر لمبيد .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تدع العرب الشعر حتى تدع الأبل الحنين » .

(١) عرس الرجل - بكسر العين وسكون الراء - زوجته .

وكان أبو السائب الخزومي - على شرفه ، وجلالته ، وفضله في الدين والعلم - أبو السائب يقول : أما والله لو كان الشعر مُحَرَّمًا لوردنا الرحبة كل يوم مراراً . والرحبة : الخزومي وجبه للشعر  
الموضع الذي تقام فيه الحدود ، يريد أنه لا يستطيع الصبر عنه فيُحَدِّد في كل يوم مراراً ولا يتركه .

فأما احتجاج مَنْ لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى : ( والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون ) فهو غلط ، وسوءُ تأويل ؛ لأن المقصودين بهذا النص شعراءُ المشركين الذين تناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء ، ومُسَوِّه بالأذى ، فأما مَنْ سواهم من المؤمنين فقير داخل في شيء من ذلك ، ألا تسمع كيف استثناهم الله عز وجل ونبه عليهم فقال : ( إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا ) يريد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم الذين ينتصرون له ، ويحييون المشركين عنه ، كحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رَوَاحَة . وقد قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم : « هؤلاء النفر أشد على قریش من نَضْحِ<sup>(١)</sup> النبل » ، وقال لحسان بن ثابت « أَهْجُهُمْ - يعني قریشا - فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام ، في غَلَسِ الظلام ، أَهْجُهُمْ ومَعَكَ جبريل روح القدس ، واللقَّ أبا بكر يعلمك تلك الكَلِمَات » فلو أن الشعر حرام أو مكروه ما اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم شعراء يثيبهم على الشعر ، ويأمرهم بعمله ، ويسمعه منهم .  
وأما قوله عليه الصلاة والسلام : « لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا<sup>(٢)</sup> حَتَّى

(١) نضح النبل : الرمي بها .

(٢) القَيْح : اللدة ، وقد قاحت القرحة ، وتقيحت . وقال الجوهري : وري القَيْح جوفه يريه ، أكله ، وقال قوم : معناه أصاب رئته ، وأنكره آخرون ؛ لأن الرئة مهموزة فإذا بنيت منها فعلا قلت : رآه .

يَرِيهِ خَيْرَ لِهْ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شَعْرًا « فَإِنَّمَا هُوَ مَنْ غَلَبَ الشَّعْرُ عَلَى قَلْبِهِ ، وَمَلَكَ نَفْسَهُ حَتَّى شَغَلَهُ عَنْ دِينِهِ وَإِقَامَةِ فَرُوضِهِ ، وَمَنْعَهُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَالشَّعْرِ وَغَيْرِهِ - مِمَّا جَرَى فِي هَذِهِ الْمَجْرَى مِنْ شَطَرِنَجٍ وَغَيْرِهِ - سَوَاءٌ . وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ مِمَّنْ يَتَجَذَّ الشَّعْرُ أَدْبًا وَفَسْكَاهَةً وَإِقَامَةً مَرُوءَةً فَلَا جَنَاحَ عَلَيْهِ وَقَدْ قَالَ الشَّعْرُ كَثِيرٌ مِنَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَالْجُلَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ، وَالْفُقَهَاءِ الْمَشْهُورِينَ ، وَسَاءَ ذِكْرُ مَنْ ذَلِكَ طَرَفًا يَقْتَدِي بِهِ فِي هَذَا الْبَابِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

### (٣) - باب في أشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء

من ذلك قول أبي بكر الصديق<sup>(١)</sup> رضى الله عنه - قالوا : واسمه عبد الله ابن عثمان ، ويقال : عتيق لقب له - قال في غزوة عبدة بن الحارث ، رواه ابن إسحاق وغيره :

شعر ينسب  
لأبي بكر  
الصديق

أَمِنْ طَيْفٍ سَلِمَى بِالْبَطَاحِ الدَّمَائِثِ أُرْقَتْ ، أَوْ أَمْرٍ فِي الْعَشِيرَةِ حَادِثِ ؟؟  
تَرَى مِنْ لَوْىِ فَرْقَةٍ لَا يَصُدُّهَا عَنْ الْكَفْرِ تَذَكِيرٌ وَلَا بَعَثُ بَاعِثِ  
رَسُولٌ أَتَاهُمْ صَادِقٌ فَتَسْكُدُّ بُوَا عَلَيْهِ ، وَقَالُوا : لَسْتَ فِينَا بِمَآكِثِ  
إِذَا مَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْحَقِّ أَدْبَرُوا وَهَرُّوا هَرِيرَ الْمُجَجَّرَاتِ<sup>(٢)</sup> اللَّوَاهِثِ

(١) قال ابن هشام : « وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يَنْكُرُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » اهـ وقال السهيلي : « وَيَشْهَدُ لَصِحَّةِ مَنْ أَنْكَرَ أَنْ تَكُونَ لَهُ مَارُوى عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : كَذَبَ مَنْ أَخْبَرَكَمَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ بَيْتَ شَعْرٍ فِي الْإِسْلَامِ » اهـ

(٢) كان في الأصول المطبوعة « المججرات » بتقديم المهملة ، والتصويب عن سيرة ابن هشام (ج ٢ ص ٣ بولاق) وعن الروض الأنف (ج ٢ ص ٥٥)

فَكَمْ قَدْ مَتَّقْنَا<sup>(١)</sup> فِيهِمْ بِقَرَابَةٍ  
فَإِنْ يَرْجِعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ وَعَقُوبِهِمْ  
وَمَنْ يَرْكَبُوا طَغْيَانَهُمْ وَضَلَالَهُمْ  
وَنَحْنُ أَنَاسٌ مِنْ ذَوَابَةِ غَالِبٍ  
فَأُولَى بَرِّ الرَّاكِصَاتِ عَشِيَّةٍ  
كَأَدِيمِ ظَبَاءٍ حَوْلَ مَكَّةَ عَكْفٍ  
لَئِنْ لَمْ يَفِيقُوا عَاجِلًا مِنْ ضَلَالِهِمْ  
لَتَبْتَدِرْ رَنَّهُمْ غَارَةٌ ذَاتُ مُصَدِّقٍ  
تَغَادَرُ قَتْلِي تَعْصِبُ الطَّيْرُ حَوْلَهُمْ  
فَأَبْلَغَ بَنِي سَهْمٍ لَدَيْكَ رِسَالَةٌ  
فَإِنْ شَعْنُوا عَرْضِي عَلَى سُوءِ رَأْيِهِمْ  
وَتَرَكْتُ التَّقَى شَيْءًا لَمْ غَيْرُ كَارِثٍ  
فَمَا طَيِّبَاتُ الْحُلِّ مِثْلُ الْخَبَائِثِ  
فَلَيْسَ عَذَابُ اللَّهِ عَنْهُمْ بِلَا بَثٍ  
لَنَا الْعَزُّ مِنْهَا فِي الْقُرُوعِ الْأَثَائِثِ<sup>(٢)</sup>  
حَرَّاجِيحٍ تَخْدِي فِي السَّرِيحِ الرِّثَائِثِ  
يَرْدُنَ حِيَاضُ الْبَثَرَاتِ النَّبَائِثِ  
وَلَسْتُ إِذَا آلَيْتُ قَوْلًا بِجَانِثٍ  
تُحَرِّمُ أَطْهَارَ النِّسَاءِ الطَّوَامِثِ  
وَلَا يَرَأْفُ الْكُمَارُ أَوْ ابْنَ حَارِثٍ  
وَكُلُّ كُفُورٍ يَبْتَغِي الشَّرَّ بَاحِثٍ<sup>(٣)</sup>  
فَإِنِّي مِنْ أَعْرَاضِهِمْ غَيْرُ شَاعِثٍ<sup>(٤)</sup>

ومن شعر عمر بن الخطاب رضي الله عنه - وكان من أنقذ أهل رمانه للشعر  
وأفذههم فيه معرفة - ويروى للأعور الشَّيْءُ :

هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنَّ الْأُمُورَ بِكَفِّ الْإِلَهِ مَقَادِيرُهَا  
فَلَيْسَ بِأَتَيْسِكَ مَنِيئُهَا وَلَا قَاصِرُ عَنكَ مَأْمُورُهَا

ومن شعره أيضا - وقد لبس برداً جديداً فنظر الناس إليه - وقد روى  
لورقة بن نوفل في أبيات :

- (١) في المطبوعتين « مثاناً » وهو خطأ ، والتصويب عن السيرة في المكان السابق  
(٢) في المطبوعتين « اللثايت » وهو خطأ .  
(٣) في المطبوعتين « ماجث » ،  
(٤) رواية هذا البيت في السيرة :

فَإِنْ تَشَعْنُوا عَرْضِي عَلَى سُوءِ رَأْيِكُمْ  
فَإِنِّي مِنْ أَعْرَاضِكُمْ غَيْرُ شَاعِثٍ  
( ٣ - العمدة ١ )

أبيات تنسب  
لعمر بن  
الخطاب

لا شيء مما ترى تبقى بشاشتهُ  
لم تُغن عن هُرمزٍ يوماً خزائنهُ  
ولا سليمان ؛ إذ تجرى الرياحُ له  
حوضٌ هنالك مورودٌ بلا كذبٍ  
ومن شعره أيضاً رضى الله عنه :  
توعدتني كعبٌ ثلاثاً بعددُها  
وما بيَ خوفُ الموت ؛ إني لميتٌ  
ولكن خوفُ الذنبِ يتبعهُ الذنبُ  
ولا شك أن القول ماقال لي كعبُ

ومن شعر عثمان بن عفان رضى الله عنه :

من شعر ينسب  
لعثمان بن عفان

غنى النفسِ يغنى النفسَ حتى يكفها  
وإن عَضَّها حتى يضربها الفقرُ  
وما عُسرة - فاصبر لها إن لقيتها -  
بكائنة إلا سيتبعها يُسرُ

ومن شعر علي بن أبي طالب رضى الله عنه - وكان مجوداً - ماقاله يوم صفين

من شعر  
على بن أبي طالب

يذكر همدان ونصرهم إياه :

ولما رأيتُ الخيلَ ترجمُ بالقنا  
وأعرضَ تقعُ في السماء كأنه  
ونادى ابنُ هند في الكلاع وحير  
تيممت همدان الذين همُّهم  
فجاوبني من خيل همدان عصبه  
فخاصوا لظآها واستطاروا شرارها  
فلو كنتُ بواباً على باب جنةٍ  
وهو القاتل بصفين أيضاً :

لمن راية تخمراء<sup>(١)</sup> يخفق ظلها  
إذا قلتُ قدَّمها حُصَيْنٌ تقدما

(١) في نسخة « سوداء » .

فيوردها في الصف حتى يَرِدُ بها حياضَ المنايا تنقطرُ للموتِ والدمَا  
فهؤلاء الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم : مامنهم إلا من قال الشر ،  
من شعر  
لحسن بن علي وخامسهم الحسن بن علي رحمه الله ، وهو القائل - وقد خرج على أصحابه مخضباً -  
رواه المبرد :

نسودُّ أعلاها ، وتأبى أصولها ، فليت الذي يسودُّ منها هو الأصل <sup>(١)</sup>  
ومن شعر معاوية بن أبي سفيان رحمه الله عليه ما رواه ابن الكلبي عن من شعر لمعاوية  
عبد الرحمن المدني ، قال : لما حضرت معاوية الوفاة جمل يقول :  
إن تناقش يكن نقاشك يار بَّ عذاباً ، لا طوق لي بالعذاب <sup>(٢)</sup>  
أو تجاوز فأنت رب رءوف عن مسمى ذنوبه كالتراب  
وروى في غير موضع واحد :

فقدت سفاهتي ، وأرحت غيبي وفي على تحلمي أغراض  
على أي أجيب إذا دعتني إلى حاجتها الخدق المراض  
ومن قوله أيضاً ، وهو لائق به ، دال على صحة ناقله :  
إذا لم أجد بالحلم مني عليكم فمن ذا الذي بعدى يؤمل للحلم ؟  
خذيها هنبثاً واذكري فعل ما جدي حباك على حرب العداوة بالسلم  
وأما يزيد بن معاوية فمن بعده فبكثير شعرهم مشهور .  
ومن شعر الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وقد عاتبه أخوه الحسن رحمه الله  
من شعر الحسين بن علي  
في امرأته :

لعمرك إنني لأحب داراً تحلُّ بها سُكَيْنَةُ والربَّابُ

(١) يريد أنه يسود أطراف شعره والظاهر منه بالخضاب ، ولكن جنود الشعر تأبى إلا البقاء على الشيب ١١ .  
(٢) لا طوق لي : أي لا طاقة لي ، يريد أنه لا يحمته .

أخيهما وأبذل جلّ مالى وليس لِلأئمةِ عندى عتاب

وليس من بنى عبد المطلب رجالا ونساء مَنْ لم يقل الشعر ، حاشا النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم : فمن ذلك قولُ حمزة بن عبد المطلب رحمه الله يذكر لقاءه أبا جهل وأصحابه فى قصيدة تركتُ أكثرها اختصاراً :

عشيةً صاروا جاشدين وكلّنا	مَراحِلُهُ من غيظ أصحابه تَغْلِي	من شعر حمزة
فلما تراءينا أناخوا ففعلوا	مطايا وعقلنا مدى غرضِ التَّبلِ	ابن عبد المطلب
وقلنا لهم: حبل الإله نصيرُنا	وما لَكُمُ إلا الضلالة من حبلِ	
فثار أبو جهل هنالك باغياً	فخاب ، وردَّ الله كيد أبي جهلِ	
وما نحن إلا فى ثلاثين راكباً	وهم مائتان بعد واحدةٍ فضلِ	

وأما العباس فكان شاعراً مقلداً حسن التَّهْدِي : من ذلك قوله رحمه الله يوم حُنَيْنٍ يفتخر بثبوته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ألا هل أتى عِرسى مَكْرُئى وموقفى	بوادى حنين والأسنة تُشْرَعُ	من شعر
وقولى إذا ما النفس جاشت لما قدى	وهامٌ تدهدى والسَّواعد تقطع	العباس بن
وكيف رددت الخيل وهى مغيرةٌ	بزوراء تعطى باليدى وتمنع	عبد المطلب
نصرنا رسول الله فى الحرب سبعة <sup>(١)</sup>	وقد فرّ من قد فر عنه فأقشعوا	

ومن شعر عبد الله بن عباس رضى الله عنه :

(١) أثبت التاريخ أن المسلمين فى غزوة حنين لما انهزموا أمام هوازن وثقيف ومن لف لفهم من الأعراب ، بقى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمانية رجال ، هم : أبو بكر ، وعمر ، وعلى ، والعباس ، والفضل بن العباس ، وأبوسفيان ابن الحارث ، وأخوه ربيعة بن الحارث ، ومعتب بن أبى لهب ، وكان رسول الله أركبه بغلته ، والعباس أخذ بلجامها ؛ وأبوسفيان أخذ بالركاب .



من شعر  
عبد الله  
ابن العباس

إذا طارقات المم ضاجعت الفتى  
وأعمل فسكر الليل والليل عاكراً  
وبأكرنى في حاجة لم يجد بها  
سواى ولا من نكبة الدهر ناصر  
فرجّت بمالى همة من مقامه  
وزايله هم طروق مسامر  
وكان له فضل على بظنه  
بى الخير؛ إني للذى ظن شاكر

ومن شعر جعفر بن أبى طالب ذى الجناحين رضى الله عنه قوله يوم مؤنة وفيه  
بن أبى طالب  
قتل رحمة الله عليه :

يا حبذا الجنة واقترابها  
طيبة وبارد شرابها  
والروم روم قد دنا عذابها  
على إذ لاقيتها ضرابها

وشعر أبى سفيان بن الحارث مشهور فى الجاهلية والإسلام . فأما أبو طالب  
ومن شاكره فلم أذكر لهم شيئاً ، خلا بيتين لعبد الله بن عبد المطلب أنشدهما  
من شعر عبد الله  
بن عبد المطلب  
القاضى أبو الفضل ، وهما :

وأخوَرَ مخضوب البنان محجب  
دعاني فلم أعرف إلى ما دعا وجهها<sup>(١)</sup>  
بخلت بنفسى عن مقام يشينها  
فلست مريداً ذاك طوعاً ولا كرهاً  
وكانت فاطمة رضى الله عنها تقول الشعر ، رويت لها أشياء كثيرة .

ثم نرجع إلى الخلفاء المرضيين : قال عمر بن عبد العزيز ، رواه الأوزاعى عن  
من شعر عمر  
بن عبد العزيز  
محمد بن كعب :

أيقظان أنت اليوم أم أنت حالم؟  
وكيف يطيق النوم حيران هائم؟  
فلو كنت يقظان الغداة لحرقت  
جفونا لعينيك الدموع السواجم  
نهارك يامغرور سهو وغفلة  
وليلك نوم ، والردى لك لازم  
وتشغل فيما سوف تكره غبه  
كذلك فى الدنيا تعيش البهائم  
ومما أثبتته حماد الراوية من شعره :

(١) الأخور : الذى فى عينه الحور ، وهو شدة بياض بياض العين مع شدة  
سواد سوادها ، وأراد امرأة ، ولكنه ذكر لكونه قصد شخصاً .

إنَّه القَوَادُ عَنِ الصَّبَا      وَعَنِ انْتِيَادِكَ لِلْهَوَى <sup>(١)</sup>  
 فَلَعَمْرُرِبِكَ إِنِّ فِي      شَيْبِ الْمَفَارِقِ وَالْجَلَا  
 لَكَ وَاعْظَا لَوْ كُنْتُ تَتَّعِظُ      انْعَاظَ ذَوَى النَّهَى  
 حَتَّى مَتَى لَا تَرْعَوِي ؟      وَإِلَى مَتَى ؟ وَإِلَى مَتَى ؟  
 بَيْلَ الشَّبَابِ وَأَنْتِ إِنِّ      عُمُرْتُ رَهْنٌ لِلْبَلَى  
 وَكَفَى بِذَلِكَ زَاجِرًا      لِلْعُرَى عَنْ غِيٍّ ، كَفَى

ومن شعره أيضاً أنشده ابن داود القياسي في كتابه :

وَلَوْلَا النَّهْيُ ثُمَّ التَّقَى خَشِيَةَ الرَّدَى      لَعَاصَيْتُ فِي حُبِّ الصَّبَا كُلَّ زَاجِرٍ  
 صَبَاً مَا صَبَاً فِيمَا مَضَى ثُمَّ لَا تُرَى      لَهُ صَبَوَةٌ أُخْرَى اللَّيَالِي الْغَوَابِرِ

ومن قول عبد الله بن الزبير قوله - وقد ولي الحرمين مدة ، ودعى بأمير  
 المؤمنين ماشاء الله حتى قتل ، رحمة الله عليه - وقد روى لعبد الله بن الزبير -  
 بفتح الزاي وكسر الباء - :

من شعر  
عبد الله  
ابن الزبير

لَا أَحْسَبُ الشَّرَّ جَارًا لَا يَفَارِقُنِي      وَلَا أَحْزُنُ عَلَى مَا فَاتَنِي الْوَدَجَا  
 وَمَا لَقِيتُ مِنْ الْمَكْرُوهِ مَنْزِلَةً      إِلَّا وَثِّقْتُ بِأَنْ أَلْقَى لَهَا فَرَجَا  
 ومن قوله المشهور عنه :

وَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ قَدْ أَرَادَ مَسَاءَتِي      بَغِيْبٍ ، وَلَوْ لَا قَيْتُهُ لَتَنَبَّدَمَا  
 كَثِيرٍ ائْتَيْنَا حَتَّى إِذَا مَا لَقِيتُهُ      أَصْرًا عَلَى إِيْمٍ وَإِنْ كَانَ أَقْسَمَا

وحسبك من القضاة شريح بن الحارث : كان شاعراً مجوداً ، وقد استقضاة  
 عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كتب إلى مؤدب ولده - وقد وجده وقت

(١) في المطبوعتين «وعن انتياده» ويلزمه سكون الهاء - وهى ضمير الغائب -  
 فى غير وقف ، وليس بشيء ، والأفضل ما أثبتناه .

الصلاة يلعب بجزو كلب ، وأودع الأبيات رقمةً وأنفذها مع ولده مختومة من شعر  
القاضي شريح إلى المؤدب - :

ترك الصلاة لأكلب يسعي بها طلب الهراش مع الغواة الرجس  
فلأيتنك غدوةً بصـ حيفة كتبت له كصـ حيفة التماس  
فإذا هممت بضربه فبـ ذرّة وإذا بلغت به ثلاثاً فاحبس  
واعلم بأنك ما أتيت نفسه مع ما يُجرّ عني - أعزّ الأنفس

فهذا شريح ، وهم جرا إلى حيث شئت ، ومن الفقهاء عبيد الله بن عبد الله من شعر  
ابن عتبة بن مسعود ، قال في امرأة من هذيل قدمت المدينة ففتن بها الناس  
ورغبوا فيها خاطبين :

أحبك حباً لو علمت ببعضه لجدت ولم يصعب عليك شديد  
وحبك يا أمّ الوليد مؤلّمي شهيدى أبو بكر فنعم شهيد  
ويعلم وجدى قاسم بن محمد وعروة ما أخفى بكم وسعيد  
ويعلم ما ألقى سليمان علمه وخارجة يبدى بنا ويعيد  
متى تسألني عما أقول تخبرني فله عندى طارف وتليد

هؤلاء الستة الذين ذكروهم : أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ،  
وقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وعروة بن الزبير بن العوام ، وسعيد بن  
المسيب ، وسليمان بن يسار ، وخارجة بن زيد بن ثابت ، وعبيد الله صاحب  
هذا الشعر هو سابعهم ، وهم فقهاء المدينة ، وأصحاب الرأي الذين هم  
عليهم المدار .

وقد كان جماعة من أصحاب مالك بن أنس يرون الغناء بغير آلة جائزاً ،  
وهو مذهب جماعة من أهل مكة والمدينة ، والغناء حلة الشعر إن لم يلبسها طويّت ،  
ومحال أن يحرم الشعر من يُحِلّ الغناء به .

من شعر الإمام الشافعي وأما محمد بن إدريس الشافعي فكان من أحسن الناس اقتنائاً في الشعر ، وهو القائل :

وَمُتَّعِبِ الْعَيْسِ مَرْتاحاً إِلَى بَلَدٍ      وَالْمَوْتُ يُطْلِبُهُ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ  
وَصَاحِكِ وَالْمَنَيا فَوْقَ مَفْرَقِهِ      لَوْ كَانَ يَعْلَمُ غَيْباً مَاتَ مِنْ كَمَدِ  
مَنْ كَانَ لَمْ يَوْتِ عِلْماً فِي بَقَاءِ غَدٍ      مَاذَا تَفَكَّرَهُ فِي رِزْقٍ بَعْدَ غَدٍ  
ومن قوله أيضاً في غير هذا المعنى :

الْجَدُّ يَدْنِي كُلَّ شَيْءٍ شَامِعٍ      وَالْجَدُّ يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مَغْلَقِ  
فَإِذَا سَمِعْتَ أَنَّ مَجْدُوداً حَوَى      عُوْداً فَأَوْزَقَ فِي يَدَيْهِ فَصَدَّقِ  
وَإِذَا سَمِعْتَ أَنَّ مَحْرُوماً أُنِيَ      مَاءٌ لِيَشْرَبَهُ جَفٌّ فَخْتَقِ  
وَأَحَقُّ خَلَقَ اللَّهُ بِالْهَمِّ أَمْرُ      ذَوْ هَمٍّ يُبْنَى بِرِزْقٍ ضَيِّقِ  
وَلَرْبِما عَرَضَتْ لِنَفْسِي فِكْرَةٌ      فَأَوْذُ مِنْهُ — أَنِّي لَمْ أَخْلُقِ

وهذا باب لو تفصيله لاحتمل كتاباً مفرداً ، ولكنني طَبَّقتُ المفصل ، وذكرت بعض المشاهير من الناس .

#### ( ٤ ) — باب من رفعه الشعر ، ومن وَضَعَهُ

الشعر يرفع ويضع الشعر يرفع « إنه يرفع من قدر الوضع الجاهل ، مثل ما يضع من قدر الشريف الكامل ، وإنه أسنى مروءة الدنيا ، وأدنى مروءة السرى » لأمر ظاهر غاب عن بعض الناس فتأوله أشد التأويل ، وظنه مثلبة وهو منقبة ، وذلك أن الشعر لجلالته يرفع من قدر الخامل إذا مَدَحَ به ، مثل ما يضع من قدر الشريف إذا اتَّخَذَهُ مكسباً ، كالذي يُوَثِّرُ من سقوط النابغة الذبياني بامتداحه النعمان بن المنذر ، وتكسبه عنده بالشعر ، وقد كان أشرف بني ذبيان ،

هذا ، وإنما امتدح قاهر العرب ، وصاحب البؤس والنعيم<sup>(١)</sup> .. وكاشتهد عرابة  
الأوسى بشعر الشماخ بن ضرار ، وقد بذل له في سنة شديدة وثق بعير  
تمراً ، فقال :

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو إِلَى الْخَيْرَاتِ مَنْقَطَعَ الْقَرِينِ  
إِذَا مَا رَايَهُ رَفَعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ

حتى صار ذلك مثلاً سائراً ، وأثراً باقياً ، لا تبلى جدته ، ولا تتغير بهجته ،  
وقدح ذلك في مروءة الشماخ ، وحط من قدره ؛ لسقوط همته عن درجة مثله من  
أهل البيوتات وذوى الأقدار .

فأما من صنع الشعر فصاحةً ولسناً ، وافتخاراً بنفسه وحسبه ، وتخليداً لما أثر  
قومه ، ولم يصنعه رغبة ولا رهبة ، ولا مدحاً ولا هجاءً ، كما قال واحدٌ دهرنا  
وسيد كتاب عصرنا أبو الحسن أحسن الله إليه وإلينا فيه :

وَجَدْتُ طَرِيقَ الْبَاسِ أَسْهَلَ مَسْلَكًا وَأُخْرَى بَنْجَحَ مِنْ طَرِيقِ الْمَطَامِعِ  
فَلَسْتُ بِمُطَرٍّ مَا حَيَّتْ أَخَا نَدَى وَلَا أَنَا فِي عَرْضِ الْبَخِيلِ بِوَاقِعِ  
فَلَا نَقْصَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ ، بَلْ هُوَ زَائِدٌ فِي أَدَبِهِ ، وَشَهَادَةٌ بِفَضْلِهِ ، كَمَا أَنَّهُ نَبَاهَةٌ  
فِي ذِكْرِ الْخَامِلِ ، وَرَفَعَ لِقَدْرِ السَّاقِطِ ، وَإِنَّمَا فَضْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ - وَهُوَ مَنْ هُوَ -  
لَمَّا صَنَعَ بِطَبْعِهِ ، وَغَلَا بِسَجِيَّتِهِ ، عَنْ غَيْرِ طَمَعٍ وَلَا جَزَعٍ .

حكى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قل : لو أن الشعراء المتقدمين  
رأى لعل في امرئ القيس  
ضمهم زمان واحد ونصبت لهم راية فجزوا معاً علمنا من السابق منهم ، وإذ لم

(١) في ظاهر العبارة أن المؤلف يعتبر ممدوح النابغة صاحب يومى البؤس والنعيم ،  
وهذا باطل ؛ فإن ممدوح النابغة هو النعمان بن المنذر ؛ وصاحب اليومين هو المنذر بن  
ماء السماء .

يكن فالذى لم يقل لرغبة ولا رهبة ، فقيل : ومن هو ؟ فقال : الكندى ، قيل : ولم ؟ قال : لأنى رأيته أحسنهم نادرة ، وأسبقهم بادرة .

وقال على بن الجهم فى مدح المتوكل :

وما الشعرُ مما أَسْتَظِلُّ بظله ولا زادنى قدراً ، ولا حطَّ من قدرى  
ثم قال :

على بن الجهم  
يصف ما دعاه  
لقول الشعر

ولكنَّ إحسانَ الخليفة جعفرٍ دعانى إلى ما قلتُ فيه من الشعر  
فذكر أنه لا يستظل بظل الشعر ، أى : لا يتكسب به ، وأنه لم يزدده قدراً  
لأنه كان نابه الذكر قبل عمل الشعر ، ثم قال \* ولا حط من قدرى \*  
فأحسن الاعتذار لنفسه وللشعر ، يقول : ليس الشعر ضعة فى نفسه ، ولا  
صنعتة فيمن دون الخليفة ، وما كفاه ذلك حتى جعل نفسه بإزاء الخليفة ، بل  
مكافئاً له بشعره على إحسان بدأه الخليفة به ، ولم يرض أن يجعل نفسه راغباً  
ولا مجتدياً .

أبو تمام يقول : وقال الطائي<sup>(١)</sup> فى هذا المعنى لمحمد بن عبد الملك الزيات ، على ما كان فيه  
من السكبر والإعجاب ، وهو حينئذ الوزير الأكبر :

لقد زِدْتَ أَوْضاحى امتداداً ، ولم أكن بهيما ولا أرضى من الأرض مَجْهَلاً  
ولسكن أيارِ صادفتنى جِسامُها أغرَّ فَوَافَتْ بى<sup>(٢)</sup> أغرَّ محبجلاً  
فطمح بنفسه إلى حيث ترى ، وجعل الغرة من كسبه - وهى فى الوجه  
مشهورة - والتعجيل من زيادات الممدوح ، وهو فى القوائم .

وقد سبق إلى هذا المعنى أبو نخيلة السعدى فقال يمدح مسلمة بن  
عبد الملك :

أبو نخيلة  
السابق إلى  
ذلك

(١) هراؤ و تمام حبيب بن أوس ، وانظر ديوانه (ص ٢٥٢)

(٢) فى الأصل « فوفت فى » وهو خطأ ، وفى الديوان « فألفت بى » .

وأحييت من ذكرى ، وما كان خاملاً ولكن بعض الذكر أنبأ من بعض  
وقد حكى أن امرأ القيس نفاه أبوه لما قال الشعر ، وغفل أكثر الناس عن  
السبب ، وذلك أنه كان خليعاً ، متهتكاً ، شَبَّ بنساء أبيه ، وبدأ بهذا الشر  
العظيم ، واشتغل بالنحر والزنا عن الملك والرياسة ، فكان إليه من أبيه ما كان ، ليس  
من جهة الشعر ، لكن من جهة النى والبطالة ؛ فهذه العلة ، وقد جازت كثيراً  
من الناس ومرت عليهم صفحاً<sup>(١)</sup> .

وأما تفسير القول الآخر في السرى والدى ؛ فإنه إذا بلغت بالدى نفسه ،  
وطمحت به همته إلى أن يصنع الشعر - الذى هو أخو الأدب ، وتجارة العرب ،  
تُكَافَأ به الأيادى ، ويُحَلَّ به صدر النادى ، ويرفع صوته على من فوقه ، ويزيده  
في التقدر على ما استحقه - فقد صار سرياً ، على أنه القائل ، فإن كان المقول له  
فذلك أعظم مزية ، وأشرف خطة ومنزلة ، وإذا انحطت بالسرى همته ، وقصرت  
مروءته ، إلى أن يصنع الشعر ليتكسب به المال ويكافئ به الأيادى دون غيره -  
وهو يعلم أنه أبقي من المال ، وأنفس ذخائر الرجال ، وأنه إن خاطب به من فوقه  
فقد رضى بالضراعة ، وإن خاطب به كفأه ونظيره فقد نزل عن المساواة ، وإن  
خاطب به من دونه سقط جملة - ذلك على أن يكون شعره مَزْحاً<sup>(٢)</sup> أو عتاباً ، وأما  
أن يكون هجاء فأبقى نلزيه وأضل لسعيه .

وسأذكر من رفعه أو ممن وضعه ماقال أو قيل فيه من الشعر بعض من ذكر  
الناس ؛ لئلا أخلى الكتاب من ذلك ، وإن كنت حريصاً على الإيجاز والاختصار .  
فمن رفعه ماقال من القدماء الحارث بن حِمْزَةَ اليشكرى ، وكان أبرص ،  
فأنشد الملك عمرو بن هند قصيدته :

\* آذَنْتُنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاء \*

(١) في المطبوعتين « صلحا » وهو خطأ كما ترى .

(٢) ربما قرئت هذه الكلمة « مدحا » .

بعض من  
رفعه الشعر

وبينه وبينه سبعة حُجُب ؛ فما زال يرفعها حجاباً فحجاباً لحسن ما يسمع من شعره حتى لم يبق بينهما حجاب ، ثم أدناه وقر به ، وأمثاله كثير .  
ومن المخضرمين حسان بن ثابت رحمه الله ، لم تكن له مائة ولا سابقة في الجاهلية والإسلام إلا شعره ، وقد بلغ من رضا الله عز وجل ورضا نبيه عليه الصلاة والسلام ما أورثه الجنة .

ومن الفحول المتأخرين الأخطل - واسمه غياث بن غوث ، وكان نصرانياً من تغلب - بلغت به الحال في الشعر إلى أن نادى عبد الملك بن مروان ، وأركبه ظهر جرير بن عطية بن الحُلَظَفِي ، وهو تقي مسلم ، وقيل : أمره بذلك بسبب شعره فأخبره<sup>(٢)</sup> فيه بين يديه وطوّّل لِسَانَهُ ، حتى قال مجاهراً<sup>(٢)</sup> : لعنة الله عليه ، لا يستتر في العلن على الدين والاستخفاف بالمسلمين :

ولستُ بصائمٍ رمضانَ طَوْعاً      ولستُ بآكلٍ لحم الأضاحي  
ولستُ بزاجرٍ عَنَساً بكوراً      إلى بطحاء مكة للنجاح  
ولستُ منادياً أبداً بليلاً      كمثّل العير «حَيَّ على الفلاح»  
ولكني سأشربها شَمُولاً      وأسجد قبل منبج الصباح

وهذه غاية عظيمة ومنزلة غريبة حملت من المسابقة في الدين على مثل ما نسمع والملوك ملوك بزعمهم . وهجا الأنصار ليزيد بن معاوية ، لما شَبَّ عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بعمته فاطمة بنت أبي سفيان - قيل : بل بأخته هند بنت معاوية - قيل : ولولا شعره لقتل دون أقل من ذلك .. وقد ردّ على جرير أقبح رد ، وتناول من أعراض المسلمين وأشرافهم ، ما لا ينجو مع مثله عَالَوِيّ ، فضلاً عن نصراني . ومن المحدثين أبو نُوَاس ، كان نديماً للأمين محمد بن زُبَيْدَة طول خلافته ..

(١) في المطبوعتين « خايره » وهو غير مؤد إلى معنى

(٢) في نسخة « مجاهد »



ومسلم بن الوليد صريح الغواني ، اتصل بذى الرياستين<sup>(١)</sup> ومات على جرجان وكان تولاها على يديه . . . والبيجورى ، وكان نديما للمتوكل لا يكاد يفارقه ، وبمحضره قتل المتوكل . وكثير ممن أكتفى بهؤلاء عن ذكره .

المتنبى وكافور

وقد خطب أبو الطيب هذه الرتبة إلى كافور الإخشيدي ، فوعده بها وأجابه إليها ، ثم خافه لما رأى من تحامله وكبره ، واقتضاه أبو الطيب مراراً ، وعاتبه فاجد عنده راحة . . . فمن ذلك قوله<sup>(٢)</sup> يقتضيه :

وهبت على مقدار كفى زماننا ونفسي على مقدار كفىك تطالب  
إذا لم تنطى ضيعة أو ولاية فجودك يكسونى وشغللك يسلب  
وقوله<sup>(٣)</sup> يقتضيه أيضاً وعاتبه من قصيدة مشهورة :

ولى عند هذا الدهر حق يطله وقد قل إلتاب وطل عتاب<sup>(٤)</sup>  
ثم قال بعد أبيات :

أرى لى بقر بى منك عينا قريرة وإن كن قربا بالبعاد يشاب  
وهل ناعى أن ترفع الخجب بيننا ودون الذى أملت منك حجاب  
أقل سلامى حب ماخف عنكم وأسكت كما لا يكون جواب  
وفى النفس حاجات وفيك فطانة سكوتى بيان عندها وخطاب

(١) هو الفضل بن سهل ، وكان السبب فى توليته أن مسلماً دخل على الفضل . . . ثمرا ، فقال : أيتها السكهل إى أجلك عن الشعر فسل حاجتك ، فقال : بلى . . . ثم أنتدسى بأن تسمع . . . ثم أنتدسه ، فقال له الفضل : إنى أحلك عن الشعر . ول : فوسوس : . . . أحدث من عملاق ، فولاه البريد بخرحان .

(٢) نظير الديوان ( ج ١ ص ١٢٧ )

(٣) نظير الديوان ( ج ١ ص ١٣٧ )

(٤) قوله : « قل إلتاب » معناه أنه لم يرصا

وما أنا بالباغى على الحب رشوة      ضعيف هوى يُبغى عليه ثواب  
وما شئت إلا أن أدلّ عواذلى      على أن رأيت فى هواك صواب  
وأعلم قوما خالفوني فشرّ قوا      وغرّبت أنى قد ظفرت وخابوا  
فهؤلاء رفعهم ما قالوه من الشعر ؛ فقالوا الرتب ، واتصلوا بالملك ، وليس  
ذلك ببدع للشاعر ولا عجيب منه . وقد كنت صنعت بين يدي سيدنا عن  
أمره العالى زاده الله علواً :

الشعر شىء حسن      ليس به من حرج  
أقل ما فيه ذها      ب' الهم عن نفس الشجى  
يُحكّم فى لطافة      حلّ عقود الحجج  
كم نظرة حسنها      فى وجه عذر سيج  
وحرقية بردها      عن قلب صب منضج  
ورحمة أوقعها      فى قلب قاس حرج  
وحاجة يسرها      عند غزال غنج  
وشاعر مطرح      مغلق باب الفرج  
قرّبه لسانه      من ملك متوج  
فعلوا أولادكم      عقار طيب المهج

بعض الدين      وطائفة أخرى نطقوا فى الشعر بألفاظ صارت لهم شهرة يلبسونها ، وألقاباً  
لقبوا بشيء      يدعون بها فلا ينكرونها<sup>(١)</sup> : منهم عائد الكلب ، واسمه عبد الله بن مصعب ،  
من الشعر قالوه      كان والياً على المدينة للرشيد ، اتب بذلك لقوله :

مالى مرضت فلم يعدنى عائد      منكم ، ويمرض كلبكم فأعود؟!

(١) ومنهم الأسعر بن أبى حمران الجعفى ، وسيتعرض له المؤلف فى باب  
« المقلين من الشعراء » وسنبين لك هناك اسمه والشعر الذى من أجله جرى عليه  
لقب الأسعر .

والمزقي ، واسمه شاس بن نهار ، لقب بقوله لعمر بن هند :  
فإن كنتُ ما كولا فسكن أنت آكلِي وإلا فأدركني ولما أمزقي  
وقد تمثل بهذا البيت عثمان بن عفان رضي الله عنه في رسالة كتب بها إلى  
علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

ولقب مسكين الدارمي - واسمه ربيعة ، من ولد عمرو بن <sup>(١)</sup> عمرو بن عدس  
ابن زيد بن عبد الله بن دارم - بقوله :

أنا مسكينٌ لمن أبصرني ولمن حاورني <sup>(٢)</sup> جدُّ نطق  
فلما سُمِّيَ مسكينًا قال :

وسميت مسكينًا وكانت لجانة وإني لمسكينٌ إلى الله راغبٌ  
وإني امرؤ لا أسأل الناس ما لهم بشعري ، ولا تمني على المكاسب  
وإنما هذا المكان الشعر من قلوب العرب ، وسرعة ولُوجِهِ في آذانهم ،  
وتعلقه بأنفسهم .

ومنهم من سمي بلفظة من شعره لشناعتها ، مثل النابغة الذبياني - واسمه زياد  
ابن عمرو - وسمي نابغة لقوله :

\* فَقَدْ نَبَغَتْ لَنَا مِنْهُمْ شُئُونُ \*

(١) في جميع الأصول « من ولد عمر بن عمر » بدون واو ، والتصويب عن  
الأغاني ، ويبدل لصحته قول مسكين يخاطب القرزدق :

خُشِنِي بعم مثل عمي أو أب كمثل أبي ، أو خال صدق تكاليا  
كعمرو بن عمرو أو زرارة ذي الندى أو البشر ، من كل فرعت الروايا

(٢) يروي « ولن يعرفني جد نطق » وبعد هذا البيت قوله :

لا أبيع الناس عرضي إني لو أبيع الناس عرضي لنفقي

وأما الجمعدى - واسمه قيس بن عبد الله - فأبما يبع بالشعر بعد أربعين سنة  
فسمى نابغة لذلك .

وجِرَّانُ العَوْدِ، سَمِيَ بِذَلِكَ لِقَوْلِهِ :

عَمِدَتْ لَعُودٍ فَالْتَحَيْتُ جِرَّانَهُ      وَلَلْكَائِسُ خَيْرٌ فِي الْأُمُورِ وَأَنْجَحُ  
خُذَا حَذْرًا يَا خُلَّتَى<sup>(١)</sup> فَإِنِّى      رَأَيْتُ جِرَّانَ الْعُودِ قَدْ كَادَ يَصْلَحُ  
يَخَاطِبُ امْرَأَتِيهِ ، وَقَدْ تَرَكْتَاهُ وَنَشَزْتَا عَلَيْهِ ؛ فَلَزِمَهُ هَذَا الْاسْمُ وَذَهَبَ  
اسْمُهُ كَرَاهًا .

وكذلك أبو العيال ، لا يعرف له اسم غير هذا ؛ لقوله :  
وَمَنْ يَكْ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمَقْتَرًا      مِنْ الْمَالِ ؛ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ  
لِيَبْلُغَ عَذْرًا أَوْ يَصِيبَ رَغِيبةً      وَمُبْلَغُ نَفْسٍ عَذْرَاهَا مِثْلُ مُنْجَحٍ  
وَأَمْثَالُهُمْ مِمَّنْ ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُونَ لَا يَحْصُونَ كَثْرَةً ، وَلَيْسُوا مِنْ هَذَا الْبَابِ فِي  
شَيْءٍ ؛ لِأَنَّ غَلْبَةَ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ عَلَيْهِمْ لَيْسَتْ شَرَفًا لَهُمْ وَلَا ضَعْفًا ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ  
جِهَةِ الشَّنَاعَةِ فَقَطْ ، وَلَكِنَّ الْكَلَامَ [ ذُو ] شَجُونٍ .

وَمِنْ هَهُنَا عَظَمُ الشَّعْرِ ، وَتَهْيِيبُ أَهْلِهِ ، خَوْفًا مِنْ بَيْتٍ سَائِرٍ تُحْدِى بِهِ الْإِبِلُ ،  
أَوْ لَفْظَةً شَارِدَةً يَضْرِبُ بِهَا الْمَثَلُ ، وَرَجَاءٌ فِي مِثْلِ ذَلِكَ ؛ فَقَدْ رَفَعَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ  
مَا قِيلَ فِيهِمْ مِنَ الشَّعْرِ بَعْدَ الْجُمُودِ وَالْإِطْرَاحِ ، حَتَّى افْتَخَرُوا بِمَا كَانُوا يَعْمُرُونَ بِهِ  
وَوَضَعَ جَمَاعَةً مِنَ أَهْلِ السَّوَابِقِ وَالْأَقْدَارِ الشَّرِيفَةِ حَتَّى عُبِّرُوا بِمَا كَانُوا يَفْتَخِرُونَ بِهِ .  
فَمَنْ رَفَعَهُ مَا قِيلَ فِيهِ مِنَ الشَّعْرِ بَعْدَ الْجُمُودِ وَالْإِطْرَاحِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَعْشَى قَدِمَ  
مَكَّةَ وَتَسَامَعَ النَّاسُ بِهِ ، وَكَانَتْ لِلْمُحَلِّقِ امْرَأَةٌ عَاقِلَةٌ - وَقِيلَ : بَلْ أُمٌ - فَقَالَتْ لَهُ :  
إِنَّ الْأَعْشَى قَدِمَ ، وَهُوَ رَجُلٌ مَفُوءٌ ، مَجْدُودٌ فِي الشَّعْرِ ، مَا مَدَحَ أَحَدًا إِلَّا رَفَعَهُ ،

الأعشى  
والمحلق

(١) فِي إِحْدَى رَوَايَاتِ الدِّيَوَانِ «يَا جَارَتِي» تَنْثِيَةٌ جَارَةٌ .

ولا هجأ أحداً إلا وضعه ، وأنت رجل كما علمت فقير خامل الذكر ذو بقات ،  
وعندنا لقحة نعيشُ بها ، فلو سبقتَ الناسَ إليه فدعوتهُ إلى الضيافة، ونحمرت له ،  
واحتلتُ لك فيما تشتري به شراباً يتعاطاه ؛ لَرَجَوْتُ لك حسن العاقبة ، فسبق  
إليه المخلق ، فأنزله ونجر له ، ووجد المرأة قد خبزت خبزاً وأخرجت نخباً فيه سمن  
وجاءت بوَظْب لبن ، فلما أكل الأعشى وأصحابه ، وكان في عصابة قيسية ،  
قدم إليه الشراب ، واشتوى له من كبد الناقة ، وأطعمه من أطايبها ، فلما جرى  
فيه الشرابُ وأخذت منه الكأس سألَه عن حاله وعياله فعرف البؤس في كلامه ،  
وذكر البنات ، فقال الأعشى : كفيت أمرهن ، وأصبح بعكاظ ينشد قصيدته :  
أرقتُ وما هـذا السهاد للمؤرَّقُ وما بئى<sup>(١)</sup> من سقمٍ وما بئى مَـشَقُ  
ورأى المخلق اجتماع الناس ، فوقف يستمع ، وهو لا يدرى أين يريد الأعشى  
بقوله ، إلى أن سمع :

نفى الذم عن آل المخلق جَفَنَةً كجاية الشيخ العراقي تفهق<sup>(٢)</sup>  
تري القوم فيها شارعين ، وبينهم مع القوم ولدان من النسل دَرَدَقُ  
لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نارٍ باليفاع تمحرقُ  
تُسَبِّ بالمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمخلق  
رَضِيعَتُ لباب ثدى أم تحالفا بأسحَمَ داج عَوْضُ لا تنفرقُ  
تري الجود يجرى ظاهراً فوق وجهه كما زان متن الهندوانى زَوْنَقُ

فما أتم القصيدة إلا والناس ينسلون إلى المخلق يهنئونه ، والأشراف من كل  
قبيلة يقساقون إليه جرياً يخطبون بناته ؛ لمكان شعر الأعشى ، فلم تُنْسِ منهم  
واحدة إلا في عصمة رجل أفضل من أبيها ألف ضعف .

(١) يروى « أرقت » على الخطاط ، « وما بك » في الموضعين ، وما أثبتناه

(٢) يروى « كجاية »

رواية الديوان .

( ٤ - المدة ١ )

الحطيفة  
وبنو أنف  
الناقة

وكذلك بنو أنف الناقة ، كانوا يَفِرُّونَ من هذا الاسم ، حتى إن الرجل منهم يسأل : ممن هو ؟ فيقول : من بني قريع ، فيتجاوز جعفرأ أنف الناقة بن قريع بن عوف بن مالك ويلغى ذكره فراراً من هذا اللقب ، إلى أن نقل الحطيفة - واسمه جَرَّوْلُ بن أوس - أبجدُهم وهو بغيض بن عامر بن لؤى بن شماس بن جعفر أنف الناقة من ضيافة الزبرقان بن بدر إلى ضيافته وأحسن إليه قال :

سيري أُمَامُ فَإِنَّ الْأَكْثَرِينَ حَصَاً      وَالْأَكْرَمِينَ إِذَا مَا يُدْسِبُونَ أَبَا  
قَوْمٍ هُمُ الْأَنْفُ ، وَالْأَذَابُ غَيْرُهُمْ      وَمَنْ يَسَاوِي بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّبَّاءُ ؟  
فصاروا يتطاولون بهذا النسب ويمدون به أصواتهم في جهارة .

وإنما سمى جعفر أنف الناقة لأن أباه قسم ناقة جزوراً ونسبه ، فبعثته أمه ولم يبق إلا رأس الناقة ، فقال له أبوه : شألك بهذا ، فأدخل أسنانه في أنف الناقة وأقبل يحمره ، فسمى بذلك .

ومثل هاتين القصتين قصة عرابة الأوسى مع الشماخ ، وقد تقدم ذكرها .

ومن وضعه ما قيل فيه من الشعر حتى انكسر نسبه ، وسقط عن رتبته ، وعيب بفضيلته - بنو نمير ، وكانوا تجرّة من جَرَّات العرب ، إذا سئل أحدهم : ممن الرجل ؟ غم لفظه ومدّ صوته وقال : من بني نمير ، إلى أن صنع جرير قصيدته التي هجا بها عُبيد بن حُصَيْن الراعى ، فسهر لها ، وطالت ليلته إلى أن قال :

فغصَّ الطرف إنك من نمير      فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

فأطفاً سراجَه ونام ، وقال : قد والله أخزيتهم آخر الدهر ، فلم يرفموا رأساً بعدها إلا نكس بهذا البيت ، حتى إن مولاً لباهلة كان يرد سوق البصرة ممتاراً فيصيح به بنو نمير : يا جَوَاذِبُ<sup>(١)</sup> باهلة ، فقص الخبر على مواليه وقد ضجر من ذلك ، فقالوا له : إذا نبزوك فقل لهم :

فغصَّ الطرف إنك من نمير      فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

(١) الجواذب : شجع النعل ، وكان في الأصول « يا جوداب » تحريف .

جرير  
وبنو نمير

وسر بهم بعد ذلك فنبزوه ، وأراد البيت فنسيه ، فقال : غَمَضْ وإلا جاءك ما تكره ، فكفوا عنه ولم يعرضوا له بعدها .

وسرت امرأة ببعض مجالس بنى نعيم فأداموا النظر إليها ، فقالت : قبحكم الله يا بنى نعيم ما قبلتم قول الله عز وجل : ( قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ) ولا قول الشاعر :  
ففض الطرف إنك من نعيم فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

وهذه القصيدة تسميها العرب الفاضحة ، وقيل : سماها جرير الدماغة ، تركت بنى نعيم ينتسبون بالبصرة إلى عامر بن صعصعة ، ويتجاوزون أباهم نعيم إلى أبيه ، هرباً من ذكر نعيم ، وفراراً مما ورسم به من الفضيحة والوصمة .

والربيع بن زياد ، كان من ندماء النعمان بن المنذر ، وكان خاشعاً عيباً بذياً  
سبباً لا يسلم منه أحد ممن يقف على النعمان ، فرمى بلبيد وهو غلام مراهق فنافسه  
وقد وضع الطعام بين يدي النعمان ، وتقدم الربيع وحده لياً كل معه على عادته ،  
فقام لبيد فقال مرتجلاً :

يَا رَبَّ هَيْجَاهِي خَيْرٌ مِنْ دَعَا نَحْنُ بَنَى أُمُّ الْبَنِينَ الْأَرْبَعِ  
وَنَحْنُ خَيْرٌ عَامِرُ بْنُ صَعْصَعَةَ الْمُطْعِمُونَ الْجَفْنَةَ الْمُدْعَاةَ  
وَالضَّارِبُونَ الْهَامَ تَحْتَ الْخِيضَةِ مَهْلًا أَيْتَ الْعَنَ لَا تَأْكُلْ مَعَهُ  
فَقَالَ النُّعْمَانُ : وَلِمَ ؟ فَقَالَ :

\* إِنَّ أَسْتَه مِنْ بَرَصٍ مُلَمَّعَةٍ \*

فَقَالَ النُّعْمَانُ : وَمَا عَلَيْنَا مِنْ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ :

\* وَإِنَّهُ يُولِجُ فِيهَا إِصْبَعَهُ \*

يُولِجُهَا حَتَّى يَوَارِيَ أَشِجَّتَهُ كَأَنَّمَا يَطْلُبُ شَيْئًا أَوْ دَعَا

ويروى « أطمعه » <sup>(١)</sup> فرفع النعمان يده عن الطعام ، وقال : ما تقول يا ربيع ؟  
فقال : أَيْتَ الْعَنَ كَذَبَ الْغَلَامُ ، فقال لبيد : مره فليجب ، فقال النعمان : أجبه

ياربيع ، فقال : والله لَمَا نَسُومَنِي أَنْتَ مِنَ الْخَسَفِ أَشَدُّ عَلَى مَاءِ صَهْنِي بِهِ الْغَلَامُ ،  
فحجبه بعد ذلك ، وسقطت منزلته ، وأراد الاعتذار ، فقال النعمان :  
قد قيل ما قيل إِنَّ حَقًّا وَإِنْ كَذِبًا فَمَا اعتذارك من قول إذا قيلاً ؟

وبنو العَجَلَانِ ، كانوا يفخرون بهذا الاسم لقصة كانت لصاحبه في تعجيل  
قِرَى الْأُصْيَافِ ، إلى أن هجأهم به النجاشي فضجروا منه ، وسُبُّوا به ، واستعدوا  
[ عليه ] عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين هجأنا ، فقال :  
وما قال ؟ فأنشدوه :

النجاشي  
وبنو العجلان

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة فمادى بنى عَجَلَانَ رَهْطَ ابْنِ مُقْبِلٍ  
فقال عمر بن الخطاب : إنما دعا عليكم ولعله لا يجاب ، فقالوا : إنه قال :  
قُبَيْلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بَذْمَةً وَلَا يَظْلُمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدٍ  
فقال عمر رضى الله عنه : ليتى من هؤلاء ، أو قال : ليت آل الخطاب كذلك ،  
أو كلاماً يشبه هذا ، قالوا : فإنه قال :

وَلَا يَرِدُونَ الْمَاءَ إِلَّا عَشِيَّةً إِذَا صَدَرَ الْوُرَادُ عَنْ كُلِّ مَنَهْلٍ  
فقال عمر : ذلك أقل للسكك ، يعنى الزحام ، قالوا : فإنه قال :  
تَعَافُ الْكَلَابُ الضَّارِيَاتُ لِحَوْمَتِهِمْ وَتَأْكُلُ مِنَ كَعْبِ بْنِ عَوْفٍ وَنَهْشَلٍ  
فقال عمر : كفى ضياعاً مَنْ تَأْكُلُ الْكَلَابُ لَحْمَهُ ، قالوا : فإنه قال :  
وما سمى الْعَجَلَانَ إِلَّا لِقَوْلِهِمْ خَذَا الْقَعْبَ وَاحْلَبَ أَيُّهَا الْعَبْدُ وَاعْمَلْ  
فقال عمر : كلنا عبدٌ ، وخيرُ القومِ خُلْدُهُمْ . فقالوا : يا أمير المؤمنين هجأنا ،  
فقال : ما أسمع ذلك ، فقالوا : فاسأل حسان بن ثابت ، فسأله فقال : ما هجأهم  
ولكن سَلَحَ عَلَيْهِمْ ، وكان عمر رضى الله عنه أبصر الناس بما قال النجاشي ،  
ولكن أراد أن يذراً الحد بالشبهات ، فلما قال حسان ما قال سَجَنَ النجاشي ،  
وقيل : إنه حَدَّه .

وهذه جملة كافية ، ونبذة مقنعة ، فيما قصدت إليه من هذا الباب .



• — باب من قضى له الشعر ومن قضى عليه

أنشد النابغة الجعدي بين يدَي رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدة الرسول يدعو للنابغة الجعدي يقول فيها :

عَلَوْنَا السَّمَاءَ عَقَّةً وَتَكْرُمًا<sup>(١)</sup> وَإِنَّا لَنَبْنِي فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا  
فَغَضِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : أَيْنَ الْمَظْهَرُ يَا أَبَا لَيْلَى ؟ فَقَالَ :  
الْجَنَّةُ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَجَلٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ،  
فَقَضَيْتَ لَهُ دَعْوَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّةِ ، وَسَبَبَ ذَلِكَ شَعْرَهُ .

وأنشده حسان بن ثابت حين جاب عنه أبا سفيان بن الحارث بقوله : ويدعو لحسان ابن ثابت  
هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ  
فَقَالَ لَهُ : جَزَاؤُكَ عِنْدَ اللَّهِ الْجَنَّةُ يَا حَسَانَ ، فَلَمَّا قَالَ :

فَإِنْ أَمَى وَوَالِدَهُ وَعَرْضِي لِعَرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاهُ  
قَالَ لَهُ : وَفَاكَ اللَّهُ حَرَّ النَّارِ ، فَقَضَى لَهُ بِالْجَنَّةِ مَرَّتَيْنِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَسَبَبَ  
ذَلِكَ شَعْرَهُ .

ولما تنافر عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة أقاما عندهم بن قطبة<sup>(٢)</sup> بن سنان الأعشى  
سنة لا يقضى لأحدهما على الآخر ، إِلَى أَنْ قَدِمَ الْأَعْشَى — وَكَانَتْ لِعَامِرِ  
عِنْدَهُ يَدٌ — فَقَالَ :

عَلَقَمَ مَا أَنْتَ إِلَى عَامِرِ النَّاقِضِ الْأَوْتَارِ وَالْوَاتِرِ  
إِنْ نَسَدِ الْخَوْصَ فَلَمْ تَعُدْهُمْ وَعَامِرٌ سَادَ بَنِي عَامِرِ  
حَكَمْتُمُوهُ فَقَضَى بَيْنَكُمْ أَزْهَرُ مِثْلِ الْقَمَرِ الْبَاهِرِ

(١) يروى « علونا السماء مجدنا وسناؤنا » .

(٢) ويقال « هرم بن قطبة بن سنان » وفي الأصول « سيار » تصحيف .

لا يقبل الرشوة في حكمه ولا يبالي غبن الخاسر<sup>(١)</sup>  
فرواه الناس ، وافترقوا وقد نفر عامر على علقمة بحكم الأعشى في شعره ،  
وكان في رأي هرير على قول أكثر الناس خلاف ذلك .

وإلى هذا وأشباهه أشار أبو تمام الطائي بقوله في صفة الشعر :

يُرى حكمة ما فيه وهو فكاهةٌ وَيُقضى بما يَقضى به وهو ظالمٌ  
وكانت لرجل شهادة عند أبي دُلَامَة ، فدعاه إلى تبليغها عند القاضي ابن أبي  
كَيْلَى ، فقال له : إن شهادتي لا تنفعك عنده ، فقال الرجل : لا بد من شهادتك ،  
فشهد عند القاضي وانصرف وهو يقول :

أبو دلامة  
والقاضي ابن  
أبي ليلى

إذا الناس غَطَوْنِي تَغَطَّيْتُ دُونَهُمْ وَإِنْ بَحَثُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مَبَاحِثُ  
فقضى القاضي على الخصم بشهادة أبي دُلَامَة ، وقبض المشهود له المال ،  
وغيره القاضي للمشهود عليه تخرجاً من ظلمه ، ويقال : إنما شهد الطيب عاجل  
ولده من علة به ، وأمره أن يدعى على من شاء بألف درهم ، ففعل الطيب وشهد  
أبو دلامة ، وهذا أشبه بمجنونه من الأول .

وذكر العتي أن رجلاً من أهل المدينة ادعى حقاً على رجل ، فدعاه إلى ابن  
حنطب قاضي المدينة ، فقال : مَنْ يشهد بما تقول ؟ فقال : زنقطة ، فلما ولى قال  
القاضي : ما شهادته له إلا كشهادته عليه ، فلما جاء زنقطة القاضي قال له : فذاك  
أبي وأمي ، أحسن والله الشاعر حيث يقول :

من الحنطِيبِينَ الذين وجوههم دنائير مما شيف في أرض قيصرا

(١) يروى في البيت الأول \* علقم لالت إلى عامر \* وروى في البيت الثاني  
\* سدت بني الأحوص لم تعدهم \* وروى في البيت الثالث \* حكمتوني قفى بينكم  
أبلج \* وروى في البيت الرابع \* لا يأخذ . . . الخ .

• — باب من قضى له الشعر ، ومن قضى عليه ••

فأقبل القاضي على الكاتب، فقال: كبير ورب السماء ، ما أحسبه شهد إلا بالحق فأجزَّ شهادته.

جرير والحمانى  
الشاعر بين  
يدى قاضى  
اليمامة  
رجز بها :

أعوذ بالله العلى القهار من ظلم حمان وتحويل الدار  
فقال الحمانى نجيباً له :

مَا إِلْكَلَيْبِ مِنْ حَمَى وَلَا دَارَ غَيْرُ مَقَامِ أَتْنِ وَأَعْيَارَ  
\* قُبُ البطون داميات الأظفار \*

ويروى \* قعس الظهور داميات الأظفار \* فقال جرير : مقام أنتى وأعيارى  
لا أريد غيره ، وقد اعترف به ، فقال القاضي : هى لجرير ، وقضى على الحمانى  
بشعره الذى قال .

وكان الفرزدق يجلس إلى الحسن البصرى ، فجاءه رجل فقال : يا أبا سعيد ، الحسن البصرى  
يفتى بقول  
الفرزدق فى  
شعر له  
أفتحل لنا من قبل أن يطلقها زوجها ؟ فقال الفرزدق : قد قلت أنا مثل هذا فى  
شعرى ، فقال الحسن : وما قلت ؟ قال : قلت :

وذاكِ حَلِيلٍ أَنْسَكَحْتَنَا رَمَاحَنَا حَلَالًا لِمَنْ يَبْنِي بِهَا لَمْ تَطْلُقِ  
فقال الحسن : صدق ، فحكم بظاهر قوله ، وما أظن الفرزدق - والله أعلم -  
أَرَادَ الجهاد فى العدو المخالف للشريعة ، لكن أراد مذهب الجاهلية فى السَّبَايا .  
كأنه يشير إلى العزة وشدة البأس .

وقيل : إن عمر بن الخطاب كان يتعجب من قول زهير :  
عمر يتعجب  
من بيت زهير  
فإن الحقَّ مَقَطْعُهُ ثَلَاثُ أَدَاءٍ أَوْ نَفَارٍ أَوْ جَلَاءٍ

وسمى زهير « قاضى الشعراء » بهذا البيت ، يقول : لا يقطع الحق إلا الأداء ،

أو النفار — وهو الحكومة — أو الجلاء — وهو العذر الواضح — ويروى \*  
 يمين أو نفار \* وهذه الثلاث على الحقيقة هي مقاطع الحق كما قال ، على أنه جاهلي<sup>٢</sup> ،  
 وقد وكّدها الإسلام .

# ٦ — باب شفاعات الشعراء ، وتحجّ يرضهم

قتيلة بنت  
 النضر تعتب  
 على رسول الله  
 قال عبد الكريم : عَرَضَتْ قَتِيلَةُ بِنْتُ النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وسلم وهو بطوف ، فاستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه ، وقد كان قتل  
 أباه<sup>(١)</sup> ، فأنشدته :

ياراكبا أن الأئيلَ مَطِينَةٌ	من صبيح خامسة ، وأنت موفق
أبلغ به ميتاً بأب قصيدة	ما إن تزال بها الركائب تحقق <sup>(٢)</sup>
منى إليه ، وعبرة مسفوحة	جادت لمائها وأخرى تخفق <sup>(٣)</sup>
فليسمعن النضر إن ناديته	أم كيف يسمع ميت لا ينطق <sup>(٤)</sup>
ظلت سيوفُ بني أبيه تنفوشه	لله أرحامٌ هناك تُشَقِّقُ
قسراً يقاد إلى المنية متعباً	رَسَفَ المقيّد وهو عانٍ مُوثِقُ <sup>(٥)</sup>
أحمدُها أنت نجل نجبية	من قومها والفحلُ فحلٌ مُعْرِقُ <sup>(٦)</sup>
ما كان شرك لو مننت ، وربما	من الفقى وهو المغيظ المحنق

(١) ويقال : إن المقتول أخوها .

(٢) يروى \* بأن تحية . . . . . النجائب . . .

(٣) يروى \* جادت بدرتها . . . . . (٤) البيت يروى هكذا :

هل يسمعن النضر إن ناديته إن كان يسمع ميت لا ينطق .

(٥) يروى \* صبرا يقاد . . . \*

(٦) يروى \* ولأنت ضنء نجبية . . . في قومها

والنضر أقرب من قتلته وسيلةً وأحقهم إن كان عتقٌ يعتق<sup>(١)</sup>  
فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته.

علقة يشفع  
عند الحارث  
بن أبي شمر

ولما قتل الحارث بن أبي شمر النفساني المنذر بن ماء الماء - وهو المنذر  
الأكبر ، وماء السماء أمه - أسر جماعة من أصحابه ، وكان فيمن أسر شاس بن  
عبدة في تسعين رجلاً من بني تميم ، وبلغ ذلك أخاه علقمة بن عبدة الشاعر صاحب  
امرى القيس ، وهو معروف بعلقة الفحل ، فقصد الحارث ممدحاً بقصيدته  
المشهورة التي أولها :

طاحاً بك قلبٌ بالحسان<sup>(٢)</sup> طرُوبُ بُعَيْدَ الشَّبابِ عَصَرَ حَانَ مَشِيبِ  
فأنشده إياها ، حتى إذا بلغ إلى قوله :

إلى الحارث الوهاب أعلمتُ ناقتي لَكَلِكَلِهَا وَالْقُصْرَيْنِ وَجِيبُ  
إليك - أبيت اللعن - كان وجيفها<sup>(٣)</sup> بِمَشْتَبِهَاتِ هَوْلَمِنْ مَهْيَبِ  
هداني إليك الفرقدان ولا حِبْ له فوق أعلام<sup>(٤)</sup> اللتانِ علوب  
فلا تمرمتي نائلاً عن جنايةٍ فإني امرؤ وسط القباب غريب  
وفي كل حَيٍّ قد خبطت بنعمةٍ فحق لشاس من نَدَاكَ ذَنُوبُ  
فقال الحارث : نعم وأذنبته ، وأطلق له شاساً أخاه ، وجماعة أسرى بني تميم ،  
ومن سأل فيه أو عرفه من غيرهم .

(١) يروى « والنضر أقرب من أخذت بزلة »

(٢) في الديوان « في الحسان »

(٣) هذه رواية الديوان ، وكان في الأصول « وجيها »

(٤) في الديوان « أصواء اللتان » وترتيب هذه الأبيات على ما هنا مخالف لموقعها  
من القصيدة مع أن المؤلف ترك كثيراً من الأبيات بين بعضها وبعض .

أمية بن حرثان  
يخفف عند  
عمر بن الخطاب  
وكان لأمية بن حرثان<sup>(١)</sup> ولد اسمه كلاب ، هاجر إلى البصرة في خلافة عمر  
رضي الله عنه ، فقال أمية :

سأستمدى على الفاروق رباً له حمد الحبيج إلى بساق<sup>(٢)</sup>  
إن الفاروق لم يردد كلاباً على شيخين هامهما زواقي  
فكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري بإشخاص كلاب ، فما شعر أمية إلا به  
يقرع الباب .

وما زالت الشعراء قديماً تشفع عند الملوك والأمراء لأبنائها وذوي قرابتها ،  
فيشفعون بشفاعتهم ، وينالون الرتب بهم .

ودخل العمانى الشاعر - وهو أبو العباس محمد بن ذؤيب الفقيمي - على الرشيد ،  
فأنشده أرجوزة يقول فيها :

قل للامام المقتدى بآمته<sup>(٣)</sup> ما قاسم دون مدى ابن أمه  
\* فقد رضينا فقم فسمه \*

فقال الرشيد : ما رضيت أن أسميه وأنا قاهد حتى أقوم على رجل ، فقال له :  
يا أمير المؤمنين ، ما أردت قيام جسم لكن قيام عزمهم ، فأمر الرشيد بإحضار القاسم

(١) أمية بن حرثان بن الأسكر الليثي ، من ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة :  
شاعر عظيم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان من سادات قومه وفرسانهم ، وابنه  
كلاب أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم مع أبيه .. وكان ابنه قد سأل عمر رضي  
الله عنه أن يغزاه فأغزاه في جيش ، وكان أبوه قد كبر وضعف ، فلما طالت عليه غيبة  
ابنه قال هذا الشعر .

(٢) في المطبوعتين «سباق» بتقديم السين ، وبساق - بزنة غراب - جبل بهرات  
وبلد بالحجاز .

(٣) أمة - بفتح الهمزة وتشديد الميم - قصده ، وأراد نهجه وسيرته .

ولده ، ومّرّ العمانى فى إنشاده يهدير، فلما فرغ قال الرشيد للقاسم : أما جائزة هذا الشيخ فعليك ، وقد سألتنا أن نوليكَ العهد، فأجبناه .

الطائي يشفع  
عند المعتصم

وشَفَعَ الطائي للوائق عند أبيه المعتصم فى أن يوليه العهد، فقال :  
فأشدُّ بهارونَ الخلافة ؛ إنه مَسَكَنٌ لوَحشتها ودارُ قرار  
يَفَقَى بنى العباس والقمر الذى حَفَّتْهُ أنجمٌ يَعرُبُ ونزار  
كُرمُ العمومة والخثولة مجّه سَلَفًا قريشٍ فيه والأنصار  
هو نَوْهٌ بمنٍ منكمُ وسعادةٍ وسراجُ ليلٍ فيكمُ ونهارٍ  
فاقع شياطين النفاق بمتدٍ ترضى البرية هَذِيهٌ والبارى  
ليسير فى الآفاق سيرة رافة ويسوسها بسكينةٍ ووفار  
فالصين منظوم بأندلس إلى حيطان روميةٍ فلك ذمار  
ولقد علمت بأن ذلك مَنصَمٌ ما كنتَ تتركهُ بغير سوارٍ

واستعطف مالك بن طوق لقومه بنى تغلب - وكانوا أفسدوا فى عمله ويستعطف  
الطريق ، فخافوه واستشفعوا بأبى تمام - فقال فى قصيدة مشهورة يخاطب مالك بن طوق  
بها مالكا :

ورأيتُ قومك والإساءة منهمُ جَرَحَى بظُفْرِ لَزمان ونابٍ  
هم صيروا تلكَ البروقَ صواعقًا فيهم، وذلكَ العقوَ سوطَ عذابٍ  
فأقلُّ أسامة جُرمها ، واصفح لها عنه ، وهَبْ ما كان للوهاب  
رَفَدوك فى يوم الكلاب، وشققوا فيه المزادَ بمحفَلِ كلابٍ  
وهمُ بعين أبغَ راشوا للوغى سَهَمَيْكَ عند الحارث الحراب  
وليالى الثرثار والحشاك قد جلبوا الجيادَ لواحقَ الأقارب  
ففضت كهولهمُ ، ودبّرَ أمرهمُ أحدثهم تدييرَ غيرِ صوابٍ  
لارقة الحضر اللطيف غدتهمُ وتباعدوا عن فطنة الأهراب

فإذا كَشَفْتَهُمْ وَجَدْتَ لَهُمُ كَرَمَ النفوس وقلة الآداب  
لك في رسول الله أعظم أسوة وأجلها في سنة وكتاب  
أعطى المؤلف القلوب رضاهم كرمًا ، وردَّ أخاند الأحراب

فذكر أصحاب الأخبار أن هذه القصيدة وقعت من مالك أجل موقع  
فأجزل ثوابه عليها ، وقبل شفاعته ، وردَّ القوم إلى رتبته ومنزلتهم ، من بعد  
اليأس المستحكم ، والعداوة الشديدة .

وكان أبو قابوس الشاعر رجلاً نصرانياً من أهل الحيرة منقطعاً إلى البراسكة،  
فلما أوقع الرشيد بجمفر صنع أبو قابوس أبياتاً وأنشدها الرشيد يشفع عنده للفضل  
ابن يحيى :

أبو قابوس  
يشفع عند  
الرشيد

أمين الله هب فضل بن يحيى	لنفسك ، أيها الملك الهام
وما طلبي إليك العفو عنه	وقد قعد الوشاة به وقاموا
أرى سبب الرضا عنه قوياً	على الله الزيادة والتمام
نذرت على فيه صيام شهر	فإن تم الرضا وجب الصيام
وهذا جمفر بالجسر تمحو	محاسن وجهه ربح قتام
أما والله لولا خوف واش	وعين الخليفة لا تنام
لطفنا حول جذعك واستلمنا	كما للناس بالجبر استلام
وما أبصرت قبلك يا ابن يحيى	حساماً قده السيف الحسام
عقاب خليفة الرحمن فخر	لمن بالسيف عاقبه الحمام

وقد اختلط هذا الشعر بشعرين في وزنه ورويه ومعناه : أحدهما لأشجع  
الشلى ، والآخر لسليمان أخى صريع ، فالناس فيه مختلفون ، وهذه صيحته . فانظر  
إلى تجاسره على مثل هذا الأمر العظيم من الشفاعة والرأء .

واستعطف أبو الطيب سيف الدولة لبني كلاب . وقد أغار عليهم فغنم الأموال



اللتنبى يشفع  
لبنى كلاب  
عند سيف  
الدولة

وسجى الحريم ، فأنى بعضهم أبا الطيب يسأله أن يذكرهم له فى شعره ، ويشفع  
فيهم - فقال فى قصيدة له مشهورة يخاطبه :

ترفقُ أيها المولى عليهم فإن الرفق بالجاني عتاب  
فإنهم عبيدك حيث كانوا إذا تدعو لناثمة أجابوا  
وعين الخطئين هم ، وليسوا بأول معشر خطئوا فتابوا  
وأنت حياتهم غضبت عليهم وهجر حياتهم لهم عقاب  
وما جهلت أيا ديك البوادي ولكن ربما خفى الصواب  
وكم ذنب مؤلدة دلال وكم بعد مؤلدة اقتراب  
وجريم جرّه سفهاء قوم وحلّ بغير جارمه العذاب

وهذا من أفعال الشعراء قديم مشهور . وقد افتخر به البهترى فقال فى

قصيدة له طويلة :

إن أبى أو أهيك فقد نلت التى ملأت صدور أقاربي وعدائى  
وغنيت ندمان الخلائف : نايها ذكرى ، وناعمة بهم نشوائى  
وشفعت فى الأمر الجليل إليهم بعد الجليل ، فأجمعوا طلبائى  
وصنعت فى العرب الصنائع عندهم من رفد طلاب وفك عناة

وكان أبو عزة كثيراً ما يستنفر المشركين ، ويمرض قريشاً على قتال النبي صلى  
الله عليه وسلم ، فأمر يوم بدر ، وجىء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فشكا إليه  
الفقر والعيال ، فرق له ، وخلق سبيله بعد أن عاهدته ألا يعين عليه بشعره ، وأمسك  
عنه مدة ، ثم عاد إلى حاله الأولى ، فأمر يوم أحد ، فخاطب النبي صلى الله عليه وسلم  
بمثل خطابه الأول ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تمسح عارضيك بمكة  
تقول خدعت محمداً مرتين « ثم قتله صبراً ، وقال : « لا يلسع<sup>(١)</sup> المؤمن من  
جعر مرتين » .

(١) يروى « لا يلدغ المؤمن من جعر مرتين » والمعنى واحد .

أوس بن حجر  
يحرص على بني  
حنيفة  
وقال أوس بن حجر يفرى النعمان بن المنذر بنى حنيفة ؛ لأن شمر بن عمرو  
السحيمي قتل المنذر ، وهو حينئذ مع الحارث بن أبي شمر الغساني ، وقال ابن جني :  
إنما قتل ابن النعمان :

نُبِّئْتُ أَنَّ بَنِي حَنِيفَةَ أَدْخَلُوا أَيْبَاهُمْ تَامُورَ قَلْبِ الْمُنْذِرِ

ويروى « أن بني سحيم » فغزاهم النعمان ، وقتل فيهم وسبى ، وأحرق نخلهم ،  
ويقال : إنما أغرى بهم عمرو بن هند .

سدیف يحرض  
السفاح على  
بني أمية  
ودخل سديف بن ميمون على أبي العباس السفاح ، وعنده سليمان بن هشام  
ابن عبد الملك وأبناءه ، وفي رواية أخرى سليمان بن مروان وولدان له ، وفي رواية  
ثالثة إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك ، فأنشده سديف :

لَا يَغْرُنْكَ مَا تَرَى مِنْ أَنْاسٍ إِنْ بَيْنَ الضَّلُوعِ دَاءٌ دَوِيًّا  
فَضَعَ السَّيْفَ وَارْفَعَ السُّوطَ حَتَّى لَا تَرَى فَوْقَ ظَهْرِهَا أُمُويًّا

فقال سليمان : قَتَلْتَنِي يَا شَيْخَ قَاتَلَكَ اللَّهُ . ونهض أبو العباس فوضع المنديل في  
عنق سليمان ، وقتل من ساعته .

شبل بن عبد الله  
يحرص على  
بني أمية  
ودخل شبل بن عبد الله على عبد الله بن علي ، وأنشده قصيدة له يقول فيها  
محرضاً على بني أمية ، وعنده منهم ثمانون رجلاً :

أَقْصِيهِمْ أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ وَأَقْطَعْ عَنْكَ بِالسَّيْفِ شَافَةَ الْأَرْجَاسِ  
ذَلُمَا أَظْهَرَ التَّوَدُّدَ مِنْهَا وَلَهَا مِنْكُمْ كَعَزُّ الْمَوَاسِي  
وَلَقَدْ غَاظَنِي وَغَاظَ سِوَايَ قُرْبُهَا مِنْ نَمَارِقٍ وَكَرَاسِي  
أَنْزَلُوهَا بِحَيْثُ أَنْزَلَهَا اللَّهُ بَدَارَ الْهَوَانِ وَالْإِمْتِنَانِ  
وَأَذْكَرُوا مَعْزِرَ الْحُسَيْنِ وَزَيْدِ وَقْتِيلاً بِجَانِبِ الْمَهْرَاسِ  
وَالْقَتِيلَ الَّذِي بِمَرْآئِ أَمْسَى ثَاوِيًّا بَيْنَ غُرْبَةٍ وَتَنَاسِي

فلما سمع بذلك تنكر، وأمر بهم فقتلوا، وألقى عليهم البساط، وجلس للقاء  
وإن بعضهم يسمع أنينه لم يمت بعد، نحكى ذلك جماعة من المؤلفين، واختلفوا  
في رواية الشعر وحده؛ فأكثر الروايات موضع البيت الأول:

لَا تُقِيلَنَّ عَبْدَ شَمْسٍ عِشَارًا      واقطعن كل رقلة وأواس

ويروى «وغراس» وبعضها على ما في النسخة، ولا أدري كيف صحة  
ذلك، وعبد الله لم يكن يدعى بالخلافة، اللهم إلا أن يكون ذلك حين أراد خلع  
المنصور. وأكثر الناس يروى هذه الأبيات لسديف بن ميمون يخاطب أبا العباس  
السفاح، غير أن في الرواية الأولى:

نعم شبل المهراس مولاك شبل      لو نجنا من حبال الإفلاس  
وهو يشهد لما روى [أولا].

وحكى غيرهم قال: دخل العبدى الشاعر على عبد الله بن علي بفلسطين،  
وقد دعى به، وعنده من بنى أمية اثنان وثمانون رجلا، والغمر بن يزيد بن  
عبد الملك جالس معه على مصلاه، قال العبدى: فاستنشدنى عبد الله بن علي  
فأنشدته قولى:

\* وَقَفَ الْمُتَيْمُّ فِي رُسُومِ دِيَارِ \*

وهو مضع مطرق حتى انتهيت إلى قولى:

أما الدعاة إلى الجنان فهاشم      وبنو أمية من دعاة النار  
وبنو أمية دوحه<sup>(١)</sup> ملعونة      ولهاشم في الناس عود نصار  
أُمِّي مَالِكٍ مِنْ قَرَارٍ فَالْحَقِ      بالجن صاغرة بأرض وبار  
ولئن رحلت لترحلن ذميمة      وكذا المقام بذلة وصغار

قال: فرقع الغمر رأسه إلى، وقال: يا بن الزانية مادعاك إلى هذا؟ وضرب  
عبد الله بقلنسوة كانت على رأسه الأرض، وكانت العلامة بينه وبين أهل

(١) في نسخة «دولة».

خراسان ، فوضعوا عليهم العمد حتى ماتوا ، وأمر بالتمر فضربت عنقه صبراً .  
 وكان ابن حزم أميراً على المدينة ، فتحامل على الأحوص الشاعر تحاملاً شديداً ،  
 فشنخص إلى الوليد بن عبد الملك ، فأشده قصيدة يمتدحه فيها ، فلما بلغ إلى قوله  
 كالذي يشتكى ابن حزم وظلمه :

الأحوص  
 يغري بآل  
 ابن حزم

لا تثنين لحزمتي ظفرت به يوماً ولو ألقى الحزمتي في النار  
 النافخين لمروان بذي خشب والداخلين على عثمان في الدار  
 فقال له الوليد : صدقت والله ، لقد غفلنا<sup>(١)</sup> عن حزم وآل حزم ، ثم كتب  
 عهداً لعثمان بن حيان المرمي على المدينة ، وعزل ابن حزم ، وأمر باستئصال أموالهم ،  
 وإسقاطهم جميعاً من الديوان .

ولما وثب إبراهيم بن المهدي على المأمون إقترض من التجار مالا كثيراً ،  
 فكان فيه لعبد الملك الزيات عشرة آلاف دينار ، فلما لم يتم أمره لوى التجار  
 أموالهم ، فصنع محمد بن عبد الملك قصيدة يخاطب فيها المأمون ، منها قوله :

أبن الزيات  
 يغري المأمون  
 بعه إبراهيم  
 ابن المهدي

تذكر أمير المؤمنين قيامه بأيمانه في الهزل منه وفي الجسد  
 إذا هز أعواد المنابر باسته تنفى بليلى أو بمية أو هند  
 ووالله ما من توبة نزعته به إليك ، ولا ميل إليك ، ولا ود  
 وكيف بمن قد بايع الناس ، والتقت بينفته الركبان غوراً إلى نجد ؟  
 ومن صك تسليم الخلافة سمعه ينادى بها بين السامطين عن بعد  
 وأي أسرى سمي بها قط نفسه ففارقها حتى يغيب في اللحد ؟

وعرضها على إبراهيم - وهو حينئذ حامل الذكر لم يتعلق بعد بالخدمة تعلقاً  
 ينفع - فسأله [ إبراهيم ] كتمانها ، واستحلفه على ذلك ، وأدى مال أبيه دون  
 سائر التجار ، ومثل ذلك كثير لو تفرغ لطلال به الكتاب

(٧) - باب احتماء القبائل بشعرائها

كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها ، وصنعت  
الطعمة ، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر ، كما يصنعون في الأعراس ، ويتباشر الرجال  
والولدان ؛ لأنه حماية لأعراضهم ، وذبت عن أحسابهم ، وتخليد لما آثرهم ، وإشادة  
بذكورهم . وكانوا لا يهينون إلا بعلام يولد ، أو شاعر ينبغ فيهم ، أو فرس تنتج :  
فمن حمى قبيلته زياد الأعجم ، وذلك أن الفرزدق هم بهجاء عبد القيس ،  
فبانغ ذلك زياداً وهو منهم ، فبعث إليه : لا تعجل وأنا مهدي إليك هدية ، فانتظر  
الفرزدق الهدية ، فجاهه عنده :

فما ترك الهاجون لي إن هجوته      مُصَحَّحاً أراه في أديم الفرزدق  
ولا تركوا عظماً يرى تحت لحيه      لِكَاثِرِهِ أَبْقَوْهُ لِلْمَعْرُوقِ  
سأ كسر ما أبقوا له من عظامه      وأنكث مخ الساق منه وأنتقى  
فإننا وما شهدى لنا إن هجوتنا      لكالبجرمهما يُلْقَى فِي الْبَحْرِ يَفْرُقُ  
فلما بلغت الأبيات كف عما أَرَادَ ، وقال : لا سبيل إلى هجاء هؤلاء ما عاش  
هذا العبد فيهم .

وهجاء عبد الله بن الزُّبَيْرِ السهميُّ بنى قُصَى ، فرفعوه برمته إلى عتبة بن  
ربيعة ؛ خوفاً من هجاء الزبير بن عبد المطلب ، وكان شاعراً مقلقاً شديد العارضة  
مُتَذَرِّعِ الهجاء ، فلما وصل عبدُ الله إليهم أطلقه حمزة بن عبد المطلب وكساه ، فقال :

لعمرك ما جاءت بُسْكُرُ عَشِيرَتِي      وإن صالحت إخوانها لا ألومها  
فردَّ جُنَاةَ الشرِّ ؛ إنَّ سيوفنا      بأيماننا مسلولَةٌ لا نَشِيْمُها  
فإن قصيًّا أهل مجد وعزَّة      وأهلُ فَعَالٍ لا يرام قديمها  
همُ منعوا يومئ عكاظ نساءنا      كما منع الشولُ الهجانَ قُرُومُها

عبد الله بن  
الزُّبَيْرِ وبنو  
قُصَى

وكان الزبير غائباً بالطائف ، فلما وصل إلى مكة وبلغه الخبر قال :  
فلولا نحن لم يلبس رجالٌ ثيابَ أعزقةٍ حتى يموتوا  
ثيابهم سمّاً أو طياراً بها وذلك كما دسّم الحميت  
ولكنّا خلقنا إذ خلقنا لنا الخبرات والمسلك الفيتت

وهجارجل من بنى حرام الفرزدق ، فجاء به قومه يقودونه إليه ، فقال  
الفرزدق :

بنو حرام  
والفرزدق

ومن يك خائفاً لأذاق شعري فقد أمن الهجاء بنو حرام  
هم قادوا سفيهم ، وخافوا قلائد مثل أطواق الحمام  
وهجا الأحوص بن محمد الأنصاري رجلاً من الأنصار يقال له ابن بشير  
- وكان مكثرًا - فاشترى هدية ، ووفد بها على الفرزدق مستجيراً به ، فأجاره ،  
ثم قال : أين أنت من الأحوص بن محمد ؟ فقال : هو الذي أشكو ، فأطرق  
الفرزدق ساعة ثم قال : أليس الذي يقول :

الأحوص  
ورجل من  
الانصار

الآف برسم الدار فاستنطق الرثما فقد هاج أحزاني وذكري نغمي  
قال : بلى ، قال : والله لا أهجو شاعراً هذا شعره ، فاشترى ابن بشير أنفاس  
من الهدية الأولى وقدم بها على جرير ، فاستجاره فأجاره ، ثم قال له : ما فعل ابن  
عمك الأحوص بن محمد ؟ قال : هو صاحبي الذي هجاني ، قال : أليس القائل :  
تمشي بشمي في أكاريس مالك يشيد به كالكلب إذ ينبع النجا<sup>(١)</sup>  
قال : بلى ، قال : والله لا أهجو شاعراً هذا شعره ، فاشترى أكثر من الهديتين  
وأهداهما إلى الأحوص وصالحه

ولهذا وأمثاله فال جرير لقومه يعاتبهم في قصيدة خاطب فيها أباه وجده  
الخطفي ممتناً عليهم بنفسه :

(١) الكرّس - بكسر الكاف وسكون الراء - الجماعة من أي شيء كان ، ويجمع  
على أكراس ، وجمع الجمع أكارس وأكاريس .

بأىَّ نَحَادٍ تَحْمِلُ السَّيْفَ بَعْدَ مَا      قَطَعْتَ الْقَوَى مِنْ مَحَلِّ كَانَ بَاقِيَا؟  
 بأىَّ سَنَانٍ تَطْعَنُ الْقِرْنَ بَعْدَ مَا      نَزَعْتَ سَنَانًا مِنْ قَنَازِكَ مَاضِيَا؟  
 أَلَا لَا تَخَافَا نَبُوتَى فِي مَلَّةٍ      وَخَافَا الْمَنَايَا أَنْ تَفُوتَكُمَا يَيَا  
 فَقَدْ كُنْتَ نَارًا يَصْطَلِيهَا عَدُوْكُمْ      وَحِرْزًا لِمَا الْجَانِمُ مِنْ وَرَائِيَا  
 وَبَاسِطَ خَيْرٍ فِيكُمْ يَمِينُهُ      وَقَابِضَ شَرٍّ عَنْكُمْ بِشَمَالِيَا  
 وَإِنِّي لَعَفُ الْفَقْرِ مُشْتَرِكُ الْغَنَى      سَرِيعٌ إِذَا الْمَأْرُضُ جَارِي - ائْتَقَالِيَا  
 جَرِي، الْجَنَانُ لَا أَهَابُ مِنَ الرَّدَى      إِذَا مَا جَعَلْتُ السَّيْفَ مِنْ عَنِّ شَمَالِيَا  
 وَلَيْسَتْ لِسِيْفِي فِي الْعِظَامِ بَقِيَّةٌ      وَلَا السَّيْفُ أَشْوَى وَقْعَةٍ مِنْ لِسَانِيَا .  
 وهذا الباب أكثر من أن يستقصى ، ورغبتي في الاختصار ، وإنما جئت  
 منه ومن سواء بالتحفة تدل على المراد ، وتبلغ في ذلك حدَّ الاجتهاد .

#### (٨) - باب من فآل الشعر ، وطيرته

تفأله حسان بن ثابت للنبي صلى الله عليه وسلم بفتح مكة فقال في كلمته **تفأله**  
 المشهورة يخاطب بذلك مشركي أهل مكة ويتوعدهم :

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرْوَهَا      تَثِيرُ النِّقْعَ مَوْعِدَهَا كِدَاءُ  
 يُبَايِرِينَ الْأَعْنَةَ مُضْغِيَاتٍ      عَلَى أَكْتَفَاهَا الْأَسْلُ الظَّاءُ  
 تَظِلُّ جِيَادَنَا مُتَمَطِّرَاتٍ      يَلْطَمُهُنَّ بِأُنْخُمٍ <sup>(١)</sup> النِّسَاءُ

[ ورأيت من يستحسن « يلطمن » من لطمت الخبزة إذا نفضت عنها  
 الرماد ] ، فلما كان يوم الفتح أقبل النساء يمسحن وجوه الخيل ، وينفضن الغبار  
 عنها بخمرهن ، فقال قائل : لله در حسان إذ يقول <sup>(٢)</sup> ، وأنشد الأبيات . وروى قوم  
 أن الناس أمروا بالسير إلى كداء تفأولا بهذا البيت ليصبح ؛ فكان الأمر كما قال .

(١) متمطرات : مسرعات يسبق بعضها بعضا .

(٢) ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « قد صدق الله حسان في هذا »

كان رسول الله يتفاهل ولا يتطير  
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفاهل ، ولا يتطير ، ويجب الاسم  
 الحسن ، وقال : « ثلاثة لا يسلم منهم أحد : الطَّيْرَة ، والفلن ، والحسد » قيل  
 له : فما المخرج منهم يا رسول الله ؟ قال : « إذا تطيرت فلا ترجع ، وإذا ظننت  
 فلا تحقق ، وإذا حسدت فلا تبغ » .

أبو الشمقمق يتفاهل لخاله بن يزيد  
 ومن مليح ما وقع في التفاؤل ما حكى محمد بن الجراح ، وذلك أن أبا الشمقمق  
 شَخَصَ مع خالد بن يزيد بن مزيد ، وقد تقلد الموصل ، فلما مر ببعض الدروب  
 اندقَّ اللواء ، فاغتم خالد لذلك وتطير منه ، فقال أبو الشمقمق :

ما كان مندقُ اللواء طيرة تخشى- ، ولا سوء يكون معجلاً  
 لكن هذا العود أضعف متنه صغرُ الولاية فاستقل الموصل  
 فسُرِّي عن خالد ، وكتب صاحبُ البريد بخبر ذلك إلى المأمون ، فزاده ديار  
 ربيعة ، وأعطى خالد أبا الشمقمق عشرة آلاف درهم .

موسى بن عبد الملك وجاعة من الكتاب  
 وبنى جماعة من الكتاب على موسى بن عبد الملك ، فأمر المتوكل بحبسه ،  
 قال : فرأيت في النوم قائلاً يقول :

أبشر فقد جاءت السعود أباد أعداءك المبيد  
 لم يظفروا بالذي أرادوا بل يفعل الله ما يريد  
 ووقف المتوكل منهم على أمر أوجب إيقاعه بهم ، وأمر بإطلاقه وإعادته  
 إلى أشرف رتبة .

ولا بد من ذكر ما يتطير منه في باب غير هذا .

مجنون ليلي وقال قيس المجنون :

قضاها لغيري وابتلاني بحبها فهلاً بشيء غير ليلي ابتلاني  
 فما مات حتى برص ، ورأى في منامه قائلاً يقول له : هذا ما تمنيت .  
 ويقال : إن المؤمل بن أميل لما قال :



شفَّ المؤملَ يومَ الحيرةِ النظرُ لَيْتَ المؤملَ لم يُخلَقْ له بصرُ  
 نام ذات ليلةً صحيحاً ، فأصبح مكفوف البصر .  
 وتطير أبو الهول على جعفر بن يحيى البرمكي ، فقال :  
 أصبحت محتاجاً إلى ضرب في طلب العُرفِ من الكلب  
 إذا شكا صبّاً إليه الهوى قال له : مالى وللصب  
 أعنى فتى يطعن في ديننا يشبُّ معه خَشَبُ الصُّلبِ  
 فكان من أمر جعفر ما كان .

أبو الهول  
 وجعفر بن يحيى

وكان ابن الرومي كثير الطيرة : ربما أقام المدة الطويلة لا يتصرف تطيراً  
 بسوء ما يراه ويسمعه ، حتى إن بعض إخوانه من الأمراء افتقده فأعلم بحاله  
 في الطيرة ، فبعث إليه خادماً اسمه إقبال ليتفادله به ، فلما أخذ أهبطه للركوب قال  
 للخادم : انصرف إلى مولاك فأنت ناقص ، ومنكوس اسمك لا بقاً ..  
 وابن الرومي القائل : الفأل لسان الزمان ، والطيرة عنوان الحدثنان . وله فيه  
 احتجاجات وشعر كثير .

ابن الرومي  
 وتطيره

## ٩ - باب في منافع الشعر ومضاره

قد أكره الناس في هذا الفن ، ولا بد مع ذلك أن آتى منه ببُذٍّ يقتضيها  
 ترسيم الكتاب وحق التأليف ، وليست على مطالبة ، ولا قبلي حجة ، في ذكر  
 مضاره بعد منافعه أو معها ؛ إذ كانت الرغبة في تحسين الحسن ليتزيد منه ،  
 وتقيح القبيح لينتهي عنه .

وقد فرط في أول الكتاب من قول عائشة رضي الله عنها وقول سواها من  
 الصحابة ومن التابعين رحمة الله عليهم ورضوانه في الشعر ما فيه كفاية : من  
 أنه كلام يحسن فيه ما يحسن في الكلام ، ويقبح منه ما يقبح في الكلام ،  
 وبقدر حسنه وقبحه يكون نفعه وضرره ، والله المتعال .

الأمون وبيت  
من شعر عمارة  
بن عقيل

حكى أبو العباس المبرّد أن المأمون سمع منشداً ينشد قول عمارة بن عقيل بن  
بلال بن جرير :

أأتركُ إن قلتُ دراهم خالده زيارته ؟ إلى إذا للثيم  
فقال : أو قد قلتُ دراهم خالده ؟ احموا إليه مائتي ألف درهم ، فدعا خالد  
بعمارة ، فقال : هذا مطر من سحابك ، ودفع إليه عشرين ألفاً .

المصور بعفو  
عن كاتب بيت  
من الشعر

ووجد أبو جعفر المنصور على أحد الكتاب وأمر به ليضرب ، فقال :  
ونحن الكاتبون وقد أسأنا فهبنا للكرام الكاتبينا  
فخلى سبيله إعجاباً ببديعته .

يزيد بن معاوية  
يسوخ قاطع  
طريق بشر  
له رواه

وحمل بعض العمال إلى يزيد بن معاوية مالا جليلا ، فقطع عليه قسيم الغنوى  
فأخذه ، وأمر يزيد بطلبه ، فلما حصل بين يديه قال : ما حملك على الخروج علينا  
وأخذ مال يحمل إلينا ؟ قال : إذنك يا أمير المؤمنين أعزك الله ، قال : ومتى أذنت  
لك ؟ قال : حين قلت وأنا أسمعك

إعصِ العواذل وارم الليل عن عرض

بذى سيب يقاسى ليله خيبا  
كالسيدر لم ينقب البيطار سرته ولم يدجبه ولم يقطع له لبيبا  
حتى تصادف مالا أو يقال فتى لاقى التي تشعب الفتیان فانشعبا  
فمصبت عواذلى ، وأسهرت ليلى ، وأعملت جوادى ، فأصبت مالا ، قال :  
قد سوغناكه فلا تعد .

أبو الشمقمق  
وإثنان من  
عمال يحيى  
بن خالد

وكان جميل بن محفوظ وأبو دهان من عمال يحيى بن خالد ، فوفد عليهما  
مرة أبو الشمقمق - واسمه مروان بن محمد - فأكرمه أبو دهان وأساء إليه جميل ،  
فقال :

رأيت جميل الأزد قد عقق أمه فذاك أبو دهان أم جميل  
وتناظرا بعد ذلك في مال بين يدى يحيى بن خالد ، فاستغلى جميل على أبي

دهمان في الخطاب ، فقال له أبو دهان : احفظ الصهر الذي جعله بيننا أبو الشمقمق ، فضحك يحيى بن خالد حتى فحَصَ الأرض برجليه ، وترك المال الذي تشاجرا فيه .

وأتى مصعب بن الزبير بأسارى من أصحاب المختار ، فأمر بقتلهم بين يديه ، مصعب بن الزبير وأسير من أصحاب المختار  
فقام إليه أسير منهم فقال : أيها الأمير ، ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ووجهك المليح الذي يستضاء به فأتعلق بك وأقول : يارب ، سَلْ مصعباً فيم قتلنى ، فاستحيماً مصعب وأمر بإطلاقه ، فقال : أيها الأمير ، اجعل ما وهبت من حياتى فى خَفَضِ ودَعَا من العيش ، قال : قد أمرت لك بثلاثين ألف درهم ، قال : أشهدك أيها الأمير أن شَطْر هذا المال لعبد الله بن قيس الرقيات ، قال : ولم ذلك ؟ قال : لقوله :

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شَهَابٌ مِنْ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ

فضحك مصعب وقال : اقبض ما أمرنا لك به ، ولا بن قيس عندنا مثله ، فما شعر عبد الله بن قيس إلا وقد وافاه المال .

وحكى عن ابن شهاب الزهري قال : دعانى يزيد بن عبد الملك ، وقد مضى يزيد بن عبد الملك يطلق الأحوص بسبب بيتين من شعره  
شَطْر الليل ، فأتيته فَرَعَا وهو على سطح ، فقال : لا بأس عليك اجلس ؛ فجلست واندفعت جاريته حباية تغنى :

إِذَا رَمْتُ عَنْهَا سَلْوَةً قَالَ شَافِعٌ مِنْ الْحَبِّ : مِيعَادُ السَّلْوِ الْقَابِرُ  
سَتَبَقَى لَهَا فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحِشَا سَرِيرَةٌ حَبٌّ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ

قال : لمن هذا الشعر ؟ فقلت : للأحوص ، قال : ما فعل الله به ؟ قلت : محبوس بدَهْلَكِ ، فكتب من ساعته بإطلاقه ، وأمر له بأربعمائة دينار ، وقدم إليه فأحسن جائزته .

ومن ضره الشعر — وكل من عند الله عز وجل وبمشيئته ومقدوره —

على بن العباس بن جريج الرومي : كان ملازماً لأبي الحسين القاسم بن عبيد الله  
أبن سليمان بن وهب ، مخصوصاً به ، فاتصل ذلك بعبيد الله وسمع هجاءه ، فقال  
لولده أبي الحسين : أحب أن أرى ابن روميك هذا ، فجمع بينهما فرأى رجلاً  
لسانه أطول من عقله ، فأشار عليه بإبعاده ، فقال : أخافه ، قال : لم أرد إقصاءه ،  
ولكن بيت أبي حية النخري :

موت ابن  
الرومي  
مسموماً

فقلنا لها في السر نفديك<sup>(١)</sup> لا يرح صحيحاً وإلاً تقتليه فألهمي

فحدث أبو القاسم ابن فراس بما كان من أبيه - وكان ابن فراس من أشد  
الناس عداوة لابن الرومي - فقال له : أنا أكتفيك ، فسم له لوز ينجة فمات ،  
وسبب ذلك كثرة هجائه وبذاءته .

ودعبل بن علي الخزاعي : كان هجاءاً للملوك ، جسوراً على أمير المؤمنين ،  
متحاملاً ، لا يبالي ما صنع ، حتى عرف بذلك ، وطار اسمه فيه ، فصنع على لسانه  
بكر بن حماد التاهرتي ، وقيل : غيره ممن كان دعبل يؤذيه ويهاجيه :

موت دعبل  
وسببه

ملوك بني العباس في الكتب سبعة ولم تأتني عن ثامن لهم كُتِبَ  
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة كرام إذا عدوا ، وثامنهم كلب

وقال قوم : بل صنعها دعبل نفسه ، وكان المعتصم يعرف بالثامن وبالثمن  
أيضاً ، فبلغه ذلك ، فأمر بطلبه ، ففر منه إلى بلد بالسودان بناحية المغرب  
- وهي التي تعرف الآن بزويلة بني الخطاب - فمات بها وهناك قبره ، وإلى  
جانبه قبر عبد الله ابن شيخنا أبي عبد الله محمد بن جعفر النحوي رحمه الله ، هكذا  
يروى أصحابنا . وأما شعر البحترى فيشهد بخلاف هذا ، وذلك أنه رثى دعبلاً  
وأبا تمام حبيباً الطائي فقال في أبيات هجا فيها الخنعمي الشاعر :

(١) في نسخة « سرأ فدينك »

جَدَتْ عَلَى الْأَهْوَازِ يَبْعِدُ دُونَهُ مَسْرَى النِّعَى ، وَرَمَتْهُ بِالْمَوْصِلِ  
فَالَّذِي بِالْمَوْصِلِ أَبُو تَمَامٍ حَبِيبٌ لَاشِكٌ ؛ لِأَنَّهُ مَاتَ بِهَا وَهُوَ يَتَوَلَّى الْبَرِيدَ  
لِلْحَسَنِ بْنِ وَهَبٍ ، وَكَانَ يَعْنِي بِهِ كَثِيرًا ، وَالْآخِرَ دَعْبِلَ ، وَرَأَيْتُ مِنْ يَرْوِيهِ :  
شَلُّوْا بِأَعْلَى عَقَرٍ قُوفَ تَلْقَاهُ هَوَجَ الرِّيحِ ، وَرَمَتْهُ بِالْمَوْصِلِ  
وَالْأَوَّلَ أَعْرَفَ وَأَشْبَهَ بِالصَّوَابِ .

وَوَالِبَةُ بْنُ الْحَبَابِ : ذَكَرَ أَنَّ الرَّشِيدَ أَوْ غَيْرَهُ سَأَلَ مِنَ الْقَائِلِ :  
وَلَهَا - وَلَا ذَنْبَ لَهَا - حُبُّ كَأَطْرَافِ الرِّمَاحِ  
فِي الْقَلْبِ يَجْرَحُ دَائِبًا فَالْقَلْبُ مَكْلُومُ النَّوَاحِ  
فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ مِنَ الْعُلَمَاءِ : ذَلِكَ وَالِبَةُ بْنُ الْحَبَابِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،  
وَأَيْنَ تَذْهَبُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ ؟ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَرْقَ مِنْهُ شَعْرًا ، وَلَا أَطِيبَ نَادِرَةً ، وَلَا  
أَكْثَرَ رَوَايَةً ، وَلَا أَجْزَلَ مَعْرِفَةً بِأَيَّامِ الْعَرَبِ مِنْهُ ، فَقَالَ : لَمْ يَمْنَعْنِي مِنْهُ إِلَّا يَتَنَا  
شَعْرَ قَالِهَاوَمَا :

قُلْتُ لِسَاقِينَا عَلَى خُلُوعِ أَذُنٍ كَذَا رَأْسُكَ مِنْ رَاسِيَا  
وَنَمَّ عَلَى وَجْهِكَ لِي سَاعَةٌ إِنْ أَمَرُوا أَنْكَحَ جِلَاسِيَا  
أَتَحِبُّ أَنْ يَنْكَحُنَا لَا أُمَّ لَكَ ؟ قَالَ : فَفَسَلْتُ أَتَوَابِي عِرْقًا مِنْ شِدَّةِ الْحَيَاءِ .  
وَيَزِيدُ ابْنَ أُمِّ الْحَكَمِ الثَّقَفِي : عَهْدَ لَهُ الْحَجَّاجُ عَلَى فَارَسٍ ، فَأَتَاهُ يُوَدِّعُهُ ،  
فَقَالَ لَهُ : أَنْشُدْنِي ، وَقَدَّرَ أَنَّهُ يَمْدَحُهُ ، فَأَنْشَدَهُ :

وَأَبِي الَّذِي سَلَبَ ابْنَ كَسْرَى رَايَةً بِيضَاءَ تَحْفَقُ كَالْعَقَابِ الطَّائِرِ  
فَاسْتَرَدَّ الْعَهْدَ مِنْهُ ، وَقَالَ لِلْحَاجِبِ : إِذَا رَدَّهُ عَلَيْكَ فَقُلْ لَهُ : أَوْرَثَكَ أَبُوكَ  
مِثْلَ هَذَا ؟ فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ ذَلِكَ ، فَقَالَ يَزِيدُ : قُلْ لِلْحَجَّاجِ :  
وَوَرِثْتُ جَدِّي بَجْدَةٍ وَفَعَالَهُ وَوَرِثْتُ جَدَّكَ أَغْزَا بِالطَّائِفِ  
وَبِمِثْلِ هَذَا السَّبَبِ غَضِبَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى الْفَرَزْدَقِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ  
اسْتَفْشَدَهُ لِيَنْشُدَهُ فِيهِ أَوْ فِي أَبِيهِ ، فَأَنْشَدَهُ مَفْتَخِرًا عَلَيْهِ :

الفرزدق مع  
نصيب وسليمان  
بن عبد الملك

وركب كأنَّ الرِّيحَ تطلبُ عندهم لها تِرَةً من جَذْبِها بالعصائب  
سروا يخبطون الرِّيحَ<sup>(١)</sup> . وهى تَلَقُّهم إلى شعب الأكوار ذات<sup>(٢)</sup> الحقائب  
إذا استوضحوا ناراً يقولون : ليتها - وقد خَصِرَتْ أيديهم - نارُ غالب

فتبين غضب سليمان ، وكان نصيب حاضراً فأنشده :  
أقول لركبِ قافلين رأيتهُم<sup>(٣)</sup> قفا ذات أو شال<sup>(٤)</sup> ومولاك قارب  
قفوا خبروني عن سليمان ؛ إننى لمعرفه من أهل ودَّان طالب  
فماجوا فأننوا بالذى أنت أهله ولو سكتوا أننت عليك الحقائب  
فقال : يا غلام ، أعطِ نصيباً خمسمائة دينار ، وألحق الفرزدق بنار أبيه ،  
فخرج الفرزدقُ مُغضباً يقول :

وخير الشعر أكرمه رجالا . وشرُّ الشعر ما قال العبيد

وممن ضره الشعر وأهلكه سديف ؛ فإنه طعن في دولة بنى العباس بقوله  
لما خرج محمد بن الحسن بالمدينة على أبى جعفر المنصور في أبيات له :  
إنا لنأملُ أن ترتدَّ ألفتنا بعد التباعدِ والشحناء والإحَنِ  
وتنقضى دولةٌ أحكامُ قاداتها فينا كأحكام قوم عابدى وثَنِ  
فانهض ببيعتكم ننهضُ بطاعتنا إنَّ الخلافة فيكم يا بنى الحسنِ

ممن ضره  
شعره سديف

(١) فى نسخة « الليل » .

(٢) فى نسخة « من كل جانب » .

(٣) فى معجم ياقوت « قافلين عشية » وفى رواية أخرى « صادر بن لقيتهم »

(٤) أى : رأيتهم خلف ذات أو شال ، وذات أو شال : موضع . وقفاء : جانبه

الخطي ، وهو كما قال الشاعر :

خذنا أنف هرشى أوقفها فإنما كلا جانبي هرشى لمن طريق

فكتب المنصور إلى عبد الصمد بن علي بأن يدفنه حياً ، ويقال : إن الأبيات لعبد الله بن مصعب نُسِبت إلى سديف وُحِلت عليه فقتل بسببها ، وذلك أشد

وأحقّ الشعراء عندي مَنْ أدخل نفسه في هذا الباب أو تعرض له ، وما للشاعر والتعرض للحتُوفِ ؟ وإنما هو طالب فضل ، فلم يضيع رأس ماله ؟ لاسيما وإنما هو رأسه ، وكل شيء يحتمل إلا الطعن في الدول ، فإن دعت إلى ذلك ضرورة محجة فتعصب المرء لمن هو في ملكه وتحت سلطانه أصوب ، وأعذر له من كل جهة وعلى كل حال ، لا كما فعل سديف .

وأبو الطيب لما فرَّ ورأى الغلبة قال له غلامه : لا يتحدث الناس عنك بالفرار مقتل المتنبي  
بسبب بيت  
من شعره

أبدأ وأنت القاتل :  
الخيلُ والليلُ والبيداء تعرفني والطعنُ والضربُ والقرطاسُ والقلمُ<sup>(١)</sup>

فكر راجعاً فقتل ، وكان سبب ذلك هذا البيت ..

وكان كافور الإخشيدي قد وعد أبا الطيب بولاية بعض أعماله ، فلما رأى حرمان كافور  
المتنبي الولاية تعاظمه في شعره وسموه بنفسه خافه ، وعُوتِبَ فيه ، فقال : يا قوم ، من ادعى النبوة مع محمد صلى الله عليه وسلم لا يدعى الملكة مع كافور ؟ ! حَسْبُكُمْ .

وزعم أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي أن أبا الطيب إنما سُمي متنبيّاً  
تنبؤه لفظنته ، وقال غيره : بل قال : أنا أول من تنبأ بالشعر ، وادعى النبوة في  
بني الفصيصة .

والأخبار في هذا النوع كثيرة جداً ، وإنما جئت بأقربها عهداً ، وأشهرها في كتب المؤلفين ، مما يليق بالموضع ذكره

(١) يروى عجز هذا البيت هكذا

\* والسيف والرمح والقرطاس والقلم \*

(١٠) — باب تعرض الشعراء

عمرو النجاشي كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه عالما بالشعر ، قليل التعرض لأهله : استعداه رَهْطُ تميم بن أبي [ بن ] مقبل<sup>(١)</sup> على النجاشي لما هجاهم ، فأسلم النظر في أمرهم إلى حسان بن ثابت؛ فراراً من التعرض لأحدهما ، فلما حكم حسان أنفذ عمر حكمه على النجاشي كالمقلد من جهة الصنعة ، ولم يكن حسان — على علمه بالشعر — أبصرَ من عمر رضى الله عنه بوجه الحكم ، وإن اعتلّ فيه بما اعتل ، وقد مضت الحكاية<sup>(٢)</sup> .

عمر والحطيئة وكذلك صنع في هجاء الحطيئة الزُّبْرَقَانُ بن بدر : سأل حسان ثم قضى على الحطيئة بالسجن ، وقيل : بل سجنه لمواقفته إياه وقوله : إن لكل مقام مقالا ، فقال له : أتهددني ؟ امضوا به إلى السجن ، فسجنه في حفرة من الأرض .  
أبو عبيدة لا يحكم بين الشعراء الأحياء فقال : أنا لا أحكم بين الشعراء الأحياء ، فقليل له : سبّحان الله كأن هذا ما تبين لك ! فقال : أنا ممن لم يتبين له هذا !!؟

أول من لقب قريشا. سخينة قيل : إن أول من لقب قريشا — على شرفها ، وبعد ذكرها في العرب — سخينة لحساء كانت تتخذ في الجاهلية عند اشتداد الزمان خداشُ بن زهير خيث يقول :

ياشدة ما شددنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم  
فذهب ذلك على أفواه الناس ، حتى كان من التمازح به ما كان بين معاوية  
(١) أبي — بضم الهمزة ، وفتح الباء ، وتشديد الياء ، كما ذكره البغدادى في شرح الشاهد الثانى والثلاثين ، وكان فى الأصل « تميم بن أبي مقبل » ونصويبه عن الخزانة ، ويؤكدها عندنا الأبيات التى هجاء بها النجاشي وقد سبقت .  
(٢) انظر ( ص ٥٢ ) من هذه الجزء .



ابن أبي سفيان وبين الأخنف بن قيس التميمي ، حين قال له : ما الشيء الملفف في البجاد ؟ فقال له : السخينة يا أمير المؤمنين ، أراد معاوية قول الشاعر :

إذا ما مات مَيِّتٌ من تميم      فَسَرَّكَ أن يعيش فجىء بزاد  
بخبز أو بلحم <sup>(١)</sup> أو بتمرٍ      أو الشيء الملفف في البجاد

يريد وطبّ اللبّن ، وأراد الأخنف قول خدّاش بن زهير \* يا شدة ما شددنا . . . البيت \* وحتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكعب بن مالك الأنصاري :  
أترى الله نسي قولك ؟ يعنى :

زَعَمْتَ سَخِينَةً أن سَتَغْلِبُ ربهَا      وَلَيَغْلِبَنَّ مُغَالِبُ الْغَلَابِ

ولسير الشعر على الأفواه هذا المسير تمنّى الأشرافُ مازحة الشاعر خوف  
لفظة تسمع منه مزحاً فتعود جداً ، كما قال دعبل الخزاعي :

الأشراف  
يتجنبون  
ممازحة الشعراء

لا تعرضنّ بمزح لامرئ طيّبٍ      ما راضه قلبه أجراه في الشفةِ  
فربّ قافية بالمزح جارية      في محفل <sup>(٢)</sup> لم يُردّ لها ماؤها تمتِ  
إني إذا قلت بيتاً مات قائله      ومن يقال له والبيت لم يمت

وقال رجل لابن الرومي يمازحه : ما أنت والشعر ؟ لقد نلت منه حظاً  
جسماً وأنت من العجم ، أراك عربياً في الأصل أو مدعياً في الشعر ! قال : بل  
أنت دعى ؛ إذ كنت تنسب عربياً ولم تحسن من ذلك شيئاً ، وله يقول  
من أبيات :

إياك يا ابنَ بُوَيْبٍ      أن يستشارَ بُوَيْبُ  
قد تحسنُ الروم شعراً      ما أحسنتهُ العريبُ

(١) في نسخة « أو بتمر أو بسمن »

(٢) في نسخة « مشؤمة »

وهذا مثل قول الصيني<sup>(١)</sup> الشاعر لبعض الأعراب وقد أنشد عبد الله بن طاهر  
بحضرته شعراً ، فقال له الأعرابي : ممن الرجل ؟ فقال : من العجم ، قال : ما للعجم  
والشعر ؟ أظن عربياً نَزَا على أمك ، قال : فن لم يقل منكم الشعر معشر العرب  
فإنما نزا على أمه أعجمي ! ! فسكت الأعرابي .

للشعراء ألسنة  
حداد

وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فقال :  
وللشعراء ألسنة حدادٌ على العورات موفيةٌ دليـله  
ومن عقل الكريم إذا اتَّقاَهُم وداراهم مداراةً جـيله  
إذا وضَعُوا مكايهم عليه - وإن كذبوا - فليس لهنَّ حيله  
والآيات لأبي الدهان<sup>(٢)</sup> . . . ولأمرئاً قال طرفه :  
رأيت القوافي تتَلَجَّنَ مَوَالِجًا تَضَايِقُ عنها أن تَوَلَّجَها الإبر  
وقال امرؤ القيس \* وجُرَّحُ اللسان كجرح اليد \* ومع ذلك كله فلا ينبغي  
للشاعر أن يكون شرساً شديداً ، ولا حرجاً عريضاً ؛ لما يدل به من طول لسانه  
وتوقف الناس عن مخاشنته .

فهذا الفرزدق كان شاعر زمانه ورئيس قومه ، لم يكن في جيله أطرفُ منه  
نادرة ، ولا أغرب مدحاً ، ولا أسرع جواباً : اجتاز بنسوة وهو على بغلة فهمزها  
خفيت ، فتضاحك ، وكان عريضا ، فقال : ما يضحككن وما حملتني أنثى قط  
إلا فعلت مثل هذا ؟ قالت إحداهن : فما صنعت التي حملتك تسعة أشهر ؟  
فانصرف خجلا .

ومر به رجل فيه لين ، فقال له : من أين أقبلت عمتنا ؟ فقال : نفاها الأغـر  
أبن عبد العزيز ، فكان الفرزدق صُبَّ عليه الماء ؛ لأنه عرض له بقول جرير  
فيه حين نفاه عمر بن عبد العزيز من المدينة :

نفاك الأغـر بن عبد العزيز وحَقَّتْكَ تنفي من المسجد

وكان الفرزدق مرة ينشد ، والسكيت صبي ، فأجاد الاستماع إليه ، فقال

(١) كذا ، ولم يستقم لنا .

(٢) لعله «أبودهان» والشعر في البيان ١/١٥٩ منسوباً لبعض المولدين من غير تعيين

له : يا بنى أيسرك أنى أبوك ؟ قال : أما أبى فلا أرى به بدلا ، ولكن يسرنى أنك  
أمى ، فأخفه حتى غص بريقه ، وزعم قوم أن هذه الحكاية إنما وقعت مع كثير .  
ومر يوما بمضرس الفقعسى ، وهو غلام حديث السن ، ينشد الناس شعره  
فحسده على ما سمعه منه ، فقال له بعد كلام طويل فيه تعريض وتصريح : أدخلت  
أملك البصرة ؟ وفهم عنه مضرس ما أراد ، فقال : كلا ولكن أبى ! ورجع إلى  
إنشاده ، فاستحيا الفرزدق ، حكى ذلك شيخنا أبو عبد الله ، وإنما أراد الفرزدق  
أنها إن دخلت البصرة فقد وقعت عليها فأنت ابنى ، قال مضرس : بل أبى وقع  
على أملك .

الفرزدق  
ومضرس  
الفقعسى

ومثل هذا بعينه عرض للفرزدق مع الخطيئة ؛ فإن الخطيئة قال له وقد سمعه  
ينشد شعراً أعجبه : أنجبت أملك ؟ قال : بل أبجد أبى ! ! ونظم ذلك جرير ،  
ونعاه عليه ، وادعى أنه صحيح فقال :

كان الخطيئة جارا أملك مرة      والله يعلم شأن ذاك الجار  
من ثم أنت إلى الزناء بعله      بأشر شيخ فى جميع نزار  
لا تفخرن بغالب ومحمد      واخر بعبس كل يوم فخر  
وكان يزعم أن الخطيئة جاور لينة بنت قرطة فأعجبته فراودها فوقع عليها  
وزوجها أخوها الملاء غالباً أبا الفرزدق وقد تبين حملها فولدت الفرزدق  
على فراشه .

واحتذى هذا الخنود سواء أبو السمط مروان الأصغر بن أبى الجنوب بن  
مروان بن أبى حفصة فقال يهجو على بن الجهم بن بدر :

لعمرك ما الجهم بن بدر بشاعر      وهذا على بعده بصنع الشعرا  
ولكن أبى قد كان جاراً لأمه      فلما تعاطى الشعر أوهنى أمرا  
والشاعر أولى من كف منطقته ، وأقال عثرات اللسان ؛ لما رزق من القدرة  
على الكلام ، والعفو من القادر أحسن ، وبه أليق (ولن انتصر بعد ظلمه فأولئك

أبو السمط  
وعلى بن الجهم

ما عليهم من سبيل ؛ إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ، ويبغون في الأرض  
بغير الحق ، أولئك لهم عذاب أليم ، ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ) .

### (١١) - باب التكسب بالشعر ، والأنفعة منه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أَنْتُمْ كُمْ** »<sup>(١)</sup> عن قيل وقال ، وعن  
كثرة السؤال ، وإضاعة المال ، وعقوق الأمهات ، وواد البنات ، ومنع وهات ..  
ما كانت العرب      وكانت العرب لا تتكسب بالشعر ، وإنما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهاة  
تتكسب بالشعر      أو مكافأة عن يد لا يستطيع أداء حقها إلا بالشكر إعظاماً لها ، كما قال امرؤ القيس  
[ بن حُجْر ] يمدح بني تيم رهط الملئ :

أَفَرَّ حَشَا أَمْرِي الْقَيْسَ بْنَ حُجْرٍ      بنو تَيْمٍ مَصَابِيحُ الظُّلَامِ  
لأن الملئ أحسن إليه وأجاره حين طلبه المنذر بن ماء السماء ، لقتله بني أبيه  
الذين قتل بدير مرينا ، ف قيل لبني تيم « **مصاييح الظلام** » من ذلك اليوم لبيت  
امرئ القيس . وقال [ أيضاً ] لسعد بن الضباب :

سأجزيك الذي دافعتَ عني      وما يجزيك عني غيرُ شكري  
فأخبره أن شكره هو الغاية في مجازاته كما قدمت .

أول المتكسبين      حتى نشأ النابغة الذبياني ؛ فدح الملوك ، وقبل الصلّة على الشعر ، وخضع  
النابغة الذبياني      للنعمان بن المنذر ، وكان قادراً على الامتناع منه بمن حوله من عشيرته أو من سار  
إليه من ملوك غسان ، فسقطت منزلته ، وتكسب مالا جسيماً ، حتى كان أكله  
وشربه في صحاف الذهب والفضة وأوانيهِ<sup>(٢)</sup> من عطاء الملوك .

(١) في نسخة « **إن الله ينهاكم** » .

(٢) في نسخة « **وأوانيها** » .

وتكسبَ زهير بن أبي سلمى بالشعر يسيراً مع هَرَم بن سنان.

فلما جاء الأعشى جعل الشعر متَجَرّاً يتجر به نحو البلدان ، وقصد حتى ملك الأعشى جعل الشعر متجراً العجم فأثابه وأجزل عطيته علماً بقدر ما يقول عند العرب ، واقتداء بهم فيه ، على أن شعره لم يحسن عنده حين فُسِّر له ، بل استهجنه واستخفَّ به ، لكن احتذى فعل الملوك ملوك العرب .

وأكثر العلماء يقولون : إنه أول من سأل بشعره ، وقد علمنا أن النابغة أَسَنُّ منه وأقدم شعراً ، وقد ذكر عنه من التكسب بالشعر مع النعمان بن المنذر مع ما فيه [من] قبيح : من مجاملة الحاجب<sup>(١)</sup> ، ودس الندماء على ذكره بين يديه ، وما أشبه ذلك .

وذكر أن أبا عمرو بن العلاء سئل : لم خضع النابغة للنعمان ؟ فقال : رغب في عطائه وعصافيره .

وأما زهير فما بلغه الطائي قط معرفة باجتماع<sup>(٢)</sup> من يمدحه ، ويدلك عمر يتحدث على ذلك ما فاله عمر بن الخطاب رضى الله عنه لابنة زهير حين سألهما : ما فعلت حُلَيْلُ هَرَم بن سنان التي كسبها أباك ؟ قالت : أبلاها الدهر ، قال : لكن ما كساه أبوك هَرَمًا لم يُبْلِه الدهر ، وقال [ عمر رضى الله عنه ] لبعض ولد هَرَم بن سنان : أنشدني ما قال فيكم زهير ، فأنشده ، فقال : لقد كان يقول فيكم فيحسن ، قال : يا أمير المؤمنين إنا كنا نعطيه فنُجْزِلُ ، قال عمر : ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطاكم .

ثم إن الخطيئة أكثر من السؤال بالشعر ، وانحطاط المهمة فيه ، والإلحاف ، حتى مقت ودَلَّ أهله وهلم جرا ، إلى أن حُرِم السائل وعُدَّ المسئول .

الخطيئة  
أكثر السؤال  
بالشعر

(١) في نسخة «معالجة الحاجب» .

(٢) كذا في جميع الأصول ، ولم يبين لنا وجهه .

إلا بقايا من أناس بهمُ إلى سبيل المَكْرُماتِ يُهتدى  
كالسيد أبي الحسن أحسن الله إلى الدنيا ببقائه .

وأما أكثر من تقدم فالتألب على طباعهم الأنفة من السؤال بالشعر ، وقلة  
التعرض به لما في أيدي الناس ، إلا فيما لا يُزرى بقدر ولا مروءة كالفلانة النادرة  
والمهمة العظيمة ، ولهذا قال عمر رضى الله عنه : نعم ما تعلمته العرب الأبيات من  
الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته .

الوليد بن عقبة ألا ترى أن لبيد بن ربيعة لما بعث إليه الوليد بن عقبة مائة من الإبل ينحرفها  
مع لبيد بن ربيعة كعادته عند هبوب الصبا ، وقد أسنَّ وأقلَّ<sup>(١)</sup> ، وكان يطعم الناس ما هبت  
الصبا ، قال لابنته : اشكرى هذا الرجل فإنى لا أجد نفسى تحببى ، ولقد أراى  
لا أغنياً بجواب شاعر ، فقالت هذه الآيات :

إذا هبت رِيَّاحُ أبى عقيل	دَعَوْنَا عِنْدَ هَبَّتِهَا الوليدا
أغرَّ الوجه أبيض غَبْشَمِيًّا	أعان على مروءته لبيدا
بأمثال المِضَابِ كَأَنَّ رَكْبًا	عليها من بنى حَامٍ قُعُودًا
أبا وَهْبٍ جزاك الله خيرًا	نحمرناها وأطعمنا الثريدا
فَعَدُّهُ إِنَّا الْكَرِيمُ لَهُ مَعَادٌ	وَضَنَّى بَابنِ أُرُوى أَن يَعُودَا

وعرضتها عليه فقال : لقد أجدتِ لولا أنك استعدتِ ، كراهية فى قولها :  
\* فَعَدُّهُ إِنَّا الْكَرِيمُ لَهُ مَعَادٌ \* ويروى : لولا أنك استزدت .

الشعر أعلى أو الخطابة ؟ وقالوا : كان الشاعر فى مبتدأ الأمر أرفع منزلةً من الخطيب ؛ لحاجتهم إلى  
الشعر فى تخليد المآثر ، وشدة العارضة ، وحماية العشيرة ، وتهيبهم عند شاعر  
غيرهم من القبائل ؛ فلا يقدم عليهم خوفًا من شاعرهم على نفسه وقبيلته ،  
فلما تسكبوا به وجملوه طُعمَة وتولوا به الأعراض وتناولوها صارت الخطابة

(١) أقل : صار قليل المال .

فوقه ، وعلى هذا المنهاج كانوا حتى فَشَتْ فيهم الصَّراعة ، وتطعموا أموال  
الناس ، وجشعوا فخشعوا ، واطمأنت بهم دارُ الذلة ، إلا من وقر نفسه وقارها ،  
وعرف لها مقدارها ، حتى قبض نقيَّ العرض مَصُونَ الوجه ، ما لم يكن به  
اضطرار تحلُّ به الميتةُ ، فأما مَنْ وجد البُلغة والكفاف فلا وجه لسؤاله  
بالشعر .

فقد حكى عن ابن مَيَّادة أنه مدح أبا جعفر المنصور بكلمته التي يقول فيها : من كبر نفس  
ابن ميادة

فوجدتَ حينَ لقيتَ أيمنَ طائرٍ      ووليتَ حينَ وليتَ بالإصلاح  
وعفوتَ عن كسر الجناح ولم يكن      لِتَطِيرَ ناهضةً بغير جناح  
قومٌ إذا جُلِبَ الثناء إليهمُ      بيعَ الثناء هناك بالأرباح

وأتاه راعى إبله بلبن فشرب ثم مسح على بطنه وقد عزم على الرحلة فقال :  
سبحان الله أفد على أمير المؤمنين وهذه الشربة تكفيني ١١٩ وصرف وجهه عن  
قصده ، فلم يقد عليه ، هذا على أنه ساقه الشعراء ، فأنت ترى كبر نفسه ، وبعدهته .  
على أن عبد الله بن عمر على جلالته ، والحسن البصري ، وعكرمة ، ومالك صلات الملوك  
ابن أنس المدني وجلة من أهل العلم غير هؤلاء ، كانوا يقبلون صِلَاتِ الملوك .

وقد سئل عثمان بن عفان رضى الله عنه عن مال السلطان ، فقال : الحُمُ  
طير زكى

والشعراء في قبولها مالَ الملوك أعذرُ من المتورِّعين وأصحاب الفتيا ؛ لما جرت  
به العادة قبل الإسلام وعلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده إلى أيام  
المنصور الذي أنفَ ابنُ ميادة أن يفد عليه .

وهكذا يروى عن جميل بن عبد الله بن معمر أنه ما مدح أحداً قط إلا ذويه لم يمدح جميل  
ابن عبد الله  
أحداً قط  
وقرأياته ، وأنه صحب الوليد بن عبد الملك في سفر ، فكلفه أن يرجز به ، وظن أنه  
يمدحه ، فأنشأ يقول :

أنا جميل في المنام من معد في الذروة العليا والركن الأشد  
فقال له الوليد : اركب لاحت .

يقال  
مدح جميل  
عبد العزيز  
ابن مروان  
وزعم محمد بن سلام الجمحي أنه مدح عبد العزيز بن مروان بقوله  
في شعره :

أبا مروان أنت فتى قريش وكلمهم إذا عد الكهول  
توليه العشرة ما عناها فلا ضيق الذراع ولا بحيل  
كلأ يوميه بالمعروف طلق وكل بلائه حسن جميل

عمر بن  
أبي ربيعة  
وابن الأحنف  
وعمر [بن عبد الله] بن أبي ربيعة الخزومي ، وكان يشبهه به من المولدين العباس  
ابن الأحنف ، فإنه ممن أنف عن المدح تغرفاً ، وقال فيه مصعب الزيري : العباس  
عمر العراق ، يريد أنه لأهل العراق كعمر بن أبي ربيعة لأهل الحجاز ، استرسلا  
في الكلام ، وأنفة عن المدح والهجاء ، واشتهر بذلك ، فلم يكن يكلفه إياه أحد من  
الملوك ولا الوزراء ، وقد أخذ صلة الرشيد وغيره على حسن التفرزل ولطف المقاصد في  
التشبيب بالنساء .

وهذا باب قد احتذاه الكتاب في زماننا هذا إلا القليل ، وقوم من شعراء وقتنا  
أنا ذا كرم في كتاب غير هذا ، إن شاء الله .

وعلى كل حال فإن الأخذ من الملوك كما فعل النابغة ، ومن الرؤساء الجلمة كما فعل  
زهير ؛ سهل وخفيف .

فأما الخطيئة فقبح الله همته الساقطة على جلالة شعره وشرف بيته ، وقد  
كانت الشعراء ترى الأخذ من دون الملوك عاراً ، فضلاً عن العامة وأطراف الناس .  
قال ذو الرمة يهجو مروان بن أبي حفصة بذلك ، ويفتخر عليه بأنه  
لا يقبل إلا صلة الملك الأعظم وحده ، هكذا رواه عبد الكريم وأنشده ابن  
عبد ربه أيضاً :

ذو الرمة  
يهجو ابن  
أبي حفصة



عطايا أمير المؤمنين ولم تكن  
وما نلت حتى شئت إلا عطية  
ومقسمة من هؤلاء وأولئك  
تقوم بها مصرورة في ردائك  
وأنشد له أو لغيره :

وما كان مالي من تراث ورثته  
ولكن عطاء الله من كل رحلة  
قال صاحب الكتاب<sup>(١)</sup> : والذي أعرف أن سلم بن عمرو الخامس كتب إلى  
مروان بن أبي حفصة :

بين سلم الخامس  
ومروان بن  
أبي حفصة

من مبلغ مروان عن رسالة  
حبائي أمير المؤمنين بنفحة  
ثمانين ألفاً نلت من صلب ماله  
فأجابه مروان عن ذلك فقال :  
أسلم بن عمرو قد تعاطيت خطه  
وإني لسباق إذا الخيل كُفِّت  
فدع سابقاً إن عاودتك عجاجة  
زأيت أسراً نال الشها فحسدته  
طلبت من المهدي شطر حباه  
فما أعولت أم على ابن ، ولا بكى  
عضضت على كفئك حتى كأنما  
حييت بأوقار البغسال ، وإنما  
وما نلت حتى شئت إلا عطية  
وما عبت من قسم الملوك لشاعر

مُغْلَمَةٌ لَا تَنْثَنِي عَنْ لِقَائِكَ  
ثَمَانِينَ أَلْفًا طَاطَاتٍ مِنْ حَبَائِكَ  
وَلَمْ تَكْ قَسِماً مِنْ أَوْلَى وَأَوْلَا نِكَ  
تَقْصِرُ عَنْهَا بَعْدَ طُولِ عَنَائِكَ  
مَدَى مِائَةٍ أَوْ غَايَةٍ فَوْقَ ذَلِكَ  
سَنَابِكُهُ أَوْ هَيْنَ مِنْكَ سَنَابِكُهُ  
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَمُوتَ بِدَائِكَ  
فَقَالَ لَكَ الْمَهْدِيُّ لَسْتُ هُنَاكَ  
عَلَى يَوْسُفَ يَعْقُوبُ مِثْلَ بَكَائِكَ  
رَزَيْتَ الَّذِي أُعْطِيتُ مِنْ صُلْبِ مَالِكَ  
سَرَابُ الضُّحَى مَا تَدْعِي مِنْ حَبَائِكَ  
تَقُومُ بِهَا مَصْرُورَةٌ فِي رَدَائِكَ  
بِهِ خَصَّ عَفْوَ مَنْ أَوْلَى وَأَوْلَا نِكَ

(١) في نسخة « أبو علي » .

وأقسم لولا ابن الربيع ورَفْدُهُ      لما ابتَلَّتِ الدلو التي في رِشَائِكَ  
ومن قول مروان أيضاً :  
ولقد حُبِيتُ بألف ألف لم تكن      إلا بكفٌ خليفة ووزير  
مازلتُ ألف أن أولف مدحة      إلا لصاحب منبر وسرير  
ماضرنى حسدُ اللثام ، ولم يزل      ذو الفضل يحسده ذوو التقصير  
وقال آخر فيما يناسب هذا وبشاكله ، ويشد على يد من تمذهب به أو  
اعتقده :

الأنفعة من عطاء  
غير الملوك

وإذا لم يكن من الذل بدٌّ      فالق بالذل إن لقيت الكبارا  
وافخر بشار بن برد فقال :  
وإني لنهّض اليدين إلى العلا      قَرَوَعٌ لأبواب الهمام المتوَجِّج  
ويروى « وإني لسوار اليدين » أي : مرتفع .

## (١٢) — باب تنقل الشعر في القبائل

ذكر أبو عبدالله محمد بن سلام الجحفي في كتاب الطبقات ، وغيره من المؤلفين ،  
أن الشعر كان في الجاهلية في ربيعة ، فكان منهم مهلهل بن ربيعة — واسمه عدى ،  
وقيل : امرؤ القيس — وإنما سمي مهلهلاً لهلهلة شعره ، أي : رفته وخفته ، وقيل :  
لاختلافه ، وقيل : بل سمي بذلك لقوله :

كان الشعر  
في ربيعة

لما تَوَقَّلَ في الكراع شريدهم      هلهلت أثار جابراً أو صَنِيلاً<sup>(١)</sup>  
ويروى \* لما توغر في الكلاب هجينهم \* قال أبو سعيد الحسن بن الحسين

(١) ويروى :

لما توغل في الكراع هجينهم      هلهلت أثار مالكا أو صنبلا

السكري : يعنى بقوله « هجينهم » امرأ القيس بن حمام<sup>(١)</sup> الذى ذكره امرؤ القيس فى شعره حيث يقول :

من أخبار  
مهلهل بن  
ربيعة

عُوجًا عَلَى الطَّلَلِ الْحَيْلِ لَعَلْنَا نَبْكِي الدِّيارَ كَمَا بَكَى ابْنُ حَمَامٍ .  
وكان مهلهل تبعه يوم كَلَّابَ قَفَاتِهِ ابْنُ حَمَامٍ بَعْدَ أَنْ تَنَاوَلَهُ مَهْلَهْلٌ بِالرَّمْحِ ،  
وَقَدْ كَانَ ابْنُ حَمَامٍ أَغَارَ عَلَى بَنِي تَغْلِبَ مَعَ زَهِيرِ بْنِ جَدَّابَ فَقَتَلَ جَابِرًا وَصَنْبِلًا ،  
وَيُرْوَى « لَأَنَّنَا » بِمَعْنَى لَعَلْنَا ، وَهِيَ لُغَةٌ فِيمَا زَعَمُ بَعْضُ الْمُؤَلِّفِينَ ، وَالَّذِى كُنْتُ  
أَعْرِفُ « لَعَلْنَا » بِالْعَيْنِ وَنُونَيْنِ ، وَكَذَلِكَ أَعْرِفُ « ابْنَ حَذَامٍ » بِذَالٍ مُعْجَمَةٍ ،  
كَذَا رَوَى الْجَاهِظُ وَغَيْرُهُ ، وَيُرْوَى « حَذَامٍ » بِأَلْهَاءِ وَذَالٍ الْمُعْجَمَتَيْنِ . وَكَانَ  
مَهْلَهْلٌ أَوَّلُ مَنْ قَصَّدَ الْقَصَائِدَ ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ بْنُ غَالِبٍ :

\* وَمَهْلَهْلُ الشَّعْرَاءِ ذَاكَ الْأَوَّلُ \*

وهو خال امرئ القيس بن حُجْرٍ السَّكْنَدِيِّ الشَّاعِرِ ، وَجَدَ عَمْرُو بْنُ كَلْثُومٍ  
الشَّاعِرُ أَبُو أُمِّهِ .

وَمِنْهُمْ الْمَرْقَشَانِ ، وَالْأَكْبَرُ مِنْهُمَا عَمُّ الْأَصْغَرِ ، وَالْأَصْغَرُ عَمُّ طَرْفَةَ بْنِ الْعَبْدِ ،  
وَأَسَمُ الْأَكْبَرُ عَوْفُ بْنُ سَعْدٍ ، وَعَمْرُو بْنُ قَهْطَةَ بْنِ أُخِيهِ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ أَخُوهُ ، وَأَسَمُ  
الْأَصْغَرِ عَمْرُو بْنُ حَرَمَلَةَ ، وَقِيلَ : رَبِيعَةُ بْنُ سَفْيَانَ ، وَهَذَا أَعْرِفُ .

جملة من  
شعراء ربيعة

وَمِنْهُمْ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ الَّذِى يَقُولُ :

يَا بَوْسَ لِلْحَرْبِ الْـ\_\_\_\_تِى وَضَعْتَ أَرَاهُ-طَ فَاسْتَرَا حَوَا

وَلَا أَدْرِ هَلْ هُوَ أَبُو عَمْرُو بْنُ قَهْطَةَ الشَّاعِرِ وَالْمَرْقَشُ الْأَكْبَرُ أَمْ لَا ؟ ؟  
وَطَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ ، وَعَمْرُو بْنُ قَهْطَةَ<sup>(٢)</sup> ، وَالْحَارِثُ بْنُ حِلْزَةَ ، وَالْمَتْلَسُ — وَهُوَ  
خَالَ طَرْفَةَ ، وَأَسَمُهُ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْمَسِيحِ — وَالْأَعَشَى — وَأَسَمُهُ مَيْمُونُ بْنُ

(١) المعروف أنه ابن حذام ، كما ستقف عليه فى كلام المؤلف ، ولعله من  
تصحيف النسخاء فبما اطلع عليه المؤلف من كتاب السكري (٢) تكرر ذكره .

قيس بن جندل — وخاله المسيب بن علس — واسم المسيب زهير —

ثم تحول الشعر في قيس : فمنهم النابختان ، وزهير بن أبي سُلمى ، وابنه كعب  
لأنهم ينسبون في عبد الله بن غطفان ، واسم أبي سُلمى ربيعة ، وليد ، والخطيئة ،  
والشماخ — واسمه معقل بن ضرار — وأخوه مزرد — واسمه جزء بن ضرار ، وقيل :  
بل اسمه يزيد وجزء أخوهما .. وكان المزرد شريراً يهجو ضيوفه ، وهجا قومه عند  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

من شعراء  
قيس

تَعَلَّمَ رسولَ الله أَنَا كَأَنَّمَا أَفَانَا بِأَنَّمَا ثَعَالِبِ ذِي مَحَلِّ  
تَعَلَّمَ رسولَ الله لَمْ أَرْمَلَهُمْ أَجَرَّ عَلَى الْأَدْنَى وَأَحْرَمَ لِلْفَضْلِ

ومنهم خدش بن زهير .

ثم استقر الشعر في تميم ، ومنهم كان أوس بن حَجَر شاعر مُفَرِّق في الجاهلية ،  
لم يتقدمه أحد منهم ، حتى نشأ النابغة وزهير فَأَخْلَاهُ ، وبقي شاعر تميم في الجاهلية  
غير مدافع ، وكان الأصمعي يقول : أوس أشعر من زهير ، ولكن النابغة طأطأ  
منه ، وكان زهير راوية أوس ، وكان أوس زوج أم زهير .

من شعراء  
تميم

وسئل حسان بن ثابت رضى الله عنه : من أشعر الناس ؟ فقال : أرجال  
أم حياً ؟ قيل : بل حياً ، قال : أشعر الناس حياً هذيل . قال ابن سلام الجمحي :  
وأشعر هذيل أبو ذؤيب غير مدافع ، وحكى الجمحي قال : أخبرني عمر بن معاذ  
المعمرى قال : في التوراة مكتوب أبو ذؤيب مؤلف زورا ، وكان اسم الشاعر  
بالسريانية ، فأخبرت بذلك بعض أصحاب العربية — وهو كثير بن إسحاق —  
فأعجب منه وقال : قد بلغني ذلك ، وقال الأصمعي : قال أبو عمرو بن العلاء :  
أفصح الشعراء لساناً وأعذبهم أهل السروات ، وهن ثلاث وهى الجبال المطلة  
على تهامة مما إلى اليمن : فأولها هذيل ، وهى تلى السهل من تهامة ، ثم بجيلة [فى]  
السراة الوسطى ، وقد شركتهم ثقيف فى ناحية منها ، ثم سراة الأزد أزد شنوءة

أشعر الناس

وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نَعْر بن الأزد ، وقال أبو عمرو أيضاً :  
أفصح الناس علياً تميم وسفلى قيس ، وقال أبو زيد : أفصح الناس سافلة العالية  
وعالية السافلة ، يعنى عَجَزَ هوازن ، قال : ولست أقول « قالت العرب »  
إلا ما سمعت منهم ، وإلا لم أقل « قالت العرب » . . . وأهل العالية أهل المدينة  
وَمَنْ حَوْلَهَا وَمَنْ يَلِيهَا وَدَنَا مِنْهَا ، ولغتهم ليست بتلك عنده .

وقوم يرون مقدمة الشعر لليمن : في الجاهلية بامرئ القيس ، وفي الإسلام  
بحسان بن ثابت ، وفي المولدين بالحسن بن هاني وأصحابه : مسلم بن الوليد ، وأبي  
الشَّيْص ، ودُعَيْل ، وكلهم من اليمن ، وفي الطبقة التي تليهم بالطائيين : حبيب ،  
والبحتري ، ويختمون الشعر بأبي الطيب ، وهو خاتمة الشعراء لآخِالَةٍ ، وكان  
ينسب في كِنْدَةَ ، وهي رواية ضعيفة ، وإنما ولد في كندة بالكوفة فيما حكى ابن  
جني ، وإلا فكان غامض النسب ، فيقولون : بُدِيَ الشعر بكندة - يعنون امرأ  
القيس - وختم بكندة - يعنون أبا الطيب - وزعم بعض المتأخرين أنه جُفِي ،  
وقوم منهم الصاحب بن عباد يقولون : بدى الشعر بملك وختم بملك ، يعنون  
امرأ القيس وأبا فراس الحارث بن سعيد بن حمدان ، وقال آخرون : بل رجع  
الشعر إلى ربيعة فختم بها كما بدى بها ، يريدون مهلهلاً وأبا فراس ، وأشعر أهل  
المدَر ياجع من الناس واتفاق حسان بن ثابت . . . وقال أبو عمرو بن العلاء :  
ختم الشعر بذي الرمة ، والرَّجَزُ برؤبة بن المعجاج ، وزعم يونس أن المعجاج أشعر  
أهل الرجز والقصيد ، وقال : إنما هو كلام فأجودهم كلاماً أشعرهم ، والمعجاج  
ليس في شعره شيء يستطيع أحد أن يقول : لو كان في مكانه غيره لكان  
أجود ، وذكر أنه صنع أرجوزته :

\* قَدْ جَبَرَ الدِّينَ الْإِلَهَ فَجَبَرَ \*

فيها نحو مائتي بيت وهي موقوفة مقيدة ، قال : ولو أطلقت قوافيها وساعد فيها

الوزن لكانت منصوبة كلها . . وقال أبو عبيدة : إنما كان الشاعر يقول من الرجز البيتين والثلاثة ونحو ذلك ، إذا حارب أو شاتم أو فآخر ، حتى كان العجاج أول من أطلقه وقصّده ، ونسب فيه ، وذكر الديار ، واستوقف الركاب عليها ، ووصف ما فيها ، وبكى على الشباب ، ووصف الراحلة ، كما فعلت الشعراء بالقصيد فكان في الرُّجَّاز كامرئ القيس في الشعراء . . . وقال غيره : أول من طول الرجز الأغلبُ العجلى ، وهو قديم ، وزعم الجحى وغيره أنه أول من رَجَزَ ، ولا أظن ذلك صحيحاً ؛ لأنه إنما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نجد الرجز أقدم من ذلك . . . وكان أبو عبيدة يقول : افتتح الشعر بامرئ القيس ، وختم بابن هرمة ، ولم أر أنقذ من الذي قال : أشعر الناس من أنت في شعره<sup>(١)</sup> . . . وأنشد مروان بن أبي حَفْصَةَ يوماً جماعة من الشعراء ، وهو يقول في واحد بعد واحد : هذا أشعر الناس ، فلما كثر ذلك عليه قال : الناس أشعر الناس .

### ١٣ — باب في القدماء والمحدثين

لمحدث والمولد كل قديم من الشعراء فهو مُحدثٌ في زمانه بالإضافة إلى من كان قبله ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : لقد أحسن هذا المولد حتى هممتُ أن آمر صبياننا بروايته ، يعني بذلك شعر جرير والفرزدق ، فجعله مولداً بالإضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين ، وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين .

قال الأصمعي : جلست إليه ثمانى<sup>(١)</sup> حِجَجٍ فما سمعته يحتج بيت إسلامي ، ومثل عن المولدين فقال : ما كان من حسن فقد سُبِقُوا إليه ، وما كان من

(١) كذا

(٢) وفي نسخة « عشر حِجَج » .

قبيح فهو من عندهم ، ليس النمط واحدا : ترى قطعة ديباج ، وقطعة مسيح<sup>(١)</sup> « وقطعة نطع ، هذا مذهب أبي عمرو وأصحابه : كالأصمعي ، وابن الأعرابي - أعني أن كل واحد منهم يذهب في أهل عصره هذا المذهب ، ويقدم من قبلهم - وليس ذلك الشيء إلا لحاجتهم في الشعر إلى الشاهد ، وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون ، ثم صارت لاجبة .

فأما ابن قتيبة فقال : لم يقصُر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خصّ قوماً دون قوم ، بل جعل الله ذلك مشتركا مقسوماً بين عباده في كل دهر ، وجعل كل قديم حديثاً في عصره .

لولا أن  
الكلام يعاد  
لنفذ

ومما يؤيد كلام ابن قتيبة كلامُ علي رضي الله عنه « لولا أن الكلام يُعاد لنفد » فليس أحدنا أحق بالكلام من أحد ، وإنما السبق والشرف معا في المعنى على شرائط تأتي بها فيما بعد من الكتاب إن شاء الله . وقول عفتة \* هل غادر الشعراء من مُتردِّم \* يدل على أنه يعدُّ نفسه محدثاً ، قد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه ولم يغادروا له شيئاً ، وقد أتى في هذه القصيدة بما لم يسبقه إليه متقدم ، ولا نازعه إياه متأخر . وعلى هذا القياس يحمل قول أبي تمام - وكان إماماً في هذه الصناعة غير مدافع - :

يقولُ مَنْ تَرَعُ أَسْمَاءَهُ كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ

فنفق قوْلهم « ما ترك الأول للآخر شيئاً » وقال في مكان آخر فزاده بيانا وكشفاً للمراد :

فلو كان يَفْنَى الشعرُ أُنْفَاه ما قَرَّتْ حياضك منه في العصورِ الذواهبِ  
ولكنه صوبُُ العقول : إذا انجلت سحاب منه أعقبت بسحابِ

(١) المسيح : المنديل الحشن ، وكان في الأصل « مسخ » .

مثل القدماء  
والحدثين

وإما مثل القدماء والحدثين كمثل رجلين : ابتدأ هذا بقاء فأحكه وأتقنه ، ثم أتى الآخر فنقشه وزينه ، فالكلفة ظاهرة على هذا وإن حسن ، والقدرة ظاهرة على ذلك وإن خشن .

وسمعت القاضي أبا الفضل جعفر بن أحمد النحوي - وقد سئل عن ذى الرمة وأبى تمام - فأجاب بجواب يقرب معناه من هذا لم أحفظه .

وقال أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع وقد ذكر أشعار المولدين : إنما تروى لعدوبة ألفاظها ، ورقتها ، وحلاوة معانيها ، وقُرْب مأخذها ، ولو سلك المتأخرون مسلك المتقدمين في غلبة الغريب على أشعارهم ووصف المهامه والقفار ، وذكر الوحوش والحشرات - ما رويت ؛ لأن المتقدمين أولى بهذه المعاني ، ولا سيما مع زهد الناس في الأدب في هذا العصر وما قاربه ، وإنما تكتب أشعارهم لقربها من الأنفهام ، وأن الخواص في معرفتها كالعوام ، فقد صار صاحبها بمنزلة صاحب الصوت المطرب : يستميل أمة من الناس إلى استماعه وإن جهل الألحان وكسر الأوزان . . وقائل الشعر الحوشي بمنزلة المغنى الحاذق بالنغم غير المطرب الصوت : يُعرض عنه إلا مَنْ عرف فضل صنعتته ، على أنه إذا وقف على فضل صنعتته لم يصلح لمجالس اللذات ، وإنما يجعل معلماً للمطربات من القينات : يقومهن بحذقه ، ويستمتع بحلوقةن دون حلقه ، ليسلن من الخطأ في صناعتهن ، ويطربن بحسن أصواتهن .

وهذا التمثيل الذي مثله ابن وكيع من أحسن ما وقع ، إلا أن أوله من قول أبي نُوَاس :

صفة الطلل بلاغة القُدَم	فاجعل صفاتك لابنة البكرِم
لا تُخَدَعَنَّ عن التي جعلت	سقم الصحيح وصحة السقيم
تصف الطلل على السماع بها	أفدو العيان كَأنت في الحكم ؟؟
وإذا وصفت الشيء مُتَّبِعاً	لم تَخُلْ من غلط ومن وهم



ولم أر في هذا النوع أحسن من فَضْلٍ أتى به عبد الكريم بن إبراهيم فإنه  
قال : قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد فيحسن في وقت مالا يحسن في آخر ،  
ويستحسن عند أهل بلد مالا يستحسن عند أهل غيره ، ومجد الشعراء الخُذَّاق  
تقابل كل زمان بما استجيد فيه وكثر استعماله عند أهله ، بعد أن لا تخرج من  
حسن الاستواء ، وحد الاعتدال ، وجودة الصنعة ، وربما استعملت في بلد ألفاظ  
لا تستعمل كثيراً في غيره : كاستعمال أهل البصرة بعض كلام أهل فارس في  
أشعارهم ، ونوادير حكاياتهم ، قال : والذي أختاره أنا التجويد<sup>(١)</sup> والتحسين الذي  
يختاره علماء الناس بالشعر ، ويبقى غابره على الدهر ، ويبعد عن الوَحْشِي المستكره ،  
ويرتفع عن المولد<sup>(٢)</sup> المتحل ، ويتضمن المثل السائر ، والتشبيه المصيب ،  
والاستعارة الحسنة .

قال صاحب الكتاب : وأنا أرجو أن أكون باختيار هذا الفصل وإثباته  
ههنا داخلا في جملة المميزين ، إن شاء الله ؛ فليس من أتى بلفظ محصور يعرفه  
طائفة من الناس دون طائفة لا يخرج من بلده ولا يتصرف من مكانه كالذي  
لفظه سائر في كل أرض ، معروف بكل مكان ، وليس التوليد والرقعة أن يكون  
الكلام رقيقاً سَفْسَاقاً ، ولا بارداً غثاً ، كما ليست الجزالة والفصاحة أن يكون  
حُوشياً خشناً ، ولا أعرايياً<sup>(٣)</sup> جافياً ، ولكن حالٌّ بين حالين . .

ولم يتقدم امرؤ القيس والنابعة والأعشى إلا بحلاوة الكلام وطلاوته . مع  
البعد من السخف والركاكة ، على أنهم لو أغربوا لكان ذلك محمولا عنهم ؛ إذ هو  
طبع من طباعهم ، فالمولدُ المحدثُ - على هذا - إذا صح كان لصاحبه الفضل  
البين بحسن الاتباع ، ومعرفة الصواب ، مع أنه أرقُّ حَوْكاً ، وأحسن ديباجة .

(١) في الأصلين المطبوعين « التجريد » بالراء المهملة .

(٢) في نسخة « المؤلف » .

(٣) في نسخة « ولا غريباً حافياً » .

قد يصلح في  
وقت مالا يصلح  
في آخر

بهم يتقدم القديم  
والحدث ؟

## (١٤) نـ باب المشاهير من الشعراء

والشعراء أكثر من أن يحاط بهم عدداً ، ومنهم مشاهير قد طارت أسماؤهم ، وسار شعرهم ، وكثر ذكركم ، حتى غلبوا على سائر من كان في أزمانهم ، ولكل أحد منهم طائفة تفضله وتتعصب له ، وقُلَّ ما يجتمع على واحد ، إلا ما روى عن سر تقديم امرئ القيس عن النبي صلى الله عليه وسلم في امرئ القيس « أنه أشعر الشعراء وقائدهم إلى النار » يعني شعراء الجاهلية والمشركين . قال دُعْبِل بن علي الخزاعي : ولا يقود قوماً إلا أميرهم . . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعباس بن عبد المطلب رحمه الله وقد سأله عن الشعراء : امرؤ القيس سابقهم : خَسَفَ لهم عَيْنَ الشعر فافتقر عن معانٍ عورٍ أصبحَ بصر .

قال عبد الكريم : « خسف لهم » من الخسيف وهي البئر التي حفرت في حجارة فخرج منها ماء كثير ، وجمعها خُسُفٌ ، وقوله « افتقر » أي : فتح ، وهو من الفقير ، وهو فم القناة ، وقوله « عن معان عور » يعني أن امرأ القيس من اليمين ، وأن اليمين ليست لهم فصاحة نِزَارٍ ، فجعل لهم [معان] عوراً فتح منها امرؤ القيس أصبح بصر . . قال : و امرؤ القيس يمانى النسب ، نزارى الدار والمنشأ ، وفضله على رضي الله عنه بأن قال : رأيته أحسنهم نادرة ، وأسبقهم بادرة ، وأنه لم يقل لرغبة ولا رهبة .

وقد قال العلماء بالشعر : إن امرأ القيس لم يتقدم الشعراء لأنه قال ما لم يقولوا ، ولكنه سبق إلى أشياء فاستحسنها الشعراء واتبعوه فيها ؛ لأنه قيل أول من لطف المعاني ، واستوقف على الطلول ، ووصف النساء بالطباء والمها والبيض ، وشبه الخليل بالعقبان والعصى ، وفرق بين النسيب وما سواه من القصيد ، وقرب مأخذ الكلام ؛ فقيد الأوابد ، وأجاد الاستعارة والتشبيه .

روى الجحى أن سائلاً سأل الفرزدق : من أشعر الناس ؟ قال : ذو القُرُوح ، قال : حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول :

وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بَيْنَى أَبِيهِمْ      وبِالْأَشْقَيْنِ مَا كَانَ الْعِقَابُ

وأما دعبل فقدمه بقوله في وصف عقاب :

وَيُدُّهَا مِنْ هَوَاءِ الْجَوِّ طَالِبَةً      ولا كهذا الذي في الأرضِ مطلوبُ  
وهذا عنده أشعر بيت قالته العرب .

وسئل لبيد : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : الملك الضَّليل ، قيل : ثم من ؟ قال :  
الشاب القتيل ، قيل : ثم من ؟ قال : الشيخ أبو عقيل — يعنى نفسه —  
السابقين من الشعراء

وكان الحدائق يقولون : الفحول في الجاهلية ثلاثة ، وفي الإسلام ثلاثة  
متشابهون : زهير والفرزدق ، والنابعة والأخطل ، والأعشى وجريـر .  
وكان خَلْفُ الأحرى يقول : الأعشى أجمعهم . وقال أبو عمرو بن العلاء :  
مثله مثل البازى يضرب كبير الطير وصغيره . وكان أبو الخطاب الأخفش يقدمه  
جداً لا يقدم عليه أحداً .

وحكى الأصمعي عن ابن أبي طرفة : كفالك من الشعراء أربعة : زهير إذا  
رغب ، والنابعة إذا رهب ، والأعشى إذا طرب ، وعنترة إذا كلب ، وزاد قوم :  
وجريـر إذا غضب .

وقيل لكثير — أول نصيب — : مَنْ أشعر العرب ؟ فقال : امرؤ القيس إذا  
ركب ، وزهير إذا رغب ، والنابعة إذا رهب ، والأعشى إذا شرب .  
وكان أبو بكر رضى الله عنه يقدم النابغة ؛ ويقول : هو أحسنهم شعراً ،  
وأعذبهم بحراً ، وأبعدهم قعرأ .

وسئل الفرزدق مرة : مَنْ أشعر العرب ؟ فقال : بشر بن أبى خازم ؛ قيل  
له : بماذا ؟ قال بقوله :

نوى فى مَلْحَدٍ لا بد منه      كفى بالموت نأياً واغتراباً

ثم سئل جريـر فقال : بشر بن أبى خازم ، قال : بماذا ؟ قال : بقوله :

رهين بلى ، وكل فتى سَيَبْلَى      فَشَقَّ الجيب وانتحى انتحاباً

فاتفقا على بشر بن أبي خازم كما ترى .

والمعلقات  
وأصحابها وقال محمد بن أبي الخطاب في كتابه الموسوم بجمهرة أشعار العرب : إن أبا عبيدة قال : أصحاب السبع التي تسمى السمط : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابعة ، والأعشى ، وليبد ، وعمرو بن كلثوم ، وطرفة . قال : وقال المفضل : مَنْ زعم أن في السبع التي تسمى السمط لأحد غير هؤلاء فقد أبطل . . فأسقط من أصحاب المعلقة عنقرة ، والحارث بن حِمْزَة ، وأثبت الأعشى ، والنابعة .

وكانت المعلقة تسمى المذهبات ، وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القبايط بماء الذهب وعُلِّقت على السكبة ؛ فلذلك يقال : مذهبة فلان ، إذا كانت أجود شعره ، ذكر ذلك غير واحد من العلماء ، وقيل : بل كان الملك إذا استجيدت قصيدة الشاعر يقول : علقوا لنا هذه ، لتسكون في خزائنه .

جربير يتحدث  
عن أشعر  
الناس وقال الجعفي في كتابه : سأل عكرمة بن جرير أبا جريراً : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : أغن الجاهلية تسألني أم الإسلام ؟ قال : ما أردت إلا الإسلام فإذا ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها ، قال : زهير شاعرهم ، قال : قلت : فالإسلام ؟ قال : الفرزدق نبعة الشعر في يده ، قلت : فالأخطل ؟ قال : يحيد مدح الملوك ويصيب صفة الخمر ، قلت : فما تركت لنفسك ؟ قال : دعني فإني نحررت الشعر نحرًا

وقتيبة ابن مسلم وكتب الجعاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم يسأله عن أشعر الشعراء في الجاهلية وأشعر شعراء وقته ، فقال : أشعر شعراء الجاهلية امرؤ القيس ، وأضر بهم مثلاً طرفة ، وأما شعراء الوقت فالفرزدق أفرهم ، وجريير أهجاءهم ، والأخطل أوصفهم .

والخطيئة وأما الخطيئة فسئل عن أشعر الناس ، فقال : أبو دؤاد حيث يقول :

لا أعدُّ الإفتارَ عُدْمًا ، ولكن فقدُ مَنْ قد رُزئتُه الإعدام

وهو وإن كان فخلاً قديماً وكان امرؤ القيس يتوكل عليه ويروى شعره فلم يقل فيه أحد من النقاد مقالة الخطيئة .

وسأله ابن عباس مرة أخرى ، فقال : الذى يقول<sup>(١)</sup> :  
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ، ومن لا يتق الشتم يشتم  
وليس الذى يقول<sup>(١)</sup> :

ولست بمستبق أخاً لا تله على شعث ، أى الرجال الملهذب ؟  
بدونه ، ولكن الضراعة أفسدته كما أفسدت جرّولا ، والله لولا الجشع  
لكنت أشعر الماضين ، وأما الباقون فلا شك أنى أشعرهم ، قال ابن عباس :  
كذلك أنت يا أبا مليكة

وزعم ابن أبى الخطاب أن أبا عمرو كان يقول : أشعر الناس أربعة :  
امرؤ القيس ، والنابعة ، وطرفة ، ومهل . قال : وقال الفضل : مثل الفرزدق  
فقال : امرؤ القيس أشعر الناس ، وقال جرير : النابعة أشعر الناس ، وقال  
الأخطل : الأعشى أشعر الناس ، وقال ابن أحر : زهير أشعر الناس ، وقال  
ذو الرمة : ليبد أشعر الناس ، وقال الكهيت : عمرو بن كلثوم أشعر الناس ، وهذا  
يدلك على اختلاف الأهواء ، وقلة الاتفاق .

وكان ابن أبى إسحاق - وهو عالم ، ناقد ، ومتقدم مشهور - يقول : أشعر  
الجاهلية مرقش ، وأشعر الإسلاميين كثير ، وهذا غلو مفرط ، غير أنهم مجمعون  
على أنه أول من أطال المدح .

وسأل عبد الملك بن مروان الأخطل : من أشعر الناس ؟ فقال : العبد  
العجلاني ، يعنى تميم بن [ أبى بن ] مقبل ، قال : بيم ذاك ؟ قال : وجدته فى  
بطحاء الشعر والشعراء على الحرفين ، قال : أعرف ذلك له كرهاً .

وقيل لنصيب مرة : من أشعر العرب ؟ فقال : أخو تميم ، يعنى علقمة بن

(١) قائل البيت الأول زهير بن أبى سلمى ، وقائل الثانى هو النابعة الديباني .

عبدة ، وقيل : أوس بن حجر ، وليس لأحد من الشعراء بعد امرئ القيس ما لزهرير والناطقة والأعشى في النفوس .

والذى أتت به الرواية عن يونس بن حبيب النحوى أن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس ، وأن أهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى ، وأن أهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيراً والناطقة ، وكان أهل العالية لا يعدلون بالناطقة أحداً ، كما أن أهل الحجاز لا يعدلون بزهير أحداً .

روى ابن سلام يرفعه عن عبد الله بن عباس أنه قال : قال لى عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أنشدنى لأشعر شعرائكم ، قلت : مَنْ هو يا أمير المؤمنين؟ قال : زهير ، قلت : ولم كان كذلك ؟ قال : كان لا يُعَاظَلُ بين الكلام ، ولا يتتبع حُوشِيهِ ، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه ، ثم قال ابن سلام على عقب هذا الكلام : قال أهل النظر : كان زهير أحصَفَهم شعراً ، وأبعدهم من سخف ، وأجمعهم لكثير من المعانى فى قليل من المنطق ، وأشدهم مبالغة فى المدح .

قال صاحب الكتاب : وإذا قوبل آخر كلام عمر بآخر هذا الكلام تناقض قول المؤلف — أعنى ابن سلام — لأن عمر إنما وصَفَه بالحدق فى صناعته ، والصدق فى مَنْطِقِهِ ؛ لأنه لا يحسن فى صناعة الشعر أن يعطى الرجل فوق حقه من المدح ؛ لئلا يخرج الأمر إلى التنقص والإزراء ، كما أخذ ذلك على أبى الطيب وغيره آنفاً ، وقد فسد الوقت ، ومات أربابُ الصناعة ، فساظنك والناس ناس والزمان زمان ؟ وسيرد عليك فى مكانه من هذا الكتاب إن شاء الله ، وقد استحسَنَ عمر الصدق لذاته ، ولما فيه من مكارم الأخلاق ، والمبالغةُ بخلاف ما وصف ، ويشهد لقول<sup>(١)</sup> عمر رضى الله عنه فى زهير أنه

(١) فى المطبوعتين « ويشد قول » وهو كما ترى .

لا يمدح الرجل إلا بما فيه استحساناً لصدقه ما جاء به الأثر أن رجلاً قال لزهير :  
إني سمعتك تقول لهم :

ولأنت أشجع من أسامة إذ دُعيت نزالٍ ولج في الذعر

. وأنت لا تكذب في شعرك ، فكيف جعلته أشجع من الأسد ؟ فقال :  
إني رأيته فتح مدينة وحده ، وما رأيته أسداً فتحها قط !! فقد خرج لنفسه طريقاً  
إلى الصدق ، وبعداً عن المبالغة .. والذي أعرف أنا أن البيت المتقدم ذكره لأوس  
ابن حجر ، والحكاية عنه ، ومثلها عن عمران بن حِطَّان الخارجي لما سأله امرأته  
كيف قلت :

فهناك بجزاة بن ثورٍ كان أشجع من أسامة

وصدر بيت زهير بن أبي سلمى :

ولنعم حشوا الدرع أنت إذا دعيت نزالٍ ولج في الذعر  
إلا أن تكون الأخرى رواية فلا أبعدها ؛ لأن زهيراً كان يتوكأ على أوس  
في كثير من شعره ، وهي رواية الجحى لا أظن غير ذلك ، فأما بيت زهير في  
هذا المعنى فهو :

ولأنت أشجع حين تتجه السابطال من ليث أبي أجر<sup>(١)</sup>

وأما النابغة فقال من يحتاج له : كان أحسنهم ديباجة شعر ، وأكثرم  
روئق كلام ، وأذهبهم في فنون الشعر ، وأكثرم طويلة جيدة ، ومدحاً ، وهجاء ،  
وفخراً ، وصفة .

وقال بعض متقدمي العلماء : الأعشى أشعر الأربعة ، قيل له : فأين الخبير

---

(١) الليث : الأسد ، والأجرى : جمع جرو - بفتح فسكون - وأصله أجرو -  
بضم الراء - فقلبت الضمة كسرة لتقلب الواوياء ، ومثله دلو وأدل .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأ القيس بيده لواء الشعراء ؟ فقال : بهذا الخبر صح للأعشى ما قلت ، وذلك أنه ما من حامل لواء إلا على رأس أمير ، فأمرؤ القيس حامل اللواء ، والأعشى الأمير .

وقالت طائفة من المتعقبين : الشعراء ثلاثة : جاهلي ، وإسلامي ، ومولدي ؛ فالجاهلي امرؤ القيس ، والإسلامي ذو الرمة ، والمولدي ابن المعتز . وهذا قول من يفضل البديع [ و ] بخاصة التشبيه<sup>(١)</sup> على جميع فنون الشعر .

وطائفة أخرى تقول : بل الثلاثة الأعشى والأخطل وأبو نؤاس . وهذا مذهب أصحاب الخمر وما ناسبها ، ومن يقول بالتصرف وقلة التكلف .

وقال قوم : بل الثلاثة مهلهل وابن أبي ربيعة وعباس بن الأحنف ، وهذا قول من يؤثر الأنفة ، وسهولة الكلام ، والقدرة على الصنعة والتجويد في فن واحد ، ولولا ذلك لكان شيخ الطبع أبو العتاهية مكان عباس . لكن أبا العتاهية تصرف .

وليس في المولدين أشهر اسما من الحسن أبي نؤاس ، ثم حبيب والبحترى ، ويقال : إنهما أخلا في زمانهما خمسمائة شاعر كلهم مجيد ، ثم يتبعهما في الاشتهار ابن الرومي وابن المعتز ، فطار اسم ابن المعتز حتى صار كالحسن في المولدين وامرئ القيس في القدماء ؛ فإن هؤلاء الثلاثة لا يكاد يجيئهم أحد من الناس ، ثم جاء المتنبي فلأ الدنيا وشغل الناس .

والاشتهار بالشعر أقسام وحدود ، ولولا ذلك لم يكن نصر بن أحمد الخبزري أشهر من منصور المروئي وكلثوم العتابي وأبي يعقوب الخريزي وأبي سعيد الخزومي . وفوق هؤلاء كلهم طبقة في السن أشهرهم وأشعرهم بشار بن برد ، وليس يفضل على الحسن مولد سواه ، وكذا روى الجاحظ وغيره من العلماء . . ومن

(١) خص التشبيه بالذكر لأن ابن المعتز كان ذا فوق فيه .



طبقة بشار مروان بن أبي حَفْصَة ، وأبو دلامة زبد بن الجون<sup>(١)</sup> الأعرابي ، وقيل : زبد ، بالباء معجمة بواحدة سا كنة ومتحركة حكاها المرزباني ، والسيد الحميري ، وسَمَّ الخاسر ، وأبو العتاهية ، وجاعة يطول بهم الشرح ليس فيهم مثله .  
ومن طبقة أبي نُوَاس العباس بن الأحنف ، ومسلم بن الوليد صريع الغواني ، والفضل الرقاشي ، وأَبَانُ الاحق ، وأبو الشَّيْص ، والحسين بن الضحاك الخليل ، ودِعْبِل ، ونظراء هؤلاء ساقهم دِعْبِل ليس فيهم نظير أبي نواس .  
وأما طبقة حبيب والبحترى وابن المعتز وابن الرومي فطبقة متداركة قد تلاحقوا ، وغطوا على من سواهم ، حتى نسي معهم بقية من أدرك أبا نواس كابن المعتزل ، وهو من فحول المحدثين وصدورهم المكدودين ، غَمَرَه حبيب ذكراً واشتهاراً ، وكأبي هفان أيضاً ، أدرك أبا نواس ، ولحق البحترى فستره ، وكذلك الجواز ، وللاجاز يقول أبو نواس :

أَسْقَى يَابْنَ أَذِينَ مِنْ سَلَفِ الزَّرْجُونِ

وديك الجن ، وهو شاعر الشام ، لم يذكر مع أبي تمام إلا مجازاً ، وهو أقدم منه ، وقد كان أبو تمام أخذ عنه أمثلةً من شعره يحتذى عليها فسرقتها ، ودِعْبِل ما أصاب مع أبي تمام طريقاً على تقدمه في السن والشهرة ، ولم يذكر من أصحاب ابن الرومي وابن المعتز إلا من ذكر بسببهما في مكاتبة أو مناقضة ، وأما أبو الطيب فلم يذكر معه شاعر إلا أبو فراس وحده ، ولولا مكانه من السلطان لأخفاه ، وكان الصنوبري والخبزري مقدمين عليه للسن ، ثم شقطا عنه ، على أن الصنوبري يسمى حبيباً الأصغر لجودة شعره ، ولقيه مرة بالمصيصة - أو غيرها - فقال له يهزأ به : أنت صاحب بغادين ؟ يريد قصيدته :

شربنا في بغادين على تلك الميادين

(١) في جميع الأصول « زبد » بالباء المشاة من تحت ، وهو خطأ .

لما فيها من الجوف والخلاعة ، فقال له الصنوبري : أنت صاحبُ الطرطبة ؟  
يريد قصيدته :

ما أنصف القوم ضبّه وأمه الطرططبه

لما فيها من الركاكه ، ولكل كلام وجه وتأويل ، ومن التمس عيباً وجده ،  
وقيل : بل قال له : أنت صاحب جاخا ؟ قال : نعم ، قال : أنت شاعر بلدك ،  
يريد قوله في صفة الوعل :

ذاك أم أعصم كأن مذرّياه حين عاجا على القذالين جاخا<sup>(١)</sup>

#### ١٥ — باب المقلين من الشعراء ، والمغلبين

ولما كان المشاهير من الشعراء — كما قدمت — أكثر من أن يُحصوا ذكرت  
من المقلين وأصحاب الواحدة من وسع ذكره في هذا الموضع ، ونهت على بعض  
المغلبين منهم ؛ لما تدعو إليه حاجة التأليف ، وتمتضيه عادة التصنيف ، غير مُقرّط-  
ولا مُقرط ، إن شاء الله .

فمن المقلين في الشعر : طرفة بن العبد ، وعبيد بن الأبرص ، وعلقة بن  
عبدّة الفحل ، وعدي بن زيد ، وطرفة أفضل الناس وأحدّة عند العلماء ،  
وهي المعلقة :

ذكر جماعة  
من المقلين

\* نخله أطلال بركة سهد \*

وله سواها يسير ؛ لأنه قتل صغيراً حول العشرين فيما روى ، وأصح ما في ذلك  
قول أخته ترثيه :

عدّنا له ستاً وعشرين حجة<sup>(٢)</sup> فلما توقاها استوى سيداً ضحفاً

(١) يقال « جابخ السيل الوادي » أي : اقتلع أجرافه .

(٢) الذي في ديوان الحرّيق أخت طرفة \* عددنا له خمساً وعشرين حجة \*

فجئنا به لما رجونا إياه على خير حال لا وليداً ولا قحماً  
أنشده المبرد ، والقحّم : المتناهى في السن . وعبيد بن الأبرص قليل الشعر في  
أيدي الناس على قدم ذكره ، وعظم شهرته ، وطول عمره ، ويقال : إنه عاش  
ثلاثمائة سنة ، وكذلك أبو دؤاد ، وعبيد الذي أجاب امرأ القيس عن قوله حين  
قتلت بنو أسد أباه حُجراً :

وأفْلَتَهُنَّ عِلْبَاءُ جَرِيضاً ولو أدركته صفر الوطاب<sup>(١)</sup>

فقال له عبيد وقرعه بقسم من شعره :

فلو أدركت علباء بن قيس قنعت من الغنيمة بالإياب

لأن امرأ القيس قد كان قال :

وقد طَوَّفتُ في الآفاقِ حتى رَضِيتُ من الغنيمة بالإياب

وقتل عبيداً النعمان<sup>(٢)</sup> بن المنذر يوم بؤسه ، وقيل : عمرو بن هند . وعلقمة  
ابن عبدة حاكم امرأ القيس في شعره إلى امرأته ، فحكمت عليه لعلقمة ، فطلقها ،  
وتزوجها علقمة فسمى الفعل لذلك ، وقيل : بل كان في قومه آخر يسمى علقمة  
انلخصي<sup>(٣)</sup> من ربيعة الجوع .

ولعلقمة الفعل ثلاث قصائد مشهورات إحداهن :

\* ذَهَبَتْ من الهجران في كل مذهب \*

ويروى \* في غير مذهب \* وفي هذه القصيدة وقع الحكم له على امرئ القيس ،

والثانية قوله :

(١) أفْلَتَهُنَّ : فاتهن ، وعلباء : هو ابن الحارث الكاهلي أحد قتلة حجر أبي  
امرئ القيس ، وجريضا - بالجيم الموحدة - هو الغاص بريقه ، وصفر الوطاب :  
كناية عن انتهاء الأمر وخلو النفس من الحقد (٢) لا ، بل المنذر بن ماء السماء  
كما سبق ذكره .

(٣) واسم علقمة الآخر : علقمة بن سهل .

\* طَحَا بِكَ قَلْبُ فِي الْحَسَانِ طَرُوبُ \*

والثالثة قوله :

\* هَلْ مَا عَلِمْتَ وَمَا اسْتُودِعْتَ مَكْتُومُ \*

وأما عدى بن زيد فلقربه من الرّيفِ وسكنائه الحيرة في حيز النعمان بن المنذر لَأَنْتَ أَلْفَاظُهُ فُحْمٌ عَلَيْهِ كَثِيرٌ ، وإلا فهو مقل ، ومشهوراته أربع : قوله :

\* أَرْوَاحُ مُوَدَّعٍ أَمْ بَكُورُ ؟ \*

وقوله :

\* أَتَعْرِفُ رَسْمَ الدَّارِ مِنْ أُمِّ مُعْبِدٍ ؟ \*

وقوله :

\* لَيْسَ شَيْءٌ عَلَى النَّوْنِ بَبَاقٍ \* (١)

وقوله :

لَمْ أَرِ مِثْلَ الْفَتَيَانِ فِي غَيْرِ السَّأْيَامِ يَنْسَوْنَ مَا عَوَاقِبَهَا

وقال بعض العلماء - أحسبه أبا عمرو - : وعدى في الشعراء مثل سَهْلٍ فِي النُّجُومِ : يَمَارِضُهَا وَلَا يَجْرِي مَعَهَا . هُؤُلَاءِ أَشْعَارُهُمْ كَثِيرَةٌ فِي ذَاتِهَا ، قَلِيلَةٌ فِي أَيْدِي النَّاسِ ، ذَهَبَتْ بِذَهَابِ الرِّوَاةِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَهَا .

ومن المقلين المحكمين سلامة بن جندل ، وحصين بن الحمام المري ، والمتلمس ، والمسيب بن علس : كل أشعارهم قليل في ذاته جيد الجملة .

---

(١) في المطبوعتين « من النون بباقي » وهو واضح الخطأ ، والتصويب عن عدة كتب ، وتعام البيت :

\* غَيْرِ وَجْهِ الْمَسِيحِ الْخَلَّاقِ \*

ويروى عن أبي عبيدة أنه قال : اتفقوا على أن أشعر المقلين في الجاهلية ثلاثة :  
المتلمس ، والمسيب بن علس ، وحُصَيْن بن الحُجَّام المري ، وأما أصحاب الواحدة  
فَطَرَفَةُ أولهم عند الجمحي ، وهو الحكم الصواب .

ومنهم عنقرة ، والحارث بن حِزَّاة ، وعمرو بن كلثوم ، من أصحاب المعلقات  
المشهورات ، وعمرو بن معدى كرب ، صاحب :

\* أَمِنْ رَيْحَانَةَ الداعى السميعُ \*

والأسعر<sup>(١)</sup> بن أبي حمران الجعفي صاحب المقصورة :

\* هل بان قلبك من سليمى فاشتفى ؟ \*

وسُوَيْد<sup>(٢)</sup> بن أبي كاهل ، صاحب :

\* بَسَطْتُ رَابِعَةَ الحبلِ لَنَا \*

والأسود بن يَفْعَر ، صاحب :

\* نام الخليلُ فما أحسُّ رقادى \*

وله شعر كثير ، إلا أنه لا ينتهى إلى قصيدته هذه .

وكان امرؤ القيس مُقِلًّا ، كثير المعانى والتصرف ، لا يصح له إلا نيف  
وعشرون شعراً بين طويل وقطعة ، ولا ترى شاعراً يكاد يُقَاتُ من حبائله ،  
وهذه زيادة في فضله وتقديره .

(١) كان في الأصول « الأشعر بن حمدان » وهو خطأ من ثلاثة أوجه :  
الأول أنه « الأسعر » بالسين مهملة ، والثانى أن اسم أبيه « أبو حمران » بتقديم  
الأب والراء مهملة ، والتصويب عن القاموس وشرحه ، والأسعر لقبه ، واسمه  
مرثد ، وإنما لقب بذلك لقوله :

فلاندعى الأقوام من آل مالك إذا أنا لم أسعر عليهم وأثقب

(٢) في الأصول « وسهيل » وهو واضح الخطأ .

معنى المقلب في الشعراء قال امرؤ القيس :  
وأما المقلبون فمنهم نابغة بنى جَعْدَةَ ، ومعنى المقلب : الذى لا يزال مغلوباً .

فإنَّكَ لم يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَغَاخِرٍ ضَعِيف ، ولم يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغْلَبٍ  
يعنى أنه إذا قدر لم يُبْقَ ، فإذا قالوا : غَلَبَ فلان فهو الغالب . وقد غلب على  
النابغة الجعدى الجعدى أوسُ بن مَعْرَاءَ القرىعى ، وَغُلِبَتْ عليه ليلى الأخيلية ، قال <sup>(١)</sup> الجحى :  
وقد غلب عليه مَنْ لم يكن إليه فى الشعر ولا قريباً منه : عقاب بن خويلد <sup>(٢)</sup> العقيل  
وكان مفحماً بكلام لا بشر ، وهجاء سوار بن أوفى القشبرى ، وهجاء وفاخره <sup>(٣)</sup>  
الأخطل ، وله يقول عُبيد بن حُصَيْن الراعى يتوعده :

فإنى زعيمٌ أن أقولَ قصيدةً مينةً كالنقب بين المخارم  
خفيفةً أمجازٍ المطى ، ثقيلةً على قربها ، نزالةً بالمواسم  
وقد علم الكافة ما صنع جرير بالأخطل والراعى جميعاً ، وقيل : إن موت  
الجعدى كان بسبب ليلى الأخيلية : فر من بين يديها فمات فى الطريق مسافراً ،  
والأصح أنها هى التى ماتت فى طلبه . قال الجحى : كان النابغة الجعدى أقدم  
من الذبياني ؛ لأنه أدرك المنذر بن مُحَرَّق ، ويشهد بذلك قوله :

تذكرتُ والذكرى تهيج على الفتى ومن عادةِ الحزونِ أن يتذكر  
ندامى عند المنذرِ بن محرق فأصبحَ منهم ظاهراً الأرضِ مقفراً  
والذبياني إنما أدرك النعمان ، وقال غيره : إن النابغة الذبياني شفع عند

(١) انظر طبقات الشعراء (ص ٤٤ )

(٢) فى الطبقات « بن خالد »

(٣) فى الطبقات : « وهجاء سوار بن أوفى القشبرى وفاخره ، وهجاء الأخطل  
بأخرة » ، ولعل ما فى الأصل محرف عن ذلك .

الحارث بن أبي شمر الغساني حين قتل المنذر في أسارى بنى أسد فشغفه ، وإياه  
على علقمة بن عبدة بقوله :

وفي كل حيٍّ قد خَبَطَتْ بنعمة لُحَى لشاسٍ من نَدَاكَ ذَنُوبُ  
قال الجحى : وكان الجعدى مختلف الشعر ، سئل عنه الفرزدق فقال : مثله  
مثل صاحب الخُلُقَان : ترى عنده ثوب عصب ، وثوب خز ، وإلى جنبه شملة<sup>(١)</sup>  
كساء . وكان الأصمعي يمدحه بهذا ، وينسبه إلى قلة التكلف ، فيقول : عنده  
خار بَوَافٍ ، ومُطَرَفٌ بآلاف - بواف : يعنى بدرهم وثلاث .

ومن المغلبين الزبرقان ، غلبه عمرو بن الأهتم ، وغلبه الخبل السعدى ، وغلبه  
الخطيئة ، وقد أجاب الاثنين ولم يجب الخطيئة .  
من المغلبين  
الزبرقان بن  
بدر

وقال يونس بن حبيب : كان البعيث مغلباً في الشعر ، غلاباً في الخطب .  
ومنهم تميم بن أبي [ بن ] مقبل : هجاء النجاشي فقهره وغلب عليه ، حتى  
استعدى قومه عمرو بن الخطاب رضى الله عنه ، ولم يكن من أشكاله في الشعر  
فيقرن به ، وهاجى النجاشي عبد الرحمن بن حسان فغلبه عبد الرحمن وأخفه .

وحدثنا أبو عبد الله محمد بن جعفر ، قال : هجا الأعور بن براء بنى كعب ،  
ومدح قومه بنى كلاب ، فأتى بنو كعب تميم بن أبي [ بن ] مقبل ينتصرون  
عليه به ، فقال : لا أهجوهم ، ولكنى أقول فارووا فقد جاءكم الشعر ، وقال :  
ولست وإن شاحنتُ بعضَ عشيرتى لأذكرَ ما الكهلُ الكلابيُّ . ذاكرُ  
فكم لى من أمٍ لعبتُ بشديها كلابيةً عادتُ عليها الأواصرُ  
فأتى الأعور بن براء بنو كعب فعنفوه ورجعوا عليه ، فقال :

ولستُ بشاتمٍ كعباً ، ولكن على كعبٍ وشاعرها السلامُ

(١) في الطبقات « سمل كساء » .

ولستُ ببائعٍ قوماً بقومٍ هم الأنفُ المقدمُ والسنامُ  
وكائنٌ في المعاصر من قبيل أخوهم فوقهم وهم كرام  
فنسألنا ، وكان سبب ذلك إغضاء ابن مقبل وإعطاؤه لَمَقَادَة هرباً من  
الهجاء ، وقوم يرون ذلك منه أنفة .

ومن مغلي المولدين - على جلالته ، وتقدمه - بشار بن برد ، فإن حماد بن محمد  
المولدين جماعة من مغلي  
... وليس من رجاله ، ولا أكفائه - هجاء فأبكاه ، ومثل به أشد تمثيل .

وعلى بن الجهم : هاجى أبا السَّمْطِ مروان بن أبي الجنوب فغلبه مروان ،  
وهاجاه البحتري فغلب عليه أيضاً ، على أن علياً أفزع منه لساناً ، وأسبق إلى  
ما يريد من ذلك ، وأقدم سناً .

ومنهم حبيب : هاجى السراج وعتبة<sup>(١)</sup> فما أتى بشيء ، وهجاه ابن المعتز  
حين أراد وجهته فقال : أما هذا فقد كفى ناحيته ، ولم يقدم عليه ، على أن حبيباً  
أطول منه ذكراً وأبعد صوتاً في الشعر ، والذي قال له :

أنتَ بين اثنتين ، تبرز للناس لكتلتهما بوجه مذل  
لستَ تنفكُ طالباً لوصال من حبيب أو راغباً في نوال  
أى ماءٍ لحرّ وجهك يبقى بين ذلّ الهوى وذلّ السؤال ؟

ورأيت في شعر ابن المعتز في رواية المبرد أن عبد الصمد اجتمع بحبيب عند  
بعض بنى هاشم ، فكتب في رقعة هذه الأبيات المذكورة وألقاها إليه ، وهاجى  
دعبلاً فاستطال عليه دعبل أيضاً .

(١) كان أبو تمام يهجو عبد الله السكاتب ، وعتبة بن أبي عاضم ، ومقران  
المباركي ، وعياش بن طهية ، وأبا المغيث موسى بن إبراهيم الراققي ، ويوسف  
السراج .



١٦- باب من رغب من الشعراء عن ملاحاة غير الأكفاء ١٠٩

(١٦) - باب من رغب من الشعراء عن ملاحاة غير الأكفاء

منهم الزُّبْرَقَانُ بن بدر : لما هجاه المخَبِّلُ السَّعْدِيُّ جاوبه بعتاب ؛ لأنه  
 رأى أهلاً لذلك من أجل شرف بيته وجلالته في نفسه ، فلما هجاه الخطيئة لم يره  
 مكاثراً للجواب ، على أنه ابن عمه وجاره في النسب لأنهما جميعاً من مضر ، بل  
 استعدي عليه عمر رضى الله عنه فأنصفه .

وسُحَيْم بن وثيل يقول للأحوص والأبيرد بن<sup>(١)</sup> المَعْدَرِ - وهما شاعران سحيم بن وثيل  
 مفلقان ، وقال عبد الكريم : الأبيرد ابن أخى الأحوص :  
 عَذَرْتُ الْبُزْلَ إِن هِيَ خَاطَرَتْ نِيَّ فَمَا بَالِي وَبَالُ ابْنَيْ ، لَبُونِ !  
 فأنت ترى هذا الاحتقار .

ومثل هذا - وإن لم يكن من هذا الباب بحثاً - قولُ الفرزدق لعمر بن لجأ  
 لما أعانه الفرزدق على جرير بشعر ، وفطن له جرير ، فدهش عمر ولم يجد جواباً ،  
 فقال الفرزدق حين بلغه ذلك يستضعفه ويستوهن عز

وما أنتَ إِنْ قَرُمَا تَمِيمَ تَسَامِيَا أَخَا الْيَتَمِ إِلَّا كَالْوَشِيظَةِ فِي الْعِظَمِ  
 فَلَوْ كُنْتُمْ مَوْلَى الْعَزِّ أَوْ فِي طَلَابِهِ ظَلَمْتَ وَلَكِنْ لَا بَدَى لَكَ بِالظَّمِ  
 والفرزدق قال فيه الطرماح من شعر هجاء فيه بيوت بني سعد<sup>(٢)</sup> :  
 واسأل فقيرة بالمرآت هل شهدت شواطئ الخطيئة بين الكسر والنصد  
 أو كانت في غالب شعر فيشبهه شِعْرُ ابْنِهِ فَيُنَالُ الشَّعْرَ مِنْ صَدَدِ  
 جاءت به نطفة من شرِّ ماءٍ صرى سقيقت إلى شر واد شق في بلد

(١) في المطبوعتين « ابني المعذر » وهو واضح الخطأ ؛ فإن الأحوص هو  
 أبو محمد الأحوص بن عبد الله بن ثابت بن أبي الأفلح ، من بني ضبيعة بن زيد  
 ثم من الأوس . والأبيرد : هو الأبيرد بن المعذر بن عبد قيس الرياحي ، من  
 رياح بن يربوع ، ويظهر أن المؤلف يقصد إلى ما اعتبرناه خطأ ولكنه بحيث ترى  
 (٢) في التونسية : « بيوت معد »

فقال الفرزدق يتهاون بأمره ويستحقره :

إن الطرماح يهيجوني لأرفعهُ أيها أهيات عيلت دونه القضب

« عيلت دونه القضب » أى : رفعت عنه القصائد ، من قولهم : عالت

الفريضة ، أى : ارتفعت ، والقضب : القصيدة لأنها تفتضب .

وجرير وهجاه بشار بن برد بأشعار كثيرة فلم يجبه ، قال بشار : ولم أهجه

لأغلبه ، ولكن ليحجيني فأكون من طبقته ، ولو هجاني لكنت أشعر الناس .

وبشار وحماة وهجاهما عجرد بشاراً ، فلم يجبه أنفة واحتقاراً ، إلى أن قال فيه :

له مقلّة عمياء واستبصيرةٌ إلى الأبر ، من تحت الثياب تُشيرُ

على وده أن الحـمـير تنيكه وأن جميع العالمين حميرُ

فغضب وهجاه . قال الجاحظ : ما كان ينبغي لبشار أن يضاد حماد عجرد

من جهة الشعر ؛ لأن حماداً في الحضيض وبشاراً في العيوق ، وليس مولد قروى

يعدله شعر في الحدث إلا وبشار أشعر منه ، ولا نعلم مولداً بعد بشار أشعر من أبي نواس .

وهجا ابن الرومي البحتري ، وابن الرومي من علمت ، فأهدى إليه تحت متاع

وكيس دراهم ، وكتب إليه ليريه أن الهدية ليست تقيّةً منه ، ولكن رقة علميه ،

وأنه لم يحمله على ما فعل إلا الفقر والحسد المفرط :

شاعرٌ لا أهابه نَبَحَتْنِي كلابه

إنَّ مَنْ لا أعزّه لَعَزِيزٌ جوابه

وأبو تمام : هجاه دعبل وغيره من الأكفاء فجاوبهم ، وابتدأ بعضهم ، ولم

يلتفت إلى مخلد بن بكار الموصلي حين قال فيه ( وكانت في حبيب حبسة شديدة

إذا تكلم ) :

أبو تمام  
ومخلد بن بكار

## ١٦- باب من رغب من الشعراء عن ملاحاة غير الأكفاء ١١١

يا نبي الله في الشعر ويا عيسى بن مريم  
أنت من أشعر خلق الله مالم تتكلم  
وقال فيه أشعاراً كثيرة منها :

أنظر إليه وإلى خبئه كيف تطايا وهو منشور  
ويحك من دلائك في نسبة قلبك منها الدهر مذخور  
إن ذكرت طاء على فرسخ أظلم في ناظرك النور  
بل رآه دون المهاجرة والجواب ، ولو هجاه لشرفت حاله ونبه<sup>(١)</sup> ذكره .

وكذلك فعل المتنبي حين بلى بمحافات ابن حجاج البغدادي : سكت عنه  
أطراحاً واحتقاراً ، ولو أجابه لما كان بحيث هو من الأنفة والكبر ؛ لأنه ليس  
من أنداده ، ولا من طبقته .

ولما وصل أبو القاسم بن هانيء إلى إفريقية هجاه الشعراء ، فقال : لا أجيب  
منهم أحداً إلا أن يهجووني على التونسي فإني أجيبه ، فلما بلغ قوله علياً قال :  
أما إني لو كنت ألام الناس ما هجوته بعد أن شرفني على أصحابي وجعلني من  
بينهم كفتاً له .

ومن الشعراء من يتزياً بالكبر ، ويظهر الأنفة في الجواب عن هجاه من  
هو مثله أو فوقه خوفاً من الزرابة على نفسه ، كما وقع من جماعة أعرفهم من أهل  
عصرنا ، وهم يتسرعون إلى أعراض السوق والباعة ، ويستفحلون على الصبيان  
ومن ليس من أهل الصناعة ، ولو كانت لهم أنفة - كما يزعمون - إلا عن  
الأكفاء لكانوا عن لا يحسن شيئاً بالجملة ولا يُعدُّ في الخاصة أشدّ تنزهاً .

ومنهم من لا يهجو كفتاً ولا غيره ؛ لما في الهجو من سوء الأثر ، وقبح  
من الشعراء  
من لا يهجو

(١) في الصريتين والتونسية « وانتبه ذكره »

السمعة : كالذى يحكى عن العجاج أنه قيل له : لم لا تهجو ؟ فقال : ولم أهجو ؟  
 إن لنا أحسابا تمنعنا من أن نُظلمَ ، وأحلاما تمنعنا من أن نُظلمَ ، وهل رأيتم  
 بانيك لا يحسن أن يَهْدِمَ ؟ ثم قال : أتعملون أنى أحسن أن أمدح ؟ قالوا : نعم ،  
 قال : أفلا أحسن أن أجعل مكان « أصلحك الله » « قبحك الله » ومكان  
 « حيأك الله » « أخراك الله » . وقد رد ابن قتيبة هذا القول على العجاج بأن  
 الهجاء أيضاً بناء ، وليس كل بانٍ لضرب بانيك لغيره . وردده الجاحظ بأن من  
 الشعراء من لا يبيد فناً من الشعر ، وإن أجاد فناً غيره ، كما يوجد ذلك في  
 كل صناعة . ومعنى الجاحظ وابن قتيبة واحد ، وإن اختلف اللفظان ،  
 والصواب ما قالوا إلا أن يُعرف من الشاعر أنفٌ عن قدرة لا تدفع ، وبعد تجربة  
 لا تُستراب ، فحينئذ . وسئل نصيب عن مثل ذلك فقال : إنما الناس أحد ثلاثة :  
 رجل لم أعرض لسؤاله فنا وجه ذمه ، ورجل سأله فأعطاني فالدح أولى به من  
 الهجاء ، ورجل سأله فخرمى فأنا بالهجاء أولى منه ، وهذا كلام عاقل منصف ،  
 لو أخذ به الشعراء أنفسهم لاستراحوا واستراح الناس .

وقد كان في زماننا من انتحل هذا المذهب ، وهو أبو محمد عبد الكريم  
 ابن إبراهيم ، لم يهَجُ أحداً قط . ومن أناشيده في كتابه المشهور ، لغيره<sup>(١)</sup>  
 من الشعراء :

ولستُ بهاجٍ في القَرَى أهلَ منزلٍ      على زَادِهِمُ أبكى وَأُبكى البواكيا  
 فإما كرامٌ مُوسِرُونَ أُنيتهم      فحسبى مِنْ ذُو عِنْدِهِمَ ما كَفَانيا  
 وإما كرامٌ معسرونَ عذرتهم      وإما لثامٌ فَادَّخَرْتُ حَيَاتِيا  
 وهذا مثل كلام نصيب في المنشور الذى تقدم ، وإنما ذكرت هؤلاء لأهمهم

(١) الأبيات لمنظور بن سحيم الفقعسي والبيت الثانى من شواهد المحاجة على مجيء  
 « ذو » موصولة بمعنى الذى ، وأنها مبنية ، وليست معربة كذى بمعنى صاحب التى  
 من الأسماء الخمسة .

يمدحون ولا يرضون بالهجاء ، وأما مَنْ لا يمدح فأخرى أن لا يهجو أحداً ، على أن منهم من لم يقل قط إلا هجواً أو شبيهاً به : كيحيى بن نوفل ، ذكره دِغْبِيلٌ في طبقاته ، ونجد له من أهل عصرنا نظراء عدّة .

### ( ١٧ ) - باب في الشعراء والشعر

طبقات الشعراء أربع : جاهلي قديم ، ومُخَضَّرٌ ، وهو الذي أدرك الجاهلية والإسلام ، وإسلامي ، ومُحَدَّثٌ . ثم صار المحدثون طبقات : أولى وثانية على التدرج ، وهكذا في المهبوط إلى وقتنا هذا ، فليعلم المتأخر مقدار ما بقي له من الشعر فيتصفح بمقدار من قبله لينظر كم بين المخضرم والجاهلي ، وبين الإسلامي والمُخَضَّرِمْ ، وأن المحدث الأول - فضلاء من دونه - دونهم في المنزلة ، على أنه أغمض مسلحاً وأرق حاشية ، فإذا رأى أنه ساقفة الساقفة تحفظ على نفسه ، وعلم من أين يؤتى ، ولم تفرز حلاوة لفظه ، ولا رشاقة معناه ، ففي الجاهلية والإسلام من ذهب بكل حلاوة ورشاقة ، وسبق إلى كل طلاوة ولباقة .

اشتقاق  
المخضرم

قال أبو الحسن الأخفش : يقال : ماء خَضِرِمٌ ، إذا تنهى في الكثرة والسعة ، منه سمي الرجل الذي شهد الجاهلية والإسلام مُخَضَّرِمًا ، كأنه استوفى الأمرين ، قال : ويقال : أذن مُخَضَّرِمَةً ، إذا كانت مقطوعة ، فكأنه انقطع عن الجاهلية إلى الإسلام .

وحكى ابن قتيبة عن عبد الرحمن<sup>(١)</sup> عن عمه ، قال : أسلم قوم في الجاهلية على إبل قطعوا آذانها ، فسمى كل من أدرك الجاهلية والإسلام مُخَضَّرِمًا ، وزعم أنه لا يكون مخضرمًا حتى يكون إسلامه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقد أدركه كبيراً ولم يُسَلِّمْ ، وهذا عندي خطأ ؛ لأن النابغة الجعدي وليبدأ قد وقع عليه ما هذا الاسم ، وأما علي بن الحسين كراع فقد حكى : شاعر مخضرم - بجاء

(١) عبد الرحمن : هو ابن أخى الأصمعي ، فعمه الأصمعي .

غير معجبة - مأخوذ من الحضرة ، وهى الخلط ؛ لأنه خلط الجاهلية بالإسلام .  
الشعراء أربعة وأنشد بعض العلماء ولم يذكر قائله <sup>(١)</sup> :

الشعراء فاعلمنَّ أَرْبَعَهُ فِشَاعِرٍ لَا يُرْتَجَى لِمَنْفَعِهِ  
وشاعرٌ يُنْشِدُ وَسَطَ الْجَمْعَةِ وشاعرٌ آخِرٌ لَا يَجْرَى مَعَهُ  
وشاعرٌ يُقَالُ خَرَفَ فِي دَعَاهُ

وهكذا رويتها عن أبى محمد عبد العزيز بن أبى سهل رحمه الله ، وبعض  
الناس يرونها على خلاف هذا .

وقد قيل : لا يزال المرء مستوراً وفى مَنْدُوحَةٍ مَا لَمْ يَصْنَعْ شِعْراً أَوْ يُؤَلِّفَ  
كِتَاباً ؛ لأن شعره تَرْجُحَانُ عَلَيْهِ ، وتَأْلِيفُهُ عَنْوَانُ عَقْلِهِ .  
وقال الجاحظ : من صنع شعراً أَوْ وَضَعَ كِتَاباً فَقَدْ اسْتَهْدَفَ ؛ فَإِنْ أَحْسَنَ فَقَدْ  
اسْتَعْطَفَ ، وَإِنْ أَسَاءَ فَقَدْ اسْتَقْذَفَ .

قال حسان [ بن ثابت ] ، وما أدراك ما هو ؟ :

وإن أشعرَ بيتٍ أنتَ قائله بيتٌ يُقالُ إذا أنشدته : صَدَقًا  
وإنما الشعرُ لبَّ المرءِ يعرضه على المجالسِ إن كِيساً وإن حمقاً  
وقال محمد بن مُنَازِرٍ وَكَانَ إِمَاماً :  
لَا تَقُلْ شِعْراً وَلَا تَهْمُمْ بِهِ وَإِذَا مَا قُلْتَ شِعْراً فَأَجِدْ

وقال شيطان الشعراء دعبل بن على :

سَأَقْضِي بَيْتَ يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ وَيَكْثُرُ مِنْ أَهْلِ الرِّوَايَاتِ حَامِلُهُ  
يَمُوتُ رَدِيُّ الشَّعْرِ مِنْ قَبْلِ أَهْلِهِ وَجَيِّدُهُ يَبْقَى وَإِنْ مَاتَ قَائِلُهُ

وقالوا : الشعراء أربعة : شاعرٌ خِزْدِيذٌ ، وهو الذى يجمع إلى جودة شعره  
رواية الجيد من شعر غيره ، وسئل رُوْبَةُ عَنْ الْفَحْوَلَةِ ، قَالَ : هُمُ الرُّوَاةُ ؛ وشاعر  
بيان الشعراء الأربعة

(١) تنسب هذه الآيات للحطيئة .

مُفْلِقٌ ، وهو الذى لا رواية له إلا أنه مجوّد كأنه نذير في شعره ؛ وشاعر فقط ، وهو فوق الردىء بدرجة ؛ وشعروورٌ ، وهو لا شيء . قال بعض الشعراء لآخر هجاء :

يا رابع الشعراء كيف هَجَوْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنِّي مُفْلِقٌ لَا أَنْطِقُ  
وقيل : بل هم شاعرٌ مُفْلِقٌ ، وشاعرٌ مُطْلَقٌ ، وشويعرٌ ، وشعروورٌ ،  
والمفلق : هو الذى يأتي في شعره بالفلق ، وهو العجب ، وقيل : الفلق الداهية  
قال<sup>(١)</sup> الأصمى : فالشويعر مثل محمد بن حمران بن أبي حمران ، سماه بذلك امرؤ  
القيس ، ومثل عبد العزى المعروف بالشويعر ، وهو الذى يقول :

فَنَلْتُ بِهِ نَارِي ، وَأَدْرَكْتُ ثَوْرِي إِذَا مَا تَنَاسَى ذَحْلُهُ كُلَّ غَيْبٍ  
وهو الضعيف عن طلب ناره ، وروى بالعين معجمة وبالعين غير معجمة .  
قال<sup>(٢)</sup> الجاحظ : والشويعر أيضاً [ صفوان بن<sup>(٣)</sup> ] عبد ياليل من بنى سعد  
ابن ليث ، وقيل : اسمه ربيعة بن عثمان ، وهو القائل :

وَأَفْلَتْنَا أَبُو لَيْلَى طِفِيلٌ صَحِيحَ الْجَلْدِ مِنْ أَثَرِ السِّلَاحِ

وقال بعضهم : شاعر ، وشويعر ، وشعروور .

وقال العبدى في شاعر يدعى المقوف من بنى ضبة ثم من بنى حميس :

أَلَا تَنْهَى سَرَاةُ بَنِي حَمِيسٍ شُوَيْعِرَهَا فُوَيْلِيَةَ الْأَفَاعِي

فسماء شويعرأ ، و«فالية الأفاعي» : دونية فوق الخنفساء ، فصنعرها أيضاً تحقيراً له  
وزعم الحاتمي أن النابغة سئل : مَنْ أشعر الناس ؟ فقال : من استُحِجِدَ  
جيده ، وأضحك رديته ، وهذا كلام يستحيل مثله عن النابغة ؛ لأنه إذا

(١ ، ٢) انظر هذه العبارة بنفسها في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٩) .

(٣) الزيادة عن البيان والتبيين .

أضحك رديته كان من سِفْلَةِ الشعراء ، إلا أن يكون ذلك في الهجاء خاصة ،  
وقال الخطيئة :

الشعرُ صَعْبٌ وطَوِيلٌ سُلْدٌ والشعرُ لا يستطيعه من يظلمه  
إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه زلت به إلى الحضيض قدّمة  
يريد أن يعر به فيعجمه

وإنما سمي الشاعر شاعراً ؛ لأنه يَشْعُرُ بما لا يشعر به <sup>(١)</sup> غيره ، فإذا لم يكن  
عند الشاعر توليدٌ معنى ولا اختراعه ، أو استطراف لفظ وابتداعه ، أو زيادة  
قيماً أجحف فيه غيره من المعاني ، أو نقص مما أطاله سواء من الألفاظ ، أو صَرَفَ  
معنى إلى وجه عن وجه آخر ؛ كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة ، ولم يكن له  
إلا فضل الوزن ، وليس بفضل عندى مع التقصير ..

بهمى الشاعر  
شاعراً ؟

ولقى رجل آخر فقال له : إن الشعراء ثلاثة : شاعر ، وشويعر ، وماصّ  
بظُرٍّ أمه ، فأيهم أنت ؟ قال : أما أنا فشويعر ، واختصم أنت وامرؤ القيس  
في الباقي .

وقال بعضهم : الشعر شعران : جيد محكك ، وردى مضحك ، ولا شيء  
أثقل من الشعر الوسط والغناء الوسط .

وقد قال ابن الرومي يهجو ابن طيفور :  
عدمتك يا ابن أبي الطاهر . وأطعمت تُكَلِّكَ من شاعر  
فما أنت سُخْنٌ ولا بارد وما بينَ ذين سوى الفاتر  
وأنت كذلك تُغَيِّى النفوس تغشية الفاتر الخائر  
وقد يجوز أن يكون النابغة أشار - فيما حكى عنه الخاتمي من الردىء المضحك -  
إلى هذا النحو .

ابن الرومي  
يهجو شاعراً

(١) في نسخة « بما لا يشعر له »



صعوبة  
عمل الشعر

وقيل : عملُ الشعرِ على الخاذق به أشدُّ من نقل الصخر ، ويقال : إن الشعر كالبحر أهون ما يكون على الجاهل أهول ما يكون على العالم ، وأتعب أصحابه قلباً مَنْ عرفه حق معرفته ، وأهل صناعة الشعر أبصر به من العلماء ، بآلته من نحو وغريب ومثل وخبر وما أشبه ذلك ولو كانوا دونهم بدرجات ، وكيف إن قاربهم أو كانوا منهم بسبب ؟

تقدم الشعر  
أبصر به

وقد كان أبو عمرو بن العلاء وأصحابه لا يجرون مع خلف الأحمر في حَلَبَةِ هذه الصناعة - أعنى النقد - ولا يشقون له غباراً ، لنفاذه فيها ؛ وحذقه بها ، وإجادته لها وقد يميز الشعر من لا يقوله ، كالبرزاز يميز من الثياب ما لم ينسجه ، والصيرفي يخبر من الدنانير ما لم يسبكه ولا ضرب به ، حتى إنه ليعرف مقدار ما فيه من الغش وغيره فينقص قيمته .

وحكى أن رجلاً قال لخلف الأحمر : ما أبالي إذا سمعت شعراً استحسنته ما قلت أنت وأصحابك فيه !! فقال له : إذا أخذت درهما تستحسنه وقال لك الصيرفي إنه ردىء هل ينفعك استحسانك إياه ؟ .

وقيل للمفضل الضبي : لم لا تقول الشعر وأنت أعلم الناس به ؟ قال : على به هو الذي يعنى من قوله ، وأنشد :

وقد يقرض الشعرَ البكيُّ لسانهُ وتُفنى القوافي المرءَ وهوَ لبيب  
والشعر مزلَّةُ العقول ، وذلك أن أحداً ما صنعه قط فكتمه ولو كان رديئاً ، وإنما ذلك لسروره به ، وإكباره إياه ، وهذه زيادة في فصل الشعر ، وتنبية على قدره وحسن موقعه من كل نفس .

من شعر  
الأصمعي

وقال الأصمعي على تقدمه في الرواية وميزه بالشعر :

أبي الشعر إلا أن يفى رديئه على ، ويأبى منه ما كان محكماً  
فياليتني - إذ لم أجد حوك وشيه - ولم أك من فرسانه - كنت مُفحماً

الشعر أربعة  
أصناف

وقال عبد الكريم : الشعر [ أربعة ] أصناف : فشعر هو خير كله ، وذلك ما كان في باب الزهد ، والمواظط الحسنة ، والمثل العائد على من تمثل به بالخير ، وما أشبه ذلك ؛ وشعر هو ظرف كله ، وذلك القول في الأوصاف ، والنعوت والتشبيه ، وما يفتن به من المعاني والآداب ؛ وشعر هو شر كله ، وذلك الهجاء ، وما تسرع به الشاعر إلى أعراض الناس ؛ وشعر يتكسب به ، وذلك أن يحمل إلى كل سوق ما ينفق فيها ، ويخطب كل إنسان من حيث هو ، ويأتي إليه من جهة فهمه .

وذكر الجحى في الشعراء المقام والثنيان قال : والمقحم : الذي يقتحم سناً إلى أخرى ، وليس بالبازل ولا المستحكم ، وأنشد لأوس بن حجر :  
وقد رام بحمري قبل ذلك طامياً من الشعراء كل عود ومقحم  
قال : والثنيان : الواهن العاجز ، وأنشد لأوس بن مفرّاء :  
تري ثناناً - إذا ما جاء - بدأهم وبدؤهم إن أتاناً كان ثنياناً  
قال غيره : الثنيان : الذي ليس بالرئيس ، بل هو دونه ، وأنشدوا لنابغة بنى ذبيان يخاطب يزيد بن الصّبيح :

يصدُّ الشاعر الثنيان عني صدود البكر عن قرّم هجان

للشعر صناعة  
وتقافة

قال الجحى : وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات : منها ما تثقفه العين ، ومنها ما تثقفه الأذن ، ومنها ما تثقفه اليد ، ومنها ما يثقفه اللسان ، من ذلك اللؤلؤ والياقوت لا يعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يبصره ، ومن ذلك الجّهيزة بالدينار والدرهم لا تعرف جودتهما بلون ولا مَس ولا طراوة ولا دنس ولا صفة ، ويعرفه الناقد عند المعاينة فيعرف بهرجاتها وزائفها وستوقها ومفرغها ، ومنه البصر بأنواع المتاع وضروبه وصنوفه مع تشابه لونه ومسه وذرعاه واختلاف بلاده حتى يردّ كل صنف منها إلى بلده الذي

خرج منه ، وكذلك بصر الرقيق فتوصف الجارية فيقال : ناصعة اللون ، جيدة الشطب ، نقية الثغر ، حسنة العين والأنف ، جيدة التهدين ، ظريفة اللسان ، واردة الشعر ، فتكون بهذه الصفة بمائة دينار وبمائتي دينار ، وتكون أخرى بألف دينار وألفي دينار ؛ ولكن لا يجد واصفها مزيدا على هذه الصفة ؛ وتوصف الدابة فيقال : خفيف العنان ، لين الظهر ، جيد الحافر ، فتي السن ، نقي من العيوب ؛ فيكون بخمسين دينارا أو نحوها ، وتكون أخرى بمائتي دينار وأكثر ، تكون هذه صفتها ، ويقال للرجل والمرأة في القراءة والغناء : إنه لندى الخلق ، حسن الصوت ، طويل النفس ، مصيب اللحن ، ويوصف الآخر والأخرى بهذه الصفة وينهما بون بعيد ، يعرف ذلك أهل العلم به [عند المايعة والاستماع ، بلا صفة ينتهي إليها ، ولا علم يُوقف عليه ، وإن كثرة المداينة للشئ لتعين على العلم به <sup>(١)</sup> ، وكذلك الشعر يعرفه أهل العلم به .

وسمعت بعض الخذاق يقول : ليس للجودة في الشعر صفة ، إنما هو شئ يقع في النفس عند المميز : كالفرند في السيف ، والملاحة في الوجه ، وهذا راجع إلى قول الجحى ، بل هو بعينه ، وإنما فيه فضل الاختصار .

## ١٨ — باب حد الشعر وبنيته

الشعر يقوم بعد النية من أربعة أشياء ، وهى : اللفظ ، والوزن ، والمعنى ، والثقافية ، فهذا هو حد الشعر ؛ لأن من الكلام موزونا مقفى وليس بشعر ؛ لعدم القصد والنية ، كآشياء اتزنت من القرآن ، ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم ،

(١) هذه العبارة كلها ساقطة من التونسية .

وغير ذلك مما لم يطلق عليه أنه شعر ، والمتزن : ما عرض على الوزن قبله ، فكأن الفعل صار له ، وهذه العلة سمي ما جرى هذا الجرى من الأفعال فعل مطاوعة ، هذاهو الصحيح ، وعند طائفة من أصحاب الجدل أن المنفعل والمفتعل لا فاعل لهما ، نحو : شَوَيْتُ اللحم فهو مُشْوٍ ومُشْتَوٍ ، وبنيت الحائط فهو مُنَبِّنٌ ، ووزنت الدينار فهو مُتَزِنٌ ، وهذا محال لا يصح مثله في القول ، وهو يؤدي إلى مالا حاجة لنا به ، ومعاذ الله أن يكون مراد القوم في ذلك إلا المجاز والاتساع ، وإلا فليس هذا مما يغلط فيه مَنْ رَقَّ ذهنه وصفا خاطره ، وإنما جئت بهذا الفصل احتجاجاً على مَنْ زعم أن المتزن غير داخل في الموزون ، وإذا لم يعرض المتزن على الوزن فيوجد موزوناً فمن أين يعلم أنه متزن ؟ وكيف يقع عليه هذا الاسم ؟

أركان الشعر وقال بعض العلماء بهذا الشأن : بنى الشعر على أربعة أركان ، وهي : المدح ، والهجاء ، والنسيب ، والرثاء .

قواعد الشعر وقالوا : قواعد الشعر أربع : الرغبة ، والرغبة ، والطرب ، والغضب : فمع الرغبة يكون المدح والشكر ، ومع الرغبة يكون الاعتذار والاستعطاف ، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب ، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب المَوْجِع .

أغراض الشعر وقال الرماني على بن عيسى : أكثر ما تجرى عليه أغراض الشعر خمسة : النسيب ، والمدح ، والهجاء ، والفخر ، والوصف ، ويدخل التشبيه والاستعارة [في] باب الوصف .

وقال عبد الملك بن مروان لأرطاة بن سَهَّيَّة : أتقول الشعر اليوم ؟ فقال : والله ما أطرب ، ولا أغضب ، ولا أشرب ، ولا أرغب ، وإنما يجيء الشعر عند إحداهن . قال أبو علي البَصِيرُ :

مدحتُ الأمير الفتحَ أطلُبُ عُرْفَهُ      وهل يستزاد قائل وهو راغب  
فأفنى فُنُونَ الشعر وهي كثيرةٌ      وما فنيت آثاره والذِئَابُ  
فجعل الرغبة غاية لا مزيد عليها .

وقال عبد الكريم : يجمع أصناف الشعر أربعة : المديح ، والهجاء ، والحكمة ،  
واللهو ، ثم يتفرع من كل صنف من ذلك فنون ؛ فيكون من المديح المرائي  
والافتخار والشكر ، ويكون من الهجاء الذم والعتاب والاستبطاء ، و [ .يكون ]  
من الحكمة الأمثال والنزهيد والمواعظ ، ويكون من اللهو الغزل والطرد وصفة  
الخر والمخمور .

وقال قوم : الشعر كله نوعان : مدحٌ ، وهجاءٌ ؛ فإلى المدح يرجع الرثاء ،  
والافتخار ، والتشبيب ، وما تعلق بذلك من محمود الوصف : كصفات الطلول  
والآثار ، والتشبيهات الحسان ، وكذلك تحسين الأخلاق : كالأمثال ، والحكم ،  
والمواعظ ، والزهد في الدنيا ، والقناعة ، والهجاء ضدُّ ذلك كله ، غير أن العتاب  
حالٌ بين حالين ؛ فهو طرف لكل واحد منهما ، وكذلك الإغراء ليس بمدح  
ولا هجاء ؛ لأنك لا تغري بإنسان فتقول : إنه حقير ولا ذليل ، إلاَّ كان عليك  
وعلى المغري الدركُ ، ولا تقصد أيضاً بمدحه الثناء عليه فيكون ذلك  
على وجهه .

والبيت من الشعر كالبيت من الأبنية : قراره الطبع ، وسمكه الرواية ،  
ودعائمه العلم ، وبابه الدُّرْبَةُ ، وساكنه المعنى ، ولا خير في بيت غير مسكون ،  
وصارت الأعاريض والقوافي كالموازين والأمثلة للأبنية ، أو كالأواخى والأوتاد  
للأخبية ، فأما ما سوى ذلك من محاسن الشعر فإنما هو زينة مستأنفة ولو لم تكن  
لاستغنى عنها .

قال القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحبُ كتاب الوَسَّاطة : الشعر رأى الجرجاني

تشبيه بيت  
الشعر ببيت  
البناء

علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ، ثم تكون الذُرْبَةُ مادة له ، وقوة لكل واحد من أسبابه ؛ فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو الحسن للبرز ، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان . وقال : ولست أفضل في هذه القضية بين القديم والمحدث ، والجاهل والمخضرم ، والأعرابي والمولد ، إلا أنى أرى حاجة المحدث إلى الرواية أمس ، وأجده إلى كثرة الحفظ أفقر ، فإذا استكشفت عن هذه الحال وجدت سببها والعلّة فيها أن المطبوع الذكى<sup>(١)</sup> لا يمكنه تناول ألفاظ العربى إلا رواية ، ولا طريق إلى الرواية إلا السمع ، وملاك السمع الحفظ .

رأى دعبل قال دعبل في كتابه : من أراد المديح فبالرغبة ، ومن أراد الهجاء فبالبنضاء ، ومن أراد التشبيب فبالشوق والعشق ، ومن أراد المعاتبة فبالاستبطاء ؛ فقسّم الشعر كما ترى هذه الأقسام الأربعة ، وكان الرثاء عنده من باب المدح على ما قدمت ، إلا أنه جعل العتاب بدلا منه .

آراء مختلفة وقال غير واحد من العلماء : الشعر ما اشتمل على للثل السائر ، والاستعارة الرائعة ، والتشبيه الواقع ، وما سوى ذلك فإنما لقائله فضل الوزن .

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلى : قلت لأعرابي : من أشعر الناس ؟ قال : الذى إذا قال أسرع ، وإذا أسرع أبدع ، وإذا تكلم أسمع ، وإذا مدح رفع ، وإذا هجا وضع .

وسئل بعض أهل الأدب : من أشعر الناس ؟ فقال : من أكرهك شعره على هَجْوِ دويك ومدح أعاديك ، يريد الذى تستحسنه فتحفظ منه ما فيه عليك وَصْمَةٌ ، وخلاف للشهوة ، وهذا [ ذَوْبُ ] قول أبى الطيب :

وَأَسْمَعُ من أَلْفَاظِهِ اللُّغَةَ الَّتِي يَلِدُّ بِهَا سَمْعِي وَلَوْ صُمَمْتُ شَتِي

(١) فى المصريتين المطبوعتين « الذى » وما أبعد من الصواب !!

أخذه من قول أبي تمام :

فإن أنا لم يمدحك عني صاغراً      عدوك فاعلم أنني غير حامد  
وأتبعه البحتري في ذلك فقال :  
ليواصلنك ركب شعري سائراً      يرويه فيك لحسنه الأعداء

وقال عبد الصمد بن المذل : الشعر كله في ثلاث لفظات ، وليس كل إنسان يحسن تأليفها : فإذا مدحت قلت أنت ، وإذا هجوت قلت لست ، وإذا رثيت قلت كنت .

وقال بعض النقاد : أصغر الشعر الرثاء ؛ لأنه لا يعمل رغبة ولا رهبة .  
قال ابن قتيبة : قال أحمد بن يوسف الكاتب لأبي يعقوب الخريجي : أنت في مدائحك لمحمد بن منصور كاتب البرامكة أشعر منك في مرثيتك له ، فقال : كنا يومئذ نعمل على الرجاء ، ونحن [ نعمل ] اليوم على الوفاء .

قال صاحب الكتاب : ومن هذا المنثور - والله أعلم - سرق البصير بيته المتقدم في الفتح بن خاقان<sup>(١)</sup> .

وقيل لبعضهم : ما أحسن الشعر ؟ فقال : ما أعطى القياد ، وبلغ المراد .

وقال أبو عبد الله وزير المهدي : خير الشعر ما فهمته العامة ، ورضيته الخاصة .  
وسمعت بعض الشيوخ يقول : قال الخذاق : لو كانت البلاغة في التطويل ما سبق إليها أبو نؤاس والبحتري .

وقال بعض الخذاق من المتعقبين : أشعر الناس من تخلص في مدح امرأة ورثاها .  
وقال ابن المعتز : قيل لمعتوه : ما أحسن الشعر ؟ قال : ما لم يحجبه عن القلب شيء .

(١) هما بيتان سبقا في أول ص ١٢١ .

(١٩) — باب في اللفظ والمعنى

اللفظ جسم ، وروحُه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم : يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته ، فإذا سلم المعنى واختلَّ بعضُ اللفظ كان نقصاً للشعر وهُجْنة عليه ، كما يعرض لبعض الأجسام من العَرَج والشَّلَل والعَوَر وما أشبه ذلك ، من غير أن تذهب الروح ، وكذلك إن ضعف المعنى واختلَّ بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ ، كالذى يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح ، ولا تجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ ، وجَرَّبه فيه على غير الواجب ، قياساً على ما قدمت من أدواء الجسوم والأرواح ، فإن اختل المعنى كلهُ وفسد بقى اللفظ مَوَاتاً لا فائدة فيه ، وإن كان حسن الطلاوة في السمع ، كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأى العين ، إلا أنه لا ينتفع به ولا يفيد فائدة ، وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى ؛ لأننا لا نجد روحاً في غير جسم البتة .

الارتباط  
بين المعنى  
واللفظ

ثم للناس فيما بعد آراء ومذاهب : منهم من يؤثر اللفظ على المعنى فيجعل له غايةً ووُكُده ، وهم فرق : قومٌ يذهبون إلى فخامة الكلام وجَزَالته ، على مذهب العرب من غير تصنع ، كقول بشار :

إذا ما غضبنا غَضْبَةً مُضَرِّيَةً هتكنا حجاب الشمسِ أوقطرت دما  
إذا ما أعرنا سَيِّداً من قبيلة ذَرَى مِنبَرِ صُلَى علينا وساماً

وهذا النوع أدل على القوة ، وأشبه بما وقع فيه من موضع الافتخار ، وكذلك ما مدح به الملوك يجب أن يكون من هذا النحت .

وفرقة أصحاب جليلة وقمقعة بلا طائل معنى إلا القليل النادر : كأبي القاسم ابن هانيء ومن جرى مجراه ؛ فإنه يقول أول مذهبه :

أيهما أثر

رأى في  
ابن هاني



أصاحت فقالت: وَقَعَ أَجْرَدُ شَيْظُمٍ وشامت فقالت: لمع أبيض مَخْدَمٌ<sup>(١)</sup>  
وما ذُعِرَتْ إِلَّا لِجَرَسِ حُلِيِّهَا ولا رَمَقَتْ إِلَّا بُرَى في مَخْدَمٍ<sup>(٢)</sup>  
وليس تحت هذا كله إلا الفساد، وخلاف المراد، ما الذي يفيدنا أن تكون  
هذه المنسوب بها لبست حلبيها فتوهمت به بعد الإصاخة والرقم وَقَعَ فرس أولم  
سيف؟ غير أنها مغزوة في دارها، أو جاهلة بما حملته من زيتها، ولم يخف عنا  
مراده أنها كانت تترقبة!! فما هذا كله؟ وكانت عند أبي القاسم مع طبعه صنعة،  
فإذا أخذ في الخلاوة والرقعة، وعمل بطبعه وعلى سجيته؛ أشبه الناس، ودخل في  
جملة الفضلاء؛ وإذا تكلف الفخامة، وسلك طريق الصنعة أضرب بنفسه، وأتعب  
سامع شعره. ويقع له من الكلام المصنوع والمطبوع في الأحايين أشياء جيدة،  
كقوله في المطبوع يصف شجعاناً:

لَا يَأْكُلُ السُّرْحَانُ شُلُوَ عَقِيرِهِمْ<sup>(٣)</sup> مما عليه من القَنَا المتكسر

«العقير» ههنا منهم، أي: لم يمت لسجاعته حتى تحطم عليه من الرماح  
مالا يصل معه الذئب إليه كثرة، ولو كان العقير هو الذي عقروه هم لكان  
البيت هجواً؛ لأنه كان يصفهم بالضعف والتكاثر على واحد. وقوله في  
المصنوع:

وجنيت ثممرَ الوقائع يانعا بالنضر من ورق الحديد الأخضر<sup>(٤)</sup>

فهذا كله جيد بديع، وقد زاد فيه على قول البحتري:

- 
- (١) الأجرد: أراد به العرس القصير الشعر و«شيظم» أي: طويل الجسم،  
ومخدّم، أراد به السيف القاطع  
(٢) الذي في ديوان «من مخدّم» والمخدّم: محل الخلخال  
(٣) في الديوان «شلوطينهم» والمعنى واحد  
(٤) في الديوان «النضر من ورق إلخ»

حملت حائله القديمة بقلّة من عهد عاد غضة لم تَدُمْل

ويروى :

\* من عهد تبع \*

ومنهم من ذهب إلى سهولة اللفظ فعني بها ، واغتر له فيها الركابة والابن  
المفرط : كأبي العتاهية ، وعباس بن الأحنف ، ومن تابعهما ، وهم يرون الغاية  
قول أبي العتاهية :

من يؤثر  
سهولة اللفظ

يا إخوتي ، إن الهوى قاتلي فيسروا الأكفان من عاجل  
ولا تلوموا في أتباع الهوى فإنني في شغلٍ شاغل  
عيني على عتبة مُهَلَّة بدمعها المنسكب السائل  
يا بن رأى قبلي قتيلاً بكى من شدة الوجد على القاتل  
بَسَطْتُ كفى نحوكم سائلا ماذا تردون على السائل ؟  
إن لم تنيلوه فقولوا له قولاً جميلاً بَدَلِ النَّائِل  
أو كنتمُ العام على عُشْرَةِ منه فَمَثُوهُ إِلَى قَابِل

وقد ذكر أن أبا العتاهية وأبا نواس والحسين بن الضحاك الخليل اجتمعوا  
يوماً ، فقال أبو نواس : لينشد كل واحد قصيدة لنفسه في مراده من غير مدح  
ولا هجاء ، فأنشد أبو العتاهية هذه القصيدة ، فسلم له وامتنع من الإنشاد بعده ،  
وقال له : أما مع سهولة هذه الألفاظ ، وملاحة هذا القصد ، وحسن هذه  
الإشارات ؛ فلا ننشد شيئاً ، وذلك في باب من الغزل جيد أيضاً لا يفضل غيره .

رأى في  
أبي العتاهية

ومنهم من يؤثر المعنى على اللفظ فيطلب صحته ، ولا يبالي حيث وقع من  
هُجْنَةِ اللفظ وقبحه وخشونته : كابن الرومي ، وأبي الطيب ، ومن شاكلهما :  
هؤلاء المطبوعون ، فأما المتصنعون فسيرد عليك ذكرهم إن شاء الله تعالى .

من يؤثر  
المعنى

حجة من  
آثر اللفظ

وأكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى ، سمعتُ بعض الخذاق يقول : قال العلماء : اللفظ أغلى من المعنى ثمنًا ، وأعظم قيمة ، وأعز مطلبًا ؛ فإن المعاني موجودة في طباع الناس ، يستوى الجاهل فيها والخاذق ، واسكن العمل على جودة الألفاظ ، وحسن السبك ، وصحة التأليف ، ألا ترى لو أن رجلاً أراد في المدح تشبيه رجل لما أخطأ أن يشبهه في الجود بالغيث والبحر ، وفي الإقدام بالأسد ، وفي المصاء بالسيف ، وفي العزم بأسيل ، وفي الحسن بالشمس ، فإن لم يحسن تركيب هذه المعاني في أحسن حلأها من اللفظ الجيد الجامع للركة والجزالة والعذوبة والطلاوة والسهولة والحلاوة لم يكن المعنى قَدَر .

وبعضهم - وأظنه ابن وكيع - مثل المعنى بالصورة ، واللفظ بالكسوة ؛ فإن لم تقابل الصورة الحسناء بما يشاكلها ويليق بها من اللباس فقد نبخت حقها ، وتضاءلت في عين مبصرها .

وقال عبد الكريم - وكان يؤثر اللفظ على المعنى كثيراً في شعره وتأليفه :- الكلام الجزل أغنى عن المعاني اللطيفة [من المعاني اللطيفة] عن الكلام الجزل ، وإنما حكاها ونقله نقلاً عن روى عنه النحاس .

ومن كلام عبد الكريم : قال بعض الخذاق : المعنى مثال ، واللفظ حَدْوٌ ، والحَدْوُ يتبع المثال ؛ فيتغير بتغيره ، ويثبت بثباته .

ومنه قول العباس بن حسن العلوي في صفة بليغ : معانيه قَوَالِبُ لألفاظه ، هكذا حكى عبد الكريم ، وهو الذي يقتضيه شرط كلامه ، ثم خالف في موضع آخر فقال : ألفاظه قَوَالِبُ لمعانيه ، وقوافيه مُعَادَةُ لمبانيه ، والسجع يشهد بهذه الرواية الأخرى ، وهي أعرف .

والتقالب يكون وعاء كالذي تفرغ فيه الأواني ، ويعمل به اللين والآجر ،

وقد يكون قدراً للوعاء كالذى يقام به اللواك<sup>(١)</sup>، وتصلح عليه الأخفاف، ويكون مثالا كالذى تحذى عليه النعال ، وتفصل عليه القلائس ، فلهذا احتمل القالب أن يكون لفظاً مرة ومعنى مرة .

للشعراء  
ألفاظ معروفة  
والشعراء ألفاظ معروفة ، وأمثلة مألوفة ، لا ينبغي للشاعر أن يعدوها ، ولا أن يستعمل غيرها ، كما أن الكتاب اصطلاحوا على ألفاظ بأعيانها سموها الكتابية لا يتجاوزونها إلى سواها، إلا أن يريد شاعر أن يتظرف باستعمال لفظ أعجمي فيستعمله في النثرة ، وعلى سبيل الخطرة ، كما فعل الأعشى قديماً ، وأبو نواس حديثاً ، فلا بأس بذلك ، والفلسفة وجرأ الأخبار باب آخر غير الشعر؛ فإن وقع فيه شيء منهما فبقدر ، ولا يجب أن يجعلاً نصب العين فيكونا متكئاً واستراحة ، وإنما الشعر ما أطرب ، وهز النفوس ، وحرك الطباع ، فهذا هو باب الشعر الذى وضع له ، وبنى عليه ، لا ما سواه .

ومن ملح الكلام على اللفظ والمعنى ما حكاه أبو منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي ، قال : البليغ من يحوك الكلام على حسب الأمانى ، ويخطط الألفاظ على قدود المعانى .

وقال غيره : الألفاظ فى الأسماع كالصور فى الأبصار .  
وقال أبو عبادة البحرى<sup>(٢)</sup> :

وكأنها والسمع معقود بها وَجْهٌ الحبيب بَدَأَ لَعَيْنٍ مُحِبَّةٌ

(١) فى التونسية « الأوالد » .

(٢) البيت فى وصف آثار قلم المدوح من قصيدة يدح فيها الحسن بن وهب ، وأولها قوله :

من سائل لمعذل عن خطبه أوصاف لمقصر عن ذنبه  
وقبل البيت قوله :

وإذا دجت أقلامه ثم انتحت برقت مصاييح الدجى فى كتبه  
باللفظ يقرب فهمه فى بعده منا ، ويعد نيله فى قربه  
كالروض مؤتلقاً بحمرة نوره وياض زهرته وخضرة عشبه

(٢٠) -- باب في المطبوع والمصنوع

ومن الشعر مطبوع ومصنوع ، فالمطبوع هو الأصل الذي وضع أولاً ، وعليه حد المطبوع والمدار . والمصنوع وإن وقع عليه هذا الاسم فليس متكلفاً تكلف أشعار المولدين ، لكن وقع فيه هذا النوع الذي سموه صنعة من غير قصد ولا تعمل ، لكن بطباع القوم عفواً ، فاستحسنوه ومالوا إليه بعض المليل ، بعد أن عرفوا وجه اختياره على غيره ، حتى صنع زهير الحوليات على وجه التنقيح والتثقيف : يصنع القصيدة ثم يكرر نظره فيها خوفاً من التعقب بعد أن يكون قد فرغ من عملها في ساعة أو ليلة ، وربما رصّد أوقات نشاطه فتباطأ عمله لذلك ، والعرب لا تنظر في أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل ، فتترك لفظة للفظه ، أو معنى لمعنى ، كما يفعل المحدثون ، ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزّالته ، وبسط المعنى وإبرازه ، وإتقان بنية الشعر ، وإحكام عقد القوافي ، وتلاحم الكلام ببعضه ببعض حتى عدّوا من فضل صنعة الخطيئة حسن نسق الكلام بعضه على بعض في قوله :

فلا وأبيك ما ظلمت قريعٌ      بأن يبنوا المكارم حيث شاءوا  
ولا وأبيك ما ظلمت قريعٌ      ولا برّموا لذاك ولا أساءوا  
بعشرة جارهم أن ينعشوها      فيغير حوله نعم وشاء  
فيبنى مجدهم ويقم فيها      ويمشى إن أريد به المشاء  
وإن الجار مثل الضيف يغدو      لوجهته وإن طال الثواء  
وإني قد علقتُ بحبل قوم      أعانهم على الحسب الثراء

وكذلك قول أبي ذؤيب يصف حمر الوحش والصائد :

فوردن والعَيوقُ مَقْعَدَ رَابِيءِ السَّـمْرِ بَاءَ خَلْفَ النِّجْمِ لَا يَنْتَلِعُ  
فَكَرَّ عَنْ حَجَرَاتٍ عَذِبٍ بَارِدٍ      حَصْبِ الْبَطَاحِ تَغِيبُ فِيهِ الْأَكْرَعُ

فشربن ثم سمن حساً دونه      شرف الحجاب، وريب قرع يقرع  
فكرنه ففزون فامترست به      هوجاه هادية وهاد جرشع  
فرمى فأنفذ من نحوص عاطل      سمن فخر وريشه متصمّع  
فبدأ له أقراب هاد رائعاً      عنه فعيث في الكنانة يرجع  
فرمى فالحق صاعدياً مطحراً      بالكشح فاشتملت عليه الأضلع  
فأبدّهن حتوفهن فهارت      بذمائه أو بارك متجميع  
فأنت ترى هذا النسق بالغاء كيف أطرد له ، ولم ينفحل عقده ، ولا اختل  
بناؤه ، ولولا ثقافة الشاعر ومراعاه إياه لما تمكن له هذا التمكن .

واستطرقوا ما جاء من الصنعة نحو البيت والبيتين في القصيدة بين القصائد ، يستدل  
بذلك على جودة شعر الرجل ، وصدق حسه ، وصفاء خاطره ؛ فاما إذا كثرت ذلك  
فهو عيب يشهد بخلاف الطبع ، وإثارة الكلفة ، وليس ينجبه البتة أن يتأني من  
الشاعر قصيدة كلها أو أكثرها متصنعة من غير قصد ؛ كاندي يأتي من أشعار  
رأى في أبي حبيب والبحترى وغيرها . وقد كانا يطلبان الصنعة ويولعان بها : فاما حبيب  
تمام والبحترى فيذهب إلى حزنه اللفظ ، وما يملأ الأسماع منه ، مع التصنيع الحكم طوعا  
وكرهاً ، يأتي للأشياء من بُعد ، ويطلبها بكلفة ، ويأخذها بقوة . وأما البحترى  
فكان أملح صنعة ، وأحسن مذهبا في الكلام ، يسلك منه دماثة وسهولة مع  
إحكام الصنعة وقرب المأخذ ، لا يظهر عليه كلفة ولا مشقة . وما أعلم شاعرا  
أكمل ولا أعجب تصنيعا من عبد الله بن المعتز ؛ فإن صنعته خفية لطيفة لا تكاد  
تظهر في بعض المواضع إلا للبصير بدقائق الشعر ، وهو عندي أطف أصحابه شعرا ،  
وأكثرهم بديعا وافتنانا ، وأقربهم قوافي وأوزانا ، ولا أرى وراءه غاية لطالها في  
هذا الباب ، غير أنا لا نجد المبتدئ في طلب التصنيع ومزاولة الكلام أكثر  
انفعالا منه بمطالعة شعر حبيب وشعر مسلم بن الوليد ؛ لما فيهما من الغضيلة لمبتغيها ،  
ولأنهما طرقا إلى الصنعة ومعرفتها طريقا سائلا ، وأكثرا منها في أشعارها تكثيرا

رأى في أبي تمام والبحترى  
رأى في ابن المعتز

سَلَّمَهَا عند الناس ، وجسرم عليها . على أن مسلما أسهل شعراً من حبيب ، وأقل تكلفاً ، وهو أول من تكلف البديع من المولدين ، وأخذ نفسه بالصنعة ، وأكثر منها . ولم يكن في الأشعار المحدثه قبل مسلم صريع [ الغواني ] إلا النبذ اليسيرة ، وهو رهيز المولدين : كان يبغى في صنعه ويحيدها .

وقالوا : أول من فتن البديع من المحدثين بشار بن برد ، وابن هرمة ، وهوساقة أول من فتن العرب وآخر من يستشهد بشعره . ثم أتبعهما مقتديا بهما كثيرون بن عمرو القناني ، ومنصور النخعي ، ومسلم بن الوليد ، وأبو نواس . واتبع هؤلاء حبيب الطائي ، والوليد البحتري ، وعبد الله بن المعتز ؛ فانتهى علم البديع والصنعة إليه ، وختم به . وشبه قوم أبانواس بالنابغة لما اجتمع له من الجزالة مع الرشاقة ، وحسن الديباجة ، والمعرفة بمدح الملوك . وأما بشار فقد شهوه بامرئ القيس ؛ لتقدمه على المولدين وأخذهم عنه ، ومن كلامهم : بشار أبو المحدثين .

وسمعت أبا عبد الله غير مرة يقول : إنما سمي الأعشى صنّاجة العرب الأعشى وبشار لأنه أول من ذكر الصنّج في شعره . قال : ويقال : بل سمي صنّاجة لقوة طبعه ، وحياة شعره ، يخيل لك إذا أشدته أن آخر ينشد معك . ومثله من المولدين بشار بن برد ، تنشد أقدر شعره عروصاً وأينيه كلاماً فتجد له في نفسك هزة وجانية من قوة الطبع ؛ وقد أشبهه تصرفاً وصرافاً في الشعر وكثرة وض مدحا وهجاء ، واتخارا وتعلواً . انقضى كلام أبي عبد الله ورجعنا إلى الأول في الطبع والتصنيع .

ولست . نفع أن البيت إذ وقع مطبوعاً في غاية الجودة ثم نفع في معناه بيت مصنوع في نهاية الحسن لم يؤثر فيه الكلفة ولا طهر عاب التعمل كان المصنوع أفصحاً ، إلا أنه إذا توالى ذلك وكثر لم يجد البتة أن يكون طبعاً وانفاقاً ؛ إذ اس ذلك في طباع الشعر . وسبيل الخدق بهذه الصناعة — إذا غلب عليه حب التصنيع — أن يترك للطبع محالاً يتسع فيه ، وقيل : إذا كان الشاعر

مق يكون  
التصنيع مقبولا

مصنعا بان<sup>(١)</sup> جيده من سائر شعره : كأي تمام ؛ فصار محصورا معروفا بأعيانه ، وإذا كان الطبع غالبا عليه لم يبين جيده كل البيتونه ، وكان قريبا من قريب : كالبحتري ومن شاكله . وقد نص ابن الرومي في بعض تسيطيراته على محمد بن أبي حكيم الشاعر حين عاب عليه قوله في الفرس من قصيدة رثى بها عبد الله بن طاهر :  
فله شهامة سودنيق باكر      وحوافر حفر ورأس صنم  
وذكر قول حبيب :

بحوافر حفر وصلب صلب<sup>(٢)</sup>

فخل به ، واعتذر له ، وخرج التخارج الحسن ، وذكر أن الحافر الوأب والحافر المتعب ونحوهما أشرف في اللفظ من الحافر الأحفر ، إلا أن الطائي عنده كان يطلب المعنى ولا يبالى باللفظ ، حتى لو تم له المعنى بلفظة نبطية لأتى بها ، والذي أراه أن ابن الرومي أبصر بحبيب وغيره منا ، وأن التسليم له والرجوع إليه أحزم ، غير أنني لو شئت أن أقول - ولست راداً عليه ، ولا معترضاً بين يديه - إن المعنى الذي أراده وأشار إليه من جهة الطائي إنما هو معنى الصنعة كالتطبيق والتجنيس وما أشبههما ، لا معنى الكلام الذي هو روحه ، وإن اللفظ الذي ذكر أنه لا يبالى به إنما هو فصيح الكلام ومستعمله ، ويدلك على صحة ما ادعيته على ابن الرومي قوله « إن الحافر الوأب والمتعب أشرف في اللفظ من الحافر الأحفر » ؛ فكلامه راجع إلى ما قلته في الطائي ، غير مخالف له ، وإن كان في الظاهر على خلافه ؛ لينسأ ذلك ، إلا أن أكثر الناس على ما قال ، وإنما هذا معرض للكلام ، لا مخالفة .

(١) في التونسية والمصريتين « فان » ولا معنى لها ، والتصحيح من المقابلة في كلام المؤلف .

(٢) هذا صدر بيت من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب ( الديوان ٢١١ بيروت ) والبيت بتمامه مع بيت سابق عليه قوله :

ما مقرب يختال في أشطاه      ملآن من صلف به وتلموق  
بحوافر حفر وصلب صلب      وأشاعر شعر وخلق أخلق



وقال الجاحظ : كما لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً ، ولا ساقطاً سوقياً ؛ فكذلك رأى الجاحظ لا ينبغي أن يكون وحشياً ، إلا أن يكون المتكلم به بدوياً أعرابياً ؛ فإن الوحشى فيما يجب أن يكون الكلام من الكلام بفهمه الوحشى من الناس ، كما يفهم السوق رطانة السوق . عليه

قال : وأنشد رجل قوماً شعراً فاستغربوه ، فقال : والله ما هو بغريب ، ولكنكم في الأدب غرباء .

وعن غيره : أن رجلاً قال للطائي في مجلس حفل وأراد تبكيته لما أنشد : يا أبا تمام ، لم لا تقول من الشعر ما يفهم ؟ فقال له : وأنت لم لا تفهم من الشعر ما يقال ؟ ففضحه .

[ويروى أن هذه الحكاية كانت مع أبي التَّمِيمِثَل وصاحبين له خاطباه فأجابهما] <sup>(١)</sup> وقال : من نظر بين أبي تمام وأبي الطيب : إنما حبيب كالقاضي العدل : يضع اللفظة موضعها ، ويعطى المعنى حقه ، بعد طول النظر والبحث عن البينة ، أو كالفقيه الورع : يتَحَرَّى في كلامه ويتحرج خوفاً على دينه . وأبو الطيب كالملك الجبار : يأخذ ما حوله قهراً وعنوة ، أو كالشجاع الجريء : يهجم على ما يريده لا يبالى ماله ، ولا حيث وقع .

وكان الأصمعي يقول : زهير والناطقة من عبيد الشعر ، يريد أنهما يتكلفان عبيد الشعر إصلاحه ويشغلان به حواسهما وخواطرها .

ومن أصحابهما في التنقيح وفي التشويق والتحكيك طِفِيلُ الفَنَوِي . وقد قيل : إن زهيراً روى له ، وكان يسمى « محبراً » لحسن شعره .

ومنهم الخطيئة ، والنمر بن تَوَلَّب ، وكان يسميه أبو عمرو بن العلاء السَّكَّيْسَ . وكان بعض الخذاق بالكلام يقول : قل من الشعر ما يخدمك ، ولا تقل منه ما تخدمه ، وهذا هو معنى قول الأصمعي ، وسأحلى هذا الباب من كلام السيد

(١) هذه الزبادة ساقطة من النونية .

من شعر أبي الحسن  
أبي الحسن بحلية تكون له زينة فائقة ، وأختمه بخاتمة تكسوه حلة رائقة ؛ لأوفى بذلك بمصر ما ضمنت ، وأقضى به حق ما شرطت ، إن شاء الله .

فمن ذلك قوله بـتأهـرت سنة خمس وأربعمائة يتشوق إلى أهله :

ولى كبد مكلومة من فراقكم      أطمئنها صبراً على ما أجنّت  
تمنّتكم شوقاً إليكم ومصوبة      عسى الله أن يدنى لها ما تمنّت  
وعين جفأها النوم واعتادها البكى      إذا عن ذكر القيروان استهلت

فلو أن أعرابياً تذكر نجباً فحنّ به إلى الوطن ، أو تشوق فيه إلى بعض السكّن ؛ ما حسبته يزيد على ما أنى به هذا المولد الحضري المناخر العصر ، وما انحط بهذا التمييز في هوائى ، ولا أتفق بهذا القول عند مولاي ، ولا الخديعة مما تظن به ، ولا فيه ، ولكن رأيت وجه الحق فعرفته ، والحق لا يتلثم ، وما هو في بلاغته وإيجازه إلا كما قال الأحيمر السعدى في وصيته :

من القول ما يكفى المصيب قليله      ومنه الذى لا يكتفى الدهر قائله  
يصد عن المعنى فيترك ما نحا      ويذهب في التقصير منه يطاوله  
فلا تك مكثاراً تزيد على الذى      عنيت به فى خطب أسير تراوله

## (٢١) - باب فى الأوزان

الوزن ركن الشعر المهم  
الوزن أعظم أركان حد الشعر ، وأولاهها به خصوصية ، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة ، إلا أن تختلف القوافى فيكون ذلك عيباً في التقفية لافى الوزن ، وقد لا يكون عيباً نحو الخمسات وما تشاكلها .

المطبوع يستغنى عن معرفة الوزن  
المطبوع مستغن بطبعه عن معرفة الأوزان ، وأسمائها ، وعلاها ؛ لنجوة ذوقه عن المزاحف منها والمستكره . والضعيف الطبع محتاج إلى معرفة شيء من ذلك يعينه على ما يحاوله من هذا الشأن

وللناس في ذلك كتب مشهورة ، وتواليف مفردة ، وبينهم فيه اختلاف ،  
وليس كتاني هذا بمحتمل شرح ذلك ، ولا هو من شرطه ؛ فراراً من التكرار  
والطويل ، ولـكني أذكر نكتاً يحتاج إليها ، ويكتفى بها من نظر من المتعلمين  
في هذا الكتاب ، إن شاء الله .

فأول من ألف الأوزان وجمع الأعارض والضروب الخليل بن أحمد فوضع أوله من ألف  
فيها كتاباً سماه « العروض » استخفاً ، والعروض : آخر جزء من القسم الأول  
من البيت ، وهي مؤنثة ، وتثنى وتجمع ، إلا أن يكون لهذا الجنس من العلم ،  
والضرب : آخر جزء من البيت من أي وزن كان .

ثم ألف الناس بعده ، واختلوا على مقادير استنباطاتهم ، حتى وصل ثم الجوهري  
الأمر إلى أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، فبين الأشياء وأوضحها في  
اختصار ، وإلى مذهبه يذهب خذاق أهل الوقت ، وأرباب الصناعة : فأول  
ما خالف فيه أن جعل الخليل الأجزاء التي يوزن بها الشعر ثمانية : منها اثنان  
خماسيان ، وهما : فعولن ، وفاعلن ، وستة سباعية ، وهي : مفاعيلن ، وفاعلاتن ،  
ومستفعلن ، ومفاعلاتن ، ومتفاعلن ، ومفعولات ، فنقص الجوهري منها  
جزء مفعولات ، وأقام الدليل على أنه منقول من « مستفع لن » مفروق الوتد ،  
أي : مقدم النون على اللام ؛ لأنه رعم [ أنه ] لو كان جزءاً صحيحاً لتركب  
من مفردة بحر كما تركب من سائر الأجزاء . يريد أنه ليس في الأوزان  
وزن انفرد به مفعولات ، ولا تكرر في قسم منه ، وعدّ الخليل أجناس الأوزان  
فجعلها خمسة عشر جنساً ، على أنه لم يذكر المتدارك ، وهي عنده : الطويل ،  
والمديد ، والبسيط ، في دائرة ؛ ثم الوافر ، والكامل ، في دائرة ؛ ثم المزدج ،  
والرجز ، والرمل ، في دائرة ؛ ثم السريع ، والمنسرح ، والخفيف ، والمضارع ،  
والمقتضب ، والجلث ، في دائرة ؛ ثم للمقارب وحده في دائرة .

وذكر أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاج اختلاف الناس في ألقاب الشعر؛ فحكى عن الخليل شيئاً أخذتُ به اختصاراً وتقليداً؛ لأنه أول من وضع علم العروض وفتح للناس، وغادرتُ ما سوى ذلك من قول أئى إسحاق الزجاج وغيره لا على أن فيه تقصيراً.

علة تسمية  
بمحور الشعر.

ذكر الزجاج أن ابن دُرَيْد أخبره عن أبي حاتم عن الأخفش قال: سألت الخليل بعد أن عمل كتاب العروض: لم سميت الطويل طويلاً؟ قال: لأنه طال بتمام أجزائه، قلت: فالبسيط؟ قال: لأنه انبسط عن مَدَى الطويل وجاء وسطه فَعِلْنُ وآخره فَعِلْنُ، قلت: فالمديد؟ قال: لتمدُّد سباعيه حول خماسيه، قلت: فالوافر؟ قال: لوفور أجزائه وَتِدْأً بَوْتِدْ، قلت: فالكامل؟ قال: لأن فيه ثلاثين حركة لم تجتمع في غيره من الشعر، قلت: فالهزج؟ قال: لأنه يضطرب؛ شبه بهزج الصوت، قلت: فالرجز؟ قال: لاضطرابه كاضطراب قوائم الناقة عند القيام، قلت: فالرمل؟ قال: لأنه شبه برمل الحصير لضمِّ بعضه إلى بعض، قلت: فالسريع؟ قال: لأنه يسرع على اللسان، قلت: فالمنسرح؟ قال: لانسراحه وسهولته، قلت: فالخفيف؟ قال: لأنه أخف السباعيات، قلت: فالمتنضب؟ قال: لأنه اقتضب من السريع، قلت: فالمضارع؟ قال: لأنه ضارَعَ المتنضب، قلت: فالجثث؟ قال: لأنه اجِثُّ، أى: قطع من طويل دائرته، قلت: فالمتقارب؟ قال: لمتقارب أجزائه؛ لأنها خماسية كلها يشبه بعضها بعضاً.

وجعل الجوهري هذه الأجناس اثني عشر باباً، على أن فيها المتدارك: سبعةٌ منها مفردات، وخمسةٌ مركبات، قال: فأولها المتقارب، ثم الهزج، والطويل بينهما مركب منهما، ثم بعد الهزج الرمل، والمضارع بينهما، ثم بعد الرمل الرجز، والخفيف بينهما، ثم بعد الرجز المتدارك، والبسيط بينهما، ثم بعد المتدارك

المديد ، مركب منه ومن الرمل ، قال : ثم الوافر والكامل ، لم يتركب بينهما بحر لما فيهما من الفاصلة .

وزعم أن الخليل إنما أراد بكثرة الألقاب الشرح والتقريب ، قال : وإلا فالسريع هو من البسيط ، والمسرّح والمقتضب من الرجز ، والمجتث من الخفيف ؛ لأن كل بيت مركب من مستعلن فهو عنده من الرجز طال أو قصر ، وكل بيت ركب من مستعلن فاعلن فهو من البسيط طال أو قصر ، وعلى هذا القياس سائر المقدرات والمركبات عنده . والمتدارك الذي ذكره الجوهري مقلوب من دائرة المتقارب ، وذلك أن فعولن يخلفه فاعلن ويخبن فيصير فعِلن ، وشعر عمرو الجني منه ، وهو الذي يسميه الناس اليوم الخبب .

كيفية تقطيع  
الأجزاء

وليس بين العلماء اختلاف في تقطيع الأجزاء ، وأنه يراعى فيه اللفظ دون الخط ؛ فيقابل الساكن بالساكن ، والمتحرك بالمتحرك ، ويظهر حرف التضعيف ، وتسقط ألف الوصل ولام التعريف إذا لم تظهر في درج الكلام ، وثبتت النون بدلا من التنوين ، وبعد الوصل والخروج حرفين ، وهذا هو الأصل الحق ؛ لأن الأوزان إنما وقعت على الكلام ، والكلام لا محالة قبل الخط ؛ لأن الألف صورة هوائية لا مستقر لها ، ولأن المضاعف يجعل حرفاً واحداً ، ولأن التنوين شكل خفي ، وليس في جميع الأوزان ساكنان في حشو بيت إلا في عروض المتقارب ؛ فإن الجوهري أنشد ، وأنشده المبرد قبله :

وَرُمْنَا الْقِصَاصَ وَكَانَ التَّقَاصُ      فَرَضًا وَحْتًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ  
قال الجوهري : كأنه نوى الوقوف على الجزء ، وإلا فالجمع بين ساكنين لم يسمع به في حشو بيت .

قال صاحب الكتاب : إلا أن سيبويه قد أنشد :

كَأَنَّهُ بَعْدَ كَلَالِ الزَّاجِرِ      وَمَسْجِهِ مَرَّ عَقَابِ كَاسِرِ  
بِإِسْكَانِ الْحَاءِ وَإِدْغَامِهَا فِي الْحَاءِ وَالسَّيْنِ قَبْلَهَا سَاكِنَةً .

أجزاء  
التفاعيل

وجميع أجزاء الشعر تتألف من ثلاثة أشياء : سبب ، ووتد ، وفاصلة ؛ فالسبب نوعان : خفيف ، وهو متحرك بعده ساكن ، نحو : مَأْ ، وَهْلْ ، وَتْلْ ، وَمَنْ ، وَثْقِيلْ ، وهو متحركان ، نحو : لِمَ ، وَبِمَ ، إِذَا سَأَلْتَ ، وَقَدْ أَنْكَرَهُ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ : وَالْوَتْدُ أَيْضًا نَوْعَانِ : مَجْمُوعٌ ، وهو متحركان بعدها ساكنٌ ، نحو : رَمَى ، وَسَمَى ، ومفروق ، وهو ساكن بين متحركين ، نحو : قَالَ ، وَبَاعَ . والفاصلة فاصلتان : صغرى ، وهى ثلاث متحركات بعدها ساكن ، نحو : بَلَعَتْ ، وما أشبه ذلك ، وكبرى ، وهى أربع متحركات بعدها ساكن ، نحو : بَلَعَتْ ، وَبَلَعَتْ ، وما أشبه ذلك ، وهى تأتى فى جزء من الشعر بعينه ، وهو : فِعْلَانِ ، ولا تأتى البنية بإجماع من الناس بين جزئين فتكون حرفين متحركين فى آخر جزء ومثلها فى أول جزء آخر يليه ، ولا يجتمع فى الشعر خمس متحركات البنية .

ومن الناس مَنْ جعل الشعر كله من الأوتاد والأسباب خاصة يركب بعضهم على بعض فتتركب الفواصل منهما ، وبعض المتعقبين - أظنه الملقب بالحمار - يسمي الفاصلتين وِتْدًا ثَلَاثِيًّا ، ووتدًا رُبَاعِيًّا ، والسبب عنده نوعان : منفصل نحو مَنْ ، ومتصل نحو لِمَنْ ؛ فاللام عنده وحدها سبب متصل ، والميم والنون سبب هو منفصل ؛ لا كان لحركة الميم نهاية وهى النون الساكنة ، ولو كانت متحركة لم تكن نهاية .

الزحاف

وأما الزحاف فهو ما يلحق أى جزء كان من الأجزاء السبعة التى جعلت موازين الشعر من نقص أو زيادة أو تقديم حرف أو تأخير أو تسكينه ، ولا يكاد يسم منه شعر .

ومن الزحاف ما هو أخف من التمام وأحسن ، كالذى يستحسن فى الجارية من التفاف البدن واعتدال القامة ، مثال ذلك مفاعيلان فى عروض الطويل التمام تصوير مَقَاعِلُنْ فى جميع أبياته ، وهذا هو القَبِيضُ ، وكل ما ذهب حَامِسُهُ الساكن فهو مقبوض . وفاعلن فى عروض البسيط التمام وضربه يصير فَعْلُنْ ، وذلك هو الخَلْبُنْ ، وكل ما ذهب ثانيه الساكن فهو مخبون . ومُفَاعِلَتْنِ فى عروض الوافر التمام

وضربه حذفوا منه التاء والنون وأسكنوا اللام فصار مُفَاعَلٌ ، خلفه فَعُولُنْ ، وهذا هو القنْفُ ، وليس في الشعر مقطوف غيره . ويخف على المطبوع أبداً أن يجعل مكان مستعملين في الخفيف مفاعلين يظهر له أحسن .

ومنه - أعنى الزحاف - ما يستحسن قليله دون كثيره ، كالْقَبَلِ اليسير والقَلَجِ من الزحاف ما يستحسن قليله والثلث<sup>(١)</sup> مثال ذلك قول خالد بن زهير الهذلي خاله أوى ذؤيب :

لعلك إما أمٌ عمرو تبدلت سواك خليلاً شامئاً تستجيرها<sup>(٢)</sup>  
فتقص ساكناً بعد كاف سواك ؛ وهو نون فَعُولُنْ ، وهذا هو القبض ، ومن رواه « خليلاً سواك » قبض الياء من مفاعيلين ، وهو أشد قليلاً . ومنه ما يحتمل على كره ، كالْفَدَجِ والْوَكْعِ والكَزَمِ<sup>(٣)</sup> في بعض الحسان ، ومثاله في الشعر كثير وكفاك قول امرئ القيس بن حُجْر :

وتعرف فيه من أبيه شائلاً ومن خاله ، ومن يزيد ، ومن حُجْرٍ  
سماحةً ذا ، ورءٍ ذا ، ووفاء ذا ، ونائلٌ ذا : إذا صحا ، وإذا سكر  
فهذا أجمع العلماء بالشعر أنه ماعمل في معناه مثله ، إلا أنه على ما تراه من

(١) القبل - بفتحيتين - إقبال سواد العين على الأنف ، أو مثل الحول ، أو حسن منه ، أو إقبال إحدى الحدقتين على الأخرى . والعلاج في الأسنان - بفتحيتين - تباعد ما بين السنان والرباعيات ، وبابه طرب . والثلث : أن يضير الراء لاما أو غينا أو يصير السين باء ، وبابه طرب أيضا .

(٢) تستجيرها : تستعظمها حتى تعود إليك ، وفي الأصول « تستجيرها » بالجيم ، وهو تصحييم ، وفي شرح السكري « تستجيرها » بالخاء العجمة .

(٣) المدح - بفتحيتين - اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل حتى يتلمس الكف أو القدم إلى إنسيها ، أو هو المشى على ظهر القدم ، أو هو ارتفاع أحمص القدم حتى لو وطىء الأقدم عصفورا لم يؤذه . والوكع - بفتحيتين - إقبال الإبهام على السبابة من الرجل حتى يرى أصله خارجاً كالعدة . والكزم - بفتحيتين - قصر في الأنف والأصابع .

الزحاف المستكره ، حكى ذلك أبو عبيدة .

ومنه قبيح مردود لا تقبل النفس عليه ، كقبح الخلق واختلاف الأعضاء  
في الناس وسوء التركيب ، مثاله قصيدة عبيد المشهورة :

\* أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ \*

فإنها كادت تكون كلاماً غير موزون بعلّة ولا غيرها ، حتى قال <sup>(١)</sup> بعض  
الناس : إنها خطبة ارتجلها فاتزن له أكثرها .

وقال الأصمعي : الزحاف في الشعر كالرخصة في الفقه ، لا يقدم عليها إلا  
فقيه

وينبغي للشاعر أن يركب مستعمل الأعاريض ووطئها ، وأن يستحلي  
الضروب ويأتى بالطفها موقفاً ، وأخفها مستمعاً ، وأن يحتجب عو بعضها ومستكرها ؛  
فإن العويص مما يشغله ، ويمسك من عنائه ، ويوهن قواه ، ويقت في عضده ،  
ويخرجه عن مقصده .

وقد يأتون بالخرم كثيراً - وهو ذهاب أول حركة من وتد الجزء الأول من  
البيت - وأكثر ما يقع في البيت الأول ، وقد يقع قليلاً في أول عجز البيت ،  
ولا يكون أبداً إلا في وتد ، وقد أنكره الخليل لقلته فلم يجزه ، وأجازته الناس ،  
أنشده الجوهري :

قَدَّمْتُ رِجْلاً فَإِن لَمْ تَزَعْ قَدَّمْتُ الْأُخْرَى فَنِلْتُ الْقَرَارَ  
وَأَنشَدَ أَبُو سَعِيدٍ الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ السَّكْرِيُّ لَامِرِئِ الْقَيْسِ :

(١) وفيها يقول أبو العلاء المعري :

وقد يخطيء الرأي امرؤ وهو حازم \* كما احتل في نظم القصيد عبيد  
وعبيد : هو ابن الأبرص بن جشم بن عامر بن هر ، وانظر ديوانه المطبوع في  
أوربا ( ص ٥ ) .



لقد، أنكرتني بعلبك وأهلها وابن جريح كان في حص أنكرا  
هكذا روايته ، ورواه غيره \* ولا بن جريح \* بغير خرم . فإذا اجتمع الخرم  
والقبض على الجزء فذلك هو الثرم ، وهو قبيح . وهذان عيبان تذك التسمية  
فيهما على قبحهما ؛ لأن الخرم في الأنف ، والثرم في الفم ، وإنما كانت العرب  
تأتى به لأن أحدهم يتكلم بالكلام على أنه غير شعر ، ثم يرى فيه رأياً فيصرفه  
إلى جهة الشعر ؛ فمن هنا احتمل لهم وقبح على غيرهم . ألا ترى أن بعض كتّاب  
عبد الله بن طاهر عاب ذلك على أبي تمام في قوله :

\* هُنَّ عَوَادِي يُوسُفٍ وَصَوَاحِبُهُ \*

على أنه أولى الناس بمذاهب العرب .

ويأتون بالخزم - نزاي معجمة - وهو ضد الخزم - بالراء غير معجمة ، الناقص  
منهما ناقص نقطة ، والزائد زائد نقطة - وليس الخزم عندهم بعيب ؛ لأن أحدهم  
إنما يأتي بالحرف زائداً في أول الوزن ، إذا سقط لم يفسد المعنى ، ولا أحل به  
ولا بالوزن ، وربما جاء بالحرفين والثلاثة ، ولم يأتوا بأكثر من أربعة أحرف ،  
أنشدوا عن علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى ورضي عنه :

أشدُّ حياز يمك الموت فإب الموت لا قيكاً

ولا تجزع من الموت إذا حلَّ بواديكاً

فزاد « أشدد » بياناً للمعنى لأنه هو المراد . قال كعب بن مالك الأنصاري  
يرثي عثمان بن عفان رضي الله عنه :

أقد عجبْتُ لقوم أسلموا بعد عزهم إمامهم للمكرات وللغدر

فزاد « لقد » على الوزن . هكذا أنشدوه . وأنشد الزجاج - وزعم أصحاب

الحديث أن الجن قالت :

نحن قتلنا سيد الخزر ج سعد بن عباده  
رميناه بسهمين فلم نُخطِ فؤاده  
فزاد على الوزن « نحن » وأنشد الزجاج أيضاً :  
\* بل لم تجزعوا يا آل حرب تجزعاً \*

فراد « بل » وأنشد أيضاً :

يا مطر بن خارجة بن مسلم اننى أجنى وتغلق دوى الأبواب  
وإما الوزن « مطر بن خارجة » والياء والألف<sup>(١)</sup> زائدة .. ومما جاء فيه الخزم  
في أول عجز البيت وأول صدره ، وهو شاذ جداً ، قول طرفة :  
هل تذكرون إذ نقاتلكم إذ لا يضر معدماً عدمه  
فزاد في أول صدر البيت « هل » وزاد في أول العجز « إذ » والبيت من  
قصيدته المشهورة :

أشجأك الربيع أم قدمه أم رماد دارس حمة  
وفال جريبة<sup>(٢)</sup> بن الأشيم أنشده أبو حاتم عن أبي زيد الأنصاري :  
لقد طال إيصاعى الخدم لا أرى فى الناس مثلى من معدٍ يخطب  
حقه تأوبت البيوت عشية فوضعت عنه كوره تتشاءب  
فاللام فى « لقد » زائدة ، وصاحب هذا الشعر جاهلى قديم ، وقالت الخنساء :  
أقذى بعينك أم بالعين عوار أم أوحشت إذ خلّت من أهلها الدار

(١) صوابه أن يقول « ويا زائدة » .

(٢) هكذا فى بعض النسخ بالجيم والراء المهملة ، وفى بعضها « خزيمه » بخاء  
وزاى موحدين ، وفى بعضها « حريشة » بحاء وراء مهملتين ، وكل هذه النسخ  
مخالفة لما فى نوادر أبي زيد ( ص ٧٢ ) فإن فيها « خريبة » بخاء معجمة وراء  
مهملة وبعد الياء باء موحدة .

فزادت ألف الاستفهام ، ولو أسقطناها لم يضر المعنى ولا الوزن شيئاً ، وروى  
أن أبا الحسن بن كيسان كان ينشد قول امرئ القيس :  
\* كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عَرَانِينَ وَبَلَه \*

فما بعد ذلك بالواو فيقول : \* وَكَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ الْجِيمِرِ غُدُوَّةَ \*  
\* وَكَأَنَّ السَّبَاعَ فِيهِ غَرَقَى عَشِيَّةَ \*  
معطوفاً هكذا ؛ ليكون الكلام نسقاً بعضه على بعض

وقال عبد الكريم بن إبراهيم : مذهبهم في الخزم أنه إذا كان البيت يتعلق  
بما بعده وَصَلُوهُ بتلك الزيادة بحروف العطف التي تعطف الاسم على الاسم والفعل  
على الفعل والجملة على الجملة ، وأخذ الخزم من خزيمة الناقة ، ومن شأنهم مد  
الصوت فجعلوه عوضاً من الخزم الذي يحذفونه من أول البيت .  
وقد قال غيره : إنما أسقطوه كأنهم يتوهمون أنه في السكتة ؛ فلذلك جعلوه  
في الوند المجموع ؛ لأن المفروق لو أسقطوا حركته الأولى لبقى أوله ساكناً ،  
ولا يبتدأ بالسكن ، فيسقط أيضاً ، والسكتة لا تحتل عندهم إلا حرفاً واحداً ؛  
وهذا اعتلال مليح بين جداً .

ومن التزحيف في الأوساط الإقعاد<sup>(١)</sup> ، وهو أن تذهب مثلاً نون متفاعلين الإقعاد  
أو مستفعلن في عروض الضرب الثاني من الكامل ، وتسكن اللام ، فيصير  
عروضه كضربه فعلاتن أو مفعولن ، كما قال الشاعر ، وهذا هو القطع عند  
أصحاب القوافي :

أفبعدَ مقتلِ مالكِ بنِ زُهَيْرٍ ترجو النساءِ عواقبَ الأطهارِ  
فما هذا على معنى التصريع وليس به ؛ فهو عيب ، وأقبح منه قول الآخر :

(١) في التونسية « الإقعاد » في الموضعين .

إني كبرتُ وإنَّ كلَّ كَبِيرٍ مما يضمن به على ويقتر  
لأنه أتى بالعروض دون الضرب بحرف ، لا لتوهم تصريح ولا إشكال،  
وإنما نذكر مثل هذا ليجتنب إذا عرف قبحه . وجاء منه في الطويل قول  
الناقة الذبياني :

جزى الله عبساً عبساً آل بغيضٍ جزاء الكلاب العاويات وقد فعل<sup>(١)</sup>  
أنشده النحاس . وقول ضباب بن سبيع بن عوف الحنظلي :  
لعمري لقد برَّ الضبابَ بنوهُ وبعض البنين حُمةً وسُعال  
هكذا روايته بالخاء غير معجمة ، وهو الصحيح ، وبعضهم يرويه « غمة »  
بالغين معجمة .

وزعم الجحى أن الإقعاد<sup>(٢)</sup> لا يجوز لمولد ، وقد أتى به البحتری في عروض  
الخفيف فقال يهجو شاعراً :

ليس ينفك هاجياً مضرُوباً ألفَ حَدٍّ ومادحا مصفوعا  
قياسا على قول الحارث بن حلزة اليشكري :  
أسدٌ في اللقاء ذو أشبالٍ دريعٌ إن شَنَعَتْ غبراء  
وابن قتيبة يسمي هذا الزحاف إقواء ، وسأذكره في أبواب القوافي إن شاء  
الله تعالى .

ومن مهمات الزحاف أربعة أشياء : ابتداء ، وهو ما كان في أول البيت مما  
لا يجوز مثله في الحشو : كالتَّم في الطويل ، والعَصْب في الوافر ، والخرم في

مهمات  
الزحاف

(١) في إحدى روايات الديوان \* جزى الله عبساً والجزاء بفعله \* ومن  
العلماء من يروى البيت بالألفاظ التي رواه المؤلف بها ولكنه يصغر لفظ « بغيض »  
بضم الباء وفتح الغين وتشديد الياء مكسورة ، وعلى هذين فلا شاهد للمؤلف فيه .  
(٢) في التونسية « الإقعاء » في الموضعين .

المزج ؛ وفصل ، وهو ما كان ملتزما في نصف البيت الذي يسمى عروضاً ، مثل  
مفاعِلن في عروض الطويل ، وفعلن في عروض المديد ، وما جرى مجراها ، هذا  
هو الحقيقة ، وأما ما كان من جهة التوسع والجزا ومعى التقريب فقد مر ذكرها  
آنفا ؛ واعتماد ، وهو ما كان من الزحاف الجائز في الحشو ولا مثل الجزء<sup>(١)</sup>  
الذى قبل الضرب ، كقول امرئ القيس :

أعنى على برقي أراء وميضٍ يضيء حيباً في شَمَارِيخٍ يَبِصِ  
فأثبت ياء « شَمَارِيخ » وهى مكان النون من فعولن ، وكان الأجود أن  
يسقطها بالقبض ؛ لمكان الاعتماد ؛ لأن السبب قد اعتمد على وتدين : أحدهما  
قبله ، والآخر بعده ، أقوى قوة ليست لغيره من الأسباب ، فحسن الزحاف فيه ،  
والاعتماد في المقارب سلامة الجزء من الزحاف ؛ وغاية ، وهو ما كان في الضرب  
الذى هو جزء القافية ملتزماً مخالفاً للحشو : كالقُطوع والقصور والمكسوف<sup>(٢)</sup> ،  
والمقطوف ، وهذه أشياء لا تكون في حشو البيت ..

قالوا : وأكثر الغايات معتل ؛ لأن الغاية إذا كانت فاعلاتن أو فعولن  
أو مفاعيلن فقد لزمها أن لا تحذف سواكنُ أسبابها ؛ لأن آخر البيت لا يكون  
متحركاً ، هذه حقيقة ما ذكر ، وأما الجواز والاتساع فكثير ...

ويتصل بالغايات أنواع آخر : فمن ذلك معرفة ما يلزمه حرف المد واللين  
الذى هو الرفع مما لا يلزمه<sup>(٣)</sup> ذلك ؛ أجمع حُذَاق أهل العلم من البصريين  
والكوفيين على أن كل وزن نقص من أتمَّ بنائه حرف متحرك عوض حرف

(١) هكذا في المصرتين ، والعبارة غير مستقيمة ، وصوابها : « ما كان من  
الزحاف الجائز في الحشو في الجزء الذى قبل الضرب » .

(٢) في الأصول كلها « والمكسوف » بالشين المعجمة ، وهو تصحيف .

(٣) كذا في جميع الأصول ، والصواب حذف كلمة « ذلك » .

المد واللين من ذلك الحرف فلم ينجىء إلا مُرَدَفًا بواو أو ياء أو ألف . ولا يحتسب في ذلك بما يقع للزحاف ، مثل مفعولن<sup>(١)</sup> في الخفيف . ألا ترى أنه يعاقب فاعلاتن ؟ فهو لا يوجب الردف ، فإن ذهب منه أكثر من حرف متحرك أو ما يقوم مقامه ، وهو حرف ساكن مع حرف آخر متحرك ؛ لم يلزمه الردف ، وإذا التقى ساكنان ألزموه الردف : فما سقط فألزم حرف المد فمولن المحذوف ، في الطويل ، لم يعتدوا بالنون لما يدركها من الزحاف فكأنما ذهبت اللام فقط ، ومن المديد فاعلاتن المقصور ، ومن البسيط فعنان المقطوع . والفرق بين القطع والقصر أن القصر في الأسباب والقطع في الأوتاد ، وهما جميعاً ذهاب ساكن من آخر الجزء وحركة متحرك قبله ملاصقه . والردف إما يكون عوضاً عما بعده لا بما قبله . ومن السكامل فعلات<sup>(٢)</sup> المقطوع ، ومن الرجز مفعولن<sup>(٣)</sup> المقطوع ، ومن الرمل فاعلاتن المقصور ، ومن المتقارب فعولن المقصور .

وما التقى فيه ساكنان وألزموه الردف مستفعلان المذال في البسيط ، وفيه اختلاف : أما من ألزمه الردف فلا لتقاء الساكنين ، أقاموا المد منهما مقام الحركة ؛ وأما من لم يلزمه الردف فلأنه قد تم وزيد على تمامه . والإرداف إما يأتي عوضاً من النقصان لا من الزيادة . وفي السكامل متفاعلاتن المذال ، وفي الرجز شاذ ، أنشده أبو زهرة النحوي في كتاب العروض ، وهو :

كَأَنِّي فَوْقَ أَقْبَ سَهْوِي جَأْبٍ إِذَا عَشَرَ صَاتِي الْإِرْنَانَ<sup>(٤)</sup>

(١) في جميع الأصول « مفعولن » بلا واو ، وهو غير صحيح .

(٢) أصله « متفاعلاتن » : حذف النون وسكنت اللام قبلها فصار « متفاعل »

فتقل إلى « فعلاتن » .

(٣) أصله « مستفعلن » فبعد حذف النون وإسكان اللام نقل إلى « مفعولن »

(٤) البيت للمرار الأسدي ، وأصل السهوي الطويل من الرجال ، وقد يستعمل

في غيرهم كما هنا . والجأب : الحمار الغليظ من حمر الوحش . والصاتي : الصوت ، والإرنان : الصوت ، وأراد الرفيع الصوت

وفي الرمل فاعلاتن وحدها ، والقول فيها كالقول في مستعملان للذال في البسيط ، وفاعلات في السريع ، وهو مذيّل من البسيط عند الجوهري ؛ فأما على ما عند مَنْ سواه فهو موقوف من مفعولات مطوية - أى ساقطة الواو - ومفعولات في مشطور السريع أيضاً ، وفي مَنهُوك المنسرح يلزمها حرف اللين ؛ فعلى هذا إجماع الخذاق ، إلا سيبويه فإنه رخص فيه لموافقة الوزن مرّداً وغير مردف ، وأنشد قول امرئ القيس :

ولقد رحلت العيس ثم زجرتُها      وهنّا وقلتُ : عَلَيْكِ خَيْرَ مَعَدٍّ

وقول الراجز :

\* إِنَّ تُنْمَعَ الْيَوْمَ نَسَاءُ يُنْمَعَنَّ \*

بإسكان العين والنون . وكان الجرّمى والأخفش يَرَيَانِ هذا غلطاً من قائله ، كالسناد والإكفاء ، يحكى ولا يعمل به ، إلا أن أبا نواس في قوله :

\* لَا تَبْكِي لَيْلِي وَلَا تَنْطَرِبِي إِلَى هِنْدِ \*

أخذ بقول سيبويه ، وهو قليل ، والقياس الأول حسن مطرد ، وهو المختار . المطلق والقيد ومن أهم أمور الغايات معرفة ما يُنشد من الشعر مطلقاً ومقيداً . قال أبو التّاسم الزجاجي وغيره من أصحاب القوافي : الشعر ثلاثة وستون ضرباً ، لا يجوز إطلاق مقيّد منها إلا انكسر الشعر ، ما خلا ثلاثة أضرب : أحدها في الكامل :

أُبَيَّ لَا تَظْلِمُ بِمَكَّةَ الصَّغِيرَ وَلَا الْكَبِيرَ

وهذا هو الضرب السابع يسمى مُذَالاً ، وإن شئت قلت : \* ولا الكبير \* فأطلقته وهو الضرب السادس منه يسمى المرفّل ، والضرب الثانی في الرمل وهو قول زيد الخيل :

بَا بَنِي الصَّيْدَاءِ رُدُّوْا فَرَسِي إِنَّمَا يُفْعَلُ هَذَا بِالذَّلِيلِ  
وهو الضرب الثاني منه ، فإن أطلقته صار أول ضرب منه ، والضرب  
الثالث في المتقارب ، أنشد الأصمى وأبو عبيدة :

كَأَنِّي وَرَحْلِي إِذَا زُعْتَهَا عَلَى جَزَى جَارِي بِالرَّمَالِ  
. غير أن سيويوه أنشد فيما يجوز تقييده وإطلاقه :

صَفِيَّةٌ قَوْمِي وَلَا تَعْجِزِي وَبَكَى النِّسَاءُ عَلَى حَزَّةٍ

وهو من المتقارب : إن أطلق كان مجذوفاً ، وإن قيد كان أبتر . وقد أنشد  
أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري لعمر بن شاس ، قال : والشعر مقيد

وما بيضة بات الظلم يُحَقِّقُهَا إِلَى جُوجُوْ جَافٍ بِمِثَاءٍ مَحَلَالٍ  
بِأَحْسَنِ مِنْهَا يَوْمَ بَطْنِ قَرَّاقِرٍ تَخَوُّضُ بِهِ بَطْنُ الْقَطَاةِ وَقَدْ سَالَ  
لَطِيفَةٌ طَلَى الْكَشْحِ مَضْمَرَةَ الْحِشَا هَضِيمُ الْعِنَاقِ هَوْنَةٌ غَيْرُ مِجْبَالٍ<sup>(١)</sup>  
تَمِيلُ عَلَى مِثْلِ الْكَثِيبِ<sup>(٢)</sup> كَأَنَّهَا نَفَقًا كَلَّمَا حَرَكْتَ جَانِبَهُ مَالٍ

هذا شيء لم يذكره العروضيون ، وهو عندهم مطلق محمول على الإقواء ،  
كما حمل قول امرئ القيس :

أَحْنِظْ لَوْ حَامَيْتُمْ وَصَبَرْتُمْ لِأَنْتَيْتُمْ خَيْرًا صَالِحًا وَلَأَرْضَانِ  
يُمَايَبُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى نَقِيَّةٍ وَأَوَجَّهُمُ عِنْدَ الْمَشَاهِدِ غُرَّانِ  
عَوِيرٌ وَمِنْ مِثْلِ الْعَوِيرِ وَرَهْطُهُ وَأَسْعَدُ فِي لَيْلِ الْبَلَابِلِ صَفْوَانِ  
فَقَدْ أَصْبَحُوا وَاللَّهِ أَصْفَاهُمْ بِهِ أَبْرَءُ بَأْيَمَانَ<sup>(٣)</sup> وَأَوَى بِمِجْرَانِ

(١) في النوادر (ص ٤١) : « هوننة غير متفال »

(٢) في النوادر « على ظهر الكتيب » وروى « على ظهر الضجيع » .

(٣) رواية الديوان « أبر بميثاق » .



إلا الأخفش والجرجي ؛ فإنهما يرويان هذا الشعر موقوفا ، ولا يرّيان فيه إقواء ، وهذا عند سيويوه لا بأس به .

وقد صوّبَ الناسُ قولَ الخليل في مخالفة هذا المذهب ، وأنشد بعض المتعقبين أظنه البازي العروضي :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود  
بالتقييد على أنه من الضرب المحذوف المعتمد ، قال : إلا أنه يدخله عيبٌ  
لترك حرف اللين ، وهو كثير جداً .

وليس الابتداء والفصل والاعتماد والغاية بعلل ، ولكنها مواضع العلل ؛ فأقيم  
المضاف إليه مقام المضاف .

وأما زحاف الحشو فمن أهمه معرفة المعاقبة والمراقبة : فأما المعاقبة فهي أن زحاف الحشو  
يتقابل سببان في جزئين ، فهما يتعاقبان السقوط : يسقط ساكن أحدهما لثبوت  
ساكن الآخر ، ويثبتان جميعاً ، ولا يسقطان جميعاً ، والمعاقبة بين سببي جزئين  
من جميع الأوزان في أربعة أنواع : المديد ، والرمل ، والخفيف ، والمجثث ، وهو  
عند الجوهري ضرب من الخفيف ، فإذا كان السبب في أول البيت أو كان قبله  
وتد دخله الزحاف فهو برىء من المعاقبة ؛ إذ ليس قبله ما يعاقبه ، ولأن الوند  
لا يعاقب السبب ، فإذا زوحف ثاني الجزء لمعاقبة ما بعده فهو مجز ، فإن زوحف  
أوله لمعاقبة ما قبله وآخره لمعاقبة ما بعده فهما طرفان ، وياء مفاعيلن في الطويل  
والهزج يعاقب نونها ، وكذلك سين مستعلنن في الكامل<sup>(١)</sup> تعاقب فاءها .

والمراقبة : أن يتقابل السببان في جزء واحد فيسقط ساكن أحدهما ، ولا  
يسقطان جما البتة ، وكذلك لا يثبتان جميعاً ، وهي من جميع الأوزان في  
المضارع والمقتضب ، والجوهري يعدُّ المقتضب من الرجز كما قدمت ، فهي من

(١) لعله « في الرجز » فإن الكامل « متعلنن » وهو من سبب تقيل وسبب  
خفيف بعدهما وتد مجموع ، وفرض كلامه في سببين خفيفين

المضارع في سبهي مفاعيلن - أعنى الياء والنون - إما أن يأتى مفاعيلن مقبوضا أو مفاعيلن مكفوفاً ، ومن المقتضب في سبهي مفعولات - أعنى الفاء والواو - إما أن تمحّن فتصير مفاعيل<sup>(١)</sup> وإما أن تطوى فتصير<sup>(٢)</sup> فاعلات ، ولا يجوز أن يكون هذا ولا الذى قبله - أعنى المضارع - سالماً البتة .

والفرق بين المراقبة والمعاقبة أن سبهي للمعاقبة يثبتان معاً ، وأن سبهي المراقبة لا يثبتان معاً ، وأن المعاقبة في جزءين ، إلا ما كان من مفاعيلن في الطويل والمهزج ومستفعلن في الكامل<sup>(٣)</sup> وأن المراقبة في جزء واحد .

وسأفرد لباقي الزحاف باباً أذكره فيه مع المشطور إن شاء الله تعالى .  
ولست أحمل أحداً على ارتكاب الزحاف إلا ما خف منه وخفي ، ولو أن الخليل - رحمه الله - وضع كتاب العروض ليتكلف الناس ما فيه من الزحاف ويجعلوه مثلاً دون أن يعلموا أنها رخصة أتت بها العرب عند الضرورة لوجب أن يتكلف ما صنعه من الشعر مؤزحاً ليدل بذلك على علمه وفضل ما نحا إليه .

ولسنا نرى الزحاف الظاهر في شعر محدث ، إلا القليل لمن لا يتهم كالبهتري ، وما أظنه كان يعتمد ذلك ، بل على سجيته ؛ لأنه كان بدوياً من قرى منبج ، ولذلك أعجب الناس به ، وكثر الغناء في شعره ؛ استطرفاً لما فيه من الخلاوة على طبع البداوة . وذكر ابن الجراح أنه من أهل قنسرين والعواصم .  
وقد ذكرت ما يليق ذكره بهذا الموضع ليعرفه المتعلم إن شاء غير متكلف به

(١) خبئها : حذف ثانيها الساكن ، وهو الفاء ، فتصير : « مفعولات » فتنتقل إلى « مفاعيل »

(٢) طيها : حذف رابعها الساكن ، وهو الواو ، فتصير « مفعلات » فتنتقل إلى « فاعلات »

(٣) لعله « في الرجز » فإن الكامل « متفاعلين » وهو من سبب ثقل فسبب خفيف بعدهما وتد مجموع ، وفرض كلامه في سببين خفيفين

شعراً إلا ما ساعده عليه الطبع ، وصحَّ له فيه الذوق ؛ لأنني وجدت تكلف العمل بالعلم في كل أمر من أمور الدين أوفق ، إلا في الشعر خاصة ؛ فإن عمله بالطبع دون العروض أجود ؛ لما في العروض من المساحة في الزحاف ، وهو مما يُهَجَّنُ الشعر ، ويذهب برؤيته .

## ٢٢ - باب القوافي

القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ، ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية ، هذا على [رأى] من رأى أن الشعر ما جاوز بيتاً واتفقت أوزانه وقوافيه ويستدلّ بأن المصرّع أدخل في الشعر ، وأقوى من غيره ، وأما ما قد أراه فقد قدمته في باب الأوزان .

واختلف الناس في القافية ما هي ؟ فقال الخليل : القافية من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله ، مع حركة الحرف الذي قبل الساكن ، والقافية - على هذا المذهب ، وهو الصحيح - تكون مرةً بعض كلمة ، ومرة كلمة ، ومرة كلمتين ، كقول امرئ القيس :

\* كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ \*<sup>(١)</sup>

فالقافية من الياء التي بعد حرف الروي في اللفظ إلى نون « من » مع حركة للميم ، وهاتان كلمتان . وعلى وزن هذه القافية قوله :

\* إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمِيهِ غَلِيٌّ مِرْجَلٍ \*<sup>(٢)</sup>

فالقافية « مِرْجَلٍ » وهي كلمة ، وعلى وزنها قوله :

(١) صدر هذا البيت : \* مكر مفر مقبل مدبر معا \*

(٢) صدر هذا البيت : \* على العقب جياش كأن اهترامه \*

\* وَيَكْلَوِي بِأَنْوَابِ الْعَنِيْفِ الْمُثَقَّلِ \* (١)

فالقافية من الثاء إلى آخر البيت ، وهذا بعض كلمة . وتابعه على هذا أبو عمر الجرمي وأصحابه ، وهو قول مضبوط ، محقق يشهد بالعلم . وقال الأخفش : القافية آخر كلمة من البيت ، واستدل على صحة ذلك بأنه لو قال لك إنسان : اكتب لي قوافي قصيدة لكتبت له كلمات ، نحو : كتاب ، ولعاب ، وركاب ، وصحاب ، وما أشبه ذلك ، وهو المتعارف بين الناس اليوم ، أعنى قول الأخفش ، وكل كلمة من قوله « عل » وقوله « مِرْجَلٍ » وقوله « المثل » في شعر امرئ القيس قافية بذاتها عند الأخفش ، فعلى هذين القولين مدار الخذاق في معرفة القافية .

ترجيح رأى الخليل  
ورأى الخليل عندى أصوب ، وميزانه أرجح ؛ لأن الأخفش إن كان إنما فرّ من جعله القافية بعض الكلمة دون بعضها فقد نجد من القوافي ما يكون فيها حرف الروي وحده القافية على رأيه ، فإن وَزَنَ معه ما قبله فأقامهما مقام كلمة من الكلمات التي بعدها قوافي كان قد شَرَكَ [ في ] القافية بعض كلمة أخرى مما قبلها ، فإذا جاز أن يشترك في القافية كلمتان لم يمتنع أن تكون القافية بعض كلمة ، مثال ذلك ما شا كل قول أبي الطيب :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزَعْتُ فيه بآمالى إلى الكذب  
حتى إذا لم يدع لي صدقه أَمْلاً شَرَقْتُ بالدمع حتى كاد يشرق بي  
فالقافية في البيت الأول على قوله « الكذب » لولا أن الألف فيه ألف وصل نابت عنها لام « إلى » فإن قال : [ إن ] القافية في البيت الثاني « يشرق بي » رجع ضرورة إلى مذهب الخليل وأصحابه ؛ لأن القافية عنده في هذا البيت من الياء التي للوصل - وهى ههنا ضمير المتكلم - إلى شين « يشرق » مع حركة الياء

التي قبلها في أول الكلمة . وإن جعل القافية باء انخفض التي في موضع الروي وياض الضمير التي قامت مقام الوصل رجع إلى قول من جعل القافية حرف الروي وهو خلاف مذهبه ، وليس بشيء ؛ لأنه لو كان صحيحا لجاز في قصيدة واحدة فجر ، وفجار ، وفاجر ، وفجور ، ومنفجر ، وانفجار ، ومفجّر ، ومتفجر ، ومفجور ، وهذا لا يكون أبداً ، إلا أن الفراء يحمي بن زياد قد نص في كتاب حروف الممجم أن القافية هي حرف الروي ، واتبعه على ذلك أكثر الكوفيين : منهم أحمد ابن كيسان ، وغيره ، وخالفه من أهل الكوفة أبو موسى الحامض ، فقال : القافية مالمزم الشاعر تكراره في آخر كل بيت . وهذا كلام مختصر مليح الظاهر ، إلا أنه إذا تأملته كلام الخليل<sup>(١)</sup> بعينه لا زيادة فيه ولا نقصان .

ومن الناس من جعل القافية آخر جزء من البيت : قال أبو القاسم عبد الرحمن رأي آخر في الزجاجة : بعض الناس من العلماء يرى أن القافية حرفان من آخر البيت ، وحكي القافية أنهم سألوا أعرابيا وقد أنشد :

\* بناتُ وطاء على خدّ الليل \*

ما القافية ؟ فقال : « خدّ الليل » . ولا أدري كيف قال أبو القاسم هذا ؟ لأن « خدّ الليل » كلمتان وليستا حرفين إلا اتساعا ، وهذا هو آخر جزء من البيت على قول من قاله ، ولو قال قائل : إن الأعرابي إما أراد الياء واللام من « الليل » على مذهب من يرى القافية حرفين من آخر البيت لكان وجهاً سائفاً ؛ لأن الأعرابي لا يعرف حروف التهجي فيقول القافية ألياء واللام من « الليل » فكرر اللفظ ليفهم عنه السائل مراده .

(١) لا ، بل هو قول الفراء إذا تأملت بعين النصفة ؛ لأن الذي يلزمك تكراره في آخر كل بيت هو حرف الروي ، وأما ما عده فليس لازماً بنفسه أبداً

أراء أخرى ومنهم من جعل القافية في الجزء الآخر من البيت ، وقال : لا يسمى بيتاً من الشعر مادام قسياً أول .

ومنهم من قال : البيت كله هو القافية ؛ لأنك لا تبني بيتاً على أنه من الطويل ، ثم تخرج منه إلى البسيط ، ولا إلى غيره من الأوزان .

ومنهم من جعل القافية القصيدة كلها ؛ وذلك اتساع ومجاز .

لم سميت القافية سميت القافية قافية لأنها تقفوا إثر كل بيت ، وقال قوم : لأنها تقفوا أخواتها ، والأول عندي هو الوجه ؛ لأنه لو صح معنى القول الأخير لم يجز أن يسمى آخر البيت الأول قافية ؛ لأنه لم يقف شيئاً ، وعلى أنه يقفوا أثر البيت يصح جداً ، وقال أبو موسى الحامض : هي قافية بمعنى مقفوة ، مثل « ماء دافق » بمعنى مدفوق ، و « عيشة راضية » بمعنى مرضية ، فكأن الشاعر يقفوها ، أى يتبعها ، وهذا قول سائغ متبعه .

وسأذكر مما يلزم القافية من الحروف والحركات مالا غفى عن ذكره في هذا الموضع مجملاً مختصراً للبيان والإيضاح ، إن شاء الله تعالى .

حروف  
القافية  
وحركاتها

فأقول : إن الشعر كله مطلق ومقيد ؛ فالمقيد ما كان حَرَف الروى فيه ساكناً ، وحرف الروى الذى يقع عليه الإعراب ، وتبنى عليه القصيدة ، فيتكرر في كل بيت وإن لم يظهر فيه الإعراب لسكونه ، وليس اختلاف إعرابه عيباً كما هو في المطلق إقواءً ، وحركة ما قبل الروى في المقيد خاصة دون المطلق على رأى الزجاج وأصحابه توجيهه ، وقال غيره : في المطلق والمقيد جميعاً يسمى التوجيه ، ما لم يكن الشعر مُرَدِّفاً ، ويجوز في التوجيه التغير ؛ فيكون سناداً عند بعض العلماء ، وكان الخليل يميزه على كره من جهة الفتحة ، فأما الضمة والكسرة فهما عنده متعاقبتان كالواو والياء في الردف ، والفتحة كالألف ، وأنشدوا :

\* أَحَارِ بْنِ عَمْرِو كَأَنِّي خَيْرٌ \*

وفي القصيدة :

\* وكندةٌ حولي جميعاً صُبُرٌ \*

وفيها :

\* تَحَرَّكَتِ الْأَرْضُ وَالْيَوْمُ قَرٌ \*

فاختلف التوجيه : بالكسر ، والضم ، والفتح . وقد سَمَّى ابن قُتَيْبَةَ وأبو عبيدة وغيرهما هذا العيبَ إجازةً ، إلا أن منهم من جعل الإجازة اختلاف حركة الروي فيما كان وصله هاء نسا كنة خاصة ، وأنشدوا :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَغْفُو وَيَسْتَدُّ انْتِقَامُهُ

فِي كَرِهِهِمْ وَرِضَاهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ اهْتِضَامَهُ

وأنشد آخرون في مثل ذلك ، إلا أن منهم مَنْ أطلق الهاء :

فَدَيْتُ مَنْ أَنْصَفَنِي فِي الْهَوَى حَتَّى إِذَا أَخْكَمَهُ مَدَّاهُ  
آمَنَ مَا كُنْتُ ، وَمَنْ ذَا الَّذِي قَبْلِي صَفَا الْعَيْشُ لَهُ كَلَّاهُ ؟

وكان ابن الرومي يلتزم حركة ما قبل الروي في المطلق والمقيد في أكثر شعره اقتداراً : صنع ذلك في قصيدته القافية في السَّودَاء ، وفي مطولته :

\* أَيْبَنَ ضُلُوعِي بَجَرَّةٍ تَتَوَقَّدُ ؟ \*

قال شيخنا أبو عبد الله : الإجازة - بالزاي معجمة - اختلاف حركات ما قبل الروي ، وهو مأخوذ من إجازة الحبل ، وهو : تَرَكَبَ قَوَاهُ بعضها على بعض ، فسكان هذا اختلفت قُوَى حركاته . وقد حكى ابن قُتَيْبَةَ عن ابن الأعرابي مثل قول أبي عبد الله ، وقال : هو مأخوذ من إجازة الحبل والوتر .

والمطلق نوعان : أحدهما : ما تبع حرفَ رويهِ وصلٌ فقط . والوصل أحد أربعة أحرف : الياء ، والواو ، والألف ، والهاء ، ينفرد كل واحد منها بالقصيدة حتى تكمل ؛ فما وصله ياء :

\* قَفَا ثَبَكٍ مِنْ ذِكْرِ حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ \*

فبعد اللام ياء في اللفظ ، لا يقوم الوزن إلا بها ، ومما وصله واو :

\* أَمِنْ الْمَنُونِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ \*

فبعد العين في اللفظ واو كذلك ، ومما وصله ألف :

\* أَيْتَهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا \*

فبعد العين ألف ثابتة في الخط ، وإنما أثبتوها دون الياء والواو لخفتها مرة وكونها عوضاً من التنوين مرة ، ومما وصله هاء :

\* أَشَجَاكَ الرَّبْعُ أُمَّ قَدَمُهُ \*

وكل وصل ساكن ما خلا الهاء ، فإنها تكون ساكنة ومتحركة ، وسيرد عليك ذكرها إن شاء الله تعالى . . وإذا كان ما قبل الواو والياء والهاء ساكناً أو كانت مضاعفة لم تكن إلا حروف روى لا غير ؛ لأن الوصل لا يكون ما قبلها ساكناً ، ولعله أن المقيد لا وصل له<sup>(١)</sup> فأما الألف فلا يكون ما قبلها ساكناً لأنها أخف من ذلك ؛ وإذا انفتح ما قبل الواو والياء الساكنتين لم يكونا إلا رَوِيَا عند سيبويه ، وإذا انكسر ما قبلهما أو انضم كنت فيهما بالخيار ، وكذلك الألف، إذا كانت أصيلة أنت فيها بالخيار . وأما الياء المشددة المكسورة ما قبلها مع الياء المشددة المفتوح ما قبلها فرأى القاضى أبى الفضل جعفر بن محمد فيهما أن يكون المكسور ما قبلها ردفاً ويكون المفتوح ما قبلها إما ردفاً لما بقى فيها من المد وإما غير ردفاً لذهاب أكثر المد منها ؛ فتكون على المذهب الأول مثل « قَصِينَا » مع « رَضِينَا » وهذا سناد ، وعلى المذهب الثانى مثل إرداف بيت وترك إرداف الآخر ، كقول حسان بن ثابت \* ولا تَوْصِيهِ \* فى بيتٍ ، ثم

(١) فى التونسية : « لأن ما يكون ما قبله ساكناً مقيد ، والمقيد لا وصل له »



قال في الآخر : \* ولا تنصيه <sup>(١)</sup> \* وهذا أيضاً سناد . وله رأى ثالث ، وهو أن تكون الياءان لما أدغمت إحداها في الأخرى صارتا بمنزلة حرف واحد ، وصار التزام التشديد اختياراً من الشاعر ، وإلا فترك التشديد جائز له . وهذا قول الخليل والأخفش جميعاً ، وقد أنكره الجرمي وأبو سعيد السيرافي ، وكل هاء تحرك ما قبلها فهي صلة ، إلا أن تكون من نفس الكلمة ؛ فإنك تكون فيها بالخيار : إن شئت جعلتها روياء ، وإن شئت سمحت بها فصيرتها صلة والتزمت ما قبلها فجعلته روياء . وكثيراً ما يسقط الشعراء في هذا النوع ، قال أبو الطيب :

أنا بالوشاة إذا ذكرتكَ أشبهُ      تأتي الندى ويذاع عنك فتكره  
وإذا رأيتكَ دون عرض عارضا      أيقنتُ أن الله بيني نصره

فغلط في التصريح لأنه التزام فيه الهاء ولولا ذلك لكان البيتان رائيين وسمح بهاء « تكره » فصيرتها صلة وإن كانت من نفس الكلمة . وقد وقع ابن المعتز في مثل حال أبي الطيب فقال :

أفنى العداة إماماً ماله شبهُ      ولا ترى مثله يوماً ولم ترهُ  
ضارٍ إذا انقضَّ لم تُحرِّم مخالبه      مستوفز لا تباع الحق منتبهُ  
ما يحسن القطر أن ينهل عارضه      كما تتابع أيام الفسوح له

(١) البيتان اللذان يشير المؤلف إليهما :

إذا كنت في حاجة مرسلاً فأرسل جكياً ولا توصه  
وإن باب أمر عليك التوى فشاور ليبياً ولا تعصه

غير أن نسبتهما إلى حسان بن ثابت لم تصح عندنا ؛ فإن ديوانه خال من الشعر على هذه القافية ، وسيأتي قريباً ( ص ١٦٨ ) ذكر ذلك مرة ثانية

وقال أيضاً يصف كلاب الصيد في أرجوزة :

إن خرطت من قدها لم ترها إلا وما شئت من الصيد لها  
تمسكه عضاً ، ولا يذمى به غريزةً منهم أو تفقهها

ووقع بشار بن برد - على تقدمه عليهما - في مثل ذلك ، فقال :

الله صورهم وصيرها لاقتك أو لم تلقها ترها  
نصباً لعينيك لا ترى حسناً إلا ذكرت لها به شَبها

ولا أعلم أن أحداً من العلماء تسامح في مثل هذا ، بل هو عندهم عيب كالإكفاء ، وروى بيت بشار « نَزها » بالنون والزاى ، جمع نزهة ، ولا عيب فيه على هذا . وهاء حمزة وطلحة لا تكون إلا صلة ، وإذا تحركت هاء التأنيث كنت فيها بالخييار : إن شئت التزمت ما قبلها وجعلتها كالصلة مجازاً ، وإن شئت التزمتها فكانت على حقها رويًا . وهذا رأيهم في كاف الخطاب مع التأسيس : إذا شاءوا جعلوها رويًا فلم يلتزم ما قبلها ، وإن شاءوا جعلوها مقام الصلة والتزموها ما قبلها مجازاً ، وهو الأجود ؛ لاختيار الشعراء إياه قديماً على اتساعهم في تركه . قال القاضي أبو الفضل : مَنْ زعم أن التاء والكاف يكونان وصلًا فإنما حمله على ذلك أنه رأى بعض الشعراء قد لزم في بعض شعره حرفاً لم يفارقه فظن ذلك الحرف رويًا . وإنما لم يميز عنده كونهما صلة لأنهما ليس فيهما من مضارعة حروف المد واللين ما في الهاء . وقال من جعل التاء صلة كالهاء : إنها تجبىء للتأنيث مثلها ، وتكون اسماً كما تكون الهاء اسماً ، وتزاد كما تزداد الهاء ، وإن الهاء تنقلب تاء في درج الكلام ، وشبه الكاف بالهاء لأنها حرف إضمار مثلها ، وأنها تكون اسماً للمجرور والمنصوب كالهاء .

والنوع الآخر من المطلق ما كان لوصفه خروج ، ولا يكون ذلك الوصل إلا هاء متحركة ، نحو قول الشاعر :

والشيخُ لَا يَتْرُكُ أَخْلَاقَهُ حَتَّى يُوَارِيَ فِي تَرْيِ رَمْسِهِ  
فالسین حرف الروی ، وحركتها مجرى ، وإن شئت إطلاق ، كلاهما يقال ،  
والهاء وصل ، وحركتها نفاذ ، وبعدها في اللفظ ياء هي الخروج ، ولو كانت الهاء  
مضمومة كان الخروج واواً ، أو مفتوحة كان الخروج ألفاً . ولا يكون حرف الروی  
إلا في أحد ثلاثة مواضع : إما متأخراً كقول طرفة :

\* نَحْوَلَةَ أَطْلَالٍ بِبُرْقَةٍ شَهْمَدِ \*

فالدال روى ، وإما قبل المتأخر ملاصقاً له كقول عمرو بن كلثوم :

\* أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبَحِينَا \*

فالنون حرف الروی ، أو قبل المتأخر بحرف كقول لبید :

\* عَفَتِ الدَّيَّارُ مَحَلَهَا فِقَامُهَا \*

فاليم حرف الروی ، وهذه المواضع المذكورة إنما هي في اللفظ لا في الخط ،  
ولا يكون حرف الروی - إذا كان بعده شيء - إلا متحركاً ؛ لأن المقيد لاشيء  
بعده ، وأنشد بعضهم :

\* شَلَّتْ يَدَا فَايِرَةٍ فَرَسَهَا \*

على أن التاء حرف روى ، فَرَدَ ذلك العلماء بالعلة التي ذكرتها ، وقالوا : إنما  
التزم التاء والراء قبلها اتساعاً ، وإلا فالهاء هي الروی .  
وكل شعر فلا بد أن يكون : مطلقاً ، أو مقيداً ، ثم لا بد أن يكون : مُرَدِّفًا  
أو مؤنَّسًا ، أو معرَّيٍّ منهما مجرداً .

فالمردَّف نوعان : تشترك الياء والواو في أحدهما ، نحو قول علقمة

الفحل :

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحَسَنِ طَرُوبُ بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَحَانَ مَشِيبُ

فالياء في « مشيب » مقام الواو في « طَرُوب »

وتنفرد الألف بالنوع الآخر نحو قول امرئ القيس :

\* ألا عم صَبَاحاً أيها الطَّلُّ البالي \*

لا يشرکہا غيرها ، والحركة التي قبل الردف — ياء كانت أو واو أو ألفاً — تسمى الحَذْوُ ، وقد تَجَرَّ الضمة واواً في اللفظ ، والكسرة ياء ، وذلك مع هاء الضمير ، فتكون ردفاً ، وإن لم تثبت في الخط ، نحو قول ابن المعتز :

صَمَخُوا عَارِضَهَا بِالسِّمَكِ فِي خَدِّ أُسَيْلٍ  
تَحْتَ صُدُغَيْنِ يُشِيرَا نِ إِلَى وَجْهِ جَمِيلٍ  
عِنْدَى الشَّوْقِ إِلَيْهِ وَالتَّنَاسَى عِنْدَهُ لِي

ومن المردف ما تكون حركة الحَذْوِ فيه مخالفة للردف ؛ فيجعل شعراً على جهته ؛ فإن دخل مع غيره كان سِنَاداً ، وذلك مثل هَوَلٍ وَسَيْلٍ يكونان في قصيدة ، ولا يكون معهما سؤل وفيل .

وقياس المردف في الوصل والخروج وغير ذلك من حروف الروى وحركته جار على ما تقدم في المجرد من الردف ، إلا الحَذْوُ والتوجيه ؛ فإن المقيد يختص بالتوجيه ، وهو الروى ، والمردف يختص بالحَذْوُ ، وهو حركة ما قبل الردف ، وإن كان المردف مقيداً سقط التوجيه وبقي الحَذْوُ ؛ لأن الردف قد سد موضع التوجيه .

وقد يلتبس بالمردف ما ليس بمردف فيجتنبه الشعراء ، مثل « فيهم » مع « منهم » وهو جائز ؛ لأن الهاء ليست رويّاً فتكون الياء ردفاً ، وإنما الروى الميم ، ويجتنبون « منكم » مع « منهم » وذلك جائز لا عيب فيه ؛ لما قدمت آنفاً .

وكان ابن الرومي خاصة من بين الشعراء يلتزم ما لا يلزمه في القافية ، حتى إنه لا يعاقب بين الواو والياء في أكثر شعره قدرة على الشعر واتساعا فيه .

والأجود أن يكون الردف والروى جميعاً في كلمة واحدة ، فإذا كانا في كلمتين فلا بأس .

المؤسس

والمؤسس من الشعر: ما كانت فيه ألفٌ بينها وبين حرف الروى حرفٌ يجوز تغييره ؛ فذلك الحرف يسمى الدخيل ، وحركته تسمى الإشباع ، ويجوز تغييرها عند الخليل ، ولا يجوز عند أبي الحسن الأخفش ، مثال ذلك ما أنشده أبو زكريا الفراء :

نهوى الخليلط وإن أقننا بعدم إن المقيم مكلفٌ بالسائر  
إن الملقى بنا يَحْدَنَ ضُحَى غديرٍ واليوم يوم لبانةٍ وتَزَاوُرٍ

وهو جائز غير معيب ، وأما القاضى أبو الفضل فرأيه أن حركة الدخيل ما دامت إشباعاً جاز فيها التغيير بالنصب والخفض والرفع ؛ فإذا قيد الشعر وصار موضع الإشباع التوجيه لم يجز الفتح مع واحد منهما ، واعتلّ في ذلك بحال المطلق غير المؤسس أن ما قبل رويه جائز تغييره ، فإذا قيد لم يجز الفتح فيه إلا وحده ، فهو سناد ، ويشارك الضم والكسر ، وهذا قول واضح البيان ، ظاهر البرهان ، والناس مجمعون على تغيير الدخيل حتى إن بعضهم لم يسمه لتغييره واضطرابه لكن عدّه فيما لا يلزم القافية فسكت عنه .

وأما الإشباع فالقول فيه ما قدمت ، وإذا كان ألف التأسيس في كلمة وحرف الروى في كلمة أخرى لم يعدوها تأسيساً لبعدها ، إلا أن يكون حرف الروى مع مضمر متصل أو منفصل ، فإن الشاعر بالخيار : إن شاء جعل الألف تأسيساً ، وإن شاء لم يجعلها تأسيساً ؛ فالتى لا تكون عندهم تأسيساً قول عنتره :

\* والتأذيرين - إذا لم ألقهما - دعى \*

لما كان الاسم ظاهراً ، وقد أنشد بعضهم في أبيات الغز والمعاياة :

( ١١ - الممدق ١ )

أقول لمعرو حين خود رأله ونحن بوادي عبد شمس وهاشم<sup>(١)</sup>  
 وَهَى : من الوَهَى ، وَشَمٌ : من الشَّيم للبرق . . . وقول الآخر :  
 أقول لعبد الله لما لقيته ——— ونحن بوادي الروم فوق القناطر  
 فالقنطرة : جمع قنطرة ، وطيرٌ ، أمر من طار يطير ، فرخص فيه لما انكسرت  
 حركة دخيله على متعارف الشعر ، وهو كلام حسن الظاهر ، إلا أنه خلاف لما  
 قال العلماء ، والتي تكون تأسيساً لكونها مع المضمرة قول الشاعر :  
 تزيد حسى الكأس السفية سفاهةً وتترك أخلاق الكريم كما هيا  
 وقول جرير :

فُرْدَى جَمَالَ الْحَيِّ ثُمَّ تَحَمَّلَى فمالك فيهم من مقام ولا ليا

فهذا ضمير متصل ، والذي قبله ضمير منفصل . .

وبما جاءت الألف فيه غير تأسيس مع المضمرة قول الشاعر ، وهو من  
 شواهد أبي الفتح عثمان بن جني النحوي :

أَيَّةُ جَارَاتِكَ تِلْكَ الْمُوصِيَّةُ قَائِلَةٌ لَا تَسْقِيَا بِحَبْلِيَّةِ

لَوْ كُنْتُ حَبْلًا لَسَقَيْتُهَا بِمِهُ أَوْ قَاصِرًا وَصَلْتُهُ بِثَوْبِيَّةِ

فالألف في «سقيتها» غير تأسيس ، فإذا كانت الهاء والكاف التي للمخاطب  
 دخيلاً لم يخلط الشعراء بها غيرها انشاعاً ، وإلا فهو جائز .

وأنشد الجرمي ثعلوب ابن عطية بن الخزع :

(١) أحفظ هذا البيت هكذا :

أقول لعبد الله لما سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس وهاشم

على أن أصل الكلام : « لما وهى سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس » وشم :  
 فعل أمر من شام البرق ، ويجوز أن يكون أمراً من قولهم « وشم » إذا غرز الإبرة  
 في الجسد ؛ فيكون المراد الأمر بخرز السقاء ، وهو ظاهر

فإن شئتما ألقمتما وتنجتما وإن شئتما عينا بعين كما هما  
وإن كان عقلاً فاعقلاً لأخيكما بنات الخاض والفصال المقاحا

ومن المؤسس والمردف ما يلتبس على المبتدىء فلا يميزه إلا عن كلفة وبعد  
فترة ، فأوردت منه ما يكون له مثلاً يستدل به ويعمل عليه إن شاء الله تعالى .  
فمن ذلك تغيير ما قبل الكاف في القافية للمؤسسة لأنه دخيل ، والكاف روي ،  
والتزامه يعد اتساعاً ، فإذا كانت موضع الكاف هاء صار الشعر مردفاً موصولاً  
ولم يجز تغيير ما قبل الهاء ؛ لأنك لو غيرته لكنت قد غيرت حرف الروي ، مثال  
ذلك قول كثير أو غيره :

ترأغت لو شئت البين بزل جمالك ولو شئت ما فجعمتني بارتحالك  
فالتزم اللام في القصيدة كلها أو في أكثرها ؛ اتساعاً ، ولو غير كما فعل ذو  
الرمة في قوله :

أما استحلبت عينيك إلا محلةً بجمهور حُزوى أو بجرعاء مالك  
أناخت رَوَايَا كل دلو به هنا وكل سماكي أجش المبارك  
لم يكن عيباً ؛ لأن الكاف روي وصلتها الياء التي بعدها في اللفظ ،  
والدخيل راء « المبارك » ولام « مالك » وقد التزمه كثير كأن القافية عنده  
لامية مردفة ، فالكاف مقام الهاء صلة على المجاز لا على الحقيقة ، وقال كثير  
في المردف :

على ابن أبي العاصي دِلَاصٌ حصينة أجاد المُسَدَّى سردها وأذاها  
فاللام روي ، والألف التي قبلها ردف ، والهاء صلة ، والألف التي بعدها  
خروج ، ولا يجوز أن يقال لهذه القافية مؤسسة ؛ لأن الهاء إذا تحرك ما قبلها  
وليست من نفس الكلمة لم تكن إلا صلة ، وإذا كانت الهاء صلة لم تكن  
اللام إلا رويًا ، ولا يجوز تغييرها .

حروف القافية وحركاتها وجميع ما يلحق القوافي من الحروف والحركات ستة أحرف وست حركات، فالأحرف : الروي، والردي، والتأسيس، والوصل، والخروج، والدخيل؛ والحركات : الإطلاق، والخذو، والرس، والتوجيه، والنفاذ، والإشباع، والذي يجتمع منها في قافية واحدة خمسة أحرف، وهي : التأسيس، والروي، والصلة، والخروج، والدخيل؛ وكلها يلزم تكراره بعينه إلا الدخيل، وأربع حركات، وهي : الرس، والإشباع، والإطلاق، والنفاذ، وذلك مثل قول الشاعر<sup>(١)</sup> :

يُوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ فِي بَعْضِ غِرَّاتِهِ يُوَافِقُهَا

ولا يجتمع في قافية الخذو والرس، كما لا يجتمع الردي والتأسيس، وكذلك لا يجتمع أيضاً التوجيه والإشباع، فيسقط التوجيه إذا كان المؤسس مطلقاً، ويسقط الإشباع إذا كان المؤسس مقيداً

وقد أنكر الجرمي والأخفش وأصحابهما على التحليل تسمية الرس، وقالوا : لا معنى لذكر هذه الفتحة ؛ لأن الألف لا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً، وإنما احتيج إلى ذكر الخذو قبل الردي لأن الخذو قد يتغير فيكون مرة فتحة قبل ألف ومرة كسرة قبل ياء ومرة ضمة قبل واو ..

عيوب الشعر وما يجب أن يراعى في هذا الباب الإقواء، والإكفاء، والإيضاء، والسناد، والتضمين؛ فإنها من عيوب الشعر.

فأما الإقواء والإكفاء فاختلف العلماء فيهما وفي اشتقاقهما .. وأما السناد

(١) هذا البيت من شواهد سيدي (ج ١ ص ٤٧٩) وهو من شواهد الأثموني (ج ٢ ص ١٧٤) وشرحناه في شرحنا عليه شرحاً وافياً. وهو لأمية بن أبي الصلت، وبعده :

من لم يمت عبطة يمت هرمأ الموت كأس واللرء ذائقها



والإبطاء فاتفقوا فيما دون اشتقاقهما .

وعند أكثر العلماء : اختلاف إعراب القوافي إقواء ، وهو غير جائز لمولد ،  
وإنما يكون في الضم والكسر ، ولا يكون فيه فتح ، هذا قول الحامض . . وقال  
ابن جنى : والفتح فيه قبيح جداً ، إلا أن أبا عبيدة ومن قال بقوله كابن قتيبة  
يسمون هذا إكفاءً ، والإقواء عندهم : ذهاب حرف أو ما يقوم مقامه من عروض  
البيت ، نحو قول الشاعر - وهو بجير بن زهير بن أبي سلمى :

كانت علالة يوم بطن حنينٍ وغداة أوطاس ويوم الأبرق<sup>(١)</sup>

واشتقاقه عندهم - فيما روى النحاس - من « أقوت الدار » إذا خَلَّتْ ،  
كأن البيت خلا من هذا الحرف . وقال غيره : إنما هو من « أقوى الفاتل حَبْلَه »  
إذا خالف بين قُوء فجعل إحداهن قوية والأخرى ضعيفة ، أو مرة والأخرى  
سَحِيلَة ، أو بيضاء والأخرى سوداء ، أو غليظة والأخرى دقيقة ، أو انحلت بعضها  
دون بعض أو انقطع ، وهذا يسميه الخليل المقعد ، وهو من باب الوزن ، لا من

(١) قال ابن هشام (ج ٣ ص ٢٦) : « ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف بعد القتال قال بجير بن زهير بن أبي سلمى يذكر حنيناً والطائف ثم ذكر تسعة أبيات أولها هذا البيت » اهـ وقال السهيلي (ج ٢ ص ٣٠٥) : « وقوله كانت علالة يوم بطن حنين : هذا من الإقواء ، وهو أن ينقص حرفاً من آخر القسم الأول من الكامل ، وهو الذي كان الأصمعي يسميه المقعد ، والعلالة : جرى بعد جرى ، أو قتال بعد قتال . يريد أن هوأزن جمعت جمعها علالة في ذلك اليوم . وحذف التنوين من علالة ضرورة ، وأضمر في كانت اسمها وهو القصة . وإذا كانت الرواية بخفض يوم فهو أولى من التزام الضرورة التبيحة بالنصب ، ولكنني ألفتته في النسخة المقيدة . وإذا كان اليوم مخفوضاً بالإضافة جاز في علالة أن يكون منصوباً على خبر كان ؛ فيكون اسمها عائداً على شيء تقدم ذكره ، ويجوز الرفع على أن تكون كان تامة » اهـ كلامه .

باب القافية ، والجمهور الأول من العلماء على خلاف رأى أبى عبيدة فى الإقواء .  
وأما الإكفاء فهو الإقواء بعينه عند جِلَّةِ العلماء : كأبى عمرو بن العلاء ،  
والخليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب ، وهو قول أحمد بن يحيى ثعلب ، وأصله  
من « أ ك فأت الإناء » إذا قلبته ، كأنك جعلت الكسرة مع الضمة وهى ضدها ،  
وقيل : من مخالفة الكفوة صواحبتها ، وهى التسيعة من نسايج الخبَاء تكون فى  
مؤخره ، فيقال : بيت مكفأ ، تشبيهاً بالبيت المكفأ من المساكن إذ كان مشبهاً به  
فى كل أحواله .. قال الأخفش البصرى : الإكفاء القلب ، وقال الزجاجى وابن  
دريد : كفأت الإناء إذا قلبته ، وأكفأته إذا أملتة ، كأن الشاعر أمال فيه بالضمة  
فصيرها كسرة ، إلا [ أن ] ابن دريد رواها أيضاً بمعنى قلبته شاذاً ، وقيل : بل  
من المخالفة فى البناء والكلام ، يقال « أكفأ البانى » إذا خالف فى بنائه ، و« أكفأ  
الرجل فى كلامه » إذا خالف نظمه فأفسده ، قال ذو الرمة :

الإكفاء

وَدَوِيَّةٌ قَفَرٍ تَرَى وَجْهَ رَكْبِهَا إِذَا مَا عَلَوْهَا مُكْفَأٌ غَيْرَ سَاجِعٍ

وقال المفضل الضبي : الإكفاء اختلاف الحروف فى الروى ، وهو قول محمد  
ابن يزيد المبرد ، وأشد :

قُبِّحَتْ مِنْ سَالِفَةٍ وَمِنْ صُدُغٍ كَأَنَّهَا كُشِيَةُ ضَبٍّ فِى صُقْعٍ

فأتى بالعين مع الغين ، وأشتقاقه عنده من المائلة بين الشيتين ، كقولك : فلان  
كُفٌ فلان ، أى : مثله ، قال : ومنه كافأت الرجل ، كأن الشاعر جعل حرفاً  
مكان حرف ، والناس اليوم فى الإكفاء على رأى المفضل ، وهو عيب لا يجوز  
أيضاً لحدث ، ولا يكون إلا فيما تقارب من الحروف ، وإلا فهو غلط بالجملة ،  
هذا رأى الأخفش سعيد بن مسعدة ، والخليل يسمى هذا النوع : الإجازة .

الإجازة  
و الإجازة

قال الفراء : الإجازة فى قول الخليل : أن تكون القافية طاءً والأخرى

دالاً ، وقال أبو إسحاق النجيري : الإجارة بالراء لا غير وهي من الجوار ، وهو الموج ، قال ابن السكيت : وهو الماء الكثير ، وأنشد للقطامي يذكّر سفينة نوح عليه السلام :

\* وَلَوْلَا اللَّهُ جَارِيهَا الْجَوَارُ \*

قال المهلبى : ورأيت به بخط الطوسي والسكري بالراء ، وهو قول الكوفيين ، فاما البصريون فيقولون « الإجارة » بالزاي ، حكى ذلك ابن دريد . .

وقال بعض شيوخنا : الإجارة في القوافي مشتقة من الجوار في السكنى والذمام ، ألا ترى أنها فيما تقارب من الحروف ، فكأن الحرف جاور الآخر ودخل في ذمامه ، وقال قوم : بل هي من الجور ، كأن القافية جارت ، أى : خالفت القصد ، وأجارها الشاعر ، أى : صيرها كذلك ، وعلى هذا يصح قول النجيري فإذا تأملنا أقاويل العلماء وجدنا الإجارة — بالزاي — اختلاف التوجيه ، وهو حركة ، والإجارة — بالراء — اختلاف الروى ، وهو حرف ، وليس هذا من هذا فى شيء ، فكأن العلماء لم يختلفوا حينئذ ؛ لأن التسمية اختلفت باختلاف المسمى .

ومثل الإجارة الإصراف ، حكاه شيخنا أبو عبد الله ، قال : وهو أن تكون القافية دالاً والأخرى طاءً ، والقصيدة مصرفة ، ولذلك قال الشاعر :

مَقْوَمَةٌ قَوَافِيهَا وَلَيْسَتْ بِمَصْرِفَةٍ رَوَى وَلَا سَنَادَ

وأما السناد فأنواع كثيرة : منها — وهو المشهور — أن يختلف الحذو ، وهو حركة ما قبل الرّدف ، فيدخل شرط الألف — وهى الفتحة — على الياء والواو كقول الفضل بن العباس للهـى :

\* وَامْلِئْ وَجْهَكَ الْجَمِيلَ خُوشًا \*

ثم قال :

\* وَبَنَّا سَمِيتَ قَرِيْشُ قَرِيْشًا \* <sup>(١)</sup>

وهو كثير [جائز] للعرب غير جائز للمولدين، ومنها اختلاف الإشباع، كقول النابغة:

\* يَزْرَنُ أَلَا سَبْرَهُنَّ التَّدَافُعُ \*

والقصيدة كلها إشباع، ومنها إرداف قافية وتجر يد أخرى، كقول <sup>(٢)</sup> حسان بن ثابت في قافية :

\* فَأَرْسَلْ حَكِيْمًا وَلَا تُوصِيْ \*

وقال في أخرى :

\* وَشَاوِرْ لَيْبِيًّا وَلَا تَعَصِيْ \*

ومنها تأسيس قافية دون أخواتها، كقول العجاج :

\* فَخَنَدِفُ هَامَةً هَذَا <sup>(٣)</sup> الْعَالَمِ \*

وأول هذه الأرجوزة :

\* يَا دَارَ سَلَمَى يَا سَلَمَى ثُمَّ اسْلَمَى \*

وكلها غير مؤسسة إلا هذا البيت وحده، ويقال : إن لغته الهمز، فإذا همز لم يكن تأسيساً. ومنها اختلاف التوجيه، نحو قول امرئ القيس بن حجر :

(١) في خزانة الأدب ( ج ١ ص ١٨٩ السلفية ) نسبة هذا البيت إلى المشعرخ ابن عمرو الجعفي، ورواه هكندا :

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا  
ورواية البيت في لسان العرب كروايته في الخزانة غير أنه لم ينسبه

(٢) انظر ( ص ١٥٧ ) من هذا الجزء

(٣) وأكثر علماء العربية يروونها هكندا \* فخنديف هامة هذا العالم \*

مهموزاً فلا شاهد المؤلف فيه - وسينذكر المؤلف بعد ذلك هذه المقالة

لا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم أني أفر

ثم قال:

تميم بن مرّ وأشباعها وكندة حولي جميعاً صبر  
إذاركبو الخليل واستلأموا تحرقت الأرض واليوم قر

فاقبل الرء في البيت الأول مكسور ، وفي الثاني مضموم ، وفي الثالث مفتوح ، وليس هذا بعيب شديد عندهم .

قال الزجاجي : السناد : كل عيب يلحق القافية ، ما خلا الإقواء والإكفاء والإيطاء ، وهذا قول فيه بيان واختصار .

وقال علي بن عيسى الرمانى : السناد : اختلاف ما قبل حرف الروى أو بعده على أى وجه كان الاختلاف : بحركة كان ، أو بحرف ..

وقال ابن جنى : السناد : كل عيب يحدث قبل الروى .

واشتقاق السناد من « تساند القوم » إذا جاءوا فرقاً لا يقودهم رئيس واحد ، وقيل : بل هو من قولهم « ناقة سناد » إذا كانت قوية صلبة ؛ لأن الياء الصلبة أقوى في النطق من الياء اللينة . . وقالوا : بل السناد الناقة المشرفة ، كأن إحدى القوافي أشرفت على أخواتها .

وأما الإيطاء فهو أن يتكرر لفظ القافية ومعناها واحد ، كما قال امرؤ القيس <sup>(١)</sup> في قافية \* سرحة مرّقب \* وفي قافية أخرى \* فوق مرّقب \* وليس بينهما غير بيت واحد . . وكلما تباعد الإيطاء كان أخف ، وكذلك إن خرج الشاعر من مدح إلى ذم ، أو من نسيب إلى أحدهما ، ألا ترى إلى

(١) البيتان هما :

عظيم طويل مطمئن كأنه بأسفل ذى ما وان سرحة مرّقب  
له أيطاء ظبي وساقا نعامة وصهوة غير قائم فوق مرّقب  
ووقع في الأصول \* سرح مرّقب \* والسرحة : الشجرة العظيمة ، والسرح : جمعها

قولهم « دَعَّ ذَا » و « عَدَّ عَنْ ذَا » فكأن الشاعر في شعر آخر ، وأصبح من هذا الإبطاء قول تميم بن أبي [ بن ] مقبل :

أو كاهتزاز رُدَّيْنِيَّ تَدَاوَلَهْ أَيْدَى التَّجَارِ فزادوا مثنه لينا

ويروى \* تذاوقه \* ثم قال في القصيدة غير بعيد :

نازعتُ ألبابَهَا لِي بِمَتَصَدِّ من الأحاديث حتى زِدَ نَفِي لينا

فكرر القافية والمعنى مع أكثر لفظ القسم ، وأشدُّ من ذلك قول أبي ذؤيب في بنيه :

سَبَقُوا هَوًى وَأَعْنَقُوا لَهْوَاهُمْ فَتَخَرُّمُوا ، وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعٌ

ثم قال في صفة الثور والكلاب :

فصرعنه تحت العجاج فجنبه متترب ، ولكل جنبٍ مَصْرَعٌ

فكرر ثلث البيت . . وإذا اتفق الكلمتان في القافية واختلف معناهما لم يكن إبطاء عند أحد من العلماء ، إلا عند الخليل وحده ، فإن « يزيد » عنده بمعنى الاسم و « يزيد » بمعنى الفعل إبطاء ، وكذلك « جَوْن » للأبيض والأسود ، و « جَلَل » للكبير والصغير ، وإذا كان أحد الاسمين نكرة والآخر معرفة لم يكن إبطاء ، وكذلك « ضَرَبَ » للواحد و « ضربا » للثنتين ، و « لم تضرب » للمدكر و « لم تضربي » للمؤنث ، و « من غلام » و « من غلامى » مضافاً ، كل هذا ليس بإبطاء . . وأما اختلاف الحروف على الاسم كقولك « لزيد » و « بزيد » وعلى الفعل كقولك « أضرب » و « يضرب » و « تضرب » في مخاطبة المدكر والحكاية عن المؤنث ؛ فكل ذلك إبطاء ..

والإبطاء جائز للمولدين ، إلا عند الجمحي وحده ؛ فإنه قال : قد علموا أنه

عيب . . وقال القراء : إنما يواطىء الشاعر من عيٍّ ، وإذا كرر الشاعر قافية  
للتصريح في البيت الثاني لم يكن عيباً ، نحو قول امرئ القيس :  
\* خليلي مُرّاً بي على أم جُنْدُبِ \*

ثم قال في البيت<sup>(١)</sup> الثاني \* لدى أم جندب \* واشتقاقه من الموافقة ، قال  
الله عز وجل : « لِيُؤَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ » أي : ليوافقوا . . وقال قوم :  
بل الإبطاء من الوطء ، كأن الشاعر أوطأ القافية عقب أختها ، كما قال توبة يخاطب  
بعل ليلي الأخيلية :

لعلك يأتيساً نرّاً في مريرة تُعاقبُ ليلى أن تراني أزورها  
على دماء البدن إن كان بعلها يرى لي ذنباً غير أني أزورها  
والتضمين : أن تتعلق القافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها ، كقول النابغة التميمي  
الذي يأتي :

وهم وَرَدُوا الجِفَارَ على تميم وهم أصحاب يوم عكاظ، إني  
شهدت لهم مواطن صالحات وثقت لهم بحسن الظن مني  
وكما كانت اللفظة المتعلقة بالبيت الثاني بعيدة من القافية كان أسهل عيباً  
من التضمين ، ويقرب من قول النابغة قول كعب بن زهير :

ديار التي بَنَتْ حبالى وصَرَّمَتْ وكنت إذا ما الحبل من خلة صُرِمَ  
فرزعت إلى وَجَنَاءَ حَرَفٍ كأنما بأقربها قارُ إذا جلدها استحم

#### (١) البيتان هما :

خليلي مرابي على أم جندب لنقص حاجات الفؤاد المعذب  
فإنكما إن تنظراني ساعة من الدهر تنفعني لدى أم جندب  
وقد روى عجز البيت الأول على عدة وجوه أفضلها ما أثبتناه ، على أن اللام  
في « لنقصي » لام التعليل ، والفعل بعدها منصوب بالفتحة الظاهرة .

وأخف من هذا قول إبراهيم بن هرمة :

إما ترينى شاحباً مبتدلاً كالسيف يخلق جفنه فيضيع  
فلرب لذة ليلته قد نلتها وحرامها بجلالها مدفوع

وليس منه قول متمم بن نويرة :

لعمري وما دهرى بتأبين هالكٍ ولا جزعا مما أصاب فأوجعا  
لقد كفن المنهال تحت رداءه فتى غير مبطان العشيات أروعا  
وربما حالت بين بيتي التضمين أبيات كثيرة بقدر ما يتسع الكلام وينبسط  
الشاعر في المعاني ، ولا يضره ذلك إذا أجاد .

ألقاب القوافي ويجمع القوافي كلها خمسة ألقاب : المتكافؤ ، وهو : أربع حركات بين  
ساكنين ، وله جزء واحد وهو فعلتن ، والقراء لا يعده ؛ لأنه عنده من المتدارك ؛  
لأن فعلتن إما هي مستفعلن مراحف السببين ؛ والمتراكب ، وهو ثلاث  
متحركات بين ساكنين ، ولها جزءان مفاعلتن وفعلن ؛ والمتدارك ، وهو :  
حركتان بين ساكنين ، وهو نحو مفاعلتن ومتفاعلتن ومستفعلن وفاعلتن ؛ والمتواتر ،  
وهو : ما توالى فيه متحرك بين ساكنين ، نحو مفاعيلن وفاعلاتن وفعلاتن  
ومفعولن ؛ والمترادف ، وهو : ما اجتمع في آخره ساكنان نحو فاعلاتن ومتفاعلاتن  
ومستفعلاتن ، وما أشبه ذلك .

ولا يجتمع نوعان من هذه الأنواع في قصيدة ، إلا في جنس من السريع ؛  
فإن المتواتر يجتمع فيه مع المتراكب ، إذا كان الشعر مقيداً كقول المرقش  
في بيت (١) :

\* وأطراف الأكف عنم \*

(١) هو بتمامه :

النشر مسك والوجوه دنا نير وأطراف الأكف عنم



وفي بيت<sup>(١)</sup> آخر :

\* قد قلتُ فيه غيرَ ما تَعلِّمُ \*

(٢٣) — باب التقفية والتصريع

هذا باب يُشكل على كثير من الناس علمه ، ويلحقه عيب سماه قدامة التجميع ، كأنه من الجمع بين رويين وقافيتين ، ورأيت من يقول : التجميع بالخاء — كأنه من أَلْجَمَ في الرجل ، وسأذكره في موضعه ، إن شاء الله تعالى .

فأما التصريع فهو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه : تنقص بنقصه ، وتزيد بزيادته ، نحو قول امرئ القيس في الزيادة :

قفانُك من ذكري حبيب وعِرْفانٍ ورسمٍ عَفَتَ آيَاتُهُ منذ أزمان

وهي في سائر القصيدة مفاعِلن ، وقال في النقصان :

لمن طَلَلْ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي كَخَطِّ زَبُورٍ فِي عَسِيبٍ يَمَانِي

فالمضرب فعولن ، والعروض مثله لمكان التصريع ، وهي في سائر القصيدة مفاعِلن كالأولى ؛ فكل ما جرى هذا الجرى في سائر الأوزان فهو مُصَرِّع .

والتقفية : أن يتساوى الجزءان من غير نقص ولا زيادة ، فلا يتبع العروض

الضرب في شيء إلا في السجع خاصة ، مثال ذلك قوله :

(٢) لم يتيسر لي الوقوف على نسخة كاملة من شعر المرقش الأكبر ، ولم أقف في المختار من شعره على البيت الذي عجزه هذا الذي ذكره المؤلف ، ولكنني وجدت في معاهد التنصيص للعباسي ( ح ١ ف ١٦٢ ) كثيرا من أبيات القصيدة التي منها هذان البيتان ، ومن أبياتها التي يستشهد بها على نحو ما ذكره المؤلف قوله :

الدار قفر والرسوم كما رقص في ظهر الأديم قلم

ليس على طول الحياة ندم ومن وراء المرء ما يعلم

قال العباسي : « وهي قصيدة طويلة ليست بصحيحة الوزن ، ولا حسنة الروي ، ولا متخيرة اللفظ ، ولا لطيفة المعنى . قال ابن قتيبة : ولا أعلم فيها شيئا يستحسن إلا قوله \* النسر مسك . . . البيت » اه كلامه .

فقا نبتك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدّخول فحول  
فهما جميعاً مفاعلين ، إلا أن العروض مقفّ مثل الضرب ، فكل ما لم  
يختلف عروض بيته الأول مع سائر عروض أبيات القصيدة إلا في السجع فقط  
فهو مقفّ .

اشتقاق  
التصريع

واشتقاق التصريع من مصراعى الباب ، ولذلك قيل لنصف البيت «مصراع» .  
كأنه باب القصيدة ومدخلها ، وقيل : بل هو من الصرعين ، وهما طرّفاً النهار ،  
قال أبو إسحاق الزجاج : الأول من طلوع الشمس إلى استواء النهار ، والآخر  
من مَيل الشمس عن كَيد السماء إلى وقت غروبها . قال شيخنا أبو عبد الله :  
وهما العصران . وقال قوم : الصرع المثل ، وسبب التصريع مبادرة الشاعر القافية  
ليعلم في أول وَهْلَةٍ أنه أخذ في كلام موزون غير منشور ، ولذلك وقع في أول  
الشعر ، وربما صرّع الشاعر في غير الابتداء ، وذلك إذا خرج من قصة إلى قصة  
أو من وصف شيء إلى وصف شيء آخر فيأتي حينئذ بالتصريع إخباراً بذلك وتنبيهاً  
عليه ، وقد كثر استعمالهم هذا حتى صرّعوا في غير موضع تصريع ، وهو دليل على قوة  
الطبع ، وكثرة المادة ، إلا أنه إذا كثر في القصيدة دل على التكلف ، إلا من  
المتقدمين ، قال امرؤ القيس :

تروح من الحى أم تبتسكرو وماذا عليك بأن تنظرو؟  
أمرّخ خيامهم أم عُشرو أم القلب في إثرهم مُنْجَدِرُ  
وشاقتك بين الخليط الشُّطُرُ وفيمن أقام من الحى هِرُ<sup>(١)</sup>

(١) تروح : تسير وقت الرواح ، وهو آخر النهار . ويروى الشطر الثاني  
\* وماذا يضرك لو تنظرو \* والمرخ : شجر قصار ينبت بنجد ، والعشر : شجر طوال  
بالغور ، وعرضه بهذه العبارة أن يقول : أهم منجدون أم متغورون ، أى . أقيمون  
في نجد أم في غور ؟ والشطر : جمع شطير ، وهو القريب ، ويروى البيت الثالث  
هكذا :

وفى من أقام من الحى هر أم الظاعنون بها في الشطر

فَوَالَى بَيْنَ ثَلَاثَةِ أَيْيَاتٍ مَصْرَعَةٌ فِي الْقَصِيدَةِ ، وَقَدْ يَجْعَلُونَ أَوَّلَهَا :  
 أَحَارِبْنَ عَمْرٍو كَأَنِّي خَيْرُ      وَيَعْدُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتُرُ  
 وقال عنترَةُ العبسي :

أَعْيَاكَ رَسْمُ الدَّارِ لَمْ يَتَكَلَّمْ      حَتَّى تَكَلَّمَ كَالْأَصَمِّ الْأَعْجَمِ  
 ثُمَّ قَالَ بَعْدَ بَيْتٍ وَاحِدٍ :  
 هَلْ غَادَرَ الشَّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ      أَمْ هَلْ عَرَفَتِ الدَّارُ بَعْدَ تَوْهْمِ ؟  
 يَا دَارَ عَبْلَةٍ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمِي      وَرِعِي صَبَاحًا دَارَ عِبْلَةٍ وَاسْلَمِي  
 فصرع البيت الأول والثالث والرابع .

وقولنا في شعر امرئ القيس وعنترَة وغيرهما مما يستأنف مصرع إنما هو مجاز وجري على عادة الناس ؛ لئلا يخرج عن المتعارف ، وإلا فقد بينت ذلك أولا .  
 ومن الناس من لم يصرع أول شعره قلة اكتراث بالشعر ، ثم يصرع بعد ذلك ، كما صنع الأخطل إذ يقول أول قصيدة :

حَلَّتْ صَبِيرَةٌ أَمْوَاءَ الْعِدَادِ وَقَدْ      كَانَتْ تَحِلُّ وَأَدْنَى دَارَهَا نَكْدُ  
 وَأَقْفَرُ الْيَوْمِ مِمَّنْ حَالَهُ الْتَمْدُ      فَالْشَّعْبَتَانِ فَذَلِكَ الْأَبْلَقُ الْفَرْدُ  
 فصرع البيت الثاني دون الأول .. وقال ذو الرمة أول قصيدة :  
 أَدَارًا يَحْزُونِي هِجَّتِ الْعَيْنُ عَبْرَةً      فَهَاءُ الْهَوَى يَرَفُضُ أَوْ يَتَرَقُّ  
 ثُمَّ قَالَ بَعْدَ عِدَّةِ أَيْيَاتٍ :  
 أَمِنْ مَيَّةَ اعْتَادَ الْخِيَالُ الْمَوْرَقُ ؟      نَعَمْ ؛ إِنَّهَا مِمَّا عَلَى النَّأْيِ تَطْرُقُ  
 وَكَانَ الْفَرَزْدَقُ قَلِيلًا مَا يَصْرَعُ أَوْ يُبْلَغِي بِالْأَشْعَرِ ، كَقَوْلِهِ :  
 أَلَمْ تَرَ أَنِّي يَوْمَ جَوْ سَوِيْقَةٍ      بَكَيْتُ فَنَادَتْنِي هُنَيْدَةُ مَالِيَا  
 فَبَاءَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الْجَالِيْلَةِ غَيْرَ مُصْرَعَةٍ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ يَرِدُ عَلَى جَرِيرِ

تكاثر يربوعٌ عليك ومالك على آل يربوع فمالك مَسْرَحُ  
وأكثر شعر ذى الرمة غير مُصَرَّع الأوائل ، وهو مذهب الكثير من  
الفحول وإن لم يعد فيهم لقلة تصرفه ، إلا أنهم جعلوا التصريع فى مهمات  
القصائد فيما يتأهبون له من الشعر ، فدل ذلك على فضل التصريع . وقد قال  
أبو تمام وهو قدوة :

وتقفوا إلى الجدوى بجدوى ، وإلما يروقك بيتُ الشعر حينَ يُصَرَّعُ  
فضرب به المثل كما ترى .

والتصريع يقع فيه من الإقواء والإكفاء والإيطاء والسناد والتضمين ما يقع  
فى القافية : فن الإقواء ما أنشده الزجاجى ، وهو قول بعضهم :

ما بال عينك منها الماء مُهْرَاقُ سَحًّا فلا غارب منها ولا راق

ومن الإكفاء قول<sup>(١)</sup> حسان بن ثابت ، وأنشده الجاحظ :

ولست بخيرٍ من أبيك وخالكما ولست بخيرٍ من معاظلةِ الكلب

ومن الإيطاء قول عبد الله بن المعتز :

يا سائلا كيف حالى أنت العليم بحالى

ومن السناد قول إسماعيل بن القاسم أبى العتاهية :

(١) انظر على أى وجه يتحقق الإكفاء مع التصريع فى هذا البيت ؟ نعم إنه  
ليتصور فيه ذلك النوع من التصريع الذى ساء التجميع وسأنى ذكره قريبا ، ولكن  
لا يتصور فيه الإكفاء على وجه من الوجهين اللذين سبق له ذكرهما ، ولو كانت  
العبارة هكذا « والتصريع يقع فيه من الإقواء والإقواء . . إلخ ثم يقول : ومن  
الإقواء قول حسان . . إلخ » لكانت أقرب وأحسن ، على أننى لم أجد هذا  
البيت فى ديوان حسان .

ويلى على الأظعان وَلَوْأ عني بعتبة فاشتغلوا

ومن التضمن قول البحترى :

عذيرى فيك من لايح إذا ما شكوت الحب قطني ملاما

ومن ابتداء القصائد التجميع ، وهو : أن يكون القسم الأول متهيئا للتصريح التجميع بقافية ما ، فيأتى تمام البيت بقافية على خلافها ، كقول جميل :

يا بُشْن إنك قد ملكت فأسججى وخذى بحظك من كريم واصل

فتهيأت القافية على الحاء ، ثم صرفها إلى اللام .

ومثله قول سُحَيْد بن ثَوْر الهلالي :

سل الربع أنى يَمَمْتُ أم سلم ؟ وهل عادة للربع أن يتكلما ؟

فتهيأت له قافية مؤسسة لو شاء ، ثم أتت فى آخر البيت غير مؤسسة ، ويروى

\* أم أسما \* فخرج عن التجميع .

ومن أشد التجميع قولُ النابغة الذبياني :

جزى الله عبساً عبساً آل بغيض جزاء الكلاب العاويات وقد فعل<sup>(١)</sup>

وإنما التجميع فيما شابه الإطلاق ، أو قارب ذلك ، كقول جميل فيما تقدم

وقول سُحَيْد ، وهو كالإكفاء والسناد فى القوافى ، إلا أنه دونهما فى الكراهية

جداً . . وإذا لم يصرع الشاعر قصيدته كان كالمسور الداخل من غير باب .

والمداخل من الأبيات : ما كان قسيمه متصلاً بالآخر ، غير منفصل منه ، قد

الداخل جمعتهما كلمة واحدة ، وهو المدمج أيضاً ، وأكثر ما يقع ذلك فى عروض<sup>(٢)</sup>

(١) انظر (ص ١٤٤) من هذا الجزء

(٢) مثاله قول أبى العلاء المعرى :

أبنات الهديل ، أسعدن أوعدن قليل العزاء بالإسعاد

أبكتن تلسم الحمامة أم غنست على فرع غصنها اللياد

( ١٢ - العمدة ١ )

الخفيف ، وهو حيث وقع من الأعاريض دليل على القوة ، إلا أنه في غير الخفيف مستنقل عند المطبوعين ، وقد يستخفونه في الأعاريض القصار : كالمزج ومربوع الرمل وما أشبه ذلك .

ومن الشعر غير المصارع ما لا يجوز أن يظن تجميعاً ، وذلك نحو قول ذي الرمة واسمه غيلان بن عُقْبَةَ :

أَنْ تَرَسَمْتَ مِنْ خِرْقَاءِ مَنْزِلَةٍ      مَا الصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنِكَ مَسْجُومٌ  
لأن القافية من عروض البيت غير متمكنة ، ولا مستعمل مثلها ، وإن كان استعمالها جائزاً لو وقع .

القواديس من الشعر  
ومن الشعر نوع غريب يسمونه القواديس ، تشبها بقواديس السانية ؛ لارتفاع بعض قوافيه في جهة وانخفاضها في الجهة الأخرى ، فأول مَنْ رأيته جاء به طلحة بن عبيد الله العوني في قوله من قصيدة له مشهورة طويلة :

كَمْ لِلذَّمِّ الْأَبْكَارُ بِالْخَبْتَيْنِ مِنْ مَنَازِلِ  
بِمَهْجَتِي لِلْوَجْدِ مِنْ تَذْكَارِهَا مَنَازِلُ  
مَعَاهُ دُرِّيٌّ رَعِيلُهَا مُتَعَنِّجُ الْمَوَاطِلِ  
لَمَّا نَأَى سَاكِنُهَا فَأَدْمَى هَوَاطِلِ

وهو مربوع الرجز تعمد فيه الإقواء وأوطأ في أكثره قصداً كما فعل في البيتين الأولين من هذه .

ومن الشعر جنس كاه مصرع ، إلا أنه مختلف الأنواع ، وأنا منبه عليها إن شاء الله تعالى .

المسمط  
فن ذلك الشعر المسمط ، وهو : أن يبتدىء الشاعر بيت مصرع ، ثم يأتي بأربعة أقسمة على غير قافيته ، ثم يعيد قسماً واحداً من جنس ما ابتداء به ، [و] هكذا إلى آخر القصيدة ، مثال ذلك قول امرئ القيس ، وقيل إنها منحولة :

توهمتُ من هند معالمٍ أَطْيَلَالٍ      غَفَاهُنَّ طُولُ الدهرِ في الزمن الخالي  
 سرايُ من هند خلت ومصايفُ      يصيح بمغناها صَدَى وعوازفُ  
 وغيرها هُوجُ الرياحِ العواصفِ      وكل مُسِفٌ ثم آخر رادف  
 \* بأسحَم من نوء السماكين هَطَّالٍ \*

وهكذا يأتي بأربعة أقسمة على أى قافية شاء ، ثم يكرر قسما على قافية  
 اللام ، وربما كان المسمط بأقل من أربعة أقسمة كما قال أحدهم :  
 خيالٌ هاج لي شَجَنًا      فبت مُكَابِدًا حزنا  
 عميد القلب مرتهنًا      بذكر اللهو والطرب  
 سبتى ظبيةً عَطْلُ      كأن رُضابها عَسْلُ  
 ينوء بنصرها كَقَلْ      ثَقِيل روادف الخب

وربما جاءوا بأوله أبياتاً خمسة على شرطهم في الأقسام ، وهو المتعارف ،  
 أو أربعة ، ثم يأتون بعد ذلك بأربعة أقسمة ، كما قال خالد القناس ، أنشده الزجاجي  
 أبو القاسم :

لقد نكرت عيني منازل جيران      كأسطار رَقٍّ ناهج خَلَقٍ فاني  
 توهمتها من بعد عشرين حجة      فما أستبينُ الدار إلا بعرفان  
 فقلتُ لها : حيث يادارَ جبرتي      أيبني لنا أنى تَبَدَّدَ إخواني  
 وأى بلاد بعد ربك حالفوا      فإن فؤادي عند ظبية جبراي  
 فجاء بأربعة أبيات كما ترى ، ثم قال بعدها :  
 رما نطقت واستعجمت حين كلمت      وما رجعت قولاً وما إن ترممت  
 وكان شغائى عندها لو تكلمت      إلى ولو كانت أشارت وَسَلَّمَت  
 \* ولكنها ضنَّت على يتبييان \*

وهكذا إلى آخرها ، وقد جاء هذا الشاعر في قصيدته بخمسة أقسمة

مرة واحدة ، ولم يعاودها ، ولو عاودها لم يضره ، وكذلك لو نقص ، إلا أن الاعتدال أحسن .

اشتقاق  
التسميط

والقافية التي تكرر في التسميط تسمى عمود القصيدة ، واشتقاقه من السمط ، وهو : أن تجمع عدة سلوك في ياقوتة أو خرزة ما ، ثم تنظم كل سلك منها على حدته باللؤلؤ يسيراً ، ثم تجمع السلوك كلها في زبرجدة أو شبهها<sup>(١)</sup> أو نحو ذلك ، ثم تنظم أيضاً كل سلك على حدته وتصنع به كما صنعت أولاً إلى أن يتم السمط ، هذا هو المتعارف عند أهل الوقت .

وقال أبو القاسم الزجاجي : إنما سمي بهذا الاسم تشبيهاً بسِمْطِ اللؤلؤ ، وهو سلكه الذي يضمه ويجمعه مع تفرق حَبِّهِ ، وكذلك هذا الشعر لما كان متفرق القوافي مُتَعَقِباً بقافية تضمه وترده إلى البيت الأول الذي بنيت عليه في القصيدة صار كأنه سمط مؤلف من أشياء مفترقة .

الخمس

ونوع آخر يسمى مخمساً ، وهو : أن يؤتى بخمسة أقسمة على قافية ، ثم بخمسة أخرى في وزنها على قافية غيرها كذلك ، إلى أن يفرغ من القصيدة ، هذا هو الأصل ، وأكثروا من هذا الفن حتى أتوا به مصراعين مصراعين فقط ، وهو المزدوج ، إلا أن وزنه كله واحد وإن اختلفت القوافي ، كذات الأمثال ، وذات الحلل ، وما شاكلهما ، ولا يكون أقل من مصراعين ، وكل مشطور أو منهوك فهو بيت ، وإن قيل مصرع فعلى المجاز ، وما سوى ذلك مما لم يأت مثله عن العرب فهو مصارع ليس ببيت ، ولم أجدهم يستعملون في هذه الخمسات إلا الرجز خاصة ؛ لأنه وطئ لا سهل المراجعة ، فأما المسمطات فقد جاءت في أوزان كثيرة مختلفة كما قدمت .

(١) في المصريتين « أو يشب » وهو مالا وجه له ، والتصحيح عن التونسية



المشطور  
والمنهوك

ونوعان من الرجز - وهما : المشطور، والمنهوك - فأما المشطور فما بنى على  
شطر بيت ، نحو قول أبي النجم العجلي :

الحمد لله الوهب المجزِلِ أعطى فلم يَبْنَحِلْ ولم يُبْنَحِلْ  
وأما المنهوك فهو ما بنى على ثلث بيت ، ونهك بذهاب ثلثيه، أى : أضعف  
وهذا مثل قول أنى نواس :

وبلدةٍ فيها زَوْرٌ صعراء تخطى فى صعرِ  
فأشبه بهما مشطور السريع ومنهوك المنسرح ، وسيأتيان فيما بعد إن شاء  
الله تعالى . .

وأنشد الزجاجي وزنا مبشطراً مُحَيَّرَ الفصول لا أشك أنه مولد محدث ، وهو :

سقى طللاً مجزوى	هزيمُ الودق أحوى
عهدنا فيه أروى	زماناً ثم أقوى
وأروى لا كنفود	ولا فيها صدود
لها طَرْفٌ صَيُودٌ	ومُبْتَسِمٌ بَرُودٌ
لئن شَطَطَ المزار	بها ونأت ديار
فقلبي مُسْتَطَارٌ	وليس له قرار
ستدنيها ذمول	جَلَنَفَةٌ ذُلُول
إذا عرضت هجول	تَقْصُرُ ما يطول

وهذا وزن ملتبس : يجوز أن يكون مقطوعاً من مربع الوافر ، ويجوز  
أن يكون من المضارع مقبوضاً مكفراً ، ذكره الجوهري . .  
وأنشد لبعض المحدثين :

أشأقك طَيْفُ مَامَةٍ بِمَكَّةَ أُمُ حَمَامَةٍ

للتقدمون  
لا يخمسون  
ولا يسمطون

أشاقك : مفاعل ، وحقه في أصل الوزن مفاعيلن .  
وقد رأيت جماعة يركبون الخمسات والمسمطات ويكثر من منها ، ولم أر متقدماً  
حاذقاً صنع شيئاً منها ؛ لأنها دالة على عجز الشاعر ، وقلة قوافيه ، وضيق عظمه ، ما خلا  
أمر القيس في القصيدة التي نسبت إليه وما أصححها له ، و بشار بن برد ، قد كان  
يصنع الخمسات والمزدوجات عبثاً واستهانة بالشعر ، وبشر بن المعتمر ؛ فقد أنشد الجاحظ  
له أول مزدوجة ، وصنع ابن المعتز قصيدة في ذم الصَّبُوح ، وقصيدة في سيرة  
المتنشد ركب فيها هذا الطريق ؛ لما تقتضيه الألفاظ المختلفة الضرورية ،  
ولمراده من التوسع في الكلام ، والتملح بأنواع السجع .  
وهذا الجنس موقوف على ابن وكيع والأمير تميم [ بن المعز ] ، ومن ناسب  
طبعهما من أهل الفراغ وأصحاب الرخص ، وقد يقع لبعض الشعراء البيتان والثلاثة  
لها قافية واحدة يجعلونها معاينة فيتلاقفها العروضيون ، كالأبيات التي تروى لابن  
دريد وسترد في مكانها من سوى هذا الباب ، إن شاء الله تعالى .

#### ٢٤ - باب في الرجز والقصيد

الرجز وأنواعه قد خص الناس باسم الرجز المشطور والمنهوك وما جرى مجراها ، وباسم  
القصيد ما طالت أبياته ، وليس كذلك ؛ لأن الرجز ثلاثة أنواع غير المشطور  
والمنهوك والمقطع : فأما الأول منها فنحو أرجوزة عبدة بن الطيب :

بَا كَرْنِي بِسُخْرَةٍ عَوَاذِلِي وَعَذْلُهُنَّ خَبْلٌ مِنْ الْخَبْلِ  
يَلْمَنَنِي فِي حَاجَةِ ذِكْرَتِهَا فِي عَصْرِ أَرْمَانٍ وَدَهْرٍ قَدْ نَسِلَ  
والنوع الثاني نحو قول الآخر :

القلبُ منها مُسْتَرِيحٌ سَالِمٌ وَالْقَلْبُ مِنْ جَاهِدٍ مَجْهُودٍ  
والنوع الثالث قول الآخر :

قد هاج قلبي مَنْزِلٌ مِنْ أُمِّ عَمْرٍو مَقْفِرُ  
فهذه داخلة في القصيد ، وليس يمتنع أيضاً أن يسمى ما كثرت بيوته  
من مشطور الرجز ومنهوكه قصيدة ؛ لأن اشتقاق القصيد من « قَصَدْتُ إلى  
الشيء » كأن الشاعر قصد إلى عملها على تلك الهيئة ، والرجز مقصود أيضاً  
إلى عمله كذلك .

مشطور  
السريع من  
القصيد

ومن المقصد ما ليس برجز وهم يسمونه رجزاً لتصريح جميع أبياته ؛ وذلك  
هو مشطور السريع ، نحو قول الشاعر أنشدناه أبو عهد الله محمد بن جعفر النحوى  
عن أبي على الحسين بن إبراهيم الأمدى ، عن ابن دريد ، عن أبي حاتم السجستاني ،  
عن أبي زيد الأنصاري :

هل تعرفُ الدارَ بأعلى ذى القُورِ      غَيْرَهَا نَاجُ الرِّيحِ وَالْهُورِ  
ودرستَ غَيْرَ رَمَادٍ مَكْفُورِ      مُكْتَنِبِ اللّونِ مَرِيحٍ تَمْطُورِ  
وغيرَ نُؤْيٍ كَبَقَايا الدُّعُورِ      أزمانَ عَيْنَاءِ سُورِ السُّرُورِ  
\* عَيْنَاءَ حَوْرَاهِ مِنَ الْعَيْنِ الْخُورِ \*

وأنشد أبو عهد الله لابن المعتز :

ومقلة قد بات يبعكها      فيضُ نجيع من مآقها  
وكلها طولُ تمنّيهَا      بأنجمِ الليلِ رُاعِيهَا  
ومهجة قد كاد يُفنيها      طول سَقَامِ ثابتٍ فيها  
وبرؤها في كفٍّ مُبْلِيها      كما ابتلاها فهو يَشْفِيها  
ليس لها من حبها ناصِرٌ      مَنْ ذاعلى الأحبابِ يُعْديها؟

وهذا عند الجوهري من البسيط ، والذي أشد أبو عهد الله — على قول  
الجوهري — هو من الرجز ، وجعل الجزء الآخر « مستفع لن » مفروق فيه الوتد ،  
فأسكن اللام ؛ لأن آخر البيت لا يكون متحركا ، فخلقه مفعولات .

منهوك المنسرح وأما منهوك المنسرح \* صبراً بنى عبد الدار \* <sup>(١)</sup> فهو عند الجوهري من الرجز ، ومثله \* وَيْلٌ سَعْدٍ سَعْدًا <sup>(٢)</sup> \* إلا أنه أقصد منه .

فعلى كل حال تسمى الأرجوزة قصيدة طالت أبياتها أو قصرت ، ولا تسمى القصيدة أرجوزة إلا أن تكون من أحد أنواع الرجز التي ذكرت ، ولو كانت مصرعة الشطور كالذي قدمته ؛ فالقصيد يطلق على كل الرجز ، وليس الرجز مطلقاً على كل قصيد أشبه الرجز في الشطر .

قال النحاس : القريض عند أهل اللغة العربية الشعر الذي ليس برجز ، يكون مشتقاً من « قَرَضَ الشيء » أى : قطعّه ، كأنه قطع جنساً ، وقال أبو إسحاق : وهو مشتق من القرض ، أى : النقطع والتفرقة بين الأشياء ، كأنه ترك الرجز وقطعه من شعره .

وكان أقصر ما صنعه القدماء من الرجز ما كان على جزءين ، نحو قول دريد بن الصمة يوم هوازن :

يا ليتني فيها جذعٌ      أخبٌ فيها وأضع <sup>(١)</sup>

حتى صنع بعض المتعقبين - أظنه على بن يحيى ، أو يحيى بن - على المنجم - أرجوزةً على جزء واحد ، وهى :

طيفُ أَلَمْ \* بذى سَلَمْ      بعد القَتَم \* يطوى الأَ كَمْ  
جَادَ بَقَم \* وملتَ زَم      فيه هَضَم \* إذا يُضَم

(١) نسبته الأسنوى في شرحه على عروض ابن الحاجب لهند بنت عتبة تقول له يوم أحد تخاطب به بنى عبد الدار أصحاب لواء المشركين ، وبعد هذا :

صبراً حماة الأديار      ضرباً بكل بشار

(٢) هذا من كلام أم سعد بن معاذ لما مات ابنها سعد من جراحة أصابته يوم الخندق .

ويقال : إن أول من ابتدع ذلك سلم الخاسر ، يقول في قصيدة مدح بها موسى الهادي :

موسى للطير \* غَيْثٌ بَكَرٌ      ثم انهمر \* ألقى المرر  
كم اعتسر \* ثم ايتسر      وَكَمْ قَدَرٌ \* ثُمَّ غَفَرٌ  
عَدْلُ السَّيْرِ \* باقى الأثر      خَيْرٌ وَشَرٌّ \* نَفْعٌ وَضَرٌ  
خَيْرُ الْبَشَرِ \* فَرْعٌ مُضَرٌ      بَدْرٌ بَدْرٌ \* والمفتخر  
لمن غَسِبَ

والجوهرى يسمى هذا النوع المقطع .

وقد رأى قوم أن مشطور الرجز ليس بشعر ؛ لقول النبى صلى الله عليه وسلم :  
هل أنت إلا إصْبَعٌ دَمِيَّتٍ      وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيَّتِ

بكسر التاء ، ورواية أخرى بسكونها وتحريك الياء بالفتح قبلها - وليس هذا دليلا ، وإنما الدليل فى قول النبى صلى الله عليه وسلم عدم القصد والنية ؛ لأنه لم يقصد به الشعر ولا نواه ؛ فلذلك لا يعد شعراً وإن كان كلاماً متزناً ، وإلا فالرجاز شعراء عند العرب وفى متعارف اللسان ، إلا أن الليث روى أنهم لما ردوا على الخليل قوله « إن المشطور ليس بشعر » قال : لأحتجن عليهم بحجة إن لم يقرؤا بها كفروا ، قال : فمعجبنا من قوله حتى سمعنا حجته . . وقد رواه قوم « دَمِيَّتٌ » بإسكان الياء والتاء جميعا - ولا يكون حينئذ موزوناً .

والرجز قَماً يُقَصَّدُ ؛ فإن جمعها كان نهاية نحو أبى النجم ؛ فإنه كان يقصد ،  
وأما غَيْلَانُ<sup>(١)</sup> فإنه كان راجزاً ثم صار إلى التقصيد ، وسئل عن ذلك فقال : رأيتنى  
لأقع من هذين الرجلين على شيء ، يعنى العجاج وابنه روبة ، وكان جريوالفرزدق

الشعراء  
والرجاز

(١) هو ذو الرمة ، واسمه غيلان بن عتبة

يرجزان ، وكذلك عمر بن لجأ كان راجزاً مُقَصِّداً ، ومثله مُحمَّد الأرقط ، والعماني أيضاً ، وأقلهم رجزاً الفرزدق .

وليس يمتنع الرجز على المقصِّد امتناع القصيد على الراجز ، ألا ترى أن كل مقصِّد يستطيع أن يرجز وإن صعب عليه بعض الصعوبة ، وليس كل راجز يستطيع أن يقصد ، واسم الشاعر وإن عم المقصِّد والراجز فهو بالمقصِّد أعلق ، وعليه أوقع ، فقليل لهذا شاعر ، ولذلك راجز ، كأنه ليس بشاعر ، كما يقال خطيب أو مرسل أو نحو ذلك .

## (٢٥) - باب في القطع والطوال

حدثنا الشيخ أبو عبد الله عبد العزيز بن أبي سهل رحمه الله تعالى ، قال : سئل أبو عمرو بن العلاء : هل كانت العرب تُطِيلُ ؟ فقال : نعم لِيُسمع منها ، قيل : فهل كانت تُوجِزُ ؟ قال : نعم ليحفظ عنها . قال : وقال الخليل بن أحمد : يطول الكلام ويكثر ليفهم ، ويوجز ويختصر ليحفظ ؛ وتستحب الإطالة عند الإعذار ، والإيذار ، والترهيب ، والترغيب ، والإصلاح بين القبائل ، كما فعل زهير ، والحارث بن حلزة ، ومن شاكلهما ، وإلا فالقطع أطير في بعض المواضع ، والطوال للمواقف المشهورات . .

مق تحسن  
الإطالة؟

ويحكى أن الفرزدق لما وقع بينه وبين جرير ما وقع وحُكِمَ بينهما قال بعض الحكماء : الفرزدق أشعر ؛ لأنه أقواهما أشرَ كلام ، وأجراها في أساليب الشعر ، وأقدرهما على تطويل ، وأحسنهما قطعاً ، فقدَّم بالقطع كما ترى .

رأى في  
الفرزدق

وقال بعض العلماء : يحتاج الشاعر إلى القطع حاجته إلى الطوال ، بل هو عند المحاضرات والمنازعات والتمثل والملح أحوج إليها منه إلى الطوال .

حاجة الشاعر  
إلى القطع

وقال أحد المجودين ، وهو محمد بن حازم الباهلي :

أَبَى لِي أَنْ أُطِيلَ الْمَدْحَ قَصْدِي إِلَى الْمَعْنَى وَعِلْمِي بِالصَّوَابِ  
وَلِإِجْزَالِي بِمُخْتَصَرٍ قَصِيرٍ حَذَفْتُ بِهِ الطَّوِيلَ مِنَ الْجَوَابِ

منزلة  
القطع القصار

وقيل لابن الزُّبَيْرِ: إنك تقصر أشعارك ، فقال : لأن القصار أوج في  
المسامع ، وأجول في المحافل ، وقال مرة أخرى : يكفيك من الشعر غرة لائحة ،  
وسبة فاضحة . .

وقيل للجماز : لم لا تطيل الشعر ؟ فقال : لحدني الفضول . وقال له بعض  
المحدثين وقد أنشده بيتين : ما تزيد على البيت والبيتين ؟ فقال : أردت أن  
أنشدك مذارعة<sup>(١)</sup> ، وهو القائل :

أقول بيتاً واحداً أكتفي بذكره من دون أبيات  
وقيل مثل ذلك لعقيل بن علفة ، فقال : يكفيك من القلادة ما  
أحاط بالعنق .

وقال الجاحظ :<sup>(٢)</sup> قيل لأبي المهوس : لم لا تطيل الهجاء ، ؟ فقال : لم أجد  
المثل السائر إلا بيتاً واحداً .

وهجا محمد بن عبد الملك الزيات أحمد بن أبي دؤاد بتسعين بيتاً ، فقال ابن  
أبي دؤاد يخاطبه :

أَحْسَنُ مِنْ تِسْعِينَ بَيْتاً سُدِّي جَمْعُكَ مَعْنَاهُنَّ فِي بَيْتٍ  
مَا أَخَوَجَ الْمَلِكَ إِلَى مَقَرَةٍ تَغْسِلُ عَنْهُ وَصَرَ الزَّمْتِ  
غير أن المطيل من الشعراء أهيب في النفوس من الموجز وإن أجاد ، على  
فرق ما بين  
المطيل والموجز

(١) في بعض النسخ « مذارعة » بالدال المهملة .

(٢) انظر البيان والتبيين ( ج ١ ص ١٧٨ ) تجد شيئاً كثيراً مما ذكره المؤلف

هنا ولم ينسبه إلى صاحبه الذي أخذه عنه

أن الموجز من فضل الاختصار ما ينكره المطيل ، ولنكن إذا كان صاحب القصائد دون صاحب القطع بدرجة أو نحوها وكان صاحب القطع لا يقدر على التطويل إن حاوله بقةً مؤوى بينهما ؛ لفضل غير المجهود على المجهود ، فإننا لا نشك أن المطول إن شاء جرد من قصيدته قطعة أبيات جيدة ، ولا يقدر الآخر أن يمد من أبياته التي هي قطعة قصيدة .

ولام قوم الكميت على الإطالة فقال : أنا على الإقصار أقدر ، هكذا جاءت الدواية ، ولا تكاد ترى مقطعاً إلا عاجزاً عن التطويل ، والمقصود أيضاً قد يعجز عن الاختصار ، ولكن الغالب والأكثر أن يكون قادراً على ما حاوله من ذلك وبالعجز رمى الكميت .

وكان عبد الكريم بهذه الصفة ، لا يكاد يصنع مقطوعاً ، ولا أظن في جميع أشعاره خمس قطع أو نحوها .

وكان أبو تمام على جلالته وتقدمه مقصراً في القطع عن رتبة القصائد . . . والمشهورون المشهورون بجودة القطع من المولدين : بشار بن برد ، وعباس بن الأحنف ، والحسن بن الضحاك ، وأبو نؤاس ، وأبو علي البصير ، وعلي بن الجهم ، وابن المعتز ، وابن الجهم ، وابن المعتز .

المشهورون  
بالمقطعات

وكانوا يقولون في زمان منصور الفقيه - وهو قريب من عصرنا هذا - : إياكم ومنصوراً إذا رمح بالزّوج ، وكان ربما هجا بالبيت الواحد .

ووصف عبد الكريم أبا الطيب ؛ فزعم أنه أحسن الناس مقاطيع ، ولو قال مقاطع - بلاياء - قلنا : صدقت ولم نخالفه .

متى تسمى  
القصيدة ؟

وقيل : إذا بلغت الأبيات سبعة فهي قصيدة ، ولهذا كان الإيطاء بعد سبعة غير معيب عند أحد من الناس . . . ومن الناس من لا يعد القصيدة إلا ما بلغ



العشرة وجاوزها ولو بيت واحد . . . ويستحسنون أن تكون القصيدة وتراً ،  
وأن يتجاوز بها العقد ، أو توقف دونه ؛ كل ذلك ليدلوا على قلة النكفة ،  
وإلقاء البال بالشعر .

وزعم الرواة أن الشعر كله إنما كان رجزاً وقطعاً ، وأنه إنما قصدَ على  
عهد هاشم بن عبد مناف ، وكان أولَ من قصده مُهلهلُ وامرؤ القيس ، وبينهما  
وبين مجيء الإسلام مائة ونيف وخسون سنة . ذكر ذلك الجحى وغيره .

وأول من طوّل الرجز وجعله كالقصيد الأغلبُ العجلى شيئاً يسيراً ، وكان  
على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أتى العجاج بعدُ فأفتنَّ فيه ؛ فالأغلبُ  
العجلى والعجاج في الرجز كما مرى القيس ومهلهل في القصيد .

والشاعر إذا قطع وقصد ورجز فهو الكامل ؛ وقد جمع ذلك كله المرزوق ،  
ومن المحدثين أبو نوّاس ، وكان ابن الرومي يُقصدُ فيجيد ، ويطيل فيأتي بكل  
إحسان ، وربما تجاوز حتى يُسرف ، وخير الأمور أوساطها . . وهو القائل :  
وإذا امرؤٌ مدحَ امرأً لنواله فأطال فيه فقد أرادَ هجاءَهُ  
ولم يقدر فيه بُدَّ المستقى عندَ الورودِ لما أطال يرشاه

## (٢٦) - باب في البديهة والارتجال

البديهة عند كثير من الموسومين بعلم هذه الصناعة في بلدنا أو من أهل  
عصرنا هي الارتجال ، وليست به ؛ لأن البديهة فيها الفكرة والتأيد ، والارتجال  
ما كان انهمازاً وتدققاً لا يتوقف فيه فائله : كالذي صنع الفرزدق وقد دفع إليه  
سليمان بن عبد الملك أسيراً من الروم ليقتله ، فدس إليه بعض بني عبس سيفاً كهماماً  
فنبأ حين ضرب به ، فضحك سليمان ، فقال الفرزدق ارتجالاً في مقامه ذلك يعتذر  
لنفسه ، ويعير بني عبس بِدُبُوِّ سيف ورقاء بن زهير عن رأس خالد بن جعفر :

فإن بك سيفُ خانٍ أو قدَّرَ أبي      لتأخير نفس حَيْنِها غيرَ شاهد  
فَسَيْفُ بَنِي عُبْسٍ وقد ضَرَبُوا به      نبأً بِيَدَيَّ وَرَقَاءَ عن رَأْسِ خَالِد  
كَذَلِكَ سِيُوفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظُلُمَاتُهَا      وَيَقْطَعْنَ أَحْيَانًا مَنَاطَ الْقَلَائِدِ  
وَلَوْ شِئْتُ قَطَّ السَّيْفُ مَا بَيْنَ أَنْفِهِ      إِلَى عَلَيٍّ دُونَ الشَّرَاسِيفِ جَاسِدِ  
ثمَّ جَلَسَ وَهُوَ يَقُولُ :

وَلَا نَقْتُلُ الْأَسْرَى ، وَلَسَكُنْ نَفْسُكُمْ      إِذَا أَثْقَلَ الْأَعْنَاقَ حَمْلُ الْمَغَارِمِ  
وَكَالَّذِي يَرُوى عَنْ أَبِي الْخَطَّابِ عَمْرِ بْنِ عَامِرٍ السَّعْدِيِّ الْمَعْرُوفِ بِأَبِي الْأَسَدِ ،  
وَقَدْ أَشَدَّ مُوسَى الْهَادِي شَعْرًا مَدَحَهُ بِهِ يَقُولُ فِيهِ :

يَا خَيْرَ مَنْ عَقَدَتْ كِفَاهَ حُجْرَتِهِ      وَخَيْرَ مَنْ قَلَدَتْهُ أَمْرَهَا مُضَرُّ  
فَقَالَ لَهُ مُوسَى : إِلَّا مَنْ يَا بَائِسُ ؟ فَقَالَ وَاصِلًا كَلَامَهُ وَلَمْ يَقْطَعِهِ :  
إِلَّا النَّبِيَّ رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنْ لَهُ      فَخْرًا ، وَأَنْتَ بِذَلِكَ الْفَخْرِ تَفْتَخِرُ  
فَفُظِنَ مُوسَى وَمَنْ بَحْضَرْتَهُ أَنْ الْبَيْتَ مُسْتَدْرِكٌ ، وَنَظَرُوا فِي الصَّحِيفَةِ فَلَمْ  
يَجِدُوهُ ؛ فَضَاعَفَ صَلَاتَهُ .

أَعْظَمُ مَا وَقَعَ      وَأَعْظَمُ ارْتِجَالٍ وَقَعَ قَصِيدَةُ الْحَارِثِ بْنِ حِلْزَةَ بَيْنَ يَدَيَّ صَمْرُو بْنِ هَنْدٍ ؛  
مِنَ الْارْتِجَالِ      فَإِنَّهُ يَقَالُ : أَنْتِ بِهَا كَالْخَطْبَةِ ، وَكَذَلِكَ قَصِيدَةُ عَيْيِدِ بْنِ الْأَبْرَصِ ، وَقِيلَ : أَفْضَلُ  
الْبَدِيَةِ بَدِيَةِ أَمْنٍ ، وَرَدَّتْ فِي مَوْضِعِ خَوْفٍ ، فَمَا ظَنُّكَ بِالْارْتِجَالِ وَهُوَ أَسْرَعُ  
مِنَ الْبَدِيَةِ ؟ .

قُدْرَةُ      وَكَانَ أَبُو نَوَاسٍ قَوِيَّ الْبَدِيَةِ وَالْارْتِجَالِ ، لَا يَكَادُ يَنْقَطِعُ وَلَا يَرُوِّي إِلَّا فَلْتَةً ،  
أَبَى نَوَاسٍ      رَوَى أَنَّ الْخَصِيبَ قَالَ لَهُ مَرَّةً يِمَازَحُهُ وَهَمَّا بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ : أَنْتَ غَيْرُ مَدَافِعٍ فِي الشَّعْرِ ،  
عَلَى الْارْتِجَالِ      وَلَسَكُنْكَ لَا تَخْطُبُ أَفَقَامَ مِنْ فَوْرِهِ يَقُولُ مَرْتَجِلًا :

مَنْحَتَكُمْ يَا أَهْلَ مِصْرَ نَصِيحَتِي      أَلَا فَخْذُوا مِنْ نَاصِحٍ بِنَصِيبٍ  
رَمَاكُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِحِيَّةٍ      أَكُولِ لَحِيَّاتِ الْبِلَادِ شَرُوبِ

فإن يكُ باقى سحرِ فرعونَ فيكمُ فإنَّ عصا موسى بكفَّ حَصيب  
ثم التفت إليه وقال : والله لا يأتى بمثلهَا خطيب مصنَّع فكيف رأيت ؟  
فاعتذر إليه وحلف إن كنتُ إلا مازحا .

مسلم  
ابن الوليد  
وأبو نواس

وسمعت جماعة من العلماء يقولون : كان مسلم بن الوليد نظير أبي نواس ،  
وفوقه عند قوم من أهل زمانه فى أشياء ، إلا أن أبا نواس قهره بالبديهة والارتجال ،  
مع تقبض كان فى مسلم وإظهار توقر وتصنع ، وكان صاحب روية وفكرة  
لا يبتدئه ولا يرتجل .

وكان أبو العتاهية — فيما يقال — أقدرَ الناس على ارتجال وبديهة ؛ لقرب أبو العتاهية  
مأخذه ، وسهولة طريقته ، اجتمع عدة من الشعراء فيهم أبو نواس ؛ فشرب أحدهم  
ماء ، ثم قال : أجيروا :

\* كَدَ الماء وطابا \*

فكلهم تلمح ، حتى طلع أبو العتاهية ، فقال : فيم أنتم ؟ فأنشدوه ، فقال  
وما تروى :

\* حَبَّذا الماء شرابا \*

فأتى بالقسيم رَشَلاً شبيهاً بصاحبه ، وذلك هو الذى أغوزَ القومَ لا وزن  
الكلام .

وصحب رفقة فسمع زُفَاء الديوك ، فقال لرفيقه :

\* هل رأيت الصُّبْحَ لآحاً ؟ \*

قال : نعم ، قال :

\* وسمعت الديك صاحاً \*

قال : نعم ، قال :

إنما - بكى على المُفَرَّج بالدينيا وناحا

فاستيقظ رفيقه للكلام أنه شعر ، فرواه ؛ فما جرى هذا المجرى فهو ارتجال .  
 وأما البديهة فبعد أن يفكر الشاعر يسيراً ويكتب سريراً إن حضرت آله ، إلا  
 أنه غير بطيء ولا متأخر ، فإن أطل حتى يفرط أو قام من مجلسه لم يُعَدَّ بديهاً .  
 وقالوا : اجتمع الشعراء بباب الرشيد ، فأذن لهم ، فقال : من يحيز هذا  
 القسم وله حكمه ؟ فقالوا : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال :  
 الملك لله وحده

فقال الجواز :

والخليفة بعده

وللمحب إذا ما حبيبته باتت عنده  
 فقال : أحسنت ، وأتيت على ما في نفسي ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .  
 ومن عجيب ما روى في البديهة حكاية أبي تمام حين أنشد أحمد بن المعتصم بحضرة  
 أبي يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي وهو فيلسوف العرب :  
 إقدام عمرو ، في سماحة حاتم في حِلْمٍ أَحْنَفَ ، في ذكاء إياس  
 فقال له الكندي : ما صنعت شيئاً ، شبهت ابن أمير المؤمنين وولي عهد  
 المسلمين بصعاليك العرب ! ومن هؤلاء الذين ذكرت ؟ وما قدرهم ؟ فأطرق أبو تمام  
 يسيراً ، وقال :

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلاً شروداً في الندى والباس  
 فأنه قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والندراس

فهذا أيضاً وما شاكله هو البديهة ، وإن أعجب ما كان البديهة من أبي تمام ؛  
 لأنه رجل متصنع ، لا يحب أن يكون هذا في طبعه . وقد قيل : إن الكندي  
 لما خرج أبو تمام قال : هذا الفتى قليل العمر ؛ لأنه ينحت من قلبه ، وسيموت  
 قريباً ، فكان كذلك .

بديهة المتنبي  
وارتجاله

وقد كان أبو الطيب كثير البديهة والارتجال ، إلا أن شعره فيهما نازل  
عن طبقتة جداً ، وهو لعمري في سعة من العذر ؛ إذ كانت البديهة كما قال فيها  
ابن الرومي :

نار الروية نارٌ جِدُّ مُنْصِجَةٍ      وللبدية نارٌ ذاتُ تلويح  
وقَدْ يُفْضَلُهَا قَوْمٌ لِسُرْعَتِهَا      لِكِنَّهَا سُرْعَةٌ تَمْضِي مَعَ الرِّيح  
وقال عبد الله بن المعتز :

والقولُ بعد الفكريُّ مَنْ زَيْعُهُ      شَتَانٌ بَيْنَ رَوِيَّةٍ وَبَدِيهِ

ومن الشعراء مَنْ شعره في رويته وبديته سواء عند الأمن والخوف ؛ شعراء بديتهم  
لقدرته ، وسكون جأشه ، وقوة غريزته : كهذبة بن الخشرم العذري ، وطرفة كرويتهم  
أبن العبد البكري ، ومرة بن محكان السعدي ؛ إذ يقول وقد أمر مصعب بن الزبير  
رجلا من بني أسد بقتله :

بني أسد إن تَقْتُلُونِي تُحَارِبُوا      تَمِيماً ، إذا الحربُ العَوَانُ اشْمَعَلَتْ  
ولستُ وإن كانت إلى حبيبة      بيباكٍ على الدنيا إذا ما تَوَلَّتْ  
وهذا شعر لوروي فيهِ صاحبه حولا كاملا على أمن ودعة وفرط شهوة  
أو شدة حمية لما أتى فوق هذا .

وكذلك عبد يغوث بن صلاة ؛ إذ يقول في كلمة طويله :

أقول وقد شَدُّوا لسانِي بنسعةٍ      أمعشرَ تَسِيمٍ أَطْلَقُوا من لسانِيَا  
فَيَارَاكِبَا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِ      نَدَامَى من تَجْرَانِ أَنْ لَا تَلَايَا

وكانوا قد شددوا لسانه خوفاً من الهجاء ، فعاهدهم ، فأطلقوه لينوح على  
نفسه ، فصنع هذه القصيدة ، وعرض عليهم في فدائه ألف ناقة ، فأبوا إلا قتله ،

فقال :

فإن تقتلونى تقتلونى بخيركم وإن تطلقونى تحر بونى بماليا  
وهذه شهامة عظيمة وشدة .

ومن قول طرفة بن العبد لما أيقن بالموت :

أبا مُنْذِرٍ كَانتْ غُرُوراً صَحِيفَتِي      وَلَمْ أَعْطِكُمُ بِالطَّوْعِ مَالِي وَلَا عَرْضِي  
أَمَا مَنَذَرُ أَفْنَيْتَ فَاسْتَنْبِقِ بَعْضَنَا      حَتَّى نَأْتِيكَ بَعْضُ الشَّرَاهُونِ مِنْ بَعْضِ  
وَأَيْنَ هَؤُلَاءِ مِنْ عَبِيدِ بْنِ الْأَبْرَصِ - وهو شيخ الصناعة ، ومقدم فى السن  
على الجماعة - إذ يقول له النعمان <sup>(١)</sup> يوم يؤسه : أنشدنى ، فقال : حال الجريص  
دون القريص ، قال : أنشدنى قولك :

عبيد ابن  
الأبرص

أَقْرَبَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ      فَالْقَطَبِيَّاتِ فَالذَّنُوبِ

فقال : لا ، ولكن :

أَقْرَبَ مِنْ أَهْلِهِ عَبِيدُ      فَالْيَوْمَ لَا يُبْدَى وَلَا يُعِيدُ

فبلغت به حال الجزع إلى مثل هذا القول ، على أن فى بيتى طرفة بعض  
الضراعة . . .

وممن وجد نفسه عند إحاطة الموت به تميم بن جميل ؛ فإنه القاتل بين يدي  
المعتصم وقد قدم السيف والنطع لقتله :

م بن جميل  
مأم للمعتصم

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ النَّطْعِ وَالسِّيفِ كَأَمْنًا      يُبْلَا حَظِّي مِنْ حَيْثُ مَا أَتَلَفْتُ  
وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي      وَأَيُّ أَمْرٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ يُفْلِتُ  
وَأَيُّ أَمْرٍ يُدْلى بِمُذْرٍ وَحَجَّةٍ      وَسَيْفٍ لِلنَّايَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُصَلَّتِ

(١) كتبنا فى ( ص ٤١ ) من هذا الجزء نستظهر أن المؤلف يظن صاحب يومى  
البؤس والنعم هو النعمان بن المنذر وقد صرح به هنا ، وهذا غير صحيح لأن صاحب  
اليومين هو المنذر بن ماء السماء صاحب الغريين اللذين بناهما قبرين لنديمين له : أحدهما اسم  
خالد بن فضالة الفقعسى ، والثانى اسمه عمرو بن مسعود ، وانظر ( ص ١٠٣ ) أيضاً

يمز على الأوس بن تغلب موقف يسأل على السيف فيه وأسكت  
وما حـ زنى أنى أموت وإننى لأعلم أن الموت شئ مؤقت  
ولكن خلى صبية قد تركتهم وأكبادهم من حنرة تفتت  
كأنى أراهم حين أنى إليهم وقد خشوا تلك الوجوه وصوتوا  
فإن عشت عاشوا خافضين بنعمة أذود الردى عنهم ، وإن مت موتوا  
فكم قائل : لا أبعد الله داره وآخر جد لأن يسر ويسم

فعفا عنه المعتصم ، وأحسن إليه ، وقلده عملا .

على بن الجهم

وعلى بن الجهم هو القائل وقد صلب عريانا :

لم ينصبوا بالشاذياخ عشية الـ إثنين مفلولا ولا مجـولا  
نصبوا بحمد الله ملء عيونهم حسنا ، وملء قلوبهم تبجيلا  
ماضرة أن بز عنه لباسه فالسيف أهول ما يرى مسؤلأ

وهذا من جزل الكلام ، لا سيما في مثل ذلك المقام ، وكان على من  
الفضلاء علما بالشعر وصناعة له .

حكى عن على بن يحيى أنه قال : كنت عند المتوكل إذ أتاه رسول برأس  
إسحاق بن إسماعيل ، فقام على بن الجهم يخطر بين يديه ويقول :

أهلاً وسهلاً بك من رسول جئت بما يشنى من الفليل  
برأس إسحاق بن إسماعيل

فقال المتوكل : قوموا التقطوا هذا الجوهر لا يضيع .

والشاعر الحاذق المبرز إذا صنع [على] البديهة قنع منه بالعفو اللين ، والنزر  
التافه ؛ لما فيها من المشقة ، وهو في الارتجال أعذر .

اشتقاق

البديهة

واشتقاق البديهة من «بدء» بمعنى بدأ ، أبدلت الهمزة هاء كما أبدلت في أشياء

كثيرة لقربها منها؛ فقد قالوا مدح<sup>(١)</sup> ومدّه ، وأهينك تفعل كذا بمعنى لأينك ، ومثل ذلك كثير .

اشتقاق  
الارتجال

والارتجال مأخوذ من السهولة والانصباب ، ومنه قيل : شعّر رجلاً ، إذا كان سبّطاً مسترسلاً غير جعّد ، وقيل : هو من ارتجال البئر وهو أن تنزلها برجليك من غير حبل .

### (٢٧) — باب في آداب الشاعر

من حكم الشاعر أن يكون حلو السمائل ، حسن الأخلاق ، طلق الوجه ، بعيد القوّر ، مأمون الجانب ، سهل الناحية ، وطىء الأكناف ، فإن ذلك مما يحبه إلى الناس ، ويُرَيْنّه في عيونهم ، ويقربه من قلوبهم ، وليكن مع ذلك شريف النفس ، لطيف الحس ، عزوف الهمة<sup>(٢)</sup> ، نظيف البزة ، أنفاً ؛ لتهابه العامة ، ويدخل في جملة الخاصة ، فلا تمجّه أبصارهم ، تَمَحّح اليدين ، وإلا فهو كما قال ابن أبي فتن واسمه أحمد :

الصفات التي  
يجب أن يتحلّى  
بها الشاعر

وإن أحقّ الناس باللوم شاعرٌ يلوم على البخل الرجالَ ويَبْخَلُ  
وإلى هذا المعنى ذهب الطائي بقوله :

ألوم من بخلت يداه وأغتدى للبخل ترّباً؟ ساء ذاك صنيعاً !!

والشاعر مأخوذ بكل علم ، مطلوب بكل مكرمة ؛ لاتساع الشعر واحتماله كل ما حل : من نحو ، ولغة ، وفقه ، وخبر ، وحساب ، وفريضة ، واحتياج أكثر هذه العلوم إلى شهادته ، وهو مُكْتَفٍ بذاته ، مستغن عما سواه ؛ ولأنه قيد للأخبار ، وتجديد للآثار .

حاجة الشعر  
إلى مواد الثقافة

(١) ليس في المثال الأول تقارض بين الهاء والهمزة ، وإنما غرض المؤلف إثبات ذلك ، والأمثلة في العربية كثيرة ، فقد قالوا في حرف الاستفهام « أ ل » كما قالوا « هل » وقالوا « أيا » و « هيا » في النداء .  
(٢) في المصريتَيْن والتونسية « عزوب الهمة » .



وصاحبه الذي يذم ويحمد ، ويهجو ويمدح ، ويعرف ما يأتي الناس من محاسن الأشياء وما يذرونه ، فهو على نفسه شاهد ، وبحجته مأخوذ .

الرواية أوثق  
آلات الشاعر

ولياخذ نفسه بحفظ الشعر والخبر ، ومعرفة النسب ، وأيام العرب ؛ ليستعمل بعض ذلك فيما يريد من ذكر الآثار ، وضرب الأمثال ، وليلحق بنفسه بعض أنفاسهم ويقوى بقوة طباعهم ، فقد وجدنا الشاعر من المطبوعين المتقدمين يفضل أصحابه برواية الشعر ، ومعرفة الأخبار ، والتلمذة بمن<sup>(١)</sup> فوّه من الشعراء ، فيقولون : فلان شاعر راوية ، يريدون أنه إذا كان راوية عرف المقاصد ، وسهل عليه مأخذ الكلام ، ولم يضق به المذهب ، وإذا كان مطبوعاً لا علم له ولا رواية ضلّ واهتدى من حيث لا يعلم ، وربما طلب المعنى فلم يصل إليه وهو مائل بين يديه ؛ لضعف آله : كالمقعد يجد في نفسه القوة على النهوض فلا تعينه الآلة .

وقد سئل رؤبة بن العجاج عن الفحل من الشعراء ، فقال : هو الراوية ، يريد أنه إذا روى استفحل .

قال يونس بن حبيب : وإنما ذلك لأنه يجمع إلى جيد شعره معرفة جيد غيره ، فلا يحمل نفسه إلا على بصيرة ، وقال رؤبة في صفة شاعر :  
لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ تَكُونَ سَاحِرًا رَاوِيَةً مَرًّا وَمَرًّا شَاعِرًا<sup>(٢)</sup>  
فاستعظم حاله حتى قرنّها بالسحر .

وقال الأصمعي : لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلاً حتى يروى أشعار العرب ، ويسمع الأخبار ، ويعرف المعاني ، وتدور في مسامعه الألفاظ . وأول

(١) كذا في عامة الأصول ، وأفضل من هذا « والتلمذة لمن فوّه إلخ »

(٢) انظر ( ص ٢٧ ) من هذا الجزء .

ذلك أن يعلم العروض ؛ ليكون ميزاناً له على قوله ؛ والنحو ؛ ليصلح به لسانه وليقيم به إعرابه ؛ والنسب وأيام الناس ؛ ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو ذم .

رواية بعض  
الشعراء عن  
بعض

وقد كان الفرزدق - على فضله في هذه الصناعة - يروى للحطيئة كثيراً ، وكان الحطيئة راوية زهير ، وكان زهير راوية أوس بن حَجَر وطفيل الغنوي جميعاً ، وكان امرؤ القيس راوية أبي ذؤاد الإيادي : مع فضل تحبزة ، وقوة غريزة ، ولا بد بعد ذلك أن يلوذ به في شعره ، ويتوكأ عليه كثيراً ، وقد نزل أعشى بى قيس بن ثعلبة بين يدي النابغة الذبياني بسوق عكاظ وأنشده قدمه ، وأنشده حسان بن ثابت ، ولبيد بن ربيعة ؛ فما عابهم ذلك ، ولا غصّ منهم ، وكان كثير راوية جميل ومفضلاً له : إذا استنشد لنفسه بدأ بجميل ، ثم أنشد ما يراد منه ، ولم يكن بدون جرير والفرزدق ، بل يقدم عليهما عند جميع أهل الحجاز ، وكان أبو حية النخعي - واسمه الهيثم بن الربيع ، وهو من أحسن الناس شعراً ، وأنظفهم كلاماً - مؤتماً بالفرزدق ، آخذاً عنه ، كثير التعصب له والرواية عنه .

حاجة الشاعر  
إلى شعر  
للمولدين

ولا يستغنى المولد عن تصفح أشعار المولدين ؛ لما فيها من حلاوة اللفظ ، وقرب المأخذ ، وإشارات الملح ، ووجوه البديع الذي مثله في شعر المتقدمين قليل ، وإن كانوا هم فتحوا بابه ، وفتقوا جلبابه ، وللمتعقب زيادات وافتنان ، لا على أن تكون عمدة الشاعر مطالعة ما ذكرته آخر كلامي هذا دون ما قدمته ؛ فإنه متى فعل ذلك لم يكن فيه من المتانة وفضل القوة ما يبلغ به طاقة من تبع جادته ، وإذا أعانتها فصاحة المتقدم وحلاوة المتأخر اشتد ساعده ، وبعُدَ مرماءه ، فلم يقع دون الغرض ؛ وعسى أن يكون أرشق سهاًماً ، وأحسن موقعاً ، ممن لو عَوَّل عليه من المحدثين لقصّر عنه ، ووقع دونه ،

وليجعل طلبه أولاً للسلامة ، فإذا صحت له طَلَبَ التَّجْوِيدَ حينئذٍ ، وليرغب في  
الحلاوة والطلاوة رَغْبَتَهُ في الجزالة والفخامة ، وليجتنب السوقَ القريب ،  
والخوشى الغريب ، حتى يكون شعره حالاً بين حالين كما قال بعض  
الشعراء :

عليك بأوساط الأمور ؛ فإنها نجاةٌ ، ولا تركب ذلولاً ولا صمباً

فأول ما يحتاج إليه الشاعر — بعد الجِد الذي هو الغاية ، وفيه وحده أول ما يحتاجه  
معرفة مقاصد الكلام — حُسْنُ التَّأْنِي والسياسة ، وعلم مقاصد القول ؛ فإن نَسَبَ ذل وخضع ،  
وإن مدح أطرى وأسمع ، وإن هجا أخل<sup>(١)</sup> وأوجع ، وإن فخر خَبَّ ووَضَعَ ،  
وإن عاتب خفض ورفع ، وإن استعطف حَنَّ ورجع ، ولكن غايته معرفة أغراض  
المخاطب كأننا من كان ؛ ليدخل إليه من بابه ، ويدخله في ثيابه ، فذلك هو سر  
صناعة الشعر ومغزاه الذي به تفاوت الناس وبه تفاضلوا . .

وقد قيل : لكل مقام مقال<sup>(٢)</sup> وشعرُ الشاعر لنفسه وفي مراده وأمور لكل مقام مقال  
ذاته — من مزج ، وغزل ، ومكاتبة ، ومجون ، وخمزية ، وما أشبه ذلك —  
عَزِزُ شعره في قصائد الحفل التي يقوم بها بين السماطين : يُقْبَلُ منه في تلك  
الطرائق عَفْوُ كلامه ، وما لم يتكلف له بالا ، ولا ألقى به ، ولا يقبل منه في هذه  
إلا ما كان محككا ، معاوداً فيه النظر ، جيداً ، لا غث فيه ، ولا ساقط ،  
ولا قلق ؛ وشعره للأمير والقائد غير شعره للوزير والكاتب ، ومخاطبته للقضاة  
والفقهاء بخلاف ما تقدم من هذه الأنواع . . وسيأتى هذا في موضعه من هذا  
الكتاب مفصلاً ، إن شاء الله تعالى .

(١) في نسخة « أقل » ولعلها أحسن

(٢) كذا في التونسية ، وهو المعروف ، وفي المصريتين « لكل مقام مثال »

يجب أن يتفقد الشاعر شعره والتأخر من الشعراء في الزمان لا يضره تأخره إذا أجاد ، كما لا ينفع المتقدم تقدمه إذا قصر ، وإن كان له فضل السبق فعليه درك التقصير ، كما أن للتأخر فضل الإجابة أو الزيادة ، ولا يكون الشاعر حاذقاً مجوداً حتى يتفقد شعره ، ويعيد فيه نظره ، فيسقط رديه ، ويثبت جيده ، ويكون متمحاً بالركيك منه ، مطرحاً له ، راغباً عنه ؛ فإن بيتاً جيداً يقاوم ألفي رديء .

وقال امرؤ القيس وهو أول من زعموا أنه أختبر له وعلم به أنه يكون أفضل الشعراء والمقدم عليهم :

أذود القوافي عني ذيادةً      ذيادةً غلام جرىء جرادا  
فلما كثرت وعنيته      تخير منهن شقي جياتا  
فأعزل مرجانها جابياً      وأخذ من دُرّها المستجادا

هكذا في أكثر النسخ ، وفي بعضها « حراد » بالحاء مكسورة غير معجمة ، و « شقي جياتا » بالشين معجمة مفتوحة غير منونة التاء .

فإذا كان أشعر الشعراء يصنع هذا ويحكيه عن نفسه ، فكيف يذنبى لغيره أن يصنع ؟

وزعم ابن الكلبي أنه امرؤ القيس بن بكر بن امرئ القيس بن الحارث ابن معاوية الكندي ، وروى « سفي » في موضع « جرىء » والسفي : السفية ولخفيف أيضاً ، وإليه يرجع اشتقاقه ، وزعم غير ابن الكلبي أن الأبيات لامرئ القيس بن عابس الكندي<sup>(١)</sup> .

ويقال : إن أبا نواس كان بفعل هذا الفعل ؛ فينفى الذي ويبقى الجيد .

(١) ولم أجد هذه الأبيات فيما شرحه الوزير أبو بكر من شعراء امرئ القيس ابن حجر ، والعلماء يسمون الآخر امرأ القيس بن مالك الحميري :

وليتمس له من الكلام ما سهل، ومن القصد ما عدل، ومن المعنى ما كان واضحاً جلياً يُعرفُ بدياً، فقد قال بعض المتقدمين: شر الشعر ما سئل عن معناه، وكان الخطيئة يقول: خير الشعر الحولى المحسك، أخذ في ذلك بذهب زهير، وأوس، وطفيل.

ولا يجوز للشاعر — كما يجوز لغيره — أن يكون مُعجَباً بنفسه، مثنياً على شعره، وإن كان جيداً في ذاته، حسناً عند سامعه، فكيف إن كان دون ما يظن؟ كقوم أفردوا لذلك أنفسهم، وأفتوا فيه أعمارهم وما يحصلون على طائل، وقد قال الله عز وجل: (فلا تركوا أنفسكم) اللهم إلا أن يريد الشاعر ترغيب المدوح أو ترهيبه فيثنى على نفسه، ويذكر فضل قصيدته؛ فقد جعلوه مجازاً مسأحاً فيه: كالذى يعرض لكثير من الشعراء في أشعارهم من مدح قصائدهم، على أن أبا تمام يقول:

وَيْسِيهِ بِالْإِحْسَانِ ظَنًّا لَا كَمَنْ يَأْتِيكَ وَهُوَ بِشِعْرِهِ مَفْتُونٌ  
وإن كان أوصف الناس لقصيده، وأكثروا لوعاً بذلك، وهذا ما دام شعراً كان محمولا على ما قدمناه، وإنما المكروه المريب أن يكون ذلك منشوراً أو تأليفاً مسطوراً: كالذى فعل الناشئ أبو العباس في أشياء من شعره ذكرها في كتابه الموسوم بتفضيل الشعر؛ فشكرها، ونوه [بها]، ونبه عليها، وفضلها على أشعار القهول: مثل جرير وغيره، منها قول جرير:

إِنَّ الْعَيْنَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ <sup>(١)</sup> قَتَلَتْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِنَا قَتَلَانَا  
يَصْرَعُنَا ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حِرَاكَ بِهِ وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ إِنْسَانًا

وزعم — بعد إقامة ما حسب به برهانا — أن قوله:  
لَا شَيْءَ أَعْجَبُ مِنْ عَيْنَيْكَ؛ إِنَّهُمَا لَا يَضَعِفَانِ الْقُوَى إِلَّا إِذَا ضَعُفَا

(١) يروى \* إن العين التي في طرفها حور \*

خير منه ، وأسلم من الاعتراض ، وأكثر اختصاراً .

بين امرئ القيس وشاعر يشكرى  
ويجب على الشاعر أن يتواضع لمن دونه ، ويعرف حق من فوقه من الشعراء ؛ فإن امرأ القيس — وكان شديد الظنة في شعره ، كثير المنازعة لأهله ، مُدِلًّا فيه بنفسه ، واثقاً بقدرته — لقي التوأم اليشكري ، واسمه الحارث <sup>(١)</sup> بن قتادة ، فقال له : إن كنت شاعراً كما تقول فملط <sup>(٢)</sup> لي أنصاف ما أقول فأجزها ، قال : نعم ، فقال امرؤ القيس :

أحارٍ تَرَى بُرَيْقًا هَبَّ وَهَنًا

كنارٍ مجوسٍ تستعر استعاراً

أرقت له ونام أبو شريحٍ

إذا ما قلتُ قد هداً استطارا

كأن هزيمه بوراء غيب <sup>(٣)</sup>

فقال التوأم :

فقال امرؤ القيس :

فقال التوأم :

فقال امرؤ القيس :

(١) جعل ياقوت اسمه الحارث بن التوأم اليشكري ، وجعل قتادة وأبا شريح أخوين للحارث . وذكر هذه القصة وأنها وقعت لامرئ القيس مع الإخوة الثلاثة وأن امرأ القيس قال \* أحار ترى \* فقال الحارث \* كنار مجوس . . . . . فقال قتادة \* أرقت له . . . . . استطارا \* فقال أبو شريح \* كأن هزيمه . . . . . فقال الحارث \* فلما أن علا . . . . . فحارا \* فقال قتادة \* فلم يترك بطن السر . . . . . حمارا \* فقال امرؤ القيس بعد هذا : إني لأعجب من بيتكم هذا كيف لا يحترق من جودة شعركم ! فسموا بنى النار يومئذ .

(٢) قال المجد في القاموس : « ومالطه : قال نصف بيت وأتمه الآخر كملطه

تمليطاً » اهـ

(٣) يروى

\* كأن هزيمه بوراء غيب \*

كما سمعت .

فقال التوأم : عِشَارٌ وَاللهُ لَا قَتَ عِشَارَا  
فقال امرؤ القيس : فلما أن عَلَا كُنْفِي أَضَاخُ<sup>(١)</sup>  
فقال التوأم : وَهَتْ أَعْجَازُ رِيْفِهِ فَحَارَا  
فقال امرؤ القيس : فلم يترك بذات السر طيبا  
وقال التوأم : ولم يترك بِجَلَّتْهَا حَارَا

فلما رآه امرؤ القيس قد ماتنه ، ولم يكن في ذلك الحرّس - أي : العصر - من  
يماتنه - أي : يقاومه ويطاوله - آلى ألا ينازع الشعر أحداً آخر الدهر ، روى  
ذلك أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء ، ولو نظر بين الكلامين لوجد التوأم  
أشعر في شعرها هذا ؛ لأن امرأ القيس مبتدىء ما شاء ، وهو في فسحة عما أراد ،  
والتوأم محكوم عليه بأول البيت ، مضطر في القافية التي عليها مدارها جميعاً ، ومن  
ههنا - والله أعلم - عرف له امرؤ القيس من حق الممانعة ما عرف ، ونازع أيضاً  
علقة بن عبدة فكان من غلبة علقة عليه ما كان ..

وأما جرير فهجاه شاعر يقال له : البردخت ، فقال : ما اسمه ؟ قيل له :  
بين جرير وشاعر  
البردخت ، فقال : وما معنى البردخت ؟ قالوا له : الفارغ ، فقال : إذاً والله  
لا أشغله بنفسى أبداً ، وسالمة : هذا وهو جرير الذي غلب شياطين الشعراء ،  
وسكن شقاشق الفحول ..

وأما عقبة بن روبة بن العجاج فإنه أنشد عقبة بن سلم<sup>(٢)</sup> بحضرة بشار  
أرجوزة ، فقال : كيف ترى يا أبا معاذ ؟ فأنى بشار كما يجب لمثله أن يفعل ،  
وأظهر الاستحسان ، فلم يعرف له عقبة حقه ، ولا شكر له فعله ، بل قال له : هذا

(١) أضاخ - بالضم وآخره خاء معجمة - من قرى اليامة لبني نعيم ، ذكره  
ياقوت ، ويروى : \* فلما أن علا شرجى أضاخ \*

(٢) عقبة بن سلم : كان والياً على البصرة ، من قبل أبي جعفر المنصور ، وكان  
جباراً عاتياً .

طِرَارُ لا تحسنه ، فقال له بشار : ألمثلنى يقال هذا الكلام ؟ أنا والله أرجز منك  
ومن أهلك ومن جدك ، ثم غدا على عقبة بن سلم بأرجوزته التى أولها :  
يا طلل الحى بذات الصمد<sup>(١)</sup> بالله خبر كيف كدت بعدى  
فَصَحَ بها ابن رؤبة فضيحة ظاهرة كان غنيا عنها ..

إعجاب البحترى      وكان فى البحترى إعجاب شديد ، إذا أنشد يقول : مالكم لا تعجبون ؟  
بنفسه      أما حسن ما تسمعون ؟ فأنشد المتوكل يوماً قصيدته التى أولها :  
عَنْ أَىِّ تَغْرِ تَبْتَسِمُ ؟      وبأى طَرْفٍ تَحْتَكُمُ ؟  
وأبو العباس الصَّيْمَرِى حاضراً ، فلما رأى إعجابه قام حذاه فقال :  
من أَى سَلَحٍ تَلْتَقِمُ ؟      وبأى كَفٍّ تَلْتَعِمُ ؟  
ذَقْنُ الْوَلِيدِ الْبَحْتَرِىُّ      أبى عُبَادَةَ فى الرَّجَمِ  
فَوَلَّى الْبَحْتَرِى وهو غضبان ، فقال : وعلمتُ أنك تنهزم  
فضحك المتوكل حتى فخص برجليه ، وأعطى الصَّيْمَرِى جائزة سنوية .

## (٢٨) — باب عمل الشعر ، وشجذ القريحة له

لكل شاعر      لابد للشاعر — وإن كان فحلاً ، حاذقاً ، مُبَرِّزاً ، مقدماً — من فترة تعرّض  
فترة      له فى بعض الأوقات : إما لشغل يسير ، أو موت قريحة ، أو نُبُوٌّ طبع فى تلك  
الساعة أو ذلك الحين . وقد كان الفرزدق — وهو فحل مُضَرَّ فى زمانه — يقول :  
تمرُّ على الساعة وقَلْعٌ ضررس من أضرارى أهونُ علىَّ من عمل بيت من الشعر .  
فإذا تَمدى ذلك على الشاعر قيل : أَصْنَى وَأَفْعَى ، كما يقال « أفصت الدجاجة »

(١) فى معجم ما استعجم : الصمد : موضع فى ديار بنى يربوع . وفى معجم  
ياقوت : الصمد : ماء للضباب .



إذا انقطع بيضها ، وكذلك يقال له : أَجْبَل ، كما يقال لحافر البئر إذا بلغ جبلا تحت الأرض لا يعمل فيه شيء : أَجْبَل ، ومثل أجبل : أكَدَى ، إلا أنهم خصوا به العطاء ، وذلك أن يصادف حافر البئر كدية فلا يزيد شيئاً على ما حفر ، ويقال : أغم الشاعر على أفع ، قالوا : وهو من «فُجِمَ العصب» إذا انقطع صوته من شدة البكاء ، فإن ساء نظفه وفسدت معانيه قيل له : أَهْتَر فهو مهتر . وقد قيل في الذبياني : إنه إنما كان شعره نظيفاً من العيوب لأنه قاله كبيراً ، ومات عن قرب ، ولم يهتر . . وأكثر ما جاء الإهتار في صفة الكبير الذي يختلط كلامه وقولهم في شعر النابغة إنه قاله وهو كبير يَدُلُّ على أنه بهذا سمي نابغة كما عند أكثر الناس ، لا لقوله :

\* فَقَدْ نَبَغَتْ لَنَا مِنْهُمْ شُثُونُ \*

كما تقدم <sup>(١)</sup> من قول بعضهم . ويقال : أخلى الشاعر ، كما يقال أخلى الراعي ، إذا لم يُصَبِّ معنى .

حكى عن البحترى أنه قال : فاوضت ابن الجهم علياً في الشعر ، وذكر رأى في أشجع السلمي أشجع السلمي فقال : إنه كان يخلى ، فلم أفهمها عنه ، وأنفت أن أسأله عنها ، فلما انصرفت فكرت فيها ، ونظرت في شعر أشجع ، فإذا هو ربما مرت له الأبيات مغسولة ليس فيها بنت رائع .

ثم إن للناس فيما بعد ضرباً مختلفة : يستدعون بها الشعر ، فتشحذ القرائح وسائل الشعراء وتنبه الخواطر ، وتلين عريكة الكلام ، وتسهل طريق المعنى : كل امرئ على لاستدعاء الشعر تركيب طبعه ، وإطراد عاداته ، وسيأتي ذلك في أقاويل العلماء بما أرجو أن تكون فيه هداية إن شاء الله تعالى .

قال بكر بن النطاح الحنفي : الشعر مثل عين الماء : إن تركتها اندفنت ، وإن استهنتها هنتت ، وليس مراد بكر أن تستهتن بالعمل وحده ؛ لأننا نجد الشاعر تكلُّ قريحته مع كثرة العمل مراراً ، وتنزف مادته ، وتنفذ معانيه ، فإذا أجم طبعه أياماً — وربما زماناً طويلاً — ثم صنع الشعر جاء بكل آبدق ، وانهمر في كل قافية شاردة ، وانفتح له من المعاني والألفاظ ما لو راه من قبل لاستغلق عليه ، وأبهم دونه ، لكن بالذاكرة مرة ؛ فإنها تقدح زناد الخاطر ، وتفجر عيون المعاني ، وتوقظ أبصار الفطنة ، وبمطالعة الأشعار كرة ؛ فإنها تبعث الجدل ، وتولد الشهوة .

وسئل ذو الرمة : كيف تفعل إذا انقلد دونك الشعر ؟ فقال : كيف ينقل دوني وعندى مفاتيحه ؟ قيل له : وعنه سألتك ، ما هو ؟ قال : الخلوة بذكر الأحباب ، فهذا لأنه عاشق ، ولعمري إنه إذا انفتح للشاعر نسيب القصيدة فقد ولج من الباب ، ووضع رجله في الركاب ، على أن ذا الرمة لم يكن كثير المدح والمجاء ، وإنما كان واصف أطلال ، ونادب أظعان ، وهو الذي أخرجه من طبقة الفحول .

وقيل لكثير : كيف تصنع إذا عمر عليك الشعر ؟ قال : أطوف في الرابع المحيلة ؛ والرياض الملعشبة ، فيسهل على أرضه ، ويسرع إلى أحسنه .

وقال الأصمعي : ما استدعى شارد بمنل الماء الجاري ، والشرف العالي ، والمكان الخالي — وقيل : الخالي ، يعني الرياض —

وحدثني بعض أصحابنا من أهل المهديّة وقد مررنا بموضع بها يعرف بالكدية هو أشرفها أرضاً وهواء — قال : جئت هذا الموضع مرة فإذا عبد الكريم على سطح برج هنالك قد كشف الدنيا ، فقلت : أبا محمد ؟ قال : نعم ، قلت : ما تصنع هنا ؟ قال : ألقيح خاطري ، وأجلو ناظري ، قلت : فهل نتج لك شيء ؟

قال : ماتقرّ به عيني وعينك إن شاء الله تعالى ، وأنشدني شعراً يدخل مسام القلوب رقة ، قلت : هذا اختبار منك اخترعته ، قال : بل برأى الأصمعي .

وقالوا : كان جرير إذا أراد أن يؤبد قصيدة صنعها ليلاً : يشعل سراجاً ويعتزل ، وربما علا السطح وحده فاضطجع وغطى رأسه رغبة في الخلوة بنفسه . يحكى أنه صنع ذلك في قصيدته التي أخزى بها بنى نمير ، وقد تقدم ذكرها<sup>(١)</sup> .

وروى أن الفرزدق كان إذا صعبت عليه صنعة الشعر ركب ناقته ، وطاف خالياً منفرداً وحده في شعاب الجبال وبطون الأودية والأماكن الخالية ، فيعطيه الكلام قياده . حكى ذلك عن نفسه في قصيدته الفأئية :

عَزَفْتُ بِأَعْيَاشٍ وَمَا كَدْتُ تَغْرِفُ

وذكر أن فتى من الأنصار بحضرة كثير - أو غيره - فآخره بأبيات حسان ابن ثابت :

لنا الجففاتُ الغرُّ يَلْمَمَنَّ بالصَّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا  
فَانْظُرْهُ سَنَةَ فَمَضَى حَنْقًا ، وطالت ليلته ولم يصنع شيئاً ، فلما كان قرب الصباح أتى جبلاً بالمدينة يقال له ذُباب، فنادى : أخاكم يا بنى لبينى ، صاحبكم ، صاحبكم ، وتوسّد ذراع ناقته ، فاثالب عليه القوافى اثباليلا ، وجاء بالقصيدة بكرة وقد أعجزت الشعراء وبهرتهم طويلاً وحسناً وجودة .

وقيل لأبي نواس : كيف عملك حين تريد أن تصنع الشعر ؟ قال : أشرب حتى إذا كنت أطيب ما أكون نفساً بين الصاحي والسكران صنعت وقد داخلني النشاط وهزّنتني الأرضية .

(١) انظر ( ص ٥٠ ) من هذا الجزء .

أوقات صنعة  
الشعر

قال ابن قتيبة : وللشاعر أوقات يسرع فيها أتيه ، ويسمح فيها أتيه : منها أول الليل قبل تغشى الكرى ، ومنها صدر النهار قبل الغداء ، ومنها يوم شرب الدواء ، ومنها الخلوة في الحبس والمسير ، ولهذه العلة تختلف أشعار الشاعر ورسائل المترسل .

وحكى عن أبي تمام - وقد سأله البحتري عن أوقات صنعة الشعر - قريب من هذا لا أحفظه بيا ، ولا أشك أن ابن قتيبة به اقتدى ، إن كان مما رواه<sup>(١)</sup>

ومما يجمع الفكرة من طريق الفلسفة استلقاء الرجل على ظهره ، وعلى كل حال فليس يفتح مُقَفَّلَ بحار الخواطر مثلُ مباكرة العمل بالأسحار عند الهبوب من النوم ؛ لكون النفس مجتمعة لم يتفرق حِسْمًا في أسباب اللهو أو المعيشة أو غير ذلك مما يعيها ، وإذ هي مستريحة جديدة كأنما أنشئت نشأة أخرى ؛ ولأن السَّحَرَ ألطف هواء ، وأرق نسيماً ، وأعدل ميزاناً بين الليل والنهار ، وإلّا لم يكن العشيُّ كالسحر - وهو عَدِيلُهُ في التوسط بين طرفي الليل والنهار - لدخول الظلمة فيه على الضياء بضد<sup>(٢)</sup> دخول الضياء في السحر على الظلمة ، ولأن النفس فيه كَالَّةٌ [ مريضة ] من تعب النهار وتصرفها فيه ، ومحتاجة إلى قوتها من النوم متشوقة نحوه ؛ فالسحر أحسن لمن أراد أن يصنع ، وأما لمن أراد الحفظ والدراسة وما أشبه ذلك فالليل ، قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : ( إن ناشئة الليل هي أشدُّ وطأً وأقوم كيلاً ) وهذا الكلام

(١) في التونسية « إن كان رآه » وهي عبارة قريبة الصحة : وقدمات ابن قتيبة في سنة ٢٧٦ من الهجرة ، ومات أبو تمام في سنة ٢٣١ من الهجرة على المختار من أقوال الناس في وفاته .

(٢) في المصريتين « بعد » وهو خطأ ظاهر .

الذى لا مَطْعَنَ فيه ، ولا اعتراض عليه ، وعلى قراءة من قرأ ( وطاء ) يكون معناه أثقل على فاعله ، وإذا كان كذلك كان أكثر أجراً ، فهذا يشهد لنا أن العمل أول الليل يصعب ؛ لأن النوم يغلب والجسم يَكِلُّ .

بعض أحوال  
أبي تمام

وكان أبو تمام يُكْرِه نفسه على العمل حتى يظهر ذلك في شعره . . . حكي ذلك عنه بعض أصحابه ، قال : استأذنت عليه - وكان لا يستتر عني - فأذن لي فدخلت [ فإذا هو ] في بيت مصهرج قد غسل بالماء ، يتقلب يميناً وشمالاً ، فقلت : لقد بلغ بك الحرّ مبلغاً شديداً ، قال : لا ، ولكن غيره ، ومكث كذلك ساعة ثم قام كأنما أطلق من عقاب ، فقال : الآن وردت ، ثم استمدّ وكتب شيئاً لا أعرفه ، ثم قال : أندري ما كنت فيه هذا الآن ؟ قلت : كلا ، قال : قول أبي نواس :

كالدهر فيه شراسةٌ وليانُ

أردت معناه فشَمَسَ علىّ حتى أمكن الله منه فصنعت .

شرسنت ، بل لنت ، بل قانيت ذاك بذاً . فأنت لا شكّ فيك السهل والجبل ولعمري لو سكت هذا الحاكى لَنَمَّ هذا البيت بما كان داخل البيت ؛ لأن الكلفة فيه ظاهرة ، والتعمل بين ، على أن مثل حكاية أبي تمام وأشد منها قد وقعت لمن لا يتهم ، وهو جرير : صنع الفرزدق شعراً يقول فيه :

جرير  
والفرزدق

فإني أنا الموتُ الذي هو ذاهبٌ بِنَفْسِكَ ، فانظر كيف أنت مُحاوله

وحلف بالطلاق أن جريراً لا يغلبه فيه ، فكان جرير يتمرغ في الرَّمضاء ويقول : أنا أبو حَزْرَةَ ، حتى قال :

أنا الدهرُ : يَقْتِي الموتُ والدهرُ خالدٌ فجئني بمثلِ الدهرِ شيئاً يطاوله

وكان أبو تمام ينصب القافية للبيت ؛ ليملق الأعجاز بالصُدُور ، وذلك هو كيف كان الشعر ، ولا يأتي به كثيراً إلا شاعر متصنع كحبيب ونظرائه ، أبو تمام ينظم ؟

والصواب أن لا يصنع الشاعر بيتا لا يعرف قافيته ، غير أنى لا أجد ذلك في طبعي جملة ، ولا أقدر عليه ، بل أصنع القسم الأول على ما أريده ، ثم ألتبس في نفسي ما يليق به من القوافي بعد ذلك ، فأبنى عليه القسم الثانى : أفعل ذلك فيه كما يفعل من يبنى البيت كله على القافية ، ولم أر ذلك بمخل على ، ولا يزيحني عن مرادى ، ولا يغير على شيئا من لفظ القسم الأول ، إلا في الثدرة التي لا يعتدبها أو على جهة التفتيح المفرط .

عبد الله بن  
رواحه

وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة كالمتعجب من شعره ، فقال : كيف تقول الشعر ؟ قال : أنظر في ذلك ثم أقول ، قال : فعليك بالمشركين ولم يكن أعد شيئا ، فأنشد أبياتا منها :

فَخَبَّرُونِي ، أُمَامَانَ الْعَبَاءِ ، مَتَى كُنْتُمْ بِطَارِيقٍ أَوْ دَانَتْ لَكُمْ مُضَرٌّ ؟  
فعرف الكراهية في وجه النبي صلى الله عليه وسلم ، لما جعل قومه أئمان العباء ، فقال :

نُجَالِدُ النَّاسَ عَنْ عَرَضٍ وَنَأْسِرُهُمْ فِينَا النَّبِيُّ ؛ وَفِينَا تَنْزِيلُ الشُّورِ  
وَقَدْ عَلِمْتُمْ بَأَنَا لَيْسَ يَغْلِبُنَا حَتَّى مِنَ النَّاسِ إِنْ عَزَا ، وَإِنْ كَثُرُوا  
ينتهى إلى أن يقول في النبي صلى الله عليه وسلم :

فَثَبَّتَ اللَّهُ مَا أَعْطَاكَ مِنْ حَسَنِ تَثْبِيتِ مُوسَى ، وَنَصْرَا كَالَّذِي نَصَرُوا  
فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَجْهِهِ ، فَقَالَ : « وَإِلَّاكَ فَثَبَّتَ اللَّهُ  
يا ابن رواحة » .

طريقة جماعة ومن الشعراء من يسبق إليه بيت واثنان ، وخطاره في غيرها : يجب أن يكونا بعد ذلك بأبيات ، أو قبله بأبيات ، وذلك لقوة طبعه ، وانبعاث مادته ، ومنهم من ينصب قافية بعينها لبيت بعينه من الشعر مثل أن تكون ثالثة أو رابعة أو نحو ذلك لا يعدو بها ذلك الموضع إلا انحل عنه نظم أبياته ، وذلك في النظم

غيب في الصنعة شديد ، ونقص بين ؛ لأنه - أعنى الشاعر - يصير محصوراً على شيء واحد بعينه ، مُضَيِّقاً عليه ، وداخلاً تحت حكم القافية .  
وكانوا يقولون : ليسكن الشعر تحت حكمك ، ولا تكن تحت حكمه .

ومنهم مَنْ إذا أخذ في صنعة الشعر كتب من القوافي ما يصلح لذلك الوزن الذى هو فيه ، ثم أخذ مستعملها ، وشريقها ، ومساعد معانيه ، وما وافقها ، واطَّرَحَ ما سوى ذلك ، إلا أنه لا بد أن يجمعها ليكرر فيها نظره ، ويعيد عليها تخيره في حين العمل ، هذا الذى عليه حُذَّاق القوم .

ومن الشعراء مَنْ إذا جاءه البيت عَفَوا أثبتته ، ثم رجع إليه ففتححه ، وصفاه من كدره ، وذلك أسرع له ، وأخف عليه ، وأصح لنظره ، وأرخص لباله ..  
وآخرُ لا يثبت البيت إلا بعد إحكامه في نفسه ، وثقيقته من جميع جهاته ، وذلك أشرف للهمة ، وأدل على القدرة ، وأظهر للكلفة ، وأبعد من السرقة .  
وسألت شيخنا من شيوخ هذه الصناعة فقلت : ما يعين على الشعر ؟ فقال :  
زهرة البستان ، وراحة الحمام .

وقيل : إن الطعام الطيب ، والشراب الطيب ، وسماع الغناء ، مما يرقُّ الطبع ، ويصفي المزاج ، ويعين على الشعر .

ولما أرادت قريش معارضة القرآن عكف فصحاؤهم الذين تعاطوا ذلك على بُكَّاب البرِّ وسُلَّافِ الخمر ولحوم الضأن والخلوة إلى أن بلغوا مجهودهم . فلما سمعوا قول الله عز وجل ( وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ، وَيَا سَمَاةُ اقْلَعِي ، وَغِيصَ الْمَاءِ ، وَقَضَى الْأَمْرَ ، وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى ، وَقِيلَ بُدْأَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) يئسوا مما طمعوا فيه ، ودخلوا أنه ليس بكلام مخلوق .

وقيل : مَقْوَدُ الشعر العِناء به ، وذكر عن أبي الطيب أن متشرفاً تشرف عليه وهو يصنع قصيدته التى أولها :

\* جَمَلًا كَمَا بِي فَلَيْكَ التَّبْرِيحُ <sup>(١)</sup> \*

وهو يتعنى وَيَصْنَع ، فإذا توقف بعض التوقف رَجَعَ بالإشاد من أول القصيدة إلى حيث انتهى منها .

وقال بعضهم : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ الشَّعْرَ فَلْيَعِشْ فَإِنَّهُ يَرْقُ ، وَلْيَزُفْ فَإِنَّهُ يَدُل ، وَلْيَطْمَعْ فَإِنَّهُ يَصْنَع . وقالوا : الحيلة لَكَلَّالِ التَّريجة انتظار الحمام ، وتصيد ساعات النشاط ، وهذا عندي أنجع الأقوال ، وبه أقول ، وإليه أذهب ..  
وقال بكر بن عبد الله المزني : لا تكدوا القلوب ولا تهملوها ، وخير الفسكر ما كان في عقب الحمام ، وَمَنْ أَكْرَهَ بَصْرَهُ عَشَى ، واشحذوا القلوب باللذاكرة ولا تئسوا من إصابة الحكمة إذا منحتهم ببعض الاستغلاق ، فإن من أَدْمَنَ قَرَعَ الباب وَصَلَ .

وقال الخليل : من لم يأت شعره من الوحدة فليس بشاعر ، قالوا : يريد الخلوة ، وربما أراد الغربة ، كما قال ديك الجن : ما أَصْنَفِي شاعر مغترب قط .

ومما لا يسع تركه في هذا الموضع صحيفة كتبها بشر بن المعتز ، ذكر فيها البلاغة ، ودل على مظان الكلام والفصاحة ، يقول فيها : خذ من نفسك ساعة فراغك ، وفراغ بالك ، وإجابتها إياك ، فإن قلبك تلك الساعة أكرمُ جواهر وأشرف حساً ، وأحسن في الأسماع <sup>(٢)</sup> ، وأحلى في الصدور ، وأسلم من فاحش الخطأ ، وأجلب لكل عين وغرة من لفظ شريف ومعنى بديع ، واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالسكد والمجاهدة ، وبالتكلف والمعاندة ، ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصداً ، أو خفيفاً على اللسان سهلاً

صحيفة بشر بن  
المعتز في  
البلاغة

(١) تمامه \* أغذاء ذا الرشا الأغن الشيخ \* وهو مطلع قصيدة مدح بها مساور بن محمد الرومي ( انظر الديوان : ج ١ ص ١٦٤ ) .  
(٢) في الصريتين المطبوعتين « وأحسن في الإسماع » وهو تصحيف .



كما خرج من يبعوه ، ونَجَمَ من معدنه . وإياك والتوعر ، فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك ، ويشين ألفاظك ، ومن أراغ<sup>(١)</sup> معنى كريماً فَلْيَلْتَمَسْ له لفظاً كريماً ؛ فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن حقهما أن يصوبنهما عما يفسدهما ويُهَجِّنهما ، وعما تَعَوَّد من أجله أسوأ حالا منك من قبل أن تلتبس إظهارهما ، وترهن نفسك فى ملاستهما وقضاء حقهما ، وكن فى إحدى ثلاث منازل : فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا ، وفخا سهلا ، ويكون معنك ظاهراً مكشوفاً ، وقرىبا معروفاً : إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت ، وإما للعامة إن كنت للعامة أردت ، والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معانى الخاصة ، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معانى العامة . وإما مَدَارُ الشرف مع الصواب وإحراز المنفعة ، ومع موافقة الحال ، ومع ما يجب لكل مقام من المقال ، وكذلك اللفظ العامى والخاصى ، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك ، وبلاغة قلمك ، ولطف مداخلك ، واقتدارك فى نفسك على أن تفهم العامة معانى الخاصة وتَسْكُوهَا الألفاظ المتوسطة التى لا تلتف عن الدهماء ، ولا تجفوا عن الأكفاء ؛ فأنت البليغ التام . فإن كانت الميزة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسمح لك عند أول نظرك فى أول تكلفك ، وتجذب اللفظة لم تقع موقعها ولم تصل إلى قرارها وإلى حقها من أمانتها المقسومة لها ، والقافية لم تحمل فى مركزها وفى نصابها ولم تتصل بشكلها ، وكانت قَلْبَةً فى مكانها نافرة عن موضعها ؛ فلا تُكْرِهْهَا على اغتصاب مكانها ، والنزول فى غير أوطانها ؛ فإنك - إذا لم تعاط قَرْضَ الشعر الموزون ، ولم تتكلف اختيار الكلام المنشور - لم يعبك بترك ذلك أحد ؛ فإن أنت نكلفتها ولم تكن حادقاً مطبوعاً ، ولا محكماً

(١) أراغ - بالعين المعجمة والهمزة أوله - أراد وطلب ، ومثله ارتاع ، وفى التونسية « راع » وهو خطأ .

لشأنك ، بصيراً بما عليك ولك ؛ عابك من أنت أقل منه عيباً ، ورأى من هو دونك أنه فوقك . فإن أنت ابتليت بأن تتكلف القول وتتعاطى الصنعة ، ولم تسمح لك الطباع ؛ فلا تعجل ، ولا تضجر ، ودعه بياض يومك أو سواد ليلك ، وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك ؛ فإنك لا تعدم الإجابة والمواتاة إن كانت هناك طبيعة ، أو جرّيت في الصناعة<sup>(١)</sup> على عِرْقٍ ، فإن تمنّع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل ، ومن غير طول إهمال ؛ فالمنزلة الثالثة أن تتحول عن هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك ، وأخفها عليك ؛ فإنك لم تستشه ولم تنازع<sup>(٢)</sup> إليه إلا وبينكا نسب ، والشئ لا يمن إلا إلى ما شاكاه ، وإن كانت المشاكلة قد تكون في صفات<sup>(٣)</sup> ، إلا أن النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة ، ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة ، كما تجود به مع الشهوة والحبّة .

أفضل ما  
استعان به  
شاعر

وقال بعض أهل الأدب : حسب الشاعر عوّناً على صناعته أن يجمع خاطره ، بعد أن يُخلى قلبه من فضول الأشغال ، ويدع الامتلاء من الطعام والشراب ، ثم يأخذ فيما يريد . وأفضل ما استعان به الشاعر فضل غنى أو فرط طمع<sup>(٤)</sup> . والفقر آفة الشعر ، وإنما ذلك لأن الشاعر إذا صنع القصيدة وهو في غنى وسعة نقحها وأنعم النظر فيها على مهل ، فإذا كان مع ذلك طمع قوّى انبعاثها من ينبوعها ، وجاءت الرغبة بها في نهايتها محكمة ، وإذا كان فقيراً مضطراً رضى بعفو كلامه ، وأخذ ما أمكنه من نتيجة خاطره ، ولم يتسع في بلوغ مراده ولا بلوغ مجهود نيته ؛ لما يحفزّه من الحاجة والضرورة ، فجاء دون عادته في سائر أشعاره

(١) في التونسية « من الصناعة » .

(٢) كذلك هو في عامة الأصول ، ولعله « ولم تنزع إليه » .

(٣) في التونسية « في طبقات » .

(٤) هكذا في التونسية ، وفي المصريتين « أو فضل طمع » .

وربما قصر عن هو دونه بكثير ، ومنهم من تحصى الحاجة خاطره ، وتبعث قريحته ؛ فيجود ، فإذا أوسع أَيْفَ ، وصعب عليه عمل الأبيات اليسيرة فضلا عن الكثيرة ، وللعادة في هذه الأشياء فعل عظيم ، وهي طبيعة خامسة كما قيل فيها .

### (٢٩) - باب في المقاطع والمطالع

اختلف أهل المعرفة في المقاطع والمطالع : فقال بعضهم : هي الفصول والوصول بعينها ، فالمقاطع : أواخر الفصول ، والمطالع : أوائل الوصول ، وهذا القول هو الظاهر من نغوى الكلام ، والفصل : آخر جزء من التقسيم الأول كما قدمت ، وهي العروض أيضاً ، والوصل : أول جزء يليه من التقسيم الثاني وقال غيرهم : المقاطع : منقطع الأبيات ، وهي القوافي ، والمطالع : أوائل الأبيات . وقال قدامة بن جعفر في بعض تأليفه وقد ذكر الترتيب : هو أن يتوَحَّى تصويرَ مقاطع الأجزاء في البيت على سَجْع ، أو شبيه به ، أو من جنس واحد في التصريف ، فأشار بهذه العبارة إلى أن المقاطع أواخر أجزاء البيت كما ترى . . وقد نجد من الشعر المرصع ما يكون سجعه في غير مقاطع الأجزاء ، نحو قول أم معدان الأعرابية في مرثية لها :

فعل الجليل وتفريج الجليل وإعطاء الجزيل الذي لم يُعطه أحد

فالسجع في هذا البيت اللام المطردة في ثلاثة أمكنة منه ، وآخر الأجزاء التي هي المقاطع على شريطة الياء التي قبل اللام ، اللهم إلا أن يجعل السجع هو الياء الملتزمة فينتد ، على أنا لا نعلم حرف السجع يكون إلا متأخراً في مثل هذا المكان ، ومثل هذا في أنواع الأعارض كثير .

ومن الناس من يزعم أن المطلع والمقطع أول القصيدة وآخرها ، وليس ذلك

بشيء ؛ لأننا نجد في كلام جهابذة النقاد إذا وصفوا قصيدة قالوا : حسنة المقاطع ، جيدة المطالع ، ولا يقولون المقطع والمطلع ، وفي هذا دليل واضح ؛ لأن القصيدة إنما لها أول واحد ، وآخر واحد ، ولا يكون لها أوائل وأواخر ، إلا على ما قدمت من ذكر الأبيات والأقسام وانتهائها .

وسألت الشيخ أبا عبد الله محمد بن إبراهيم بن السمين عن هذا ، فقال : المقاطع أواخر الأبيات ، والمطالع أوائلها ، قال : ومعنى قولهم « حسن المقاطع جيد المطالع » أن يكون مقطع البيت — وهو القافية — متمكناً غير قلق ولا متعلق بغيره ، فهذا هو حسنه ، والمطلع — وهو أول البيت — جودته أن يكون دالا على ما بعده كالتصدير وما شا كله .

وروي<sup>(١)</sup> الجاحظ أن شبيب بن شيبنة كان يقول : الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء ومدح صاحبه ، وأنا موكل بتفضيل جودة المقطع ومدح صاحبه ، وحظ جودة القافية — وإن كانت كلمة واحدة — أرفع من حظ سائر البيت أو القصيدة<sup>(٢)</sup> ، وحكاية الجاحظ هذه تدل على أن المقطع آخر البيت أو القصيدة ، وهو بالبيت أليق ؛ لذكر حظ القافية .

وحكى أيضاً عن صديق له أنه قال للمثنائي : ما البلاغة ؟ فقال : كل كلام أفهمك صاحبه حاجته من غير إعادة ولا حُبسة ولا استعانة فهو بليغ ، قال : قلت : قد عرفت الإعادة والحُبسة ، وما الاستعانة ؟ قال : أما تراه إذا تحدث قال عند مقاطع كلامه : يا هَنَاهُ اسمع مني ، واستمع إلي ، وافهم ، وألست تفهم ؟ هذا كله عيٌّ وفساد .

قال صاحب الكتاب : وهذا القول من العتّابي يدل على أن المقاطع أواخر الفصول . ومثله ما حكاه الجاحظ أيضاً عن المأمون أنه قال لسميد

(١) انظر البيان والتبيين ( ج ١ ص ١٠٦ ) .

(٢) هذه الكلمة غير موجودة في نسخة البيان والتبيين .

أبن سلم<sup>(١)</sup> والله إنك لتُصنئ لحديثي ، وثقف عند مقاطع كلامي .

وإذا جعل المقطع والمطلع مصدرين بمعنى القطع والطلع كانت الطاء واللام مفتوحتين ، وإذا أريد موضع القطع والطلع كسرت اللام خاصة ، وهو مسموع على غير قياس .

### (٣٠) - باب المبدأ ، والخروج ، والنهاية

قال لبعض الحذاق بصناعة الشعر : لقد طار اسمك واشتهر ، فقال : لأنني أقلت<sup>(٢)</sup> الحز ، وطبقت المَفْصِلَ ، وأصبت مقاتل الكلام ، وقرطست نكت الأغراض بحسن الفوائح والخواتم ولفظ الخروج إلى المدح والهجاء ، وقد صدق ، لأن حسن الافتتاح داعية الانشراح ، ومطية النجاح ، ولطافة الخروج إلى المديح ، سبب ارتياح الممدوح ، وخاتمة الكلام أبقى في السمع ، وألصق بالنفس ؛ لقرب العهد بها ؛ فإن حسنت حسن ، وإن قبحت قبح ، والأعمال بخواتيمها ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) في المصريتين « سعيد بن أسلم » وكتب بحواشيها « وفي نسخة سعيد ابن مسلم » ، والصواب ما أثبتناه ، وسعيد بن سلم : هو سعيد بن سلم بن قتيبة ابن سلم الباهلي ، وكان من أمراء الدولة العباسية ، وقدولى أرمينية والموصل والسند وطبرستان وسجستان والجزيرة . وذكره الجاحظ في البيان والتبيين كثيرا ، وروى الجاحظ هذه العبارة هكذا « والله إنك لتستغنى حديثي ، وثقف عند مقاطع كلامي ، وتخبر عنه بما كنت قد أغفلته » انظر ( ج ٢ ص ٣٠ ) وأبو سلم قدولى إمرة البصرة ليزيد بن عمر بن هبيرة في أيام مروان الحمار ، ثم وليها مرة أخرى في أيام أبي جعفر المنصور ، وتوفي سنة ١٤٩ هـ . وتوفي ابنه سعيد في سنة ٢٠٩ هـ .

(٢) كذا في المصريتين ، وفي التونسية « أجدت الحز » وأظنه « أصبت الحز »

منزلة هذه  
الأمور الثلاثة

وبعد ، فإن الشعر قُفِّلَ أوله مفتاحه ، وينبغي للشاعر أن يجوّد ابتداء شعره ؛ فإنه أول ما يقرعُ السمع ، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة ، وليجتنب « ألا » و « خليلي » و « قد » فلا يستكثر منها في ابتدائه ؛ فإنها من علامات الضعف والتكلان ، إلا للقدماء الذين جرّوا على عرف ، وعملوا على شاكلة ، وليجعله حلوا سهلا ، وفخا جزلا ، فقد اختار الناس كثيرا من الابتداءات أذكر منها ههنا ما أمكن ليستدل به ، نحو قول امرئ القيس :

\* قِفَانَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ \*<sup>(١)</sup>

وهو عندهم أفضل ابتداء صنعه شاعر ؛ لأنه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في مصراع واحد ، وقوله :

\* أَلَا عِمَّ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالَى \*<sup>(٢)</sup>

ومثله قول القطامي - واسمه عُمر بن شَيْمٍ التغلبي - :

\* إِنَّا مُحْيِيُوكَ فَاسْمَ لَمْ أَيُّهَا الطَّلَلُ \*<sup>(٣)</sup>

وكقول النابغة :

رَكِيلِي لِهَمٍّ يَا أُمَيَّةُ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءُ الْكَوَاكِبِ  
وقوله :

كُتِمَتْكَ لَيْلًا بِالْجُومَيْنِ سَاهِرًا وَهَمَّيْنِ هَمًّا مُسْتَكْنًا وَظَاهِرًا

- 
- (١) هذا مطلع معلقة ، وعجزة \* بسقط اللوى بين الدخول فحومل \*  
وقد نسب بعض أهل العلم مدح هذا للبدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .  
(٢) تمامه \* وهل يعمن من كان في العصر الحالى \*  
(٣) تمامه \* وإن بليت وإن طالت بك الطيل \*

هذا بعض ما اختير للقدماء .. وما اختير لهم في الرثاء قول أوس بن حجر:  
أيتها النفسُ أجملِي جَزَعًا إِنَّ الَّذِي نَحْذِرِينَ قَدْ وَقَعَا  
وما اختير للمحدثين قول بشار بن برد:

\* أَبِي طَلَلٌ بِالْجَزَعِ أَنْ يَتَكَلَّمَ<sup>(١)</sup> \*

وهو عندهم أفضل ابتداء صنعه محدث ، وقول أبي نواس :  
لمن دمنُ تزدادُ طيب نَسِيمٍ على طول ما أقوتُ وحسن رُسوم  
وقوله :

رسمُ الكرى بين الجفون مُحِيلُ عَفَى عَلَيْهِ بُكْيٌ عَلَيْكَ طَوِيلُ  
وقوله :

أَعْطَيْتَكَ رِيحَانَهَا الْمُقَارُ وَحَانٌ مِنْ لَيْلِنَا انْفَار  
وقوله :

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ الْيَوْمَ إِغْرَاهُ وَدَاوِي بِالَّتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاهِ  
وما أشبه ذلك مما لو تفصيته لطال وكثر ..

بين دعبل  
وديك الجن

وليرغب عن التعقيد في الابتداء ؛ فإنه أول العي ، ودليل الفهية ، فقد حكى  
أن دعبل بن علي الخزاعي ورد حمص فقصده دار عبد السلام ابن رغبان ديك  
الجن ، فكتّم نفسه عنه خوفاً من قوارصه ومُشارته ، فقال : ماله يستتر وهو أشعر  
الجن والإنس ؟ أليس هو الذي يقول ؟ :

(١) تمامه \* وماذا عليه لو أجاب متبياً \* وبعده :

وبالقاع آثار بقين ، وباللوى ملاعب لا يعرفن إلا توها  
وانظر الأغاني ( ج ٣ ص ١٤٨ ) طبعة دار الكتب المصرية .

بها غَيْرَ مَقْدُولٍ<sup>(١)</sup> فَدَاوِ خُبَارَهَا وَصِلْ بِعَشِيَّاتِ النَّبُوقِ ابْتِكَارَهَا  
وَنَلْ مِنْ عَظِيمِ الرَّدْفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ إِذَا ذُكِرَتْ خَافَ الْخَفِيفَانِ نَارَهَا  
فَظَهَرَ إِلَيْهِ ، وَاعْتَذَرَ لَهُ ، وَأَحْسَنَ نَزْلَهُ ، ثُمَّ تَنَاشَدَا فَأَشَدَّ دِيكَ الْجَنِّ ابْتِدَاءَ  
قَصِيدَةٍ :

كَأَنَّهَا مَا كَانَتْهُ خَلَلُ الْخَلَّةِ وَقَفَّ الْمَلُوكُ إِذْ بَنَمَا<sup>(٢)</sup>

فَقَالَ لَهُ دَعْبِلُ : أُمْسِكْ ، فَوَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُكَ تَتِمُّ الْبَيْتَ إِلَّا وَقَدْ غَشَى عَلَيْكَ ،  
أَوْ تَشَكَّيْتُ فَكَيْكَ ، وَلَكَأَنَّكَ فِي جَهَنَّمَ تَخَاطَبُ الزَّبَانِيَّةَ ، أَوْ قَدْ تَحَبَّطَكَ  
الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ الدِّيكَ أَنْ يَهْوَلَ عَلَيْهِ ، وَيَقْرَعَ سَمْعَهُ ، عَسَى أَنْ  
يَرْوَعَهُ وَيَرْدَعَهُ ، فَسَمِعَ مِنْهُ مَا كَرِهَ أَنْ يَسْمَعَهُ ، وَلَعَمْرِي مَا ظَلَمَهُ دَعْبِلُ ، وَلَقَدْ أَبْعَدَ  
مَسَافَةَ الْكَلَامِ ، وَخَالَفَ الْعَادَةَ ، وَهَذَا بَيْتٌ قَبِيحٌ مِنْ جِهَاتٍ : مِنْهَا إِضْمَارُ مَا لَمْ  
يَذْكَرْ قَبْلُ ، وَلَا جَرَتْ الْعَادَةُ بِمَثَلِهِ فَيَعْذَرُ ، وَلَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ فَيَشْتَهَرُ ، مَعَ إِحَالَةِ  
تَشْبِيهِهِ عَلَى تَشْبِيهِهِ ، وَثَقُلَ تَجَانُّسُهُ الَّذِي هُوَ حُشْوُ فَارِغٍ ، وَلَوْ طَرَحَ مِنَ الْبَيْتِ لَكَانَ  
أَحْزَمُ ، وَاسْتَدْعَى قَافِيَتَهُ لِأَلْشَاءِ إِلَّا لِفْسَادِ الْمَعْنَى وَاسْتِحَالَةِ التَّشْبِيهِ ، مَا الَّذِي يَرِيدُ  
بِـ « بِنَامُهَا » فِي تَشْبِيهِهِ الْوَقْفَ - وَهُوَ السَّوَارُ - وَلَمْ يَكُنْ وَقَفَّ الْمَلُوكُ خَاصَّةً ؟  
وَمَعْنَى الْبَيْتِ أَنَّ عَشِيقَتَهُ كَأَنَّهَا فِي جِيدِهَا وَعَيْنِهَا الْغُرَالُ الَّذِي كَأَنَّهُ بَيْنَ نَبَاتِ الْخَلَّةِ  
سَوَارُ الْجَارِيَةِ الْحَسَفَةِ الْمَشْيُ الْمَتَهَالِكَةِ فِيهِ - وَقِيلَ : الْمَلُوكُ الْبَغِيُّ الْفَاجِرَةُ - فَمَا  
هَذَا كُلُّهُ ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ تَحْتَهُ ؟ .

وَمِثْلُهُ قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَاتِ يَصِفُ نَاقَتَهُ أَوَّلَ قَصِيدَةٍ مَدَحَ بِهَا الْحَسَنَ  
أَبْنُ سَهْلٍ :

(١) فِي الْمَصْرِيَّتَيْنِ \* بِهَا غَيْرُ مَعْلُولٍ . . . \*

(٢) حُلُّ أَلْعَاضِ هَكَذَا : كَأَنَّهَا الَّذِي كَأَنَّهُ فِي حَالٍ وَجُودِهِ خَلَلُ الْخَلَّةِ وَقَدْ  
بَنَامَهُ وَقَفَّ الْمَلُوكُ ، وَهُوَ شَيْءٌ فِي غَايَةِ الثَّقَلِ .



كانها حـ — بين تناءى خطوُها أخنسُ مطوئِي الشَّوَى يرعى القلَلُ  
فالعيب الأول في مخالفة العادة لازم له ، ومع ذلك قوله « حين تناءى  
خطوها » مقصر بها ، وهو يقدر أن يقول « حين تدانى خطوها » وخالف جميع  
الشعراء بذلك ؛ لأنهم إما يصفون الناقة بالظلمِ والجار والثور بعد الكلال غلواً  
في الوصف ومبالغة ، هذا هو الجيد ، فإن لم يفعلوا لم يذكروا أنها بذلت جهدها ،  
واستفرغت جميع ما عندها ، بل يدعون التأويلَ محتملاً للزيادة ، ثم قال « يرعى  
القلل » والثور لا يرعى قلل الجبال ، وإنما ذلك الوَعْلُ ؛ فإنه لا يسهل ، والثور  
في السهول والدماث ومواضع الرمال ، إلا أن يريد قلل النبات [ أى ] أعاليه ،  
فربما أن تكون القلل نباتاً بعينه أو مكاناً فقد يمكن ، وما سمعت بهما .

ومن الشعراء من يقطع المصراع الثانى من الأول إذا ابتدأ شعراً ،  
وأكثر ما يقع ذلك في النسيب ، كأنه يدل بذلك على وَلَهٍ وشدة حال ، كقول  
أبي الطيب :

جَلَّلاً كما بِي فَلَيْكُ التَّبْرِيحُ أَغْذَاهُ ذَا الرِّشَا الْأَغْنُ الشَّيْحُ ؟

فهذا اعتذار من اعتذره ، ولو وقع مثل هذا في الرثاء والتفجع لكان موضعه  
أيضاً ، وكذلك عند المعطّئ من الأمور والنوازل الشديدة .

وليحترس مما تناله فيه بادرة ، أو يقع عليه مطعن ؛ فإن أبا تمام امتلح أبا دُافٍ  
بحضرة من كان يكرهه ، فافتتح ينشد قصيدته للشهورة :

\* عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أَرْبُعٍ وَمَلَأَ عَيْبِ<sup>(١)</sup> \*

وكانت فيه حبةٌ شديدةٌ فقال الرجل : « لعنة الله والملائكة والناس  
أجمعين » فدهش أبو تمام حتى تبين ذلك عليه ، على أنه غير مأخوذ بما قيل ،

ولا هو مما يَدْخُلُ عليه عيباً ، ولا يلزمه ذنباً على الحقيقة ، إلا أن الخوطة والتحفظ  
من خجلة البادرة أفضل وأهيب ، والتفريط أَرذل وأخذل .  
مأخذ على جرير ودخل جرير على عبد الملك بن مروان فابتدأ ينشده :  
\* أَتَصْحَوُ أَمْ فَوَإِذْكَ غَيْرُ صَاحٍ <sup>(١)</sup> \*

فقال له عبد الملك : « بل فَوَإِذْكَ يَا بِنَ الفاعلة » كأنه استنقل هذه المواجهة  
وإلا فقد علم أن الشاعر إنما خاطب نفسه .  
مأخذ على المتنبي ومن هذه الجهة بعينها عابوا على أبي الطيب قوله لكافور أول لقائه مبتدئاً ،  
وإن كان إنما يخاطب نفسه لا كافوراً :

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسبُ المنايا أن يَكُنَّ أمانياً  
فالعيب من باب التأدب للملوك ، وحسن السياسة لازم لأبي الطيب في هذا  
الابتداء ، لا سيما وهذا النوع - أعنى جودة الابتداء - من أجل محاسن أبي  
الطيب ، وأشرف ما أثر شعره إذا ذكر الشعر .  
مأخذ على ودخل ذو الرمة على عبد الملك بن مروان ، فاستنشدته شيئاً من شعره ، فأنشده  
ذى الرمة قصيدته :

ما بال عيفك منها الماء ينسكب <sup>(٢)</sup>  
وكانت بعين عبد الملك ريشة ، وهي تَدْمَعُ أبداً ، فتوهم أنه خاطبه أو عرض  
به ، فقال : وما سؤالك عن هذا يا جاهل !! فقته وأمر بإخراجه .  
مأخذ على وكذلك فعل ابنه هشام بأبي النجم وقد أنشده في أرجوزة :  
أبي النجم والشَّمْسُ قد كادت ولماً تَفْعَلْ كأنها في الأفقِ عَيْنُ الأَحْوَلِ  
وكان هشامُ أَحْوَلَ ، فأمر به فحجب عنه مدة ، وقد كان قبل ذلك من  
خاصته : يسمر عنده ، ويمارحه .

وإنما يؤتى الشاعر في هذه الأشياء ؛ إما من غفلة في الطبع وغلظ ، أو من  
سبب وقوع الشاعر فيه

(١) تتمته \* عشية هم صحبتك بالرواح \*

(٢) تتمته \* كأنه من كل مفرية سرب \*

استغرق في الصنعة وشغل هاجس بالعمل يذهب مع حسن القول ابن ذهب .  
والقطن الحاذق يختار للأوقات ما يشاء كلها ، وينظر في أحوال المخاطبين ؛ فيقتصد  
تجاربهم ، ويميل إلى شهواتهم وإن خالفت شهوته ، ويتفقد ما يكرهون سماعه  
فيجتنب ذكره . . ألا ترى أن بعض الملوك قال لأحد الشعراء وقد أورد بيتاً  
ذكر فيه « لو خلد أحد بكرم لكنت مخلداً بكرمك » وقال كلاماً نحو هذا ،  
فقال الملك : إن الموت حق ، وإن لنا منه نصيباً ، غير أن الملوك تسكره ذكر  
ما ينسكده عيشها ، وينغص لذتها ، فلا تأتينا بشيء مما نسكره ذكره . .

ومن المشهور أن النعمان بن المنذر رأى شجرة ظليلة ملتفة الأغصان ، في مرج  
حسن كثير الشقائق ، وكان مُعجَباً بها ، وإليه أُضيفت « شقائق النعمان » فنزل وأمر  
بالطعام والشراب فأحضر ، وجلس للذته ، فقال له عدى بن زيد العبادي وكان كاتبه :  
أتعرف أبيات اللعن ما تقول هذه الشجرة ؟ فقال : وما تقول ؟ قال : تقول :

رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا      يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِالماءِ الزُّلالِ  
عَطَفَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ فَتَوَّأُوا      وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالٌ بَعْدَ حَالٍ <sup>(١)</sup>  
مَنْ رَأَى فَلْيُؤْطِنْ نَفْسَهُ      إِنَّمَا الدُّنْيَا عَلَى قَرَبٍ زَوَالٍ <sup>(٢)</sup>

كأنه قصد موعظته ، فتنغص عليه ما كان فيه ، وأمر بالطعام والشراب فرفعا  
من بين يديه ، وارتحل من قوره ، ولم ينتفع بنفسه بقية يومه وليلته ، وكانا جميعاً <sup>(٣)</sup>  
نهرانيين ؛ فهذا شأن الملوك قديماً وحديثاً .

(١) يروى صدره \* عصف الدهر بهم فانقرضوا \* وفي التونسية

\* عكف الدهر عليهم فتوؤا \* وفي المصريتين \* ... فتوؤا \* بالمثلثة

(٢) في المصريتين « فرط زوال » وفي التونسية « قرن زوال » ولكن  
المعروف في الرواية « قرب زوال » كما أثبتناه ، ويرى أيضاً « قرن زوال » .

(٣) يقول بعض الناس : إن النعمان كان إلى ذلك العهد وثنياً ، وإنه تنصر على  
يدى عدى بن زيد بعد هذه الموعظة وأشباهاها ، ويحيكون مع هذا قصصاً وروايات  
كثيرة .

من دعاء الشعراء للملوك  
ومن هذه الجهة أكثر الناس من الدعاء لهم بطول العمر ، حتى بلغوا بهم  
مالا يمكن ، فقالوا : عش أبداً ، وأسلم مدى الدهر ، وابق بقاء الزمان ، ودم مدة  
الأيام .

واعترض النقاد في ذلك واختلفوا بحسب ما يتحمل كل واحد منهم في قول  
أبي نواس للأمين :

يا أمين الله عِشْ أبدا دُمْ عَلَى الْأَيَّامِ وَالزَّمَنِ  
أَنْتَ تَبْقَى وَالْفَنَاءُ لَنَا فَإِذَا أَفْنَيْنَا فَكُنْ

وفي كثير من مثله . وإذا خرج الكلام عن حد الإمكان فإنما يراد به بلوغ  
الغاية لا غير ذلك .

من إساءات أبي نواس  
ومن قبيح ما وقع لأبي نواس الذي أساء فيه أدبه ، وخالف فيه مذهبه ؛ أن  
بعض بني برمك بنى داراً استفرغ فيها مجهوده ، وأنتقل إليها ، فصنع أبو نواس  
في ذلك الحين أو قريباً منه قصيدة يمدح بها يقول أولها :

أَرْبُعَ الْهَلِيِّ ، إِنْ الْخُشُوعَ لِبَادِ عَلَيَّكَ ، وَإِنِّي لَمْ أَخُنْكَ وَدَادِي  
وختمه أو كاد بقوله :

سلامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا قَدَّمْتُ بَنِي بَرْمَكٍ مِنْ رَأْحَيْنِ وَغَادِي

فتطير منها البرمكي ، واشمأز حتى كالج وظهرت الوجهة عليه ، ثم قال :  
ميت إلينا أنفسنا يا أبا نواس ، فما كانت إلا مدبدة حتى أوقع بهم الرشيد  
وصحت الطيرة . . وزعم قوم أن أبا نواس قصد التشاؤم لهم لشيء كان في نفسه  
من جعفر ، ولا أظن ذلك صحيحاً ؛ لأن القصيدة من جيد شعره الذي  
لا أشك أنه يحتفل له ، اللهم إلا أن يصنع ذلك حيلة منه ، وسترًا على ما قصد  
إليه بذلك .

وللشعراء مذاهب في افتتاح القصائد بالنسيب ؛ لما فيه من عطف القلوب ، مذهب الشعراء واستدعاء القبول بحسب مافى الطباع من حب الغزل ، والميل إلى اللهو والنساء ، في الافتتاح وإن ذلك استدراج إلى مابعده .

ومقاصد الناس تختلف : فطريق أهل البادية ذكر الرحيل والانتقال ، وتوقع البين ، والإشفاق منه ، وصفة الطلول والحول ، والشوق بحنين الإبل ولمع البروق ومر النسيم ، وذكر المياه التي يلتقون عليها والرياض التي يحملون بها من خزامى ، وأقحوان ، وبهكر ، وحنوة ، وظيان ، وعرار ، وما أشبهها من زهر البرية الذي تعرفه العرب . وتنبته الصحارى والجبال وما يلوح لهم من النيران في الناحية التي بها أحبابهم ، ولا يعدون النساء إذا تغزلوا ونسبوا ، فإن وقع مثل قول طرفة :  
وفي الحى أخوى ينقص المرء شادين      مظاهرٍ ستمطى لؤلؤ وبرجد  
فإنما هو كناية بالغزل عن المرأة .

وأهل الحاضرة يأتى أكثر تغزلهم في ذكر الصدود ، والمجران ، والواشين ، والرقباء ، وممنعة الحرس والأبواب ، وفي ذكر الشراب والندامى ، والورد والنسرين والنيلوفر ، وما شاكل ذلك من النواوير البلدية ، والرياحين البستانية ، وفي تشبيه التفاح والتحية به ، ودس الكتب ، وما شاكل ذلك مما هم به منفردون . وقد ذكروا العلمان تصريحا ، ويذكرون النساء أيضا : منهم من سلك في ذلك مسلك الشعراء اقتداء بهم ، وأتباعا لما ألفته طباع الناس معهم ، كما يذكر أحدهم الإبل ، ويصف المفاوز على العادة المعتادة ، وأعله لم يركب جملا قط ، ولا رأى ما وراء الجبانة ، ومنهم من يكون قوله في النساء اعتقاداً منه ، وإن ذكر حجر ياعلى عادة الحدّثين ، وسلو كما لطر يفتهم ؛ لئلا يخرج عن سلك أصحابه ، ويدخل في غير سلكه وبابه ، أو كناية بالشخص عن الشخص لرقته ، أو حب رشاقته . وهذا مما لا يطلب عليه شاهد لكثرتة ، إلا أنى أتلمح في هذا المكان بقول أبى نواس :

على عينه وأذن من مذكرة موصولة بهوى اللوطى والنزل  
كلاهما نحوها سام بهمته على اختلافهما فى موضع العمل  
يذكر الشاعر العادة أن يذكر الشاعر ما قطع من المفاز ، وما أنضى من الركائب ،  
وما تجشم من هول الليل وسهره ، وطول النهار وهجيره ، وقلة الماء وغوره ، ثم  
يخرج إلى مدح المقصود ؛ ليوجب عليه حق القصد ، وذم القاصد ، ويستحق  
منه المكافأة .

وكانوا قديماً أصحاب خيام : ينتقلون من موضع إلى آخر ؛ فلذلك أول  
ماتبداً أشعارهم بذكر الديار ، فتلک ديارهم ، وليست كأبنية الحاضرة ؛ فلامعنى  
لذكر الحضرى الديار إلا مجازاً ؛ لأن الحاضرة لا تنسفها الرياح ، ولا يمحوها  
المطر ، إلا أن يكون ذلك بعد زمان طويل لا يمكن أن يعيشه أحد من أهل  
الجيل ، وأحسن ما استعمله المولودون المحدثون ما ناسب قول على بن العباس  
الرومى :

سقى الله قصراً بالوصافة شاقني بأعلاء قصرى الدلال رصافى<sup>(١)</sup>  
أشار يقينان من الدر قمعت يواقيت محرراً فاستباح عقافى  
وكانت دوابهم الإبل لكثرتها ، وعدم غيرها ، ولصبرها على التعب وقلة  
الماء والعلف ، فلهذا أيضاً خصوصها بالذكر دون غيرها ، ولم يكن أحدهم يرضى  
بالكذب فيصف ما ليس عنده كما يفعل المحدثون ؛ ألا ترى أن أمراً القيس لما  
كان ملكاً كيف ذكر خيل البريد والفرانق - يعنى البريد - على أنه لم  
يستغن عن ذكر الإبل للعادة التى جرت على ألسنتهم ، فقال يصف رحيله إلى  
قيصر ملك الروم :

(١) هكذا فى التوفسية ، وفى المصريتين « قصرى الديار » .

إذا قلت رَوْحَنَا أَرَنَّ فُرَاتِنُ عَلَى جَلْعِدٍ وَاهِي الْأَبْجَلِ أَبْتَرَا<sup>(١)</sup>  
 عَلَى كُلِّ مَقْصُوصِ الذُّنَابِيِّ مَعَاوِدٍ بَرِيدُ السَّرَى بِاللَّيْلِ مِنْ خَيْلِ بَرِّبَرَا<sup>(٢)</sup>  
 إِذَا زُعْتُهُ مِنْ جَانِبَيْهِ كَلَيْهِمَا مَشَى الْهَيْدَبِيُّ فِي دَفْنِهِ ثُمَّ قَرَفَرَا<sup>(٣)</sup>  
 أَقْبَّ كَسِرْحَانَ الْغُضَا مُتَمَطِّرٍ تَرَى الْمَاءَ مِنْ أَعْطَافِهِ قَدْ تَحَدَّرَا<sup>(٤)</sup>

وكانت الخيل البربرية تهلب أذناها كالبنغال ؛ لتدخل مداخلها في خدمة  
 البريد ، ولتعلم أنها للملك . وقال الفرزدق :

رَاحَتْ بِمَسْلَمَةِ الْبِغَالِ عَشِيَّةً فَارَعَى فَرَازَةَ لَاهَنَّاكَ الْمَرْتَعُ

لما كان الذي راحته به البغال أميراً يذكر رحيله وقد غزى  
 وقال ابن ميادة في ابن هيرة لما كان أميراً أيضاً :

(١) روحنا : أرحنا من تعب السير . أرنا : أعلن بالصياح . فراتق — بوزان  
 علابط — الأسد وهو معرب ، قاله الوزير أبو بكر . جلعد : غليظ قوى . الأجل :  
 جمع أبجل ، وهو عرق الأكل . أبت : محذوف الذنب ، وكذلك خيل البريد .  
 (٢) الذنابي : الذنب ، وخيل البريد من علاماتها حذف أذناها كما قلنا ، وبريد  
 السرى : معمول لمعاود فهي بالنصب ، وذكر أبو بكر فيه رواية بالجر ، على أنه  
 نعت لما قبله . وخص خيل بربر لأنها عندهم أصلب الخيل ، قال أبو بكر : وبربر :  
 قبيلة .

(٣) زعته : حذبه باللجام ، وفي المصريت « رعته » بالراء مهملة ، وهو  
 تحريف ، والهيدي — بالبدال المهملة وبالذال المعجمة — من الإهذاب وهو سرعة السير  
 ورواه ابن دريد « الهريدي » وهو مشى في تبخر ، والدف : الجنب ، وورفر :  
 نقص رأسه ، ومنهم من يرويه « قرفر » بقافين .

(٤) أقب : ضامر . السرحان : الذنب ، والغضا : شجر ، وذنا به أخصب الذئب  
 متمطر : سباق ، الماء : أراد به العرق ، وكفى بذلك عن أنه يجهد .

جاءت به مُعْتَجِرًا يُزْدِيهِ سَفَوَاءُ تُرْدِي بِنَسِيجٍ وَحْدَهُ

تَقْدَحُ قَيْسُ كُلِّهَا بِزُنْدِهِ

إلا أن مهم من خالف هذا كله فوصف أنه قصد المدوح راجلا : إما  
إخباراً بالصدق ، وإما تعاطي صعلكة ورجلة .

قال أبو نواس للفضل بن يحيى بن خالد :

إليك أبا العباس من بين من مشى عليها امتطينا الخُضْرِيَّ الْمَسْنَا

قلائص لم تعرف حنيناً على طلاً<sup>(١)</sup> ولم تدر ما قرعُ الفَنِيْقِ ولا الهِنَا

فذكر أن قلائصهم التي امتطوها إليه نعالهم ، فأخرجه كما ترى مخرج الغز،  
وأتبعه أبو الطيب فقال :

لا ناقتي تحمل الرديف ، ولا بالسوطِ يوم الرّهانِ أجهدّها

شراً كهّا كورّها ، ومثفّرّها زِمَامُهَا ، والشُّسُوعِ مِقْوَدُهَا

وقال كَرَّةً أخرى في مثل ذلك يتشكى :

وَحَبِيتُ مِنْ خُوصِ الرّكَابِ بِأَسْوَدٍ مِنْ دَارِشٍ فَغَدَوْتُ أُمِشِي رَاكِبًا<sup>(٢)</sup>

وقال أيضاً يتصملك ويتفقر :

وَمَهْمَ جُبْتُهُ عَلَى قَدَمِي تَعَجِزُ عَنْهُ الْعَرَامِسُ الدُّلُّ

(١) في الديوان \* لم تسقط جنيناً من الوجي \* والمحفوظ \* لم تعرف  
حنيناً إلى طلاً \*

(٢) البيت من قصيدة له يمدح فيها على بن منصور الحجاب (ج ١ ص ٨٨)  
والخوص : جمع خوصاء ، وهي الناقة الغائرة العينين من الإعياء . والركاب : الإبل  
والدارش : ضرب من السخثيان ، وهو جلد أسود ، يقول : أعطيت بدلا من النياق  
الخوص جلدا أسود - وهو الخف - فأنا راكب ماش .



بِصَارِمِي مُرْتَدٍ ، بِمَخْبَرَتِي مُجْتَزِيٍّ ، بِالظَّلَامِ مُشْتَمِلٍ <sup>(١)</sup>  
ولو شاء قائل أن يقول : إن أبا نواس لم يرد ما ذهب إليه أبو الطيب ،  
لكن أراد أنه معه في بلدة واحدة قصده في حاجته محذياً نعليه ؛ لكان ذلك  
أظهر وجهاً ، ما لم يكن الحضرمي من الجلود مخصوصاً به المسافر دون الحاضر ،  
وظاهر الكلام أن مقصد الشاعرين واحد .

وقد ذكر أبو الطيب الخليل أيضاً في كثير من شعره ، وكان يؤثرها على  
الإبل ؛ لما يقوم في نفسه من التهيب بذكر الخليل ، وتعاطى الشجاعة ، فقال <sup>(٢)</sup>  
المتنبي يذكر  
الخليل بدله  
الإبل

وَيَوْمَ كَلِيلِ الْعَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ      أَرَأَيْتَ فِيهِ الشَّمْسَ أَيَّانَ تَقَرُّبُ  
وَعَنِّي إِلَى أُذُنِي أَغْرَ كَأَنَّهُ      مِنَ اللَّيْلِ بَاقٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوَكْبُ  
لَهُ فَضْلَةٌ عَنْ جِسْمِهِ فِي إِهَابِهِ      تَجِيءُ عَلَى صَدْرِي رَحِيبٌ وَتَذْهَبُ  
شَقَقْتُ بِهِ الظَّلْمَاءَ أُذُنِي عِنَانَهُ      فَيَطْفِئُ ، وَأَرْخِيهِ مِرَاراً فَيَلْعَبُ  
وَأُصْرِعُ أَيْ الْوَحْشِ قَفَيْتُهُ بِهِ      وَأَنْزِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرْكَبُ  
وَمَا الْخَلِيلُ إِلَّا كَالصَدِيقِ قَلِيلُهُ      وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنٍ مِنْ لَا يَجْرُبُ  
إِذَا لَمْ تَشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شَيْئَاتِهَا      وَأَعْضَائِهَا فَالْحُسْنُ عَنْكَ مُغَيَّبُ

(١) البيتان من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار (ج ٢ ص ١٥٠) واللمحه :  
الفلاة . جفته : قطعه وسرت فيه . الحرامس : النوق الصلاب الشديدة . القدال :  
الذللة بالعمل « بصارمي مرتد » متناً مؤخر وخبر مقدم « بمخبرتي مجتزي » :  
مثله أيضاً ، والمخبرة - بالحاء معجمة - المعرفة . يقول : قد قطعت هذا للكان  
القفر وأنا متقلد سيفي مكتف بعلمي وخبرتي فلم أحتج إلى دليل .

(٢) انظر الديوان (ج ١ ص ١٢٤) .

وليس في زماننا هذا ولا من شرط بلدنا خاصة شيء من هذا كله ، إلا ما [ لا ] يعد قلة ؛ فالواجب اجتنابه ، إلا ما كان حقيقة ، لا سيما إذا كان المادح من سكان بلد المدوح : يراه في أكثر أوقاته ، فما أتبع ذكر الناقة والقلاة حينئذ ! .

وقد قلت أنا- وإن لم أدخل في جملة من تقدم ، ولا بلغت خطته- من قصيدة اعتذرت بها إلى مولانا خلد الله أيامه من طول غيبة غبتها عن الديوان :

من شعر  
مؤلف  
الكتاب

إليك يُخَاضُ البحرُ فَعَمَّا كَأَنَّهُ	بأمواجه جيشٌ إلى البر زاحفٌ
ويبعث خلف الثُّجَجِ كل منيفة	تربك يداها كيف تطوى التنايفُ
من الموجِقاتِ اللَّاءِ يَقْذِفْنَ بالحصى	وَيُرْمَى بهنَّ المِهْمَةُ للمتقاذِفُ
يطير اللغَامُ الجُفْعُ عنها كأنه	من القطن أو ثلج الشتاء نَدَائِفُ <sup>(١)</sup>
وقد نازعتُ فضل الزمام ابن نكبة	هُوَ السَّيْفُ لا ما أخلصته المَشَارِفُ
فكيف تراني لو أُعِنْتُ على النفي	يَجِدُّ ، وإني للنفي لَمَشَارِفُ
وقد قَرَّبَ الله المسافةَ بيننا	وأنجزني الوعدَ الزمانُ المَسَاوِفُ
ولولا شقائي لم أَغِبْ عنك ساعةً	ولا رَامَ صَرْفِي عن جنابك صَارِفُ
ولكنني أخطأتُ رُشْدِي فلم أَصِبْ	وقد يخطئ الرشدُ الفتي وهو عَارِفُ

فذكرت قرب المسافة بيني وبينه حَوَاطَةً وإخباراً أن خوض البحر وجَوْبَ القلاة من صفة غيرى من القصاص والغرباء والمنتجعين من الأمصار .

(١) اللغام : الزبد الذي يخرج من الجمل من فيه ، وقد لُغِمَ من باب منع . والندائِفُ : جمع نديفة ، وهى القطعة من القطن تضرب بالندف ، وهى الحشبة التى يضرب بها التورليق القطن .

ومن قصيدة صنعتها بديهة بالمهدية ساعة وصولي إليه - أدام الله عزه - عن  
اقتراح بعض شعراء وقتنا هذا :

وذِيَالٍ لَهُ رِجْلٌ طَحُونُ      لما نزلت به ، وَيَدٌ رَجُوجُ  
يَطِيرُ بِأَرْبَعٍ لَا عَيْبَ فِيهَا      لظهران الصفا منها عَجِيجُ  
خَرَجَتْ بِهِ عَنِ الْأَوْهَامِ سَبْقًا      وَقَلَّ لَهُ عَنِ الْوَهْمِ الْخُرُوجُ  
إِلَى الْمَلِكِ الْمَعَزِ أَبِي تَمِيمٍ      أُمْرٌ بَيْنَ سَوَاهُ فَلَا أَعِيجُ

ومن أخرى في معنى التفقر والرحلة :

وَمَا بَعِيدِ الْغَوْرِ كَالنَّجْمِ فِي الدُّجَى      وَرَدْتُ طَرُوقًا أَوْ وَرَدْتُ مُهَجَّرًا<sup>(١)</sup>  
عَلَى قَدَمِ أختِ الْجَنَاحِ وَأَخْصِ      يَخَالُ حَمَى الْمَعَزَاءِ جَمْرًا مَسْرًا  
فَرِيدًا مِنْ الْأَصْحَابِ صِلَتًا مِنَ الْكَسَا      كَمَا أَسْلَمَ النَّمْدُ الْحُسَامَ الْمَذْكُورَا

ومن الشعراء مَنْ لَا يَجْعَلُ لِكَلَامِهِ بَسْطًا مِنَ النِّسَبِ ، بَلْ يَهْجُمُ عَلَى  
مَنْ لَا يَجْعَلُ      مَا يَرِيدُهُ مَكَاخِفَةً ، وَيَتَنَاوَلُهُ مَصَاخِفَةً ، وَذَلِكَ عِنْدَهُمُ هُوَ : الْوُثْبُ ، وَالْبَتْرُ ، وَالْقَطْعُ ،  
لشعره بسطًا      وَالْكَسْعُ ، وَالِاقْتِنَاضُ ، كُلُّ ذَلِكَ يَقَالُ . . وَالْقَصِيدَةُ إِذَا كَانَتْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ  
من النسب      بَتْرَاءً كَالْخَطْبَةِ الْبَتْرَاءِ وَالْقَطْعَاءِ ، وَهِيَ الَّتِي لَا يَبْتَدَأُ فِيهَا بِحَمْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَادَتِهِمْ  
فِي الْخَطْبِ . قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

إِذَا كَانَ مَذْحُ فَالنَّسَبُ الْمُقَدَّمُ      أَكُلْتُ فَصِيحٍ قَالَ شِعْرًا مُنْتَبِهُ ؟  
فَأَنْكَرَ النَّسَبُ ، وَزَعَمُوا أَنَّ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَ هَذَا الْبَابَ وَفَتَحَ هَذَا الْعَنَى  
أَبُو نَوَاسٍ بِقَوْلِهِ :

لَا تَبْكُ لَيْلَى ، وَلَا تَطْرَبْ إِلَى هِنْدٍ      وَاشْرَبْ عَلَى الْوَرْدِ مِنْ شَرَاءِ كَالْوَرْدِ

(١) الطرق - بفتح فسكون - ومثله الطروق - بضم الطاء والراء جميعاً -  
الإتيان بالليل ، والطروق - بفتح الطاء - الوصف منه . ومهجراً : اسم فاعل من  
هجر ، إِذَا آتَى وَقْتُ الْهَاجِرَةِ .

طريق أبي  
نواس في  
الابتداء

وقوله وهو عند الخاتمي فيما روى عن بعض أشياخه أفضل ابتداء صنعه شاعر  
من القدماء والمحدثين :

صِفَةُ الطَّلُولِ بِلاغةُ القُدُمِ فَأَجْعَلْ صِفَاتِكَ لَابْنَةَ الْكَرِيمِ  
ولما سجنه الخليفة على اشتهاه بالبحر ، وأخذ عليه أن لا يذكرها في شعره قال :  
أَعْرِضْ بَرَكِ الْأَطْلَالَ وَالْمَنْزِلَ الْقَفْرَا فَقَدْ طَالَمَا أُرَى بِهِ نَعْمَتِكَ الْخُمْرَا  
دَعَانِي إِلَى نَعْتِ الطَّلُولِ مَسْلُطُ تَضِيقُ ذِرَاعِي أَنْ أُرَدَّ لَهُ أُمُرَا  
فَسَمِعَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَطَاعَةً وَإِنْ كُنْتُ قَدْ جَسَمْتَنِي مَرْكَبَا وَغُرَا  
فجاءه بأن وصفه الأطلال والقفر إنما هو من خشية الإمام ، وإلا فهو عنده  
فراغ وجهل ، وكان شعوى اللسان ، فما أدري ما وراء ذلك ، وإن في اللسان  
وكثرة ولوعه بالشئ لشاهداً عدلاً لا ترد شهادته . وقد قال أبو تمام :

\* لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ خَدَمِ الْفُؤَادِ \* (١)

ومن عيوب هذا الباب أن يكون النسب كثيراً والمدح قليلاً ، كما يصنع  
بعض أهل رماننا هذا ، وسنبين وجه الحكم والصواب من هذا في باب المدح إن  
شاء الله تعالى .

من الشعراء  
من لا يجيد  
الابتداء

ومن الشعراء من لا يجيد الابتداء ، ولا يتكلف له ، ثم يجيد باقي القصيدة  
وأكثرهم فعلاً لذلك البحتري : كان يصنع الابتداء سهلاً ، ويأتى به عفواً ،  
وكلماتى قوى كلامه ، وله من جيد الابتداءات كثير ؛ لكثرة شعره ،  
والغالب عليه ما قدمت ، غير أن القاضي الجرجاني فضله بمجودة الاستهلال -  
وهو الابتداء - على أى تمام وأبى الطيب ، وفضلهما عليه بالخروج والخاتمة ،  
ولست أرى لذلك وجهاً ، إلا كثرة شعره كما قدمت ؛ فإنه لو حاسبهما ابتداء

(١) هذا عجز بيت من قصيدة له يمدح فيها أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد ،  
وصدره \* وبما كانت الحكماء قالت \* انظر الديوان ( ص ٨٠ ) .

جيداً بابتداء مالأرْبِي عليهما وقصرا عن عذره . . فأما الخاتمي فإنه يغض من أبي عبادة غصاً شديداً ، ويمجور عليه جوراً بيناً لا يقبل منه ولا يسلم إليه .

من ابتداءات  
أبي تمام الجيدة

وكان أبو تمام فَنَحْمُ الابتداء ، له روعة ، وعليه أبهة ، كقوله :  
الحَقُّ أَبْلَجُ ، وَالسَّيْفُ عَوَارٍ فَحَذَارٍ مِنْ أَسَدِ الْعَرَبِ حَذَارٍ

وقوله :

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ

وقوله :

أَصْنَعِي إِلَى الْبَيْنِ مُعْتَرَاً فَلَا جَرماً<sup>(١)</sup>

وقوله :

يَا رَبِّعُ لَوْ رَبَعُوا عَلَى ابْنِ هُمُومٍ<sup>(٢)</sup>

والغالب عليه بحت اللفظ . وَجَهَارَةُ الابتداء . .

وكان أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدى يفضل ابتداءات البحترى جداً ، وهو الذي وضع كتاب الموازنة والترجيح بين الطائيين ، ونوه فيه بالبحترى أعظم تنويه . . ومن جيد ابتداءاته قوله :

من جيد  
ابتداءات  
البحترى

عَارَضْنَا أَصْلاً فَقُلْنَا الرَّبُّ حَتَّى أَضَاءَ الْأَفْحُوَانُ الْأَشْنَبُ

وقوله :

مَا عَلَى الرَّكْبِ مِنْ وَقُوفِ الرَّكَّابِ فِي مَغَانِي الصَّبَا وَرَمَمِ التَّصَايِ ؟

(١) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصمى ، وعجزه \*

إن النوى أسأرت في عقله لما \* انظر الديوان ( ص ٣٠١ ) .

(٢) وهذا صدر مطلع قصيدة له يمدح فيها إسحاق السابق ، وعجزه \* مستسلم

لجوى الفراق سقيم \* انظر الديوان ( ص ٣٠٥ ) .

وقوله :

ضَمَانٌ عَلَى عَيْنَيْكَ أَنِّي لَا أَسْلُو (١)

وقوله :

تَرَى عِنْدَهُ عِلْمٌ بِشَجْوَى وَأُدْمِي وَأَنْتِ مَتَى أَسْمَعُ بِذِكْرَاهُ أَجْزَعُ ؟  
وأما الخروج فهو عندهم شبيه بالاستطراد ، وليس به ؛ لأن الخروج إنما هو  
أن تخرج من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف تحيل ، ثم تهادى فيما خرجت إليه  
كقول حبيب في المدح :

الخروج  
أمثله

صُبَّ الْفِرَاقُ عَلَيْنَا ، صُبَّ مِنْ كَتَبَ عَلَيْهِ إِسْحَاقُ يَوْمَ الرُّوعِ مُنْتَقِمًا  
سَيْفُ الْإِمَامِ الَّذِي سَمَّاهُ هَيْبَتُهُ لَمَّا تَخَرَّمْ أَهْلُ الْأَرْضِ مُخْتَرِمًا (٢)  
ثم تهادى في المدح إلى آخر القصيدة .

وكقول أبي عُبَادَةَ الْبَحْتَرِي :

سَقَيْتَ رُبَاكَ بِكُلِّ نَوْءٍ حَاجِلٍ مِنْ وَبَلِهِ حَقًّا لَهَا مَقْلُومًا  
وَلَوْ أَنَّنِي أُعْطِيتُ فِيهِنَّ الْمُنَى لَسَقَيْتُهُنَّ بِكَفِّ إِبْرَاهِيمَا (٣)

وأكثر الناس استعمالاً لهذا الفن أبو الطيب ؛ فإنه ما يكاد يفلت له ، ولا  
يشذ عنه ، حتى ربما قبح سقوطه فيه ، نحو قوله :

هَافًا نَظَرِي أَوْ فُطْنِي بِي تَرَى حُرْقًا مَنْ لَمْ يَذُقْ طَرَفًا مِنْهَا فَقَدْ وَأَلَا

(١) هذا صدر مطلع قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان ، وعجزه :

\* وَأَنْ فَوَادِي مِنْ جَوَى بَكَ لَا يَخْلُو \* وَانْظُرْ دِيْوَانَهُ (ج ١ ص ٣٧ طبع الجوائب) .

(٢) في الديوان (ص ٣٠٢) \* صمته همته . . . . . تخرم أهل الشرك \*

(٣) البيتان من قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن الحسن بن سهل ، انظر الديوان

(ج ١ ص ١٨٦) .

عَلَّ الْأَمِيرَ يَرَى ذُلِّي فَيَشْفَعُ إِلَيَّ إِلَى آلِي تَرَكَتْنِي فِي الْهَوَى مَثَلًا<sup>(١)</sup>  
 فقد تمنى أن يكون له الأمير قواداً ، وليس هذا من قول أبي نواس :  
 سَأَشْكُو إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ هَوَانًا ؛ لَعَلَّ الْفَضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا  
 فِي شَيْءٍ ؛ لِأَن أَبَا نَوَاسٍ قَالَ « يَجْمَعُ بَيْنَا » ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ ذِكْرَ الْمَالِ وَالسَّخَاءِ  
 بِهِ ، فَقَالَ :

أَمِيرٌ رَأَيْتُ الْعَالَ فِي نَعْمَائِهِ مَسِينًا ذَلِيلَ النَّفْسِ بِالضَّيْمِ مُوقِنًا  
 فكأنه أشار إلى أن جمعه بينهما بالمال خاصة : يُفْضِلُ عَلَيْهِ ، وَيُجْزِلُ عَطِيئَتِهِ ،  
 فيزوجها أو يتسرّى بها ، وأبو الطيب قال : « يشفع » والشفاعة رغبة وسؤال ،  
 ثم أتبع بيته بما هو مقوٍ لمعناه في القيادة فقال :  
 أَيقَنْتُ أَنَّ سَعِيدًا طَالِبٌ بِدَمِي لَمَّا بَصُرْتُ بِهِ بِالرُّمْحِ مُعْتَقِلًا<sup>(٢)</sup>  
 فدل على أنه يشفع ، فإن أجيب إلى مساعدة أبي الطيب فذاك ، وإلا رجع  
 إلى القهر . .

والذي يشاكل قول أبي نواس قوله :

أَحِبُّ آلِي فِي الْبَدْرِ وَنَحْمَا مَشَابَهُ وَأَشْكُو إِلَى مَنْ لَا يُصَابُهُ شَكْلُ<sup>(٣)</sup>  
 فلفظة « الشكوى » تحمل عنه كما حملت عن أبي نواس  
 وبما سقط فيه - وإن كان مليح الظاهر - قوله يخاطب امرأة نسب بها :

(١) ثلاثة الأبيات - هذان والذي سيذكره بعد عدة أسطر - من كلة له يمدح  
 فيها سعيد بن عبد الله بن الحسن السكلاي المنبجي ، وهي مما قاله في صباه ( انظر  
 الديوان : ج ٢ ص ١٢٣ ) وها : حرف دال على التنبيه . ووأل : نبأ  
 (٢) البيت من قصيدة له يمدح فيها شجاع بن محمد الطائي المنبجي ( الديوان : ج  
 ٢ ص ١٣٣ ) .

لَوْ أَنَّ فَنَّا خُسْرَ صَبَحَكُمْ وَبَرَزَتْ وَخَذَكِ عَاقَهُ الْغَزْلُ<sup>(١)</sup>  
وَتَفَرَّقَتْ عَنْهُ كَتَائِبُهُ إِنَّ الْمِلَاحَ خَوَادِعُ قُتِلُ<sup>(٢)</sup>  
مَا كُنْتُ فَاعِلَةً وَضَيْفُكُمْ مَلِكُ الْمُلُوكِ وَشَأْنُكَ الْبَخْلُ  
أَتَمَنِّعِينَ قِرَى فَتَفْتَضِحِي أَمْ تَبْذُلِينَ لَهُ الَّذِي يَسَلُ  
بَلَّ لَا يَحُلُّ بِحَيْثُ حَلَّ بِهِ بَخْلٌ وَلَا جَوْرٌ وَلَا وَجَلٌ

فحتم على فنا خسرو بأن الغزل يعوقه ، وأن كتائبه تتفرق عنه ، وجمعه  
يسأل هذه المرأة ، وتشكك هل تمنعه أم تبذل له ، ثم أوجب أن البخل لا يحل  
بحيث حل ؛ فأوقعه تحت الزنى أو قارب ذلك ، ولعل هذا كان اقتراحا من  
فنا خسرو ؛ وإلا فما يجب أن يقابل من هو ملك الملوك بمثل هذا ، وما أسرع  
ما انحط أبو الطيب : بينا هو يسأل الأمير أن يشفع له إلى عشيقته صار يشفع  
للأمير عندها . .

والاستطراد : أن يبنى الشاعر كلاماً كثيراً على لفظة من غير ذلك النوع ،  
يقطع عليها الكلام ، وهي مراده دون جميع ما تقدم ، ويعود إلى كلامه الأول ،  
وكأما عثر بتلك اللفظة عن غير قصد ولا اعتقاد نية ، وجُلُّ ما يأتي تشبيهاً ،  
وسيرد عليك في باب مبيّن إن شاء الله تعالى ..

الاستطراد

ومن الناس من يسمى الخروج تخلصاً وتوسلاً ، وينشدون أبياتاً منها :  
إِذَا مَا اتَّقَى اللَّهَ الْفَقَى وَأَطَاعَهُ فَلَيْسَ بِهِ بَأْسٌ وَلَوْ كَانَ مِنْ جَرَمٍ

التخلص

(١) هذه الأبيات من قصيدة له مدح بها عضد الدولة ، وذكر وقعة وهذان  
بالطرم ، وكان ركن الدولة أبو عضد الدولة قد أنفذ إليه جيشاً من الرى فهزمه  
وأخذ بلده ( انظر الديوان : ج ٢ ص ٢١٣ وما بعدها )

(٢) في الديوان \* وتفرقت عنكم كتائبه \*



ولو أن جرماً أطمعوا شحم جفيرة لبكأوا بيطاناً يضطرون من الشحم

وأولى الشعر بأن يسمى تخلصاً ما تخلص فيه الشاعر من معنى إلى معنى ، ثم عاد إلى الأول وأخذ في غيره . ثم رجع إلى ما كان فيه . كقول النابغة الذبياني آخر قصيدة اعتذر بها إلى النعمان بن المنذر :

وكفكفتُ منى عبرةً فرددتها إلى النحر منها مُستهلٌ وداعم<sup>(١)</sup>  
على حين عاتبتُ المشيبَ على الصبا وقلتُ لما أصبحُ والشيبُ وازع<sup>(٢)</sup>!!

ثم تخلص إلى الاعتذار فقال :

ولكنَّ همًّا دونَ ذلكَ شاغلٌ مكانَ الشَّغافِ تَبْتَغِيهِ الأصابعُ<sup>(٣)</sup>  
وعيدُ أَى قابوسَ في غيرِ كُنْهِهِ أُناتى ودوى رَاكِسٍ فالصَّوْاجِعُ<sup>(٤)</sup>

ثم وصف حاله عند ما سمع من ذلك فقال :

فَيتُ كَأَنى سَاوَرْتَنى ضَيْلَةٌ مِنَ الرُّقْشِ فى أنْيَايَها السُّمُّ نَاقِعٌ  
يُسَهِّدُ فى لَيْلِ التَّامِّ سَلِيمُها لِحَلَى النِّسَاءِ فى يَدَيْهِ قَعَاقِعُ<sup>(٥)</sup>

(١) فى الديوان ( ص ٦٨ ) \* فكفكمت . . . . على النحر . \*

(٢) فى الديوان \* وقد حال هم دون ذلك وال . . . \*  
والشغاف : حجاب القلب ، أوجبته ، وهو بزنة سحاب .

(٣) فى غير كُنْهِهِ : أى : فى غير وقته . وراكس والصَّوْاجِعُ : موضعان .

(٤) فى الديوان \* يسهد من ليل التام . . . \* ويسهد : يمنع النوم .  
وليل التام - بكسر التاء - ليل الشناء الطوال . والقعاقيع : جمع قعقة ، وهو الصوت ،  
والسليم : اللدينغ ، سموه بذلك تفاؤلاً له بالسلامة ، وكان من عادة العرب إذا لدغ  
أحدهم علقوا عليه حلى النساء ؛ ليمسمع صوتهما فلا ينام ، ومن أمثالهم « السليم لا ينام  
ولا ينام » .

تَنَازَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سَمْعِهَا تَطْلُقُهُ طَوْرًا ، وَطَوْرًا تُرَاجِعُ<sup>(١)</sup>  
فوصف الحية والسليم الذي شبه به نفسه ما شاء ، ثم تخلص إلى الاعتذار  
الذي كان فيه فقال :

أَتَانِي - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - أَنْكَ لُمْتَنِي وَتَلَكَ أَلْتِي تَسْتَكُّ مِنْهَا الْمَسَامِعُ<sup>(٢)</sup>  
ويروى \* وَخَبَّرْتُ خَيْرَ النَّاسِ أَنْكَ لُمْتَنِي \* ثم اطرد له ما شاء من  
تخلص إلى تخلص ، حتى انقضت القصيدة ، وهو مع ما أشرت إليه غير خافٍ إن  
شاء الله تعالى .

وقد يقع من هذا النوع شيء يعترض في وسط النسيب من مدح من يريد  
الشاعر مدحه بتلك القصيدة ، ثم يعود بعد ذلك إلى ما كان فيه من النسيب ،  
ثم يرجع إلى المدح ، كما فعل أبو تمام وإن أتى بمدحه الذي تمادى فيه منقطعا ،  
وذلك قوله في وسط النسيب من قصيدة له مشهورة :

ظَلَمْتُكَ ظَالِمَةً الْبَرِيءِ ظَلُومٌ وَالظُّلْمُ مِنْ ذِي قُدْرَةٍ مَذْمُومٌ  
زَعَمْتُ هَوَاكَ عَمَّا الْمَدَاةَ كَمَا عَفْتُ مِنْهَا طُلُوعُ بِاللَّوَى وَرُسُومُ  
لا ، وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى أَجَلَ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ<sup>(٣)</sup>

(١) يروى « . . . من سوء سمعها » تناذرها الراقون : أنذر بعضهم بعضها ،  
والراقون : جمع راق . وهو الذي يفعل الرقية ، وسوء سمعها : أي أنها لا تسمع  
فلا تحبب إلى رقية الراق ، ومن روى « من سوء سمعها » فهو ظاهر المعنى .  
(٢) كرر السابقة هذا المعنى بهذه الألفاظ في كلمات من اعتذاراته : منها هذا في  
هذه القصيدة ، ومنها قوله في أخرى :

أَتَانِي - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - أَنْكَ لُمْتَنِي وَتَلَكَ أَلْتِي أَهَمُّ مِنْهَا وَأَنْصَبُ  
(٣) يذكر علماء المعاني هذا البيت هكذا \* لا ، والذي هو عالم أن النوى \*  
صبر - إلخ .

مَا زُلْتُ عَنْ سَنَنِ الْوِدَادِ وَلَا غَدَتُ      نَفْسِي عَلَى الْإِفِّ سِوَاكَ تَحُومُ  
نَمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ :  
لِمَحَمَّدِ بْنِ الْهَيْثَمِ بْنِ شَبَابَةَ      تَجَدُّ إِلَى جَنْبِ السَّمَاءِ مُقِيمِ  
وَيَسْمَى هَذَا النُّوعُ الْإِلَامُ .

وكانت العرب لا تذهب هذا المذهب في الخروج إلى المدح ، بل يقولون عند طريق العرب فراغهم من نعت الإبل وذکر القفار وما هم بسبيله : « دع ذا » و « عدَّ عن ذا » في الخروج يأخذون فيما يريدون أو يأتون بأن للشدة ابتداء للكلام الذي يقصدونه ، فإذا لم يكن خروج الشاعر إلى المدح متصلاً بما قبله ولا منفصلاً بقوله « دع ذا » و « عدَّ عن ذا » ونحو ذلك سمي طغراً وانقطاعاً . وكان البحتری كثيراً ما يأتي به ، نحو قوله  
لَوْ لَا الرَّجَاءُ لَمُتُّ مِنْ أَلَمِ الْهَوَى      لَكِنْ قَلَسِي بِالرَّجَاءِ مُوَكَّلُ  
إِنَّ الرَّعِيَّةَ لَمْ تَزَلْ فِي سِيرَةٍ      عُمرِيَّةٍ مُذْ سَاسَهَا الْمُتَوَكَّلُ  
ولربما قالوا بعد صفة الناقة والمفاضة « إلى فلان قصدت » و « حتى نزلت بفناء فلان » وما شاكل ذلك .

وأما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة ، وآخر ما يبقى منها في الأسجاع ، وسبيله الانتهاء أن يكون محكماً : لا تمكن الزيادة عليه ، ولا يأتي بعده أحسن منه ، وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه .

وقد أرنبى أبو الطيب على كل شاعر في جودة فصول هذا الباب الثلاثة ، إلا أنه ربما عقد أوائل الأشعار ثقةً بنفسه ، وإغراباً على الناس ، كقوله أوله قصيدة :  
وَفَاؤُكُمْ كَمَا كَالَرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهُ      بَأْنُ تُسْعِدُوا وَالدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِحُهُ<sup>(١)</sup>

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها سيف الدولة ، وهي أول ما أنشده ، وتقديره مع شيء يسير من المخالفة : وفاؤكم كما ( والخطاب لعينيه ) بإسعادى مثل الربع أشده تهيجاً للأسى ما كان طاسماً - أى : طامس الأثر خافى المعالم - والدمع أشفاه لقلب المحزون ما كان مدراراً .

فإن هذا يحتاج الأصمى إلى أن يفسر معناه .  
 ويقع له في الخروج ما كان تركه أولى به ، وأشعر له ، وإنما أدخله فيه حب  
 الإغراب في باب التوليد ، حتى جاء بالغث البارد ، والبشع المتكلف ، نحو قوله :  
 أُحِبُّكَ أَوْ يَقُولُوا جَرٌّ تَمَلُّ ثَبِيرًا ، وابنُ إِبْرَاهِيمَ رِيحًا  
 فهذا من البشاعة والشناعة بحيث لا يخفى على أحد ، وما أظنه سرق هذا  
 المعنى الشريف إلا من كذبة كذبها أبو العباس الصَّيْمَرِيُّ عن لسان رجل  
 زعم أنه قال : رأيت رجلاً نام ويَدُهُ غَمْرَةٌ <sup>(١)</sup> جره النمل ثلاثة فراسخ ،  
 فقد جعل أبو الطيب مكان الرجل رجلاً ، وإن أعلنا الإغراق في مراده  
 ولفظه . . وقال :

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنْيَا سَرَجٌ سَابِحٌ وَخَيْرُ جَالِسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابٌ  
 وَبَحْرٌ أَبُو الْمِسْكِ الْخَضَمُ الَّذِي لَهُ عَلَى كُلِّ بَحْرِ زُخْرَةٌ وَعُيَابٌ  
 يريد وخير بحر <sup>(٢)</sup> أبو المسك ، وهذه غاية التصنع والتكلف .

ومن العرب من يحتم القصيدة فيقطعها والنفس بها متعلقة ، وفيها رغبة  
 مشتبهة ، ويبقى الكلام مبتوراً كأنه لم يعتمد جعله خاتمة : كل ذلك رغبة في  
 أخذ العفو ، وإسقاط الكلفة ، ألا ترى معلقة امرئ القيس كيف ختمها بقوله يصف  
 السيل عن شدة المطر :

(١) غمرة - بفتح العين المعجمة وكسر الميم - أي : دنسة من دسم اللحم ،  
 وفعله من باب فرح .

(٢) تقدير المؤلف لهذا البيت على أن قوله « وبجر » بالجر ، وهو عليه معطوف  
 على « جليس » في البيت الذي قبله ، ولأننا لا نوافق على ذلك ؛ وقد ضبطناه برفع  
 « بحر » على أنه خبر مقدم ، وقوله « أبو المسك » مبتدأ مؤخر ، و « الخضم »  
 صفة له . وهذا قول شراحه المتقدمين ، وزجرة : امتداد ماء وكثرته ، وعباب :  
 كثرة موج .

كَأَنَّ السَّبَاعَ فِيهِ غَرْقَى غُدِيَّةً بَارِجَانِهِ الْقُصْوَى أَنَا يَدِشُّ عَنْصُلٍ<sup>(١)</sup>

فلم يجعل لها قاعدة كما فعل غيره من أصحاب المعلقات ، وهي أفضلها .  
وقد كره الخنذاق من الشعراء ختم القصيدة بالدعاء ؛ لأنه من عمل أهل  
الضعف ، إلا للملوك ؛ فإنهم يشتهون ذلك كما قدمت ، ما لم يكن من جنس قول  
أبي الطيب يذكر الخليل لسيف الدولة :

فَلَا هَجَمْتَ بِهَا إِلَّا عَلَى ظَفَرٍ وَلَا وَصَلْتَ بِهَا إِلَّا إِلَى أَمَلٍ  
فإن هذا شبيه ما ذكر عن بغيض : فإن يصاح الأمير فيقول : لَا صَبَحَ اللَّهُ  
الأمير بعافية ، ويسكت ثم يقول : إِلَّا وَمَسَاءَ بِأَكْثَرِ مِنْهَا ، ويماسيه فيقول :  
لَا مَسَى اللَّهُ الأمير بنعمة ، ويسكت سكته ثم يقول : إِلَّا وَصَبَّحَ بِأَتَمِّ مِنْهَا ،  
أو نحو هذا ، فلا يدعو له حتى يدعو عليه ؛ ومثل هذا قبيح ، لا سيما عن  
مثل أبي الطيب .

### (٣١) - باب البلاغة

تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه  
وسلم : « كم دون لسانك من حجاب ؟ » فقال : شفتاي ، وأسنانى ، فقال له :  
« إن الله يكره الانبعاث في الكلام ، فَنفَضَّرْ الله وجه رجل أَوْجَزَ في كلامه  
واقصر على حاجته . »

وسئل النبي صلى الله عليه وسلم : فيم الجمال ؟ فقال : « في اللسان »  
يريد البيان .

(٢) يروى \* .. \* .. غرقى عشية \* والأنايش : جماعات من العنصل  
تجمعها الصبيان ، ويقال : الأنايش العروق ، سميت بذلك لأنها تنبش أى تخرج من  
تحت الأرض ، والعنصل - بوزن قنفذ وجندب - بصل يرى يعمل منه خل شديد  
المحوضة .

وقال أصحاب المنطق : حد الإنسان : الحى الناطق ؛ فمن كان فى المنطق  
أعلى رتبة كان بالإنسانية أولى.

حدود البلاغة  
والبلغاء

وقالوا : الروح عماد الجسم ، والعلم عماد الروح ، والبيان عماد العلم .  
وسئل بعض البلغاء : ما البلاغة ؟ فقال : قليل يُفهم ، وكثير لا يُسأم .  
وقال آخر : البلاغة إجاعة اللفظ ، وإشباع المعنى .  
وسئل آخر فقال : معانٍ كثيرة ، فى ألفاظ قليلة .  
وقيل لأحدهم : ما البلاغة ؟ فقال : إصابة المعنى وحُسن الإيجاز .  
وسئل بعض الأعراب : مَنْ أبلغ الناس ؟ فقال : أسهلهم لفظاً ، وأحسنهم  
بديهةً ..

وسأل الحجاج ابن القبة شريكى : ما أوجز الكلام ؟ فقال : ألا تبطل ، ولا  
تخطئ ، وكذلك قال صحار<sup>(١)</sup> العبدى لمعاوية بن أبى سفيان .

وقال خلف الأحمر : البلاغة لمحة دالة .

وقال الخليل بن أحمد : البلاغة كلمة تكشف عن البقية .

وقال المفضل الضبي : قلت لأعرابى : ما البلاغة عندهم ؟ فقال : الإيجاز من  
غير عجز ، والإطناب من غير خطل .

وكتب جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى إلى عمرو بن مسعدة : إذا كان  
الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيراً ، وإذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار عيباً .  
وأنشد المبرد فى صفة خطيب :

طَيِّبٌ يَدَاءُ فُتُونِ الْكَلَامِ لَمْ يَغَى يَوْمًا وَلَمْ يَهْزِرِ

(١) صحار - بضم الصاد المهملة وتخفيف الحاء - رجل من عبد القيس ، وفى  
التونسية « سحر » بالسين ، وليس بشيء .

فَإِنْ هُوَ أَطْنَبَ فِي خُطْبَةٍ قَضَى لِمُطِيلٍ عَلَى الْمُنْزِرِ  
وَإِنْ هُوَ أَوْجَزَ فِي خُطْبَةٍ قَضَى لِلْمُقِلِّ عَلَى الْمُكْثَرِ

قال أبو الحسن على بن عيسى الرَّمَّانِي : أصل البلاغة الطبع ، ولها مع ذلك آلات تعين عليها ، وتوصل للقوة فيها ، وتكون ميزاناً لها ، وفاصلة بينها وبين غيرها ، وهي ثمانية أضرب : الإيجاز ، والاستعارة ، والتشبيه ، والبيان ، والنظم ، والتصرف ، والمشاكلة ، والمثل ، وسيرد كل واحد منها مكانه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

وقال معاوية لعمر بن العاص : مَنْ أَبْلَغَ النَّاسَ ؟ فقال : من اقتصر على الإيجاز ، وتذكَّب الفضول .

وسئل ابن المقفع : ما البلاغة ؟ فقال : اسم لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة : فمنها ما يكون في السكوت ، ومنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون في الإشارة ، ومنها ما يكون شعراً ، ومنها ما يكون سجعاً ، ومنها ما يكون ابتداءً ، ومنها ما يكون جَوَاباً ، ومنها ما يكون في الحديث ، ومنها ما يكون في الاحتجاج ، ومنها ما يكون خطباً ، ومنها ما يكون رَسَائِلَ ؛ فعمامة هذه الأبواب الوَحْيُ فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة .

قال صاحب الكتاب : فهذا ابن المقفع جعل من السكوت بلاغة رغبة في الإيجاز وقال بعض الكتابيين :

وَأَعْلَمُ أَنَّ مِنَ السُّكُوتِ إِبَانَةً      وَمِنَ التَّكَلُّمِ مَا يَكُونُ خَبَالاً  
وقلت أما في مثل ذلك :

وَأُحْرِقُ أَكْثَلَ لَاحِظٍ حَذِيقِهِ      وَلَيْسَ لِعَبَّارٍ رِيقِهِ بِمُسِيغٍ  
سَكَتُهُ صَدَقَ بِعَرَضِي فَلَمْ أَجِبْ      وَرُبَّ جَوَابٍ فِي السُّكُوتِ بَلِيغٍ  
وقلت أيضاً ولم أذكر بلاغة :

أيهـا الموحى إلينا      نفثة الصلّ الصموتِ  
ما سكّتنا عنك عيّا      ربّ نطقٍ في السكوت  
لك بيت في البيوت      مثل بيت العنكبوت  
إن يهنّ وهنّا فيه      حملنا سكنى وقوت  
وقيل لبعضهم : ما البلاغة ؟ فقال : إِبلاغُ التكلم حاجته بحسن إِفهام  
السامع ، ولذلك سميت بلاغة .

وقال آخر : البلاغة أن تُفهِمَ المخاطب بقدر فهمه ، من غير تعب عليك .  
وقال آخر : البلاغة معرفة الفصل من الوصل .  
وقيل : البلاغة حسن العبارة ، مع صحة الدلالة .  
وقيل : البلاغة أن يكون أول كلامك يدلّ على آخره ، وآخره يرتبط بأوله .  
وقيل : البلاغة القوة على البيان ، مع حسن النظام .  
ومن قول السيد أبي الحسن — أدام الله عزه — في صفة كاتب البلاغة  
وحسن الخط :

من شعر أبي  
الحسن في  
البلاغة

فَصَلَ الْأَنَامَ بِفَضْلِ عِلْمِهِ وَاسِعٍ      وَعَلَا مَقَالَهُمْ بِفَضْلِ الْمَنَظِقِ  
وحكى لنا وشى الرياض وقد وشت      أَفْلَامُهُ بِالنَّقْشِ بَطْنَ الْمُهَرَقِ  
فبلغ ما أراد من الوصف في اختصار وقلة تكلف . ونحو ذلك قوله أيضاً :  
إذا مشقت يمينك في الطُّرسِ أسطراً      حكيت بها وشى الملاء المعصداً<sup>(١)</sup>  
يروق مجيّد الخطّ حُسْنُ حُرُوفِهَا      وَيُعْجَبُ مِنْهَا بِالْمَقَالِ الْمُسَدِّدِ  
وهذا الشعر كالأول في الحز ، وإصابة المفصل ، وإن أبا الحسن لسكا قال  
سميه أبو الطيب خاتم الشعراء :

عَلِمَ بِأَسْرَارِ الدِّيَانَاتِ وَاللُّغَى      لَهُ خَطَرَاتٌ تَفْضَحُ النَّاسَ وَالْكِتَابَا  
بل كما قال ولي نعمته ، وشاكر منته :

(١) اتفقت الأصول على هذه الكلمة ، وأظنها « المنضد » بالنون بدل العين .



إِنِّي لَأَعْجَبُ كَيْفَ يُحْسِنُ عِقْدَهُ شِعْرٌ مِنَ الْأَشْعَارِ مَعَ إِحْسَانِهِ  
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهُ دُرٌّ النَّهْيِ يَقْدُ التَّجَارُ بِهِ عَلَى دِهْقَانِهِ  
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَا أَجْحَدُ أَبَا الطَّيِّبِ حَقَّهُ ، وَلَا أَنْكَرُ فَضْلَهُ ، وَقَدْ قَالَ :  
مَلِكٌ مُنْشِدُ الْقَرِيضِ لَدَيْهِ يَضَعُ الثَّوْبَ فِي يَدَيَّ بَرَّازِ

ثم نرجع إلى وصف البلاغة ، بعد ما أفضنا ووشحنا هذا الباب من ذكر عود إلى حد  
السيد ، فنقول : وقالوا : البلاغة ضد العي ، والعي : العجز عن البيان .

وقيل : لا يكون الكلام يستوجب اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ،  
ولفظه معناه ، ولا يكون لفظه أسبق إلى سمعك من معناه إلى قلبك .

وسأل عاصم بن الظَّرَبِ الْعَدَوَانِي حَمَامَةَ بْنَ رَافِعِ الدُّوسِيِّ بَيْنَ يَدَيَّ بَعْضَ مَلُوكِ  
حَمِيرٍ فَقَالَ : مَنْ أَبْلَغَ النَّاسَ ؟ قَالَ : مَنْ حَلَّى الْمَعْنَى الْمَزِيَّ<sup>(١)</sup> بِالْفَلْظِ الْوَجِيزِ ، وَطَبَّقَ  
الْمُقْصِلَ قَبْلَ التَّحْزِيْزِ .

وقيل لأرسطاطاليس : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاستعارة .

وقال الخليل : البلاغة ما قَرَّبَ طَرَفَاهُ ، وَبَعْدَ مُنْتَهَاهُ .

وقيل لخالد بن صَفْوَانَ : ما البلاغة ؟ قال : إصَابَةُ الْمَعْنَى ، وَالْقَصْدُ إِلَى الْحِجَةِ

وقيل لإِبْرَاهِيمَ الْإِمَامَ : ما البلاغة ؟ قال الجزالة ، والإطالة ، وهذا مذهب

جماعة من الناس جلة ، وبه كان ابن العميد يقول في منشوره .

وقيل لبعض الجلة : ما البلاغة ؟ فقال : تقصير الطويل ، وتطويل القصير ،

يعنى بذلك القدرة على الكلام .

وقال أَبُو الْعَيْنَاءِ : مَنْ أُجْتَزَأَ بِالْأَنْبُلِ عَنِ الْكَثِيرِ ، وَقَرَّبَ الْبَعِيدَ إِذَا شَاءَ ،

وَبَعْدَ الْقَرِيبِ ، وَأَخْفَى الظَّاهِرَ ، وَأَطَهَرَ الْخَفَى .

(١) المزيز - بزاءين - اللذيذ الطعم ، مأخوذ من تسميتهم الحجر مزرة ، والمعنى

على التشبيه ، وهو واضح .

وقال البحرى يمدح محمد بن عبد الملك الزيات حين اشتوزَرَ ، ويصف  
بلاغته :

ومعان لو فضَّلَتْهَا القَوَافِي <sup>(١)</sup> هَجَّجَتْ شِعْرَ جِرْوَلٍ وَلَبِيدِ  
حُزْنَ مُسْتَعْمِلِ الْكَلَامِ اخْتِيَاراً وَتَجَنَّبَتْ طُلْمَةَ التَّعْقِيدِ  
وَرَكِبْنَ اللَّفْظَ الْقَرِيبَ فَأَدْرَكَنَّ بِهِ غَايَةَ الْمَرَادِ الْبَعِيدِ

والبيت الأول من هذه القطعة يشهد <sup>(١)</sup> بفضل الشعر على النثر .  
وحكى الجاحظ عن الإمام إبراهيم بن محمد قوله : كفى من حظ البلاغة  
ألا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع .  
ثم قال الجاحظ : أما أنا فأستحسن هذا القول جداً .

ومن كلام ابن المعتز : البلاغة بلوغ المعنى ، ولما يَظُلُّ سَفَرُ الْكَلَامِ .  
وقال ابن الأعرابي : البلاغة التقرب من البنية ، ودلالة قليل على كثير .  
وقال بعض المحدثين : البلاغة إهداء المعنى إلى القلب في أحسن صورة  
من اللفظ .

ومن كلام أبي منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي ، قال : قال بعضهم :  
البلاغة ما صعب على التعاطى وسهل على الفطنة . وقال : خير الكلام ما قل  
ودل ، وجل ولم يُمَلِّ . وقال : أبلغ الكلام ما حسن إيجازه ، وقَلَّ تَجَاوُزُهُ ، وكَثُرَ  
إِعْجَازُهُ ، وتناسبت صدوره وأعجازه . قال : وقيل : البليغ مَنْ يَحْتَنِي مِنَ الْأَلْفَاظِ  
فَوَازَهَا ، ومن المعاني مَمَارَهَا .

---

(١) أراد المؤلف أن يجد لمذهبه دليلاً ، وإن لم يكن في معرض الاستدلال  
عليه ، فتصحفت عليه الكلمة ، وصوابها \* ومعان لوفصاتها القوافي \*  
بالصاد المهملة .

وهذا الذي حكاه الثعالبي مما يدلك على حذق أبي الطيب في قوله لابن العميد:  
قَطَفَ الرَّجَالُ الْقَوْلَ قَبْلَ نَبَاتِهِ وَقَطَفْتَ أَنْتَ الْقَوْلَ لَهَا نَوْرًا  
وكان يمكنه أن يقول « لما أثمر » لكن ذهب إلى ما قدّمتُ ، وإنما اقتدى  
بقول أبي تمام :

وَيَحِفُّ نُورُ الْكَلَامِ ، وَقَلَمًا يُبْلَغُ بقاء الغرْسِ بعد الماء  
وكان بعضهم يقول : تلخيص المعاني رِفْقٌ ، والاستعانة بالغريب عَجْزٌ ،  
والتشادق في غير أهل البادية نقص ، والخروج مما بنى عليه الكلام إسهاب .  
وقال العتّابي : قِيَمَ الكلام العقل ، وزينته الصواب ، وحليته الإعراب ،  
ورائضه اللسان ، وجسمه القريحة ، وروحه المعاني . .

وقال عبد الله بن محمد بن جميل المعروف بالباحث : البلاغة الفهم والإفهام وكشف  
المعاني بالكلام ، ومعرفة الإعراب ، والاتساع في اللفظ ، والسداد في النظم ،  
والمعرفة بالقصد ، والبيان في الأداء ، وصواب الإشارة ، وإيضاح الدلالة ، والمعرفة  
بالقول ، والاكتفاء بالاختصار عن الإكثار ، وإمضاء العزم على حكومة الاختيار .  
قال : وكل هذه الأبواب محتاج بعضها إلى بعض ، كحاجة بعض أعضاء  
البدن إلى بعض ، لا غنى لفضيلة أحدها عن الآخر ؛ فمن أحاط معرفة بهذه الخصال  
فقد كل كل الكمال ، ومن شدّد عنه بعضها لم يبعد من النقص بما اجتمع  
فيه منها .

قال : والبلاغة تخير اللفظ في حسن إفهام .

وسئل السكندى عن البلاغة ، فقال : ركنها اللفظ ، وهو على ثلاثة أنواع :  
فنوع لا تعرفه العامة ولا تتكلم به ، ونوع تعرفه وتتكلم به ، ونوع تعرفه ولا تتكلم  
به ، وهو أحدها .

ومن كتاب عبد الكريم قالوا : حسن البلاغة أن يصور الحق في صورة  
الباطل ، والباطل في صورة الحق .

قال : ومنهم مَنْ يعيب ذلك المعنى ، ويعده إسهاباً ، وآخره يعده نفاقاً .  
قال : وسر غيلان بن خرشة الضبي مع عبد الله بن عامر بنهر أم عبد الله الذي يشق البصرة فقال عبد الله بن عامر : ما أصلح هذا النهر لأهل هذا المصر !! فقال غيلان : أجل والله أيها الأمير : يتعلم فيه العوَم صبيانُهم . ويكون لسقياهم ، ومسيل مياههم ، وبأيتهم بميرتهم . . قال : ثم مر غيلان يسائر زيارداً على ذلك النهر وقد كان عادي ابن عامر . فقال له : ما أضر هذا النهر لأهل هذا المصر !! فقال غيلان : أجل والله أيها الأمير : تَنَدَى منه دورهم ، وَيَغْرَق فيه صبيانهم ، ومن أجله يكثر بَعْوَضُهُمْ ؛ ففكره الناس من البيان مثل هذا ، انقضى كلام عبد الكريم .

والذي أراه أما أن هذا النوع من البيان غير مَعِيب بأنه نفاق ؛ لأنه لم يجعل الباطل حقاً على الحقيقة ، ولا الحق باطلاً ، وإنما وصف محاسن شيء مرة ، ثم وصف مساويه مرة أخرى : كما فعل عمرو بن الأَهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم — وقد سأله عن الزُّبْرَقَانِ بن بدر ، فأثنى خيراً — فقال : مانع لحوزته ، مطاع في أُنْدِيته — ويروى في أُنْدِيهِ — فلم يرض الزُّبْرَقَانِ بذلك ، وقال : أما إنه قد علم أكثر مما قال ، ولكن حَسَدَنِي لشرفي — وفي رواية أخرى حَسَدَنِي مكاني منك ، يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم — فأثنى عليه عمرو شراً ، وقال : أما لئن قال ما قال لقد علمته ضَيِّقَ الصدر ، زَمَرَ المروءة ، أحق الأب ، لثيم الخلال ، حديث الغني ، ثم قال : والله يا رسول الله ما كذبت عليه في الأولى ، ولقد صدقت في الآخرة ، ولكن أرضاني فقلت بالرضا ، وأنسختني فقلت بالسخط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن من البيان لسحراً»<sup>(١)</sup> قال أبو عبيد القاسم بن سلام : وكان المعنى — والله أعلم — أنه يبلغ من بيانه أنه يمدح الإنسان فيصدق فيه حتى يصرف

(١) انظر ص ١٧ و ٢٧ و ٢٥٤ من هذا الجزء ، وانظر المثل رقم ١ في مجموع الأمثال بتحقيقنا .

القلوب إلى قوله ، ثم يذمه فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله الآخر ، فكذا سَحَرَ السامعين بذلك .

وقال الجاحظ : العربي يعاف البذاء ، ويهجو به غيره ، فإذا ابتلى به فخر به ، كلام في البذاء ولكنه لا يفخر به لنفسه من جهة ما هجا به صاحبه .

ودخل أبو العيناء على المتوكل ، فقال له : بلغني عنك بذاء ، قال : إن يكن البذاء صفة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ؛ فقد زكّي الله وذم فقال : ( نعم العبد إنه أواب ) وقال : ( هازٍ مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم ، عتل بعد ذلك زنيم ) فذمه حتى قذفه ، وأما أن أكون كالعقرب التي تلسع النبي والذمي فقد أعاذ الله عبدك من ذلك ، وقد قال الشاعر :

إذا أنا بالمعروف لم أثني صادقاً ولم أشتم الجبن اللئيم المذمماً  
فقيم عرفت الخير والشر بأسميه وشق لي الله المسامع والقما ؟

قال الجاحظ : قال ثمامة بن أشرس : قلت لجعفر بن يحيى : ما البيان ؟ قال : وصف البيان أن يكون اللفظ يحيط بمعناك ، ويخبر عن مغزأك ، ويخرجه من الشركة ، ولا يستعين لجعفر بن يحيى عليه بالكثرة ، والذي لا بد منه أن يكون سليماً من التكلف ، بعيداً من الصنعة ، برياً من التعميد ، غنياً عن التأويل . قال الجاحظ : وهذا هو تأويل قول الأصمى :  
البليغ من طبق المفصل ، وأغناك عن المفسر .

قال أبو عبيدة : البليغ : التبليغ ، بفتح الباء ، وقال غيره : التبليغ : الذي يبلغ ما يريد من قول وفعل ، والتبليغ : الذي لا يبالي ما قال وما قيل فيه ، كذلك قال أبو زيد ، وحكى ابن دريد كلام بليغ وبلغ ، وقال ابن الأعرابي : يقال بَلَّغَ وَبَلَّغَ ، ولا شك أن ابن الأعرابي قال : إما هو في الأهوج الذي لا يبالي حيث وقع من القول .

وقد تكرّر في هذا الباب من أقاويل العلماء ما لم يخف عني ، ولا غفلته ، لكن اغتفرت ذلك لاختلاف العبارات ، ومدار هذا الباب كله على أن البلاغة

وَضَعُ الْكَلَامَ مَوْضِعَهُ مِنْ طَوْلٍ أَوْ إِيْجَازٍ ، مَعَ حَسَنِ الْعِبَارَةِ ، وَمِنْ جَيِّدٍ مَا حَفِظْتَهُ قَوْلَ بَعْضِهِمْ : الْبَلَاغَةُ شَدُّ الْكَلَامِ مَعَانِيهِ وَإِنْ قَصُرَ ، وَحَسَنُ التَّأْلِيفِ وَإِنْ طَالَ .

### (٣٢) — باب الإيجاز

حد الإيجاز الإيجاز عند الرُّمَّانِي عَلَى ضَرْبَيْنِ : مُطَابِقٌ لَفْظُهُ لِمَعْنَاهُ : لَا يَزِيدُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَنْقُصُ عَنْهُ ، كَقَوْلِكَ : « سَلْ أَهْلَ الْقَرْيَةِ » ، وَمِنْهُ مَا فِيهِ حَذْفٌ لِلِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، كَقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ( وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ) وَعَبَّرَ عَنِ الْإِيْجَازِ بِأَنْ قَالَ : هُوَ الْعِبَارَةُ عَنِ الْفَرْضِ بِأَقْلٍ مَا يُمْكِنُ مِنَ الْحُرُوفِ ، وَنَعَمْ مَا قَالَ ، إِلَّا أَنَّ هَذَا الْبَابَ مُتَسِّعٌ جَدًّا ، وَلِكُلِّ نَوْعٍ مِنْهُ تَسْمِيَةٌ سَمَّاها أَهْلُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ . .

للمساواة فأما الضرب الأول مما ذكر أبو الحسن فهم يسمونه المساواة . ومن بعض ما أنشدوا في ذلك قول الشاعر :

يَا أَيُّهَا الْمُهَيَّجِيُّ غَيْرَ شَيْمَتِهِ      إِنَّ التَّخْلُقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ  
وَلَا يُؤَاتِيكَ فِيمَا نَابَ مِنْ حَدَثٍ      إِلَّا أَخُو ثِقَةٍ ، فَانْظُرْ بِمَنْ تَثِقُ  
فهذا شعر لا يزيد لفظه على معناه ، ولا معناه على لفظه شيئاً . . ومثله قول أبي العتاهية — ورواه بعضهم للحطيئة ، وهذا شرف عظيم لأبي العتاهية إن كان الشعر له ، ولا أشك فيه :

الْحَمْدُ لِلَّهِ إِنِّي فِي جِوَارِ فِتْنِي      حَامِي الْحَقِيقَةِ نَفَّاعٍ وَضَرَّارِ  
لَا يَرْفَعُ الطَّرْفَ إِلَّا عِنْدَ مَكْرَمَةٍ      مِنْ أَلْيَاءِ ، وَلَا يُفْضِي عَلَى عَارِ  
وَأَنشَدَ عَبْدُ الْكَرِيمِ فِي اعْتِدَالِ الْوِزْنِ :

إِنَّمَا الذَّلْفُ سَاءٌ هَمِّي      فَلْيَدَعْني مَنْ يَكُومُ  
أَحْسَنُ النَّاسِ جَمِيعًا      حِينَ تَمُشِي وَتَقُومُ

مثال من  
اعتدال الوزن

أَصِلُ الْخَبْلَ لَتَرْضَى وَهِيَ لِلْخَبْلِ صَرُومٌ  
ثم قال : عندهم أنه ليس في هذا الشعر فضلة عن إقامة الوزن ، وهذه الأبيات  
وأشكالها داخلة في باب حسن النظم عند غير عبد الكريم .

والضرب الثانى مما ذكر الرمانى --- وهو قول الله عز وجل (واسأل القرية) -  
الاكتفاء  
يسمونه الاكتفاء ، وهو داخل في باب المجاز ؛ وفي الشعر القديم والحديث منه  
كثير ، يحذفون بعض الكلام لدلالة الباقي على الذاهب : من ذلك قول الله  
عز وجل : ( وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَ بِهِ  
الْمَوْتُ ) كأنه قال : لكان هذا القرآن . ومثله قولهم : لو رأيت علياً بين  
الصفين ، أى : لرأيت أمراً عظيماً ، وإنما كان هذا معدوداً من أنواع البلاغة لأن  
نفس السامع تتسع في الظن والحساب ، وكل معلوم فهو هين ؛ لكونه محصوراً ،  
وقال امرؤ القيس :

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَسَاقُطُ أَنْفُسًا<sup>(١)</sup>

كأنه قال : لكان الأمر ، ولكنها نفس تموت موتات ، ونحو هذا ، ومن الحذف  
قول الله عز وجل : ( فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ) أى :  
فيقال لهم : أ كفرتم بعد إيمانكم ؟ . ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم قوله للمهاجرين  
وقد شكروا عنده الأنصار : « أليس قد عرفتم ذلك لهم ؟ » قالوا : بلى ؛ قال :

(١) في الديوان \* . . . . . تموت جميعه \* وقد روى « تساقط » بفتح  
التاء على أن الأصل « تساقط » حذف إحدى التاءين ، وهذه رواية الأصمعي ،  
وقال في معناها : لو أنى أموت بدفعة واحدة ، ولكن نفسى لما في من المرض تخرج  
شيئاً فشيئاً ، وتفسير المؤلف من هذا القيل ، وأنكر الوزير أبو بكر هذا التفسير  
وهذه الرواية ، فروى « تساقط » بضم التاء ، وقال : معناه يموت بموتها بشر كثير ،  
كما قال عبدة بن الطبيب :

فما كان قيس هلك هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

« فإن ذلك » يريد فإن ذلك مكافأة لهم . وروى أبو عبيدة أن سفيان الثوري قال : جاء رجل من قريش إلى عمر بن عبد العزيز يكلمه في حاجة له ، فجعل يحث بقرابته ، فقال عمر : « فإن ذلك » ثم ذكر حاجته ، فقال : « لعل ذلك » ..

وقال الطرماح يوماً للفرزدق : يا أبا فراس ، أنت القائل :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَاءُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

أعز مما ذا وأطول مما ذا؟ وأذن المؤذن ، فقال له الفرزدق : يا لُكَّع ألا تسمع ما يقول المؤذن « الله أكبر » أكبر مما ذا أعظم مما ذا؟ فاقطع الطرماح انقطاعاً قاضحاً وزعم بعض العلماء أن معنى قول الفرزدق عز يزطويل ، ولكنه بناء على أفعال مثل أبيض وأحمر وما شاكلهما ، فجعله لازماً لما في ذلك من الفخامة في اللفظ والاستظهار في المعنى .

من الإيجاز

ومن الإيجاز قول الأعرابي في صفة الذئب :

أَطْلَسَ يُخْفِي شَخْصَهُ غُبَارُهُ فِي شِدْقِهِ شَفْرَتُهُ وَكَارُهُ

فقوله في الشفرة والنار إيجاز مليح .

وقال آخر في صفة سهم صادر :

\* غادر داءً ونجاصتاً صحيحاً \*

وقال آخر في صفة ناقة :

\* خرقاء إلا أنها صناع \*

وقال أبو نواس يصف جنين ناقة مُخْدَجاً<sup>(١)</sup> :

\* مَيِّتُ النَّسَا حَيُّ الشَّهْرِ \*

وقال ابن المعتز يصف بازياً :

\* مبارك إذا رأى فقد رُزِقَ \*

(١) يقال : خدحت الناقة ، إذا ألتقت ولدها قبل أن وانه ، وإن كان تام الخلق ، ويقال : أخدحته - بالهمزة - إذا ولدته ناقص الخلق ، وإن كان لتمام الحمل ، ومخدج : اسم مفعول من ذى الهمز ، والنسا : عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذ ، هذا أصله .



ومن الإيجاز البديع قول الله عز وجل : ( وقيلَ يا أرضُ ابلعي ماءكِ ،  
ويا سماه أفلعي ، وغيضَ الماءِ ، وقُضِيَ الأمرُ ، واستوت على الجودي ، وقيلَ :  
بُعداً للقوم الظالمين ) وقوله تعالى : ( خُذِ الْعَفْوَ ، وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ، وأعرض عن  
الجاهلين ) فكل كلمة من هذه الكلمات في مقام كلام كثير ، وهي على ما ترى  
من الإحكام والإيجاز ، ومثل ذلك قوله تعالى : ( يحسبون كل صيحة عليهم ،  
همُ العدو ، فاحذَرُهُمْ ، فَاتْلُهمُ اللهُ أَنى يُوَفَّكُون ) وقوله تعالى : ( وأخرى لم  
تقدروا عليها قد أحاطَ اللهُ بها ) وقوله : ( إنْ تَتَّبِعُونَ إلا الظنَّ وما بهوى الأنفس )  
وقال النبي صلى الله عليه وسلم للأَنْصار : « إنكم لتكثرون عند الفزع ، وتَقْلُونَ  
عند الطمع » وقال « كفى بالسلامة داء » ومثل هذا كثير في كلامه صلى الله عليه وسلم ،  
ومَنْ أولى منه بالفصاحة وأحق بالإيجاز ؟ وقد قال : « أُعْطِيتُ جوامع الكلم »

فأما قوله عليه الصلاة والسلام : « كفى بالسيف شا » يريد « شاهداً »  
فقد حكاه قوم من أصحاب الكتب : أحدهم عبد الكريم ، والذي أرى أن  
هذا ليس مما ذكروا في شيء ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قطع الكلمة  
وأمسك عن تمامها لثلاث تصير حكماً ، ودليل ذلك أنه قال : « لولا أن يتتابع  
فيه الغيران والسكران » فهذا وجه الكلمة والله أعلم ، لا كما قال علقمة  
ابن عبدة :

كَأَنَّ لِإِبْرِيقَهُمْ ظَبْيٌ عَلَى شَرَفٍ مُفَدَّمٍ بِسَبَائِ الْكَتَّانِ مَلْثُومٍ

يريد « بسبائب الكتان » فحذف اضطراراً ؛ لأن الوزن لا يستقيم له إلا  
بعد الحذف ، وكذلك قول لبيد <sup>(١)</sup> :

(١) قد ذكر سيويوه في أول كتابه باباً سماه « باب ما يحتمل الشعر » وذكر  
فيه أمثلة من هذا النوع ، وبينها الأعلام شارح شواهد بياننا واضحا فارجع إليه إن شئت

## \* دَرَسَ الْمَنَّا بِمَتَالَعِ قَابَانَ \*

يريد « المنازل » فحذف للضرورة أيضاً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم غير متكلف ولا مضطر . فأما سائر العرب فالحذف في كلامهم كثير ؛ لحب الاستخفاف ، وتارة للضرورة ، وسيرد عليك في باب الرخص ، إن شاء الله تعالى .

## (٣٣) — باب البيان

حد البيان قال أبو الحسن الرماني في البيان<sup>(١)</sup> : هو إحضار المعنى للنفس بسرعة إدراك ، وقيل ذلك لئلا يلتبس بالدلالة ؛ لأنها إحضار المعنى للنفس وإن كان بإبطاء .

وقال : البيان : الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عقلة ، وإنما قيل ذلك لأنه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي يدل ، ولا يستحق اسم البيان .

قال صاحب الكتاب : وقد مرّ في باب البلاغة قول غيلان بن خرشة في صفة نهر أم عبد الله مادحاً وذاماً ، وهو من جيد البيان عندهم ، وكذلك قول عمرو بن الأهتم في الزبرقان يبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحرا » وقال مثل ذلك للعلاء ابن الحصين<sup>(٢)</sup> وقد سأله : هل تروى من الشعر شيئاً ؟ فأنشد :  
حَتَّى دَوَى الْأَضْغَانِ تَسْبِ عُقُوكُمْ تَحِيَّتُكَ الْحُسْنَى وَقَدْ يُرْقِعُ النَّعْلُ

(١) انظر ص ١٧ و ٢٧ و ٢٤٨ من هذا الجزء .

(٢) الذي في اللسان ( مادة دحس ) : « قال الأزهرى : وأنشد أبو بكر

لأبي العلاء الحضرمي أنشده للنبي صلى الله عليه وسلم » .

فَإِنْ دَحَسُوا بِالْكُرهِ فَأَعْفُ تَكْرِمًا وَإِنْ خَنَسُوا عَنكَ الْحَدِيثَ فَلَا تَسَلْ<sup>(١)</sup>  
فَابٌ الَّذِي يُؤْذِيكَ مِنْهُ سَمَاعُهُ وَإِنَّ الَّذِي قَالُوا وَرَاءَكَ لَمْ يُقَلْ  
فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ مِنْ الشَّعْرِ لِحَكْمٌ » وَرَوَى « لِحَكْمَةٌ » .

ومن البيان الموجز الذي لا يقرن به شيء من الكلام قولُ الله تعالى : أمثلة من  
البيان الموجز (ولكم في القصص حِياتٌ) وقوله في الإعراب عن صفته : (قل هو الله أحد ،  
الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ) فبين تعالى أنه واحد لا ثاني  
معه ، وأنه صمد لا جوف له - وقيل : الصمد السيد الذي يُصَدُّ إليه في الأمور  
كلها ، ولا يعدلُ عنه ، وقيل : العالی المرتفع - وأنه غير والد ولا مولود ، وأنه لا شبهة  
له ولا مثل - وقيل : إن الكفو ههنا صاحبة تعالى الله - وإنما نزلت هذه  
السورة لما سألت اليهودُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له : صِفْ لنا ربك  
وانسبه فقد وصف نفسه في التوراة ونسبها ، فأكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ذلك ، وقال : لو سألتوني أن أصف لكم الشمس لم أقدر على ذلك ، فبينما هو  
كذلك إذ هبطَ عليه جبريل عليه السلام فقال : يا محمد (قل هو الله أحد) السورة .  
ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضى الله عنهم قوله  
صلى الله عليه وسلم : « للمسلمون تشكافاً دماؤهم ، ويسمى بذمتهم أدناهم ،  
وهم يدُّ على مَنْ سِوَاهُمْ » والمرء كثير بأخيه » فهذا كلام في نهاية البيان  
والإيجاز .

وقال أبو بكر رضى الله عنه في بعض مقاماته « وليت أموركم ولست بخيركم ،

---

(١) في اللسان « فَإِنْ دَحَسُوا بِالْشَّرِّ » ، وكان في الأصل « وَإِنْ خَنَسُوا عِنْدَ  
الْحَدِيثِ » وكتب في هامشه « وفي نسخة : حبسوا عنك » والصواب ما أثبتناه كما  
في اللسان ، وقال بعد إنشاده : « وهذا حجة لمن جعل خنس واقعا » اه أراد :  
متعديا ، ومعنى دحسوا أفسدوا .

أطيعوني ما أطيعتُ الله ورسوله ، فإن عصيت [الله] فلا طاعة لي عليكم » فقد بلغ بهذه الألفاظ الموجزة غاية البيان .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى بعض خطبه « أيها الناس ، إنه والله ما فيكم أحدٌ أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه » روى ذلك المبرد عن العتبي ، ودكر الأخفش عن على بن سليمان هذه الخطبة فقال : الصحيح عندى أنها لأبي بكر ..

ومن كلام عمر رضى الله عنه « كفى بالمرء غيياً أن تكون فيه خلة من ثلاث : أن يعيب شيئاً ثم يأتى مثله ، أو يبدو له من أخيه ما يخفى عليه من نفسه ، أو يؤذى جليسه فيما لا يعنيه » .

وكتب عثمان بن عفان إلى على بن أبى طالب رحمة الله عليهما لما أحيط به « أما بعد فإنه قد جاوز الماء الزبى ، وبلغ الحزام الطيبين ، وتجاوز الأمر بى قدره ، وطمع فى من لا يدفع عن نفسه .

فإن كنت ما كولاً فكُنْ أنت آكلي

وإلا فأدركى ولما أمرق »

البيت الذى [ قد ] تضمنته الرسالة من شعر المزمق العبدى ، يقوله لعمر بن هند فى قصيدة مشهورة ، وبه سُمى المزمق ، واسمه شاس بن نهار .

وخاطب عثمان علياً يعاتبه وهو مُطَرِّق ، فقال له : ما بالك لا تقول ؟ فقال على : إن قلت لم أقول ، إلا ما تكره ، وليس لك عندى إلا ما تحب ، قال المبرد : تأويل ذلك : إن قلت اعتدَدْتُ عليك بمثل ما اعتدَدْتُ به على ، فلدغك عتابى ، وعقدى ألا أفعل - وإن كنت عاتباً - إلا ما تحب .

وهذا قليل <sup>(١)</sup> من كثير يستدل به عليه ، ولو تفصيت ما وقع من ألفاظ التابعين ، وما تقدمت به شعراء الجاهلية والإسلام ؛ لأفنت العمر دون

(١) تجسداً أكثر الأمثلة التى أثارها المؤلف فى هذا الفصل فى مطلع كتاب « الكامل » لأبى العباس المبرد .

ذلك ، وقد استفرغ أبو عثمان الجاحظ - وهو علامة وقته - الجهدَ وصنعَ كتاباً لا يُبْلَغُ جودُهُ وفضلاً ، ثم ما ادعى إحاطة بهذا الفن لكثرتِه وأن كلام الناس لا يحيط به إلا الله عز وجل .

### ٣٤ — باب النظم

قال أبو عثمان الجاحظ : أجود الشعر ما رأيتُه مُتَلَّاحِمَ الأجزاء ، سهل أجود الشعر الخارج ، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغاً واحداً ، وسبك سبكاً واحداً ؛ فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان .

وإذا كان الكلام على هذا الأسلوب الذي ذكره الجاحظ لَدِّمَاعِه ، وَخَفَّ مُحْتَمَلِه ، وقرب فهمه ، وعذب النطق به ، وحلّى في فم سامعه ، فإذا كان متنازلاً متبائناً عسر حفظه ، وتقل على اللسان النطق به ، وَتَجَتَّهُ السامع فلم يستقر فيها منه شيء .

وأنشد<sup>(١)</sup> الجاحظ قال : أشدنى أبو العاصي قال : أنشدني خلف :  
وَبَعْضُ قَرِيضِ الْقَوْمِ أَثْنَاهُ عَلَيَّ يُكِدُّ لِسَانَ النَّاطِقِ الْمُتَحَفِّظِ  
وأنشد عنه عن أبي البيداء الرياحي :  
وَشِعْرٌ كَبَعْرِ الْكَبْشِ فَرَّقَ بَيْنَهُ لِسَانُ دَعِيٍّ فِي الْقَرِيضِ دَخِيلِ  
واستحسن أن يكون البيت بأشروه كأنه لفظة واحدة خلفته وسهولته ، واللفظة كأنها حرف واحد ، وأنشد قول النقي :  
مَنْ كَانَ ذَ عَصْدٍ يُدْرِكُ ظِلَامَتَهُ إِنَّ الذَّلِيلَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عَصْدُ  
تَذْبُو يَدَاهُ إِذَا مَا قَلَّ نَاصِرُهُ وَيَأْتِي الضَّيِّمُ إِنْ أَثَرِي لَهُ عَدْدُ

(١) انظر البيان والتبيين (ج ١ ص ٧٠ و ٧١) .

مثل من  
مزوجة  
الألفاظ

والناس مختلفو الرأي في مزوجة الألفاظ : منهم من يجعل الكلمة وأختها ،  
وأكثر ما يقع ذلك في ألفاظ الكتاب ، وبه كان يقول البحتري في أكثر  
أشعاره ، من ذلك قوله :

تَطْيِبُ بِمَسْرَاهَا الْبِلَادُ إِذَا سَرَتْ      فَيَفْغَمُ رِيَّاهَا وَيَصْفُو نَسِيمَهَا<sup>(١)</sup>  
ففي القسم الآخر تناسب ظاهر . . . وكذلك قوله :  
صَاقَ صَدْرِي بِمَا أَجِنُّ وَقَلْبِي بِمَا أُجِدُّ  
وقوله أيضاً في مدح المتوكل :

لَقَدْ اصْطَفَى رَبُّ السَّمَاءِ      لَهُ الْخُلَاقُ وَالشَّيْمُ

ومنهم من يقابل لفظتين بلفظتين ، ويقع في الكلام حينئذ تفرقة وقلة  
تكلف : فمن المناسب قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بعض كلامه  
« أين من سعى واجتهد ، وجمع وعدد ، وزخرف ونجد ، وبنى وشيد » فأتبع  
كل لفظة ما يشاكلها ، وقرنها بما يشبهها . ومن الفرق المنفصل قول امرئ  
القيس :

كَأَنِّي لَمْ أَزْكَبْ جَوَاداً لِلذِّقِّ      وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِباً ذَاتَ خَلْخَالٍ  
وَلَمْ أُسْبِأِ الزَّقَّ الرَّوِّيَّ ، وَلَمْ أَقُلْ      لِخَيْلِي كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالٍ

وكان قد ورد على سيف الدولة رجل بغدادى يعرف بالمنتخب ، لا يكاد  
يسلم منه أحد من القدماء والمحدثين ، ولا يذكر شعر بحضرته إلا عابه ، وظهر على  
صاحبه الحاجة الواضحة ، فأنشد يوماً هذين البيتين ، فقال : قد خالف فيهما  
وأفسد ، لوقال :

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَاداً ، وَلَمْ أَقُلْ      لَخَيْلِي كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالٍ  
وَلَمْ أُسْبِأِ الزَّقَّ الرَّوِّيَّ لِلذِّقِّ      وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِباً ذَاتَ خَلْخَالٍ  
لكان قد جمع بين الشيء وشكله ؛ فذكر الجواد والكر في بيت ،  
(١) فغمه الطيب : سد خياشيمه وملأها ، ووقع في كل الأصول « فينعم » .

وذكر النساء والخمر في بيت ، فالتبس الأمر بين يدى سيف الدولة ، وسلموا له ما قال ، فقال رجل ممن حضر : ولا كرامة لهذا الرأي ، الله أصدق منك حيث يقول : ( إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ، وأنت لا تظلم فيها ولا تضجى ) فأتى بالجوع مع العرى ولم يأت به مع الظلم ، فسرى سيف الدولة ، وأجازه بصلة حسنة .

قال صاحب الكتاب : قول امرئ القيس أصوب ، ومعناه أعر وأغرب ؛ لأن اللذة التي ذكرها إنما هي الصيد ، هكذا قال العلماء ، ثم حكى عن شهابه وغشيانه النساء : فجمع في البيت معنيين ، ولو نظمه على ما قال المعارض لنقص فائدة عظيمة ، وفضيلة شريفة تدل على السلطان ، وكذلك البيت الثانى : لو نظمه على ما قال لكان ذكر اللذة حشواً لا فائدة فيه ؛ لأن الزق لا يسبأ إلا للذة ، فإن جمل الفتوة كما جعلناها فيما تقدم الصيد قلنا : فى ذكر الزق الروى كفاية ولكن امرأ القيس وصف نفسه بالفتوة والشجاعة بعد أن وصفها بالملك والرفاهة .

وأما احتجاج الآخر بقول الله عز وجل فليس من هذا فى شيء ؛ لأنه أجرى الخطاب على مستعمل العادة ، وفيه مع ذلك تناسب ؛ لأن العادة أن يقال : جائع عريان ، ولم يستعمل فى هذا الموضع عطشان ولا ظمآن ، وقوله تعالى « تظلم » و « تضجى » متناسب ؛ لأن الضاحى هو الذى لا يستره شيء عن الشمس ، والظلم من شأن من كانت هذه حاله .

وقال الجاحظ : فى القرآن معانٍ لا تكاد تفتقر ، من مثل : الصلاة والزكاة ، والخوف والجوع ، والجنة والنار ، والرغبة والرهبة ، والمهاجرين والأنصار ، والجن والإنس ، والسمع والبصر .

ومن الشعراء من يضع كل لفظة موضعها لا يعدّوه ؛ فيكون كلامه ظاهراً

فى القرآن  
ألفاظ لا تكاد  
تفتقر

عيب التقديم  
والتأخير  
في الكلام

غير مشكل ، وسهلا غير متكلف ، ومنهم من يُقَدِّم ويؤخر : إما لضرورة  
وَزْن ، أو قافية وهو أعذر ، وإما ليدل على أنه يعلم تصريح الكلام ، ويقدر  
على تعقيده ، وهذا هو العيُّ بعينه ، وكذلك استعمال الغرائب والشذوذ التي يقل  
مثلها في الكلام ، فقد عيب على مَنْ لا تعلق به التهمة نحو قول الفرزدق :

حَلَى حَالَةً لَوْ أَنَّ فِي الْبَحْرِ حَاتِمًا      عَلَى جُودِهِ مَا جَادَ بِالْمَاءِ حَاتِمٌ<sup>(١)</sup>

فخض حاتمًا على البدل من الماء التي في «جوده» حتى رأى قوم من العلماء  
أن الإقواء في هذا الموضع خير من سلامة الإعراب مع السكفة ، وكذلك  
قوله :

نَفَلْتُ هَامًا لَمْ تَنْلَهُ أَكُفْنَا بِأَسْيَافِنَا هَامَ الْمُلُوكِ الْقِمَاقِمِ

أراد : نفلت بأسيا فناهاهم الملوك القماقم ، ثم نبه وقرر فقال : هاما لم تنله أكفنا ،  
يريد أي قوم لم نملكهم ونقهرهم ، وهذا عند الصدور المذكورين بالعلم تكلف  
وتعمل ، لاتعرفه العرب المطبوعون ، وكذلك :

إِنَّ الْفَرَزْدَقَ صَخْرَةٌ عَادِيَّةٌ      طَالَتْ فَلَيْسَ تَنَالُهَا الْأَوْعَالُ

نصب الأوعال بطالت ، ويروى «عزت» . وأكثر شعر أبي الطيب من هذه  
العلامة ، وما لا بأس به قول الخنساء :

فَنِعِمَّ الْفَتَى فِي غَدَاةِ الْهِجَابِ      إِذَا مَا الرَّمْحَ نَجِيعًا رَوَيْنَا

فقدمت «نجيعا» على «روينا» مبادرة للخبر بالرى من أي شيء هو ، وكذلك  
قول أبي السفاح بكير بن معدان اليربوعي :

نَهْنَهْتُهُ عَنْكَ فَلَمْ يَنْهَهُهُ      بِالسَّيْفِ إِلَّا جَلَدَاتٌ وَجَاعُ

(١) يروى هذا البيت هكذا :

على حالة لو أن في القوم حاتمًا      على جوده ضنت به نفس حاتم



أراد نهنته عنك بالسيف ، أو أراد فلم ينهه إلا جلدات وجاع بالسيف ،  
وكلاهما فيه تقديم وتأخير .

ورأيت من علماء بلدنا مَنْ لا يحكم للشاعر بالتقدم ، ولا يقضى له بالعلم ، إلا  
أن يكون في شعره التقديم والتأخير ، وأنا أستثقل ذلك من جهة ما قدمت ، وأكثر  
ما تجده في أشعار النحويين

ومن الشعر ما تتقارب حروفه أو تتكرر فتثقل على اللسان ، نحو قول ابن بشر :  
لم يَصِرْهَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ شَيْءٌ وَأَنْتَ نَحْوَ عَزَفِ نَفْسٍ ذَهُولٍ  
فإن التقسيم الآخر من هذا البيت ثقیل ؛ لقرب الحاء من العين ، وقرب الزاي  
من السين .

وقال آخر :

وَقَبْرُ حَرْبٍ فِي مَكَانٍ قَفِيرٍ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبِيرٍ  
فتكررت الألفاظ ، وترددت الحروف ، حتى صار ألقية<sup>(١)</sup> يختبر به الناس ،  
ولا يقدر أحد أن يشده ثلاث مرات إلا عثر لسانه فيه وغلط .

وقال كعب بن زهير :

تَجَلَوْا عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمْتُ كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ  
فجمع بين الضاد والذال والظاء ، وهي مقاربة متشاكلة .

ومن حسن النظم أن يكون الكلام غير مُتَّبِعٍ ، والتثبيج : جنس من  
المعاظلة ترد في بابها إن شاء الله تعالى .

ومن الناس من يستحسن الشعر مبنيًا بعضه على بعض ، وأنا أستحسن أن  
يكون كل بيت قائمًا بنفسه لا يحتاج إلى ما قبله ولا إلى ما بعده ، وما سوى ذلك  
فهو عندي تقصير ، إلا في مواضع معروفة ، مثل الحكايات وما شاكلها ، فإن بناء  
(١) الألقية - على مثال أفعولة - ما يلقي من مسائل العاية ، ومثلها الأحجية .  
والأدعية ، ورناء ومعنى .

عيب تقارب  
الحروف  
وتكررها

التثبيج

قيام كل  
بيت بنفسه

اللفظ على اللفظ أجود هنالك من جهة السرد ، ولم أستحن الأول على أن فيه بعداً ولا تنافراً ، إلا أنه إن كان كذلك فهو الذي كرهت من التثنيح .

### (٣٥) — باب المخترع والبديع

حد المخترع من الشعر هو : ما لم يُسَبَقْ إليه قائله ، ولا عمل أحد من الشعراء قبله نظيره أو ما يقرب منه ، كقول امرئ القيس :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا      سُمُو حَبَابِ الْمَاءِ حَالاً عَلَى حَالٍ

فإنه أول من طرّق هذا المعنى وابتكره ، وسَلَم الشعراء إليه ، فلم ينازعه أحد إياه ، وقوله :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَا بَسًا      لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

وله اختراعات كثيرة يضيق عنها الموضع ، وهو أول الناس اختراعاً في الشعر ، وأكثرهم توليداً .

ومن الاختراع قول طرفه :

وَلَوْلَا ثَلَاثُ هُنَّ مِنْ لَذَّةِ الْفَتَى <sup>(١)</sup>      وَجَدَّكَ لَمْ أَخْفِلْ مَتَى قَامَ عَوْدِي  
فَمِنْهُنَّ سَبَقُ الْعَاذِلَاتِ <sup>(٢)</sup> بَشْرَبَةً      كَمَيْتِ مَتَى مَا تُغْلَ بِالْمَاءِ تُزِيدُ  
وَكَرَرِي إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُحْتَبَبًا      كَسِيدِ الْفَضَاذِي الطَّخِيَةِ الْمُتَوَرِدِ <sup>(٣)</sup>

(١) بروي \* . . . هن من عيشة الفتى \*

(٢) بروي \* سبقي العاذلات . . . \*

(٣) بروي ، \* كسيد الفضاضية المتورد \* والحنب - بالحاء المهملة ، ووقع في الأصول بالجيم موحدة وهو تحريف - فرس أقي الذراع ، ونصبه بكرى . والسيد : الذئب ، والقضا : شجر ، وذئابه أخبت الذئاب . ونهته : هيجته . والمتورد : الذي يطلب ورود الماء .

وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ وَالْدَّجْنُ مُعْجِبٌ بِمَهْكَنَةٍ تَحْتَ الطَّرَافِ الْمُعَمَّدِ<sup>(١)</sup>

وقوله يصف السفينة في جريها :

يَشْقُ حَبَابَ الْمَاءِ حَيْرُومَهَا يَهَا كَمَا قَسَمَ الثُّرْبَ الْمَفَاثِلُ بِالْيَدِ

وله أيضا اختراعات أكثرها من هذه القصيدة . وقال نابغة بنى ذبيان :

سَقَطَ التَّنْصِيفُ وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ فَتَنَّاوَلْتَهُ وَاتَّقَتْنَا بِالْيَدِ

وقوله أيضا من الاختراعات :

لَوْ أَتْنَاهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطِ رَاهِبٍ عَبْدَ الْإِلَهِ صَرُورَةٍ مُتَعَبِّدٍ

كَرْنَا لِرُؤُوسِهَا وَحَسَنَ حَدِيثِهَا وَنَخَالَهُ رَشْدًا وَإِنْ لَمْ يَرْشُدِ

وما زالت الشعراء تخترع إلى عصرنا هذا وتولد ، غير أن ذلك قليل في الوقت

التوليد

والتوليد : أن يستخرج الشاعر معنى من معنى شاعر تقدمه ، أو يزيد فيه زيادة ؛ فذلك يسمى التوليد ، وليس باختراع ؛ لما فيه من الاقتداء بغيره ، ولا يقال له أيضا « سرقة » إذا كان ليس آخذاً على وجهه ، مثال ذلك قول امرئ القيس :

سَمَوْتُ إِلَهِيَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا سُمُوَ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالِ

فقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ، وقيل : وضاح البن :

فَأَسْقَطُ عَلَيْنَا كَسْقُوطِ النُّوَى لَيْلَةً لَا نَاهٍ وَلَا زَاجِرُ

فولد معنى مليحاً اقتدى فيه بمعنى امرئ القيس ، دون أن يشركه في شيء من لفظه ، أو ينحو نحوه إلا في الحصول ، وهو لطف الوصول إلى حاجته في خفية . وأما الذي فيه زيادة فكقول جرير يصف الخيل :

(١) الدجن : إلباس الغيم السماء وإن لم يكن مطر ، أو هو الندى والطر

الخفيف ، والبهكنة : الجارية الخفيفة الروح ، والطراف المعمد : الحباء ذى العمد .

يَخْرُجْنَ مِنْ مُسْتَعِيلِ النَّعَمِ دَامِيَةً كَأَنَّ أَذَانَهَا أَطْرَافُ أَفْلَامٍ

فقال عدى بن الرقاع يصف قرن الغزال :

تُزْجِي أَغْنًا كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

فولده بعد ذكر القلم لإصابته مداد الدواة بما يقتضيه المعنى ؛ إذ كان القرن .

أسود . وقال العماني الراجز بين يدي الرشيد يصف الفرس :

تَحَالُ أَذُنِيهِ إِذَا تَشَوَّفَا قَادِمَةً أَوْ قَلَمًا مُحْرَفًا<sup>(١)</sup>

فولده ذكر التحريف في القلم ، وهو زيادة صفة .

ومن التوليد قول أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جُدْعَانَ :

لِكُلِّ قَبِيلَةٍ ثَبِجٌ وَصَلَبٌ وَأَنْتَ الرَّأْسُ أَوَّلُ كُلِّ هَادٍ

فقال نصيب لمولاه عمر بن عبد العزيز :

فَأَنْتَ رَأْسُ قَرَشٍ وَأَنْتَ سَيِّدُهَا وَالرَّأْسُ فِيهِ يَكُونُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ

فولده هذا الشرح وإن كان مجملا في قول أمية بن أبي الصلت . . . ثم أتى

على بن جبلة فقال يمدح حميد بن الحמיד :

فَالنَّاسُ جِسْمٌ ، وَالْإِمَامُ الْهُدَى رَأْسٌ ، وَأَنْتَ الْعَيْنُ فِي الرَّاسِ

فأوقع ذكر العين على مشبه معين ، ولم يفعل نصيب كذلك ، اسكن أتى

بالسمع والبصر على جهة التعظيم ؛ لأن من ولد عمر ولي عهد ، ففي قول على بن

جبلة زيادة . . . وجاء ابن الرومي فقال :

عَيْنُ الْأَمِيرِ هِيَ الْوَزِيرُ ، وَأَنْتَ نَظِيرُهَا الْبَصِيرُ

فرتب أيضا ترتيبا فيه زيادة ، فهذا مجرى القول في التوليد .

(١) يروى النحويون هذا البيت \* كأن أذنيه . . . قادمة أو قلما محرفا \*

ويستدلون به على أن من الناس من ينصب المبتدأ والخبر جميعا بعد كأن .

وأكثر المولدين اختراعاً وتوليداً - فيما يقول الحذاق - أبو تمام ،  
وابن الرومي .

والفرق بين الاختراع والإبداع - وإن كان معناهما في العربية واحداً - أن  
الاختراع : خَلَقُ المعاني التي لم يُسَبِّق إليها ، والإتيان بما لم يكن منها قط ، والإبداع  
إتيان الشاعر بالمعنى المستظرف ، والذي لم تجر العادة بمثله ، ثم لزمته هذه التسمية حتى  
قيل له بديع وإن كثرت تكرره ، فصار الاختراع للمعنى ، والإبداع للفظ ؛ فإذا تم للشاعر  
أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع فقد استولى على الأمد ، وحاز قصب السبق .

واشتقاق الاختراع من التلحين يقال « بيت خرج » إذا كان ليناً ، والخرج  
فِعْوَل منه ، فكأن الشاعر سهل طريقة هذا المعنى ولينه حتى أبرزه .

وأما البديع فهو الجديد ، وأصله في الحبال ، وذلك أن يقتل الحبل جديداً  
ليس من قُوَى حبلٍ نقصت ثم قُلت فتلا آخر . وأنشدوا لأشعث بن زرار :  
أطار عقيقه عنه نسلاً وأدمج دمج ذى شطر بديع

والبديع ضروب كثيرة ، وأنواع مختلفة ، أنا أذكر منها ما وسعته القدرة  
أنواع البديع عند ابن المعتز وساعدت فيه الفكرة ، إن شاء الله تعالى ، على أن ابن المعتز - وهو أول من جمع  
البديع ، وألف فيه كتاباً - لم يعدده إلا خمسة أبواب : الاستعارة أولها ، ثم  
التبجيس ، ثم المطابقة ، ثم رد الأعجاز على الصدور ، ثم للذهب الكلامي ، وعدَّ  
ما سوى هذه الخمسة أنواع محاسن ، وأباح أن يسميها مَنْ شاء ذلك بديعاً ، وخالفه  
من بعده في أشياء منها يقع التنبيه عليها والاختيار فيها حيناً وقعت من هذا  
الكتاب ، إن شاء الله تعالى .

### ٣٦ - باب المجاز

العرب كثيراً ما تستعمل المجاز ، وتعدده من مفاخر كلامها ؛ فإنه دليل منزلة المجاز  
الفصاحة ، ورأس البلاغة ، وبه بانت لعتها عن سائر اللغات

معنى المجاز

ومعنى المجاز طريق القول ومأخذه ، وهو مصدر « جُزْتُ مجازاً » كما تقول « قمت مقاماً ، وقلت مقالا » حكى ذلك الحاتمي ، ومن كلام عبد الله بن مسلم ابن قتيبة في المجاز قال : لو كان المجاز كذباً لكان أكثر كلامنا باطلاً ؛ لأننا نقول : نَبَتَ البَقْلُ ، وطالت الشجرة ، وأينعت الثمرة ، وأقام الجبل ، ورخص السعر ، ونقول : كان هذا الفعل منك في وقت كذا ، والفعل لم يكن وإنما يكون ، وتقول : كان الله ، وكان بمعنى حدث ، والله قبل كل شيء ، وقال في قول الله عز وجل : ( فوجدنا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه ) لو قلنا لنسكر هذا كيف تقول في جدار رأيت على شفا انهيار ؟ لم يجد بداً من أن يقول : يهيم أن ينقض ، أو يكاد ، أو يقارب ، فإن فعل فقد جعله فاعلاً ، ولا أحسبه يصل إلى هذا المعنى في شيء من أسنة العجم إلا بمثل هذه الألفاظ .

المجاز أبلغ من الحقيقة

والجهاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة ، وأحسن موقعاً في القلوب والأسماع ، وما عدا الحقائق من جميع الألفاظ ثم لم يكن محالاً تخضاً فهو مجاز ؛ لاحتماله وجوه التأويل ، فصار التشبيه والاستعارة وغـيرهما من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز ، إلا أنهم خصوا به — أعنى اسم المجاز — باباً بعينه ؛ وذلك أن يسمى الشيء باسم ما قاربته أو كان منه بسبب ، كما قال جرير ابن عطية :

إذا سَقَطَ السَّمَاءُ بأرض قوم<sup>(١)</sup> رَعَيْنَاهُ وَإِن كَانُوا غَضَاباً  
أراد المطر لقربه من السماء ، ويجوز أن تريد بالسماء السحاب ؛ لأن كل ما أظلك فهو سماء ، وقال « سقط » يريد سقوط المطر الذي فيه ، وقال « رعيناه » والمطر لا يُرْعَى ، ولكن أراد النبات الذي يكون عنه ؛ فهذا كله مجاز ، وكذلك قول العتّابي :

(١) يروى \* إذا نزل السماء . . . \*

يَالَيْلَةَ لِي بِجُودَارَيْنِ سَاهِرَةٍ حَتَّى تَكَلِّمَ فِي الصَّبْحِ الْعَصَافِيرُ  
فَجَعَلَ اللَّيْلَةَ سَاهِرَةً عَلَى الْمَجَازِ ، وَإِنَّمَا يُسْمَرُ فِيهَا ، وَجَعَلَ لِلْعَصَافِيرِ كَلَامًا ،  
وَلَا كَلَامَ لَهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِخْبَارًا عَنْ سُلَيْمَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى  
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَيْهِ : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ ) وَإِنَّمَا الْحَيَوَانُ النَّاطِقُ الْإِنْسُ  
وَالْجِنُّ وَالْمَلَائِكَةُ ، فَأَمَّا الطَّيْرُ فَلَا ، وَلَسْكَنَهُ مَجَازٌ مَالِيحٌ وَاتِّسَاعٌ ، وَهَذَا أَكْثَرُ مَنْ  
أَنْ يَحْصِرَهُ أَحَدٌ ، وَمِثْلُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَثِيرٌ ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ( وَأَسْأَلُ  
الْقَرْيَةَ ) وَمِثْلُهُ ( وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَجَلَ بِكُفْرِهِمْ ) يَعْنِي حُبَّهُ ، وَمِنْهُ : ( فَتَبَارَكَ  
اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ) وَهُوَ الْخَالِقُ حَقًّا وَغَيْرُهُ خَالِقٌ مَجَازًا ، وَقَوْلُهُ : ( وَاللَّهُ خَيْرُ  
الْمَسَاكِرِينَ ) وَإِنَّمَا سَمِيَ ذَلِكَ مَكْرًا لِكَوْنِهِ مُجَازَاةً عَنْ مَكْرٍ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ :  
( فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ) وَالْعَذَابُ لَا يُبَشَّرُ بِهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ أَنَّهُ مَكَانُ الْبَشَارَةِ .  
وَمَنْ أَنَا شَيْدُ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصْبِحُ بِجَانِبِهِ نَهَارٌ  
وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ السَّكَيْتِ : الْعَرَبُ تَقُولُ : بَارِضُ بَنِي فُلَانٍ شَجَرٌ قَدْ صَاحَ ؛  
إِذَا طَالَ ، وَأَنْشَدُوا لِلْعَجَاجِ :

\* كَالْكَرْمِ إِذَا نَادَى مِنَ الْكَافُورِ \*

قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ : لَمَّا تَبَيَّنَ الشَّجَرُ بَطُولُهُ وَدَلَّ عَلَى نَفْسِهِ جَعْلَهُ كَأَنَّهُ صَاحٌ ؛  
لَأَنَّ الصَّاحَّ يَدُلُّ عَلَى نَفْسِهِ بِصَوْتِهِ . وَأَنْشَدَ غَيْرُهُ قَوْلَ سُوَيْدِ بْنِ كُرَاعٍ فِي  
نَحْوِ هَذَا :

رَعَى غَيْرَ مَذْعُورٍ بِهِنَّ ، وَرَاقَهُ لِعَاغٌ تَهَادَاهُ الدَّكَادِكُ وَاعَدَ  
يَقَالُ : نَبَاتٌ وَاعَدَ ، إِذَا أَقْبَلَ كَأَنَّهُ قَدْ وَعَدَ بِالْتِمَامِ ، وَكَذَلِكَ إِذَا نَوَّرَ أَيْضًا  
قِيلَ : قَدْ وَعَدَ . وَمِنْ الْمَجَازِ عِنْدَهُمْ قَوْلُ الشَّاعِرِ وَغَيْرِهِ : فَعَلْتُ ذَلِكَ وَالزَّمَانُ غِرًّا ،  
وَالزَّمَانُ غُلَامٌ ، وَمَا شَبَّهَ ذَلِكَ ، وَهُوَ يَرِيدُ نَفْسَهُ لَيْسَ الزَّمَانُ ، وَلَا أَرَى ذَلِكَ مُسْتَقِيمًا

بل عندى الصواب ونفس الاستعارة أن يبقى الكلام على ظاهره مجازاً ؛ لأننا نجد في هذا النوع ما لا ينساغ فيه هذا التأويل ، كقول بعضهم :  
سألتني عن أناس هل كوا شرب الدهر عليهم وأكل  
فليس معناه شربتُ وأكملتُ عليهم ؛ لأنه إما يعنى بعد العهد لا السلو وقلة  
الوفاء . وقال أبو الطيب :

أفنت مودتهاً إليّ إلى بعدنا ومشى عليها الدهر وهو مقيم  
فإما أراد الدهر حقيقة . وقال الصنوبري :

كان عيشي بهم أنيقاً فولى وزمانى فيهم غلاماً فشاخا  
فليس مراده كُنتُ فيهم غلاماً فشِخْتُ ، ولكل موضع ما يليق به من  
الكلام ويصح فيه من المعنى .

وأما كون التشبيه داخلاً تحت المجاز فلأن المتشابهين في أكثر الأشياء إنما  
يتشابهان بالمقاربة على المسامحة والاصطلاح ، لا على الحقيقة ، وهذا يبين في بابه  
إن شاء الله تعالى .

التشبيه من  
المجاز

وكذلك الكناية في مثل قوله عز وجل إخباراً عن عيسى ومريم عليهما  
السلام : ( كانا يا كلان الطعام ) كناية عما يكون عنه من حاجة الإنسان ، وقوله  
تعالى حكاية عن آدم وحواء صلى الله عليهما : ( فلما تَفَشَّاهَا ) كناية عن  
الجماع ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « العين وكاء السِّه » وقوله لحاد  
كان يحدو به « إياك والقوارير » كناية عن النساء لضعف عز أئمن ، إلى أكثر  
من هذا .

الكناية

### ٣٧ — باب الاستعارة

الاستعارة أفضل المجاز ، وأول أبواب البديع ، وليس في حِلِّي الشعر  
أعجب منها ، وهى من محاسن الكلام إذا وقعت مَوْقِعَها ، ونزلت موضعها ،  
منزلة  
الاستعارة



والناس مختلفون فيها : منهم من يستعير للشئ ما ليس منه ولا إليه ،  
كقول لبيد :

وَعَدَاةٍ رِيحٍ قَدْ وَزَعَتْ وَقَرَّةٍ إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّامِلِ زِمَامُهَا<sup>(٧)</sup>

فاستعار للريح الشمال يداً ، وللعداة زماماً ، وجعل زمام العداة ليد الشمال  
إذ كانت الغالبة عليها ، وليست اليد من الشمال ، ولا الزمام من العداة . ومنهم  
من يخرجها مخرج التشبيه كما قال ذو الرمة :

أَقَامَتْ بِهِ حَتَّى ذَوَى الْعُودِ وَالتَّوَى وَسَاقَ الشُّرْبِيَّا فِي مُلَاءَتِهِ الْفَجْرُ

فاستعار للفجر ملأة ، وأخرج لفظه مخرج التشبيه .. وكان أبو عمرو بن  
العلاء لا يرى أن لأحد مثل هذه العبارة ، ويقول : ألا ترى كيف صير له ملأة ،  
ولا ملأة له ، وإنما استعار له هذه اللفظة ؟ وبعض المتعقبين يرى ما كان من نوع  
بيت ذى لمة ناقص الاستعارة ؛ إذ كان محمولا على التشبيه ، ويفضل عليه ما كان  
من نوع بيت لبيد ، وهذا عندي خطأ ؛ لأنهم إنما يستحسنون الاستعارة القرينة ،  
وعلى ذلك مضى جلّة العلماء ، وبه أتت النصوص عنهم ، وإذا استعير لاشئ  
ما يقرب منه ويليق به كان أولى مما ليس منه في شئ ، ولو كان البعيد أحسن استعارة  
من القريب لما استهجنوا قول أبي نواس :

(١) وزعت : كشفت ، وروى « كشفت » يريد أنه وزع القر وكفه بإطعام  
الطعام وإيقاد النيران . وقوله « إذ أصبحت بيد الشمال زمامها » أى : إذ أصبحت  
العداة الغالب عليها ربح الشمال وهى أبرد الرياح ، قال التبريزى « وجعل للرياح بدا  
وللعداة زماما » اهـ وقال الشيخ عبد القاهر : « ليس فى بيت لبيد شئ أكثر من  
أن يخيّل إلى نفسك أن الشمال فى تصريف العداة على حكم طبيعتها كالمدير المصرف  
لما فى رماحه بيده ومقادته فى كفه ، وذلك كله لا يتعدى التحيل والتوهم » اهـ

من معيب  
الاستعارة

بِحْ صَوْتُ الْمَالِ مِمَّا مِنْكَ يَشْكُو وَيَصِيحُ

فأى شيء أبعد استعارة من صوت المال ؟ فكيف حتى يُحْ من الشكوى والصياح مع ما أن له صوتاً حين يوزن أو يوضع ؟ ولم يردده أبو نواس فيما أُقْدِرُ ؛ لأن معناه لا يتركب على لفظه إلا بعيداً ، وكذلك قول شار :

وَجَذْتُ رِقَابَ الْوَصْلِ أَسْيَافُ هَجْرٍهَا وَقَدْتُ لِرَجْلِ الْبَيْنِ نَعْلَيْنِ مِنْ خَدَّيْ  
فما أهُجَنَ « رجل البين » وأقبح استعارتها ! ! ولو كانت الفصاحة بأسرها فيها ، وكذلك « رقاب الوصل » ولا مثل قول ابن المعتز وهو أنقد النقاد :

\* كُلَّ وَقْتٍ يَبُولُ زُبُّ السَّحَابِ \*

فهذا أردأ من كل ردىء ، وأمقت من كل مَقِيَّتٍ .

حدود مختلفة  
للاستعارة

قال القاضي الجرجاني : الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصلي ، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها ، وملاً كهاً بقرب التشبيه ، ومناسبة المستعار للمستعار له ، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة ، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر وقال قوم آخرون منهم أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع : خير الاستعارة ما بعد ، وعلم في أول وهلة أنه مستعار ، فلم يدخله لبس ، وعاب على أبي الطيب قوله :

وقد مَدَّتِ الْخَلِيلُ الْعَتَاقُ عِيُونَهَا إِلَى وَقْتِ تَبْدِيلِ الرِّكَابِ مِنَ النُّعْلِ

إذ كانت الخليل لها عيون في الحقيقة ، ورجع عليه قول أبي تمام :

سَاسَ الْأُمُورَ سِيَاسَةَ ابْنِ تَجَارِبٍ رَمَقَتْهُ عَيْنُ الْمَلِكِ وَهُوَ جَنِينُ  
إذ كان الملك لا عين له في الحقيقة .

وقال أبو الفتح عثمان بن جى : الاستعارة لا تكون إلا بالمبالغة ، وإلا فهي

حقيقة ، فإله في شرح بيت أبي الطيب :

فَتَى يَمْلَأُ الْأَفْعَالُ رَأْيَاً وَحَكْمَةً وَبَادِرَةً أَحْيَانَ يَرْضَى وَيَنْغَضِبُ

وكلام ابن جني أيضاً حَسَنٌ في موضعه ؛ لأن الشيء إذا أعطى وصف نفسه لم يسم استعارة ، فإذا أعطى وصف غيره سمي استعارة ، إلا أنه لا يجب للشاعر أن يبعد الاستعارة جداً حتى ينافر ، ولا أن يقربها كثيراً حتى يحقق ، ولكن خير الأمور أوساطها .. قال كثير يمدح عمر بن عبد العزيز واستعار حتى حقق :

وَقَدْ لَبَسَتْ لِبْسَ الْهَلُوكِ ثِيَابَهَا وَأَبَدَتْ لَكَ الدُّنْيَا بِكَفِّ وَمَعْصَمِ  
وترمق أحياناً بعين مريضة وتَبَسُّمُ عَنْ مِثْلِ الْجُحَانِ الْمُنْظَمِ

وحسبك أنه وصف العين التي استعار بالمرض ، وشبه اللبس بالجمان ، وهذا إفراط غير جيد ههنا .

قال أبو الحسن الرماني : الاستعارة استعمال العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة ، وذكر قول الحجاج « إني أرى رؤوساً قد أينعت وحان قطعها » .

وقد يأتي القدماء من الاستعارات بأشياء يجتنبها المحدثون ، ويستحسنونها ، مما يجتنبه المحدثون  
ويعافون أمثالها ظرفاً واطافة ، وإن لم تكن فاسدة ولا مستحيلة . ؛ فمنها قول الاستعارة  
امرئ القيس :

وَهَرَّ تَصِيدُ قُلُوبِ الرِّجَالِ وَأُفْلَتَ مِنْهَا ابْنُ عَمْرِو حُجْرٍ

فكان لفظة « هر » واستعارة الصيد معها مضحكة هجينة ، ولو أن أباه حُجْرًا من فارات بيته مأسف على إفلاته منها هذا الأسف ، وأين هذه الاستعارة من استعارة زهير حين قال يمدح :

لَيْثٌ بَعَثَ يَصْطَادُ الرِّجَالَ إِذَا مَا كَذَبَ اللَّيْثُ عَنْ أَقْرَابِهِ صَدَقًا

لاعلى أن امرأ القيس أتى بالخطأ على جهته ، ولكن للكلام قرآن تحسنه ، وقرائن تقبحه ، كذكر الصيد في هذين البيتين .

واحد معترضاً يقول : العرب لا تعرف إلا الحقائق ، ولا تلتفت إلى كلام

السفلة ، فقد قدمت هذا في أول كلامي ، وعرفت أنه لا يلزم ، ولكن يرغب عنه في الواجب ، ألا ترى أن بعض الوزراء — وقيل : بل هو المأمون — غيّر المسلحة<sup>(١)</sup> واستهجنها لما فيها فقال : قولوا المصلحة ، وليس ذلك لعله إلا موافقة كلام السفلة .

وقال الرماني : الاستعارة الحسنة ما أوجب بلاغة ، ببيان لا تنوب منابه الحقيقة ، كقول امرئ القيس :  
\* قَيْدِ الْأَوَابِدِ<sup>(٢)</sup> \*  
واستدّل قول بعض المولدين :

\* اسْفِرِي لِي النِّقَابَ يَا ضَرَّةَ الشَّمْسِ \*

بأن قال : أترأى ظن أن الضرة لا تكون إلا حسنة ؟ وإلا فأى وجه لاختياره هذه الاستعارة .

ومثل قول امرئ القيس المتقدم ذكره في القبح قول مسلم بن الوليد :  
وَلَيْسَ لِي حُلِسَتْ لِلْعَيْنِ مِنْ سَنَةِ هَتَكْتُ فِيهَا الصَّبَاعَ عَنْ بَيْضَةِ الْحَجَلِ  
فاستعار للحجل — يعنى السكل — بيضة ، كما استعارها امرؤ القيس للخذل في قوله :

\* وَبَيْضَةِ خَذِرٍ لَا يُرَامُ خَبَاؤُهَا<sup>(٣)</sup> \*

وكلاهما يعنى المرأة ، فاتفق لمسلم سوء الاشتراك في اللفظ ؛ لأن بيضة الحجل من الطير تشاركها ، وهى لعمري حسنة المنظر كما عرفت . . وقال في موضع آخر :

(١) المسلحة : موضع السلاح ، وهى أيضا الشجر أى الموضع الذى يخاف أن يأتى منه العدو . وإعما كره لفظها لأنه يأتى من السلاح — بصم السين — وهو التعوط (٢) ذلك في قوله من العلقمة :

وقد أغتدى والطيور فى وكلماتها بمنحرد قد الأوابد هيكل

(٣) تمامه : \* تتمعت من لهوبها غير معجل \*

رُمْتُ السُّلُوَ وناجاني الضميرُ به فاستعطفني على بيضاتها الحجلُ  
فما الذي أعجبه من هذه الاستعارة قببحها الله !!؟ ولو قال «الكلل» لتخلصَ  
وأبدع فكان تبعاً لامرئ القيس في جودة هذه الاستعارة ..

وقال حبيب على بصره بهذا النوع :

\* والله مفتاحُ باب المعقلِ الأشبِ \*

فجعل الله تعالى اسمه مفتاحاً ، وأى طائل في هذه الاستعارة مع ما فيها من  
البشاعة والشناعة !!؟ وإن كنا نعلم أننا أراد أمر الله وقضاه .

واعترض بعض الناس على قول أبي تمام :

للجودِ بابٌ في الأنام ولم تزل مُذْ كُنتَ مفتاحاً لِدَاكِ البابِ

بحضرة بعض أصحابنا ، وقال : أتى إلى ممدوحه فجعله مفتاحاً ، فهلا قال

كما قال ابن الرومي :

قَبِّلْ أَنَامِلَهُ فَلَسَنَ أَنَامِلَا - لَكِنَّهُنَّ مَفَاتِحُ الْأَرْزَاقِ

فقال له الآخر : عجبت منك تعيب أن يجعل ممدوحه مفتاحاً وقد جعل ربه

كذلك ، وأنشد البيت للتقدم مجزه .

وقال في ممدوح ذكر أنه يعطيه مرة ويشفع له أخرى إلى من يعطيه :

فَإِذَا مَا أُرِدْتَ كُنتَ رِشَاءً وَإِذَا مَا أُرِدْتَ كُنتَ قَلْبِيًّا

فجعله مرة حبلاً ومرة بثراً .. وقال الآخر هو أبو تمام :

ضاحي الحيا للهجيرٍ وللقنا تحت العجاج تخاله محراثاً

فلعنة الله على المحراث ههنا ، ما أقبحه وأرْكُهُ !!؟ وأين هذا كله من قوله

المليح البديع :

أَوْ مَا رَأَتْ بَرْدَى مِنْ نَسِجِ الصَّبَا وَرَأَتْ خَضَابَ اللَّهِ وَهُوَ خَضَابِي

وإن كان إنما أخذه من قول الله عز وجل : ( صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً ) قالوا : يريد الختان ، وقيل : الفطرة .

والاستعارة إنما هي من اتساعهم في الكلام اقتداراً ودالة ، ليس ضرورة ؛ لأن ألفاظ العرب أكثر من معانيهم ، وليس ذلك في لغة أحد من الأمم غيرهم ، فإنما استعاروا مجازاً واتساعاً . ألا ترى أن الشيء عندهم أسماء كثيرة وهم يستعملون له مع ذلك ؟ على أنا نجد أيضاً اللفظة الواحدة يُعبر بها عن معاني كثيرة ، نحو « العين » التي تكون جارحة ، وتكون الماء ، وتكون الميزان ، وتكون المطر الدائم الغزير ، وتكون نفس الشيء وذاته ، وتكون الدينار ، وما أشبه ذلك كثير ، وليس هذا من ضيق اللفظ عليهم ، ولكنه من الرغبة في الاختصار ، والثقة بفهم بعضهم عن بعض . ألا ترى أن كل واحد من هذه التي ذكرنا له اسمٌ غيرُ العينِ أو أسماء كثيرة ؟

السرف في  
استعارتهم لفظ  
الشيء لغيره

ومما اختاره ابن الأعرابي وغيره قول أُرطاة بن سُهيبة .

فقلتُ لها يا أمَّ بيضاء<sup>(١)</sup> إنني هُريقَ شبّابٍ واستشنَّ أديمي

أمثلة من  
الاستعارة  
المختارة

فقال \* هريقَ شبّابي \* لما في الشبّاب من الرنق والطرارة التي هي كالماء ، ثم قال \* استشنَّ أديمي \* لأن الشَّنَّ هو القرية اليابسة ؛ فكان أديمه صار شناً لما هريق ماء شبّابه ؛ فصحت له الاستعارة من كل وجه ولم تبعد . ومثل ذلك في الجودة ما اختاره ثعلب وفضله جماعة ممن قبله ، وهو قول طَقِيل الغنَوِي :

فوضعتُ رجلي فوقَ ناجيةٍ يَتَقَتَّ شَحْمُ سَنَامِها الرَّحْلُ<sup>(٢)</sup>

(١) في نسخة « يا أم عمران »

(٢) الناجية : الناقة السريعة ، والرحل : ما يقتعد عليه الراكب ، يريد أن  
الرحل فوقها دائماً - كساية عن طول ما يسافر عليها - فينتقص شحم سنامها .

فجعل شحم سنامها قوتاً للرحل ، وهذه استعارة كما تراها كأنها الحقيقة  
لتسكنها وقربها ، وقد تناولها جماعة منهم كثنوم بن عمرو العتّابي : قال في قصيدة  
يعتذر فيها إلى الرشيد :

ومن فوق أكوار المهارى<sup>(١)</sup> كُبّانة أحلّ لها أكل الذرى والغوارب

ثم أتى أبو تمام وعوّّل على العتّابي وزاد المعنى زيادة لطيفة بينة فقال :  
وقدأ كلّوا منها الغوارب بالشرى فصارت لها أشباحهم كالغوارب

وكان ابن المعتز يفضل ذا الرمة كثيراً ، ويقدمه بحسن الاستعارة والتشبيه ،  
لا سيما بقوله :

فلما رأيت الليل والشمس حية حياة الذى يقضى حُشاشة نازع

لأن قوله \* والشمس حية \* من بدیع الكلام والاستعارة ، وباقي البيت  
من عجيب التشبيه . واختار الخاتمي في باب الاستعارة في وصف سحائب - وأظنه  
لابن ميادة ، واسمه الرّمّاح بن أبرّد من بني مرة ، وميادة أمه :

إذا ما هبّطن القاع قد مات بقله بكنّ به حتى يعيش هشيم

ورواه قوم لأبي كبير ، وابن ميادة أولى به وأشبه .

والاستعارة كثيرة في كتاب الله عز وجل وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم :  
من ذلك قوله تعالى : ( لما طغى الماء ) وقوله : ( فلما سكّت عن موسى الغضب )  
وقوله : ( سمعوا لها شهيقاً وهى تفرّ ، تكاد تميز من الغيظ ) ، فالشهيق والغیظ  
استعارتان ، وقوله تعالى : ( يا أرض ابلعي ماءك ) وكثير من هذا لو تقصى لطلال  
جداً . وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « الدنيا حلوة خضرة » ، وقوله لحالب  
حلب ناقة : « دغ داعى اللبن » يعنى بقیة من اللبن فى الحلب ، وقوله : « تمسحوا

أمثله من  
الاستعارة  
فى القرآن  
والحديث

بالأرض فإنها بكم برة . قال أبو عبيد : يريد أنها منها خلقهم ، ومنها معادهم ،  
وهى بعد الموت : كَفَاتُهُمْ<sup>(١)</sup> وقوله : « رب تقبل تَوْبَتِي ، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي »  
فغسل الحوبة استعارة مليحة .

ومن أناشيد هذا الباب — وهو فيما زعم ابن وكيع أول استعارة وقعت —  
قولُ اسرى القيس يصف الليل :

ولَيْلٍ كَوَجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُودَهُ      عَلَى أَنْوَاعِ الْهَمُومِ لِيَبْتَلِيَ  
فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَمَطَّى بِجُودِهِ<sup>(٢)</sup>      وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءً بِكُلِّ كَلِّ

فاستعار الليل سدوداً يرخيها ، وهو الستور ، وصُلْباً يمتطى به ، وأعجراً يردفها ،  
وكلمة لا ينوء به ، وقال حسان بن ثابت يذكر قتلة عثمان رحمة الله عليه :  
ضَحَّوْا بِأَشْمَطِ عُنْوَانِ السُّجُودِ بِهِ      يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقِرَآنًا  
فلاستعارة قوله \* عُنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ \* وقد أخذ من قول الله تعالى :  
(سَيَأْتِيهِمْ فِي وجوههم من أثر السجود) وقال جميل العدري :

أَكَلَمَا بَانَ حَيٌّ لَا تُنَلِّمُهُمْ      وَلَا يَبَالُونَ أَنْ يَشْتَأَقَ مَنْ فَجَّعُوا  
عَلَقْنِي بِهِوًى مِنْهُمْ ، فَقَدْ جَعَلَتْ      مِنَ الْفِرَاقِ حَصَاةَ الْقَلْبِ تَنْصَدَعُ

البديع « حَصَاةُ الْقَلْبِ » . ومن كلام المولدين قولُ أبي نواس :  
بَصَحْنِ خَدَّيْكَ لِمَا يَغْضُ مَاؤُهُ      وَلَمْ تَخْضُهُ أَعْيُنُ النَّاسِ

البديع كل البديع عجز البيت . وقال أيضاً :  
فَإِذَا دَا أَقْتَادَتْ مُحَاسِنُهُ      قَسَرَأُ إِلَيْهِ أَعِنَّةَ الْحُدُقِ

(١) الكفات - بكسر الكاف - الموضع يضم فيه الشيء ويجمع .

(٢) في إحدى روايات المعلقة \* فقلت له لما تمطى بصلبه \* وهى رواية  
الخطيب والأعلم ، والذي رواه المؤلف رواية الأصمعي ، والمعنى لما تمدد بوسطه .



البديع « أعنة الحدق » وقوله « اقتادت » . وقال أبو الطيب :  
 ضممت جناحيهم على القلب ضمة تموت الخوا في تحتها والقوادم  
 أراد بالجناحين ميمنة العسكر وميسرته ، وبالقلب موضع الملك ، وبالخوا في  
 والقوادم السيوف والرماح ، وهذا تصنيع بديع ، كله حسن الاستعارات .. وقال :  
 صدمتهم بخميس أنت غرته وسهريته في وجهه شمم  
 وهذا كالأول جودة .. وقال السري الموصلي :  
 يشق جيوب الورد في شحراته نسيم متى ينظر إلى الماء يبرد  
 فالبديع قوله « متى ينظر » .

(٣٨) - باب التمثيل

ومن ضرور الاستعارة التمثيل ، وهو المائلة عند بعضهم ، وذلك أن تمثل  
 شيئا شئ فيه إشارة<sup>(١)</sup> ، نحو قول امرئ القيس وهو أول من ابتكره ، ولم يأت  
 أملح منه :

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لَتَمْدَحِي سَهْمَيْكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُّقْتَلٍ<sup>(٢)</sup>  
 فمثل عينيها بسهمي اليسر - يعنى الملقى ، وله سبعة أنصباء ، والرقيب ، وله  
 ثلاثة أنصباء - فصار جميع أعشار قلبه للسهمين اللذين مثل بهما عينيها ، ومثل  
 قلبه بأعشار الجزور ؛ فتمت له جهات الاستعارة والتمثيل .

وقال حريث بن زيد الخليل :

أَبَانَا<sup>(٣)</sup> بَقْتَلَانَا مِنَ الْقَوْمِ عُصْبَةً كَرَامًا ، وَلَمْ نَأْكُلْهُمْ حَشَفَ النَّخْلِ

(١) كذا ، وربما كان صوابها « فيه استعارة » ويؤيده قوله في آخر تعليقه على  
 بيت امرئ القيس « فتمت له جهات الاستعارة والتمثيل »  
 (٢) ذرفت : دمعت ، إلا لتمدحى : يروى في مكانه « إلا لتضربى » في أعشار  
 قلب : أى في قلب معترس ، أى : مكسر ، مقتل ، مذل ، منقاد ، يقول : ما بكيت  
 إلا لتجرحى قلبا قد ذلله العشق . (٣) في الأصول « أفأنا » .

حد التمثيل  
 وأول من  
 ابتكره

فمثل خساس الناس بحشف النخل ، ويجوز أن يريد أخذ الدية فيكون حينئذ حذفاً أو إشارة . . وقال الأخطل لناقة بنى جعدة :  
لَقَدْ جَازَى أَبُو كَيْلَى بِقَحْمٍ وَمُنْتَكِثٍ عَنِ التَّقْرِيبِ وَإِنْ  
إِذَا هَبَطَ الْخَبَارَ كَبَا لَفِيهِ وَخَرَّ عَلَى الْجَحَافِلِ وَالْجِرَانِ  
وإنما غيره بالكبر ، وإنما هو شاب حديث السن . . وقال بعض الرواة :  
إنما تهاجيا في مُسَابَقَةِ فرسين ، وهو غلط عند الحداق .  
ومن التمثيل أيضا قوله :

فَنَحْنُ أَخٌ لَمْ تَلَقَ فِي النَّاسِ مِثْلَنَا أَخَا حِينَ شَابَ الدَّهْرُ وَابْيَضَ حَاجِبُهُ  
ومعنى التمثيل اختصار قولك مثل كذا وكذا وكذا وكذا . . .  
وقال أبو خِرَاشٍ في قصيدة رثى بها زهير بن عجردة ، وقد قتله جميل بن  
معمر يوم حنين مأسوراً :

فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّارِ يَا أُمَّ مَالِكٍ وَلَكِنْ أَحَاطَتْ بِالرَّقَابِ السَّلَاسِلُ  
يقول : نحن من عهد الإسلام في مثل السلاسل ، وإلا فكنا نقتل قاتله ،  
وهو من قول الله عز وجل في بنى إسرائيل ( وَبَضَعَ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي  
كَانَتْ عَلَيْهِمْ ) يريد بذلك الفرائض المانعة لهم من أشياء رَخَّصَ فيها لأمة محمد  
صلى الله عليه وسلم ، وإلى نحو ذلك ذهب عمرو بن معدى كرب حين خَفَقَهُ عُمَرُ  
رضي الله عنه بالدَّرَّةِ ، فقال له : الْحُمَى أَضْرَعَتْنِي لَكَ ، يعنى الدين ، وإن كان المثل  
قد يما [ هو ] الحمى أضرعتنى للنوم .

ومن جيد التمثيل قول ضُبَاعَةَ بنت قُرْطَثْرَى زوجها هشام بن المغيرة الخزومي :

إِنَّ أَبَا عُمَانَ لَمْ أَنْسَهُ وَإِنْ صَمْتًا عَنْ بَكَاءِ الْحُوبِ

تفاقدوا من معشر! ما لهم أَيْ ذُنُوبٍ صوبوا في القليب؟

ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم في التمثيل قوله : « الصوم في الشتاء

الغنيمة الباردة » وقوله : « ظَهَرُ الْمُؤْمِنِ مَشْجَبُهُ ، وخزائنه بطنه ، وراحلته رجله ،

وذخيرته ربه « وقوله : « المؤمن في الدنيا ضيف ، وما في يديه عارية ، والضيف مرتحل ، والعارية مؤداة ، ونعم الصهر القبر » .

ومن مليح أناشيد التمثيل قول ابن مقبل :

إني أقيد بالمأثور راحتي ولا أبالي وإن كنا على سفر

فقوله \* أقيد بالمأثور \* تمثيل بديع ، والمأثور هو السيف الذي فيه أثر ، وهو الفرند ، وقوله \* ولا أبالي \* حشو مليح ، أفاد مبالغة عجيبة ، وقوله \* وإن كنا على سفر \* زيادة في المبالغة ، وهذا النوع يسمى إغالا ، وبعضهم يسميه

الإغال ( أو التبليغ ) التبليغ ، وهو يرد في مكانه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

وبما اختاره عبد الكريم وقدمه قول ابن أبي ربيعة :

أيها المنكحُ الثريَّ سُهَيْلاً عَمَرَكَ اللهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ!!؟

هي شاميّة إذا ما استقلتُ وسهيلٌ إذا استقلَّ يمانى

يعنى الثريا بنت على بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ، وكانت نهاية في الحسن والكمال ، وسهيل بن عبد الرحمن بن عوف ، وكان غاية في القبح والدّمامة . فمثل بينهما وبين سميهما ، ولم يرد إلا بُعْدَ ما بينهما وتفاوته خاصة ، لا أن سهيلاً يمانى قبيح ولا دميم ، ولا أدري هل هذا الرأى موافق لرأى عبد الكريم أم لا ؟ وحسبك أن الشاعر لم ينكر إلا التقاءهما .

وقال أبو الطيب وذكر نزاراً :

فأقرحت المقاوْدُ ذِفْرَ يَيْهًا وصَعَرَ خدّها هذا العذار

ووصف ربحاً فقال ، وهو مليح متمكن جداً :

ينادر كلّ ملتفتٍ إليه ولبته لثعلبه وجرار

وقال يخاطب سيف الدولة :

بنو كعب وما أترتَ فيهم يدٌ لم يذمها إلا السَّوَارُ

الفرق بين  
الاستعارة  
والتشبيه  
والتمثيل

بها من قطعها ألمً وَنَقَصَ وفيها من جلالتها افتخار  
والتمثيل والاستعارة من التشبيه ، إلا أنهما بغير أداته ، وعلى غير أسلوبه ،  
والمثل المضروب في الشعر نحو قول طرفة :

سَتُبْدَى لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُودِ  
راجع إلى ما ذكرته ؛ لأن معناه ستبدي لك الأيام كما أبدت لغيرك ويأتيك  
بالأخبار من لم تزود كما حرت عادة الزمان . . وتسمية المثل دالة على ما قلته ؛  
لأن المثلَ والمِثْلَ التشبيه والنظير ، وقيل : إنما سمي مثلاً لأنه مائل لخاطر الإنسان  
أبدأ ، يتأسمى به ، ويعظ ويأسر ويزجر ، والمائل : الشاخص المنتصب ، من قولهم  
« طَلَلْ مَائِلٌ » أى : شاخص ، فإذا قيل « رسم مائل » فهو الدارس ، والمائل من  
الأضداد . . وقال مجاهد في قول الله عز وجل ( وقد خلت من قبلهم المثلثات ) :  
هى الأمثال . وقال قتادة : هى العقوبات . وقال قوم : إنما معنى المثل المثل المائل الذى  
يُحْدِثُ عليه ، كأنه جعله مقياساً لغيره ، وهو راجع إلى ما قدمت . . وقال بعضهم :  
في المثل ثلاث خلال : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وقد يكون  
المثل بمعنى الصفة ، من ذلك قول الله تعالى : ( مثل الجنة التى وَعِدَ الْمُتَّقُونَ ) أى :  
صفة الجنة ، وقوله : ( وله المثل الأعلى فى السموات والأرض ) أى : الصفة العليا ،  
وهى قولنا « لا إلهَ إلا الله » وقوله تعالى : ( ذلك مثلهم فى التوراة ، ومثلهم فى  
الإنجيل كزراع أخرج شَطَأَهُ ) أى : صفتهم .

### (٣٩) — باب المثل السائر

أفضل المثل

المثل السائر فى كلام العرب كثير نظماً ونثراً ، وأفضله أوجزه ، وأحكمه  
أصدق ، وقولهم « مِثْلُ شَرُّودٍ وَشَارِدٍ » أى سائر لا يردُّ كالجلج الصَّعْبِ الشارد الذى  
لا يكاد يعرض له ولا يرد . . وزعم قوم أن الشرود مالم يكن له نظير كالشاذ  
والنادر ، فأما قول أبى تمام وكان إمام الصنعة ورئيسها :

لَا تُنْسِكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مِنْ دُونِهِ مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ  
حين عيب عليه قوله في ابن المعتصم :

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ فِي حِلْمٍ أَحْنَفَ فِي ذِكَاةِ إِبَّاسِ  
فإنه يشهد للقول الأول ؛ لأن المثل بعمره وحاتم مضروب قديماً ، وليس  
بمثل لا نظيره كما زعم الآخر .

وقد تأتي الأمثال الطوال محكمة إذا تولاهما الفصحاء من الناس ، الأمثال الطوال  
فأما ما كان منها في القرآن فقد ضمن الإجماع ، قال الله عز وجل : ( كمثل  
العنكبوت اتخذت بيتاً ، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت ) وقال :  
( فثله كمثل السكب : إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ) وقال :  
( كمثل الحمار يحمل أسفاراً ) فذه أمثال قصار . . وقال : ( إن الله لا يستحي  
أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها ) ومن الأمثال الطوال قوله تعالى : ( ضرب  
الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ) الآية ( وضرب الله مثلاً للذين آمنوا  
امرأة فرعون ) الآية ( ومريم ابنة عمران ) الآية ، وقال : ( فثله كمثل صفوان  
عليه تراب ) الآية ، وقال ( والذين كفروا بربههم أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه  
الظمان ماء ، حتى إذا جاءهم لم يجده شيئاً ) الآية ، ثم قال : ( أو كظلمات في بحر لجي )  
الآية . . ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الأمثال قوله : « كل الصيد في  
جوف القرأ » قاله لأبي سفيان بن حرب حين أسلم ، وقوله : « مثل المؤمن كمثل الخماة  
من الزرع تملأها الريح مرة هكذا ومرة هكذا ، ومثل المنافق مثل الأرزة المجذية <sup>(١)</sup> »

(١) في المصريتين « الأرزة المحرية » وفي التونسية « المجدية » وكل هذا  
تصحيح ، وإنما هو « مثل الأرزة المجدية » كما أثبتناه ، قال ابن الأثير : « الأرزة  
بسكون الراء وفتحها - شجرة الأرز وهو حشب معروف ، وقيل : هو الصنوبر ،  
وقال في بعضهم . هي الأرزة - بوزن فاعلة - وأسكرها أبو عبيد » اهـ ، وقال في  
موضع آخر : « المجدية : هي الثابتة المنتصبه ، يقال : جدت تجذو ، وأجذت  
تجذى » اهـ

على الأرض حتى يكون انجمافها مرة « وقوله حين ذكر الدنيا وزينتها فقال :  
« وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حَبَطًا أو يُلَيمُ » وقوله : « وإياكم وخَضْرَاءُ الدَّمَنِ »  
قيل : وما خضراء الدمن ؟ قال : « المرأة الحسناء في اللَّئِنَةِ السَّوءِ »  
والأناسيد في هذا الباب كثيرة : فمنها ما فيه مثل واحد ، ومنها ما فيه مثلان ،  
ومنها ما فيه ثلاثة أمثال ، ومنها ما فيه أربعة أمثال ، وهو قليل جداً ، وكل نوع  
من هذه الأنواع فيه احتياج واستغناء .

لم نظم للمثل ؟ والمثل إنما وزن في الشعر ليكون أشركه ، وأخف للنطق به ، فتي لم يترن  
كان الإتيان به قريباً من تركه .. وقد حكى الخاتمي أشياء لا أدري كيف وجهها ،  
وزعم أن حمادا الراوية سئل : بأي شيء فضل النابغة ؟ فقال : إن النابغة  
إن تمثلت بيت من شعره اكتفيت به ، مثل قوله :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ

بل لو تمثلت بنصف بيت من شعره اكتفيت به ، وهو قوله \* وليس وراء  
الله للمرء مذهب \* بل لو تمثلت بربع بيت من شعره اكتفيت به ، وهو قوله  
\* أي الرجال المهذب ؟ \* <sup>(١)</sup> ولا أعرف كيف يجعل حماد هذا ربع بيت وفيه  
زيادة سببين وهما أربعة أحرف ؟ إلا أن يُريد التقريب ، فهذا من الاحتياج  
الذي ذكرته ؛ لأنه لا يتمثل به على أنه شعر إلا احتاج إلى ما قبله واستغنى  
ما قبله عنه ، ألا ترى [ أنه ] لو قال \* ولست بمستبق أخاً لا تلته \* أنه يكون  
مثلاً كافياً ، ثم لا يتعلق قوله \* على شعث \* بشيء من المثل الثاني وإن بقي  
موزوناً ، فإذا رده على الصدر تعلق به وبقي المثل الثاني مكسوراً .

ومثله قول القطامي ، واسمه عُمَيْرُ بْنُ شَيْمٍ التغلبي :

(١) البيت بتمامه هو قوله :

ولست بمستبق أخاً لآلته على شعث ، أي الرجال المهذب ؟  
ومستقف على هذا البيت مفرقا في كلام المؤلف .

وَالنَّاسُ مِنْ يَلْقَ خَيْرًا قَالُوا لَهُ مَا يَشْتَهَى ، وَلَمْ يَخْطِءِ الْمَبْلُ  
 فقوله \* ولَمْ يَخْطِءِ الْمَبْلُ \* مثل ، إلا أنه غير موزون حتى يتصل بقوله  
 \* ما يَشْتَهَى \* وذلك من تمام المثل الأول الذى فى صدر البيت ، وهذا كله احتياج  
 ومما لا احتياج فيه قول امرئ القيس :

اللَّهُ أُنْجَحَ مَا طَلَبْتَ بِهِ وَالْبِرُّ خَيْرُ حَقِيقَةِ الرَّحْلِ  
 ففى كل قسم من هذين مثل قائم بنفسه ، غير محتاج إلى صاحبه ..  
 وكذلك قول الحطيئة :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَفِدُمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ  
 وقال عبيد بن الأبرص الأسدى :

الخير يبقى وإن طال الزمان به والشرُّ أخْبَثُ ما أُوعِيتَ من زاد  
 ومما فيه مثل واحد قول عنترة العبسى :

نُبِئْتُ سَمَرًا غَيْرَ شَاكِرٍ نَعْمَتِي وَالْكَفْرُ خَبِثَةٌ لِنَفْسٍ الْمَنَعَمِ  
 فجاء بالمثل غير محتاج إلى ما قبله .. وقال أبو ذؤيب :

تَرْكُوا هَوًى وَأَغْنَقُوا لَهْوَاهُمْ فَتَخَيَّرُوا وَلِكِلِّ جَنْبٍ مَضْرَعٌ

فإن بدأت بالقسم الثانى كان مثلاً سائراً ، وإن أسقطت جزءاً منه بقى المثل  
 سائراً غير موزون ، إلا أن يكون فى المرفوع من الأمثال مُضْمَتٌ يأتى فى البيت  
 بأشبهه كقول الأول :

وَأَنَّكَ لَنْ تَرَى طَرْدًا لِحُرٍّ كَأَلْصَاقٍ بِهِ طَرَفَ الْهَوَانِ

وقول أبى نواس :

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكْشَفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ

ومما فيه ثلاثة أمثال قول زهير :

وفى الحلم إذعانٌ ، وفى العفو دُرْبَةٌ ، وفى الصدق منجاة من الشر فأصدق

فأتى بكل مثل في ربع بيت ، ثم جعل الربع الآخر زيادة في شرح معنى ما قبله . وكذلك قول النابغة الذبياني :

الرفق يُمنُّ ، والأناة سلامة فاستأن في رفقٍ تُلَاقِي نَجَاحاً  
فجاء بثلاثة أمثال إلا أنها مُدَاخَلَةٌ لم تسلم سلامة ما قبلها من كلام زهير .  
وقال ابن عبد القدوس :

كُلُّ آتٍ لَا بَدَأَتْ ، وَذُو الْجَهْلِ مُعْنَى ، وَالنِّعَمَ وَالْحُزْنَ فَضْلُ  
فأتى بثلاثة أمثال مداخلة الوزن أيضاً ، وكان قول ضابيء بن الحارث :  
وفي الشك تفریط ، وفي الحزم قوة ، ويخطيء في الخدس الفتي وَيُصِيبُ  
أحسن تعديلاً في القسمة ؛ لأن شرطه الأول مشتمل على مثلين ، وشرطه  
الثاني مشتمل على مثل قائم بنفسه . وقال عبد الله بن المعتز :

والعيش هر ، والموت مر مستكره ، والمُنَى صَلَال  
والحرص ذل ، والبُخْلُ فَقْدٌ وآفة النائل المطال

ففي البيت الأول ثلاثة أمثال في أحدها احتياج ، وفي البيت الثاني ثلاثة أمثال  
لا احتياج فيها على حَدِّ مَا أَتَى بِهِ ضَابِئٌ ، ولم أر بيتاً فيه أربعة أمثال كل  
واحد منها قائم بنفسه إلا قليلاً ، أنشد الأصمعي :

فألهمَّ فَضْلُ ، وطول العيش منقطع ، والرزق آتٍ ، وَرَوْحُ اللَّهِ مُنْتَظَرُ

وقال أبو الطيب وحكم عليه الوزن أيضاً :

والمرء يَأْمَلُ ، والحياة شهية ، والشيبُ أَوْقَرُ ، والشبية أَنْزَقُ  
فأتى عثلين في كل قسم ، وصنعت أنا :

كلُّهُ إِلَى أَجَلٍ ، والدهرُ ذُو دُولٍ والحرصُ نَجِيبة ، والرزقُ مَقْسُومُ  
وأقل من ذلك ما كان فيه خمسة أمثال ، ولا أعرف منه في حفظي إلا بيتاً



واحداً للقرّاز السناط في بسط قصيدة مدح بها الأمير تميم بن [ المعز ] معد ، وهو قوله :

خَاطِرُ تُفِيدُ، وَارْتَدَّ نَجِيدُ، وَآكْرُمُ تَسُدُّ      وَانْقُدُ تَقْدُ ، وَاصْفَرُ تَعْدُ الْآ كَبْرَا

وأما ما فيه ستة فإنى صنعت :

خُذِ الْعَفْوَ ، وَأَبِ الضَّيْمَ ، واجتنبِ الْأَذَى

وَأَغْضِ تَسُدُّ ، وَارْفُقْ تَنْزِلُ ، وَاسْخُ تَحْمَدِ

ومن الأمثال أيضاً كلمات سارت على وجه الدهر : كقولهم « نسمع بالمعدي خير من أن تراه » يضرب مثلاً للذي رؤيته دون السماع به ، وفي كل ما جرى هذا المجرى ، وكذلك قولهم : « عَلَى أَهْلِهَا جَنَّتْ بَرَأَشُ » يضرب مثلاً للرجل يهلك قومه بسببه . وأما قولهم في تفسير ما يقع في الشعر من جنس قول الحطيئة :

\* شَذُّوا الْعِنَاجَ وَشَذُّوا فَوْقَهُ الْكَرْبَا \*

هو مثل ؛ فإنما ذلك مجاز ، أرادوا التثييل .

وهذه الأشياء في الشعر إنما هي نبذ تستحسن ، ونكت تستظرف ، مع القلة ، وفي الندرة ، فأما إذا كثرت فهي دالة على الكلفة ، فلا يجب للشعر أن يكون مثلاً كله وحكمة ك شعر صالح بن عبد القدوس ؛ فقد قعد به عن أصحابه وهو يقدمهم في الصناعة لإكثاره من ذلك ، وما نص عليه العلماء في كتبهم ، وكذلك لا يجب أن يكون استعاره وبدعاً ك شعر أبي تمام ؛ فقد رأيت ما صنع به ابن المعتز ، وكيف قال فيه ابن قتيبة ، وما ألف عليه المتعقبون كالجرجاني وأبي القاسم بن بشر الآمدي وغيرهما ، وإنما هرب الخذاق عن هذه الأشياء ؛ لما تدعو إليه من التكلف لا سيما إن كان في الطبع أيسر شيء من الضعف والتخلف . وأشد ما تكلمه الشاعر صعوبة التشبيه ؛ لما يحتاج إليه من شاهد العقل واقتضاء العيان . ولا ينبغي للشعر

أن يكون أيضاً خالياً مغسولاً من هذه الحليّ فارغاً كثيراً من شعر أشجع وأشباهه من هؤلاء المطبوعين جملة ، مع أنه لا بد لكل شاعر من طريقة تغلب عليه فينفاد إليها طبعه ، ويسهل عليه تناولها : كأبي نُوَاس في الخمر ، وأبي تمام في التصنيع ، والبحتري في الطيف ، وابن المعتز في التشبيه ، وديك الجن في المرائي ، والصنوبري في ذكر النور والطير ، وأبي الطيب في الأمثال وذم الزمان وأهله . وأما ابن الرومي فأولى الناس باسم شاعر ؛ لكثرة اختراعه ، وحسن افتقانه ، وقد غلب عليه الهجاء حتى شهر به ؛ فصار يقال : أهجى من ابن الرومي ، ومن أكثر من شيء عُرف به ، وليس هجاء ابن الرومي بأجود من مدحه ولا أكثر . ولكن قليل الشر كثير .

ما اشتهر به  
جماعة من  
المحدثين

#### (٤٠) — باب التشبيه

التشبيه : صفة الشيء بما قاربه وشاكله ، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته ؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه ، ألا ترى أن قولهم « خذ كالورد » إنما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها ، لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة كأمه ، وكذلك قولهم « فلان كالبحر ، وكالليث » إنما يريدون كالبحر سَمَاحة وعلماً ، وكالليث شجاعة وقرماً ، وليس يريدون ملوحة البحر وزعوقته ، ولا شتامة الليث وزهوته ؛ فوقع التشبيه إنما هو أبداً على الأعراض لا على الجواهر ؛ لأن الجواهر في الأصل كلها واحد ، اختلفت أنواعها أو اتفقت ؛ فقد يشبهون الشيء بسميه ونظيره من غير جنسه ، كقولهم « عين كعين اللمأة ، وجيد كجيد الرّيم » فاسم العين واقع على هذه الجارحة من الإنسان واللمأة ، واسم الجيد واقع على هذا العضو من الإنسان والرّيم ، والكاف للمقاربة ، وإنما يريدون أن هذه العين لكثرة سوادها قاربت أن تكون سوداء كلها كعين اللمأة ، وأن هذا الجيد لا تنصابه وطوله كجيد الرّيم ، ألا ترى أن الأصمى

حد التشبيه

سئل عن الحَوَرِ فقال : أن تكون العين سوداء كلها كعيون الطباء والبقر ، ولا حور في الإنسان ، هذا أحد أقوال الأضمر في الحور ، ويدلك على أن التشبيه إنما هو بالمقاربة كما قلنا .

والتشبيه والاستعارة جميعاً يُخْرِجان الأغمض إلى الأوضح ، ويقربان فائدة التشبيه البعيد ، كما شرط الرماني في كتابه ، وهما عنده في باب الاختصار .

قال : واعلم أن التشبيه على ضربين : تشبيه حسن ، وتشبيه قبيح ؛ فالتشبيه الحسن أنواع التشبيه هو الذي يخرج الأغمض إلى الأوضح فيفيد بياناً ، والتشبيه القبيح ما كان على خلاف ذلك ، قال : وشرح ذلك أن ما تقع عليه الحاسة أوضح في الجملة مما لا تقع عليه الحاسة ، والمشاهد أوضح من الغائب ؛ فالأول في العقل أوضح من الثاني ، والثالث أوضح من الرابع ، وما يدركه الإنسان من نفسه أوضح مما يعرفه من غيره ، والقريب أوضح من البعيد في الجملة ، وما قد ألف أوضح مما لم يؤلف ؛ ثم عاب على بعض شعراء عصره :

صُدِّغَهُ ضِدُّ خَدِّهِ مِثْلُ مَا الْوَعْدُ - إِذَا مَا اعْتَبَرْتَ - ضِدُّ الْوَعِيدِ

من قبل أنه شبه الأوضح بالأغمض ، وما تقع عليه الحاسة بما لا تقع عليه ، وكذلك قوله :

وَلَهُ غُرَّةٌ كَلَوْنٍ وَصَالٍ فَوْقَهَا طُرَّةٌ كَلَوْنٍ صُدُودٍ

وقال في موضع آخر : التشبيه على ضربين والأصل واحد : فأحدهما التقدير ، والآخر التحقيق ؛ فالذي يأتي على التقدير التشبيه من وجه واحد دون وجه ، والذي يأتي على التحقيق التشبيه على الإطلاق ، وهو التشبيه بالنفس ، مثل تشبيه الغراب بالغراب ، وحجر الذهب بحجر الذهب إذا كان مثله سواء ، وحمرة الشقائق بحمرة الشقائق .

قال صاحب السكتاب : أما ما شرط في التشبيه فهو الحق الذي لا يدفع ،

لا أنه قد حمل على الشاعر فيما أخذ عليه ؛ إذ كان قصد الشاعر أن يشبه ما يقوم في النفس دليله بأكثر مما هو عليه في الحقيقة ، كأنه أراد المبالغة ، ولعله يقول أو يقول المحتج له : معرفة النفس والمعقول أعظم من إدراك الحاسة ، لاسيما وقد جاء مثل هذا في القرآن وفي الشعر الفصيح : قال الله عز وجل : ( طلعهما كأنه رهوس الشياطين ) فقال قوم : إن شجرة الزقوم - وهي أيضاً الأستن<sup>(١)</sup> - لها صورة منكورة وثمرة قبيحة يقال لها : رؤوس الشياطين ، وقال قوم : الشياطين الحيات في غير هذا المكان ، والأجود الأعرف أنه شبه بما لا يشك أنه منكر قبيح ؛ لما جعل الله عز وجل في قلوب الإنس من بشاعة صُورِ الجن والشياطين ، وإن لم يروها عيانا ، فخوفنا تعالى بما أعد للعقوبة ، وشبهه بما نخاف أن نراه ، وقال امرؤ القيس :

أَيَقْتُلِي وَالْإِشْرَافُ مُضَاجِي وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنِّيَابِ أَعْوَالِ

فشبه نصال النبل بأنياب الأعوال لما في النفس منها . وعلى هذا التأويل قال أبو تمام وفيه عكس :

وَأَحْسَنُ مِنْ نَوْرِ يُفْتَحُهُ النَّدَى<sup>(٢)</sup> بَيَاضُ الْعَطَايَا فِي سَوَادِ الْمَطَالِبِ

وقال أعرابي قديم :

يَزْمَلُونَ حَدِيثَ الضَّغْنِ بَيْنَهُم وَالضَّغْنُ أَسْوَدُ أَوْ فِي وَجْهِهِ كَلَفٌ

فوصفه بما يتصور ويقوم في النفس ، كأنه يقول : لو كان صورة لكان هكذا ، وقال بعض المولدين :

(١) قال الجدي : الأستن والأستان - بفتح الهمزة وسكون السين فيهما - أصول الشجر يفشو في منابته فإذا نظر الناظر إليه شبهه بشخوص الناس اه .  
(٢) في نسخة « تفتحه الصبا » .

وَتَذِيرُ عَيْنًا فِي صَفِيحَةٍ فِضَّةٍ كَسَوَادِ يَأْسٍ فِي بَيَاضِ رَجَاءٍ  
 فالْيَأْسُ على الحقيقة غير أَسْوَدَ ؛ لأنه لَا يُدْرِكُ بِالْعَيَانِ ، لكن صورته في  
 المعقول وتمثيله كذلك مجازاً ، والرجاء أيضاً على هذا التقدير في البياض .  
 وقد يقول المحتج الأول : إن هذا داخل في باب الاستطراد ، كأن الشاعر  
 لم يقصد الإخبار عن الغرة والطرة وشبههما ، لكن عن الوصال والصدود ، وعكس  
 التشبيه ثقة بأن ما أشبه شيئاً من جهة فقد أشبهه الآخر من تلك الجهة .  
 فأما قول ابن المعتز يصف شرب حمار :

وَأَقْبَلَ نَحْوَ الْمَاءِ يَسْتَلُّ صَفْوَهُ كَأَنَّ غَمَدَتِ أَيْدِيَ الصَّيَاقِلِ مُنْصَلَاً  
 فإنه بديع ، يشبه فيه انسياب الماء في شذقيه إلى حلقه بمنصل يُغمد ، وهذا  
 تشبيه مليح يدرك بالحس ، ويتمثل في المعقول ، وكرر هذا التشبيه فقال يذكر  
 إبل سفر :

وَأَغْمَدَنَ فِي الْأَعْنَاقِ أَشْيَافَ جُلَّةٍ مَصْفَلَةٌ تُفَرِّى بِهِنَّ الْمَفَاوِزُ  
 وزعم قدامة أن أفضل التشبيه ما وقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات <sup>أفضل التشبيه</sup>  
 أكثر من انفرادهما ، حتى يدنى بهما إلى حال الاتحاد ، وأنشد في ذلك وهو عنده  
 أفضل التشبيه كافة :

لَهُ أَيْطَلَا ظِلِّي ، وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَإِرْخَاءَ مِرْحَانٍ ، وَتَقْرِيبُ تَنْتَفَلٍ  
 وهذا تشبيه أعضاء بأعضاء هي بعينها ، وأفعال بأفعال هي أيضاً بعينها ،  
 إلا أنها من حيوان مختلف كما قدمت ، والأمر كما قال في قرم التشبيه ، إلا أن فضل  
 الشاعر فيه غير كبير حينئذ ؛ لأنه كتشبيه نفس الشيء المُشَبَّهِ الذي ذكره الرمانى  
 في تشبيه الحقيقة ، وإنما حُسِّنَ التشبيه أن يقرب بين البعيدين حتى تصير بينهما  
 مناسبة واشتراك ، كما قال الأشجعي :

كَأَنَّ أَرْبَرَ الْكَبِيرِ لِرِزَامِ شَخْبِهَا إِذَا امْتَاَحَهَا فِي مِخْلَبِ الْحَيِّ مَا تَحُ

فشبه ضرع العنز بالسكير ، وصوت الحلب بأزيزه ، فقرب بين الأشياء البعيدة بتشبيها حتى تناسبت ، ولو كان الوجه ما قال قدامة لكان الصواب أن يشبه الأشجى ضرع عنزة بضرع بقرة ، أو خائف ناقة ؛ لأنه إنما أراد كبره وكثرة ما فيه من اللبن ، وكان يعدل عن ذكر السكير وأزيزه الذي دل به على أعظم ما يكون من صفة كبر الضرع وكثرة لبنه .

سبيل التشبيه

وسبيل التشبيه - إذ كانت فائدته إنما هي تقريب المشبه من فهم السامع ، وإيضاحه له - أن تشبه الأذن بالأعلى إذا أردت مدحه ، وتشبه الأعلى بالأذن إذا أردت دمه ، فتقول في المدح : تراب كالمسك ، وحصى كالياقوت ، وما أشبه ذلك ، فإذا أردت الدم قلت : مسك كالسك<sup>(١)</sup> أو التراب ، وياقوت كالزجاج أو كالحصى ؛ لأن المراد في التشبيه ما قدمته من تقريب الصفة وإفهام السامع ، وإن كان ما شابه الشيء من جهة فقد شابهه الآخر منها ، إلا أن المتعارف وموصوع التشبيه ما ذكرت .

أصل التشبيه  
وفيه تشبيه  
متعدد بمتعدد

وأصل التشبيه مع دخول الكاف وأمثالها أو كان وما شاكلها شيء بشيء في بيت واحد ، إلى أن صنع امرؤ القيس في صفة عقاب :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا      لَدَى وَكْرِهَا الْعُتَابُ وَالْحُشْفُ الْبَالِي

فشبه شيتين بشيتين في بيت واحد ، واتبه الشعراء في ذلك ؛ فقال لبيد ابن ربيعة

وَجَلَا السَّيُولُ عَنِ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا      زُبُرٌ تَجِدُ مَتَوْنَهَا أَقْلَامَهَا

فشبه الطلول بالزبر والسيول بالأقلام ، بل زاد فشبهه بجلاء هذه عن هذه

(١) السك : إلقاء النعام مائي بطنه ، أو الرمي بالسلاح رقيقا ، وقد أراد به المؤلف نفس السلاح أو ما في بطن النعام ، وهو ظاهر .

بتجديد تلك لتلك . وحكى عن بشار أنه قال : ما قرأ بنى القرار مذ سمعت قول امرئ القيس \* كأن قلوب الظير رطباً وياساً \* حتى صنعت :

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رَهْوسِنَا      وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ

فإن كان مراده الترتيب فصديق ، ولم يقع بعد بيت امرئ القيس في ترتيبه كعبيته ، وإن كان المراد تشبيهين في بيت فقد قال الطرمّاح في صفة ثور وحشى :

يَبْدُو وَتَصْمِرُهُ الْيِلَادُ كَأَنَّهُ      سَيْفٌ عَلَى شَرْفٍ يُسَلُّ وَيُغْمَدُ

وهذا نهاية في الجودة . وأما قول من قال في بيت الحارث بن حلزة .

وَحَسِبْتُ وَقَعَ سَيُوفُنَا بَرْدَهُ وَسَهْمٌ      وَقَعَ السَّحَابَةُ بِالطَّرَافِ الْمُشْرِجِ

إن فيه تشبيهين من جهة الكثرة والحس أو السرعة والحس ؛ فمحتمل ، إلا أن الشاعر لم يصرح إلا بالوقع خاصة ، يريد بذلك الحس وحده . ظاهر الأمر ولذلك خص الطرف ؛ لكونه من الأديم ، فصوت القطر عليه أشد منه على غيره من سائر البيوت . وقال بشار أيضاً :

خَلَقْنَا سَمَاءَ قَوْفِهِمْ بَنُجُومَهَا      سَيُوفًاوَنَقَعًا يَنْقُبُضُ الطَّرَفُ أَقْتَمَا

وقال فسيه شيئين مختلفين بشيئين من جنس واحد :

مِنْ كُلِّ مَشْتَهَرٍ فِي كَيْفٍ مَشْتَهَرٍ      كَأَنَّ غُرَّتَهُ وَالسَّيْفَ تَجْمَانِ

وربما شبهوا شيئاً بشيئين كقول القطامي :

فَهِنْ كَالْحُلَلِ الْمَوْشِيِّ ظَاهِرُهَا      أَوْ كَالْكِتَابِ الَّذِي قَدَمَتْهُ الْبَلَلُ

وربما شبهوا بثلاثة أشياء كما قال البحتري :

كَأَمَّا يَبْسِمُ عَنْ لَوْلُوٍ      مُنْظَمٍ، أَوْ بَرْدٍ، أَوْ أَقَاحٍ

فقول الشاعر « أو » زيادة تشبيه وإن لم يصح من جميع المشبه بها إلا

شيء واحد من جهة الحكم في « أو » . ومن الناس من يرويه :

كأما يبسم عن لؤلؤ أو فضة ، أو برد ، أو أقاح  
وهي زعموا - رواية أكثر أهل الأندلس والمغرب ؛ فيكون حينئذ النفر مشبها  
بأربعة أشياء ، وقد تقدم أبو تمام فقال :

وثناياك إنهم أغريضٌ ولآلِ تومٌ وبرقٌ وميصٌ

فشبها بثلاثة أشياء حقيقة ؛ لأن حكم الواو غير حكم « أو » لا سيما وقد أتى  
التشبيه بغير كاف ولا شيء من أخواتها ، فجاء كأنه إيجاب وتحقيق .

وكثر تشبيههم شيئين بشيئين حتى لم يصِرْ مجباً ، وقد جاءوا بتشبيه ثلاثة  
أشياء بثلاثة أشياء في بيت واحد : بالكاف ، وبغير كاف ؛ فقال مرقش :

النشْرُ مسكٌ ، والوجوه دنا نير ، وأطراف الأُكف عَنَمٌ

وقال ابن الرومي :

كَأَنَّ تِلْكَ الدَّمُوعَ قَطَرٌ نَدَى يَقْطُرُ مِنْ نَرْجِسٍ عَلَى وَرْدٍ

وقال أيضاً ويدخل في باب قول مرقش :

إِنْ أَقْبَلْتُ فَالْبَدْرُ لَاحٌ ، وَإِنْ مَشَتْ قَالِغَصْنٌ مَادٌ ، وَإِنْ رَنَتْ فَالزَّيْتُ

وقال ابن المعتز :

بَدْرٌ وَلَيْلٌ وَغُصْنٌ وَجْهٌ وَشَعْرٌ وَقَدْ

خَرَّ وَدَرٌ وَوَرْدٌ رِيْقٌ وَتَغَرُّ وَخَدْ

وقال صاحب الكتاب :

كَأَنَّ ثَنَايَاهُ أَقَاحٌ ، وَخَدَاهُ شَقِيقٌ ، وَعَيْنِيهِ بَقِيَّةُ نَرْجِسٍ

وقال أيضاً على جهة التفسير :

بِكُؤُوسٍ حَكَيْنٍ مِنْ شَفِّ قَلْبِي شَفَّةٌ لَمْ تَذُقْ وَتَغَرَّا وَرِيْقًا

يريد حافة الكأس والحباب والخمر .

تشبيه  
ثلاثة بثلاثة



ثم أتوا بتشبيه أربعة بأربعة : بالكاف أيضاً ، وبغير كاف ، فقال  
امرؤ القيس وهو أول من فتح هذا الباب :

له أَيْطَلَاظِي ، وساقا نعامه ، وإرخاء سِرْحَانٍ ، وَتَقْرِبُ تَنْفُلٍ  
فجاء بتشبيه إضافة كما ترى حتى جعله تحقيقاً لولا مفهوم الخطاب .  
وقال أبو الطيب :

بَدَتْ قَمَرًا ، ومالت خُوطَ بَانَ ، وَفَاحَتْ عَنْدَرًا ، وَرَنْتُ غَزَا  
فجاء بالتشبيه على إسقاط الكاف . وقال أيضاً :

تَرْنُو إِلَى بَعَيْنِ الظُّبْيِ مُجْهِشَةً وَتَمْسَحُ الطَّلَّ فَوْقَ الْوَرْدِ بِالْمَمِّ  
فشبه في القسم الأول عينها بعين الظبي ، وشبه في القسم الآخر ثلاثة بثلاثة ،  
وقد تقدم أبو نواس فقال :

يَبْكِي فَيَذِرِي الدَّرَمَ مِنْ تَرْجِسٍ وَيَلْطُمُ الْوَرْدَ بُعْنَابِ  
وهذا مليح جداً . سئل ابن منذر : مَنْ أشعر الناس ؟ فقال : الذي يقول :  
يَا قَمَرًا أَبْصَرْتُ فِي مَا أَنْتَ يَنْدُبُ شَجَوًا بَيْنَ أَنْتَرَابِ  
يَبْكِي فَيَذِرِي الدَّرَمَ مِنْ تَرْجِسٍ وَيَلْطُمُ الْوَرْدَ بُعْنَابِ

هذا أشعر الجن والأنس . وقد جاء بالشعر على سجيته - أعنى أبا نواس -  
وشاهد ذلك ظاهر في لفظه ، وإلا فهو قادر أن يحمل مكان الدر الطل حتى  
يتناسب الكلام ، لكنه لم يكن يؤثر التصنيع ولا يراه فضيلة ؛ لما فيه من البكفة  
ومن الناس من يرويه كذلك ، ومنهم من يرويه \* فيذري الدر من جفنه \*  
ومما شبه أربعة بأربعة مع الكاف قول ابن حاجب - وهو عبد العزيز  
وزير القادر بالله أبي العباس النعمان - :

فَعَرَّ وَخَدَّ وَنَهَدَّ وَاخْتَضَابُ يَدِ كَالطَّلْعِ وَالْوَرْدِ وَالزُّمَانِ وَالْبَلَحِ  
وقال صاحب الكتاب :

بِفَرْعٍ وَوَجْهٍ وَقَدَرٍ وَرَذْفٍ كَلِيلٍ وَبَذَرٍ وَغُصْنٍ وَحِقْفٍ  
 وما وقع فيه تشبيهه خمسة بخمسة قول أبي الفرج الواواء ، وأتى به بغير  
 آلة تشبيه :  
 قسمة  
 خمسة بخمسة

فَانْتَبَتْ لَوْلَوْ أَنَّ مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ وَرَدًا وَعَصَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرَدِ  
 وقال أبو الفتح البستي شاعر مصر في وقتنا هذا يصف شمعة :  
 قد شابهتني في لون وفي قضف وفي احتراق وفي دمع وفي سهر  
 فقله \* قد شابهتني \* أظهر مقدرة من المجيء بالكاف ؛ لأنهم إنما  
 استصعبوا ذلك مع الكاف وأخواتها من جهة ضيق الكلام بها ، فهذا الذي  
 أتى به البستي أشد ضيقا ، ألا ترى أنه لو قال « كأنها أنا » لكان هو الصواب  
 ويكون قد أتى بكأن وضميرين بعدها فضلا عن الكاف .

ومنهم من يأتي بالتشبيه الواحد بغير كاف كقول امرئ القيس :  
 سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا سُمُوَّ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ  
 وقوله أيضا :

إِذَا مَا الثَّرَيَّا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرَّضَ أَثْنَاءِ الْوِشَاحِ الْمُفْضِلِ

يريد كسمو حباب الماء ، وكتعرض أثناء الوشاح .  
 وأبدع من هذا عندهم وأغرب قول المنخل اليشكري :  
 دَا فَعْتَهَا فَتَدَا فَعَتْ مَشَى الْقَطَاةِ إِلَى الْغَدِيرِ  
 وإنما برأته عندهم لما لم يكن قبله فعل من لفظه .

ومن مליح التشبيه قول أبي كبير الهذلي :  
 فَالطَّنْ شَفْشَفَةً ، وَالضَّرْبُ هَيْقَعَةً ضَرْبَ الْمُعْوَلِ تَحْتَ الدِّيمَةِ الْعُضْدَا

من مليح  
 التشبيه

وَلِلْقَيْسِ أَزَامِيْلٌ وَغَفَمَةٌ  
حِسَّ الْجَنُوبِ تَسْوِقُ الْمَاءَ وَالْبَرْدَا<sup>(١)</sup>  
فالأول من نوع بيتي امرئ القيس ، والثاني من نوع بيت المنخل ، وأنا  
أستحسن هذين البيتين جداً.

وقد يقع التشبيه بين الضدين والمختلفين : كقولك « العسل في حلاوته تشبيه المختلفين  
والضدين كالصبر في مرارته ، أو كالخل في حموضته » .

قال أبو الحسن الرماني : وهذا الضرب من التشبيه لا يقال إلا بتقييد وتفسير  
ومن هذا النوع الذي ذكره الرماني قول ابن المهدي للمأمون يعتذر :

لَيْتَ جَعَدْتُكَ مَمْرُوفًا مَمْنَنْتَ بِهِ إِيَّايَ الْوُثْمَ أَحْظَى مِنْكَ فِي الْكَرَمِ  
وكذلك قول أبي نواس :

أَصْبَحَ الْحُسْنُ مِنْكَ يَا أَحْسَنَ الْأُمَمَةِ يَحْكِي سَمَاجَةَ ابْنِ حَبِيشٍ  
يريد أن هذا غاية كما أن ذاك غاية .

قال الجرجاني : التشبيه والتمثيل يقع مرة بالصورة والصفة ، وأخرى بالحالة  
والطريقة ، اعتذر بذلك عن قول أبي الطيب :

بَلِيَّتُ بَلَى الْأَطْلَالِ إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا وَقُوفُ شَجِيحٍ ضَاعَ فِي التُّرْبِ خَاتَمُهُ  
إنه إنما أراد وقوفاً خارجاً عن المتعارف . وأنشد :

رُبَّ لَيْلٍ أَمَدٌ مِنْ نَفْسِ الْعَا شِقٍ طَوْلًا قَطَعْتُهُ بِانْتِحَابِ

(١) نسب صاحب اللسان البيتين لعبد مناف بن ربيع الهذلي . والشغشفة : ضرب  
من المديرة ، وحكاية صوت الطعن على التشبيه بالأول . والهيقة : ضرب الشيء  
اليابس على مثله كالحديد ، وهي أيضاً حكاية لصوت الضرب . والمعول : الذي  
يسمى العالة ، وهو شجر يقطعه الراعي فيجعله على شجرتين يستظل تحته من المطر .  
والعضد - بفتح عين - ماعضد من الشجر ، أي : قطع . والمقصي : جمع قوس .  
والعمعة - في الأصل - كلام عبري . والجنوب : الريح للعروسة .

فهذا والله هو النقد العجيب الذي غفل الناس عنه ، بل غمّوا وصمّوا .  
والبيت لمحمد بن عبد الملك الزيات ، ويروى لماني الموسوس . ومثله قولُ  
أبي تمام :

وَمَسَافَةٍ كَمَسَافَةِ الْهَجْرِ أُرْتَقَى فِي صَدْرِ بَاقِي الْحُبِّ وَالْبُرْحَاءِ  
وَأَنشَدَ الرَّمَانِي لَذِي الرِّمَّةِ :

كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ فِي إِثْرِ عَفْرِيتٍ مُسَوَّمٌ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مُنْقَضِبُ  
ثم قال : قد اجتمع الثور والكوكب في السرعة إلا أن انقضاء  
الكوكب أسرع ، واستدل بهذا على جودة التشبيه .

وأنا أرى أن فيه دركا على الشاعر ، وإغفالا من الشيخ المفسر ، وذلك أن  
الثور مطلوب ، والكوكب طالب ، فشبهه به في السرعة والبياض ، ولو شبهه  
بالعفريت وشبه الكلب وراءه بالكوكب لكان أحسن وأوضح ، لكنه  
لم يتمكن له المعنى الذي أراد من فوت الثور الذي شبه به راحلته ؛ وأما ما أغفله  
الشيخ فإن الشاعر إما رغب في تشبيه الثور بالكوكب ، واحتمل عكس التشبيه :  
بأن جعل المطلوب طالبا لبياضه فإن الثور لهق لا محالة ؛ وأما السرعة التي زعم فإن  
العفريت لو وصفه به وشبهه بسرعه لما كان مقصرا ، ولا متوسطا ، بل فوق ذلك .

التشبيهات العقم ومن التشبيهات عقم لم يُسَبِّقْ أصحابها إليها ، ولا تعدى أحد بعدهم عليها ،  
واشتقاقها فيما ذُكِرَ من الريح العقيم ، وهي التي لا تلقح شجرة ولا تنتج ثمرة ، نحو  
قول عنقرة العسى يصف ذباب الروض :

وَحَلَّالَ الذُّبَابُ بِهَا فُلَيْسُ بَارِيحٍ غَرَدًا كَفِعْلِ الشَّارِبِ الْمَتْرَمِ  
هَزَجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ نَذْرَاعَهُ قَدَحَ الْمُكَبِّ عَلَى الزِّنَادِ الْأَجْذَمِ  
وقوله أيضا في صفة الغراب :

خرقُ الجناح كأنَّ لحَيَّ رأسِهِ جَلَمَانِ<sup>(١)</sup> بالأخيارِ هَشٌّ مُوَلَعٌ  
وقال الخطيئة يصف لغام ناقته :

ترى بَيْنَ لَحْيَيْهَا إِذَا مَا تَرَعَمَتْ لُغَامًا كَبَيْتِ العنكبوت الممدِّدِ  
وقال الشماخ يصف آثار ريش نعامة :

كأنما مُنْثَى أَقْمَاعٍ مَا مَرَّطَتْ مِنْ العَفَاءِ بِلِيَّتَيْهَا التَّالِيلِ<sup>(٢)</sup>  
وقول عدى بن الرِّقَاع يصف قرن ظبي :

تُرْجِي أَغْنَّ كَأَنَّ بِرَّةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا<sup>(٣)</sup>  
وقول الراعي يصف جعد الرأس :

جدلا أسكَّ كَأَنَّ فَرْوَةَ رَأْسِهِ بُذِرَتْ فَأَنْبَتَ جَانِبَاهَا فُلُقْلًا

وقول بشر بن أبي خازم يصف عروق الأُرْطَى وقد كشفها نور :

يُثِيرُ وَيُبْدِي عَنْ عُرُوقٍ كَأَنَّهَا - أَعِنَّةٌ خِرَازٍ تَخْطُ وَتَنْشُرُ  
وقول الطَّيْرِمَاح في صفة الظِّلِم :

(١) جلمان : مثني جلم ، وهو المقرض ، وقوله « بالأخيار » بالياء المشناة ، وفي نسخة « بالأخبار » بالباء الموحدة ،

(٢) المنثى : اللثنى . والأقماع : جمع قمعة ، وهى برة تخرج في أصول الأشجار يريد أن ريشها يشبهها ، وروى « كأنما منثى أقمام » والأقمام : جمع قيم ، وهو يابس البقل ، وقوله « مرطت » معناه أسرع ، وروى في مكانه « مرحت » من المرح وهو النشاط ، والتاليل : البثور التى تسكون في الجسد . روى أن الرشيد سأل الأصمعى : هل تعرف تشبيها أبداع وأرق من تشبيه الشماخ لنعامة سقط ريشها وبقي أثره ؟ وأنشده هذا البيت ، فقال له الأصمعى : لا والله يا أمير المؤمنين .

(٣) ترجي : تمسوق ، والروق : القرن من كل ذى حافر .

- مُجْتَابٌ شَمْلَةٌ بُرْجُ دِلْسَرَاتِهِ قِدْدًا ، وَأَسْلَمَ مَاسَوَاهُ الْبُرْجِدُ<sup>(١)</sup>  
 وقول ذي الرمة في صفة الليل :  
 وَلَيْلٍ كَجَلْبَابِ الْعُرُوسِ قَطَطَتْهُ<sup>(٢)</sup> أَرْبَعَةٌ وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدٌ  
 وقول مُصَرَّسٍ بن رَبِيعٍ في صفة رأس النعامه :  
 سَكَاةٌ عَارِيَةٌ الْأَخَادِعِ رَأْسُهَا مِثْلُ الْمُدُقِّ وَأَنْفُهَا كَالْمِسْرَدِ<sup>(٣)</sup>  
 وقال النابغة في صفة السور :  
 تَرَاهُنَّ خَلْفَ الْقَوْمِ خُزُرًا عِيُوسُهَا مُجْلُوسَ الشَّيُوخِ فِي ثِيَابِ الْمِرَانِبِ<sup>(٤)</sup>  
 وهذا التشبيه عندهم عقيم ، إلا أني أقول : إنه من قول طرفة يصف عقاباً :  
 وَعَجَزَاءُ دَفَّتْ بِالْجَنَاحِ كَأَنَّهَا مَعَ الصَّبِيحِ شَيْخٌ فِي بَجَادٍ مَقْنَعٍ<sup>(٥)</sup>

(١) يروى « مجتاب حلة برجد » والبرجد : كساء من صوف أحمر ، وقيل : كساء مخطط ضخم ، وسراته : ظهره ، وقددا : فرقا ، ويروى « وأحلف ماسواه البرجد » وبعد هذا البيت قوله :

يبدو وتضمره البلاد كأنه \* سيف على شرف يسلم ويغمد

وقد تقدم ذكره ( ص ٢٩١ ) أول الباب ، وكان أبو عبيدة والأصمعي يفضلان الطرماع بهذين البيتين وبزعمان أنه أشعر الناس بهما .

(٢) يروى \* وليل كجلباب العروس ادرعته \*

(٣) سكاء : مقطوعة الأذنين ، المدق : حجر يدق به الطيب ، وقياسه كسر الميم ، ولكن السمووع ضمها وضم الدال . والمسرَد : المثقب .

(٤) خزرا : جمع أخزر ، وهو الذي ينظر بمؤخر عينه ، ثياب المِرَانِبِ - بالنون موحدة - ثياب إلى السواد أقرب ، ويقال : كساء مرباني . أي : أخذ من جلد الأرنب ، شبه ألوان النسور بها .

(٥) دفَّت - بالدال المهملة - دنت في طيرانها من الأرض ، وبالمعجمة حركته وضربت به ، والبيجاد : الكساء ، ومقنع : متغش به ، وأراد عقاباً ؛ لأن في عجزها بياضا ، ويقال : لأنها شديدة الداريتين .

و ينظر أيضاً إلى قول امرئ القيس قبله :

كَأَنَّ تَمِيرًا فِي عَرَانِينَ وَبِلَهٍ كَبِيرٍ أَنَاسٍ فِي بَجَادٍ مُزَمِّلٍ  
وقال عبد الله بن الزبير الأسدي في تشبيه رأس القطاة :

تَقَلَّبُ لِلْإِصْفَاءِ رَأْسًا كَأَنَّهَا يَتِيمَةٌ جَوَزَ أَغْبَرَتَهَا الْمَسْكَاسِرُ

وفي الشعر من هذا صدر جيد ، وفي القرآن تشبيه كثير كقوله تعالى : ( والقمير قدرناها منازل حتى عاد كالعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ) وقوله تعالى : ( والذين كفروا أعمالهم كسرابٍ بَقِيعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ) وقوله : ( وإذا غَشِيَهُمْ مَوِجٌ كَالظُّلَلِ ) وقوله : ( كأنهم جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ) ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم « الناس كأسنان المشط ، وإنما يتفاضلون بالعافية » وقال « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » وكثير من هذا يطول تفصيله .

وقد أتت القدماء بتشبيهات رغب المولدون إلا القليل عن مثلها استبشاعاً لها ، وإن كانت بديمة في ذاتها ، مثل قول امرئ القيس :

وَتَمَطُّوْا بِرَحْصٍ غَيْرِ شَتْنٍ كَأَنَّهُ أَسَارِيعُ ظُبْيٍ أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْجَلٍ<sup>(١)</sup>

فالبنانة لا محالة شبيهة بالأسروعة ، وهي دودة تكون في الرمل ، وتسمى جماعتها بنات النقا ، وإياها عنى ذو الرمة بقوله :

حَرَائِبُ أَمْثَالُ كَأَنَّ بَنَانَهَا بَنَاتُ النَّقَا تَخْفَى مِرَارًا وَتُظْهِرُ  
وهي كأحسن البنان : ليناً ، وبياضاً ، وطولاً ، واستواء ، ودقة ، وحمرة رأس ، كأنه ظفُرٌ قد أصابه الحناء ، وربما كان رأسها أسود ، إلا أن نفس الحصري المولد إذا سمعت قول أبي نؤاس في صفة الكاس :

(١) تمطو : تناول . برحص : أراد به بنانا رخصا لنا ، غير شتن : ليس يحسن . أ- اريع : دود صغار ، ظبي : اسم رملة بعينها ، إسجل : شجر تتخذ من عروقه مساويك كالأراك .

تُعَاطِيكُمَا كَفٌّ كَأَنَّ بَنَاتَهَا إِذَا اعْتَرَضَتْهَا الْعَيْنُ صَفٌّ مَدَارِي  
أَوْ قَوْلَ عَلِيِّ بْنِ الْعَبَّاسِ الرَّوْمِيِّ :  
سَقَى اللَّهُ قَصْرًا بِالرَّصَافَةِ شَأْفَنِي بِأَعْلَاهُ قَصْرِي الدَّلَالِ رَصَافِي  
أَشَارَ بِقُضْبَانٍ مِنَ الدُّرِّ قُمَعَتَ يَوَاقِيتَ حُمْرًا فَاسْتَبَاحَ عَفَافِي  
أَوْ قَوْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِ :

أَسْرَنَ عَلَى خَوْفٍ بِأَغْصَانٍ فُضِّتِ مُقَوِّمَةٍ أُنْمَارُهُنَّ عَقِيقُ  
كَانَ ذَلِكَ أَحَبَّ إِلَيْهَا مِنْ تَشْبِيهِ الْبَنَانِ بِالْدُودِ فِي بَيْتِ امْرِئِ الْقَيْسِ ، وَإِنْ  
كَانَ تَشْبِيهِهُ أَشَدَّ إصَابَةً . وَفِي قَوْلِ الطَّائِي أَبِي تَمَامَ :  
بَسَطَتْ إِلَيْكَ بَنَانَةً أَسْرُوعًا تَصِفُ الْفِرَاقَ وَمُقَلَّةً يَنْبُوعًا  
وَقَرَّبَ هَذَا عَقْدَهُ وَهُوَ مَدَحٌ مِنْ قَوْلِ حَسَنِ فِي الْمَجْنُونِ :

وَأُمُّكَ سَوْدَاهُ نُوبِيَّةٌ كَأَنَّ أُنَامِلَهَا الْخُنْطُبُ (١)

إِذَا كَانَا جَمِيعًا مِنْ خَشَاكِشِ الْأَرْضِ . فَأَمَّا قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ \* أَوْ مَسَاوِيكَ  
لِإِسْحَاقَ \* فَجَارٍ مَجْرَى غَيْرِهِ مِنْ تَشْبِيهِاتِهِمْ ؛ لِأَنَّهُمْ يَصِفُونَهَا بِالْعَسَمِ وَالْأَقْلَامِ  
وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَالْبَنَانُ قَرِيبُ الشَّجَرِ مِنْ أَعْوَادِ الْمَسَاوِيكَ : فِي الْقَدْرِ ، وَالِاسْتِوَاءِ ،  
وَالِامْلَاسِ ، إِلَّا أَنَّ الْأَوَّلَ عَلَى كَرَاهَتِهِ أَشْبَهَ بِهَا ، وَالْإِسْحَاقُ : شَجَرُ الْخَيْطِ ،  
وَقَدْ اسْتَبْشَعَ قَوْمٌ قَوْلَ الْآخِرِ يَصِفُ رَوْضًا :

كَأَنَّ شَقَائِقَ النَّعْمَانِ فِيهِ ثِيَابٌ قَدْ رَوَيْنَ مِنَ الدَّمَاءِ

فَهَذَا وَإِنْ كَانَ تَشْبِيْهَا مُصِيبًا فَإِنَّ فِيهِ بَشَاعَةً ذَكَرَ الدَّمَاءَ ، وَلَوْ قَالَ مِنَ الْعَصْفَرِ  
مِثْلًا أَوْ مَا شَاكَهُ لَكَانَ أَوْقَعَ فِي النَّفْسِ وَأَقْرَبَ إِلَى الْإِنْسَانِ .  
وَكَذَلِكَ صَفَّتْهُمْ الْخَمْرُ فِي حَبَابِهَا بِسَلَخِ الشَّجَاعِ وَمَا جَرَى هَذَا الْمَجْرَى مِنَ التَّشْبِيْهِ ،

(١) الخنطوب : دابة مثل الخنفساء ، وفيل : هو صرب من الخنافس طويلة



فإنه وإن كان مصيباً لعين الشبه فإنه غير طيب في النفس، ولا مستقر على القلب ،  
ومن ذلك قول أبي عون السكّاتب :

تلاعبها كفّ المزاج محبة لها، وليجري ذات بينهما الأُنسُ  
فتزبدُ من تيه عليها كأنها غريرة خذرٍ قد تخبّطها المَسُ  
فلو أن في هذا كل بديع لكان مقيتاً بشعاً ، ومن ذا يطيبُ له أن يشرب  
شيئاً يشبه بزبدِ المصروع وقد تخبّطه الشيطان من المس ؟ !

وكأنى أرى بعض من لا يحسن إلا الاعتراض بلا حجة قد نعى على هذا  
المذهب ، وقال : رد على امرئ القيس ، ولم أفلح ، ولكني بينت أن طريق العرب  
القدماء في كثير من الشعر قد خولفت إلى ما هو أليق بالوقت وأشكل بأهله .  
وقد عاب الأصمعي بين يدي الرشيد قول النابغة :

نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا نَظَرَ السَّقِيمِ إِلَى وَجْهِ الْعُودِ  
على أنه تشبيه لا يلحق ، ولا يشق غبار صاحبه ، ولم يجد فيه المطنع إلا  
بذكر السقيم ؛ فإنه رغب عن تشبيه المحبوبة به ، وفضّل عليه قول عدى بن  
الرقاع العاملي :

وكانها وسط النساء أعارها عَيْنِيهِ أَخَوَرُ مِنْ جَاذِرِ جَاسِمِ  
وَسَنَانُ أَقْصَدُهُ الثُّعَاسُ فَرَنْقَتَ فِي عَيْنِيهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ  
وأجري الناسُ هذا المجرى قولَ صريع الغواني على أنه لم يقع لأحد مثله ،

وهو :

فَلَطَّتْ بِأَيْدِيهَا ثِمَارَ نُحُورِهَا كَبَايِدِ الْأَسَارَى أَثْقَلَتْهَا الْجَوَامِعُ (١)  
فهذا تشبيه مصيب جداً ، إلا أنهم عابوه بما بينت ، وإنما أشار إلى قول

النابغة :

(١) الجوامع : الأكبال ، قال النابغة :

وذلك أمر لم أكن لأقوله ولو جمعت في ساعدى الجوامع

[ و ] يَخْطِطْنَ بِالْعِيدَانِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ وَيَخْبَأْنَ رُفَّانَ الثَّدْيِ النَّوَاحِدِ  
ومثله قول أبي محجن النقي في وصف قينة :

[ و ] تَرْفَعُ الصَّوْتِ أَحْيَانًا وَتَخْفِضُهُ كَمَا يَطْنُ ذُبَابُ الرُّوضَةِ الْقَرْدُ  
فأى قينة تحب أن تشبه بالذباب ؟ وقد سرق بيت عنتره وقلبه فأفسده .

#### ٤١ — باب الإشارة

منزلة الإشارة والإشارة من غرائب الشعر وملحه ، وبلاغة عجيبة ، تدل على بعد المرمى وفُرط المقدرة ، وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرز ، والهاذق الماهر ، وهى فى كل نوع من الكلام لمحة دالة ، واختصار وتلويح يعرف بمجلا ومعناه بعيد من ظاهر لفظه ؛ فمن ذلك قول زهير :

فإني لو لقيتــــــــــــــــك واتَّجَّهْنَا لَكَ لِكُلِّ مُنْكَرَةٍ كِفَاءُ<sup>(١)</sup>  
فقد أشار له بقبح ما كان يصنع لو لقيه ، هذا عند قدامة أفضل بيت فى الإشارة . . وقول الآخر :

جَعَلْتُ يَدَيَّ وَشَا حَا لَهْ وَبَعْضُ الْفَوَارِسِ لَا يَمْتَنِقُ

وهذا النوع من الشعر هو الوخى عندهم . . وأنشد الخاتمي عن علي بن هارون عن أبيه ، عن حماد ، عن أبيه إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

جعلنا السيفَ بينَ أَخْلَدٍ مِنْهُ وَبَيْنَ سَوَادٍ لِمَتِّهِ عُنْدَارَا

(١) رواية البيت فى الديوان هكذا :

وإني لو لقيتك فاجتمعنا لكان لكل مندية لقاء

والندية : الداهية التى تندى صاحبها عرفا لشدها ، ولقاء أى : شىء تلاقى به حتى يصلح الله أمرها .

فأشار إلى هيئة الضربة التي أصابه بها دون ذكرها إشارة لطيفة دلت على  
كيفيةها ، وإنما وصف أنهم ضربوا عنقه ، وروى \* بين الجيد \* ومثله  
قول الآخر :

وَيَوْمَ يُبْدِلُ النِّسَاءَ الدِّمَاءَ جَعَلَتْ رِءَاكَ فِيهِ خِثَارًا  
يريد بالرداء الحسام كما قال مُتَمِّمُ بْنُ نُؤَيْرَةَ :

لَقَدْ كَفَّنَ الْمُنْهَالُ تَحْتَ رِءَاثِهِ فَنِي غَيْرَ مِبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعًا  
وقوله إنه جعله خواراً أى قنعت به الفرسان ، وأشار بقوله \* يُبْدِلُ النِّسَاءَ  
الدِّمَاءَ \* إلى وضع الحوامل من شدة القزع .

ومما جاء من الإشارة على معنى التشبيه قول الراجز يصف لبناً مـذوقاً  
مما جاء من  
الإشارة على  
معنى التشبيه  
\* جَاءُوا بِمَذْقِ هَلْ رَأَيْتَ الذُّنْبَ قَطْ \*  
فإنما أشار إلى تشبيه لونه ؛ لأن الماء غلب عليه فصار كلون الذنوب .

ومن أنواع الإشارة التفعيم والإيماء ؛ فأما التفعيم فكقول الله تعالى :  
التفعيم والإيماء  
( القارعة ما القارعة ) وقد قال كعب بن سعد الغنوي :

أَخِي مَا أَخِي لَا فَاخِشْ عِنْدَ بَيْتِهِ وَلَا وَرِعْ عِنْدَ الْفَاءِ هَيُوبُ  
وأما الإيماء فكقول الله عز وجل : ﴿ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَآغِشُهُمْ ﴾ فأومأ إليه  
وترك التفسير معه . وقال كثير :

تَجَافَيْتَ عَنِّي حِينَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَخَلَفْتَ مَا خَلَفْتَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ  
فقوله \* وخلفت ما خلفت \* إيماء مليح . . ومثله قول ابن ذريح :

أَقُولُ إِذَا نَفَسَى مِنَ الْوَجْدِ أَصْعَدْتُ بِهَا زَفْرَةً تَعْتَادُنِي هِيَ مَا هِيَ  
ومن أنواعها التعريض : كقول كعب بن زهير لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

وَفِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَتْ لَهُمْ بِبَطْنِ مَسْكَةٍ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا  
ويعرض بعمر بن الخطاب — وقيل : بأبي بكر رضى الله عنهما ، وقيل :

برسول الله صلى الله عليه وسلم — تعرض مدح ، ثم قال :

يَمْشُونَ مَشَى الْجَمَالِ الرَّهْرِ يَعْصِمُهُمْ ضَرْبٌ إِذَا عَرَدَ الشُّوْدُ التَّنَابِيلُ  
 فقيل : إنه عرض في هذا البيت بالأنصار ، فغضبت الأنصار ، وقال  
 المهاجرون : لم تمدحنا إذ ذمتهم ، حتى صرح بمدحهم في أبيات يقول فيها :  
 مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ فِي مِقْتَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ  
 ومن مليح التعريض قول أيمن بن خريم الأسدي لبشر بن مروان يمدحه  
 ويعرض بكلف كان بوجه أخيه عبد العزيز حين نفاه من مصر على يد نصيب  
 الشاعر مولاة :

كَأَنَّ التَّاجَ تَاجَ بَنِي هِرَقْلٍ جَلَوَهُ لِأَعْظَمِ الْأَعْيَادِ عِيداً  
 يُصَافِحُ خَدَّ بَشِيرٍ حِينَ يُمَسَى إِذَا الظُّلَمَاءُ بَاشَرَتِ الْخُلْدُودَا

فهذا من خفي التعريض ؛ لأنه أوهم السامع أنه إنما أراد المبالغة بذكر الظلماء  
 لاسيما وقد قال \* حين يمسى \* وإنما أراد الكلف ، هكذا حكى الرواة .  
 ومن أفضل التعريض ما يحل عن جميع الكلام قول الله عز وجل : ( ذُقْ  
 إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ السَّكْرِيُّ ) أى : الذى كان يقال له هذا أو يقوله ، وهو أبو  
 جهل ؛ لأنه قال : ما بين جبلية - يعنى مكة - أعز منى ولا أكرم ، وقيل : بل  
 ذلك على معنى الاستهزاء به .

التلويح

ومن أنواعها التلويح ، كقول المجنون قيس بن معاذ العامري :  
 لَقَدْ كُنْتُ أَعْلُو حُبِّ آيِلِي فَلَمْ يَزَلْ (١) بِي النَقْضُ وَالْإِبْرَامُ حَتَّى عَلَانِيَا  
 فلوح بالصحة والسكران ثم بالسقم والاشتهار تلويحاً عجيباً ، وإياه قصد أبو  
 الطيب بعد أن قلبه ظهراً لبطن فقال :  
 كَتَمْتُ حُبَّكَ حَتَّى مِنْكَ تَكْرِمَةٌ ثُمَّ اسْتَوَى فَيْكَ إِسْرَارِي وَإِعْلَانِي

(١) يروى \* لقد كنت أعلو الحب حيناً فلم يزل \*

لأنه زَادَ حَتَّى فَاضَ عَنْ جَسَدِي فَصَارَ سُقْمِي بِهِ فِي جِسْمِ كِتَابِي  
إِلَّا أَنَّهُ أَخْفَاهُ وَعَقَدَهُ كَمَا تَرَى ، حَتَّى صَارَ أَحْجَبِيَّةً يَتَلَقَّاهَا النَّاسُ .

وَمِنْ أَجْوَدِ مَا وَقَعَ فِي هَذَا النُّوعِ قَوْلُ النَّابِغَةِ يَصِفُ طَوْلَ اللَّيْلِ :  
تَقَاعَسَ حَتَّى قُلْتُ : لَيْسَ بِمُنْقَضٍ وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ بِآيِبٍ <sup>(١)</sup>  
« الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ » يَرِيدُ بِهِ الصَّبْحَ ، أَقَامَهُ مَقَامَ الرَّاعِي الَّذِي يَعْدُو  
فِيذْهَبُ بِالْإِبِلِ وَالْمَاشِيَةِ ؛ فَيَكُونُ حِينَئِذٍ تَلْوِيحُهُ هَذَا عَجْبًا فِي الْجُودَةِ ، وَأَمَّا مَنْ  
قَالَ : إِنْ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ إِنَّمَا هُوَ الشَّاعِرُ الَّذِي شَكَا السَّهَرَ وَطَوْلَ اللَّيْلِ ؛ فَلَيْسَ  
عَلَى شَيْءٍ . وَزَعَمَ قَوْمٌ أَنَّ الْآيِبَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاللَّيْلِ خَاصَّةً ، ذَكَرَهُ عَبْدُ الْكَرِيمِ .  
وَمِنْ أَنْوَاعِ الْإِشَارَاتِ الْكُنْيَاةِ وَالتَّمثِيلِ ، كَمَا قَالَ ابْنُ مَقْبِلٍ — وَكَانَ جَافِيًا  
فِي الدِّينِ : يَبْكِي أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ وَهُوَ مُسْلِمٌ ، فَقِيلَ لَهُ مَرَّةً فِي ذَلِكَ — فَقَالَ :

وَمَالِي لَا أَبْكِي الدِّيَّارَ وَأَهْلَهَا وَقَدْ رَادَهَا رُؤُودُكَ عَنَّا وَخَيْرًا  
وَجَاءَ قَطَا الْأَحْبَابِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَوَقَعَ فِي أُعْطَانَا ثُمَّ طَيَّرَا  
فَكَسَى عَمَّا أَحْدَنَهُ الْإِسْلَامَ وَمِثْلَ مَا تَرَى .

وَمِنْ أَنْوَاعِ الرِّمَزِ : كَقَوْلِ أَحَدِ الْقَدَمَاءِ يَصِفُ امْرَأَةً قَتَلَ زَوْجَهَا وَسَبَّيَتْ :  
عَقَدْتُ لَهَا مِنْ زَوْجِهَا عَدَدَ الْحَصَى مَعَ الصَّبْحِ أَوْ مَعَ جُنْحِ كُلِّ أَصِيلٍ  
يَرِيدُ أَنْيَ لَمْ أُعْطِهَا عَقْلًا وَلَا قَوْدًا بِزَوْجِهَا ، إِلَّا اللَّهُمَّ الَّذِي دَعَا إِلَى عَدِّ  
الْحَصَى ، وَأَصْلُهُ مِنْ قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ :

ظَلَلْتُ رِدَائِي فَوْقَ رَأْسِي فَاعْدَا أَعْدَا الْحَصَى مَا تَنْقُضِي عَهْدِي <sup>(٢)</sup>

(١) فِي رِوَايَةِ الدِّيَوَانِ \* تَطَاوَلَ حَتَّى . . . . . وَابَسَ الَّذِي يَهْدِي

النُّجُومَ . . . . \*

(٢) يَرِيدُ أَنَّهُ لَمَّا عَشَى دِيَارَ الْحَى فَلَمْ يَحِدْ أَحَدًا وَضَعَ رِدَاءَهُ فَوْقَ رَأْسِهِ  
وَحَلَسَ مَعْكَرًا يَمُدُّ الْحَصَى وَدُمُوعَهُ لَا تَرَقَّى .

ومن مליح الرمز قول أبي نواس يصف كؤوساً ممزوجة فيها صور منقوشة :

قَرَّارُهَا كَسْرَى، وَفِي جَنْبَاتِهَا مَهَا تَدْرِيبُهَا بِالْقَيْسِ الْفَوَّارِسُ  
فَللْخَمْرِ مَا زُرَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبُهَا وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ

يقول : إن خَدَّ الخمر من صُور هذه الفوارس التي في الكؤوس إلى التَّرَاقِي والتُّخُور ، وزد الماء فيها مزاجاً ، فانتهى الشراب إلى فوق رءوسها ، ويجوز أن يكون انتهاء الحَبَاب إلى ذلك الموضع لما مزجت فأزادت ، والأول أَمْلَح ، وفائدته معرفة حدها صرفاً من معرفة حدها ممزوجة ، وهذا عندهم مما سَبَقَ إليه أبو نواس ، وأرى — والله أعلم — أنما تحلق على المعنى من قول امرئ القيس :

فَلَمَّا اسْتَطَابُوا صُبَّ فِي الصَّحْنِ نِصْفُهُ وَوَافَى بِمَاءٍ غَيْرِ طَرَقٍ وَلَا كَدِرٍ<sup>(١)</sup>  
ويروى « ووافوا » وإياه أردت ، ويروى « استظلوا » من الظل مكان « استطابوا » : جعل الماء والشراب قسمين لقوة الشراب ، فتسلَّق الحسنُ عليه<sup>(٢)</sup> ، وأخفاه بما شغل به الكلام من ذكر الصورة المنقوشة في الكؤوس ، إلا أنها سرقة ظريفة مليحة ، ولم يكن أبو نواس يرضى أن يتعلق بمن دون امرئ القيس وأصحابه .

وأصل الرمز الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم ، ثم استعمل حتى صار الإشارة وقال الفراء : الرمز بالشفيتين خاصة .

ومن الإشارات اللَّمَّحَة ، كقول أبي نواس يصف يوماً مطيراً :

اللمحة

(١) استطابوا : أخذوا أطيب الماء وأعده ، والصحن : قدح كبير ، ويروى \* وشجت بماء \* أى : مزجت ، وغير طرق : لم تطرقه الإبل لتبول فيه ، فهو يريد أنه نظيف نقي لا كدر فيه ، وبعد هذا البيت قوله :

بماء سحاب زل عن متن صخرة إلى بطن أخرى طيب ماؤها خصر  
(٢) الحسن : هو أبو نواس .

وَشَمْسُهُ حُرَّةٌ مُخَدَّرَةٌ لَيْسَ لَهَا فِي سَمَائِهَا نُورٌ

فقوله «حرة» يدل على ما أراد في باقي البيت ؛ إذ كان من شأن الحرة الخُفَرُ والحياء ، ولذلك جعلها مخدرة، وشأن القيان والملوكات التبذل والتبرج، وأما زعم مَنْ زَعَمَ أن قوله «حرة» إنما يريد خلوصها كما تقول : هذا العَلَقُ من حُرِّ المتاع ؛ فخطأ ؛ لأن الشاعر قد قال : «ليس لها في سمائها نور» فأى خلوص هناك ؟ وكذلك قول حسان ويكون أيضاً تنبيهاً :

أَوْلَادُ جَنْفَنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ

يريد أنهم ملوك ذوو حاضرة ومُسْتَقَرٌّ عز ، ليسوا أصحاب رحلة وانتجاع .  
ومن أخفى الإشارات وأبعدها اللغز ، وهو : أن يكون للكلام ظاهر عجب لا يمكن ، وباطن ممكن غير عجب ، كقول ذي الرمة يصف عين الإنسان :  
وأصغر من قَسْبِ الْوَلِيدِ تَرَى بِهِ بَيوتاً مبناة وأوديةً قَفَرًا  
فالباء في «ه» للالصاق كما تقول «لمسته يدي» أى : ألصقتها به وجعلتها آلة اللمس ، والسامع يتوهمها بمعنى فى ، وذلك ممتنع لا يكون ، والأول حسن غير ممتنع ومثله قول أبى المقدام :

وَعَلَامٍ رَأَيْتَهُ صَارَ كَلْبًا ثُمَّ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ صَارَ غَزَالًا

فقوله : «صار» إنما هو بمعنى عطف وما أشبهه من قول الله عز وجل : (تخذ أربعة من الطير فصرهن إليك) ، ومستقبله يَصُورُ ، وقد قيل «يصير» وهى لغة قليلة ، وليس صار التى هى من أخوات كان مستقبلها يصير فقط ومعناها استقر بعد تحول

واشتقاق اللغز من ألغز اليربوع والغز ، إذا حفر لنفسه مستقيماً ثم أخذ يمتد ويسر ، يورى بذلك ويعمى على طالبيه .

ومن الإشارات اللحن ، وهو كلام يعرفه المخاطب بفحواه ، وإن كان على اللحن

غير وجهه ، قال الله تعالى : ( ولتعرفنهم في لحن القول ) وإلى هذا ذهب الخذّاق في تفسير قول الشاعر :

مَنْهَلَقُ صَائِبٌ تَلَحَّنَ أَحْيَا نَا، وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا

ويسميه الناس في وقتنا هذا المحاجة لدلالة الحجا عليه . وذلك نحو قول الشاعر يحذر قومه :

خَلَوْا عَلَى النَّاقَةِ الْحَمَاءِ أَرْضُ حُلُكُمُ      وَالْبَازِلَ الْأَصْهَبَ الْمَعْقُولَ فَاصْطَنِعُوا  
إِنَّ الذَّنَابَ قَدْ اخْضَرَّتْ بَرَائِنُهَا      وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ بَكْرٌ إِذَا شَبِعُوا  
أراد «بالناقاة الحمراء» الدهناء ، و «بالجلل الأصهب» الصمان ، « وبالذئاب » الأعداء ، يقول : قد اخضرت أقدامهم من المشي في السكلا والخصب ، والناس كلهم إذا شبعوا طلبوا الغزو فصاروا عدواً لكم كما أن بكر بن وائل عدوكم . . ومثل ذلك قول مهلهل لما غدره عبده وقد كبرت سنه وشق عليهما ما يكلفهما من الغارات وطلب الثارات ، فأراد قتله ، فقال : أوصيكما أن ترويا عن بيت شعر ، قالاً : وما هو ؟ قال :

مَنْ مُبْلِغُ الْحَيِّينَ أَنْ مَهْلَهْلَا      اللَّهُ دَرَكَا وَدَرِ أَيْيَكَا

فلما زعما أنه مات قيل لهما : هل أوصى بشيء ؟ قالاً : نعم ، وأنشدا البيت المتقدم ، فقالت ابنته : عليكم بالعبدین فإنما قال أبي :

مَنْ مَبْلَغُ الْحَيِّينَ أَنْ مَهْلَهْلَا : أَمْسَى قَتِيلًا بِالْفَلَاةِ مَجْدَلَا

لِلَّهِ دَرَكَا وَدَرِ أَيْيَكَا      لَا يَبْرَحُ الْعَبْدَانِ حَتَّى يَقْتَلَا

فاستقرّوا العبدین فأقرا أنهما قتلاه ، ورويت هذه الحكاية لمرقش .

وسبيل الحاجة أن تكون كالتعريض والكناية ، وكل لغز داخل في الأحاجي ، وقد حاجني شيخنا أبو عبد الله بعض تلاميذه فقال له :

أَحَاجِيكَ عَبَادُ كَرْيَنْبٍ فِي الْوَرَى      وَلَمْ تَوْتَ إِلَّا مِنْ حَجِيمٍ وَصَاحِبِ



فأجابه التلميذ بأن قال :

سأ كتم حتى ماتمسن مدامعى بما انهل منها من دموع سواكب  
فكان معكوس قول أبى عبد الله « عباد كزىنب » سرك ذائع ، فقال  
الآخر « سأ كتم » فأجابه على الظاهر إجابة حسنة ، ومعكوس سأ كتم « منك  
أتيت » فكأبه قابل به قول الشيخ « ولم تؤت إلا من صديق وصاحب » وهذا  
كله مليح .

ومنها التعمية ، وهذا مثل للطيور وما شا. كله ، كقول أبى نواس :

التعمية

\* واسم عليه خبن للصفاء \*

وما أشبهه ، وهو معنى مشهور .

ومن الإشارات مصحوبة ، وهى عند أكثرهم معيبة كأنها حشو واستعانة من الإشارات  
على الكلام ، نحو قول أبى نواس :

مصحوبة

قال إبراهيم بالما ل كذا غربا وشرقا

ولم يأت بها أبو نواس حشواً ، ولكن شطارة وعبتاً بالكلام ، وإن شئت  
قلت بياناً وتثقيفاً ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو  
ابن العاص : « وكيف بك إذا بقيت فى حُثالة من الناس ، قد مرجت عهودهم  
وأمانتهم ، واختلفوا فكانوا هكذا ؟ وشبك بين أصابع يديه » ، ولا أحد أفصح  
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أبعد كلاماً منه من الحشو والتكلف .

وقالوا : مبلغ الإشارة أبلغ من مبلغ الصوت ، فهذا باب تتقدم الإشارة  
فيه الصوت ، وقيل : حسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان ،  
جاء بذلك الرماني نصاً ، وقاله الجاحظ من قبل ، وأخذ على بعض الشعراء  
فى قوله <sup>(١)</sup> :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة مذعور ولم تتكلم

(١) هالمر بن أبى ربيعة الخزوى

فأيقنت أن الطرف قد قال : مرحباً وأهلاً وسهلاً بالحبيب المقيم  
إذ كان هذا كله مما لا تحمله إشارة خائف مذعور .  
ولما أقام معاوية الخطباء لبيعة يزيد قام رجل من ذى السكلاع فقال : هذا  
أمير المؤمنين ، وأشار بيده إلى معاوية ، فإن مات فهذا ، وأشار إلى يزيد ، فنن  
أبى فهذا ، وأشار إلى السيف ، ثم قال :

مُعاويةُ الخليفةُ لا نأرى      فإن يهلك فسائسنا يزيد  
فن غلب الشقاء عليه جهلاً      تحكم في مفارقة الحديده

وقد جاء أبو نواس بإشارات أحر لم تجر العادة بمثلها ، وذلك أن الأمين  
ابن زبيدة قال له مرة : هل تصنع شعراً لا قافية له ؟ قال : نعم ، وصنع من  
فوره ارتجالاً :

ولقد قلت للمليحة قولي      من بعيد لمن يحبك : ( إشارة قبلة )  
فأشارت بمعصم ثم قالت      من بعيد خلاف قولي : ( لا لا )  
فتنفست ساعة ثم إلى      قلت للبغل عند ذلك : ( امش )

فتمعجب جميع من حضر المجلس من اهتدائه وحسن تأتبه ، وأعطاه الأمين  
صلة شريفة .

## الحذف

ومن الإشارات الحذف ، نحو قول نعيم بن أوس يخاطب امرأته :  
إن شئت أشرفنا جميعاً فدعاً      الله كل جهده فأستمعاً  
بالخير خيراً وإن شراً فإ      ولا أريد الشر إلا أن تا  
كذا رواه أبو زيد الأنصاري ، وساعده من المتأخرين علي بن سليمان الأخفش ،  
وقال : لأن الرجز يدل عليه ، إلا أن رواية النحويين « وإن شراً فإ » و « إلا  
أن تا » قالوا : يريد وإن شراً فشر ، وإلا أن تشأى .. وأنشدوا :

ثم تَنَادَوْا بعد تلك الضوضا مهمم بهات وهل ويايا  
نادى مُنَادٍ منهم أَلَا تَا قالوا جميعاً كلهم بَلَى فَا  
وأشد الفراء :

\*قُلْتُ لها : قومي ، فقالت : قاف\*

يريد قد قمت .

التورية

ومن أنواعها التورية كقول عُلَيَّة بنت المهدي في طَلِّ الخادم :  
أَيَا سَرَحَةَ البستان طَال تَشَوِّقِي فهل لي إلى ظِلِّ إِلَيْكَ سَبِيل  
مَتَى يَشْتَفِي نَـنْ أَيْسَ يُرْجَى خروجه وليس لمن يَهْوَى إِلَيْهِ دخول ؟  
فَوَرَّتْ بظِلِّ عن طَلِّ ، وقد كانت تَجِدُّ به ، فمنعه الرشيد من دخول القصر ،  
ونهاها عن ذكره ، فسمعها مرة تقرأ : ( فَإِنْ لَمْ يَصْبِهَا وَاوَل ) فما نهى عنه أمير  
المؤمنين ، أَيْ ( فَطَلَّ ) فقال : ولا كل هذا .

وأما التورية في أشعار العرب فإنما هي كناية : بشجرة ، أو شاة ، أو بيضة ،  
أو ناقة ، أو مهرة ، أو ما شا كل ذلك كقول المسيَّب بن عَلس :  
دَغَا شَجَرَ الأرض داعيهمُ لينصره السَّدْرُ والأَثَابُ  
فكسى بالشجر عن الناس ، وهم يقولون في الكلام للنشور : جاء فلان  
بالشوك والشجر ، إذا جاء بجيش عظيم .

وكان عمر رضي الله عنه -- أو غيره من الخلفاء -- قد حظر على الشعراء ذكر  
النساء ، فقال حميد بن ثور الهلالي :

نَجْرَمَ أَهْلُهَا لَأَنْ كُنْتُ مشعراً جنوباً بها ، يَطُولُ هذا التجرم  
ومالٍ من ذنب إليهم علمته سوى أنني قد قلت يَا سَرَحَةَ اسلمى  
بلى واسمى ثم اسلمى نُمْتُ اسلمى ثلاث تحيات وإن لم تَسْكَمْ  
وقال أبطحاً في مثل ذلك :

أَبَى الله إِلَّا أَنْ سَرَحَةَ مَالِكٍ على كل أفنان العَصَاء تروق

فيا طيبَ رِيَّاهَا ، وَيَا بَرْدَ ظِلِّهَا  
فهل أنا إن عَلَّتْ نَفْسِي بِسَرِّحَةٍ  
حَتَّى ظَلَمْتُ شَكْسَ الْخَلِيقَةِ خَائِفٍ  
يريد بذلك بَعْلَهَا أَوْ ذَا مَحْرَمِهَا  
فَلَا الظِّلَّ مِنْ بَرْدِ الضَّمْحَى سَتَّطِيعُهُ  
وقال عنبرة العبسي :

يَا شَاةَ مَا قَنَصِي لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ حَرُمْتُ عَلَى وَلَيْتَهَا لَمْ تَحْرُمِ  
وإنما ذكر امرأة أبيه ، وكان يهواها ، وقيل : بل كانت جاريتها ؛ فلذلك  
حرمها على نفسه ، وكذلك قوله :

\* والشاة ممكنة لمن هو مرتضى \*

والعرب تجعل المَهَاةَ شاة ؛ لأنها عندهم ضائنة الأطباء ، ولذلك يسمونها نَمِجَةً ،  
وعلى هذا المتعارف في السكناية جاء قولُ الله عز وجل في إخباره عن خُصَمِ داود  
عليه السلام : ( إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَمِجَةً وَلِيَ نَمِجَةً وَاحِدَةً ) كناية  
بالنَمِجَةِ عن المرأة ، وقال امرؤ القيس :

وَبَيْضَةِ خِذْرِ لَا يُرَامُ خِيَاؤُهَا تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوِهَا غَيْرَ مُعْجَلٍ  
كناية بالبيضة عن المرأة . . . وروى ابن قتيبة أن رجلا كتب إلى عمر بن  
الخطاب رضى الله عنه :

أَلَا أَبْلُغُ أَبَا حَقِصٍ رَسُولًا فِدَى لَكَ مِنْ أَخِي ثِقَةً إِذَا زَارَى  
فَلَا تُصْنَاهُ هَذَاكَ اللَّهُ ، إِنَا شَغَلْنَا عَنْكُمْ زَمَنَ الْحَصَارِ  
فَمَا قُلُوصُ وَجِدْنِ مَعْقَلَاتٍ قَفَا سَلَعٍ بِمُخْتَلَفِ النِّجَارِ

يَعْقِلُهُنَّ جَعْدَةً شَيْظَمِيٌّ وَيُسُّ مُعْقَلُ الذَّوْدِ الظُّوَارُ<sup>(١)</sup>

وإمّا كنى بالقُلص - وهى النوق الشواب - عن النساء ، وعَرَضَ رجل يقال له « جعدة » كان يخالف إلى اللغيبات من النساء ، ففهم عمر ما أراد ، وجلد جعدة ونفاه .

ومن الكناية اشتقاق الكنية ؛ لأنك تَكْنِي عن الرجل بالأبوة ، فتقول : أبوفلان ، باسم ابنه ، أو ما تعرف في مثله ، أو ما اختار لنفسه ؛ تعظيما له وتعفيا ، وتقول ذلك للصبي على جهة التفاؤل بأن يعيش ويكون له ولد .

قال المبرد وغيره : الكناية على ثلاثة أوجه : هذا الذى ذكرته آنفا أحدها ، الكناية ثلاثية والثانى : التعمية والتعطية التى تقدم شرحها ، والثالث : الرغبة عن اللفظ الخسيس **أضرب** كقول الله عز وجل : ( وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ) فإنها فيما ذكر كناية عن الفروج . ومثله فى القرآن وفى كلام الفصحاء كثير .

## (٤٢) - باب التنبيع

ومن أنواع الإشارة التنبيع ، وقوم يسمونه الجاوز ، وهو : أن يريد الشاعر **حد التنبيع** ذكر الشيء فيتجاوز ، ويذكر ما يتبعه فى الصفة وينوب عنه فى الدلالة عليه ، وأول من أشار إلى ذلك امرؤ القيس يصف امرأة :  
وَيُضْحِي فَتَيْتُ الْمِسْكِ فَوْقَ فَرَاشِهَا نَزُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفْصِيلِ  
فقوله « يضحى فتيت المسك » تنبيع ، وقوله « نزوم الضحى » تنبيع ثان ، وقوله « لم تنتطق عن تفصيل » تنبيع ثالث ، وإمّا أراد أن يصفها بالترفة ، والنعمة ،

(١) شَيْظَمِيٌّ : الشيطان الطويل ، وقيل : الجسيم ، والياء زائدة . وقيل : الشيطان الطاقى الهش الوجه الذى لا انقباض له اه عن اللسان .

وقلة الامتحان في الخدمة ، وأنها شريفة مكفية المؤنة ، فجاء بما يتبع الصفة ويدل عليها أفضل دلالة .. ونظيره قول الأخطل يصف نساء :

لَا يَصْطَلِينَ دُخَانَ النَّارِ شَاتِيَةً إِلَّا بِعُودٍ يَلْنَجُوجُ عَلَى فَحْمٍ

فذكر أنهم ذوات تملك وشرف حال . وأين من هذا قول النابغة في معناه

وقصده :

لَيْسَتْ مِنَ السُّودِ أَغْقَابًا إِذَا انْصَرَفَتْ وَلَا تَبِيعُ بِجَفْنِي نَخْلَةَ الْبُرْمَا<sup>(١)</sup>

كأنها إن لم تكن سوداء العقين ببيعة للبرم كانت في نهاية الحسن والشرف والدعة .

وقال النابغة وأراد أن يصف طول العنق وتمام الخلقه فيها فذكر القرط ؛ إذ كان مما يتبع وصف العنق ، ولم يسبقه إلى ذلك أحد من الشعراء :

إِذَا ارْتَمَشَتْ خَافَ الْجُبَّانُ رَعَايَهَا وَمَنْ يَتَعَلَّقُ حَيْثُ عَلَّقَ يَفْرُقُ<sup>(٢)</sup>

فجعل رعاها يخاف ويفرق ، وعذره ببعده مسقطه ، فتناول هذا المعنى عمر ابن أبي ربيعة فأوضحه بقوله :

بَعِيدَةُ مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لِلنَّوْفَلِ أَبُوهَا ، وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٌ

وتبعه ذو الرمة فزاد المعنى وضوحاً بقوله :

(١) الأعقاب : جمع عقب ، إذا انصرفت : يريد أنها إن انصرفت عنك فنظرت إليها لم تجد عقبها أسود ، بل هي بيضاء ناعمة رخسة القدم ، والعرب تستدل بحسن قدم المرأة على حسن ساثرها ، ويقولون : إذا حسن موقف المرأة حسن ساثرها . ونخلة : بستان عبد الله بن معمر . والبرم : جمع برمة ، وهي قدر النحاس يريد أنها مصونة مخدرة لاتمنهن بخدمة .

(٢) ارتمشت : لبست الرعاش ، وهو القرط .

وَالْقُرْطُ فِي حُرَّةِ الذِّفْرِى مُعَلَّهٌ تَبَاعَدَ الْحَبْلُ مِنْهُ فَهُوَ يَضْطَرِبُ<sup>(١)</sup>

وقال طُفَيْلُ الْغَنَوِيِّ يصف فرساً ، ويروى لغيره :

هَرَيْتَ قَصِيرَ عَذِيرِ اللِّجَامِ أَسِيلٌ طَوِيلٌ عِذَارِ الرَّسَنِ

فلو ترك الهرت والأسالة لكان من هذا الباب ، لكنه الآن لم يقصد التتبيع ، وإنما جاء به كالتوكيد لما قبله ، هذه رواية ابن قتيبة ، وأما رواية النحاس عن شيوخه عن الأصمعي فإنها :

وأحوى قصير عذار اللجام وهو طويل عذار الرسن

وهذا تتبيع لا شك فيه . وأما قول الأخطل :

أَسِيلَةٌ مَجْرَى الدَّمْعِ ، أَمَّا وَشَاحُهَا فَجَارٍ ، وَأَمَّا الْحَبْلُ مِنْهَا فَمَا يَجْرِي

ففيه التتبيع في ثلاثة مواضع ، وهى صفة الخلد بالسهولة ، وصفة الخصر بالركة ، والساق بالغلظ . ومثله قول الأعشى :

صِفْرُ الْوَشَاحِ ، وَمِلءُ الدَّرْعِ ، خَرْعَةٌ إِذَا تَأْتَى يَكَادُ الْخَصْرُ يَنْخَزِلُ<sup>(٢)</sup>

فقوله « صفر الوشاح » دال على رقة الخصر ، « وملىء الدرع » دال على تمام الخلق من طول وسمن وامتلاء صدر وعجيزة ، وكل ما وقع من قولهم : طويل

(١) القرط : من حلى الأذن ؛ قيل : عام ، وقيل : خاص بما كان فى شحمتها فإن كان فى أعلاها فهو الشنف ، بفتح فسكون ، والذفرى : عظم فى أعلى العنق من الإنسان ، وهما ذفران ، عن يمين النقرة وشمالها ، قاله فى اللسان عن القتيبي .

(٢) صفر الوشاح : يريد أنها حميصة البطن دقيقة الخصر ؛ فوشاحها يفلق عنها ويضطرب لذلك ، ملىء الدرع : يريد أنها ضخمة ، خرعة : يروى فى مكانه « بهكنة » والبهكنة : الجارية الخفيفة الروح الطيبة الرائحة المليحة الحلوة . والخرعة : الرخصة اللينة الحسنة الخلق . وتأتى : ترفق ، من قولك : هو يتأتى الأمر ، وقيل : تأتى أى تنهى للقيام ، وأصله بناء بن حذف إحداها ، ينحزل : يتثنى ، وقيل : ينقطع

النَّجَاد ، وكثير الرماذ ، وما يشاكلهما فهو من هذا الباب . وقالت ليلي الأخليلية :  
وُخِرَّقَ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَخَالَهُ وَسَطَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيماً  
أرادت أنه يجذب ويتعلق به للحاجات لجوده وسؤدده وكثرة الناس حوله ،  
وقيل : إنما ذلك لعظم مناكبه ، وهم يحمدون ذلك .

ومن عجيب ما وقع في هذا الباب من التجاوز قول أوس بن حَجَر :  
حَتَّى يَلْفَ نَحِيلَهُمْ وَيُوتَهُمْ لَهَبٌ كُنَاصِيَةِ الْحِصَانِ الْأَشْقَرِ  
أراد الحرب التي هي المقصود بالصفة ، هكذا الرواية الصحيحة ، وبهذا  
التفسير فسرته جلة العلماء وهم الأكثر ، وقال آخرون : بل إنما أغراه بإحراق  
النخل والبيوت فعل ، ولا يكون على هذا الرأي الآخر من هذا الباب .  
ومن التجاوز قول رؤبة بن العجاج يصف حوافر الخيل :  
\* سَوَّى مَسَاجِيَهُنَّ تَقْطِيطُ الْحَقِّقِ \*

أراد أن يشبهها بالمساحي فجعلها أنفسها مساحي ، يريد العظم .  
ومثله قول ابن دريد :

يَدِيرُ إِعْلِيطِينَ فِي مَلُومَةٍ إِلَى لَمُوحَيْنِ بِالْحَاطِظِ الْأَلَايِ  
أراد أن يشبه أذن الفرس بالإعليط - وهو وعاء تمر للرخ - فجعل الأذن  
نفسها إعليطاً ، كما فعل رؤبة في المساحي ، ومثله كثير .  
وما يدخل في باب التجاوز قول النابغة :

تَقْدُّ السَّلَوقُ الْمَضَاعَفَ نَسِجُهُ وَتَوْقُدُ الصُّفَّاحَ نَارَ الْخُبَّاحِ (١)

---

(١) تقد : الضمير المستتر فيه عائد على السيوف التي ذكرها في قوله قبل ذلك :  
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتاب  
والسلوقي : نسبة إلى سلوق ، وهي مدينة بالروم ، وإليها تنسب أجود الدروع



وإنما أراد السلوقيُّ مع ما فيه من الجسد وما تحت لابس زعموا من السرج والفرس ، فعدا عن الجميع ، وجاء بما يتبعه ، ويستغنى به عن ذكره ، إذ<sup>(١)</sup> كانت لا تقد السلوقي إلا أن تقد ما فيه ، ولا تنهى إلى الصفاح على ما فسروا من أنه يريد الفارس بأداته - إلا بعد أن تأتى على السرج والفرس ، على أن من الناس من رد « يوقدن » على الخليل . . وإلى مثل هذا الإفراط ذهب النمر بن تولب في صفة السيف الذى شبه به نفسه فقال :

تظلّ تحفر عنه إن ضربت به بعد الدراعين والساقين والهادى<sup>(٢)</sup>

وروى الخذاق « القينين والهادى » وهو واضح فى المعنى .

ومن التتبع قول زهير :

وَمُلْجِمُنَا مَا إِنْ يَنَالُ قَدَّالَهُ وَلَا قَدَمَاهُ الْأَرْضُ إِلَّا أَنَا مِلُهُ<sup>(٣)</sup>

فأشار إلى طول عنقه وقوائمه بذكر تطاول اللجم إشارة عجيبة ، وتبعه ابن

مقبل فقال :

تَمَطَّيْتُ أُخْلِيهِ الْأَجْبَامَ فَبَذَنِي وَشَخَصِي يُسَامِي شَخَصَهُ وَهُوَ طَائِلُهُ

= وأفضلها ، المضاعف نسجه : أراد الذى نسج حلقتين حلقتين . الصفاح : ما يجعل على الدارع من الحديد ، ونار الجباحب : هو ما اقتدح من شرر النار فى الهواء ، وقيل : ذباب له شعاع بالليل .

(١) فى المصريتين « إذا » وهو تحريف .

(٢) القينان فى رواية الخذاق التى ذكرها المؤلف : مثق قين ، وهو موضع القيد من الفرس ومن كل ذى أربع يكون فى اليدين والرجلين ، والهادى : العنق سميت بذلك لأنها تتقدم على البدن وتهديه .

(٣) ملجمنا : يريد الذى يلجم خيلهم ، وقوله « ما إن ينال قداله » يريد أنه لا يكاد ينال قدال الفرس لطوله ، وقوله « ولا قدماء » هو على تقدير ولا تنال قدماء الأرض ، أى : أنه قد قام على أطراف أصابعه فلا ينال من قدميه الأرض إلا أنامله يرفع نفسه ليدرك قدال الفرس فلا يبلغه .

وإنما تناول زهير هذا المعنى من أبي دؤاد الإيادي ، ويروى لعبد بن ثعلبة الأسدى حيث يقول :

لَا يَكَادُ الطَّوِيلُ يَبْلُغُ مِنْهُ      حيث يثنى على المقص العذار  
وأنا أقول : إن نيت الديباني في الرعاث مأخوذ من قول عبيد بن الأبرص :  
مَاطُوا الرعاثَ بِنَهْدٍ لَوْ يَزِلُّ بِهِ      لاندقّ دون تلاقى اللبة القرط  
وقال ابن دريد وأتى ببدیع مليح :

قَرِيبُ مَا يَنُ الْقَطَاةِ وَالْمَطَا      بَعِيدُ مَا يَنُ الْقَدَالِ وَالصَّلَا  
فدل بهذا على قصر الظهر وطول العنق . .

وقال بعض الشعراء فلاح وظرف :  
فَمَا يَكُ فِيٍّ مِنْ عَيْبٍ فَإِنِ      جَبَانُ الكلب مهزولُ الفَصِيلِ  
أشار إلى كثرة غشيان الضيوف ، حتى إن الكلب مما أنس جُبْنُ أن ينبج  
فضلا عما سوى ذلك ، وهُزَّال فصيله دال على أن الألبان مبدولة للضيغان ، فقل  
ما بقي له منها .

وقد قال امرؤ القيس :

\* سِمَانُ الْكِلَابِ عِجَافُ الْفِصَالِ \*

فعبجف الفصال للعلة التي قدمت ، وسمن الكلاب الكثرة ما ينحرون  
ويذبجون .

ومن أعجب التنبيع قوله :

أَمْرُخٌ خِيَامُهُمْ أُمُّ عُشْرٍ      أُمُّ الْقَلْبُ فِي إِثْرِهِمْ مُنْجَدِرٌ<sup>(١)</sup>  
يقول : أنزلوا نجداً الذي من نباته المرخ أم الغور الذي من نباته العشر ؟

(١) انظر ( ص ١٧٤ ) من هذا الجزء تجد تفسير هذا البيت في تعليقاتنا هناك

وإن الأعراب يعملون خيامهم من نبات الأرض التي ينزلونها ، فإذا رحلوا تركوه واستأنفوا غيره من شجر البلد الذي ينزلون به ، هكذا شرح العلماء هذا البيت المتقدم ، ولا أرى الأعراب تذكر ذلك كثيراً في أشعارها ، وإنما يتعاورون ذكر الوَيد ، اللهم إلا أن تكون الأعمدة وما شاكلها تنتخب وتحمل وإنما المَطَرَحُ<sup>(١)</sup> ما جعل فوقها وسدً به خصاصُها فدفع الحر والبرد فنعم ، ولا شك أن هذا هو الصحيح ، ويدل عليه قول جرير يذكر منزلاً :

فَلَا عَهْدَ إِلَّا أَنْ تَذَكَّرَ أَوْ تَرَى      ثُمَامًا حَوَّالَى مَنْصَبِ الْخَلِيمِ بِالْيَا  
فَذَكَرَ النَّمَامَ مُطَرَّحًا ، وقال أبو دوداد :

عَهْدْتُ لَهَا مَنَزِلًا دَانِرًا      وَالْأَعْلَى الْمَاءَ يَحْمِلُنَ آلا

فالآل الأول : أعمدة الأخبية ، والآل الثاني : الشخص الذي يرتفع عند اشتداد الحر ، هكذا فسروه ، منهم قدامة ، والذي قال الخذاق : يعنى أعمدة تحمل أعمدة مثلها ذكره أبو حنيفة ، وقوله « على الماء » يعنى الماء العذب الذى هو المحضر يرجعون إليه بعد تبديهم وانقطاع ماء السماء ، وقد أخبرك الشاعر على القول الأول أنهم يحملون أعمدة الأخبية والبيوت .

ومن أحسن ما وقع فى هذا الباب من التتبع قول حسان بن ثابت :

أَوْلَادُ جَفْنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ      قَبْرُ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمَفْضَلِ

فقوله « حول قبر أبيهم » تتبع مليح ، أشار به إلى أنهم ملوك مقيمون لا يحافون فينتقلون من مكان إلى مكان ، وأنهم فى مستقر عز وأرض خصب

(١) المطرح : المطروح الذى يتركه القوم عند رحيلهم ، وفى نسخة « المرخ » وما أثبتناه أولى ؛ فإن المرخ إذ اتخذ لسد خصاص البيوت فغيره يتخذ لذلك كالثمام فى كلام جرير ، وغيره .

لا تجذب ، أراد الشام ، وأن ذلك دأبهم من القدم ، فهم حول قبر أبيهم ، وهذا كما قال ابن مقبل :

نَحْنُ الْمُقِيمُونَ لَمْ تَنْبَرَحْ ظَعَانُنَا لَا تَسْتَجِيرُ، وَمَنْ يَخْلُلُ بِنَا يَجْرِ

ومن هذا الباب أيضاً قول عنزة بن شداد العبسي :

بَطْلٌ كَانَ ثِيَابُهُ فِي سَرْحَةٍ يُحْدِي نَعَالِ السَّبْتِ لَيْسَ يَتَوَأَّمُ

أراد أنه ملك ؛ لأن نعال السَّبْتِ لا يحتذيها عندهم إلا كل شريف ، يدلك على ذلك قول عتيبة بن مرداس المعروف بابن فسوة يذكر آل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصيدة لام فيها عبد الله بن عباس وشكر الحسن بن علي عليهما السلام وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهما :

إِلَى نَفَرٍ لَا يَخْصِفُونَ نِعَالَهُمْ وَلَا يَلْبَسُونَ السَّبْتِ مَا مُمْحَصَّر

ومن التتبع قول الخطيئة :

لَعَمْرُكَ مَا قَرَأْتُ بَنِي كَلِيبِ إِذَا نَزَعَ الْقُرَادُ بِمُسْتَطَاعِ

وذلك أن الفحل إذا منع الخطام نزعوا من قردانه شيئاً فلذَّ ذلك ، وسكن إليه ، ولأن لصاحبه حتى يلتقي الخطام في رأسه ، فزعم الخطيئة أن هؤلاء لا يخذعون عن عزهم وإبائهم فيقدر عليهم .

وأما قول ذي الأصبع العدواني واسمه حُرْثَان بن الحارث :

يَا عَمْرُو ، إِلَّا تَدْعُ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي أَضْرَبُكَ حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةُ اسْقَوْنِي

فيجوز أن يكون أراد أضربك على الرأس الذي تصيح منه الهامة اسقوني على زعم الأعراب ، فيكون من هذا الباب ، ويجوز أن يكون مراده أضربك فلا يؤخذ بشارك وتكون حيث ههنا مثلها في قول زهير :

\* لَدَى حَيْثُ أَلَقْتَ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَمِ \*

فيخرج عن هذا الباب . . . وإلى نحو التأويل الأول قصد أبو الطيب بقوله :

فَيَا بَنَ الطَّاعِينَ بِكُلِّ لَذْنٍ مَوَاضِعَ يَشْتَكِي الْبَطْلُ الشُّعَالَا  
أَرَادَ الصَّدْرَ ، أَوْ النَحْرَ . .

وَبَيْتُ الْبَحْتَرَى فِي صِفَةِ الذَّنْبِ ، وَيُرْوَى لِعَامِرَةَ بْنِ عَقِيلٍ :  
فَأَوْجَرْتُهُ أُخْرَى فَأَظْلَمْتُ رِيْشَهَا بِحَيْثُ يَكُونُ اللَّبُّ وَالرُّغْبُ وَالْحَقْدُ  
خَيْرٌ مِنْ بَيْتِ أَبِي الطَّيِّبِ وَأَجْمَعَ لِلصِّفَةِ ، وَقَوْلُهُ « أَظْلَمْتُ » بِمَعْنَى صَبِرْتُ  
وَيُرْوَى بِالضَّادِ .

٤٣ — باب التجنيس

التجنيس ضروب كثيرة : منها المائلة ، وهي : أن تكون اللفظة واحدة  
باختلاف المعنى ، نحو قول زياد الأعجم ، وقيل : الصَّلَتَانِ الْعَبْدَى يَرْتَى لِلْمَغِيرَةِ  
ابن المهلب :

فَانْعَ الْمَغِيرَةَ لِلْمَغِيرَةِ إِذْ بَدَتْ شَعَاءُ مَشْعَلَةَ كَنْبِجِ النَّابِجِ

فَالْمَغِيرَةُ الْأُولَى : رَجُلٌ ، وَالْمَغِيرَةُ الثَّانِيَةُ : الْفَرَسُ ، وَهُوَ ثَانِيَةُ الْخَيْلِ الَّتِي تَغْيَرُ .  
وَقَالَ صَاحِبُ الْكِتَابِ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ( وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ ) وَقَالَ  
تَعَالَى : ( ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ ) وَفِي كَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
« سَلِّمَ سَالِمُهَا اللَّهُ ، وَغَفَّارَ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا ، وَغُصَّيَّةَ غَصَّتِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ » وَإِنْ كَانَ  
مِنْ غَيْرِ هَذَا الْبَابِ . . وَأَنْشُدْ<sup>(١)</sup> سَيَبُويَه :

أَنِخْتِ فَأَلَقْتَ بِلَدَةٍ فَوْقَ بَلَدَةٍ قَلِيلٍ بِهَا الْأَصْوَاتُ إِلَّا بُغَامَهَا

(١) انظر كتاب سيبويه (ج ١ ص ٢٧٠) ونسبه لذي الرمة ، والرواية برفع  
« بُغَامَ » عَلَى جَعَلِ « إِلَّا » صِفَةً بِمَعْنَى « غَيْرِ » ظَهَرَ إِصْرَاهَا عَلَى مَا بَعْدَهَا كَمَا هُوَ  
مَعْرُوفٌ فِي كُتُبِ النَحْوِ .

البلدة الأولى : صدر الناقة ، والثانية : المسكان من الأرض .

ومثله [ما] أنشد[ه] ثعلب :

وَنَذِيَّةٍ جَاوَزَتْهَا بِثَنِيَّةٍ حَرَفٍ يُعَارِضُهَا نِيَّةٌ أَذْهَمُ

فالثنية الأولى : عقبة ، والثانية : ناقة ، والثنى الأدهم : الظل ، استعاره

هذا الاسم . . ويروى « حبيب أدهم » .

ومثله أنشد أبو عمرو بن العلاء :

\* عَوْدٌ عَلَى عَوْدٍ عَلَى عَوْدٍ خَلَقَ \*

وقال : الأول الشيخ ، والثاني : الجمل للسن ، والثالث : الطريق القويم قد

ذُلَّ بكثرة الوطاء عليه .

ويجوز هذا المجزى قول الأودي :

وَأَقْطَعُ الْهُوَجْلَ مُسْتَأْنَسًا يَهُوَجِّلُ عَيْرَانَةَ عَيْطُمُوسٍ<sup>(١)</sup>

أنشده قدامة على أنه طباق ، وسائر الناس يخالفونه في هذا المذهب ، وقد

جاء رد الأخفش على بن سليمان عليه في ذلك وإنكاره على رأى الخليل

والأصمعي في كتاب حلية المحاضرة للحاتمي .

وعلى القول الأول قال أبو نواس في ابن الربيع :

عَبَّاسُ عَبَّاسٍ إِذَا حَضَرَ الْوَعْيُ وَالْفَضْلُ فَضْلٌ وَالرَّبِيعُ رَبِيعٌ

وقال أبو تمام :

لَيَا لَيْنَا بِالرَّقَمَتَيْنِ وَأَهْلُنَا سَقَى الْعَهْدَ مِنْكَ الْعَهْدُ وَالْعَهْدُ وَالْعَهْدُ

فالعهد الأول المسقى : هو الوقت ، والعهد الثاني : هو الحِفَافُ ، من قولهم « فلان

ماله عهد » والعهد الثالث : الوصية من قولهم « عهد فلان إلى فلان ، وعهدت

(١) الهوجل الأول : الأرض التي لانتبت فيها ، ومنه قول ابن مقبل :

وجرداء خرقاء المسارح هوجل بها لاستداء الشعشعانات مسبح

والهوجل الثاني : الناقة السريعة .

إليه « أى : وصانى ووصيته ، والعهد الرابع : المطر ، وجمعه عِهَادٌ ، وقيل : أراد مطراً بعد مطر بعد مطر ، وفسر ذلك بقوله :

سَحَابٌ مَتَى يَسْحَبُ عَلَى النَّبْتِ ذَيْلُهُ فَلَ رَجُلٌ يَنْبُو عَلَيْهِ وَلَا جَفْدٌ  
واستنقل قوم هذا التجنيس ، وحقّ لهم .

ومن مليح هذا النوع قول ابن الرومى :

للسود فى السود آثار تركن بها لمعا من البيض تثنى عين البيض  
فالسود الأول : اللبالي ، والسود الآخر : شَمَرَاتُ الرَّاسِ واللحية ، [و] البيض  
الأول : الشيبات ، والبيض الآخر : النساء . .

وزعم الحاتمى أن أفضل تجنيس وقع لحدث قول عبد الله بن طاهر :  
وإِنِّ لِلنَّغْرِ الْخَفِيفِ لِكَالِيٍّ وَلِلنَّغْرِ يَجْرِ ظَلْمُهُ لَرَشُوفٍ<sup>(١)</sup>

فهذا وما شا كله التجنيس المحقق ، والجرجانى يسميه المستوفى .  
ويقرب منه — وليس محضاً — قول ابن الرومى :

له نائل ما زال طالب طالبٍ ومتراد مترادٍ وخاطبٍ خاطبٍ

أدخل التردد ، والترديد : نوع من المجانسة يفرد له باب إن شاء الله تعالى .  
والتجنيس المحقق : ما اتفقت فيه الحروف دون الوزن ، رجع إلى الاشتقاق أو لم  
يرجع ، نحو قول أحد بني عُبَيْس :

وَذَلِكُمْ أَنَّ ذُلَّ الْجَارِ حَالَفَكُمْ وَأَنَّ أَنْفَكُمْ لَا يَعْرِفُ الْأَنْفَا  
فاتفقت الأنف مع الأنف فى جميع حروفهما<sup>(٢)</sup> دون البناء ، ورجعاً إلى أصل

التجنيس  
المحقق

(١) الثغر الأول : ثغر البلاد الذى يحافظ عليه من غارة العدو . وكالىء : حافظ  
وراع . والثغر الثانى : قم المحبوب ، والظلم — بفتح الظاء — ريقه .  
(٢) فى المصريتين « فاتفقت الأنف فى الأنف فى جميع حروفها » وفى هذا  
تحريران لا يخفيان

واحد ، هذا عند قدامة أفضل تجنيس وقع ، [ و ] مثله في الاشتقاق قول جرير -  
والجرجاني يسميه التجنيس المطلق ، قال : وهو أشهر أوصافه :

وما زال مَقُولًا عِقَالٌ عن الندى وما زال محبوباً عن الخير حَائِسُ  
وقال جرير أيضاً ، وفيه المضارعة والمائلة والاشتقاق ، وأنشده ابن المعتز :  
تَقَاعَسَ حَتَّى فَاتَهُ الْجِدُّ فَقَعَسَ وَأَعْيَا بَنُو أَعْيَا وَضَلَّ الْمَضَلُّ  
وقال خلف بن خليفة الأقطع :  
فَإِنْ يَشْخَلُونَا عَنْ أَذَانٍ فَإِنَّا شَغَلْنَا وَلِيداً عَنْ غَنَاءِ الْوَلَادِ  
يعنى الوليد بن يزيد بن عبد الملك . وقال أبو تمام فأحكم المجانسة بالاشتقاق :  
بِحَوَافِرِ حُفْرٍ وَصُلْبِ صُلْبٍ وَأَشَاعِرِ شُفْرِ وَخَلْقِ أَخْلَقِ  
فجنس بثلاث لفظات <sup>(١)</sup> . ومثله قول البهتري :

صَدَقَ الْغَرَابُ ، لَقَدْ رَأَيْتُ شَمُوسَهُمْ بِالْأَمْسِ تَغْرُبُ عَنْ جَوَانِبِ غَرْبٍ  
ويقرب من هذا النوع قول ذى الرمة \* وَاسْتَرْجَمَتْ هَامَهَا الْهَيْمُ الشَّاعِمُ \*  
فالهم والهام قريبان في اللفظ بعيدان في الاشتقاق ، وربما جعلها بعض الناس من  
أصل واحد ، وكذلك قوله :  
كَأَنَّ الْبَرْيَ وَالْعَاجَ عِيَجَتْ مُتَوْنَهَا عَلَى عُشْرِ نَهْيٍ بِهِ السَّيْلُ أَبْطَحَ <sup>(٢)</sup>  
قال ابن المعتز « نهى به السيل » أى : بلغ به إليه فهو أنعم له وأكثر لدونه .

(١) بل بأربع لفظات ، كما هو ظاهر ، وانظر ص ١٣٢ من هذا الجزء  
(٢) قال أبو حنيفة : « العشر من العظام ، وهو من كبار الشجر وله صمغ  
حلو ، وهو عريض الورق ، ينبت صعدا في السماء ، وله سكر يخرج من شعبه  
ومواضع زهره يقال له سكر العشر ، وفي سكره شيء من حرارة ، ويخرج له تقاخ  
كأنها شقاشق الجمال التي تهدر فيها ، وله نور مشرب مشرق حسن المنظر » ١ هـ



وأنا أقول : معناه ترك به السيل نهياً ، وهو الغدير ، وذلك أتم لما أراد ابن المعتز ،  
اللهم إلا أن يكون معناه جعل نهايته هناك فإنه أتم وأجود ، أى : لم يجد مُنْصَرَفًا  
فأقام . وقال البحتري :

وَذَكَّرَ نِيكَ وَالذَّكْرَى عَنَاءَ      مَشَابِهِ مِنْكَ بَيِّنَةُ الشُّكُولِ  
نَسِيمُ الرِّوْضِ فِي رِيحٍ شَمَالٍ      وَصَوْبُ الْمُزْنِ فِي رَاحٍ شَمُولِ  
وقال أبو تمام :

مَلَيْتَكَ الْأَحْسَابُ ، أَيْ حَيَاة      وَحَيَا أَرْمَةِ وَحَيَّة وَاد<sup>(١)</sup>

ويقرب من هذا النوع نوع يسمونه المضارعة ، وهو على ضروب كثيرة : من التجنيس  
منها أن تزيد الحروف وتنقص ، نحو قول أبي تمام — والجرجاني : يسميه  
التجنيس الناقص — :

\* يَمْدُون مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ \*<sup>(٢)</sup>

وهما سواء لولا الميم الزائدة . وكذلك قوله \* قَوَاضٍ قَوَاضٍ \* سواء لولا  
الباء ، ومع ذلك فإن الباء والميم أختان . ومثله قولُ البحتري :  
فِيَالِكَ مِنْ حَزْمٍ وَعَزْمٍ طَوَاهِمَا      جَدِيدُ الْبَلَى تَحْتَ الصَّفَا وَالصَّفَاحِ  
ومنها أن تتقدم الحروف وتتأخر ، كقول الطائي :  
بِيضُ الصَّفَاحِ ، لَاسُودَ الصِّحَافِ ، فِي      مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ  
فقوله « الصَّفَاحِ ، لَاسُودَ الصِّحَافِ » هو الذي أردت . وقال البحتري :  
شَوَاجِرَ أَرْمَاحٍ تَقْطَعُ بَيْنَهُمْ      شَوَاجِرَ أَرْحَامٍ مَلُومٌ قَطُوعُهَا

(١) مليتك : متعتك ، حيا أزمة : مطر شدة ، يريد أنه يكشف الشدة بجوده

(٢) تمامه \* تصول بأسياف قواض قواضب \* وسيدكر اللواف بعض هذا

ومثله قول أبي الطيب :

مَمْنَعَةٌ مَمْنَعَةٌ رَدَّاحٌ يُكَلِّفُ لَفْظَهَا الطَّيْرَ الْوُقُوعَا

وحكى ابن دريد أن أعرابياً شتم رجلاً فقال : ملج أمه ، فقدم إلى السلطان فقال : إنما قلت : ملج أمه ، فدرأ عنه . .

قال أبو بكر : لجهها : أتاها ، وملجها : رضعها .

وأصل المضاربة أن تتقارب مخارج الحروف ، وفي كلام العرب منه كثير غير متكلف ، والمحدثون إنما تكلفوه ؛ فمن المعجز قول الله عز وجل : ( وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ) . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل سمعه وهو ينشد على سبيل الافتخار — وقيل : بل سأله عن نسبه فقال :

إِنِّي إِمْرُؤٌ حَمِيرِيٌّ حِينَ تَنْسِبُنِي لَأَمِنْ رَبِيعَةِ آبَائِي وَلَا مَضِر

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم — : « ذلك والله الأُمُّ لِحَدِّكَ ، وأضرع لحَدِّكَ ، وأقلَّ لحَدِّكَ ، وأبعد لك عن الله ورسوله » وقوله عليه الصلاة والسلام « نعوذ بالله من الأيِّمة والعيمة والغيمة والسكرم والقزم » الأيِّمة : الخلو من النساء ، والعيمة : شهوة اللبن ، والغيمة : العطش ، والسكرم : قصر اللبان خلقة أو من بخل ، ويقال : السكرم شدة الأكل ، والقزم : شهوة اللحم .

وهذا النوع يسميه الرماني المشاكلة ، وهي عنده ضروب : هذا أحدها ، وهي المشاكلة في اللفظ خاصة ، وأما المشاكلة في المعنى فننبه عليها في أما كتبها إن شاء الله تعالى . .

الرماني يسميه  
المشاكلة

وقال ابن هرمة :

وَأَطْعَنُ لِلْقِرْنِ يَوْمَ الْوَغَى وَأَطْعَمُ فِي الزَّمَنِ الْمَاحِلِ

وقل أبو تمام :

رُبَّ خَفْضٍ تَحْتَ الثَّرَى وَغَنَاءٍ مِنْ عَنَاءٍ وَنَضْرَةٍ مِنْ شُحُوبٍ  
وأبعد من هذا قليلا قول ساعدة بن جؤيئة الهذلي :

رَأَى شَخْصَ مَسْعُودِ بْنِ بَشْرِ بَكَفِّهِ حَدِيدٌ حَدِيثٌ بِالْوَقِيعَةِ مُعْتَدٌ<sup>(١)</sup>  
 ومن المضارعة بالتصحيف ونقص الحروف قول بعضهم :  
 فَإِنْ حَلَّوْا فَلَيْسَ لَهُمْ مَقَرٌّ وَإِنْ رَحَلُوا فَلَيْسَ لَهُمْ مَقَرٌّ  
 وقال البحرى يمدح المعتز بالله :  
 وَلَمْ يَكُنِ الْمُعْتَزُّ بِاللَّهِ إِنْ سَرَى لِيَعْجَزَ وَالْمُعْتَزُّ بِاللَّهِ طَالِبُهُ  
 نجاء بتصحيف مستوفٍ . وقال :  
 مَا بَعَيْتَنِي هَذَا الْغَزَالَ الْغَرِيرَ مِنْ فَتُونٍ مُسْتَجَلَبٍ مِنْ فَتُورٍ  
 وقال غيره - وأظنه قابوس بن وشمكير - :  
 إِنْ الْمَسْكَارِمُ فِي الْمَسَاكِينِ وَالْفَنَائِمُ فِي الْمَغَارِمِ  
 وقال بعض العلماء : ربما أَسْفَرَ السَّفَرُ عَنْ الظَّفَرِ ، وتعدر في الوطن قضاء  
 الوطر . [و] قال آخر : خُلِفَ الْوَعْدُ خُلُقُ الْوَعْدِ . وقال ابن المعتز :  
 لَنْ نَزَهَتْ سَمْعُكَ عَنْ كَلَامِي لَقَدْ نَزَهْتُ فِي خَدْيِكَ طَرَفِي  
 لَهُ وَجْهٌ بِهِ يُضْنِي وَيُضْنِي وَمُبْتَسَمٌ بِهِ يُشْقِي وَيَشْقِي  
 وقال آخر أيضا في مثل ذلك ، وفيه تغيير كثير بتصحيف :  
 فَمَنْ دَاعٍ وَمَنْ رَاعٍ وَمَنْ مَطَرٍ وَمَنْ مُطَرِقٍ  
 وَكُلُّ خَاشِعٍ الطَّرَفِ لَدَيْهِ خَاضِعُ الْمَنْطِقِ  
 أعني بالتغيير ضاد « خاضع » ليست مناسبة لشين « خاشع » فيكون  
 تصحيحا ، وإنما التصحيف فيما تناسب من الخط ، ومن هذا قوله « داع »

(١) في الديوان ( ص ٣٧ طبع أوربة ) \* رأى شخص مسعود بن سعد . . . \* وبعد هذا البيت قوله :

فَجَالَ وَخَالَ أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ بِهِ وَقَدْ خَلَّاهُ سَهْمٌ صَوِيبٌ مُعَرَّدٌ

و « راع » لبعد ما بينهما في اللفظ والهجاء .  
ومن الإسقاط الذي لا يظهر إلا في الخط قول شمس المعالي قابوس بن وشمكير :  
وَمَنْ يَسْرِفُ فَوْقَ الْأَرْضِ يَطْلُبُ غَايَةً مِنْ الْمَجْدِ نَسْرِى فَوْقَ جَهْمَةِ النَّسْرِ  
وَمَنْ يَخْتَلِفُ فِي الْعَالَمِينَ نَجَارُهُ فَإِنَّا مِنْ الْعِلْيَاءِ نَجْرِي عَلَى نَجْرِ  
فِيَا الْوَصْلَ فِي « النسر » جانست به « نسرى » وصار لقاء النون كسرة  
الهاء من جهمجة كالتنوين في الهاء ، وكذلك صلة « نجر » جانست به « نجرى »  
فإذا صرت إلى الخط زالت المجانسة .

وقد أحدث المولدون تجانساً منفصلاً يظهر أيضاً في الخط كقول أبي تمام :  
رَفْدُوكَ فِي يَوْمِ الْكَلَابِ ، وَشَقَقُوا فِيهِ الْمَزَادَ بِجِحْفَلٍ كَاللَّابِ (١)  
الكاف للتشبيه ، واللاب : جمع لابة ، وهى الخرقة ذات الحجارة السود . .  
هذا أصح الروايتين ، وأما قوله بجحفل كلاب أى كأن به كلباً فليس بشيء ،  
وإنما القول ما قدمناه ، وليس بتجانس صحيح على ما شرطه المتقدمون ، ولكنه  
استظرف فأدخل في هذا الباب تملحاً . . وأكثر من يستعمله : الميكالى ، وقابوس ،  
وأبو الفتح البستي ، وأصحابهم ؛ فمن ذلك قوله :

عَارِضَاهُ بِمَا جَنَى عَارِضَاهُ أَوْ دَعَانِي أُمْتُ بِمَا أَوْ دَعَانِي

فقوله « أودعاني » إما هى « أو » التى لامطف ، نسق بها « دعانى » وهو  
أمر الاثنين من « دع » على قوله « عارضاه » الذى فى أول البيت ، وقوله « أودعاني »  
الذى فى القافية فعل ماض من اثنين ، تقول فى الواحد « أودع يودع » من  
الوديعة . وقال أيضاً :

التجانس  
المنفصل

(١) انظر ( ص ٥٩ من هذا الجزء ) ؛ فقد رسمت هذه الكلمة هناك « كلاب »  
على أنها صفة مبالغة ، وهى الرواية الأخرى ، وفى الديوان « بجحفل غلاب » وهى  
ترجيح ما ضعفه .

وإن أقرَّ على رَقٍّ أنامِلُهُ أقرَّ بالرقِّ كُتَّابُ الأنايِلِ

وربما صنعوا مثل هذا في القوافي فتأتى كالإيطاء وليس بإيطاء إلا في اللفظ  
بجاءاً ، ولا بتجنيس إلا كذلك . . قال عمر بن على المطوعى :  
إذا وقع في القافية جاء كالإيطاء

أَمِيرٌ كُلُّهُ كَرَمٌ سَعِدْنَا بِأَخَذِ الْجِدِّ مِنْهُ وَاقْتِبَاسِهِ  
يُحَاكِي النَّيْلَ حِينَ يُسَامُ نَيْلًا وَيَحْكِي بِاسِلًا فِي وَقْتِ بَاسِهِ

[ أراد أن ] يناسب فجاء القافيتان كما ترى في اللفظ ، وليس بينهما في الخط  
إلا مجاورة الحروف ، وهذا أسهل معنى لمن حاوله ، وأقرب شيء ممن تناوله ، من  
أبواب الفراغ وقلة الفائدة ، وهو مما لا يُشَكُّ في تكلفه ، وقد أكثر منه هؤلاء  
الساقية المتعقبون في نثرهم ونظمهم حتى بردوا ، بل تَدَرَّكُوا ، فأين هذا العمل من  
قول المقاتل ، وهو أبو فراس :

سَكِرْتُ مِنْ لَحْظِهِ لَا مِنْ مُدَامَتِهِ وَمَالَ بِالنَّوْمِ عَنْ عَيْنِي تَمَائِلُهُ  
وَمَا السَّلَافُ دَهْتَنِي بِلِ سَوَالِفِهِ وَلَا الشَّمُولُ زَهْتَنِي بِلِ شَمَائِلِهِ  
أَلْوَى بِبَصِيرِي أَصْدَاغُ لَوَيْنَ لَهُ وَغَلَّ صَدْرِي مَا تَحْوَى غَلَائِلُهُ  
فما كان من التجنيس هكذا فهو الجيد المستحسن ، وما ظهرت فيه الكلفة  
فلا فائدة فيه .

وقد يحى التجنيس على غير قصد كقول أبي الحسن في مقطعاته التي تردفيا بعد :

مَا تَرَى السَّاقِي كَشَمْسٍ طَلَعَتْ تَحْمِلُ الْمَرِيخَ فِي بَرَجِ الْجَمَلِ  
فهذا التجنيس تم المعنى وظهر حسنه ؛ إذ كان برج الحمل بيت المريخ  
وموضع شرف الشمس ، فصار بعض الكلام مرتبطاً ببعضه ، ومظهراً لخفي  
محاسنه ، وحصل التجنيس فضلة على المعنى ؛ لأنه لو قال في موضع الحمل «المنطح»<sup>(١)</sup>

(١) المنطح - ومثله الناطح - السرطان ، وما قرنا الحمل . وفي المصرية  
« المنطح » بالميم ، وهو تصحيف ، والكبش : الحمل ، إذا أثنى ، أو إذا خرجت  
رباعيته .

أو «الكبش» لكان كلاماً مستقيماً ؛ فهذا التجنيس كما ترى من غير تكلف ولا قصد ،  
ولكن الأكثر أن يكون التجنيس مقصوداً إليه ، مأخوذاً منه ما ساحت فيه  
القرينة ، وأعان عليه الطبع . .

وقد يعدُّ قوم من المضارعة ما ناسب اللفظة في الخط فقط ، كقوله تعالى :  
(وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) وهي مضارعة بعيدة ألا يجب أن يعد  
مثلاً . . واختلف الناس في قول الأعشى :

كما يعبده  
قوم من  
المضارعة

إِنْ تَسُدُّ الْحُوصَ فَلَمْ تَعُدَّهُمْ وَعَامِرٌ سَادَ بَنِي عَامِرٍ

فقال الجرجاني على بن عبد العزيز القاضي : هو مجانسة ؛ لأن أحدهما رجل ،  
والآخر قبيلة ، وقال غيره : بل معناها واحد ، وأنا على خلاف رأي الجرجاني  
لأن الشاعر قال بني عامر وأضاف بني إليه ، ولو قال ساد عامراً يعني القبيلة  
لكان تجنيساً غير مدفوع . قال الجرجاني : وأراه - يعني بيت الأعشى - يخالف  
قول الآخر :

قَتَلْنَا بِهِ خَيْرَ الضَّبِيعَاتِ كُلِّهَا ضَبِيعَةُ قَيْسٍ لَا ضَبِيعَةُ أَضْحَا

لأن كليهما قبيلتان ، فكأنه جمع بين رجلين متفقين الاسم ، انتهى كلامه ،  
وهو يشهد بما قلته في بيت الأعشى إذا حققه من له ميزٌ وتدبير . .

وقد ذكروا تجنيساً مضافاً ، أنشده جماعة من المتعقبين منهم الجرجاني :

أَيَا قَمَرَ التَّمَامِ أَعْنَتَ ظَالِمًا عَلَى تَطَوَّلِ اللَّيْلِ التَّمَامِ

فهذا عندهم وما جرى مجراه إذا اتصل كان تجنيساً ، وإذا انفصل لم يكن  
تجنيساً ، وإنما كان يتمكن ما أراد لو أن الشاعر ذكر الليل وأضافه فقال « ليل  
التمام » كما قال « قمر التمام » والرماني سمى هذا النوع مزاجاً ، ومثله عنده  
قول الآخر :

التجنيس  
المضاف  
(وللزاوج)

حَتَّى مِيَاهِ الْوَفْرِ مِنْهَا مَوَارِدِي فَلَا تَحْمِيَانِي وَرَدَ مَاءُ الْعِنَاذِ

ومن المزاوجة عندهم قول الله تعالى: (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) وقوله: (مَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) وقوله: (إنما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم) وكل هذه استعارات [و] مجاز؛ لأن المراد المجازاة فزواج بين اللفظين .

وكان الأصمعي يدفع قول العامة « هذا مجانس لهذا » إذا كان من شكله، يقول: ليس بعربي خالص، حكى ذلك ابن جني . . . فأما ابن المعتز فقال - وهو أول من نحا هذا النحو وجهه - والمجانسة: أن تشبه اللفظة اللفظة في تأليف حروفها على السبيل الذي ألف الأصمعي كتاب الأجناس عليها، قال: والجنس أصل لكل شيء: تتفرع منه أنواعه، وتعود كلها إليه، كالإنسان وهو جنس وأنواعه عربي ورومي وزنجي، وأشباه ذلك، ولم تكن القدماء تعرف هذا اللقب - أعني التجنيس - بذلك على ذلك ما حكى عن رؤبة بن العجاج وأبيه، وذلك إنه قال له يوماً: أنا أشعر منك، قال: وكيف تكون. أشعر مني وأنا علمتك عطف الرجز؟ قال: وما عطف الرجز؟ قال: \*عاصم يا عاصم لو أعصم \* قال: يا أبت، أنا شاعر ابن شاعر، وأنت شاعر ابن معجم<sup>(١)</sup>، فقلبه، فأنت ترى كيف سماه عطفًا، ولم يسمه تجانسا، اللهم إلا أن يذهب بالعطف إلى معنى الالتفات فتعم

ومن أناشيد هذا الباب قول الشنفرى - واسمه عامر<sup>(٢)</sup> بن عمرو الأزدي:

وبتنا كأن البيت حُجْرٌ فوقنا  
بريحانة ريحت عشاء وظلت

وقال علي بن محمد بن نصر بن بسام:

فاشربْ على الوردِ منْ وَرْدِيَّةٍ عتقت  
كأنها خدُّ رِيمٍ رِيمٍ فامتنعا

وقال الفرزدق:

(١) ربما قرئت « ابن مفحم » .

(٢) في اسمه خلاف طويل ذكرناه في شرحنا على ديوان شعره وأخباره .

مق كانت  
تسمية  
التجنيس؟

من أمثلة  
هذا الباب

ألم يأتيه أنى تخلل ناقتى بنعمان أطراف الأراك النواعم  
وحقيقة المجانسة عند الرمانى المناسبة بمعنى الأصل ، نحو قول أبى تمام :  
\* فى حدّه الحدّ بين الجد واللعب \*<sup>(١)</sup>

قال : لأن معناهما جميعاً أبلغ ، وأما قولك قرب واقترّب ، والطلع والمطلع ،  
وما شاكل هذا ؛ فهو عنده من تصرف اللفظ ، ولا يده تجنيساً ، ومن تصرف  
المعنى عنده قولك : عين الميزان ، وعين الإنسان ، وعين الماء ، ونحو ذلك . ومن  
التصرف فى اللفظ والمعنى جميعاً قولك : الضرب والمضاربة والاستضراب ، وما  
أشبه ذلك ، كل هذه الأنواع عنده من باب التصرف .  
وما أكثر ما يستعمل هذا النوع بعض شعراء وقتنا المذكورين ، ويظن أنه  
فدأتى بشيء من غرائب التجنيس .

وأما قول دعبل فى امرأته سلمى :  
أَحِبِّكَ حُبًّا لَوْ تَضَمَّنَهُ سَلْمَى<sup>(٢)</sup> سَمِيكَ ذَاكَ الشَّاهِقُ الرَّاسِ  
فقد جنس من غير ذكر جنس ؛ لأن قوله « سميك » دال على مراده .  
ومثله قول الآخر :

ضيعتى مثل اسمها العا م ودارى مسترمة  
أنشده الرمانى . . وقال الآخر ، وهو أبو تمام :  
إذ لا صدوق ولا كنود اسمها كالمعنيين ولا النوار نوارا  
المراد صدر البيت لا معجزة .

وإذا دخل التجنيس نقيّ عدّ طباقاً ، وكذلك الطباق يصير بالنفى تجنيساً ،  
وسأفرد لها باباً إن شاء الله تعالى فيما بعد باب الترديد .

التجنيس  
والطباق

(١) صدره \* السيف أصدق إنباء ، لمحق الكتب \*

(٢) يريد به « سلمى » أحد جبل طوى .



## (٤٤) — باب الترديد

وهو أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى ، ثم يردّها بعينها - متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه ، أو في قسم منه ، وذلك نحو قول زهير :

مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمًا      يَلْقَى السَّاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلْفًا  
فعلق « يلقى » بهرم ، ثم علقها بالساحة . وكذلك قوله أيضاً :

وَمَنْ هَابَ أَشْبَابَ الْمَنَآيَا يَنْقُلُهُ      وَلَوْ رَامَ أَشْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلْمٍ  
فردد « أسباب » على ما بينت . ولبعض الحجازيين :

وَمَنْ لَا مَنِي فِيهِمْ حَبِيبٌ وَصَاحِبٌ      قَرُودٌ يَغِيظُ صَاحِبٌ وَحَمِيمٌ  
وقال مجنون بني عامر :

قَضَاهَا لَقَيْرِي وَأَبْتَلَانِي يُجْبِهَا      قَهْلًا بِشَيْءٍ عَيْرٍ لَيْلَى ابْتَلَانِيَا  
وقال أبو تمام :

خَفْتُ دُمُوعَكَ فِي إِمْرِ الْفُطَيْنِ لَدُنْ      خَفْتُ مِنَ الْكُثْبِ الْقَضْبَانِ وَالْكَثْبُ  
الترديد في « خفت » ولو جعلت الكثيب ترديدا لجاز . . وقال ابن المعتز

لَوْ شِئْتُ لَأَشِئْتُ خَلَيْتُ الشُّلُوكَ      وَكَانَ لَا كَأَنَّكُمْ فِي مَعَايَايَ  
وقال أيضاً في مثل ذلك :

أَتَمَذِّلُنِي فِي يُوسُفٍ وَهُوَ مَنْ تَرَى      وَيُوسُفُ أَضْنَانِي وَيُوسُفُ يُوسُفُ  
ولبعضهم - وأظنه الصنوبري :

أَنْتَ عُذْرِي إِذَا رَأَوْكَ ، وَلَكِنْ      كَيْفَ عُذْرِي إِذَا رَأَوْكَ تَحُونُ  
الترديد في قوله « إذا رأوك » . . وقال أبو الطيب وأحسن ما شاء :

أَمِيرٌ أَمِيرٌ عَلَيْهِ النَّدَى      جَوَادٌ بَخِيلٌ بَأْنُ لَا يَجُودَا

حد  
الترديد

الترديد في أول البيت ، وهذا النوع في أشعار المحدثين أكثر منه في أشعار القدماء جدا .

والعلماء بالشعر مجمعون على تقديم أبي حية النخري وتسليم فضيلة هذا الباب إليه في قوله :

الْأَخَى مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ الْمَغَانِيَا      لَبَسْنَ الْبِلَى مِمَّا لَبَسْنَ اللَّيَالِيَا  
إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمًا وَلَيْلَةً      تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمِلُّ التَّقَاضِيَا  
والترديد الذي انفرد فيه بالإحسان عندم قوله \* لبسن البلى مما لبسن الليالي \* وكذلك قوله \* إذا ما تقاضى المرء يوما وليلة \* ثم قال \* -تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا \* لأن الماء كناية عن المرء ، وإن اختلف اللفظ .  
ويلحق بهذا قول أبي نواس :

\* لَوْ مَسَّهَا حَجَرٌ مَسَّتَهُ سَرَّاهُ \* (١)

وقول الحسين بن الضحاك الخليلع :

لَقَدْ مَلَأَتْ عَيْنِي بِغُرِّ حَسَنِ      مَلَأَنْ فَوَادِي لَوْعَةٍ وَمُهْمَا  
أقرب ما بين اللفظتين ، وكذلك قول الطائي :

رَاحَ إِذَا مَا الرَّاحُ كَانَ مَطِيَّهَا      كَانَتْ مَطَايَا الشُّوقِ فِي الْأَخْشَاءِ  
ردد مطيها ومطايا الشوق . وعلى هذا يحمل قول الجعاف بن حكيم ، وقيل :  
العباس بن مرداس :

تَعْرِضُ لِلسَّيُوفِ بِكُلِّ نَفَرٍ      وَجُوهًا لَا تَعْرِضُ لِلْطُّسَامِ (٢)

(١) هذا عجز بيت له ، وقوله :

دع عنك لومي فإن اليوم إغراء      وداوني بالتي كانت هي الداء  
صفراء لا تنزل الأكدار ساحتها      لومسها . . . . .

(٢) الطسام - بزنة غراب وسحاب وشداد ورمال - كثير الغبار ومشديه ،  
ومرادده بذلك أن يكفي عنهم بالتنعم والترفة .

وحمل قوم. قول امرئ القيس \* فثوباً لست وثوباً أجراً<sup>(١)</sup> \* على أنه تكرار لا ترديد فيه ، وهذا هو الخطأ البين ، وأى ترديد يكون أحسن من هذا ؟ وقد أفاد الثاني غير إفادة الأول حسب ما شرطوا .

ومثله قول بعض الأعراب في مدح هارون الرشيد :

جَهِيرُ الْكَلَامِ جَهِيرُ الْعَطَاسِ جَهِيرُ الرِّوَاءِ جَهِيرُ النَّفَمِ

ومن أملح ما سمعته قول ابن العميد :

فإن كان مسخوطاً قتل شعر كاتب وإن كان مريضاً قتل شعر كاتب وهو داخل عندى في باب الترديد ؛ إذ كان قوله عند السخط \* شعر كاتب \* إنما معناه التقصير به ، وبسط العذر له ؛ إذ ليس الشعر من صناعته كما حكى ابن النحاس أنهم يقولون « نحو كتابي » إذا لم يكن مجوداً ، وقوله عند الرضا \* شعر كاتب \* إنما معناه التعظيم له ، وبلوغ النهاية في الظرف والملاحة ؛ لمعرفة الكتاب باختيار الألفاظ وطرق البلاغات ، فقد ضاد وطابق في المعنى ، وإن كان اللفظ تجنيساً مردداً .

وسمع أبو الطيب باستحسان هذا النوع فجعله نصب عينه حتى مَمَّتْهُ وَزَهَّدَ فيه ، ولو لم يكن إلا بقوله :

فَقَلَقْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلَقَ الْحَشَا قَلَا قَلَّ عَيْشِي كُلَّهْنٌ قَلَا قَلَّ  
فهذه الألفاظ كما قال كلهن قلاقل ، ونحو ذلك قوله :

أَسْدُ فِرَاسِهَا الْأُسُودُ ، يَقُودُهَا أَسَدٌ ، تَكُونُ لَهُ الْأُسُودُ ثَعَالِبَا  
فما أدرى كيف تخلص من هذه الغابة المملوءة أسوداً ؟ ولا أقول إنه بيت شعر ، وأين يقع هذا من قول غيره :

فَصُبْحُ الْوِصَالِ وَلَيْلُ الشَّبَابِ وَصُبْحُ الْمَشِيبِ وَلَيْلُ الصَّدُودِ

(١) يروى صدر هذا البيت \* فأقبلت زحفا على الركبتين \* ويروى

صدره \* فلما دنوت تسديتها \*

تم - بحمد الله وتوفيقه - الجزء الأول من كتاب « العمدة »  
لابن رشيح القيرواني ، ويليه - إن شاء الله تعالى -  
الجزء الثاني منه ، وأوله ( ٤٥ - باب التصدير )  
أعان الله تعالى على إكماله ، بمنه وفضله .

فهرس

الجزء الأول من كتاب

# العُملَة

في محاسن الشعر وتقده



## فهرس الجزء الأول من كتاب

« العمدة ، في محاسن الشعر ونقده »

لأبي علي الحسن بن رشيق ، القيرواني ، الأزدي

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣	مقدمة محقق الكتاب	٢٧	باب في الرد على من يكره الشعر
١٠	ترجمة مؤلف الكتاب	٢٨	الرسول (ص) وأصحابه يمدحون الشعر
١٥	خطبة مؤلف الكتاب	٢٩	معاوية تمنعه من الفرار أبيات عمرو
	باب فضل الشعر		ابن الإطانية
١٩	فضل العرب	—	بين علي وأعرابي سأله حاجة
—	الكلام نوعان : منظوم، ومنثور	—	سعيد بن المسيب يعيب من يكره الشعر
٢٠	النثر يسبق الشعر	٣٠	رأى ابن سيرين في الشعر
—	الشعر أفضل أم النثر ؟	—	العمرى يحض على رواية الشعر
٢٢	من فضل الشعر أن الكذب فيه غير معيب	—	ابن عباس يسخر ممن يكره الشعر
—	قصة إسلام كعب بن زهير	—	كانت عائشة كثيرة الرواية للشعر
٢٤	الأحوص يذكر عمر بن عبد العزيز	٣١	أبو السائب المخزومي وجهه للشعر
—	عطاء الرسول صلى الله عليه وسلم للشعر	—	الرد على حجة من يكره الشعر
—	حسان بن ثابت واعتذاره إلى أم المؤمنين عائشة	—	باب في أشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء
٢٥	أحد المتقدمين يصف الشعراء	٣٢	شعر ينسب إلى أبي بكر الصديق
—	كعب الأحبار يخبر عمر بن الخطاب	٣٣	أبيات تنسب إلى عمر بن الخطاب
—	بما ذكرته التوراة عن الشعراء	٣٤	شعر ينسب إلى عثمان بن عفان
—	ليس لأحد أن يطرى نفسه إلا في الشعر	—	من شعر علي بن أبي طالب
—	العلم ثلاث طبقات	٣٥	من شعر للحسن بن علي بن أبي طالب
٢٦	قيد اليونانيون علومهم بالشعر	—	من شعر لمعاوية بن أبي سفيان
—	الشعر معيار الألمان	—	من شعر الحسين بن علي بن أبي طالب
—	لماذا ينشد الشاعر شعره قائماً ؟	٣٦	من شعر حمزة بن عبد المطلب بن هاشم
		—	من شعر العباس بن عبد المطلب بن هاشم

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣٧	من شعر عبد الله بن العباس	٥٠	جرير وبنو نمير
—	» » جعفر بن أبي طالب	٥١	الربيع بن زياد العبدي وليد بن ربيعة
—	» » عبد الله بن عبد المطلب	٥٢	النجاحشي وبنو العجلان
—	» » عمر بن عبد العزيز بن مروان	٥٣	باب من قضى له الشعر ومن قضى عليه
٣٨	» » عبد الله بن الزبير بن العوام	٥٣	الرسول (ص) يدعو للباغة الجعدي
٣٩	» » القاضي شريح	—	ويدعو لحسان بن ثابت
—	» » الفقيه عبيد الله بن عبد الله	—	الأعشى وعلقمة بن علاثة وعامر بن
—	ابن عتبة بن مسعود	الطفيل	
—	رأى جماعة من أصحاب مالك في الغناء	٥٤	أبو دلامة والقاضي ابن أبي ليلى
٤٠	من شعر الإمام محمد بن إدريس الشافعي	٥٥	جرير والحمانى الشاعر بين يدي
—	باب من رفعه الشعر ومن وضعه	قاضي اليمامة	
٤٠	الشعر يرفع ويضع ، وسر ذلك	—	الحسن البصري يفتى بقول الفرزدق
٤١	رأى لعل بن أبي طالب في امرئ القيس	—	في شعر له
٤٢	على بن الجهم يصف مادعا إلى قول الشعر	—	عمر بن الخطاب يتعجب من بيت لزهير
—	أبو تمام الطائي يقول في هذا المعنى	٥٦	قتيلة بنت النضر تعتب على رسول الله
—	أبو نخيلة السعدي هو السابق إلى	لأنه قتل أباه ( ويقال : بل المقتول	
—	هذا المعنى	أخوها )	
٤٣	السبب الذي من أجله نفى امرأ	٥٧	علقمة بن عبدة يشفع عند الحارث
—	القيس أبوه	ابن أبي ثمر فيشفعه	
—	الحارث بن حنزة اليشكري ممن	٥٨	أمية بن حريثان يشفع عند عمر
—	رفعه الشعر	ابن الخطاب	
٤٤	وممن بلغ رضوان الله بالشعر حسان	—	العماني يشفع عند هارون الرشيد
—	ابن ثابت	٥٩	أبو تمام يشفع عند المعتصم للوائق
—	وممن رفعه الشعر الأخطل التنلي	—	أبو تمام يستعطف مالك بن طوق على
—	وممنهم الحسن بن هانئ أبو نواس	—	بني تغلب
٤٥	وممنهم أبو الطيب المتنبي	٦٠	أبو قابوس الشاعر يشفع عند الرشيد
٤٦	بعض الذين لقبوا بشيء من الشعر قالوه	٦١	المتنبي يشفع لبني كلاب عند سيف الدولة
٤٨	الحلق رفعه ما قال الأعشى فيه من الشعر	—	بين النبي صلوات الله عليه وأبي
٥٠	الحطيئة وبنو أنف الناقة	عزة الشاعر	



ص	الموضوع	ص	الموضوع
٦٢	أوس بن حجر يحرض على بى حنيفة	٧٠	يزيد بن معاوية يسوغ قاطع طريق
—	سديف يحرض السفاح على بنى أمية	—	بشعر له رواه
—	شبل بن عبد الله يحرض عبد الله بن	٧٠	أبو الشعمق واثنان من عمال يحيى
—	على ، على بنى أمية	—	بن خالد
٦٣	العبدى الشاعر يغرى ببنى أمية	٧١	مصعب بن الزبير وأسير من أصحاب المختار
٦٤	الأحوص يغرى الوليد بن عبد الملك	—	يزيد بن عبد الملك يطلق الأحوص
—	باب حزم وآله	—	من الحبس بسبب بيتين من شعره
—	ابن الزيات يغرى المأمون بعمه إبراهيم	٧٢	موت ابن الزوى مسموما
—	ابن المهدي الذي كان قد خرج عليه	—	موت دعبل بن على الخزاعي ، وسببه
—	وعفا عنه	٧٣	الرشيذ يمنع والبة بن الحباب من
—	باب احتماء القبائل بشعرائها	—	الدخول عليه بسبب بيتين من شعره
٦٥	من مظاهر تمجيد العرب للشعراء	—	يزيد بن أم الحكم الثقفي والحجاج
—	زياد الأعجم حمى قبيلته من الفرزدق	—	ابن يوسف
—	عبد الله بن الزبيرى السهمى وبنو قصي	—	الفرزدق مع نصيب بن يدي سليمان
٦٦	بنو حرام والفرزدق	—	ابن عبد الملك ينشدانه
—	الأحوص ورجل من الأنصار	٧٤	ممن ضربه شعره سديف
—	جرير يمتن على أبيه وجده بنفسه	٧٥	قتل المتنبي بسبب بيت من شعره
—	باب من قال الشعر وطيرته	—	وحرمه كافور الولاية لتعاطفه في شعره
٦٧	حسان يتفادل في شعره بفتح مكة	—	تنبؤه
٦٨	كان رسول الله يتفادل ولا يتطير	—	باب تعرض الشعراء
—	أبو الشعمق يتفادل لحالد بن يزيد	٧٦	عمر بن الخطاب والنجاشي وكان هجا
—	موسى بن عبد الملك وجاعة من الكتاب	—	بنى العجلان
—	مجنون ليلى يتمنى في شعره فيبتلى	—	عمر والحطيئة وكان هجا الزرقان بن بدر
٦٩	والمؤمل بن أميل أيضاً	—	أبو عبيدة كان لا يحكم بين الأحياء
—	أبو الهول يتطير على جعفر بن يحيى البرمكي	—	من الشعراء
—	ابن الرومى ، وتطيره	—	أول من لقب قريشا « سحينة » هو
—	باب في مفاع الشعر ومضاره	—	خداش بن زهير
٧٠	المأمون وبيت من شعر عمارة بن عقيل	٧٧	كان الأشراف يتحبون ممارسة الشعراء
—	المتنور بموعن كاتب بيت من الشعر	٧٨	للشعراء السنة حداد

الموضوع	ص	الموضوع	ص
٨٨ من شعراء قيس		٧٨ بين الفرزدق ورجل مر به	
— من شعراء تميم		— بين الفرزدق والبيهقي	
— أشعر الناس حيا هذيل		٧٩ بين الفرزدق ومفرس الفقعسي	
٨٩ منزلة اليمن في الشعر		— الفرزدق والحطيئة	
باب في القدماء والمحدثين		— أبو السمط مروان بن أبي الجنوب وعلي	
٩٠ المحدث والمولد		ابن الجهم	
— رأى أبي عمرو بن العلاء في المحدثين		باب التكبسب بالشعر والألفة منه	
والمولدين		٨٠ ما كانت العرب تتكسب بالشعر	
٩١ لولا أن الكلام يعاد لنقد		— أول التكبسين بالشعر النابغة الذبياني	
٩٢ مثل القدماء والمحدثين		٨١ الأعشى جعل الشعر متجرا	
— لأبي نواس في معنى هذا المثل		— عمر بن الخطاب يتحدث عن زهير	
٩٣ قد يصلح في وقت مالا يصلح في آخر		— الحطيئة أكثر من السؤال بالشعر	
— بم يتقدم القديم والمحدث ؟		٨٢ بين الوليد بن عقبة وليد بن ربيعة	
باب المشاهير من الشعراء		— الشعر أعلى أم الخطابة ؟	
٩٤ سر تقديم امرئ القيس		٨٣ مثل من كبر نفس ابن ميادة	
٩٥ أقوال للعلاء في السابقين من الشعراء		— صلات الملوك ، ومن أخذها من	
٩٦ المعلقات وأصحابها		جلاة العلماء	
— جرير يتحدث عن أشعر الناس		— لم يمدح جميل بن عبد الله أحدا قط	
— وقتيبة بن مسلم يتحدث		٨٤ يقال : إن جميلا مدح عبد العزيز	
— والحطيئة يتحدث		ابن مروان	
٩٧ أقاويل مختلفة في أشعر الناس		— موازنة بين عمر بن أبي ربيعة وعباس	
٩٨ رأى عمر بن الخطاب في زهير بن		ابن الأحنف	
أبي سلمى		٨٥ بين سلم الحاسر ومروان بن أبي حفصة	
٩٩ حجة من قدم النابغة الذبياني		٨٦ ألفة بعض الشعراء من عطايا غير الملوك	
— حجة من قدم الأعشى ميمون بن قيس		باب تنقل الشعر في القبائل	
١٠٠ رأى طائفة في أشعر شعراء كل طبقة		٨٦ كان الشعر في ربيعة	
باب المقلين من الشعراء والمقلبين		٨٧ من أخبر مهلهل بن ربيعة	
١٠٢ ذكر جماعة من المقلين		— للرقشان : الأصغر ، والأكبر	
١٠٦ ذكر معنى الغلب من الشعراء		— جملة من شعراء ربيعة	

الموضوع	ص	الموضوع	ص
باب حد الشعر وبنيته		١٠٦ النابعة الجمعدى	
١١٩ حد الشعر		١٠٧ من المغليين الزبرقان بن بدر	
١٢٠ أركان الشعر		-- ذكر جماعة من المغليين	
-- قواعد الشعر		١٠٨ جماعة من مغلي المولدين	
-- أغراض الشعر		باب من رغب من الشعراء عن	
١٢١ بيت الشعر كبيت البناء		ملاحظة غير الأكفاء	
-- رأى القاضى الجرجاني		-- الزبرقان بن بدر	
١٢٢ رأى دعبيل		١٠٩ سحيم بن وثيل	
-- آراء مختلفة		-- الفرزدق وعمر بن لجأ	
باب في اللفظ والمعنى		-- الفرزدق والطرماح	
١٢٤ الارتباط بين المعنى واللفظ		١١٠ جرير وبشار بن برد	
-- أيهما آثر : اللفظ أم المعنى ؟		-- بشار وحامد عجرد	
-- رأى في ابن هاني المغربي		-- ابن الرومي والبحري	
١٢٦ من يؤثر سهولة اللفظ		١١٠ أبو تمام ومخلد بن بكار	
-- رأى في أبي العتاهية		١١١ المتنبي وابن حجاج البغدادي	
-- من يؤثر المعنى		-- ابن هاني وشعراء إفريقية	
١٢٧ حجة من آثر اللفظ		-- من الشعراء من لا يهجو قط	
١٢٨ للشعراء ألفاظ معروفة وأمثلة مألوقة		باب في الشعراء والشعر	
باب في الطبوع والمصنوع		١١٣ طبقات الشعراء أربع	
١٢٩ حد المطبوع والمصنوع ، وأمثلة		-- اشتقاق المخضرم	
للمطبوع		١١٤ الشعراء أربعة أنواع	
١٣٠ رأى في أبي تمام والبحري		-- أشعر بيت	
-- رأى في ابن المعتز		-- بيان الشعراء الأربعة	
١٣١ رأى في مسلم بن الوليد		١١٦ سمى الشاعر شاعرا ؟	
-- أول من فتح البديع		-- ابن الرومي يهجو ابن طيفور الشاعر	
-- الأعشى وبشار بن برد (موازنة)		١١٧ صعوبة عمل الشعر	
-- متى يكون التصنيع مقبولا ؟		-- نقدة الشعر أبصر به	
١٣٣ رأى الجاحظ فيما يجب أن يكون		-- من شعر الأصمعي	
عليه الكلام		١١٨ الشعر أربعة أصناف	
-- موازنة بين المتنبي وأبي تمام الطائي		-- للشعر صناعة وثقافة	

الموضوع	ص	الموضوع	ص
آراء أخرى	١٥٤	عبيد الشعر	١٣٣
لم يسميت القافية قافية ؟	—	من شعر أبي الحسن	١٣٤
حروف القافية وحركاتها	—	باب في الأوزان	١٣٤
كان ابن الرومي يلتزم في القافية	١٦٠	الوزن ركن الشعر المهم	١٣٤
ملا يلتزم	—	الشاعر المطبوع يستغنى عن معرفة	—
للؤسس من الشعر	١٦١	الأوزان	—
عدة مايلحق القوافي من الحروف	١٦٤	أول من ألف في موازين الشعر	١٣٥
والحركات	—	الحليل بن أحمد	—
عيوب الشعر	—	الجوهري صاحب الصحاح له مذهب	—
الإقواء	١٦٥	في الأوزان يذهب إليه حذاق أهل	—
الإكفاء	١٦٦	هذه الصناعة	—
الإجازة ، والإجارة	—	علة تسمية بحور الشعر	١٣٦
الإصراف	١٦٧	كيفية تقطيع الأجزاء	١٣٧
السناد	—	أجزاء التفاعيل	١٣٨
الإيطاء	١٦٩	الزحاف	—
التضمين	١٧١	من الزحاف ما يستحسن قليله	١٣٩
ألقاب القوافي	١٧٢	الحرم	١٤٠
باب التفقية والتصريح	—	الحزم	١٤١
التصريح	١٧٣	الإقعاد	١٤٣
التفقية	—	مهمات الزحاف أربعة أشياء	١٤٤
اشتقاق التصريح ، وأمثلة له	١٧٤	المطلق والمقيد من القوافي	١٤٧
يقع في التصريح مايقع في القافية	١٧٦	زحاف الحشو ( للعاقبة )	١٤٩
من العيوب ، وأمثلة لذلك	—	المراقبة	—
من ابتداء القصائد التجميع	١٧٧	الفرق بين المعاقبة والمراقبة	١٥٠
المداخل من الأبيات	—	باب القوافي	—
القواديس من الشعر	١٧٨	منزلة القافية من الشعر	١٥١
للمسط من الشعر	—	حد القافية ، واختلاف العلماء فيه	—
اشتقاق التسميط	١٨٠	ترجيح رأى الحليل على رأى	١٥٢
الخمس من الشعر	—	الأخفش ، ووجهه	—
المشطور والمنهوك	١٨١	رأى آخر في القافية نقله الزجاجي	١٥٣

ص	الموضوع	ض	الموضوع
١٨٢	المتقدمون لا يخمسون ولا يسمطون	١٩٤	عبيد بن الأبرص
	باب في الرجز والقصيد	—	تميم بن جميل بين يدي العتصم وقد
١٨٢	الرجز وأنواعه		أمر بقتله
١٨٣	مشطور السريع من القصيد	١٩٥	علي بن الجهم
١٨٤	منهوك المنسرح	—	اشتقاق البديهة
—	القرىض	١٩٦	اشتقاق الارتجال
١٨٥	الشعراء والرحاز ومن جمع بينهما		باب في آداب الشاعر
	باب في القطع والطوال	١٩٦	الصفات التي يجب أن يتحلّى بها الشاعر
١٨٦	متى تحسن الإطالة ؟	—	حاجة الشعر إلى مواد الثقافة
—	رأى في الفرزدق	١٩٧	الرواية أو ثقل آلات الشاعر
—	حاجة الشاعر إلى القطع	١٩٨	رواية بعض الشعراء عن بعض
١٨٧	منزلة القطع القصار	—	حاجة الشاعر للولد إلى أشعار الولدين
—	فرق ما بين المليل والموجز من الشعراء	١٩٩	أول ما يحتاجه الشاعر معرفة مقاصد
١٨٨	المشهورون بالمقطعات من الشعراء		الكلام
—	متى تسمى القصيدة قصيدة ؟	—	لكل مقام مقال
١٨٩	متى قصد الشعر ؟	٢٠٠	يجب أن يتفقد الشاعر شعره
—	أول من طول الرجز الأغلب العجلى	٢٠١	لا يجوز أن يكون الشاعر معجبا بنفسه
—	من يستحق لقب «الكامل» من الشعراء	٢٠٢	بين امرئ القيس والتوأم اليشكري
	باب في البديهة والارتجال	٢٠٣	بين جرير وشاعر يقال له البردخت
١٨٩	البديهة ، والفرق بينها وبين الارتجال	—	بين عقبة بن ربيعة بن العجاج وبيشربن برد
١٩٠	أعظم ما وقع من الارتجال	٢٠٤	إعجاب البحري بنفسه
—	قدرة أبي نواس على البديهة والارتجال		باب عمل الشعر وشحن القرينة له
١٩١	مسلم بن الوليد وأبو نواس (موزانة)	٢٠٤	لكل شاعر فترة
—	أبو العتاهية	٢٠٥	رأى في أشجع السلمي
١٩٢	حد البديهة	—	وسائل الشعراء لاستدعاء الشعر
—	بديهة الجناز	٢٠٨	أوقات صناعة الشعر
—	بديهة أبي تمام	٢٠٩	بعض أحوال أبي تمام في صناعة الشعر
١٩٣	بديهة المتنبي ، وارتجاله	—	بين جرير والفرزدق
—	شعراء بديهتهم كرويتهم	—	كيف كان أبو تمام ينظم الشعر ؟
		٢١٠	عبد الله بن رواحة

الموضوع	ص	الموضوع	ص
٢٣٢ من الشعراء من لا يجيد الابتداء ولا يتكلف له		٢١٠ طريقة جماعة من الشعراء في النظم	
٢٣٣ من جيد ابتداءات أبي تمام		٢١٢ صحيفة بشر بن العتمر في البلاغة	
— من جيد ابتداءات البحري		٢١٤ أفضل ما استعان به شاعر على صناعة الشعر	
٢٣٤ حد الخروج ، وأمثله		باب في المقاطع والمطالع	
— من ردء الخروج في شعر المتنبي		٢١٥ حد المقاطع والمطالع	
( وانظر ص ٢٤٠ )		٢١٦ حد البلاغة للعتابي	
٢٣٦ الاستطراد		باب المبدأ والخروج والنهاية	
— التخلص		٢١٧ منزلة هذه الأمور الثلاثة	
٢٣٩ طريق العرب في الخروج		٢١٨ مختار من المطالع الجيدة	
— الانتهاء		٢١٩ بين دعبل الخزاعي وديك الجن	
٢٤٠ من سبب الخروج في شعر المتنبي أيضا		٢٢١ من عيوب المطالع	
٢٤١ رأى الخذاق في ختم القصيدة بالدعاء		٢٢٢ مأخذ على جرير	
باب البلاغة		— مأخذ على المتنبي	
٢٤١ منزلة الإيجاز		— مأخذ على ذي الرمة	
٢٤٢ حدود للبلاغة والبلاء		— مأخذ على أبي النجم	
٢٤٤ من شعر أبي الحسن في البلاغة		— سبب وقوع الشاعر في عيوب المطلع	
٢٤٥ عود إلى حد البلاغة والبلاء		٢٢٣ نصيحة لمن يريد أن يجود شعره	
٢٤٩ كلام في البذاء		— بين النعمان بن النضر وعدى بن زيد	
— وصف البيان لجعفر بن يحيى		٢٢٤ من دعاء الشعراء للملوك	
— الكلام البليغ		— من إساءات أبي نواس	
باب الإيجاز		٢٢٥ مذاهب الشعراء في افتتاح القصائد	
٢٥٠ حد الإيجاز		٢٢٦ العادة أن يذكر الشاعر المفاوز والركاب	
— المساواة		ونحو ذلك قبل أن يذكر المديح	
— مثال من اعتدال الوزن		٢٢٨ ربحا ذكر الشاعر أنه بلغ بمدوحه ما شيا	
٢٥١ الاكتفاء ( مجاز الحذف )		٢٢٩ المتنبي يذكر الخيل ويؤثرها على الإبل	
٢٥٢ أمثلة للإيجاز من الشعر		٢٣٠ من شعر مؤلف الكتاب	
٢٥٣ أمثلة للإيجاز من القرآن والحديث		٢٣١ من الشعراء من لا يجعل لشعره بسطا	
		من النسب	
		٢٣٢ طريق أبي نواس في ابتداء قصائده	

الموضوع	ص	الموضوع	ص
السرفى استعارتهم لفظ الشيء لغيره	٢٧٤	بعض ما يظن من الحذف وليس منه	٢٥٣
— أمثلة من الاستعارة المختارة	—	باب البيان	—
أمثلة للاستعارة من القرآن والحديث	٢٧٥	حد البيان	٢٥٤
أمثلة للاستعارة من الشعر	٢٧٦	أمثلة من البيان الموزج	٢٥٥
باب التمثيل	—	باب النظم	—
حد التمثيل ، وأول من ابتكره	٢٧٧	أجود الشعر	٢٥٧
أمثلة من جيد التمثيل	٢٧٨	مثل من مزاج الألفاظ	٢٥٨
الإيغال ( التبليغ )	٢٧٩	في القرآن ألفاظ لا تكاد تفرق	٢٥٩
الفرق بين الاستعارة والتشبيه والتمثيل	٢٨٠	عيب التقديم والتأخير في الكلام	٢٦٠
باب للمثل السائر	٢٨١	عيب تقارب الحروف وتكررها	٢٦١
أفضل للمثل	٢٨٠	التشبيح	—
الأمثال الطوال والقصار	٢٨١	قيام كل بيت بنفسه	—
لم نظم للمثل ؟ وأمثلة من المثل المنظومة	٢٨٢	باب المخرع والبديع	—
ما اشتهر به جماعة من المحدثين	٢٨٦	حد المخرع	٢٦٢
باب التشبيه	—	التوليد	٢٦٣
حد التشبيه	٢٨٦	الفرق بين الاختراع والإبداع	٢٦٥
فائدة التشبيه	٢٨٧	اشتقاق الاختراع	—
أنواع التشبيه	—	البديع	—
أفضل التشبيه	٢٨٩	أنواع البديع عند ابن المعتز	—
سبل التشبيه	٢٩٠	باب المجاز	—
أصل التشبيه	—	منزلة المجاز	٢٦٥
تشبيه شيئين بشيئين	—	معنى المجاز	٢٦٦
تشبيه ثلاثة بثلاثة	٢٩٢	المجاز أبلغ من الحقيقة ، وأمثلة منه	—
تشبيه أربعة بأربعة	٢٩٣	التشبيه من المجاز	٢٦٨
تشبيه خمسة بخمسة	٢٩٤	الكناية	—
التشبيه بغير أداة	—	باب الاستعارة	—
أمثلة من ملبس التشبيه	—	منزلة الاستعارة ، وأمثلة منها	٢٦٨
تشبيه المختلفين والضدين	٢٩٥	من معيب الاستعارة	٢٧٠
التشبيهات العقم	٢٩٦	حدود مختلفة للاستعارة ، وأمثلة منها	—
		ما يجنبه المحدثون من الاستعارة	٢٧١

الموضوع	ص	الموضوع	ص
باب التجنيس		٢٩٩ تشبيهات للقدامى تركها للمولدون	
٣٢١ المائلة ضرب من التجنيس ،		باب الإشارة	
وأمثلة لها		٣٠٢ منزلة الإشارة	
٣٢٣ التجنيس المحقق		٣٠٣ مما جاء من الإشارة على معنى التشبيه	
٣٢٥ من التجنيس نوع يسمى المضارعة		— التفخيم والإيلاء	
٣٢٦ الرماني يسميه المشاكلة		— التعريض	
٣٢٧ أمثلة من المضارعة بالتصحيف		٣٠٤ التلويح	
ونقص الحروف		٣٠٥ الكناية والتثيل	
٣٢٨ التجانس المنفصل		— الرمز	
٣٢٩ إذا وقع في القافية جاء كالإيلاء الذي		٣٠٦ من الإشارات اللمحة	
هو عيب من عيوب القافية		٣٠٧ من خفي الإشارات للغز	
٣٣٠ مما يعده قوم من المضارعة		— ومنها اللحن	
— التجنيس المضاف (المزاج)		٣٠٩ ومنها التعمية	
٣٣١ أمثلة يظن أنها من المزاوجة		— من الإشارات مصحوبة	
— متى كانت تسمية التجنيس تجنيسا ؟		٣١٠ من الإشارات اخدف	
— من أمثلة هذا الباب		٣١١ من أنواع الإشارة التورية	
٣٣٢ التجنيس ، والطباق		٣١٣ الكناية عند المبرد على ثلاثة أضرب	
— في باب الترديد		باب التثبيح	
٣٣٣ حد الترديد ، وذكر أمثلة له		٣١٣ حد التثبيح ، وأمثلة له	
٣٣٥ ولع المتنبي بهذا النوع		٣٢٠ مما يحتمل أن يكون تنبيعا وألا يكون	

تمت - بحمد الله واهب القوى والقدر - فهرست الموضوعات الواردة في الجزء الأول  
من كتاب «العمدة» في صناعة الشعر وتقدمه لابن رشيق القيرواني، مفصلة غاية التفصيل  
والحمد لله رب العالمين ، وصلاته وسلامه على إمام المتقين ، سيدنا محمد خاتم المرسلين ، وعلى  
آله وصحبه أجمعين .



# الجملة

في محاسن الشعر ، وآدابه ، ونقده

## للجزء الثاني

تأليف

أبي علي الحسن بن رَشِيْق ، الْقَيْرَوَانِي ، الْأَزْدِي

٣٩٠ — ٤٥٦ من الهجرة

---

حققه ، وفصله ، وعلق حواشيه

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْجَمِيدِ

عفا الله تعالى عنه أ

## دار الجيل

للنشر والتوزيع والطباعة

مطبعة - لبنان

ص. ب. ٨٧٣٧



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٤٥ - باب التصدير

وهو أن يُردَّ أبحاز الكلام على صدره ، فيدل بعضه على بعض ، ويسهل استخراج قوافي الشعر إذا كان كذلك وتقتضيها الصنعة ، ويكسب البيت الذي يكون فيه أبهة ، ويكسوه رونقاً ودباجةً ويؤيد مائة وطلاوة .

وقد قسم هذا الباب عبدُ الله بن المعتز على ثلاثة أقسام :  
أحدها : ما يوافق آخرَ كلمة من البيت آخرَ كلمة من النصف الأول ، نحو قول الشاعر :

يُبلّغني إذا ما الجَيْشُ كان عَرَمَماً في جَيْشٍ رأي لا يُفلُّ عَرَمَماً  
الآخر : ما يوافق آخرَ كلمة من البيت أولَ كلمة منه ، نحو قوله :  
سَرِيعٌ إلى ابن العمِّ يَشْتُمُ عِرْضَهُ وَلَيْسَ إلى دَاغِي النَّدى بِسَرِيعِ  
والثالث : ما وافق آخرَ كلمة من البيت بعض ما فيه ، كقول الآخر :  
عَزِيزُ بَنِي سُلَيْمٍ أَقْصَدَتْهُ سِيَهَامُ المَوْتِ وَهِيَ لَهُ سِيَهَامُ

والتصدير قريب من الترديد ، والفرق بينهما أن التصدير مخصوص بالقوافي تُردُّ على الصدور ، فلا تجد تصديراً إلا كذلك حيث وقع من كتب المؤلفين ، وإن لم يذكروا فيه فرقاً ، والترديد يقع في أضعاف البيت ، إلا ما ناسب بيت ابن العميد المتقدم .

أمثلة للتصدير

ومن أبيات التصدير قول زهير :

كَذَلِكَ مُخِيْمُهُمْ ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ  
إذا مَسَّتْهُمُ الصَّراةُ خِيَمٌ  
وقال أيضاً في ذلك :

لَهُ فِي الدَّاهِيَيْنِ أَرْوَمٌ صِدْقٍ وَكَانَ لِكُلِّ ذِي حَسَبٍ أَرْوَمٌ

وقال أبو الأسود - واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلى - :  
وما كُلُّ ذِي لُبٍّ بِمَوْتِكَ نُصَحُّهُ      وما كلُّ مَوْتٍ نَصَحَهُ بَلِيْب  
فهذا تصدير ، وإن كان ظاهره فى اللفظ ترديداً لليلة التى ذكرتها .  
ومن أناشيدهم فى التصدير قول طَقَيْلِ الْغَنَوَى :  
تَحَارِمَكَ أَمْنَعُهَا مِنَ الْقَوْمِ ؛ إِنِّى      أَرَى جَفَنَةً قَدْ صَاعَ فِيهَا الْمَحَارِمُ  
وقال جرير وهم يستحسنونه جداً :  
سَقَى الرَّمْلَ جَوْنَ مُسْتَهْلٍ رَبَابُهُ      وما ذاكَ إِلَّا حُبٌّ مِّنْ حَلٍّ بِالرَّمْلِ  
وقال عمرو بن أحرر :

تَغَمَّرْتُ مِنْهَا بَعْدَ مَا نَفَسَ الصَّبَا      وَلَمْ يَرَوْا مِنْ ذِي حَاجَةٍ مِّنْ تَغَمَّرَا  
« تغمرت » أى : شربت من الفمر ، وهو قَدَحٌ صغير جداً ، ضربه  
مثلاً ، أى : تعلت منها بالشئ القليل ، وذلك لا يبلغ ما فى نفسى منك  
من المراد .

من التصدير      ومن التصدير نوع سماه عبد الكريم المضادة ، وأنشد للفرزدق :  
أَصْدِرْ هُمُومَكَ لَا يَغْلِبِكَ وَاِرِدُهَا      فَكُلُّ وَاِرِدَةٍ يَوْمًا لَهَا صَدْرُ  
بالمضادة دون أن يجعله تصديراً كما جعله أولاً طباقاً كما يقال فى الأضداد إذا وقعت  
فى الشعر ، وقد رأيت فى إحدى النسخ مع أبيات المطابقة :

ويقاربه من كلام المحدثين قول ابن الرومى :  
رِيحَانُهُمْ ذَهَبٌ عَلَى دُرٍّ      وَشَرَابُهُمْ دُرٌّ عَلَى ذَهَبٍ  
والكتاب يسمون هذا النوع التبديل ، حكاه أبو جعفر النحاس .  
ومن أناشيد ابن المعتز قول منصور بن الفرخ فى ذكر الشيب :  
يَا بَيَاضاً أَذْرَى دُمُوعِي حَتَّى      عاد منها سوادٌ عَيْنِي بَيَاضاً

وأنشد لأبي نواس ، وهو عندي بعيد من إحكام الصنعة التي يدخل بها في هذا الباب ، على أنه غاية في ذاته ؛ لأن أكثر العادة أن تعاد اللفظة بنفسها :

دَقَّتْ وَرَقَّتْ مَذَقْتُ مِنْ مَائِهَا وَالْعَيْشُ بَيْنَ رَقِيقَتَيْنِ رَقِيقُ  
وأنشد لمسلم بن الوليد :

تَبَسَّمُ عَنْ مِثْلِ الْأَفَاحِ تَبَسَّمَتْ لَهُ مُزْنَةٌ صَيْفِيَّةٌ فَتَبَسَّمَا  
وهذا البيت أيضاً ترديد ، وأنشد للطائي :

ولم يحفظ مُضَاعَ المجدِ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ كَلَمَالِ الْمَضَاعِ  
فالولدون أكثر عناية بهذه الأشياء ، وأشد طلباً لها من القدماء ، وهي في أشعارهم أوجد كما قدّمت آنفاً .

[ للمطابقة في الكلام : أن يأتلف في معناه ما يضاد في فحواه <sup>(١)</sup> ] المطابقة حد المطابقة  
عند جميع الناس : جَمْعُكَ بَيْنَ الضَّادِينَ فِي الْكَلَامِ أَوْ بَيْتِ شَعْرٍ ، إلّا قدامة ومن  
اتبعه ؛ فإنهم يجعلون اجتماع المعنيين في لفظة واحدة مكررة طباقاً ، وقد تقدم الكلام  
في باب التجانس ، وسمى قدامة هذا النوع — الذي هو المطابقة عندنا —  
التكافؤ ، وليس بطباق عنده إلّا ما قدّمت ذكره ، ولم يُسمَّ التكافؤ أحد غيره  
وغير النحاس من جميع من علمته .

(١) هذه العبارة زيادة في المصريتين ، وقد كتب بحاشيتهما « سقطت هذه  
الجملة من بعض النسخ ، وكأنها من منيات المؤلف على حاشية نسخه فادخلها بعض  
النساخ في جملة الكتاب وسيأتي مثل هذا في أبواب آخر » اهـ والصواب عدم إثباتها ،  
وذلك ظاهر كل الظهور لمن يلتفت إلى ما بعدها ، وانظر ص ١٥ من هذا الجزء

قال الخليل بن أحمد : يقال « طابقت بين الشيتين » إذا جمعت بينهما على حذو واحد وألصقتهما .

وذكر الأصمعي المطابقة في الشعر فقال : أصلها وضع الرّجل في موضع اليد في مشى ذوات الأربع ، وأنشد لنا بعة بنى جعدة :

وَخَيْلٍ يُطَابِقُنَ بِالْدَّارِ عَيْنَ طِبَاقِ الْكِلاَبِ يَطَانُ الْهَرَّاسُ

ثم قال : أحسن بيت قيل لزهير في ذلك :

لَيْثٌ بَعَثَ يَصْطَادُ الرِّجَالَ ، إِذَا مَا اللَّيْثُ كَذَبَ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقًا

حكى ذلك ابن دريد عن أبي حاتم عنه .

وأما علي بن سليمان الأخفش فاختار قول ابن الزبير الأسدي :

رَمَى الْحِدَثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمَقْدَارِ سَمْدَنْ لَهُ سُودَا

فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ الشُّودَ بِيَضًا وَرَدَّ وَجُوهَهُنَّ الْبِيضَ سُودَا

وهذا من التبديل على مذاهب الكتاب ، واختار أيضا قول طقيّل

الغَنَوِي :

بِسَامِ الْوَجْهِ لَمْ تُقَطَّعْ أَبَاجِلُهُ يُصَانُ وَهُوَ لِيَوْمِ الرَّوْعِ مَبْدُولٌ<sup>(١)</sup>

حكاه الحاتمي عن أبي الفرج علي بن الحسن القرشي . .

وقال الرماني : المطابقة : مُسَاوَاةُ الْمَقْدَارِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ .

(١) في المصريتين « بشام الوجه » بالشين معجمة ، وهو تصحيف ، ويقال :

فرس ساهم الوجه ، إذا كان محمولا على كراهية الجري ، وقال عنتره :

والخيل ساهمة الوجوه كأنما سقيت فوارسها تقيع الحنظل

والأباجل : جمع أبجل ، وهو عرق ، وهو من الفرس والبعير بمنزلة الأكل

من الإنسان .

قال صاحب الكتاب : هذا أحسن قول سمعته في المطابقة من غيره ، وأجمعه لفائدة ، وهو مشتمل على أقوال الفريقين وقُدّامة جميعاً ، وأما قول الخليل « إذا جمعت بينهما على حذو واحد وألصقتهما » فهو مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان كما قال الرماني ، يشهد بذلك قول ليبيد :

تعاورن الحديث وطبقته كما طبقت بالنعل المثال

ومنه « طَبَّقْتُ المِفْصَلَ » أي : أصبته فلم أزد في العضو شيئاً ولم أنقص منه . . وكذلك قول الأصمعي « أصلها من وضع الرجل موضع اليد في مشى ذوات الأربع » هو مساواة المقدار أيضاً ؛ لأن من ذوات الأربع ما يتجاوز رجله موضع يده ، ومنها ما يطابق كما قال خَلْقَةُ ، وربما كان طباقها من ثقل تحملها أو شكيمتها تمنعها أو شيء تتقيه على أنفسها ، ولذلك شبه النافعة الجعدي مشى الخيل بوطء الكلاب الهراس ، وهو حُطَامُ الشَّوْكَ ؛ فهي لا تضع أرجلها إلا حيث رفعت منه أيديها طلباً للسلامة .

وأما قول قدامة في المطابق « هو ما اشترك في لفظة واحدة بعينها » فإنه أيضاً مساواة لفظاً للفظ ، وهي - أعنى المساواة - على رأى الخليل والأصمعي مساواة معنى لمعنى ، وقد يكون المراد أيضاً مطابقة اللفظ للمعنى ، أي : موافقته ، ألا ترى أنهم يقولون : « فلان يطابق فلاناً على كذا » إذا وافقه عليه وساعده فيه ؛ فيكون مذهب قدامة أن اللفظة وافقت معنى ، ثم وافقت بعينها معنى آخر ، ويصح هذا أيضاً في قول الخليل في الطباق « إنه جمعك بين الشيثين على حذو واحد » فيكون الشيثان للمعنيين ، والحذو الواحد : اللفظة .

ومن ملحق ما رأيته في المطابقة قولُ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَصِفُ هَيْبَةً  
وَعَنْ نَجْلَاءَ تَدْمَعُ فِي بَيَاضٍ إِذَا دَمَعَتْ ، وَتَنْظُرُ فِي سَوَادٍ

أمثلة من  
المطابقة

وقال أيضاً :

وَوَاللَّهِ مَا قَارَبْتُ إِلَّا تَبَاعَدَتْ      بَصَرِي ، وَلَا أَكْثَرْتُ إِلَّا أَقَلَّتْ

وقال ابن المعتز ، ويروى لابن المعتدل :

هَوَايَ هَوَايَ بَاطِنٌ ظَاهِرٌ      قَدِيمٌ حَدِيثٌ لَطِيفٌ جَلِيلٌ

ولبعض الأعراب :

أُمُوثِرَةُ الرَّجَالِ عَلَى لَيْلَى      وَلَمْ أُوثِرْ عَلَى لَيْلَى النِّسَاءِ

وقال أعرابي : الدرامم ميامم تَسْمُ حِداً أَوْ ذِمّاً ، فمن حَبَسَهَا كان لها ، ومن أنْفَقَهَا كانت له ، ونظم الشاعر هذا الكلام فقال :

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أُمْسَكْتَهُ      فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَاَلْمَالُ لَكَ

ومن الطبايق الحسن قول أعرابي : خرجنا حُفَاةً حين انتعل كل شيء ظِلَّهُ ، وما زادتُ إلا التوكل ، وما مطايانا إلا الأرجل ، حتى لحقنا بالقوم .

وقال آخر لصاحبه : إن يَسَارَ النفس أفضل من يَسَارِ المال ، فإن لم ترزق غنى فلا تحرم تقوى ، فرب شَبَعَانٍ من النعم غَرَّثَانٍ من الكرم ؛ واعلم أن المؤمن على خير ترحب به الأرض وتستبشر به السماء ، ولن يُسَاءَ إليه في بطنها وقد أحسن على ظهرها . : ولربيعه بن مَفْرُوم الضَّبِّي :

فَدَعَا نَزَالَ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ      وَعِلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزَلِ

ومن أفضل كلام البشر قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه . « فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبية قبل الكبر ، ومن الحياة قبل المات ؛ فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعجب ، وما بعد الدنيا دار ، إلا الجنة أو النار » فهذا هو المعجز الذي لا تكلف فيه ولا مطمع في الإتيان بمثله . وقال الله عز من قائل : ( وما يستوى الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الخُرُور ، وما يستوى الأحياء ولا الأموات )



وعد ابن المعتز من المطابقة قول الله عز وجل : (ولسكن في القصاص حياة) لأن معناه : « القتل انفى للقتل » فصار القتل سبب الحياة ، وهذا من أملح الطباق وأخفاه .

ومما استغربه الجرجاني من الطباق واستلطفه قول الطائي :  
مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسُ قَتَلَا الْخَطَّ إِلَّا أَنْ تَلَّكَ ذَوَابِلُ  
لمطابقته بهاتَا وتلك ، وإحداها للحاضر والأخرى للغائب ، فكادتني المعنى  
بقيضتين وبمثلة الضدين ، هذا قوله ، وليس عندي بمحقق ؛ إنما إحداها للقريب  
والأخرى للبعيد المشار إليه ، ولكن الرجل أراد التخلص فزل في العبارة .  
ومثل هذا عندي في بابه قول أبي الطيب يذكر خيل العدو الزاحف للحرب :  
ضَرَبْنَ إِلَيْنَا بِالسَّيَاطِ جِهَالَةً فَلَمَّا تَعَارَفْنَا ضَرَبْنَ بِهَا عَنَا  
فقوله « ضربن إلينا » مجيء إقدام ، وقوله « ضربن بها عنا » ذهاب فرار ،  
وهما صدان .

ومن أنواع الطباق قول هُدْبَةَ بْنِ خَشْرَمَ :  
فَإِنْ تُقَاتِلُونَا فِي الْحَدِيدِ فَإِنَّا قَتَلْنَا أَخَاكُمْ مُطْلَقًا لَمْ يُكَبَّلْ  
فقوله « في الحديد » ضد قوله « مطلقاً لم يكبل » وإن لم يأت على متعارف  
المضادة ، وكذلك قوله :

فَإِنْ يَكُ أَنْفِي زَالَ عَنِّي جَمَالُهُ فَمَا حَسَبِي فِي الصَّالِحِينَ بِأَجْدَعَا  
كأبه قال : « وإن يك أنفي أجدع فما حسبي بأجدع » .

قال الجرجاني : وقد يخلط من نقص علمه ويسوء تمييزه بالمطابق ما ليس منه ،  
كقول كعب بن سعد الذنوي يرثي أخاه :

لَقَدْ كَانَ أَمَّا جَاهُهُ فَمُرُوسٌ عَلَيْنَا ، وَأَمَّا جِهْلُهُ فَعَزِيبٌ

لما رأى الحلم والجهل ووجد مروحاً وعزيباً جعلهما في هذه الجملة ، ولو ألحقنا

مما يظن  
من المطابق  
وليس منه

ذلك بها لوجب أن يلحق أكثر أصناف التقسيم ، ولا تسمع الخرق فيه حتى يستغرق أكثر الكلام .

قال صاحب الكتاب : معنى قوله فيما أنكر أن البيت إنما حقه أن يكون في باب المقابلة ؛ لمقابلة الشاعر فيه كلمتين بكلمتين تقران من مضادتهما ، وليستا بضدين على الحقيقة ، ولو كانتا ضدين لم يكن ما زاد على لفظتين متضادتين أو مختلفتين إلا مقابلة ، فإن لم يكن بين الألفاظ مناسبة البتة إلا الوزن سمي موازنة ، وسأذكره في باب المقابلة إن شاء الله ، هكذا جرت العادة في هذه التسمية .

وأما قولنا «إن الكلمتين غير متفاوتين» فظاهر ؛ لأن الحلم ليس ضده في الحقيقة الجهل ، وإنما ضده السفه والطيش ، وضد الجهل العلم والمعرفة وما شاكلهما ، وكذلك الروح ليس ضده العزيب ، وإنما ضده المغدو به أو المبكر به ، وما أشبههما ولما ثقل وزن الروح من هاتين اللفظتين وقّل استعماله سمحت فيهما ، وأما العزيب فهو البعيد والغائب ، ولا مضادة بينه وبين الروح إلا بعيدة ، كأنه يقول : إن هذا يأتي لوقته وذلك بعيد خفي لا يأتي ولا يعرف ، على أنا نجد أبا تمام إمام الصنعة قد قال :

ولقد سَلَوْتُ لَوْ أَنَّ دَارًا لَمْ تَكُحْ وَحَلَمْتُ لَوْ أَنَّ الْهَوَى لَمْ يَجْهَلِ

وقال زهير ، وزعموا أنه لأوس بن حجر :

إذا أنت لم تعرض عن الجهل وانلخنا أَصَبْتَ حَلِيماً أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ

لما وجدته خلافاً له طابق بينهما كما يفعل بالضد ، وإن كان الخلاف مقصراً عن رتبة الضد في المباعدة ، والناس متفقون على أن جميع الخلوقات : مخالف ، وموافق ، ومضاد ، فمتى وقع الخلاف في باب المطابقة فإنما هو على معنى المسامحة وطرح الكلفة والمشقة ، وأنشد غير واحد من العلماء لحسين بن مطير :

من أمثلة  
المطابقة أيضا

بِسُودٍ نَوَاصِيهَا وَحُمْرٍ أَكْفَهَا      وَصُفْرِ تَرَاقِيهَا وَبَيْضٍ خُدُودَهَا

ورواه ابن الأعرابي في نسق أبيات :

بصفر تراقيا وحر أكفا      وسود نواصيها وبيص خدودها

وهذه الرواية أدخل في الصنعة ، وقال الرماني وغيره : السواد والبياض ضدان ، وسائر الألوان يضاد كل واحد منها صاحبه ، إلا أن البياض هو ضد السواد على الحقيقة ؛ إذ كان كل واحد منهما كلما قوى زاد بعداً من صاحبه ، وما بينهما من الألوان كلما قوى زاد قرباً من السواد ، فإن ضلف زاد قرباً من البياض ، وأيضاً فلأن البياض منصبع لا يصيبغ ، والسواد صابغ لا منصبع ، وليس سائر الألوان كذلك ؛ لأنها كلها تصبغ وتنصبغ ، انقضى كلامهم ، وهو بين ظاهر لا يخفى على أحد ، وإنما أوردته لإبطالاً لزعم من زعم أن أفضل مطابقة وقعت قول عمرو بن كلثوم :

بأنا نُورِدُ الرِّايَاتِ بَيْضاً      وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْراً قَدَرَوِينَا

من شعر  
أبي الحسن  
في الطباق

ومن أخف الطباق روحاً ، وأقله كلفة ، وأرسخه في السمع ، وأعلقه في القلب ؛ قول السيد أبي الحسن في قصيدة :

أَلَا لَيْتَ أَيَّاماً مَضَى لِي نَعِيمُهَا      تَسْكِرُهُ عَلَيْنَا بِالْوَصَالِ فَنَنعَمُ  
وصفراء تحكي الشمس من عهد قيصر      يَتَّقُونَ إِلَيْهَا كُلُّ مَنْ يَتَكْرَمُ  
إِذَا مَزَجَتْ فِي الْكَأْسِ خِلْتِ لَأَلْنَا      تَنْثُرُ فِي حَافَاتِهَا وَتَنْظُمُ  
جمعنا بها الأشتات من كل لذة      على أنه لم يفس في ذاك محرم

فطابق بين « تنثر وتنظم » وبين « جمعنا والأشتات » أسهل طباق وألطفه من غير تعمل ولا استكراه ، وأتى في البيت الأول من قوله « مضى وتسكر » بأخفى مطابقة ، وأظرف صنعة على مذهب من انتحلّه .

ومما يغلط فيه الناس كثيراً في هذا الباب الجمال والقبح كقول بعض المحدثين .

أمثلة مما يغلط فيه الناس

وَجْهُهُ غَايَةُ الْجَمَالِ ، وَلَكِنْ فَعَلَهُ غَايَةً لِكُلِّ قَبِيحٍ  
وليس ضده ، وإنما ضده الدَّمَامَةُ ، والقبح ضده الحسن . وقال الصَّوْلِيُّ  
أبو بكر يصف قلما :

ناحل الجسم ، ليس يعرف مذكا ن نعيا ، وليس يعرفُ ضراً  
وليس بينهما مضادة . وإنما ضد النعيم البؤس ، فأما قول أبي الطيب :  
فَالسَّلَامُ تَكْسِيرُ مَنْ جَنَاحَيْهِ مَا لَهُ بَنَوَالَهُ مَا تَجْبُرُ الْهَيْجَاهُ  
فإنه داخل في الطباق المحض ؛ لأن المراد بالهيجاء الحرب ، وهي اسم من  
أسمائها ، فكأنه قال الحرب ، فأتى بضد السلم حقيقة .

(٤٧) — باب ما اختلط فيه التجنيس بالمطابقة

من ذلك أن يقع في الكلام شيء مما يستعمل للضدين : كقولهم « جَلَّ »  
بمعنى صغير ، و « جَلَل » بمعنى عظيم ؛ فإن باطنه مطابقة ، وإن كان ظاهره  
تجنيساً ، وكذلك « الْجَوْنُ » الأبيض ، و « الجون » الأسود ، وما أشبه ذلك  
وكذلك إن دخل النفي كما قدمت ، قال البحتري :

أسباب  
اختلاطهما

يَقِيضُ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ الْهُوَى وَيَسْرِي إِلَى الشَّوْقِ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ  
فهذا مجانس في ظاهره ، وهو في باطنه مطابق ؛ لأن قوله « لا أعلم » كقوله  
أجهل ، ومثل ذلك قول الآخر :

لِعَمْرِي لَنْ طَالَ الْفَضِيلُ بِنُ دَيْسَمٍ مَعَ الظِّلِّ مَا إِنْ رَأَيْتُ بَطْوِيلَ  
كأنه قال : إِنَّ رَأْيَهُ قَصِيرٌ ، وقد جاء في القرآن : ( هل يستوى الذين  
يعلمون والذين لا يعلمون ) فأما قول الفرزدق :

لعمرى لئن قلّ الحصى في عديديكم نبي هَـشَلٍ ما لؤمكم بقليل  
ظاهرةُ تجنيس بالقلة ، و باطنه تطبيق بالكثرة ؛ إذ كان معنى « قل الحصى  
في عديديكم » أنكم كثير ، ومعنى « ما لؤمكم بقليل » أنه كثير أيضاً ، بخلاف  
الأول ، وقد قال جلهمه بن أد بن مالك - وهو طيء - لولده في وصية « ولا تكونوا  
كالجراد ، أكل ما وجد وأكله ما وجد » فهذا مجازس الظاهر مطابق الباطن ،  
ومما أنشده ثعلب :

أَيُّ حُبِّي سُلَيْمِي أَنْ يَبِيدَا وَأُمْسَى حَبْلُهَا خَلَقًا جَدِيدَا  
الجديد ههنا : المجدود ، وهو المقطوع ، مثل قتيل وهزيل بمعنى مقتول [وممزول] ،  
كأنه قال مجدوداً ، أي : مقطوعاً ، فليس بمطابق ، وإن كان كذلك في الظاهر  
عند من لا يميز ، فأما المميز فيعلم أنه لا يكون حَلَقًا جديداً في حال :  
وقال العتابي يعاتب المأمون وقد حجب عنه وكان به حَفِيَا :  
تَضْرِبُ النَّاسَ بِالْمُهَنْدَةِ الْبَيْضِ عَلَى غَدَرِهِمْ وَتَنْسَى الْوَفَاءَ  
فأتى بالغدر والوفاء جميعاً ، وهما ضدان ، فطابق بينهما في الظاهر ، و باطن  
كلامه مجازس ؛ لأن قوله « وتنسى الوفاء » كقوله تغدر .  
وقال جرير أيضاً :

\* أَتَصْحَوُ أَمْ فُؤَادُكَ غَيْرُ صَاحٍ <sup>(١)</sup> \*

فقوله « غير صاح » نقيض « أتصحو » لولا أنه استفهام لم تعلم حقيقة  
محصوله بعد ، إلا على مذهب مَنْ جمل « أم » بمعنى « بل » فكأنه قال  
لنفسه : بل فؤادك غير صاح ، فناقض الصحو ، ودخل كلامه في المطابقة . . وقال  
قيس بن الخطيم ، ويروى لعدي :

(١) تمامه \* عشية هم صحبك بالرواح \* وقد تكرر في هذا الكتاب  
ذكر صدر هذا البيت ( انظر الجزء الأول ص ١٩ ) .

وإني لأغنى النَّاسِ عن مُتَكَلِّفٍ يرى النَّاسَ ضُلَّالًا وليس بهتدي  
 كأنه قال «وهو ضال» فجانس في الباطن ، وإن كان قد طابق في الظاهر .  
 ومن هذا الباب قولك فاعل ومفعول ، نحو « خالق ومخلوق » و « طالب  
 ومطلوب » هما ضدان في المعنى ، وإن تجانسا في اللفظ ، وكذلك ما كان اسم  
 الفاعل منه مُفْعِلٌ <sup>(١)</sup> والمفعول مُفْعَلٌ نحو « مكرم ومكرم » و « مُعْطٍ <sup>(٢)</sup>  
 ومُعْطَى » وما جرى هذا الجرى أو زاد عليه في البناء ، وأما قولك « قضيت  
 واقتضيت » فظاهره تجنيس وباطنه طباق ، إلا أنه طباق غير محض ، وكذلك  
 قولك « أخذت وأعطيت » ؛ لأن الأخذ ضده الترك ، والإعطاء ضده المنع ،  
 فهذا مما يظنه من لا يحسن طباقا وليس كما ظن ، ولكنه كثر جداً في الكلام ،  
 واستعمله الناس ، كما تقدم من قولنا في الحلم والجهل والجمال والقيح .

ومما ظاهره تجنيس وباطنه طباق الوعد والوعيد كما قال الشاعر <sup>(٣)</sup> :  
 وإني وإن أوعدته أو وعدته      لخلف إيعادي ومُنَجِّزٌ موعدي  
 وأول ما يعتد به في هذا الباب قولُ امرئ القيس :  
 فإن تَدْفِنُوا الداءَ لا تُخَفِّهِ      وإن تبعثوا الحربَ لا تقعد  
 ويروى \* فإن تكتموا الداءَ لا تخفه \* وقوله « لا تخفه » أى : لنبده من

(١) في المصريتين « اسم الفاعل منه مفعول » وهو واضح الخطأ .  
 (٢) في المصريتين « معطى ومعطى » بإثبات الياء في الكلمتين ، والأول اسم  
 فاعل والثانية اسم مفعول ، والصواب حذف الياء من الأول بما لم تقتزن بال كالمعطى  
 أو يضاف كعطى الدنانير أو يكون في موضع نصب نحو اللهم أعط معطيا خلفا .  
 (٣) البيت لعامر بن الطفيل ، وقد روى في ديوانه ( ص ١٥٥ طبع أوربة )  
 هكذا :

وإني إن أوعدته أو وعدته      لأخلف إيعادي وأنجز موعدي

قوله تعالى : ( أؤكد أخفيها ) فكأن الشاعر قال : إن تدفنوا الداء ندعه دفيناً  
أو قال : إن تسكنتموا الداء نكتمه ، وكذلك قوله « لا نعد » كأنه قال : إن  
تبعثوا الحرب نبعثها ، ومن كلام السيد أبي الحسن :  
وأعلم أن المجد شئٌ مٌخلدٌ وأن الفتي والمال غيرُ مٌخلد  
والبيت من قصيدة شريفة أولها :  
صَحَّ الْقَلْبُ عَنْ سَعْدَى وَعَنْ أُمِّ سَعْدٍ وَلَمْ يَشْجُنِي نَوْحُ الْحَامِ الْمَغْرَدِ

(٤٨) - باب المقابلة

[المقابلة : مواجهة اللفظ بما يستحقه في الحكم ، هذا حد ما انضح عندي<sup>(١)</sup> ] حد للمقابلة  
المقابلة : بين التقسيم والطباق ، وهي تتصرف في أنواع كثيرة ، وأصلها ترتيب  
الكلام على ما يجب ؛ فيعطى أول الكلام ما يليق به أولاً ، وآخره ما يليق به  
آخرأ ، ويأتي في الموافق بما يوافقه ، وفي المخالف بما يخالفه .  
وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد ، فإذا جاوز الطباق ضدّين كان مقابلة أكثر ما تجيء  
مثال ذلك ما أنشده قدامة لبعض الشعراء ، وهو :  
فَيَا عَجَبًا كَيْفَ اتَّفَقْنَا ؛ فَنَاصِحٌ وَفِيٌّ ، وَمَطْوِيٌّ عَلَى الْغِلِّ غَادِرٌ ؟  
فقابل بين النصيح والوفاء بالغل والغدر ، وهكذا يجب أن تكون المقابلة  
الصحيحة ، لكن قدامة لم يبال بالتقديم والتأخير في هذا الباب ، وأنشد  
للطرمّاح :  
أَسْرَنَاهُمْ وَأَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ وَأَسْقَيْنَا دِمَاءَهُمُ التُّرَابَا

(١) هذه العبارة زائدة في المصريتين ، وقد كتب على حواشيها : « ليس  
لهذه الجملة أثر في بعض نسخ الكتاب » اهـ وقد سبق التنبيه إلى مثل هذه  
العبارة في ص ٥ من هذا الجزء .

فما صبروا لبأسٍ عند حربٍ ولا أدوا لحسنٍ يدٍ ثواباً  
 فقدم ذكر الإنعام على المأسورين ، وآخر ذكر القتل في البيت الأول ؛ وأتى  
 في البيت الثاني بعكس الترتيب ، وذلك أنه قدم ذكر الصبر عند بأس الحرب  
 وآخر ذكر الثواب على حسن اليد ، اللهم إلا أن يريد بقوله \* فاصبروا لبأسٍ  
 عند حرب \* القوم المأسورين إذ<sup>(١)</sup> لم يقاتلوا حتى يقتلوا دون الأسر وإعطاء  
 اليد ؛ فإن المقابلة حينئذ تصح وتترتب على ما شرطنا ، وهذه عندهم تسمى مقابلة  
 الاستحقاق ، ويقرب منها قول أبي الطيب :

مقابلة  
 الاستحقاق

\* وَفَعَلَهُ مَا تُرِيدُ الْكَفُّ وَالْقَدَمُ<sup>(٢)</sup> \*

لأن الكف من اليد بمنزلة القدم من الرجل ، فبينهما مناسبة وليست مضادة ،  
 ولو طلبت المضادة لكان الرأس أو الناصية أولى ، كما قال تعالى : ( فيؤخذُ  
 بالنواصي والأقدام ) .

ومن أناشيد المقابلة قول النابغة الجعدي :

من أمثلة  
 المقابلة

فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا

فقابل يسر بيسوء وصديقه بالأعداء ، وهذا جيد ؛ ولو كان كل مقابل  
 على وزن مقابله في هذا البيت والبيت الذي أنشده قدامة أولا لكان أجود . .  
 وقال عمرو بن معدى كرب الزبيدي :

ويبقى بعد حلم القوم حلمي ويفنى قبل زادر القوم زادي  
 فقال « يبقى بعد » ثم قال « يفنى قبل » فهذا كما أردنا .  
 وقال الفرزدق :

وأنا لنمضي بالأكف رباحنا إذا أرعشت أيديكم بالمعاليق

(١) في المصريتين « إن » ونראה تصحيحا .

(٢) صدره \* رجلاه في الركض رجل واليدان يد \* يصف جواده بأنه  
 يرفع رجله معا فهما كرجل واحدة ويديه معا فهما كيد واحدة .



سأل أبو جعفر المنصور أبا دُلَامَةَ فقال : أى بيتٍ قالته العرب أشعر؟ قال :  
بيت يلعب به الصبيان ، قال : وما هو ذلك ؟ قال : قول الشاعر :

ما أحسنَ الدينَ والدنيا إذا اجتمعَا      وأقبحَ السكفرَ والإفلاسَ بالرجل

وقال يزيد بن محمد الملهبي ، يقوله لسليمان بن وهب :

فمن كان للآثامِ والذلِّ أرضُهُ      فأرضكُمُ للأجرِ والعزِّ مَعْقِلُ

أمثلة  
من المقابلة

وقال فى التغزل :

إن تغيبى عني فسقياً ورغياً      أو تحلّى فينا فأهلاً وسهلاً

والمعجز قولُ الله تعالى : ( ومن رحمته جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مُبْصِراً ولتبتغوا من فضله ) فقابل الليل بالسكون ، والنهار بابتغاء الفضل ، وجعل بعضُ المفسرين الليل والنهار بمعنى الزمان ، والأول أعجب إلى ، وقال تعالى :  
( وإنا أوياكم على هدى أو فى ضلال مبين ) .

من جيد  
المقابلة

ومن جيد المقابلة قول بكر بن النطّاح الحنفي :

أَذْكِي وَأَوْقِدُ لِلْعَادُوَةِ وَالْقِرَى      نَارَيْنِ نَارَ وَغَى وَنَارِ زِنَادِ  
وكذلك قوله :

لباسى حُسَامٌ أَوْ إِزَارٌ مُعْصَفَرٌ      وَدِرْعٌ حَدِيدٌ أَوْ قَيْصٌ مُخْلَقُ  
إلا أنه لو كان الإزار رداءً كان أجود ، لاسيما والسيف يسمى رداءً ، ولكنا  
هكذا روينا .

من خفي  
للمقابلة

ومن خفي المقابلة والقسمة قول العباس بن الأحنف وأحسن ما شاء :

اليومُ مثلُ الحَوْلِ حتى أرى      وَجْهَكَ ، والساعةُ كالشهرِ

وهذا مليح ؛ لأن الساعة من اليوم كالشهر من الحول جزء من اثني عشر .  
وقال محمد بن أحمد العلوى :

لا تؤخرْ عني الجوابَ فيومى      مثل دهر ، وساعتي مثل شهر

فلم يصنع شيئاً ، وكان يمكنه أن يجعل مكان دهر حولا ؛ فتكون قسمة  
مستوية ، ولكننا هكذا رويناه .

من جيد المقابلة  
في المنثور  
ومن جيد ما وقع في المنثور من المقابلة قول بعض الكتاب « فإن أهل الرأي  
والنصح لا يساويهم ذوو الأفن والغش ، وليس من يجمع إلى الكفاية الأمانة كمن  
أضاف إلى العجز الخيانة » ومن كلام إبراهيم بن هلال الصابي « وأعدّ لحسنهم  
جنة وثوابا ، ولسيئهم نارا وعقابا » .

وقال أبو الفتح محمود بن حسين كشاجم :

تريك الحسن والإحسان وقفا إذا برزت لنا وإذا تغيب

وما عابه الجرجاني على ابن المعتز :

يَبَاحُ في جوانبه أحرار كما احمرت من الخجل الخدود

لأن الخدود متوسطة وليست جوانب ؛ فهذا من سوء المقابلة ، وإن عده  
الجرجاني غلطاً في التشبيه ، وإنما العلة في كونه غلطاً ما ذكرناه . .

ومن المأخوذ بالمعيب عندى قول الكهيت يخاطب قضاة :

رأيتم من مالِكٍ وادعائه كرائمَة الأولاد من عَدَمِ النسل

فوقع تشبيهه على الادعاء والرئمان خاصة ، لا على صحة المقابلة في الشبهين ؛  
لأن هؤلاء - فيما زعم - يدعون أبا ، والرأمة تدعى ولداً ، وهما ضدان .

والصواب قول الآخر يهجو كاتباً ، أنشده الجاحظ :

حَمَارٌ في الكتابة يدّعيها كدَعَوَى آلِ حربٍ في زياد

وقال أبو نواس :

أرى الفضل للدنيا وللدين جامعاً كما السهمُ فيه الفوقُ والرّيشُ والنّصلُ

فزاد في المقابلة قسماً ؛ لأنه قابل اثنين بثلاثة .

وكذلك قول أبي قيس ابن الأسلت :

الحزمُ والقوة خيرٌ من السِّدِّ إدهان والفكّة والنّهاج

مما عيب من  
للمقابلة

فقابل الحزم بالإدهان ، والقوة بالفكة — وهى الضعف — ويروى  
« الفة » وهى العى ، وزاد الماع ، وهو الجبن والخفة .  
ومما سقط فيه عبد الكريم من جهة المقابلة وإن كان تمثيلا وتشبيها  
قوله يمدح نزار بن معد صاحب مصر :

إلى ملكٍ بين الملوك وبينه مسافة ما بين الكواكب والتُّربِ

لأنه لما أتى بالملوك أولا وبضمير الممدوح — وهو الماء التى فى « بينه » —  
بعد ذلك ، ثم أتى بالكواكب وهى جماعة تقابل الملوك والترب وهو واحد  
يقابل الضمير باتحاده ؛ أوجب له بهذا الترتيب أن يكون هو الترب ، وتكون  
الملوك هم الكواكب ، ولم يرد إلا أن يجعله موضع الكواكب ، ويجعلهم  
موضع الترب ، ولكن حكم عليه ما حكم على ابن المعتز الذى إليه انتهى التشبيه  
وسر صناعة الشعر . . . ويدلك على صحة ما طلبته به قولُ امرئ القيس بن حُجر :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرَهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

قابل الرطب أولا بالعُنَاب مقدما ، وقابل اليابس ثانيا بالْحَشَفِ ثانيا . وكذلك  
قول الطَّرَمَاح :

يَبْدُو وَتَضْمُرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيُعْمَدُ

فقابل يبدو ويسل ، وقابل تضمره البلاد بيمعد ، على ترتيب ، وكذلك كان  
يجب لهؤلاء أن يصنعوا ، وإلا كانوا مخطئين أو مقصرين .

ومن المقابلة ما ليس مخالفا ولا موافقا كما شرطوا إلا فى الوزن والازدواج  
فقط ، فيسمى حينئذ موازنة نحو قول النابغة :

أَخْلَاقُ مَجْدٍ تَجَلَّتْ مَا لَهَا خَظَرٌ فِي الْبَاسِ وَالْجُودِ بَيْنَ الْحِلْمِ وَالْخَبِيرِ

وعلى هذا الشعر بحسب النعمان بن المنذر قَمَّ النابغة درأ .

وينضاف إلى هذا النوع قول أبى الطيب :

من المقابلة نوع  
يختص باسم  
للاوزنة

نصيبك في حياتك من حبيب نصيبك في منامك ، من خيال  
فوازن قوله « في حياتك » بقوله « في منامك » وليس بصدّه ولا موافقه ،  
وكذلك صنع في الموازنة بين حبيب وخيال ، وإن اختلف حرف اللين فيهما ،  
فإن تقطيعه في العروض واحد .

فأما قول أبي تمام :

فكنت لناشيهم أبا ، ولكهلم أخا ، ولدى القويس والكبرة أبنما  
فإنه من أحكم المقابلة وأعدل القسمة .

وقد بينت في أول هذا الباب أن المقابلة بين التقسيم والطبق ؛ فكلاهما توفر  
حظها منهما كانت أفضل .

ومن أملح ما رويناه في الموازنة وتعديل الأقسام مما يجب أن نختم به هذا  
الباب قول ذى الرمة :

أستحدث الركب عن أشياهم خبراً أم راجع القلب من أطرابه طرب ؟  
لأن قوله « أستحدث الركب » مُوازن لقوله « أم راجع القلب » وقوله « عن  
أشياهم خبراً » موازن لقوله « من أطرابه طرب » وكذلك « الركب » موازن  
« للقلب » وعن موازن لمن ، و« أشياهم » موازن « أطرابه » وخبراً موازن لطرب .  
وقال السيد أبو الحسن في هذا النوع :

لگفأك أندى من غيوم سواجم وعزمك أمضى من حسام مهند  
فكل لفظة من القسم الأول موازنة لأختها من القسم الآخر موازنة  
عدل وتحقيق .

#### (٤٩) — باب التقسيم

اختلف الناس في التقسيم : فبعضهم يرى أنه استقصاء الشاعر جميع أقسام  
ما ابتدأ به ، كقول بشار يصف هزيمة :

بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه ويدرك من نجى الفرار مقابله

من أملح  
الموازنة  
وتعديل  
الأقسام

حد التقسيم

فراح فريق في الأسارى، ومثله قتيل، ومثل لا ذ بالبحر هاربه  
فالبيت الأول قسمان : إما موت ، وإما حياة تورث عاراً ومثلبة ، والبيت  
الثاني ثلاثة أقسام : أسير ، وقتيل ، وهارب ؛ فاستقصى جميع الأقسام ، ولا يوجد  
في ذكر الهزيمة زيادة على ما ذكر .

ومثل ذلك قول عمرو بن الأهتم إلا أنه أكثر إيجازاً :

أشرباً ما شربنا فهذيل من قتيل وهارب وأسير

فجمع الوجوه كلها في مصراع واحد .

ومن التقسيم الجيد قول نصيب :

فقال فريق القوم : لا ، وفريقهم : نعم ، وفريق قال : ويحك ماندرى <sup>(١)</sup>

فلم يبق جواب سائل إلا أتى به ؛ فاستوفى جميع الأقسام ، وزعم قوم أنه  
أفضل بيت وقع فيه تقسيم .

ومن أناشيد قدامة في هذا الباب قول الشماخ يصف حمار وحش :

متى ماتع أرساغه مطمئنة على حجر يرفض أو يتدحرج

فلم يبق الشماخ قسماً ثالثاً إلا أن يقول : يغوص في الأرض ، وذلك لا يلزم ؛  
من جهة أن الحافر عند الجري وسرعة المشي يقذف الحجر إلى وراء ، إلا أنه لو  
أتى به لكان حسناً من أجل قوله « مطمئنة » .

ومن أشرف المنشور في هذا الباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وهل  
لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفانيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت »  
فلم يبق عليه الصلاة والسلام قسماً رابعاً لو طلب يوجد . . وقال نافع بن خليفة « يا بني ،  
اتقوا الله بطاعته ، واتقوا السلطان بحكمته ، واتقوا الناس بالمعروف » فقال رجل منهم :  
ما بقي شيء من أمر الدين والدنيا إلا وقد أمرتنا به . . وقال أعرابي « إذا كان  
الرأي عند من لا يقبل منه ، والسلاح عند من لا يستعمله ، والمال عند من لا ينفعه  
(١) حفظي « وفريق : لئيم الله ماندرى » واللام للابتداء ، وإعني : مبتدأ حذف خبره .

من جيد  
التقسيم

من جيد  
التقسيم  
في المنشور

ضاعت الأمور» وكان ثابت البُنَّانِي يقول « الحمد لله وأستغفر الله » فسئل : لم خصهما ؟ فقال : لأني بين نعمة وذنب ؛ فأحمد الله على النعمة ، وأستغفره من الذنوب . . ووقف أعرابي على حلقة الحسن البصري فقال : رحم الله من تصدق من فضل ، أو واسى من كفاف ، أو آثر من قوت ، فقال الحسن : ما ترك البدوي منكم أحداً إلا وقد سأله .

عود إلى  
جيد التقسيم  
في الشعر

ثم نعود إلى الشعر ، قال عمر بن أبي ربيعة الخزومي :  
وهيئاً كشيء لم يكن ، أو كنفازح به الدار ، أو من عتيته المقابر  
فلم يُبقي مما يعبر به عن إنسان مفقود قسماً إلا أتى به في هذا البيت .  
وقال آخر ، وأحسبه أبا ذؤيب الجحى أو طريقاً :  
لو قلت للسيل دَعْ طريقك والـبـمـوج عليه كالـهـضـبِ يـعـتـلـج  
لارتد ، أو سائح ، أو لكان له في سائر الأرض عنك مُنـعـرَـجُ  
ولا يدع السيل طريقه إلا بأحد هذه الأشياء .  
وقال أبو العتاهية :

وعلى من كلفني بكم قَيْدُ وجامعة وُغـلُ  
فأتى على جميع ما يتخذ للأسور أو المجنون ولم يبق قسماً .  
هذا وأمثاله مما قدمت هو الجيد من التقسيم ؛ وأما ما كان في بيتين أو  
ثلاثة فغير عاجز عنه كثير من الناس .

أصح  
تقسيم

وزعم الحاتمي أن أصح تقسيم وقع لشاعر قول الأسعر الجعفي يصف فرساً :  
أما إذا استقبلته فكأنه بازٍ يكف كف أن يطير وقد رأى  
أما إذا استدبرته فتسوقه ساقٍ قموصُ الوقع عارية النساء  
أما إذا استعرضته متمطراً فتقول : هذا مثلُ سِرِّ حانِ القضا  
واختاره أيضاً قدامة ، وليس عندي بأفضل من قول امرئ القيس إلا  
بشرف الصفات :

إذا أَقْبَلْتَ قَلْتَ دُبَاءَهُ      من الْخَضِرِ مغموسة في الْغُدْرُ<sup>(١)</sup>  
وإنْ أَدْبَرْتَ قَلْتُ أَثْفِيَةً      ملهمة ليس فيها أثر<sup>(٢)</sup>  
وإنْ أَعْرَضْتَ قَلْتُ سُرْعُوفَةً      لها ذَنْبٌ خلفها مُسَبِّطٌ<sup>(٣)</sup>

ولو لم يكن إلا تنسيق هذا الكلام بعضه على بعض ، وانقطاع ذلك بعضه من بعض ، وقد صنعت على ضَعْفٍ مَتْنِيٍّ<sup>(٤)</sup> وتأخر وقتي :

إذا أَقْبَلْتَ أَقَعْتَ ، وإنْ أَدْبَرْتَ كَبَبْتَ      وتعرض طولاً في العنان فتستوى  
وَكَلَّفْتُ حَاجَاتِي شَيْبَةً طَائِرٌ      إذا انتشرت ظَلَّتْ لها الأرضُ تنطوي  
ومن التقسيم نوع هو هذا الأول إلا أن فيه زيادةً تدريجاً وترتيباً فصَعَبَ  
لذلك على متعاطيه وقل جداً . . فَأَحْسَنُهُ قولُ زهير بن أبي سلمى :

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا طعنوا      ضَارَبَ حتى إذا ماضار بوااعتنفاً

فأتى بجميع ما استعمل في وقت الهياج ، وزاد ممدوحه رتبة ، وتقدم به خطوة على أقرانه ، ولا أرى في التقسيم عدل هذا البيت ، ويليهِ في بابه قول عنزة :

إن يَلْحَقُوا أَكْرَزُ ، وإنْ يَسْتَلْحَمُوا      أَشَدُّ ، وإنْ يُلْفَقُوا بِضَنْكَ أَنْزَلِ  
ويروى « وإنْ يَلْفَقُوا » وما ينضاف إليهما قول طَرِيح بن إسماعيل الثقفي :

(١) دباء : هي في الأصل القرعة ، ومثلها الدبة — بفتح الدال والباء مشددة — وكفى بذلك عن لينها وطرائقها وانطوائها ، وقوله « مغموسة في الغدر » يريد به أنها ربي ، والغدر : جميع غدير ، وذلك ما يدل على ما ذهبنا إليه من التكنية بالدبابة  
(٢) الأثفية : الصخرة المستديرة المجتمعة ، ملهمة : متداخلة مدورة صلبة ،  
الأثر : أراد به الخدش .

(٣) سرعوفة : هي الجرادة ، مسبطر : طويل ممتد .

(٤) لعل الأوفق « على ضعف متني » .

إن يسمعوا الخير يُخَفُّوه، وإن سمعوا  
وقال الحصين بن الحمام :

دفعناكم بالحلم حتى يَطرَئُكمُ  
فلما رأينا جَهْلَكُمْ غيرَ مُنتَهٍ  
مسسنا من الآباء شيئا، وكنا  
فلما بلغنا الأمهات وجدُّكمُ  
وبالكف حتى كان رفع الأصابع  
وما قدمضى من حلمكم غير راجع  
إلى حَسَبٍ فى قومه غير واضع  
بنى عمكم كانوا كرام المصاحج

كانه يقول : نحن أكرم منكم أمهات ، فهذا هو التدريج فى الشعر .  
وبعضهم فى التقسيم على خلاف ما قدمت : زعم أبو العيناء أن خير تقسيم  
قيل قول ابن أبي ربيعة :

تهيم إلى نعيمٍ ؛ فلا الشمل جامع  
ولا قربُ نعم إن دنت منك نافع ،  
ولا الحبل موصول ، ولا أنت مُقصرُ  
ولا نأْيها يسلى ، ولا أنت تصبرُ  
واختار قوم آخرون قولَ الحارثي :

فلا كدى يَفْنَى ، ولا لك رقة ، ولا عنك إقصار ، ولا فيك مَطْمَع  
وزعم الفرزدق أن أكل بيت قالته العرب - أوقال : أجمع بيت - قول  
امرىء القيس .

له أَيْطالاً ظبي ، وساقا نعامه  
وقال الأعشى يصف فرساً :

ملس مُقَلَّدُهُ ، أسيلٌ خَدُّهُ ، مَرِيعٌ جَنَابُهُ

وقال عمرو بن شأس :

مُدْمَجٌ سَابِغُ الصُّلُوعِ طَوِيلُ الشَّخْصِ عَيْلُ الشَّوَى مُرُّ الْأَعَالَى  
وقال أبو دؤاد الإيادى :



بَعِيدُ مَدَى الطَّرْفِ خَاطِلِي البُضِيعِ - مُرَّءُ الْمَطَا سَمَهَرِي الْقَصَبِ<sup>(١)</sup>  
 هذا وما قبله يسمى جمع الأوصاف ، وسماء بعض الخذاق من أهل الصناعة  
 التققيب - العين قبل القاف - وأما التققيب<sup>(٢)</sup> فمذكروه في الكلام .

جمع الأوصاف  
 (أو التققيب)

وكان محمد بن موسى المنجم يحب التقسيم في الشعر ، وكان معجباً بقول  
 العباس بن الأحنف :

وَصَالِكُكُمْ صَرْنٌ وَحَبِّكُمْ قَلِيٌّ وَعَظْفُكُمْ صَدٌّ وَسَلَكُكُمْ حَرْبٌ  
 ويقول : أَحْسَنَ وَاللَّهِ فِيمَا قَسَمَ حِينَ يَجْعَلُ كُلَّ شَيْءٍ ضِدَّهُ ، وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا  
 التقسيم لأحسن من تقسيمات إقليدس ، حكى ذلك الصولي . .  
 ومن مליح التقسيم قول داود بن سلم<sup>(٣)</sup> :

فِي بَاعِهِ طَوْلٌ ، وَفِي وَجْهِهِ نَوْرٌ ، وَفِي الْعَرْنَيْنِ مِنْهُ شَمَمٌ  
 فوصف بعض أحواله وقسمها كما فعل الأولون .

من التقسيم  
 التقطيع

ومن أنواع التقسيم التقطيع ، أنشد الجرجاني للناطقة الديباني :  
 وَلِلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى أَهْلَ قَبِيَّةٍ أَضُرَّ لِمَنْ عَادَى وَأَكْثَرَ نَافِعًا  
 وَأَعْظَمَ أَحْلَامًا وَأَكْبَرَ سَيِّدًا<sup>(٤)</sup> وَأَفْضَلَ مَشْفُوعًا إِلَيْهِ وَشَافِعًا

(١) في عامة الأصول \* . . . . . خاطي البضع \* وصوابه ما أثبتناه ،  
 والخاطي - بالحاء والظاء المعجمتين - الكثير اللحم المكتنز ، والبضيع - بفتح الباء وبعد  
 الضاد ياء مشناة - هو اللحم ، وقد أنشد ابن بري لدمجتنوس بنته لقيط :

يَعْدُو بِهِ خَاطِي الْبُضِيعِ كَأَنَّهُ سَمْعٌ أُزِلَ

(٢) في عامة الأصول التققيب - بتقديم العين المهملة على القاف المشناة كاللدى  
 قبله - وهو خطأ وتصحيح ، والتققيب في الكلام مثل التقعير ، وتقول : قعب فلان  
 كلامه وقعره - بتضعيف العين فيهما - وهما بمعنى واحد .

(٣) في المطبوعات كلها «داود بن مسلم» والتصحيح عن الأغاني ١٥٣/٥ بولاق  
 والبيت من خمسة أبيات مدح فيها قثم بن العباس وكان منقطعاً إليه . والبيت في الأغاني

فِي وَجْهِهِ بَدْرٌ ، وَفِي كَفِّهِ بَحْرٌ ، وَفِي الْعَرْنَيْنِ مِنْهُ شَمَمٌ

(٤) في الديوان ( ص ٧٤ ) \* . . . . . وَأَكْثَرَ سَيِّدًا \* بِالنَّاءِ الْمَثْلَثَةِ

وسماه قوم - منهم عبد الكريم - التفصيل ، وأنشد في ذلك :  
 بيضُ مفارقنا ، تغلى مَرَجِلُنا نَأْسُو بأموالنا آثار أيدينا  
 وقال البحري :  
 قِفْ مَشُوقًا ، أَوْ مُسْعِدًا ، أَوْ حَزِينًا أَوْ مُعِينًا ، أَوْ عَازِرًا <sup>(١)</sup> أَوْ عَذُولًا  
 فقطع وفصل كما تراه . وقال أبو الطيب :  
 فيا شَوْقُ مَا بَقِيَ ، وَيَا لِي مِنَ النوى ، وَيَا دَمْعُ مَا جَرَى ، وَيَا قَلْبُ مَا أَصْنَى  
 ففصل كما فعل أصحابه ، وجاء به على تقطيع الوزن ، كل لفظتين ربع بيت ..  
 وقال أيضًا :

لِلسَّبِي مَا نَكَحُّوا ، وَالْقَتْلَ مَا وَلَدُوا ، وَالنَّهْبَ مَا جَمَعُوا ، وَالنَّارَ مَا زَرَعُوا  
 وإذا كان تقطيع الأجزاء مسجوعا أو شبيها بالمسجوع فذلك هو الترصيع  
 عند قدامة ، وقد فضله وأطنب في وصفه إطنابا عظيما . . وأنشد أبيات أبي  
 الثلج يرفي صَخْرَ الْغَى :

لو كان للذهر مال عند مثله لكان دهر صخر مال قنيان  
 آبِي المضيمة ، نابٍ بالعظيمة ، متالاف الكريمة ، لا سقطولان وان  
 حامى الحقيقة ، نَسَّالُ الوريقة ، معشاق الوسيقة ، جَلْدُ غَيْرِ مُنْيَا <sup>(٢)</sup>  
 رَبَّاءَ مَرْقَبَةٍ ، مَنَاعُ مَغْلِبَةٍ رَكَابُ سَلْهَبَةٍ ، قَطَاعُ أَقْرَانِ <sup>(٣)</sup>

(١) في عامة الأصول « وغادرا » من الغدر - بالغين معجمة والدال مهملة -  
 وهذا تصحيف واضح ، وصوابه ما أثبتناه .

(٢) الحقيقة : الراية ، وما وجب على الرجل أن يدافع عنه ، والوريقة : أصلها  
 الشجرة المورقة ، ولعله أراد القبيلة ، والوسيقة : الإبل ، والثنيان - بضم الثاء  
 وسكون النون - ومثله الثنى - بكسر الثاء - ما تكون منزلته بعد منزلة السيد .

(٣) رباء : صيغة المبالغة من « ربأ » إذا أشرف وصعد ، والمراقبة : المنظرة في  
 رأس الجبل ، أو هي الحصن ، والأخير أولى بالمراد من البيت ، يريد أنه مقدم قومه =

هَبَّاطُ أودية ، سَحَالُ أودية شَهَادُ أُنْدِيَّة ، سِرْحَانُ فُتَيَات  
يعطيك مالا تكاد النفس تُسَلِّمه من التَّلَادِ وَهَوْبٌ غَيْرُ مَتَّانٍ  
وللقدماء من هذا النوع ، إلا أنهم لا يكثرُونَ منه كراهة التكلف . قال<sup>(١)</sup>  
أبو دُوَادٍ يصف فرسا ، وقيل : بل رجل من الأنصار :

فَالْعَيْنُ قَادِحَةٌ ، وَالرَّجُلُ ضَارِحَةٌ ، وَالْيَدُ سَابِحَةٌ ، وَاللَّوْنُ غَرِيْبٌ<sup>(٢)</sup>  
وَالشَّدُّ مِنْهُمْ ، وَالْمَاءُ مُنْحَدِرٌ ، وَالْقَصْبُ مُضْطَرٌ ، وَالْمَتْنُ مَلْحُوبٌ<sup>(٣)</sup>

وقال السكيت بن زيد في ذلك :

كَالْمَنَاطِقَاتِ الصَّادِقَاتِ الْوَاسِقَاتِ مِنَ الدَّخَائِرِ

= في لقاء العدو ، والمغلبة : مصدر غلبه يغلبه غلبا وغلبة ومغلبا  
ومغلبة ، والسلمية - ومثله السلمب بلاهاء - يقال للفرس الذكر إذا عظم وطال  
وطالت عظامه .

(١) نسب الجوهري الشطر الرابع لامرئ القيس في مادة (ق ص ب) ونقله  
عنه صاحب اللسان ، ثم نقل عن ابن بري أن الصواب أنه لإبراهيم بن عمران  
الأنصاري ، وذكر خمسة أبيات منها البيتان ، وهما مع هذه الأبيات مما أنبته ناشر  
ديوان امرئ القيس للطبوع في ١٩٣٠ (ص ٣٥) .

(٢) ضارحة - بالضاد المعجمة والحاء المهملة - يريد أنها تضرح الحصى ، أى :  
تنحيه وتبعده ، وقيل : معناه أنها واقعة إلى الأمام . سابحة : تسير بلطف وخفة  
كمن يسبح في الماء ، أى : أنه لا يجهد راكبه ولا يتعبه ، وعرييب : أسود ، وجمعه  
غرايبب .

(٣) الشد : العدو والجري ، والقصب - بضم القاف وسكون الصاد المهملة -  
المعى ، وقيل : هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء ، وقيل : المراد به ههنا الخصر  
وليس بعيداً عما قدمنا .

وإلى هذا ذهب أبو الطيب بقوله :

الناعماتِ القاتلاتِ الحَيِّياتِ المَبْدِيَاتِ مِنَ الدَّلَالِ غَرَائِبَا

وقال توبة بن الحَمِيَّ، وفيه التقسيم والتبرصيع :

لَطِيفَاتِ أَقْدَامٍ ، نَبِيلَاتِ أَسْوَاقٍ لَقِيفَاتِ أَفْخَاذٍ ، دِئَاقُ خُصُورُهَا

وقال مسلم بن الوليد صريع الغواني :

كَأَنَّهُ قمرٌ ، أَوْضِيغَمَ هَصِرٌ ، أَوْحِيَّةٌ ذَكَرٌ ، أَوْعَارُضٌ هَاطِلٌ

وقال أيضا :

يُورِي بَزْنَدِكَ ، أَوْ يَسْعَى بِجَدِّكَ ، أَوْ يَفْرِي بِجَدِّكَ ، كُلُّ غَيْرٍ مُحْدُودٌ

ومن كلام أبي تمام ، وكان يجيد التصنيع :

تَجَلَّى بِهِ رُشْدِي ، وَأَثَرَتْ بِهِ يَدِي ، وَفَاضَ بِهِ نَمْدِي ، وَأَوْزَى بِهِ زَنْدِي

وقال أيضا وأحسنَ ما شاء :

تَذْيِيرُ مَعْتَصِمٍ ، بِاللَّهِ مُنْتَقِمٍ ، اللَّهُ مَرْتَقِبٌ ، فِي اللَّهِ مَرْتَقِبٌ

وقال أيضا في غير هذا النمط :

عَنْ ثَامِرٍ ضَافٍ ، وَنَبَتْ قَرَارَةٌ وَافٍ ، وَنُورُ كَالْمَرَاجِلِ خَافٍ

لِلْمَرَاجِلِ : ثِيَابٌ . . . وقال كشاجم :

هَلَالٌ فِي إِضَاءَتِهِ \* حَيَاءٌ فِي سَمَاحَتِهِ \* شَهَابٌ فِي انْتِقَادِهِ

ومن جيد ما للمحدثين قول ديك الجن :

حُرٌّ الْإِهَابِ وَسَيِّمُهُ ، رَئُّ الْإِيَابِ كَرِيمُهُ ، نَحْضُ النَّصَابِ صَمِيمُهُ

فَأَكْثَرُ الْبَيْتِ تَرْصِيعٌ كَيْفَ مَا أَدْرَنَتْهُ (١) . .

وكان المذهب الأول وهو الحمود أن يؤتى بيت من هذا أو بعض بيت ، كما

قال امرؤ القيس :

(١) في عامة الأصول « كيفما أردته .

وأوتادُهُ مَازِيَّةٌ ، وَعِمَادُهُ رُدَيْنِيَّةٌ ، فِيهَا أَسِنَّةٌ قَعَصَبٌ <sup>(١)</sup>  
وَمَا قَالَ أَمْرُ الْقَيْسِ <sup>(٢)</sup> :

كَلَاءٌ فِي بَرَجٍ ، صَفْرَاءٌ فِي نَعِيجٍ ، كَأَنَّهَا فِصَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ <sup>(٣)</sup>  
وَأَمَّا مَا هُوَ شَبِيهٌ بِالْمَسْجُوعِ فَقَوْلُ أَمْرِ الْقَيْسِ :  
فَتَوْرُ الْفَيَّامِ ، قَطْعُ الْكَلَاءِ ، تَفَتَّرَ عَنْ ذِي غُرُوبٍ أَشِيرٌ <sup>(٤)</sup>  
وَقَوْلُهُ \* أَلَسَ الضَّرُوسِ ، حَتَّى الضَّلُوعِ \* <sup>(٥)</sup>  
نَجَاءُ فَتُورٍ فِي وَزْنِ قَطْعٍ ، وَكَذَلِكَ الضَّرُوسُ وَالضَّلُوعُ ، وَالْعُصَى وَحَى .

(١) الأوتاد : جمع وتد ، وهو ما تشد به الخيمة . والملاذية : هى الدروع البيض  
وقيل : السلاح كله . والعماد : الحشب التى ترفع عليها الخيام . والردينية : الرماح  
المنسوبة إلى ردينة . وقعصب : رجل كان يصنع الأسنة .  
(٢) لم أجد فى شعر أَمْرِ الْقَيْسِ هَذَا الْبَيْتَ ، وَلَا وَجَدْتُهُ مَنْسُوبًا إِلَيْهِ فِيمَا  
بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ الرَّاجِعِ ، وَهَذَا الْبَيْتُ مَشْهُورٌ لَدَى الرِّمَّةِ ، وَهُوَ فِي دِيْوَانِهِ (ص ١٢)  
مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَوَّلَهَا :

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِيةٍ سَرَبٍ  
وَالْعَبَارَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْأَصْلِ تَفِيدُ أَنَّهَا مِنْ وَضْعِ النَّسَاجِ ، فَإِنْ عَادَ مُؤَلِّفُ  
الْكِتَابِ أَنْ يَقُولَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ : « وَكَقَوْلِهِ أَيْضًا » ؛ لِأَنَّ الشَّاهِدَ السَّابِقَ  
لَأَمْرِ الْقَيْسِ ، فَتَنَبَّهُ ، وَسَيَسْتَدِلُّ بِهِ الْمُؤَلِّفُ مَرَّةً أُخْرَى فِي بَابِ الْإِشْرَافِ وَيَنْسَبُهُ  
لَدَى الرِّمَّةِ عَلَى الصَّوَابِ .

(٣) البرج — بفتح الباء والراء جميعا — تباعد ما بين الحاجبين ، والنعيج —  
بفتح الحين أيضا — حسن اللون ، قال الجوهري : « نَعِجٌ يَنْعَجُ نَعْجًا مِثْلَ طَلَبٍ يَطْلُبُ  
طَلَبًا وَامْرَأَةً نَاعِجَةٌ حَسَنَةُ اللَّوْنِ » اهـ وقيل النعيج : الأبيض الخالص ، ويبعد  
أَنْ يَرَادَ هُنَا .

(٤) فتور القيام : متراخية متكاسلة غير وثابة . قطع الكلام : قليلته ، تفتتت :  
تبسم ، ذى غروب : فم حر الأسنان رقيق الماء ، أشير : روى فى مكانه خصر  
(٥) تمامه \* تبوع طلوع نشيط أشير \*

ثم أدخل المولدون في هذا الباب أشياء عدوها تقطيعاً وتقسيماً ، وذلك نحو قول أبي العميث الأعرابي :

فاصدق وعفّ وجد وأنصف واحتمل      واصفح ودّارٍ وكأفٍ واخلمُ وأشجع  
والطف وإنّ وتأنّ وأرفقُ وأتئدُ      واحزم وجدّ وحامٍ واحمل وادفع  
وكقول ديك الجن :

اخْلُ وامرُزْ ، وضُرّ وانفع وإنّ وأخشن ورشْ وأُبرِ وانتدبْ للمعالى  
وقول أبي الطيب :

أَقْلُ أَنْ اقطع أحمل عل سل أعد      زِدْ هَشْ بَشْ تفضّلْ أذنْ سرّ صِلْ  
ثم زاد في هذا وتباغض حتى صنع :

عِشْ ابقْ أمْسْ سُدْ قُدْ جُدْ . مِرْ أَنَّهُ رِهْ فِيهِ أَسِرْ نَلْ

غِظْ أرمْ صُبْ احمْ اغزْ اسبْ رُعْ زَعْ دِلْ ائنْ بلْ

فهذه رقية العقرب كما قال ابن وكيع ، ولا بد من شرحها . . قوله «عش ابق» دعاء له بالعيش والبقاء ، واسم : من السمو ، وسد : من السيادة : أى دم هكذا ، وقد : من قود الخليل ، وجد : من الجود والسماح ، أو من الجود وهو المطر الغزير ، مرانه : من الأمر والنهي ، رِهْ : من الورى تثبت الماء فيه أظنه في الخط دون اللفظ ، على أنه ليس موضع وقف ، ولا يجب أن يكتب بلاهاة لثلاث يخالف العادة وتقع كلمة على حرف واحد ، والورى : داء في الجوف : أى أصنع ذلك بإعدادك وحسادك ، فه : من الوفاء ، وأهمر : من سرى الليل ، يصفه بالعزم والغارات ، ونل : من النيل والإدراك ، أى : نل ماتحب ، وروى نل [أى] أعط ، من النول ، ويقال : نلته إذا أعطيته ، وغظ : من غيظ الحسود ، ويروى «عظ» من الوعظ ، وازم : من رمى العدو بالمكاييد وغيرها ، وصُب : من صاب المطرُ والسهمُ ، واحم : من حميت المكان ، واغز : من الغزو ، واسب : من السبي ، ورُع : من الروع ، وزع : من وزعت ، أى : كففت ، ود : من الدية ، ولر : من الولاية للأمور ، وقد يكون من

من المطر الولي ، وائن : من ثني أضداده إذا رَدَّهم ، وبل : من الوابل ، وهذه غاية المقت والبغضة وإن كان ولا بد فقله أيضا :

داني بعيدٌ ، مُحِبٌّ مبغضٌ ، بهج أغر ، حلومر ، كَيْنٌ شرسٌ  
ندى أبي غرٍ واف أخو ثقة جمد سريته نذب رِضاً نَدُسُ  
ندى : من الندى ، وغرٍ : من غرى به ، ونهٍ : من النهى ، وأصل هذا كله  
من قول امرئ القيس :  
أفادَ فَجَادَ ، وشادَ فَزَادَ وَقَادَ فَدَادَ ، وَعَادَ فَأَفْضَلَ

## ٥٠ - باب التسميم

وقدامة يسميه التوشيح . . وقيل : إن الذي سماه تسيماً على بن هارون الاختلاف في المنجم ، وأما ابن وكيع فسماه المطمع ، وهو أنواع : منه ما يشبه المقابلة ، وهو الذي تسميته وأنواعه اختاره الخاتمي ، نحو قول جنوب أخت عمرو ذي الكلب :

فأقسم يا عمرو لو نبهك إذا نبها منك داء عضالا  
إذا نبها ليث عريسة مُفَيْتاً مُفِيداً نُفُوساً ومالا<sup>(١)</sup>  
وخرق تجاوزت مجهوله بوجناء حرف تشكى الكلالا<sup>(٢)</sup>

(١) العريسة - بكسر العين المهملة وتشديد الراء - الشجر الملتف ، وهو ماوى الأسد في خيسه ، ومنه قولهم \* كبتغى الصيد في عريسة الأسد \* ويقال « عريس » أيضا بلاتاء .

(٢) خرق - بفتح فسكون - السكان الواسع تتخرق فيه الرياح ، أرادت الفلاة . والوجناء : الناقة . والحرف : المهزولة ، ولا يقال حمل حرف ، وإنما يقال ناقة حرف ، شبهوها إذا كانت ضامرة من الهزال بالحرف من حروف الهجاء ، وهو الألف ، تشكى : أصله تتشكى ، فحذف إحدى تاءيه . والكلال : التعب والإعياء .

فكنت النهار به شمسُهُ وكنت دُجَى اللَّيْلِ فيه الهلّالَا  
أردتُ قولها « مفيتاً. نفوساً ومفيداً مالا » فقابلت مفيتاً بالنفوس ومفيداً  
بالمال ، وكذلك قولها في البيت الأخير لما ذكرت النهار جعلته شمساً ولما ذكرت  
الليل جعلته هلالاً لمكان القافية ، ولو كانت رائية لجملته قرأ .

وسر الصنعة في هذا الباب أن يكون معنى البيت مقتفياً قافيته ، وشاهدنا بها  
دالا عليها كالذي اختاره قدامة للراعى ، وهو قوله :

وإن وُزِنَ الْحَصَى فوزنتُ قَوْمِي وجدت حَصَى ضَرِيْبَتِهِمْ رَزِينَا  
فهذا النوع الثانى هو أجود من الأول للطف موقعه .

والنوع الثالث شبيه بالتصدير ، وهو دون صاحبيه ، إلا أن قدامة لم يجعل  
بينهما فرقاً .. وأنشد للعباس بن مرداس :

هُمْ سَوَدُوا هَجَنًا وَكُلُّ قَبِيلَةٍ يُبَيِّنُ عَنْ أَحْسَابِهَا مَنْ يَسُودُهَا  
وقال نصيب الأكبر مولى بنى مروان :

وقد أيقنتُ أن سَتَبِينَ لَيْلِي وَتُحَجَّبُ عَنْكَ إِن نَفَعَ الْيَقِينُ

وإن تأملت قوافى ما هذه سبيله لم تجد له من لطف الموقع ما لقافية الراعى  
وإنما اختير هذا النوع على ما ناسب المقابلة والتصدير لأن كل واحد منهما  
مدلول عليه من جهة اللفظ : إما بالترتيب ، وإما باشتراك المجانسة ، والقافية في  
بيت الراعى دالة على نفسها بالمعنى وحده ، فصار استخراجها أعجب وأغرب ،  
وتمكنها أشد وأوكد .

وقد حكى أن ابن أبى ربيعة جلس إلى ابن عباس رضى الله عنه ، فابتدأ ينشده :

\* تَشْطُ غَدًا دَارُ جِيرَانِنَا \*

فقال ابن عباس :

\* وَلِلدَّارِ بَعْدَ غَدٍ أَعَدُّ \*



فقال له عمر : هكذا صنعت ، فأنت ترى كيف طبق المَفْصِلَ ، وأصاب  
شاكلة الروى ، لما كان المعنى يقتضى زيادة البعد كلما طال العهد بأيام الموسم ،  
واجتنب « أشط » لأنه لا يترن ولا يستعمل ، وعدا عن أن يقول « أبرح »  
وما شاكله رغبة في قرب المأخذ ، وسلوكا لطريق الفصاحة ، وإتيانا بالمشعارف  
المعتاد المتعاهد .

و يحكى عن عَدِيَّ بن الرِّقَاع أنه أنشد في صفة الظبية وولدها:  
\* تَرْجِي أَغْنَى كَأَنَّ لِبَرَّةَ رَوْقِهِ <sup>(١)</sup> \*

فغفل الممدوح عنه، فسكت ، فقال الفرزدق لجريز : ما تراه يقول ؟ فقال :  
يقول :

\* قَلَّمْ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا \*

وأقبل عليه الممدوح فأنشد كما قال جريز لم يُعَادِرْ حَرْفًا .. وقالت الخنساء :  
بييض الصَّفَاحِ وَتُسْمِرُ الرِّمَا ح بالبيض ضرباً وبالسر وخزاً  
وقالت أيضاً في نحو ذلك :

ونلبس في الحرب نَسَجَ الحديد ونلبس في السِّلْمِ خَزَا وَقَزَا  
وقال حريث بن مُحَفَّض :

فَإِنْ يَكُ طَعْنٌ بِالرُّدَيْنِ يَطْعَنُوا وَإِنْ يَكُ ضَرْبٌ بِالْمُهَنْدِ يَضْرِبُوا

وقال ابن الدمينه - واسمه عبد الله بن عبيد الله [أحد بنى عامر <sup>(٢)</sup>] الخثعمي:  
وَكُونِي عَلَى الْوَاشِينَ لَدَاءَ شَعْبَةٍ كَمَا أَنَا بِالْوَاشِي أَلَدُ شَغُوبُ

---

(١) الروق - بفتح الراء وسكون الواو - القرن ، وإبرته : طرفه ، على  
التشبيه . (٢) في الأصول « بن عبيد الله بن عبد الحثمى »  
( ٣ - المدة ٢ )

وكوفي إذا مالوا عليك صليبة      كما أنا إن مالوا على صليب  
فاليبتان جميعاً مُسَهَّمَان . وقال دعبل  
وإذا عاندنا ذو نخوة      غَضِبَ الروحُ عليه فخرج  
فعلى أيماننا يجرى الندى      وعلى أسيفنا تجرى المهج  
ليس يجهل أحد بعد معرفة البيت الأول من هذين البيتين قافية الآخر منهما .  
ومن جيد التسميم قولُ بعضهم :  
لو أننى أعطيتُ من دهرى المني      وما كل من يعطى المني بمسد  
لقلت لأيام مضين : ألا أرجى      وقلت لأيام أتين : ألا أبعدى  
وكذلك قول الآخر وهو مليح :  
حبيبي غداً لا شك فيه مودعُ      فوالله ما أدرى به كيف أصنع  
فيا يومُ لا أدبرت هل لك تحبس      ويا غداً لا أقبلت هل لك مدفع  
إذ لم أشيعهُ تَقَطَّعَتْ حَسْرَةٌ      وواكبدى إن كنت ممن يشيع  
أردت البيت الأخير .. وما أظن هذه التسمية إلا من نسيم البرود ، وهو  
ماخذ التسميم والتوشيح  
أن ترى ترتيب الألوان فتعلم إذا أتى أحدها ما يكون بعده . وأما تسميته  
توشيحاً فن تَعَطَّفَ أثناء الوشاح بعضها على بعض وجمع طرفيه ، ويمكن أن  
يكون من وشاح اللؤلؤ والخرز ، وله فواصل معروفة الأماكن ، فلعلهم شبهوا  
هذا به ، ولا شك أن الموشحات من ترسيل البديع وغيره إنما هى من هذا ،  
وبعض الناس يقول : إن التوشيح بالجيم ، فإن صح ذلك فإنما يجيء من  
« وَشَجَّتِ العروقُ » إذا اشتبكت ، فكان الشاعر شبك بعض الكلام ببعض ..  
فأما تسميته المَطْمَعِ فذلك لما فيه من سهولة الظاهر وقلة التكلف ، فإذا حُوِّلَ  
امتنع وَبَعْدَ مَرَامِهِ .

(٥١) - باب التفسير

وهو : أن يستوفي الشاعر شرح ما ابتدأ به مجملاً ، وقل ما يجيء هذا إلا في حد التفسير أكثر من بيت واحد ، نحو قول الفرزدق واختاره قدامة :

لقد جئت قوماً لو لجأت إليهم طريد دم أو حاملاً ثقل مفرم  
لألفيت منهم معطياً ومطاعنا وراءك شزراً بالوشيج المقوم

هذا جيد في معناه ، إلا أنه غريب مريب ؛ لأنه فسر الآخر أولاً والأول آخرًا ؛ فجاء فيه بعض التفسير والإشكال ، على أن من العلماء من يرى أن رد الأقرب على الأقرب والأبعد على الأبعد أصح في الكلام .

وأكثر ما في التفسير عندى السلامة من سوء التضمن لا أنه هو بعينه ما لم يكن في بيت واحد أو شبيه به كالذى أنشده سيديويه :

خَوَى عَلَى مُسْتَوِيَاتٍ خَمْسٍ كَرَكْرَكَةٍ وَثَفَنَاتٍ مُنْسٍ<sup>(١)</sup>

لأن هذا وإن كان كالببيت المصارع فهو بيتان من مشطور الرجز ومن التفسير الجيد قول<sup>(٢)</sup> حاتم الطائي ، ويروى لعتيبة بن مرداس :

من جيد التفسير

(١) يقال للناقة إذا بركت فتجافى بطنها في بروكها لضمها : قد خوت - بتشديد الواو - وقد كثر ذلك حتى صاروا يقولون للابل إذا خضت بطنها وارتفعت : قد خوت ، والكركرة - بكسر الكافين بينهما راء مهملة ساكنة - رحي زور البعير والناقة ، وقيل : هو الصدر من كل ذي خف ، والثففات : جمع ثفنة ، بفتح فسكون - وهى ما يقع على الأرض من أعضاء البعير إذا استناخ كالركبتين ، وقيل : هو كل ماولى الأرض من كل ذي أربع إذا برك أو ربض ، وتعد الكركرة إحدى الثففات ، وهن خمس .

(١) ذكر صاحب اللسان (مادة ق س ب) عن ابن برى وقد أنشد البيت الثالث ، قال : « هذا البيت يذكر أنه لحاتم الطائي ، ولم أجده في شعره » اهـ

متى ما ينجى يوما إلى المال وارثي      يَجِدُ جَمْعَ كَفٍّ غَيْرِ مَلَأَى وَلَا صَفَرٍ  
يَمْدُ فَرْسًا مِثْلَ الْعَنَانِ وَصَارِمًا      حَسَامًا إِذَا مَا هُزَّ لَمْ يَرْضَ بِالْمَهْزِ (١)  
وَأَتَمَّرَ خَطِيئًا كَانَ كُؤُوبُهُ      نَوَى الْقَسْبِ قَدْ أَرَبَى ذِرَاعًا عَلَى الْعَشْرِ (٢)

فهذا هو التفسير الصحيح السالم من ضرورة التضمين ؛ لأنه لم يعلق كلامه  
بلو كما فعل الفرزدق ، ولا بما يقتضى الجواب اقتضاء كلياً ؛ فلهذا حسن عندي . .  
ومثله قول عروة بن الورد :

وإن امرأ يرجو ترائي وإن ما      يصيرُ له منه غداً لقليلُ  
ومالٍ مال غير دِرْعٍ وَمَغْفَرٍ      وأبيض من ماء الحديدِ صقيلُ  
وَأَتَمَّرُ خَطِيئَةَ الْقَنَاةِ مُتَقَفٌّ      وَأَجْرُدُ عَرِيَانَ السَّرَاةِ طَوِيلُ  
هكذا أنشدوه بالإقواء ، ويجوز أن يرفع على القطع والإضمار ، كأنه قال :  
هو صقيل ، أو قال : ولى أبيض من ماء الحديد ، يعنى سيفه .

وقال ذو الرمة فى التفسير :

وليلٍ كجلباب العروس أدرعته      بأربعة والشخصُ فى العين واحد  
أحمٌ علافى ، وأبيض صارم      وأعيس مهزى ، وأروع ماجد  
ففسر الأربعة ما هى ، ورفع على شرط ما قدمت من الإضمار ، كأنه  
قيل له : ما الأربعة التى شخصها فى العين واحد ؟ فقال : كذا وكذا وكذا ...  
ومن التفسير ما يفسر الأ كثر فيه بالأقل ، وهو من باب الإيجاز والاختصار :

(٢) المهبر - بفتح الهاء وسكون الباء - اللحم ، يريد أن سيفه لا ينعن بالضرب  
فى اللحم حتى يصل إلى العظم .

(٣) القسب - بفتح فسكون - التمر اليابس ، قال الليث : ومن قاله بالصاد  
قد أخطأ ، ونوى القسب : أصاب النوى . والقسب : الصلب الشديد . وأربى  
كأربى .

وذلك ما أتت فيه الجملة بعد الشرح ، نحو قول أبي الطيب :

من مبلغ الأعراب أنى بعدها جالست رَسَطَاليس والإسكندرا  
 ومالت محَرَ عِشارها فأضافني من ينحر البِدَر النَّصَار لمن قرى  
 وسمعت بظليموس دارس كتبه متملكاً متبدياً متحضراً  
 ولقيت كل الفضلين كأنما رد الإله نفوسهم والأعصر  
 نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً وأنى فذلك إذ أتيت مؤخر  
 فقله \* نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً وأنى فذلك إذ أتيت \* تفسير  
 مليح قليل النظير في أشعار الناس . .

وتعلقت به في بعض مدح السيد أبي الحسن فقلت :

أنى بعد أهل العلى كجملة شيء شرح  
 وقد أتى به أبو الطيب في بيت واحد فقال :

إذا عدَّ الكرام فتلك مجل كما الأنواء حين تعد عام  
 فهذا الذى كنا نرغب فيه لكون المفسر والمفسر به في بيت واحد .  
 ونظيره قوله أيضاً :

مضى وبنوه وانفردت بفضلهم وألف إذا ما جمعت واحد فرد  
 فجاء به أيضاً في بيت واحد .  
 وكذلك قول امرئ القيس :

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفانى - ولم أطلب - قليل من المال  
 ومن قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي :

فأرسلنا ربيتنا فأوى فقال : ألا أولى خمس رُئوع  
 رباعية وقارحها وجحش وثالثة وهادية زُموع  
 فمسر ما هي ، وأثنا لغلبة التأنيث على اسم الدواب . .  
 وقال مالك بن خريم ، وقيل : حريم :

فإن يك شاب الرأس منى فإننى أبئت على نفسى مناقبَ أربعا  
فواحدة أن لا أبيت بغرة إذا ما سَوَّام الحى حَوَّلِي تَضوعا  
وثانية أن لا تُفَزَّعَ جارتى إذا كان جار القوم فيهم مُفَزَّعا  
وثالثة أن لا أصمَّت كلبنا إذا نزل الأضياف حِرْصاً لنودعا  
ورابعة أن لا أحجلَ قدرنا على لهما حين الشتاء لنشبعنا  
«أحجل» أستر، أجعلها في حجلة لتخفى عن الجار رغبة أن نشبع، ولكن أبرزها  
وكتب أحمد بن يوسف - وفي رواية النحاس : عمرو بن مسعدة -  
عن اللأمون « أما بعد فقد أمر أمير المؤمنين من الاستكثار من المصاييح في  
شهر رمضان ؛ فإن في ذلك أنسا للسابلة ، وضياء للمجاهدين ، ونفيا لمكامن  
الريب ، وتنزيها لبيوت الله عز وجل عن وحشة الظلم » .  
ومن جيد التفسير في بيت واحد قول أبي الطيب :  
فتي كالسحاب الجون يُخَشَى وَيُرْتَجَى يُرَجَّى الحيا منه وتُخَشَى الصواعقُ  
فإنه قد أحكمه أشدَّ إحكام ، وجاء به أحسن مجيء ، حتى أربى على  
البحترى إذ يقول :

بأروع من طيَّ كأن قيصه يُرْزَى على الشيخين زيد وحاتم  
سماحا وبأسا كالصواعق والحيا إذا اجتمعا في العارض المتراكم  
وقد رد الكلام جميعا آخره على أوله . .  
وأصل هذا من المعجز قول الله تعالى : (وهو الذى يريكم البرق خوفاً وطمعاً).  
وقال أبو الطيب أيضاً في التفسير المستحسن :  
إن كوتبوا أو لقوا أو حوربوا أو جدوا في الخط واللفظ والهيجاء فُرساً  
ففسر وقابل كل نوع بما يليق به ، من غير تقديم ولا تأخير ، كالذى وقع أولاً  
في بيتي الفرزدق . .

ومن التفسير قول كشاجم - واسمه محمود بن الحسين :

في فها مِسْك ، وَمَشْمُولَة ، صِرْف ، ومنظوم من الدر  
فالمسك للنكهة والخمر للريقة واللؤلؤ للنعير  
وهذا من مליح ما وقع للمحدثين .

وقال لقمان لا بدنه : إياك والكسل والصَّجَر ، فإنك إذا كسلت لم تؤد  
حقا ، وإذا ضجرت لم تصبر على حق .

(٥٢)- باب الاستطراد

وهو : أن يرى الشاعر أنه في وصف شيء وهو إنما يريد غيره ، فإن قطع  
أورجع إلى ما كان فيه فذلك استطراد ، وإن تمادى فذلك خروج ، وأكثر  
الناس يسمى الجميع استطراداً ، والصواب ما بينته . .

وأوضح الاستطراد قول السموأل وهو أول من نطق به حيث يقول :  
ومحن أناسٌ لا نرى القتل سُبَّةً إذا ما رأته عامر وسلول  
يُقَرَّبُ حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول  
واتبعه الناس ، فقال الفرزدق وأجاد :  
كان ققاح الأسد حول ابن مسمع إذا اجتمعوا<sup>(١)</sup> أفواه بكر بن وائل  
ثم أتى جرير فأبى وزاد بقوله :  
لما وضعت على الفرزدق ميسمي وضعا البعيت جذعت أنف الأخطل  
فهجا واحداً واستطرد باثنين . .

وقال مخارق بن شهاب المازني يصف مغزى :  
تري ضيفها فيها يبيت بغبطة وضيف ابن قيس جائع يتحوب  
فوفد ابن قيس هذا على النعمان بن المنذر فقال : كيف المخارق بن شهاب

(١) في نسخة « حول بيوتهم إذا حلبوا » .

فيكم؟ فقال : سيد شريف حسبك من رجل يمدح تيسه ويهجو ابن عمه .  
ومن جيد الاستطراد قول دعبل بن علي الخزاعي ، ويروي لبشار بن برد  
وهو أصح :

خليلى من كذب أعيناً أخا كما      على دهره ، إن الكريم معين  
ولا تبخلا بخل ابن قرعة ؛ إنه      تخافة أن يرّجى نداء حزين  
إذا جثته في القراط أغلق بابه      فلم تلقه إلا وأنت كمين  
ويروى \* في حاجة سد بابه \* وأنشد البحترى أبو تمام لنفسه في صفة فرس  
واستطرد يهجو عثمان بن إدريس الشامي :

وسابح هائل التمداء هتان      على الجراء أمين غير خوان  
أغلى الفصوص وما تظلى قوائمه      فخل عينيك في ظلمان ريان  
فلو تراه مشيحاً والحصى زيم      تحت السنايك من مثنى ووحدان  
أيقنت إن لم تكبت أن حافره      من صخر تدمر أو من وجه عثمان  
فقال له : أتدرى ما هذا من الشعر؟ قال : لا أدري ، قال : هذا الاستطراد ،  
أو قال : المستطرد .

قال الحاتمي : وقد يقع من هذا الاستطراد ما يخرج به من ذم إلى مدح ،  
كقول زهير :

إن البخيل ملومٌ حيث كان والكن الجواد على علاته هرِمُ  
فسى الخروج استطراداً كما تراه اتساعاً ، وأنشد في الخروج بالاستطراد من  
مدح إلى ذم قول بكر بن النطاح يمدح مالك بن طوق :

عرضت عليها ما أرادت من المنى      لترضى ، فقالت : قم فجنني بكوكب  
فقلت لها : هذا التعتت كله      كن يتشهى لحم عنقاء مغرب  
سلى كل أمر يستقيم طلابه      ولا تسألى يادرّ في كل مذهب  
فأقسم لو أصبحت في عزّ مالك      وقدرته أعني بما رُمت مطلبى



فستى شقيتُ أمواله بُغفَاتِهِ كما شقيت قيسٌ بأرماح تغلب

فهذا مليح : أوله خروج ، وآخره استطرادٌ ، وملاحظته أن مالكاً من بنى تغلب  
فصار الاستطراد زيادة في مدحه ، وزعم قوم أنه يمدح مالك بن علي الخزاعي ،  
ومما استطرد به أبو الطيب قوله في هجاء كافور :

يموتُ به غَيْظًا على الدهر أهله كما مات غيظًا فاتكُ وشَبِيبُ

على أن هذا البيت قد يقع موقع غيره من أبيات هذا الباب ؛ إذ ليس  
القصد فيه مدحاً ولا هجاء للرجلين المذكورين ، ولكن التشبيه والحكاية  
لاغير .

وقيل : أصل الاستطراد أن يريك الفارس أنه فريكز ، وكذلك الشاعر  
يريد أنه في شيء فعرض له شيء لم يقصد إليه فذكره ولم يقصد قصده حقيقة  
إلا إليه .

ومن الاستطراد نوع يسمى الإدماج ، وذلك نحو قول عبيد الله بن طاهر من الاستطراد  
الإدماج لعبد الله بن سليمان بن وهب حين وَزَرَ للمعتضد :

أبى الدهر من إسعافنا في نفوسنا وأسفنا فيمن نُحِبُّ ونُكْرَم

فقلتُ له : نعاك فيهم أتمها ودَعْ أمرنا ؛ إنَّ المَهْمَّ المقدم

وحكى أحمد بن يوسف الكاتب أنه دخل على المأمون وفي يده كتاب من  
عَمْرُو بن مَسْعُود يردد فيه النظر ، فقال : لعلك فكرت في ترديد النظر في هذا  
الكتاب ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : إني عجبت من بلاغته واحتياله  
لمراذه « كُتِبَتْ كتابي إلى أمير المؤمنين أعزّه الله وَمَنْ قَبْلِي مِنْ قَواده وأجناده في  
الطاعة والانقياد على أحسن ما يكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم واختلت  
أحوالهم » ألا ترى يا أحمد إدماجه المسألة في الإخبار ، وإعفاءه سلطانه من

الإكثار ؟ نعم أمر لهم برزق ثمانية أشهر ، وهذا النوع أقل في الكلام من الاستطراد المتعارف وأغرب .

### ٥٣ - باب التفريع

حد التفريع ومنزله من الاستطراد وهو من الاستطراد كالتدرج من التفسير ، وذلك أن يقصد الشاعر وصفاً ما ثم يفرع منه وصفاً آخر يزيد الموصوف توكيداً ، نحو قول السكيت :

أحلامكم لسقام الجهل شافيةٌ كما دماؤكم يشفى بها الكلب<sup>(١)</sup>

فوصف شيئاً ثم فرع شيئاً آخر لتشبيهه شفاء هذا بشفاء هذا . وقال ابن المعتز :  
كلامه أخذع من لحظه ووعدّه أكذب من طيفه

فبينما هو يصف خدع كلامه فرّع منه خدع لحظه ، ويصف كذب وعده فرّع كذب طيفه . وقال أيضاً يصف ساقى كأس :

فكانّ خمرة لونها من خده وكان طيب نسيهما من نشره

حتى إذا صب المزاج تبسمت عن ثغرها فحسبته من ثمره

مازال ينبجزي مواعيد عينه فمه ، وأحسب ريقه من خمره

البيتان الأولان من هذه الثلاثة تفريع ، والبيت الآخر ليس بتفريع جيد ؛ لأن الخمرة نازلة عن رتبة الريق عند العاشق ، وحق التفريع أن يكون الآخر من الموصوفين زائداً على الأول درجة : في الحسن إن قصّد المدح ، وفي القبح إن قصّد الفهم ، وهو نوع خفي إلا على الحاذق البصير بالصنعة .

ومثل بيت ابن المعتز قول البحترى :

(١) قال صاحب اللسان وأنشد هذا البيت : « قال اللحياني : الرجل السكب بعض إنساناً ، فيأتون رجلاً شريفاً فيقطر لهم من دم أصبعه فيستقون السكب فيسبراً » هـ .

وإذا تألق في الندى كلامه المصقول خلت لسانه من عصبه  
لأن حق العصب في باب المدح أن اللسان أمضى منه . .  
ومن التفريع الجيد قول الصنوبري :

ما أخطأت نوناته<sup>(١)</sup> من صدغه شيئاً ، ولا ألفاته من قده  
وكانما أنفاسه من شعره وكانما قرطاسه من جلده  
فانظر إليه كيف يزيد رتبة في الجودة كلما فرع .

ووصف ابن شيرزاد جارية كاتبة : فقال كأن خطها أشكال ، صورتها ، وكان  
بيانها سحر مقلتها ، وكان سكينة غنج لحظها ، وكان مدادها سواد شعرها ، وكان  
قرطاسها أديم وجهها ، وكان قامتها بعض أناملها ، وكان مقطعا قلب عاشقها .  
وشتان ما بين هذا الوصف وقول الآخر يهجو كاتبة أنشدته الصولي في أبيات :  
كأن دواته<sup>(٢)</sup> من ريق فيه تلاق فَنَشْرُها أبدأ كَرِيه  
وقال كشاجم :

شيخ لنا من مشايخ الكوفة نسبته للعليل موصوفه  
لو بدّل الله قلبه غنما ما طمع الناس منه في صوفه  
ومن لطيف التفريع قول أبي الطيب يصف ليلاً :

أقلب فيه أجناني كأني أعدبها على الدهر الذنوباً  
بينما هو يصف كثرة سهره وإدارة لحظه شبهها بكثرة ذنوب الدهر عنده . .  
وقال فبرد :

ولو نقصت كما قد زدت من شرف على الورى لأوتى مثل شانيكا

(١) في عامة الأصول « نوباته » وهو تحريف شنيع .

(٢) في المصريتين « ذواته » وما أقبحه من تحريف .

هذا التفریع للمعون . . وقال محمد بن وهب :

طللان طالَ عليهما الأمد      دَنَرَا فلا عِلْمَ ولا نضد  
لَبِيسَا البلى فكأنما وَجَدَا      بعدَ الأحبة بعض ما أجد

ومن المستحسن قول الخوارزمي أبي بكر محمد بن العباس :

تَمَحُّجُ البديهة ليس يُنْسِكُ لفظُهُ      فكأنما ألقاهُ من ماله  
وكأنما عَزَمَاتُهُ وسيوفُهُ      من حَدَّه من خلقن من إقباله  
متبسِّمٌ في الخطبِ تحسب أنه      تحت المجاج مُلْتَمٌ بفعله

وأخبر ماسمعه في هذا الباب قولُ ابن الرومي يهجو رجلا :

له سائسٌ ماهرٌ      يحولُ على مَتْنِهِ  
ويطعنُ في دبره      أفانينَ من طعنه  
بأطولَ من قرنيه      وأغلظَ من ذهنه

ومن التفریع أيضا قول أبي الطيب على غير هذا النظام :

أسير إلى أقطاعه في ثيابه      على طَرَفِهِ من داره مُحْسَمَه  
وما مَطَرَتْنِيهِ من البيض والقنا      وروم العبدى<sup>(١)</sup> هاطلات غمامه

فهذا تفریع تناوله من قول أبي تمام :

فقالوا : فما أولاك ؟ صِفْ بَعْضَ نَيْلِهِ      فقلت لهم : من عنده كلُّ ما عندي  
وأصله من قول أبي نواس :

\* فكلُّ خَيْرٍ عِنْدَهُمْ من عِنْدِهِ \*

يصف كلب صيد .

(١) العبدى — بتشديد الدال مفتوحة — العبيد ، جمع عبد .

## ٥٤ - باب الالتفات

وهو الاعتراض عند قوم ، وسماءُ آخرون الاستدراك ، حكاه قدامة ، حد الالتفات والاختلاف في تسميته إلى الثاني فيأتي به ، ثم يعود إلى الأول من غير أن يخل في شيء مما يشد الأول ، كقول كثير:

لَوْ أَنَّ الْبَاخِلِينَ ، وَأَنْتَ مِنْهُمْ ، رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ الْمِطَالَ  
فقوله \* وأنت منهم \* اعتراض كلام في كلام ، قال ذلك ابن المعتز ، وجعله باباً على حديثه بعد باب الالتفات ، وسائر الناس يجمع بينهما .  
قال النابغة الذبياني :

أَلَا زَعَمْتُ بَنُو عَبْسٍ بَأْنِي - أَلَا كَذَبُوا - كَبِيرُ السِّنِّ قَانِي  
فقوله \* ألا كذبوا \* اعتراض ، ورواه آخرون للجعدى \* ألا زعمت بنو كعب \* وهو أشبه بالجعدى ؛ لأنه أعلى سنامنه ؛ فقوله \* ألا كذبوا \* اعتراض ، وكذلك ما يجرى مجراه .

وأنشدوا في الالتفات لبعض العرب :  
فَظَلُّوا يَوْمَ - دَعَا أَخَاكَ بِمَثَلِهِ - عَلَى مَشْرِعٍ يَرَوِي وَلَمَّا بَصُرْدُ  
فقوله \* دع أخاك بمثله \* التفات مליح .

وقال جرير يرثي امرأته أم حَزْرَةَ :  
نَعَمْ الْقَرِينَ - وَكَذَلِكَ عِلْقَ مِضْنَةٍ - وَارَى بِنَعْفٍ بَلِيَّةٍ الْأَحْجَارُ  
فقوله \* وكنت علق مضنة \* هو الالتفات .

وقال عوف بن محم لعبد الله بن طاهر :  
إِنَّ الثَّمَانِينَ - وَبُلَغَتْهَا - قَدْ أَحْوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجَانِ  
فقوله \* وبلغتها \* التفات ، وقد عده جماعة من الناس تتمية ، والالتفات

أشكل وأولى بمعناه ، ومنزلة الالتفات في وسط البيت كمنزلة الاستطراد في آخر البيت ، وإن كان ضده في التحصيل ؛ لأن الالتفات تأتي به عفواً وانتهازاً ، ولم يكن لك في خلدٍ فتقطع له كلامك ، ثم تصله بعد إن شئت ، والاستطراد تقصده في نفسك ، وأنت تحيد عنه في لفظك حتى تصل به كلامك عند انقطاع آخره ، أو تلقيه إلقاء وتعود إلى ما كنت فيه .

يجيء الالتفات  
آخر البيت

وقد جاء الالتفات في آخر البيت نحو قول امرئ القيس :  
أبعد الحارث الملك بن عمرو له ملك العراق إلى عمان  
نجاورة بني شمع بن جرم هواناً ما أتيح من الهوان  
ويمنحها بنو شمع بن جرم ميعزهم ، حنانك ذا الحنان  
فقوله \* ما أتيح من الهوان \* وقوله \* حنانك ذا الحنان \* الالتفات  
وحكى عن إسحاق الموصلي أنه قال : قال لي الأصمعي : أتعرف التفات جرير ؟  
قلت : وما هو ؟ فأنشدني

أتنسى إذ تودّعنا سليبي بعدو بشامة ، سقي البشام !  
ثم قال : أما تراه مقبلاً على شعره ، إذ التفّت إلى البشام فدعاه ، وأنشد له  
عبد الله بن المعتز :

متى كان الخيام بذى طلوح سقيت الغيث أيتها الخيام .  
وأنشد له أيضاً ابن المعتز :

طرب الحمام بذى الأراك فهاجني لا زلت في غللي وأهلك ناصري  
لم يعد ابن المعتز إلا ما كان من هذا النوع ، وإلا فهو اعتراض كلام في كلام  
وقد أحسن ابن المعتز في العبارة عن الالتفات بقوله « هو انصراف المتكلم من  
الإخبار إلى مخاطبة ، ومن مخاطبة إلى الإخبار » وتلا قوله تعالى : ( حتى إذا  
كنتم في الملك وجريين بهم بريح طيبة ) .

وأنشد غيره لأبي عطاء السندی يرثي يزيد بن عمر بن هبيرة :

وإنك لا تبتعدُ على متعهدٍ بلى كلُّ ما تحت الترابِ بعيد  
وهذا هو الاستدراكُ، ومثله قول زهير :

حَتَّى الدِّيارِ التي لم يبلها القدم بَلَى ، وَغَيَّرَهَا الأرواحُ والدِّيمُ  
وكذلك قول جرير :

غداً بأجماعِ الحى تُقْفِى لُبانة فاقسم لا تُقْفِى لباتنا غداً  
وأنشد ابن المعتز في هذا النوع ، وهو لبشار :

نَبُتْ فاضحَ قومه يفتابى عند الأمير ، وهل على أمير؟  
ومن مليح ماسمته قول نُصَيْب :

وددتُ - ولم أخلق من الطير - أننى أعارُ جَفَاحى طائر فأطيرُ  
فقوله \* ولم أخلق من الطير \* عجب ، ولما سمعتِ التى قيل فيها هذا البيت  
تنفست تنفساً شديداً ، فصاح ابن أبى عتيق : أوه قد والله أجبته بأحسن من شعره ،  
والله لو سمعك لَنَقَقَ وطار ، فجعله غراباً لسواده .

وأنشد الصولى للعباس بن الأحنف :

قد كنت أبكى وأنتِ راضيةٌ حذارَ هذا الصدودِ والغضبِ  
إن تم ذا الهجر يا ظلوم ، فلا تم ، فإنى العيش من أرب  
وقال : سمعت ثعلباً يقول : ما رأيت أحداً إلا وهو يستحسن هذا الشعر .

ومن المليح أيضاً قول القحيف<sup>(١)</sup> بن سليمان العقيلي :

أمنكم يا حنيف - نعم لعمرى - لِحَى مَحْضوبَةٌ ودمٌ سجال

يخاطب ابنه . وقال عدى بن زيد العبادى وهو فى حبس النعمان يخاطب  
ابنه زيدا ويحرضه :

فلو كنت الأسير ، ولا تَكُنْهُ ، إِذَا عَلِمْتَ مَعْدُ ما أقول

(١) فى عامة الأصول « النحيف » بالنون ، وهو تحريف .

(٥٥) - باب الاستثناء

تسميته وحده وابن المعتز يسميه توكيد المدح بما يشبه الذم ، وذلك نحو قول النابغة  
الذياني :

وَلَا غَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُمْ بَيْنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ  
فَجَعَلَ فُلُولَ السِّيفِ عَيْبًا ، وَهُوَ أَوْ كَدٌ فِي الْمَدْحِ . .  
وقال النابغة الجعدي :

فَتَى كَمُلْتَ أَخْلَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ قَمَا يُبْقَى مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا  
فاستثنى جوده الذي يستأصل ماله ، بعد أن وصفه بالكمال . وبهذا الاستثناء  
ثم وزاد كالا وتأكده حسنه . .  
وكذلك قوله :

فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا  
فكانه لما كان فيه ما يسوء أَعَادِيَهُ لم يطلق عليه أنه يسر فقط ، وذلك زيادة  
في ١٠ حه ، وليس هذا الاستثناء على ما رتبته النحويون فتطلبه بحروف الاستثناء  
المعروفة ، وإنما سمي اصطلاحاً وتقريباً ، سماه هؤلاء المحدثون نحو الحاتمي وأصحابه  
ولم يسم حقيقة . .

ومن مליح هذا النوع قول أبي هفان [و] قد تقدم به وَجَوْدَ غَايَةِ التَّجْوِيدِ :  
ولا عيبَ فينا غيرَ أن سَمَّاحَنَا أَضْرَبْنَا ، وَالْبَاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ  
فَأَفْنَى الرَّدَى أَرْوَاحَنَا غَيْرَ ظَالِمٍ وَأَفْنَى النَّدَى أَمْوَالَنَا غَيْرَ عَائِبٍ  
فقوله إن السامح والبأس أضربهم ليس بعيب على الحقيقة ، ولكن توكيد  
مدح ، والمليح كل المليح قوله « غير ظالم ، وغير عائب » فهذا الثاني أعجب من  
الأول وألطف موقعاً . . وقال آخر :

من مليح  
هذا النوع



ولا عيبَ فينا غيرُ عِرْقٍ لمعشرٍ كرامٍ ، وأنا لا نخطئُ على النمل<sup>(١)</sup>  
 فقصر من جهة قوله \* غير عرق لمعشر كرام \* لأن سبيل هذا الباب أن يؤثر  
 فيه بما يظن أنه عيب أو تقصير ، وإن كان على التحصيل فخراً وفضلاً ، كالقول في  
 سيوف النابغة الذبياني ، وإتلاف المال في شعر الجعدي ، وترك الخط على النمل في شعر  
 لآخر وأنهم لا يشفون صاحبها ، وهي داء واحدتها النملة ، وأما ذكر السكرم فلا  
 وجه له ههنا .

ومن هذا الباب قول ابن الرومي :

لَيْسَ لَهُ عَيْبٌ سِوَى أَنَّهُ لَا تَقَعُ الْعَيْنُ عَلَى شَيْبِهِ  
 فجعل انفراده في الدنيا بالحسن دون أن يكون له قرين يؤسه عيباً ؛ فهو  
 يزيد توكيد حسنه .

وقال حاتم الطائي :

وَمَا تَتَشَكَّى جَارَتِي غَيْرَ أَنِّي إِذَا غَابَ عَنْهَا بَقُلُهَا لَا أَزُورُهَا

(١) قال ابن منظور : « النمل : قروح في الجنب وغيره ، ودواؤه أن يرقى  
 بريق ابن المجوسى من أخته ، تقول المجوس ذلك . . . ثم أشد هذا البيت . .  
 أنى : لساناً بمجوس تنكح الأخوات . قال أبو العباس : وأنشدنا ابن الأعرابي  
 هذا البيت ، وفسره أنا كرام ولأن أنى بيوت النمل في الجذب لنحفر على ما جمع لنا كله  
 . . . وقال الجوهري : النمل : بشور صغار مع ورم يسير ثم يتقرح فيسعى  
 ويتسع ، ويسمى الأطباء الدباب ، وتقول المجوس : إن ولد الرجل إذا كان من  
 أخته ثم خط على النملة شفى صاحبها . وفي الحديث : « لارقية إلا في ثلاث : النملة  
 والحمة والنفس » اه كلامه بحروفه . والتفسير الذي ذكره أولاً ثم نقله بعد عن  
 الجوهري هو المطابق لما ذكره المؤلف هنا ، وهو الموافق لقول الشاعر \* غير  
 عرق لمعشر كرام \* فإنهم كانوا يحدون غير العرب ليسوا من السكرام في شيء ،  
 ومنه تعلم أن اعتبار المؤلف ذكر السكرم ممالاً وجه له في الكلام غير سديد ، هذا  
 وفي رواية ابن منظور للبيت \* غير نسل لمعشر \* ورواية المؤلف أقرب .

سِيلِنَهَا خَيْرِي وَيَرْجِعُ أَهْلَهَا      إِلَيْهَا وَلَمْ تُقْصِرْ عَلَى سُتُورِهَا  
لَمَّا كَانَ فِي تَرْكِ الزِّيَارَةِ إِشْكَالَ بَيِّنٍ مَرَادِهِ .  
وَمِنْ أَصْحَابِ التَّكْلِيفِ مَنْ يَعِدُ فِي هَذَا الْبَابِ مَا نَاسِبٌ قَوْلِ الشَّاعِرِ :  
فَأَصْبَحْتُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا      سَوَى ذِكْرِهَا كَالْقَابِضِ الْمَاءَ بِالْيَدِ  
وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ ضَبِيعٍ الْفَزَارِيُّ :  
فَنَيْتُ وَمَا يَفْنَى صَنِيعِي وَمَنْطَقِي      وَكُلُّ أَمْرٍ إِلَّا أَحَادِيثَهُ فَأَنِي  
وَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ عِنْدِي ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ بَابِ الْإِحْتِرَاسِ وَالْإِحْتِيَاظِ ؛ فَلَوْ  
أَدْخَلْنَا فِي هَذَا الْبَابِ كُلَّ مَا وَقَعَ فِيهِ اسْتِثْنَاءٌ لَطَالَ ، وَلَخَرَجْنَا فِيهِ عَنْ قَصْدِهِ وَغَرَضِهِ  
وَلِكُلِّ نَوْعٍ مَوْضِعٌ .

### (٥٦) — باب التتميم

وَهُوَ التَّمَامُ أَيْضًا ، وَبَعْضُهُمْ يَسْمِي ضَرْبًا مِنْهُ إِحْتِرَاسًا وَاحْتِيَاظًا .  
وَمَعْنَى التَّمِيمِ : أَنْ يَحَاوِلَ الشَّاعِرُ مَعْنَى ، فَلَا يَدْعُ شَيْئًا يَتِمُّ بِهِ حَسَنُهُ إِلَّا أَوْرَدَهُ  
وَأَتَى بِهِ : إِمَامَبَالَعَةً ، وَإِمَا احْتِيَاظًا وَاحْتِرَاسًا مِنَ التَّقْصِيرِ ، وَيَنْشُدُونَ بَيْتَ <sup>(١)</sup> طَرْفَةٍ :  
فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا      صَوَّبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةُ تَهْمِي  
لَأَنَّ قَوْلَهُ غَيْرَ مُفْسِدِهَا تَمِيمٌ لِلْمَعْنَى ، وَاحْتِرَاسٌ لِلدِّيارِ مِنَ الْفَسَادِ بِكَثْرَةِ الْمَطَرِ .  
وَمِثْلُهُ قَوْلُ جَرِيرٍ :

حد  
التتميم

(١) مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ يَهْدِدُ فِيهَا الْمُسَيْبُ بْنُ عِلْسٍ الشَّاعِرَ ، وَيَمْدَحُ قَتَادَةَ بْنَ مَسْلَمَةَ  
الْحَنْفِيَّ ، وَقَبْلَهُ بِأَرْبَعَةِ آيَاتٍ :

أَبْلَغُ قَتَادَةَ غَيْرَ سَائِلِهِ      مَنِ الثَّوَابِ وَعَاجِلِ الشُّكْمِ  
وَالشُّكْمِ : الْعَوْضُ وَالْجُزَاءُ ، وَقَتَادَةُ هَذَا مِنْ أَجْوَادِ الْعَرَبِ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ :  
غَيْثُ الضَّرِيكَ ، وَكَانَ قَوْمٌ لَرَفَقَةٍ قَدْ أَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ فَأَتَوْهُ فَأَحْسَنَ عَطِيَّتَهُمْ .

فسقالك - حيث حلت غير فقيدة - مَزَجُ الرَواحِ وَدِيمَةُ لَا تُقْلِعُ

فقوله \* غير فقيدة \* تتميم لما أراد من دنوها وسقيها غير راحلة ولا ميتة  
إذ كانت العادة أن يدعى للغائب الميت بالسقى ؛ فاحترس من ذلك .  
وقد عاب قدامة على ذى الرمة قوله :

أَلَا يَا سَلَمَى يَا دَارَ مَيٍّ عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالَ مِنْهَا بِجَرَ عَائِكَ الْقَطَرِ  
فإنه لم يحترس كما احترس طرفة ، فرد ذلك عليه بأن الشاعر قدم الدعاء  
بالسلامة للدار في أول البيت ، وهذا هو الصواب . . وقال زهير :  
مَنْ يَلْتَقِ يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمًا يَلْقَى السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالْأَنْدَى خُلُقًا  
قوله \* على علاته \* مبالغة وتتميم عجيب .

من التتميم في القرآن الكريم  
والأصل في هذا قول الله عز وجل : ( وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا  
وَيَتِيمًا وَأُسِيرًا ) فقوله ( على حبه ) هو التتميم والمبالغة في قول مَنْ قَالَ إِنَّ الْمَاءَ ضَمِيرُ  
الطَّعَامِ ، وَإِنْ كَانَ كُنَايَةً عَنْ اللَّهِ تَعَالَى خَرَجَ الْمَعْنَى عَنْ هَذَا الْبَابِ ، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ  
اسْمُهُ : ( مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ )  
فتمم بقوله - ( وهو مؤمن ) - .

من أمثلة التتميم في الشعر

ومن أناشيد قدامة والحاتمي وغيرهما قول نافع بن خليفة الغنوي :  
رَجَالٌ إِذَا لَمْ يُقْبَلِ الْحَقُّ مِنْهُمْ وَيُعْطَوْهُ عَادُوا بِالسُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ  
قال الحاتمي : فإن المعنى تم بقوله « ويعطوه » وإلا كان ناقصا .  
ويجربى مجراه عندي قول عنتره العبسي :

أَتْنِي عَلَى كَمَا عَلِمْتَ فَإِنِّي سَهْلٌ مُخَالَفَتِي إِذَا لَمْ أَظْلَمْ  
فقوله \* إذا لم أظلم \* تتميم حسن .  
وقال آخر :

فَلَا تَبْعَدَنَّ إِلَامِنِ السُّوءِ ؛ إِنِّي إِلَيْكَ وَإِنْ شَطَّتْ بِكَ الدَّارُ - نَازِع

فاستثنأوه « السوء » تتميم واحتراس جيد .

وقال أبو الطيب بن الوشاء :

لئن كان باقي عيشنا مثل مامضى فللموت إن لم ندخل النار أروج

وقال سُرَاقَةُ البارقِي يهجو رهط جرير :

صغارٌ مقاريهم عظامٌ جُغُورهم بطلاء عن الداعي، إذا لم يكن أكلًا<sup>(١)</sup>  
كأنه قال إذا لم يكن المدعو إليه أكلًا.

وقال مريع بن وعوة الكلابي وقد قتل رجلا نَهْشَلِيَا :

وقلتُ لأصحابي : النَجَاء ؛ فإنما مع الصبح - إن لم تَسْقُوا - جَمْعُ نَهْشَلٍ

ويجرى على هذه الأناشيد قول ابن محكان السعدي حين قدم للقتل :

ولستُ وإن كانت إلى حبيبةً بياكٍ على الدنيا إذا ماتت

فاستثنى \* وإن كانت إلى حبيبة \* استثناء مليحا ، وبوى التقديم والتأخير ؛

فلذلك جاز له أن يأتي بالضمير مقدما على مُظْهَرِه ، هكذا قال فيه أبو العباس المبرد ،

ومن التتميم الحسن قول امرئ القيس :

على هيكل يعطيك قبل سؤاله أفانين جري غير كز ولا واني

فقوله \* قبل سؤاله \* تتميم حسن لقوله « أفانين جرى » وقول أعشى باهلة<sup>(٢)</sup> :

\* وكل أمر سوى الفحشاء ياتمر<sup>(٣)</sup> \*

يقول : هو يدبر كل شيء سوى الفحشاء فإنه لا يدبرها .

(١) للمقاري : جمع مقرى - بكسر الميم وسكون القاف وبعد الراء ألف

مقصورة - وهو إناء يقرى فيه الضيف ، ويقال للجفنة مقراة ، وقال ابن الأعرابي :

المقاري : القدور ، وجعورهم : أراد أستاذهم ، وعظم الاست مما يتهاجى به العرب .

(٢) يرثي أخاه لأمة المنتشر بن وهب الباهلي ، وكان بنو فليل قد قتلوه .

(٣) صيده \* لا يصعب الأمر إلا ريث يركبه \* ولا يصعب الأمر : لا يجده

صعبا .

(٥٧) — باب المبالغة

آراء الناس  
في المبالغة

وهي ضروب كثيرة . والناس فيها يختلفون : منهم من يُؤثرها ، ويقول بتفضيلها ، ويراها الغاية القصوى في الجودة ، وذلك مشهور من مذهب نابغة بنى ذبيان ، وهو القائل : أشعر الناس من استجيد كذبه ، وضحك من رديته ، هكذا أعرفه ، ورأيت بخط جماعة - منهم عبد الكريم والباغانى - من استجيد جيده ومطابقه وضحك من رديته . وروى قوم من حديث النابغة ومطالبتة حسان ابن ثابت بالمبالغة ونسبته إياه إلى التقصير في قوله :

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُ يَلْعَنُ بِالضُّحَى وَأُسَيَّا فُنَّا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

• ما هو مشهور عندهم مشهور في كتبهم ، ومنهم من يعيها وينكرها ، ويراها عيباً وهُجْنَةً في الكلام ، قال بعض الخذاق بنقد الشعر : المبالغة ربما أحوالت المعنى ، ولَبَّسَتْهُ عَلَى السَّامِعِ ؛ فليست لذلك من أحسن الكلام ولا أخفاه ، لأنها لاتقع موقع القبول كما يقع الاقتصاد وما قاربه ؛ لأنه ينبغي أن يكون من أهم أغراض الشاعر والتكلم أيضاً الإبانة والإفصاح ، وتقريب المعنى على السامع ؛ فإن العرب إنما فَضَّلَتْ بالبيان والفصاحة ، وحلا منطقها في الصدور وقبلته النفوس لأساليب حسنة ، وإشارات لطيفة ، تكسبه بيانا وتصوره في القلوب تصويراً ، ولو كان الشعر هو المبالغة لكانت الحاضرة والمحدثون أشعر من القدماء ، وقد رأيناهم احتالوا للكلام حتى قربوه من فهم السامع بالاستعارات والمجازات التي استعملوها ، وبالتشكك في الشبهين ، كما قال ذو الرمة :

فِيَاظْبِيَّةَ الْوَعْسَاءِ بَيْنَ جَلَا جِلٍّ وَبَيْنَ التَّقَا آ أَنْتِ أَمْ أَمْ سَالِمٍ

فلو أنه قال \* أنت أم سالم \* على نفي الشك بل لو قال « أنت أحسن من  
الظبية » لما حل من القلوب محل التشكك . وكما قال جرير :

فإنك لو رأيت عبيد تميم وتباً قلت : أيهم العبيد

فلو قال « عبيدم » أو « خير منهم » لما ظن به الصدق ، فاحتال في تقريب  
المشابهة ؛ لأن في قربها لطافة تقع في القلوب وتدعو إلى التصديق .

وكذلك قول أبي النجم يصف عرق الخيل :

كأنه من عرق يسربله ككرسف النداف لولا ببلله<sup>(١)</sup>

فإنه لو قال « إنه الكرسف » لم يكن في حسن هذا ؛ لأنه يشهد بتقارب  
الشبهين إلى أن أوقع في الشك . . والمبالغة في صناعة الشعر كالاستراحة من  
الشاعر إذا أعياء إيراد معنى حسن بالغ فيشغل الأسماع بما هو محال ، ويهول مع  
ذلك على السامعين ، وإنما يقصدها من ليس بمتمكن من محاسن الكلام أن  
تمكنه ، ولا يتعذر عليه ، وتنجذب كلما أرادها إليه ، انقضى كلامه .

وفيه كفاية وبلاغ ، إلا أنه - فيما يظهر من خواه - لم يرد إلا ما كان فيه بُعد ،  
وليس كل مبالغة كذلك ، ألا ترى أن التتميم إذا طلبت حقيقته كان ضرباً من  
المبالغة وإن ظهر أنه من أنواع الخشو المستحسن ، وقد مر ذكره . وكذلك ما ناسب  
قول ابن المعتز يصف خيلاً :

صَبَّيْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سَيَاطِنًا وَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٌ وَأَرْجُلٌ<sup>(٢)</sup>

وهذا عند جميع الناس من باب الخشو ، وهو عندى مبالغة ، وكذلك  
الإيغال ، وسيرد في بابيه إن شاء الله .

---

(١) الكرسف - بضم الكاف والسين بينهما راء مهله ساكنة - القطن ،  
وهو الكرسوف أيضاً ، وواحدته كرسفة . والنداف : الذي يضرب القطن بالندف  
(٢) انظر ص ٦٩ الآتية .

التقصي  
من المبالغة  
وحده

فمن أحسن المبالغة وأغربها عند الحذاق : التقصّي ، وهو بلوغ الشاعر أقصى ما يمكن من وصف الشيء ، كقول عمرو بن الأيهم التغلبي :  
وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا وَنُنْبِيعُ الْكِرَامَةَ حَيْثُ كَانَا  
فتقصّي بما يمكن أن يقدر عليه فتعاطاه ووصف به قومه .

ترادف  
الصفات

ومن أغربها أيضاً ترادف الصفات ، وفي ذلك تهويل مع صحة لفظ لا تحيل  
نعني ، كقول الله تعالى : ( أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ  
مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ، ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ) .

الغلو

فأما الغلو فهو الذي ينكره مَنْ ينكر المبالغة من سائر أنواعها ، ويقع فيه  
الاختلاف لا ما سواه مما بينت ، ولو بطلت المبالغة كلها وعيبت لبطل التشبيه  
وعيبت الاستعارة ، إلى كثير من محاسن الكلام : فمن أبيات المبالغة قول  
امرئ القيس :

كَأَنَّ الْمَدَامَ وَصُوبَ النِّعَامِ وَرِيحَ الْخُرَامِ وَنَشْرَ الْقَطْرِ<sup>(١)</sup>  
يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أُنْيَابِهَا إِذَا غَرَّدَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِرَّ

فوصف فاما بهذه الصفة سحرراً عند تغير الأفواه بعد النوم ، فكيف تظنها  
في أول الليل ؟ ومثل ذلك قوله يصف ناراً وإن كان فيه إغراق :

نَظَرْتُ إِلَيْهَا ، وَالنَّجُومُ كَأَنَّهَا مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ ، تُشَبُّ لِقْفَالٍ  
يقول : نَظَرْتُ إِلَى نار هذه المرأة تشب لقفال والنجوم كأنها مصابيح  
رُهْبَانٍ ، وقد قال :

(١) في عامة الأصول « نشر العطر » بالعين المهملة ، وهو تصحيف دعا إليه  
ذكر النشر ، وإنما هو « نشر القطر » بقاف مثناة . والقطر - بضم فسكون  
وبضمتين - العود الذي يتبخربه ، وقد قطر ثوبه - بتضعيف الطاء - وقطرت الجارية

تَنَوَّرَتْهَا مِنْ أَذْرِعَاتِ وَأَهْلِهَا      بَيْتَرِبَ أَدْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالٍ<sup>(١)</sup>  
 وبين المسكانيين مُبْعَدُ أَيَّامٍ ، وإنما يرجع القفال من الغزو والغارات وَجْهَ  
 الصباح ؛ فإذا رآوها من مسافة أيام وجه الصباح وقد خد سَنَاهَا وَكَلَّ مَوْقِدَهَا  
 فكيف كانت أول الليل ؟ !! وشبه النجوم بمصابيح الرهبان ؛ لأنها في السحر  
 يضعف نورها كما يضعف نور المصابيح الموقدة ليلها أجمع ، لاسيما بمصابيح الرهبان ؛  
 لأنهم يكلون من سهر الليل فرجما نعسوا ذلك الوقت ، وهذا مما أورده شيخنا  
 أبو عبد الله .

وقال امرؤ القيس يصف فرساً :

لَهَا ذَنْبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْعُرُوسِ      تَسُدُّ بِهِ فَرْجَهَا مِنْ دُبُرٍ  
 أراد طوله ؛ لأن العروس تجر ذيلها إما من الحياء وإما من الخيلاء .

وزعم الجاحظ أن قول غيلان ذى الرمة :

وَكَلِيلُ كَجَلْبَابِ الْعُرُوسِ أَذْرَعَتْهُ      بِأَرْبَعَةٍ وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدٌ  
 أراد به سُبُوغُهُ لالونه ، وأكثر الناس على خلاف قوله ، وأنا أرى أن هذا  
 كقول عوف بن عطية بن الخرج التيمي من تيم الرباب يصف خيلاً :  
 وَجَلَّلَنَ دَنَحًا قَنَاعَ الْعُرُوسِ      سَ تَذِي عَلَى حَاجِبَيْهَا الْخِمَارُ

«دَمَحٌ» : جبل بعينه ، فأراد أن الخيل كسونه قناعاً من الغبار هذه صفته .  
 ومن مُعْجِزِ المبالغة قول الله عز وجل : ( سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ  
 جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ) فجعل من يُسِرُّ القول كن  
 يجهر به ، والمستخفي بالليل كالسارب بالنهار ، وكل واحد منهما أشد مبالغة في  
 معناه وأتم صفة .



(٥٨) - باب الإيغال

وهو ضرب من المبالغة كما قدمت ، إلا أنه في القوافي خاصة لا يَعْدُوها ،  
والخاتمي وأصحابه يسمونه التبليغ ، وهو تفعيل من بلوغ الغاية ، وذلك يشهد  
بصحة ما قلته ، ويدل على ما رتبته .

وحكى الخاتمي عن عبد الله بن جعفر عن محمد بن يزيد المبرد قال : حدثني  
التوزي قال : قلت للأصمعي : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : الذي يجعل المعنى الخسيس  
بلفظه كبيراً ، أو يأتي إلى المعنى الكبير فيجعله خسيساً ، أو ينقضي كلامه قبل  
القافية ، فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى ، قال : قلت : نحو من ؟ قال : نحو  
الأعشى إذ يقول :

كَنَاطِحٍ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيَفْلَقَهَا فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ  
فقد تم المثل بقوله : وأوهى قرنه ، فلما احتاج إلى القافية قال « الوعل »  
قال : قلت : وكيف صار الوعل مفضلاً على كل ما ينطح ؟ قال : لأنه ينحط  
من قنّة الجبل على قرنه فلا يضره ، قال : قلت : ثم نحو من ؟ قال : [نحو] ذى الرمة  
بقوله :

قَفِ الْعَيْسَ فِي أَطْلَالٍ مِيَّةٍ وَاسْأَلِ رُسُومًا كَأَخْلَاقِ الرَّذَاءِ الْمُسْلَسِلِ  
فتم كلامه ، ثم احتاج إلى القافية فقال « المسلسل » فزاد شيئاً ، وقوله :  
أُظِنُّ الذي يجدى عليك سؤالها دموعاً كتبديده الجمان للمفصل  
فتم كلامه ، ثم احتاج إلى القافية فقال « المفصل » فزاد شيئاً أيضاً .

أول من ابتكر هذا النوع  
بقوله يصف الفرس :

إِذَا مَا جَرَى شَأْوَيْنِ وَابْتَلَّ عِطْفُهُ تَقُولُ هَزِيْزَ الرِّيحِ مَرَّتْ بِأَنْثَابِ  
فبالغ في صفته ، وجعله على هذه الصفة بعد أن يجرى شأوين ويبتلّ عطفه

بالقرقي ، ثم زاد إيفالا في صفته بذكر الأثاب ، وهو شجر للريح في أضعاف أغصانه حفيف عظيم وشدة صوت ، ومثل ذلك قوله :  
 كَانَ عُيُونُ الطَّيْرِ حَوْلَ خِبَانِنَا وَأَرْحُلُنَا الْجَزَعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبِ  
 فقوله « لم يثقب » إيفال في التشبيه ، واتبعه زهير فقال :

كَأَنَّ فُتَاتَ الْعَيْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْفَنَاءِ لَمْ يُحَطِّمْ  
 فأوغل في التشبيه إيفالا بتشبيهه ما يتناثر من فتات الأرجوان بحب الفناء الذي لم يحطم ؛ لأنه أحر الظاهر أبيض الباطن ، فإذا لم يحطم لم يظهر فيه بياض البتة ، وكان خالص الحمرة ، وتبعهما الأعشى فقال يصف امرأة :  
 غَرَاهُ فَرَعَاهُ مَصْفُوقٌ عَوَارِضُهَا تَمَشَّى الْهُوَيْنَا كَمَا يَمَشَّى الْوَجَى الْوَحْلُ  
 فأوغل بقوله « الوحل » بعد أن قال « الوجى » وكذلك قوله « الوعل »<sup>(١)</sup>

وكان الرشيد كثير العجب بقول صريع الغواني:  
 إِذَا مَا عَلَتْ مِنَّا ذُوَابُهُ شَارِبٍ تَمَشَّى بِهِ مَشَى الْمُقِيدِ فِي الْوَحْلِ  
 ويقول : قاتله الله! ما كفاه أن جعله مقيداً حتى جعله في وحل ، وأنا أقول:  
 إنه بيت الأعشى<sup>(١)</sup> بعينه .

ومن الإيفال قول الطرمّاح العقيلي يصف فرساً بسعة المنخر :  
 لَا يَكْتُمُ الرَّبْوَ إِلَّا رَبِثَ يَخْرُجُهُ مِنْ مَنَخْرِ كَوْجَارِ الثَّعْلِبِ الْخَرْبِ  
 فكونه كوجار الثعلب غاية في المبالغة ، فكيف إذا كان خرباً ؟ .

ومن الإيفال الحسن قول الخنساء :  
 وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهَدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ  
 فبالغت في الوصف أشد مبالغة ، وأوغلّت إيفالا شديداً بقولها « في رأسه نار » بعد أن جعلته علماً ، وهو الجبل العظيم .  
 وأنشد الجاحظ :

أَلُوِي حِيَازِمِي بَهْنٌ صَبَابَةٌ كَمَا تَتَلَوَّى الْحِيَةِ الْمُتَشَرِّقُ

(١) في البيت الذي أنشده المؤلف أول التمثيل لهذا النوع .

فَقَوْلُهُ « الْحَيَّةُ الْمُنْتَشِرَةُ » إِيغَالٌ ؛ لِأَنَّهُ أَشَدُّ لَتَوِيَّةً .

وَكَذَلِكَ قَوْلُ جَرِيرٍ :

بَاتَ الْفَرَزْدَقُ عَائِراً وَكَأَنَّهُ قَعَوْتُ تَعَاوَرَهُ السَّقَاةُ مَعَارِ  
وَإِذَا كَانَ مُعَارِراً كَانَ أَشَدَّ لاسْتِعْمَالِهِ وَأَقْلَبَ لِلتَّحْفِظِ عَلَيْهِ .

وَقَالَ النُّجَاشِيُّ يَذْكُرُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَانَ :

لَمَّا أَتَانِي مَا يَقُولُ وَدُونَهُ مَسِيرَةُ شَهْرِ الْمَطِيِّ الْمَفَرِّدِ  
فَأَوَّغَلَ بِقَوْلِهِ « الْمَفَرْدِ » إِيغَالاً عَجِيباً ؛ لِأَنَّهُ أَسِيرٌ مِنَ الْحَمَلِ .

وَقَالَ جَمِيلٌ :

إِنِّي لَا كُتِمْتُ حُبَّهَا إِذْ بَعْضُهُمْ فِيمَنْ يُحِبُّ كُنَاشِدِ الْأَغْفَالِ  
« النَّاشِدِ » طَالِبِ الضَّالَّةِ ، وَإِذَا كَانَتْ غُفْلًا لَيْسَ فِيهَا سِمَةٌ كَانَ أَشَدَّ  
لِلْبَحْثِ عَلَيْهَا ، وَأَكْثَرَ لِلسُّؤَالِ وَالذِّكْرِ .

وَمِنْ أَحْسَنِ إِيغَالِ الْمُحَدِّثِينَ قَوْلُ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ :

هَمُّ الْقَوْمِ : إِنْ قَالُوا أَصَابُوا ، وَإِنْ دُعُوا أَجَابُوا ، وَإِنْ أُعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا  
فَقَوْلُهُ « وَأَجْزَلُوا » قَدْ أَتَى بِهِ فِي نَهَايَةِ الْحَسَنِ .

وَكَذَلِكَ قَوْلُ بَشَّارِ بْنِ بَرْدٍ :

وَعَبِيرَانِ مِنْ دُونَ النِّسَاءِ كَأَنَّهُ أَسَامَةُ ذُو الشَّيْبَانِ حِينَ يَجُوعُ  
فَقَوْلُهُ « حِينَ يَجُوعُ » إِيغَالٌ حَسَنٌ .

وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتِزِ :

وَدَاعٌ دَعَا وَاللَّيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَكُنْتُ مَكَانَ الظَّنِّ مِنْهُ وَأَعْجَلَا  
فَقَوْلُهُ « وَأَعْجَلَا » زِيَادَةٌ وَصَفٌ ، وَإِيغَالٌ ظَاهِرٌ .

وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ فِي رِثَاءِ أُمِّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ :

مَشَى الْأَمْرَاءُ حَوْلَ كَيْهَاتِهَا كَأَنَّ الْمَرْوَ مِنْ زِفِّ الرِّثَالِ

« فَالزَفُّ » : أَصْغَرُ الرِّيشِ وَأَمِينُهُ ، وَلَا سِيَّامَ رِيشِ النِّعَامِ ، وَلَمْ يَرْضَ بِذَلِكَ

حَتَّى جَعَلَهُ زِفَّ الرِّثَالِ ، شَبَهَ بِهِ الْمَرْوَ - وَهُوَ مَا صَغُرَ مِنَ الْحَصَى وَحْدَ - فَهَذَا فَوْقَ

كُلِّ مَبَالِغَةٍ وَإِيغَالٍ .

من الإيغال  
الاستظهار  
ومن هذا نوع يسمى الاستظهار ، وهو قول ابن المعتز لابن طباطبأ العلوي  
أو غيره :

فَأَنْتُمْ بَنُو بَيْتِهِ دُونَنَا وَنَحْنُ بَنُو عَمِّهِ الْمُسْلِمِ

ف قوله « المسلم » استظهار ؛ لأن العلوية من بنى عم النبي عليه الصلاة والسلام  
أيضا أعنى أبا طالب ومات جاهليا، فكان ابن المعتز أشار بحذقه إلى ميراث الخلافة.  
وليس بين الإيغال والتتميم كبير فرق ؛ إلا أن هذا في القافية لا يعدوها ،  
وذلك في حشو البيت .

اشتقاق  
الإيغال  
واشتقاق الإيغال من الإبعاد ، يقال : أوغل في الأرض ، إذا أبعده ، فيما  
حكاه ابن دريد ، وقال : وكل داخل في شيء دخول مستعجل فقد أوغل فيه  
وقال الأصمعي في شرح قول ذي الرمة :

كَأَنَّ أَصْوَاتَ مَنْ إِيغَالِهِنَّ بَنَّا أَوَاخِرَ الْمَيْسِ أَصْوَاتُ الْفَرَارِيجِ

الإيغال : سرعة الدخول في الشيء ، يقال : أوغل في الأمر ، إذا دخل فيه  
بسرعة ، فعلى القول الأول كأن الشاعر أبعده في المبالغة وذهب فيها كل الذهاب ،  
وعلى القول الثاني كأنه أسرع الدخول في المبالغة بمبادرته هذه القافية .  
وكما [أ] كثرت من الشواهد في باب فيما أريد بذلك تأنيس المتعلم وتجسيره على  
الأشياء الرائعة . ولأريه كيف تصرف الناس في ذلك الفن ، وقلّبوا تلك المعاني والألفاظ

### (٥٩) — باب الغلو

أسماءه  
وميزته  
ومن أسمائه أيضا الإغراق ، والإفراط ، ومن الناس من يرى أن فضيلة  
الشاعر إنما هي في معرفته بوجوه الإغراق والغلو ، ولا يرى ذلك إلا محالا ؛ لخالفته  
الحقيقة ، وخروجه عن الواجب والمتعارف . . وقد قال الخذاق : خير الكلام  
الحقائق ، فإن لم يكن فما قاربها وناسبها ، وأنشد المبرد قول الأعشى :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَبْقَيْنَ مِنِّي مُعَلَّقٌ بِعَوْدِ مُنَمِّمٍ مَا تَأَوَّدَ عَوْدَهَا  
 فقال : هذا متجاوز ، وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل إذا شبه ، وأحسن  
 منه ما أصاب الحقيقة فيه ، انتهى كلامه .

وأصح الكلام عندى ما قام عليه الدليل ، وثبت فيه الشاهد من كتاب الله أصح الكلام  
 تعالى ، ونحن نجده قد قرن الغلو فيه بالخروج عن الحق ؛ فقال جل من قائل :  
 ( يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ) .

والغلو عند قدامة : تجاوز في نعت ما للشيء أن يكون عليه ، وليس خارجا عن  
 طباعه ، كقول النمر بن تولب في صفة سيف شبه به نفسه :

تَظَلُّ تَحْفِرُ عَنْهُ إِنْ ضَرَبَتْ بِهِ      بعد الذراعين والساقين والهادي

إذ ليس خارجا عن طباع السيف أن يقطع الشيء العظيم ثم يغوص بعد  
 ذلك في الأرض ، ولأن مخارج الغلو عنده على « تكاد » وعلى هذا تأول أصحاب  
 التفسير قول الله تعالى : ( وَبَلَّغْتَ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ) أى : كادت .

وقال الجرجاني في كتاب الوساطة : والإفراط مذهب عام في المحدثين ، وموجود  
 كثير في الأوائل ، والناس فيه مختلفون : من مستحسن قابل ، ومستقبح راد ، وله  
 رسوم متى وقف الشاعر عندها ولم يتجاوز بالوصف حدها سلب ، ومتى تجاوزها  
 اتسعت له الغاية ، وأدته الحال إلى الإحالة ، وإما الإحالة نتيجة الإفراط ، وشعبة  
 من الإغراق .

وقال الخاتمي : وجدت العلماء بالشعر يعيرون على الشاعر أبيات الغلو قول الخاتمي  
 في الغلو والإغراق ، ويختلفون في استحسنائها واستهجانها ، ويعجب بعض منهم  
 بها ، وذلك على حسب ما يوافق طباعه واختياره ، ويرى أنها من إبداع  
 الشاعر الذي يُوجبُ الفضيلة له ، فيقولون : أحسن الشعر أكذبه ، وأن الغلو  
 إنما يراد به المبالغة والإفراط ، وقالوا : إذا أتى الشاعر من الغلو بما يخرج عن

الموجود ويدخل في باب المعلوم فإنما يريد به المثل وبلوغ الغاية في النعت ، واحتجوا بقول النابغة - وقد سئل : مَنْ أشعر الناس - فقال : من استجيد كذبه وأضحك رديته ، وقد طعن قوم على هذا المذهب بمنافاته الحقيقة ، وأنه لا يصح عند التأمل والفكرة ، انقضى كلامه .

من أبيات  
الغلو

ومن أبيات الغلو للقديس قول مهمل :

فَلَوْلَا الرِّيحُ أُنْمِيعَ مِنْ بَحْجَرٍ صَلِيلِ الْبَيْضِ تُقْرَعُ بِالذُّكُورِ

وقد قيل : إنه أكذب بيت قالته العرب ، وبين حُجْرٍ - وهي قصبة اليمامة - وبين مكان الواقعة عشرة أيام ، وهذا أشد غلوًا من [ قول ] امرئ القيس<sup>(١)</sup> في النار ؛ لأن حاسة البصر أقوى من حاسة السمع وأشد إدراكًا .  
ومنها قول النابغة في صفة السيوف :

تَقْدُ السُّلُوقِ الْمَضَاعَفَ نَسْجُهُ وَيُوقِدْنَ بِالْصَّفَاحِ نَارَ الْحَبَابِ

وهو دون بيت امرئ القيس<sup>(١)</sup> في تنوُّر صاحبة النار إفراطًا ، ودون بيت النابغة قولُ المرثد في صفة السيوف أيضًا ، وقد أنشدته فيما مضى من هذا الباب<sup>(٢)</sup> واختار قوم على بيتي النابغة والمرثد قولَ أبي تمام :

وَيَهْتَزُّ مِثْلَ السَّيْفِ لَوْلَمْ تَسْلُهُ يَدَانِ لَسَلَّتْهُ ظُبَاهُ مِنَ الْغَمْدِ  
ومن الغلو قول جرير :

فَلَوْ وُضِعَتْ فِقَاحُ بَنِي نُمَيْرٍ عَلَى خَبَثِ الْحَدِيدِ إِذَا لَذَابَا

لأنه شيء لا يذوب أبدًا ، وقد نعى على أبي نواس قوله :  
وَأَخَفَّتْ أَهْلَ الشُّرْكِ حَتَّى إِنَّهُ لَتَخَافُكَ النَّطْفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ

(١) هو قوله الذي أنشده من قبل ( ص ٥٦ من هذا الجزء ) :

تنورتها من أذرعات ، وأهلها يثرب ، أدنى دارها نظر عال  
(٢) انظر ص ٦١ السابقة .

إذ جعل ما لم يخلق يخافه . . وكذلك قوله :

حَتَّى الَّذِي فِي الرَّحْمِ لَمْ يَكُ صُورَةً لِفُؤَادِهِ مِنْ خَوْفِهِ خَفَقَانُ

وزعم بعض المتعقبين أن الذي كثر هذا الباب أبو تمام ، وتبعه الناس بعد ، من غلو المتنبى وأين أبو تمام مما نحن فيه ؟ فإذا صرت إلى أبي الطيب صرت إلى أكثر الناس غلواً ، وأبعدهم فيه همة ، حتى لو قَدَّرَ ما أُخْلِى منه بيتاً واحداً ، وحتى تبلغ به الحال إلى ما هو عنه غنى ، وله في غيره مَنَدُوحَةٌ ، كقوله :

يَتَرَشَّنُ مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ هُنَّ فِيهِ أُخْلِي مِنَ التَّوْحِيدِ

وإن كان له في هذا تأويل ومخرج يجعله التوحيد غاية المثل في الخلاوة بفيه .

وقوله :

لَوْ كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ أَعْمَلَ رَأْيَهُ لَمَّا أَنِي الظَّالِمَاتِ صِرْنَ شُمُوساً  
أَوْ كَانَ صَادِفُ رَأْسٍ عَازِزَ سَيْفِهِ فِي يَوْمِ مَعْرَكَةٍ لِأَعْيَا عِيسَى  
أَوْ كَانَ لَجُجُ الْبَحْرِ مِثْلَ يَمِينِهِ مَا انْشَقَّ حَتَّى جَازَ فِيهِ مُوسَى

فما دعاه إلى هذا في الكلام عوضاً منه بلا تعلق عليه ؟ فكيف إذا قال :  
كَأَنِّي دَحَوْتُ الْأَرْضَ مِنْ خِزْبَتِي بِهَا كَأَنِّي بَنَى الْإِسْكَندَرُ السَّدَّ مِنْ عِزِّي

فشبه نفسه بالخالق ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، ثم انحط إلى الإسكندر ، وربما أفسد أبو الطيب إغراقه هكذا ونقص منه بما يظنه إصلاحاً له وزيادة فيه ، نحو قوله يصف شعره :

إِذَا قَلَّتْ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ وَصُولِهِ جِدَارٌ مُعَلَّى أَوْ خِباءُ مَطْنَبِ

فما وجه الخباء المطنب بعد الجدار المنيف ؟ بينا هو في الثريا صار في الثرى !  
وإنما أراد الخاضرة والبادية ، وكذلك قوله :

تَصَدُّ الرِّيحُ الْهُوجُ عَنْهَا خُفَافَةٌ وَيَفْزَعُ مِنْهَا الطَّيْرُ أَنْ يَلْقَطَ الْحَبَا

فكم بين خوف الرياح الموج وصدودها ، وبين فزع الطير أن تلتقط الحب؟  
ولاسيا وأفزعُ الطير بهائمهُ التي تلتقط الحب لضعفها وعدمها السلاح ، وأقل خيال  
أو تمثال يحمي مزروعات جهة ، وقد رجح صاحب الوساطة هذا البيت على قول  
أبي تمام :

فقد بثَّ عبدُ الله خوفَ استقامِهِ على الليلِ حتى ما تدبُّ عقاربهُ  
فاعتبروا يا أولى الأبصار .

وما يشا كل قول أبي الطيب في ألفاظه قول نصر الخباز أرزى<sup>(١)</sup> :  
ذبتُ من الشوقِ فلورُجُجِي في مقلةٍ النائمُ لم ينتبه  
وكانَ لي فيما مضى خاتمُ فالآنَ لو شئتُ تمنطقتُ بِهِ  
فبين الإغراق والإغراق بَوْنٌ بعيد واختلاف شديد .

وإذا لم يجد الشاعر بداً من الإغراق - لحبه ذلك ، ونزوع طبعه إليه - فليكن ذلك  
منه في الندرة ، ويبتا في القصيدة إن أفرط ، ولا يجعل هجيراً كما يفعل أبو الطيب .  
وأحسن الإغراق ما نطق فيه الشاعر أو المتكلم بكاد أو ما شاكلها ، نحو  
كأنَّ ولو لولا ، وما أشبه ذلك مما لم يناسب أبيات أبي الطيب المتقدم ذكرها  
في البشاعة ، ألا ترى ما أعجب قول زهير :

أحسن  
الإغراق

لو كان يقعدُ فوقَ الشمس من كرمٍ قَوْمٌ بأحسابهم أو مجدِّهم قعدُوا  
فبلغ ما أراد من الإفراط ، وبني كلامه على صحة .

وما استحسنته الوواة ونص عليه العلماء قول امرئ القيس يصف سناناً :  
حلت رُدَّيْنِيَا كأنَّ شبَّاتهُ سَنَالَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانٍ<sup>(٢)</sup>

(١) المشهور في هذه النسبة « الخبز رزى » أو « الخبز أرزى » .

(٢) في الديوان « كأن سنانه » وهو المحفوظ ، وهو الموافق لقول المؤلف

« يصف سنانا » .



وإذا نظرت إلى قول أبي صخر :

تَكَادِي تَنْدَى إِذَا مَا لَمَسْتُهَا وَيَنْبُتُ فِي أَطْرَافِهَا الْوَرَقُ النَّضْرُ

وقول أبي الطيب :

عَجِبْتُ مِنْ أَرْضٍ سَحَابُ أَكْثَرِهِمْ مِنْ قَوْحِهَا وَصُخُورُهَا لَا تُورِقُ

لم يخف عنك وجه الحكم فيهما ، على أن في قول أبي الطيب بعض الملاحه والمخالفة لطبعه في حب الإفراط وقلة المبالاة فيه ؛ إذ كان ممكنا أن يقول : إن الصخور أورقت ، ولغة القرآن أفصح اللغات ، وأنت تسمع قول الله تعالى : ( يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ) وقوله : ( إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْهَا ) وقوله : ( يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ )

اشتقاق  
الغلو

واشتقاق الغلو [ من ] المغالاة ، ومن غلوة السهم ، وهي مَدَى رَمِيَّتِهِ ، يقال : غاليت فلانا مغالاة وغلاء ، إذا اختبرت ما أيكأ بعد غلوة سهم ، ومنه قول النبي عليه الصلاة والسلام : « جَرَى الْمَذَكِيَّاتُ <sup>(١)</sup> غِلَاءً » وقد جاء في حديث داحس « غلاء » و « غلاب » بالباء أيضا ، وإذا قلت : غَلَا السَّعْرُ غِلَاءً ، فإنما تريد أنه ارتفع وزاد على ما كان ، وكذلك غَلَّتِ الْقَدَرُ غَلِيًّا أَوْ غَلِيَّانًا ، إنما هو أن يَجِيْشَ مَآوِهَا وَيَرْتَفِعَ ، والإغراق أيضا أصله في الرمي ، وذلك أن تجذب السهم في الوتر عند السَّزْعِ حتى تستغرق جميعه بينك وبين حنية القوس ، وإنما تفعل ذلك لبعد الغرض الذي ترميه ، وهذه التسمية تدل على ما نحوت إليه وأشرت نحوه .

الإغراق

(٢) المشهور في رواية هذا المثل : « جرى المذكيات غلاب » كما أشار المؤلف إليه ، والمذكية من الخيل : التي قد آتى عليها بعد قروحها سنة أو ستان ، والغلاب : المغالبة . ومن رواه كالمؤلف أولا « غلاء » بالهمز في آخره فإنما هو جمع غلوة ، يعني أن جريها يكون غلوات ، ويكون شأوها بعيدا ، لا كالجدعان .

(٦٠) — باب التشكك

فائدة  
التشكك

وهو من مُلَح الشعر وطُرْفِ الكلام ، وله في النفس حلاوة وحُسْنُ موقع ، بخلاف ما لاغلو والإغراق .

وفائدته الدلالة على قرب الشمين حتى لا يفرق بينهما ، ولا يميز أحدهما من الآخر ، وذلك نحو قول زهير :

وَمَا أَذْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَذْرِي أَقَوْمُ آلِ حِصْنٍ أُمِّ نِسَاءٍ  
فَإِنْ تَسْكُنَ النِّسَاءُ مُخَبَّئَاتٍ فَحَقُّ لِكَلٍّ مُحْصَنَةٍ هَذَا  
فقد أظهر أنه لم يعلم أنهم رجال أم نساء ، وهذا أملح من أن يقول : هم نساء ، وأقرب إلى التصديق ؛ ولهذا العلة اختاروه كما تقدم القول في بيت ذي الرمة :

أَيَا طَبِيبَةَ الْوَعَسَاءِ بَيْنَ جَلَّالٍ وَبَيْنَ الدَّقَآآ أَنْتِ أُمُّ أُمِّ سَالِمٍ<sup>(١)</sup>  
وبيت جرير

\* فَإِنَّكَ لَوِ رَأَيْتَ عَبِيدَ تَيْمٍ \*

وبيت أبي النجم في صفة عرق الخيل<sup>(١)</sup> .  
وقال العرجي<sup>(٢)</sup> :

بِاللَّهِ يَا ظَبِيَّاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا لَيْلَايَ مِنْكُنَّ أُمُّ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ<sup>(٢)</sup>

(١) انظر ( ص ٥٣ و ٥٤ ) من هذا الجزء .

(٢) اضطرب العلماء في نسبة هذا البيت ؛ فزعم قوم أنه لمجنون ليلى ، وكأنهم اغتروا بذلك ليلى فيه ، وقد بحث جميع ديوانه فلم أجده ، وقد نسبته العيني كالمؤلف إلى العرجي ، ونسبه العباسي لأعرابي ولم يسمه ، ونسبه الباخرزي لبدوي ساء كاهلا التقي ، ونسبه قوم للحسين بن عبد الله ( وانظر حواشينا الممتعة على شرح الأثموني ج ١ ص ٢١٣ ) .

ولمّا سلك طريق ذى الرّمة .

وقال سلّم بن عمرو الخاسر :

تَبَدَّتْ قُلْتُ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا      يَجْلِدُ غَنِيَّ اللَّوْنِ عَنْ أَثَرِ الْوَرَسِ  
فَلَمَّا كَرَزْتُ الطَّرْفَ قُلْتُ لَصَاحِبِي      عَلَى مِرْيَةٍ : مَا هَا هُنَا مَطْلَعُ الشَّمْسِ

فأنت ترى كيف موقع هذا الشك من اليقين ؟ وكيف حلاوته في الصدر وقبوله ؟ ؟ فإنه لو كان يقيناً ما بلغ هذا المبلغ .

وتناول هذا المعنى أبو زيد الوضاح بن محمد النخعي فقال يمدح المستعين بالله :

وقائلة والليلُ قد نَشَرَ الدُّجَى      فَفَطَى بِهَا مَا بَيْنَ سَهْلٍ وَقَرْدٍ  
أرى بارِقاً يَبْدُو مِنَ الْجَوْسِقِ الَّذِي      بِهِ حَلَّ مِيرَاثُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ  
فَطَلَّ عَذَارَى الْحَى يَنْظُنَ تَحْتَهُ      ظَفَارِيَةَ الْجَزَعِ الَّذِي لَمْ يُسَرِّدِ  
أضَاءَتْ بِهِ الْآفَاقُ حَتَّى كَأَنَّمَا      رَأَيْنَا يَنْصِفُ اللَّيْلَ نَوْرَ ضُحَى الْعَدِ  
فَقُلْتُ : هُوَ الْبَدْرُ الَّذِي تَعْرِفِينَهُ      وَإِلَّا يَكُنْ فَالنَّوْرُ مِنْ وَجْهِ أَحَدٍ

وأما قول أبي تمام حين قصد عبد الله بن طاهر إلى خراسان يذكر شك

رفقائه واستبعادهم الطريق :

يَقُولُ فِي قَوْمٍ صَحْبِي وَقَدْ أَخَذَتْ      مِنَّا الشَّرَى وَخَطَا الْمَهْرِيَّةَ الْقَرْدِ :  
أَمْ مَطْلَعُ الشَّمْسِ تَبْغِي أَنْ تَوُثِّمَ بِنَا ؟      فَقُلْتُ : كَلَّا وَلَكِنْ مَطْلَعُ الْجُودِ

فقد صرف المعنى فيه عن وجهه ، وخالف فيه قصده ، ونسب إلى

غيره ، وهو بعيد من قول سلّم ، وليس ذكرهما جميعاً مطلع الشمس ذروة ، ولا عليه موعول . . وقال ابن ميادة :

وَأَشْفَقُ مِنْ وَشَكِّ الْفِرَاقِ وَإِنِّي      أَظُنُّ - لِمَحْمُولٍ عَلَيْهِ فِرَاقِهِ  
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي : أَيُّغْلِبُنِي الْهَوَى      إِذَا جَدَّ جِدُّ الْبَيْنِ أَمْ أَنَا غَالِبُهُ ؟ !

فقوله في البيت الأول « أظن » مليح جداً ، وكذلك قوله في البيت الثاني

« ما أدري أين غلبني الهوى أم أنا غلبه » .

وأخذ هذا المعنى ابن أبي مية وزاده ملاحه فقال :

فديتك لم تشبع ولم ترومن هجرى      أيسخنن المجران أكثر من شهر

أراني سأسلو عنك إن دام ما أرى      بلا ثقة ، لكن أظن ولا أدري

وقد أحسن أبو الطيب في قوله :

أريقك أم ماء القمامة أم خمر ؟      بني برود وهو في كبدي جمر

لولا أنه كدر صفوه ومرر حلوه بما أضاف إليه من قوله :

أذا الفصن أم ذا الدغص أم أنت فتنة      وهذا الذي قبلته البرق أم نمر ؟

ولله در أبي نواس إذ يقول :

ألا لا أرى مثلي أمتري اليوم في رسم      تنص به عيني ويلفظه ونهي

أنت صور الأشياء بيني وبينه      فظني كالأظن وعلمي كالألم

ويروى « وجهلي كالأجهل » .

وأول من نطق بهذا المعنى امرؤ القيس :

لمن طلل دارس آية      أضربه سالف الأخرس<sup>(١)</sup>

تنكره القين من جانب      ويعرفه شغف النفس

أول من  
نطق بهذا  
المعنى

وقال أعرابي في معنى أبيات الوصاح بن محمد :

أقول والنجم قد مالت مياسره      إلى الغروب : تأمل نظرة حار

ألحمة من سنا برقي رأي بصرى      وجهه نغم بدا لي أم سنا نار

بل وجه نغم بدا والليل مقتكره      فلاح من بين حجاب وأستار

(١) الطلل : ما شخص من آثار الديار ، دارس : عاف ، آية : جمع آية ،

والهاء ضمير الطلل ، وارتفاعه على أنه فاعل بدارس ، سالف : ماضى ، الأخرس :

جمع حرس وهو الدهر .

٦١ - باب الحشو وفضول الكلام

وسماه قوم الاتكاء ، وذلك أن يكون في داخل البيت من الشعر لفظ  
لا يفيد معنى ، وإنما أدخله الشاعر لإقامة الوزن ، فإن كان ذلك في القافية فهو  
استدعاء ، وقد يأتي في حشو البيت ما هو زيادة في حسنه وتقوية لمعناه : كالذى  
تقدم من التميم ، والالتفات ، والاستثناء ، وغير ذلك ، مما ذكرته آنفاً .  
من ذلك قول عبد الله بن المعتز<sup>(١)</sup> يصف خيلاً :

أمثلة من  
الحشو

صَبَبْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سَيَاطِنًا . فطارت بها أيدي سراعٍ وأرجل<sup>(٢)</sup>

وقد مرّ ذكره في باب<sup>(١)</sup> المبالغة ، فقوله « ظالمين » حشو أقام به الوزن ،  
وبالغ في المعنى أشدّ مبالغة من جهته ، حتى علمنا ضرورة أن إتيانه بهذه  
اللفظة التي هي حشو في ظاهر الأمر أفضل من تركها ، وهذا شبيه بالتميم ..  
وقال الفرزدق :

ستأنيك مِنِّي - إن بقيتُ - قصائدٌ يُقَصِّرُ عَنْ تحبيرها كلُّ قائل

فقوله « إن بقيت » حشو في ظاهر لفظه ، وقد أفاد به معنى زائداً ، وهو  
شبيه بالالتفات من جهة ، وبالاحتراس من جهة أخرى ، فما كان هكذا فهو  
الجليد ، وليس بحشو إلا على المجاز ، أو بعد أن يُنَعَتَ بالجوذة والحسن ، أو يضافا  
إليه ، وإنما يطلق اسم الحشو على ما قدمت ذكره مما لا فائدة فيه .  
وقد أتى العتّابي بما فيه كفاية حيث يقول :

إنَّ حَشَوَ الكلام من لُكْنَةِ المرءِ \* وإيجازُهُ مِنَ التَّقْوِيمِ  
فجعل الحشو لكنة ، وليس كل ما يحشى به الكلام لزيادة فائدة لكنة ،

(١) انظر ( ص ٥٤ ) من هذا الجزء .

ولمّا أراد ما لا حاجة إليه ولا منفعة ، كقول أبي صفوان الأسدي  
يذكر بازياً :

ترى الطيّرَ والوحشَ من خوفه حَوَاجِرَ منه إذا ما أغتَدَى  
فقوله « منه » بعد قوله « من خوفه » حشواً فائدة فيه ، ولا معنى له ،  
وكذلك قول أبي تمام يصف قصيدة :

خذها ابنةَ الفكرِ المذهبِ في الدجى واللَّيلُ أسودُّ حالكُ الجلبابِ  
فقوله « الدجى » حشو ؛ لأن في القسم الثاني ما يدل عليه من زيادة  
استعارتين مليحتين ، فإن لم يكن في القسم الأول حشو كان القسم الثاني بآثره فضلة .  
وقال أبو الطيب في نحو من ذلك :

إذا اعتلَّ سيفُ الدَّولةِ أَغْتَلَّتِ الأرضُ

وَمَنْ فَوْقَهَا والبأسُ والكُرمُ المَحْضُ

فقوله « والبأس » حشو ؛ لأن قوله « ومن فوقها » دال على الإنس والجن  
جميعاً ، والبأس والكرم جميعاً ، اللهم إلا أن يحمله على تأويلهم في قول الله تعالى :  
(فيهما فاكهة ونخل ورمان) فأعادَ ذَكَرَهما وها من الفاكهة لفضلهما ، وقوله تعالى :  
(مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ) فإن هذا سائغ وليس  
بحشو حينئذ .

ومن الحشو قول الكلّبة اليربوعي :

إذا المرء لم يغش الكريهة أو شكّت حِبَالُ الهوينَا بالفتى أن تقطعاً  
فقوله « بالفتى » حشو ، وكان الواجب أن يقول « به » لأن ذكر المرء قد  
تقدم ، إلا أن يريد في قوله بالفتى الزرية والأطنوزة<sup>(١)</sup> فإنه يحتمل .

وقال زيد الخليل يخاطب كعب بن رهير :

(١) الأطنوزة : من الطنز - بفتح الطاء وسكون النون ، وفي آخره زاي -  
وهو السخريّة ، وباب فعله نصر ، والرجل طنّاز - بالفتح وتشديد النون - قال  
صاحب المختار : « وأظنه مولداً أو معرباً » اهـ .

يَقُولُ: أَرَى زَيْدًا وَقَدْ كَانَ مَعْدَمًا أَرَاهُ لَعَمْرِي قَدْ تَمَوَّلَ وَاقْتَنَى  
 فَقَوْلُهُ «أَرَاهُ لَعَمْرِي» حَشْوٌ وَاسْتِرَاحَةٌ يُسْتَفْنَى عَنْهَا بِقَوْلِهِ «أَرَى زَيْدًا»  
 وَمَا يَكْثُرُ بِهِ حَشْوُ الْكَلَامِ «أَضْعَى، وَبَات، وَظَل، وَغَدَا، وَقَدْ، وَيَوْمًا»  
 وَأَشْبَاهُهَا، وَكَانَ أَبُو تَمَامٍ كَثِيرًا مَا يَأْتِي بِهِيَ، وَيَكْرَهُ لِلشَّاعِرِ اسْتِعْمَالُهَا  
 «ذَا، وَذِي، وَالذِّي، وَهُوَ، وَهَذَا، وَهَذِي» وَكَانَ أَبُو الطَّيِّبِ مُوَاهِمًا بِهَا، مَكْرًا  
 نَهَى فِي شِعْرِهِ، حَتَّى حَمَلَهُ حَبَهُ فِيهَا عَلَى اسْتِعْمَالِ الشَّاذِّ وَرُكُوبِ الضَّرُورَةِ فِي قَوْلِهِ:  
 لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ ذَا الْوَرَى الَّذِي مِنْكَ هُوَ عَقَمَتْ بِمَوْلِدِ نَسْلُهَا حَسْوَاهُ  
 وَكَذَلِكَ يَكْرَهُ لِلشَّاعِرِ قَوْلُهُ فِي شِعْرِهِ «حَقًّا» إِلَّا أَنْ تَقَعَ لَهُ مَوْقِعُهَا فِي  
 قَوْلِ الْأَخْطَلِ:

فَأَقْسَمَ الْمَجْدُ حَقًّا لَا يُخَالِفُهُمْ حَتَّى يُخَالَفَ بَطْنَ الرَّاحَةِ الشَّعْرُ  
 فَإِنْ قَوْلُهُ هَهُنَا «حَقًّا» زَادَ الْمَعْنَى حَسَنًا وَتَوَكَّدَ ظَاهِرًا.

وَلَقَدْ أَحْسَنَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ فِي قَوْلِهِ لِابْنِ الْمَعْتَزِ:  
 وَلَوْ قُبِلَتْ فِي حَادِثِ الدَّهْرِ فِدْيَةٌ لَقَلْنَا عَلَى التَّحْقِيقِ نَحْنُ فِدَاؤُهُ  
 فَقَوْلُهُ «عَلَى التَّحْقِيقِ» حَشْوٌ مُلَيِّحٌ فِيهِ زِيَادَةٌ فَائِدَةٌ.

وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَسْمِي هَذَا النُّوعَ مِنَ الْكَلَامِ ارْتِفَادًا، وَأَنْشَدَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ  
 قَوْلَ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ:

قَضَى لَهَا اللَّهُ حِينَ صَوَّرَهَا الْخَالِقُ أَنْ لَا يُكْنِيهَا سَدَفُ  
 وَالْإِتْكَاءُ عِنْدَهُ وَالْإِرْتِفَادُ هُوَ قَوْلُ الشَّاعِرِ «صَوَّرَهَا الْخَالِقُ» لِأَنَّ اسْمَ  
 اللَّهِ تَعَالَى قَدْ تَقَدَّمَ.

وَوَجَدْتُ الْخِذَاقَ يَعْيُبُونَ قَوْلَ ابْنِ الْخُدَّادِيَةِ - وَهِيَ أُمُّهُ، وَاسْمُهُ قَيْسُ بْنُ مَنْقَذٍ:  
 إِنَّ الْفَوَادَ قَدْ أَمْسَى هَائِمًا كَلِفًا قَدْ شَفَّهَ ذِكْرُ سَلَمَى الْيَوْمَ فَانْتَكَسَا  
 لِحْشَوْهُ «قَدْ» فِي مَوْضِعَيْنِ مِنَ الْبَيْتِ ثُمَّ بَدَأَ «أَمْسَى» وَ«الْيَوْمَ» عَلَى تَنَاقُضِهِمَا.  
 وَعَابَ الْخَاتَمِيُّ عَلَى الْأَعَشَى قَوْلَهُ:

فرميت غفلة قلبه عن شاته فأصبت حبة قلبها وطحالمها  
لأن تعكير « القلب » عنده حشو لا فائدة فيه ، وهذا تعسف من الخاتمي  
لأن قلبه غير قلبها ؛ فأما كرر اللفظ دون المعنى ، ورأيت روايته في أكثر النسخ  
« حبة قلبه وطحالمها » وهو غلط ، ومن ههنا عابة فيما أظن ، ومن الناس من روى  
« فرميت غفلة عينه عن شاته » وهي رواية مشهورة صحيحة .

ونعوا على أبي العيال الهذلي قوله :

ذكرتُ أخى فعاودنى صُداعُ الرأسِ والْوَصَبُ  
لأن « الصداع » من أدواء الرأس خاصة ، فليس لذكر الرأس معه معنى ؛  
وعلى جميل قوله :

وما ذَكَرْتُكَ النَّفْسُ يَا بُنْنَ مَرَّةً مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا كَادَتْ النَّفْسُ تَتَلَفُ  
فتكرير « النفس » لبس له وجه ههنا ، وللتكرير موضع يحسن فيه ، وسيرد  
إن شاء الله في بابه .

ومن الحشو نوع سماه قدامة التفصيل — بالفاء — وزعم قوم أنه بالعين  
كأنهم يجعلونه اعوجاجاً من قولهم : ناب أعَصَلُ ، وجعله آخرون بالعين وضاد  
معجمة ، كأن عندهم من : تعضل الولد ، إذا عَسَرَ خروجه واعترض في الرحم ،  
وظاهر البيت الذي أنشده قدامة يدل على أنه التفصيل — بالفاء — وهو قول دريد  
ابن الصمة :

وَبَلَغَ نَمِيرًا إِنْ عَرَضَتْ - ابْنُ عَامِرٍ وَأَيُّ أُخْرٍ فِي النَّائِبَاتِ وَطَالِبِ  
ويجوز هذا المجزى قول أبي الطيب ، بل هو أقرب منه :

سَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ لِسَانِي حَدِيقَةً سَقَاهَا الْحَيَاسُ فِي الرِّيَاضِ السَّحَابِ  
لأن التفرقة بين النعت والمنعوت أسهل من التفرقة بين المضاف والمضاف إليه ،  
وهما بمنزلة اسم واحد ، فإذا شئت أن تجعل بيت ابن الخطيم « حين صورها الخالق »  
من هذا النوع جاز لك ؛ فيكون التقدير قضى لها الله الخالق حين صورها .

من الحشو  
التفصيل



٦٢ — باب الاستدعاء

وهو ألا يكون للمقافية فائدة إلا كونها قافية فقط ، فتخلو حينئذ من المعنى  
 كقول عدى القرشي ، أنشده قدامة:  
 وَوَقِيتَ الْخُتُوفَ مِنْ وَارِثٍ وَ لِي ، وَأَبْقَاكَ صَالِحًا رَبُّ هُودٍ  
 فإنه لم يأت لهود النبي عليه السلام ههنا معنى إلا كونه قافية .  
 وما أعجب السيد الحميري في قوله :  
 أقسم بالفجر وبالعشر والشفع والوتر ورب لقمان  
 في منزلي محكم ناطق بنور آيات وبرهان  
 فالفجر فجر الصبح والعشر عشر النحر . والشفع نجيان  
 محمد وابن أبي طالب والوتر رب العزة الباني  
 بآبِ سَمَوَاتٍ بَنَاهَا بِلَا تَقْدِيرٍ لِنَاسٍ وَلَا جَانٍ  
 فانظر إلى قوله « رب لقمان » ما أكثر قلقه وأشد ركا كته !!! وأما قوله  
 « الباني » فقد خرج فيه من حد اللين والبرد ، وتجاوز فيه الغاية في ثقل الروح ،  
 والله حسبه .

ومن أناشيد قدامة قول علي بن محمد صاحب البصرة :  
 وسابغة الأذيال زَغَفٍ مَفَاضَةٍ تَكْنَفُهَا مَنَى نِجَادٍ مَخْطُوطٍ  
 فلا أدري معنى هذا الشاعر في تخطيط النجاد ، وهذا أقل ما في تكلف القوافي  
 الشارده إذا ركبها غير فارسها ، وراضها غير سائسها .

٦٣ — باب التكرار

وللتكرار مواضع يحسن فيها ، ومواضع يقيح فيها ، فأكثر ما يقع التكرار  
 في الألفاظ دون المعاني ، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل ، فإذا تكرر  
 متى يحسن؟  
 ومتى يقيح؟

اللفظ والمعنى جميعاً فذلك انْخِذْلَانُ بعينه ، ولا يجب للشاعر أن يكرر اسماً إلا على جهة التشويق والاستعذاب ، إذا كان في تنزل أو نسيب . . كقول امرئ القيس ، ولم يتخلص أحد تخلصه فيما ذكر عبد الكريم وغيره ، ولا سَلِمَ سلامته في هذا الباب :

دِيَارٌ لَسَلِمَى عَافِيَاتٌ بِذِي الْخَالِ      أَلَحَّ عَلَيْهَا كُلُّ أَسْحَمَ هَطَالِ  
وَنَحْسِبُ سَلِمَى لَا تَزَالُ كَعَهْدِنَا      بَوَادِي الْخَزَامَى أَوْ عَلَى رَأْسِ أَوْعَالِ  
وَنَحْسِبُ سَلِمَى لَا تَزَالُ تَرَى طَلَاءً      مِنْ الْوَحْشِ أَوْ بَيْضًا بِمِثْنَاءِ مَحَالِ  
لِيَا لِي سَلِمَى إِذْ تُرِيكَ مُنْصَدًّا<sup>(١)</sup>      وَجِيدًا كَجِيدِ الرَّيِّمِ لَيْسَ بِمُطَالِ  
وكقول عيسى بن ذريح :

أَلَا بَيْتَ لُبْنَى لَمْ تَكُنْ لِي خُلَّةً      وَلَمْ تَلْقِنِي لُبْنَى وَلَمْ أَذْرِ مَا هِيَا  
أو على سبيل التنويه به ، والإشارة إليه بذكر ، إن كان في مدح كقول أبي الأسد :

وَلَأَمَّةٌ لَأَمْتِكَ يَا فَيْضُ فِي النَّدَى      فَقُلْتُ لَهَا : هَلْ يَقْدَحُ الْوُؤْمُ فِي الْبَحْرِ؟  
أَرَادَتْ لَتْنِي الْفَيْضَ عَنْ عَادَةِ النَّدَى      وَمَنْ ذَا الَّذِي يَتْنِي السَّحَابُ عَنِ الْقَطْرِ؟!  
كَأَنَّ وَفودَ الْفَيْضِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا      إِلَى الْفَيْضِ لَاقُوا عِنْدَهُ لِبَلَّةَ الْقَدْرِ  
مَوَاقِعُ جُودِ الْفَيْضِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ      مَوَاقِعُ مَاءِ الْمَرْزِ فِي الْبَلَدِ الْقَفْرِ  
فَتَكَرَّرَ اسْمُ الْمَدُوحِ هَهُنَا تَنْوِيهِ بِهِ ، وَإِشَارَةٌ بِذِكْرِهِ ، وَتَفْخِيمٌ لَهُ فِي الْقُلُوبِ وَالْأَسْمَاعِ .  
وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْخُنَسَاءِ :

وَأَنَّ صَخْرًا لَمَوْلَانَا وَسَيِّدُنَا      وَإِنْ صَخْرًا إِذَا نَشْتُو لَنَحَّارِ  
وَأَنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّ الْمُدَاةَ بِهِ      كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارَ

(١) في إحدى روايات الديوان « إذ تريك منصبا » وأراد ثغرا متسقا مستويا



أو على وجه التوجع إن كان رثاء وتأيينا ، نحو قول متمم بن نويرة :  
 وقالوا : أتبكي كلَّ قبر رأيتهُ لقبر نوى بين النوى فالدكادك ؟؟  
 فقلت لهم : إن الأسى يبعث الأسى دعوني فهذا كله قبر مالك  
 وأولى ما تكرر فيه الكلام باب الرثاء ؛ لمكان الفجعة وشدة القرحة التي  
 يجدها المتفجع ، وهو كثير حيث التمس من الشعر وجد .

أو على سبيل الاستغاثة وهي في باب المديح ، نحو قول العديل بن الفرخ :  
 بني مسمع لولا الإله وأنتم بني مسمع لم ينكر الناس منكرا  
 ويقع التكرار في الهجاء على سبيل الشهرة ، وشدة التوضيع بالمهجو ، كقول  
 ذى الرمة يهجو المرثي :

تسمى امرأ القيس بن سعد إذا اعتزت وتأبى السبال الصهب والأنف الخمر  
 ولصكنا أصل امرئ القيس معشر يحل لهم لحم الخنازير والخمر  
 نصاب امرئ القيس العبيد وأرضهم مر<sup>(١)</sup> المساحي لا فلاة ولا مصر  
 تخلى<sup>(٢)</sup> إلى الفقر امرؤ القيس ؛ إنه سوا على الضيف امرؤ القيس والفقر  
 تحب امرؤ القيس القرى أن تناله وتأبى مقاربيها إذا طلع الفجر<sup>(٣)</sup>  
 هل الناس إلا يا امرأ القيس غادر وواف وما فيكم وفاء ولا غدر  
 وكذلك صنع جرير في قصيدته الدماغة التي هجا بها راعي الإبل ؛ فإنه كرر  
 « بني نمير » في كثير من أبياتها .

ويقع أيضاً على سبيل الازدراء والتهكم والتنقيص ، كقول حماد بن جرد لابن  
 نوح ، وكان يتعرب :

(١) في الديوان « مجر المساحي » .

(٢) في عامة الأصول « تخلى إلى الفقر » بتقديم المثناة على الموحدة ، وكذا في  
 قافية البيت ، وهو تصحيف ، وما أثبتناه عن الديوان .

(٣) في نسخة « إذا طلع النسر » .

يَا بْنَ نُوحٍ يَا أَخَا أَلْسِ جَلَسٍ وَيَا بْنَ الْقَتَبِ<sup>(١)</sup>  
وَمِنْ نَشْأَةِ الْوَالِدَةِ بَيْنَ الرِّبَا وَالْكَثْبِ  
يَا عَرَبِيَّ يَا عَرَبِيَّ يَا عَرَبِيَّ

ومن المعيب في التكرار قولُ ابن الزيات :

أَتَعْرِفُ أَمْ تَقِيمُ عَلَى التَّصَابِي ؟ فَقَدْ كَثُرَتْ مُنَاقَلَةُ الْعَتَابِ  
إِذَا ذَكَرَ السَّلَاةُ عَنِ التَّصَابِي نَفَرَتْ مِنْ اسْمِهِ نَفَرُ الصَّعَابِ  
وَكَيْفَ يُبْلَغُ مِثْلُكَ فِي التَّصَابِي وَأَنْتَ فَتَى الْجَانَةِ وَالشَّبَابِ !!  
سَاعِزُفَ لِمَنْ عَزَفَتْ عَنِ التَّصَابِي إِذَا مَا لَاحَ شَيْبٌ بِالْغُرَابِ  
أَلَمْ تَرْنِي عَدَلْتُ عَنِ التَّصَابِي فَأَغْرَتْنِي الْمَلَامَةُ بِالتَّصَابِي !!  
فَلَا الدُّنْيَا بِالتَّصَابِي ، عَلَى التَّصَابِي لَعْنَةُ اللَّهِ مِنْ أَجْلِهِ ، فَقَدْ بَرَدَ بِهِ الشَّعْرُ ،  
وَلَا سِيَمَا وَقَدْ جَاءَ بِهِ كُلُّهُ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ مِنَ الْوِزْنِ ، لَمْ يَعُدْ بِهِ عَرُوضُ الْبَيْتِ ، وَأَيْنَ  
هَذَا مِنْ تَكَرُّرِهِ عَلَى جِهَةِ التَّمْخِيمِ فِي قَوْلِهِ لِلْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ مِنْ قَصِيدَةٍ :  
إِلَى الْأَمِيرِ الْحَسَنِ اسْتَجِدُّهَا أَيَّ مَزَارٍ وَمُنَاسَخٍ وَمَحَلٍّ  
أَيَّ مَزَارٍ وَمُنَاسَخٍ وَمَحَلٍّ نَحَافٍ وَمُسْتَرِيشٍ ذِي أَمَلٍ

وهذا كقول امرئ القيس :

تَقَطَّعُ أَسْبَابَ اللَّبَانَةِ وَالْهَوَى عَشِيَّةَ جَاوَزْنَا حِمَاةَ وَشَيْرَا  
عَشِيَّةَ جَاوَزْنَا حِمَاةَ وَشَيْرَا أَخُو الْجَهْدِ لَا يُلَوِي عَلَى مَنْ تَعَذَّرَا<sup>(٢)</sup>

ومن تَكَرُّرِ الْمَعَانِي قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا نَبِهَ عَلَيْهِ :

من تَكَرُّرِ  
المعاني

(١) هذه الأبيات من الرجز المجزؤ ، وقد حذف من صدر أولها سبب خفيف

(٢) يروى هذا البيت هكذا :

بَسِيرٍ يَضِجُ الْعُودُ مِنْهُ يَمْنَهُ أَخُو الْجَهْدِ لَا يُلَوِي عَلَى تَعَذُّرَا  
وحماة وشيرز : مدينتان من مدن الشام ، والعود : المسنن من الإبل ، يمنه : يضعفه  
أخو الجهد : السائق المجذو أراد به نفسه ، لا يلوى : لا يلتفت أو لا يبق ، تعذرا : قدم عذرا.

فَيَأْلَاكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجْمَهُ بِكُلِّ مُغَارٍ الْفَتْلُ شُدَّتْ يَذْبُلُ  
كَأَنَّ الثَّرْيَا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِيهَا بِأَمْرَاسٍ كَتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلٍ  
فالبيت الأول يغني عن الثاني ، والثاني يغني عن الأول ، ومعناها واحد ؛  
لأن النجوم تشتمل على الثريا ، كما أن يذبل يشتمل على صُمِّ الجندل ، وقوله  
« شدت بكل مغار الفتل » مثل قوله « علقت بأمراس كتان »

و يقرب من ذلك وليس به قول كثير:

وَإِنِّي وَتَهَيَّأِي بِعِزَّةٍ بَعْدَمَا تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّتِ  
لِكَأَلْمَرِ تَجِي ظِلُّ الْغَمَامَةِ كُلَّمَا تَبَوَّأُ مِنْهَا لِلْمَقِيلِ اضْمَحَلَّتِ  
كَأَنِّي وَإِيَّاهَا سَحَابَةٌ مُمَحِلٍ رَجَاهَا فَلَمَّا جَاوَزَتْهُ اسْتَهَلَّتِ  
إلا أن كثيراً تصرف ، فجعل رجاء الأول ظل الغمامة ليقيل تحتها من حرارة  
الشمس فاضمحلت وتركته ضاحياً ، وجعل للمحل في البيت الثاني يرجو سحابة  
ذات ماء فأمطرت بعد ما جاوزته .

ومن مليح هذا الباب ما أشدنيهِ شيخنا أبو عبد الله محمد بن جعفر لابن  
المعز ، وهو قوله :

لَسَانِي لَيْسَرِي كَتُومٌ كَتُومٌ وَدَمْعِي بِحُبِّي نَمُومٌ نَمُومٌ  
وَلِي مَالِكٌ شَفَنِي حُبُّهُ بَدِيعُ الْجَدَالِ وَسِيمٌ وَسِيمٌ  
لَهُ مُقْلَتَا شَادِنٍ أَحْوَرٍ وَلَفْظُ سَحُورٍ رَخِيمٌ رَخِيمٌ  
فَدَمْعِي عَلَيْهِ سَجُومٌ سَجُومٌ وَجِسْمِي عَلَيْهِ سَقِيمٌ سَقِيمٌ

باب منه

ذكر ابن المعز أن الجاحظ سمي هذا النوع للذهب الكلامي .  
قال ابن المعز: وهذا باب ما علمت أني وجدت منه في القرآن شيئاً ، وهو  
ينسب إلى التكلف ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

قال صاحب الكتاب : غير أن ابن المعتز قد ختم بهذا الباب أبواب البديع الخمسة التي خصها بهذه التسمية ، وقدمها على غيرها ، وأنشد للفردق :

لكل امرئ نفسان : نفسٌ كريمة      وأخرى بُعاصبها الفتى ويُطعمها  
ونفسك من نفسك تشفع للندى      إذا قلَّ من أحرارهن شفيعها  
وأنشد لآخر ، ولا أظنه إلا إبراهيم بن العباس :

وَعَلَّمْتَنِي كَيْفَ الْهَوَى وَجَهْلَتِهِ      وَعَلَّمَكُم صَبْرِي عَلَى ظَلَمِكُمْ ظَلَمِي  
فَاعْلَمْ مَالِي عِنْدَكُمْ فِيمِيلُ بِي      هَوَايَ إِلَى جَهْلِي وَأَعْرِضْ عَنِّي عَمِي

وعاب على أي تمام قوله :

فَالْمَجْدُ لَا يَرْضَى بِأَنْ تَرْضَى بِأَنْ      يَرْضَى الْمُؤْمَلُ مِنْكَ إِلَّا بِالرِّضَا  
وحكى أن إسحاق الموصلي سمع الطائي ينشد ويكثر من هذا الباب وأمثاله عند الحسن بن وهب ، فقال : يا هذا ، لقد شددت على نفسك .  
وأنشد ابن المعتز لنفسه :

أسرفت في الكتمان      وذاك مني دهان  
كتمت حبك حتى      كتمته كتمان  
فلم يصكن لي بُدْء      من ذكره بلساني

وهذه الملاحاة نفسها ، والظرفُ بعينه .

ومن هذا الباب نوع آخر هو أولى بهذه التسمية من كثير مما ذكره المؤلفون ، نحو قول إبراهيم بن المهدي يعتذر إلى المأمون من وثوبه على الخلافة :

البرمك وطأ العذر عندك لي .      فيما فعلتُ ، فلم تعذل ولم تلم  
وقام علمك بي فأحتجَّ عندك لي      مقامَ شاهدٍ عدلٍ غيرِ مُتهم  
وكذلك قول أبي عبد الرحمن العطوي :

فَوَحَقُ الْبَيَانِ يَعْضُدُهُ الْبُزُّ هَانُ فِي مَاقِطٍ أَلَدُ الْخِصَامِ  
 مَا رَأَيْنَا سَوَى الْحَيِيَّةِ شَيْئًا جَمَعَ الْحَسْنَ كُلَّهُ فِي نِظَامِ  
 هِيَ تَجْرِي بِجَرَى الْإِصَابَةِ فِي الرَّأْيِ وَتَجْرِي الْأَرْوَاحُ فِي الْأَجْسَامِ  
 وقد نقلت هذا الباب نقلاً من كتاب عبد الله بن المعتز ، إلا ما لا خفاء به  
 عن أحد من أهل التمييز ، واضطرنى إلى ذلك قلة الشواهد فيه ، إلا ما ناسب قول  
 أبي نُوَّاس :

سَخُنْتُ مِنْ شِدَّةِ الْهَرُودَةِ حَتَّى صِرْتُ عِنْدِي كَأَنَّكَ النَّارُ  
 لَا يَعْجَبُ السَّامِعُونَ مِنْ صِفَتِي كَذَلِكَ الثَّلْجُ بَارِدٌ حَارٌ  
 فهذا مذهب كلامي فلسفي . . وقوله أيضاً :  
 فَبِكَ خِلَافٌ خِلَافِ الَّذِي فِيهِ خِلَافٌ خِلَافِ الْجَمِيلِ  
 وأشبه ذلك مما في هذا غنى عنه ودلالة عليه .

#### (٦٤) — باب نفى الشيء بإيجابه

وهذا الباب من المبالغة ، وليس بها مختصاً ، إلا أنه من محاسن الكلام ،  
 فإذا تأملته وجدت باطنه نفيًا ، وظاهره إيجابًا . . قال امرؤ القيس :  
 عَلَى لَا حَبِّ لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ إِذَا سَافَهُ الْعَوْدُ النَّبَاطِيَّ جَرَجَرًا<sup>(١)</sup>  
 فقوله « لا يهتدى بمناره » لم يرد أن له مناراً لا يهتدى به ، ولكن أراد  
 أنه لا منار له فيهتدى بذلك المنار .  
 وكذلك قول زهير :

هو من المبالغة  
ولا يختص بها

(١) لاحب : هو الطريق الواضح . مناره : هو العلامة توضع على الطريق للهداية ،  
 وفي الحديث : « إن للدين صوى ومنارا كمنار الطريق » سافه : شمه ، والسوف الشم ،  
 والعود : المسن من الإبل . النباطي : الضخم ، جرجر : رغاوضج ، وأخرج جرتة .



بأرض خَلَاءَ لَا يُسَدُّ وَصِيدُهَا عَلَى<sup>(١)</sup>، وَمَعْرُوفٍ بِهَا غَيْرُ مُنْكَرٍ<sup>(٢)</sup>  
فَأُثْبِتَ لَهَا فِي اللَّفْظِ وَصِيداً، وَإِنَّمَا أَوَادٌ لَيْسَ لَهَا وَصِيدٌ فَيَسُدُّ عَلَى .  
وَيَتَّصِلُ بِهَذَا قَوْلُ الزُّبَيْرِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ يَذْكُرُ عَمِيلَةَ بْنِ السَّبَاقِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ ،  
وَكَانَ نَدِيمًا لَهُ وَصَاحِبًا :

صَبَحْتُ بِهِمْ طَلْقًا رَاحَ إِلَى النَّدَى إِذَا مَا انْتَشَى لَمْ تَحْتَضِرْهُ مَفَاقِرُهُ  
ضَعِيفًا بَحَثَ الْكَأْسَ قَبْضُ بَنَانِهِ كَلِيلًا عَلَى وَجْهِ النَّدِيمِ أَظْفَرُهُ  
فَظَاهِرُ كَلَامِهِ أَنَّهُ يَحْمِشُ وَجْهَ النَّدِيمِ ، إِلَّا أَنَّ أَظْفَارَهُ كَلِيلَةٌ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ فِي  
الْحَقِيقَةِ أَنَّهُ لَا يَظْفَرُ وَجْهَ النَّدِيمِ وَلَا يَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ «لَمْ تَحْتَضِرْهُ  
مَفَاقِرُهُ» أَيُ : لَيْسَ لَهُ مَفَاقِرٌ فَتَحْتَضِرْهُ .

وَقَالَ أَبُو كَبِيرٍ الْمَذَلِيُّ يَصِفُ هَضْبَةً :  
وَعَلَوْتُ مُرْتَقِبًا<sup>(٣)</sup> عَلَى مَرْهُوْبَةٍ حَصَاءٌ لَيْسَ رَقِيبًا فِي مِثْلِ  
عِطَاءٍ مُعْتَقَةٍ يَكُونُ أُنَيْسَهَا وَرُزْقَ الْحَمَامِ جَمِيعُهَا لَمْ يُوَكَّلْ  
يُرِيدُ أَنَّهُ لَيْسَ بِهَا جَمِيعٌ فَيُوَكَّلُ ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ «حَصَاءٌ»  
وَهِيَ الَّتِي لَا تُبْتِ فِيهَا .

وَقَالَ أَبُو ذُوَيْبٍ يَصِفُ فَرَسًا :  
مُتَفَلِّقٌ أَنْسَاوَهَا عَنْ قَانِيءٍ كَالْقَرْطِ صَاوٍ غُبْرُهُ لَا يُرْضَعُ  
فَلَمْ يَرْدَأْ هُنَاكَ بَقِيَّةَ لَبَنٍ لَا يَرْضَعُ ، لَكِنْ أَرَادَ أَنَّهَا لَا لَبَنَ لَهَا فَيَرْضَعُ .  
وَالشَّاهِدُ عَلَى جَمِيعِ مَا قُلْتُهُ فِي شَرْحِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مَا جَاءَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :

(١) الوصيد في الأصل : فناء الدار والبيت ، ومنه قوله تعالى : ( وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ  
ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ) وَالْوَصِيدُ لَفْظٌ فِيهِ حَكَاهَا الْفَرَاءُ .  
(٢) المرتقب : اسم المكان من الارتقاب ، وهو الصعود في رأس جبل أو  
حصن ، وضبطه في اللسان على أنه اسم فاعل بكسر القاف ، وهو وجه ، والمثل :  
للجأ . والجيم : الثبت الذي طال بعض الطول ولم يتم .  
( ٦ — السبعة ٢ )

( لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا ) قالوا : ليس يقع منهم سؤال فيقع إلحافا : أى هم لا يسألون البتة .

المعيب من  
هذا الباب

والمعيب من هذا الباب قول كثير يرى عزة صاحبه :  
قَهْلًا وَقَالِكِ الْمَوْتَ مَنْ أَنْتِ زَيْنُهُ وَمَنْ هُوَ أَسْوَأُ مِنْكَ دَلًّا وَأَقْبَحُ ؟  
لأنه قد أوهم السامع أن لها دلا سيئا ، ولكن غيره أسوأ منه وأقبح ،  
فكيف إن كان القبح راجعا عليها لا على دها ، وليس هذا فى شيء من  
قوله تعالى : ( أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا ) لأن هذا  
لا إشكال فيه

#### (٦٥) — باب الاطراد

ومن حسن الصنعة أن تطرد الأسماء من غير كلفة ، ولا حشو فارغ ؛ فإنها  
إذا اطردت دلت على قوة طبع الشاعر ، وقلة كلفته ومبالاته بالشعر .  
وذلك نحو قول الأعشى :  
أَمِثْلُهُ

أَقْيَسَ بَنٍ مَسْعُودٍ بَنٍ قَيْسٍ بَنٍ خَالِدٍ وَأَنْتَ أَمْرُؤُ تَرْجُو شَبَابَكَ وَائِلُ  
فَاتَى كَالْمَاءِ الْجَارَى اطراداً وقلة كلفة ، وبين السب حتى أخرجه عن مواضع  
اللبس والشبهة . .

ولما سمع عبد الملك بن مروان قول دريد بن الصمة :  
قَتَلْنَا بَعِيدَ اللَّهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ ذُوَابَ بَنِ أَسْمَاءَ بَنِ زَيْدٍ بَنِ قَارِبٍ  
قال كالمعجب : لولا القافية لبلغ به آدم ، ورواه قوم « أبأت بعيد الله » .  
وقال أبو تمام :

عبد المليك بن صالح بن عيسى بن قسيم النخعي في نسبه  
فهذا سهل العنان ، خفيف على اللسان ، وإن كانت الياء في « المليك » ضرورة  
وتكلفا .

وقال الحارث بن دوس الإيادي :

وَشَبَابٌ حَسَنٌ أَوْجَهُهُمْ مِنْ إِيَادِ بْنِ نَزَارِ بْنِ مَعْدٍ  
فاطردت ثلاثة أسماء لا كلفة فيها .

وقال أبو تمام في قالب بيت الأعشى ، وإن نقص عنه اسماً واحداً :  
بنصر بن منصور بن بسام انفرى لنا شَطَفُ الأيامِ عن عيشة رغد  
فأما من أتى بأكثر من هذا ومن الأول فقد قال بعضهم :  
من يكن رَامَ حاجةً بَعُدَتْ عَنْهُ وَأُعِيَتْ عَلَيْهِ كُلُّ الْعِيَاءِ  
فلها أحمدُ المَرْجِي بنُ يَحْيَى بنِ مَعَاذِ بنِ مُسْلِمِ بنِ رَجَاءِ  
فجاء كلامه نَسَقاً واحداً ، إلا أنه قد شغل البيت وفصل بين الكلام بقوله  
« المَرْجِي » غير أن مجانسة رجاء هَوَّنتُ خطيئته وغفرت ذنبه .  
وقال الطائي :

عمرو بن كلثوم بن مالك بن عَتَّاب بن سهم سهمكم لا يسهم  
فخطب بذلك بنى عمرو بن غنم التغلبيين ، وهم ينوعم مالك بن طوق ،  
فانتظم له ما أراد من الأسماء ، إلا أنه ظاهر التكلف ، وقال فأتى بستة :  
مناسبٌ تحسب من ضوئها مفازلاً للقمصر الطالع  
كالدلو والحوتِ وأشراطه والبطن والنجم إلى البالغ  
نوح بن عمرو بن حوَّي بن عمرو بن حوَّي بن الفتى مانع  
فأحكم التصنيع وقابل ستة ستة ؛ لأن الأشراف منزلة ، وإن جمعها ، إلا أن  
« الفتى » هنا غَضَّة مع بَرْد لفظ ورَكَاكة ، ما أحسن أباه هؤلاء كلهم يقال له الفتى  
وإن كنا نعلم أنه لم يرد فتاة السن ، ولكن الفتوة .

وجاء أبو الطيب فجاءك بالتعسف في قوله لسيف الدولة :  
فأنت أبو الهيجا ابن حمدان يا ابنه تشابه مولودٌ كريمٍ ووالدُ  
وحدان حمدونٌ وحمدون حارثٌ وحارث لقمانٌ ولقمان راشدٌ

ففي هذا المعنى بمن التقصير أنه جاء به في هذين وأنه جعلهم أنياب الخلافة بقوله :

أولئك أنياب الخلافة كلها وسائر أملاك البلاد الروائد  
وهم سبعة بالممدوح ، والأنياب في المتعارف أربعة ، إلا أن تكون الخلافة  
تمساح نيل أو كلب بحر ؛ فإن أنياب كل واحد منهما ثمانية ، اللهم إلا أن يريد  
أن كل واحد منهم ناب الخلافة في زمانه خاصة ؛ فإنه يصح ، وفيه من الزيادة  
على ما قبله أنه زاد واحداً في العدد ، فإنه جعل كل ابن هو أبوه في الخلافة إلى  
أن بلغ راشداً ، ولم يقصد إلى ذلك أحد من أصحابه ، وإنما مقت سعره هذا  
تكريره كل اسم مرتين في بيت واحد ، وهي أربعة أسماء .

#### ٦٦ — باب التضمين والإجازة

وهذا باب يختلط على كثير من الشعراء ممن ليس له ثقب في العلم ولا حذق  
بالصناعة ، كجاعة ممن وسم في بلدنا بالمعرفة ، وينسب إليها مكذوباً عليه فيها ،  
كاذباً فيما ادعاه منها ، ولتعرفهم في لحن القول .

حد التضمين فأما التضمين فهو قصْدُك إلى البيت من الشعر أو القسم فتأتي به في آخر  
شعر أو في وسطه كالتمثل ، نحو قول محمود بن الحسين كشاحم الكاتب :

يا خاضبَ الشيبِ والأيامُ تظهره هذا شبابٌ لعمري الله مصنوع  
أذْ كَرْتَنِي قَوْلُ ذِي كُوبٍ وَتَجْرِ بَرِّ في مثله لك تأديبٌ وتقريع  
إن الجديدَ إذا ما زيد في خلق تبين الناسُ أن الثوبَ مرقوعٍ

فهذا جيد في بابه ، وأجود منه أن لو لم يكن بين البيت الأول والآخر واسطة ؛  
لأن الشاعر قد دل بذلك على أنه متهم بالسرقة ، أو على أن هذا البيت غير  
مشهور ، وليس كذلك ، بل هو كالشمس اشتهاً ، ولو أسقط البيت الأوسط

لكل من تضميناً عجيباً لأن ذكر الثوب قد أخرج الثاني من باب الأول إلا في  
 للمعنى ، وهذا عند الخدّاق أفضل التضمين ، فإما احتذى كشاجم قول ابن المعتز  
 في أبيات له :

ولا ذنب لي إن ساء ظنك بعدما وفيت لكم ، ربّي بذلك عالم  
 وها أنا ذا مُستَغْتِيبٌ متنصلٌ كما قال عباسٌ وأنفى راغم:  
 تحمّلُ عظيمَ الذنبِ ممن تحبه وإن كنتَ مظلوماً قتل : أنا ظالم  
 وأبيات العباس بن الأحنف التي منها البيت المضمن هي قوله :

وصبّ أصاب الحبّ سَوْدَاءَ قلبه فأحمله ، والحبّ داء ملازم  
 قتلُ له إذ مات وجداً بحبه مقالةٌ تُصحح جانبها المآثم:  
 تحمّل عظيمَ الذنبِ ممن تحبه وإن كنتَ مظلوماً قتل : أنا ظالم  
 فإنك إن لم تحمّل الذنب في الهوى يفارقك من تهوى وأنفك راغم

غير أن شيخنا أبا عبد الله روى هذه الأبيات أيضاً لابن المعتز .

فهذا النوع من التضمين جيد ، وهو الذي أردنا من قبل ؛ وأجود منه أن  
 يصرف الشاعر المضمن وجه البيت المضمن عن معنى قائله إلى معناه ، نحو قول  
 بعض الخدمين ، ونسبه قوم إلى ابن الرومي :

يا سائلي عن خالد ، عَهْدِي بِهِ رَطْبُ الْعِجَانِ وكفه كالجلد  
 كالأقحوانِ غداً غبّ سمائه جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِي

هكذا أعرفه ، وروى « عن جعفر » فصرف الشاعر قول النابغة في صفة

الشعر (١) :

(١) القدامة : ريشة في مقدم الجناح ، وهي أربع قوادم ، أسف لثاته بالإمّد :  
 أي : ذرت بالإمّد ، وكانوا يغرزون الائمة بالإبرة ثم يذرون عليها الإمّد ، والأقحوان :  
 تبت له نواصر أصفروا حواليه ورق أبيض ، شبه الأسنان ببياض ورقه .

تجلو بقادمتي حمامة أيبكة \* برداً أسف لثأته بالإميد  
كالأقحوان غداة غب سمائه جفت أعاليه وأسفله ندى  
إلى معناه الذى أراد .

ومن هذا المعنى أيضاً قول ابن الرومي بلا محالة :

وسائلة عن الحسن بن وهب وعما فيه من كرم وخير  
فقلت : هو المذهب غير أنى أراه كثير إرخاء الستور  
وأكثر ما يُغنيهِ فتاه حُسْنُ حين يخلو بالسرير  
فلولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض تفرع بالذكور  
فالبيت الأخير لمهلل ، فجاء قرع البيض بالذكور ههنا عجيباً ، وإن كانت  
اللفظتان فى المعنى غير اللفظتين .

ومن الشعراء من يضمن قسماً نحو قول بعضهم ، أظنه الصولى :  
خُلِّقْتُ على باب الأمير كأننى قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل  
إذا جئت أشكو طول ضيق وفاقة يقولون : لا تهلك أسى وتحمل  
ففاضت دموع العين من سوء ردهم على النحر حتى بل دمعى بحمل  
لقد طال ترددى وقصدى إليكم فهل عند رستم دارس من معول  
ومنهم من يقلب البيت فيضمنه معكوساً ، نحو قول العباس بن الوليد بن  
عبد الملك بن مروان لمسلمة بن عبد الملك :

لقد أنكرتني إنكاراً خوفاً يضم حشاك عن شتى وذخلى  
كقول المرء عمرو فى القوافى لقيس حين خالف كل عدل  
عذيرك من خليلك من مراد أريد حياته ويريد قتلى  
والبيت المضمن لعمرو بن معدى كرب الزبيدى ، يقوله لابن أخته قيس  
ابن زهير بن هيرة بن مكشوح المرادى ، وكان بينهما بعد شديد وعداوة عظيمة ،  
وحقيقته فى شعر عمرو :

أريد حياته ويريد قتلى عذيرك من خليك من مراد  
وكان على بن أبي طالب رضى الله عنه إذا رأى ابن ملجَمَ تمثل بهذا البيت.  
ومن التضمين ما يجمع فيه الشاعر قسمين من وزنين كقول على بن الجهم  
يُعَرِّضُ بفضل الشاعرة جارية المتوكل وبنات الغنى وكأنا يتعاشقان فإذا  
غنى بنان :

اسمى أو خبرينا يا ديار الطاعنين  
غنت هي كالجأوبة له عما يقول :  
ألا حيث عنتا يامدينا وهل بأس بقول مسلمينا  
فقال على منها عليهما في ذلك :

كلما غنى بنان اسمى أو خبرينا  
أنشدت فضل ألا حيث عنتا يامدينا  
عارضت معنى بمعنى والندامى غافلونا  
أحسنت إذ لم نجأوبهم ديار الطاعنين  
لو أجابهم لصيرنا آية للسائلين  
واستعاد الصوت مولا ها وحث الشاربين  
قلت للعولى وقد دأرت حياء الكاس فينا:  
رُبَّ صوت حسن يُنسب في الرأس قرونا

وأنشد ابن المعتز في باب التضمين للأخطل :  
ولقد سما للخرمي فلم يقل يوم الوغى لكن تضايق مُقدِّمى  
إشارة إلى قول عنتره العبسى :  
إذ يتقون بى الأسنة لم أخم عنها ولكن تضايق مُقدِّمى

وهذا تضمين أنت ترى كيف هو ، وأنشد لآخر :

عَوَّذَ لَمَّا بَتُّ ضَيْفًا لَهُ أَقْرَاصَهُ مِنِّي بِيَّاسِينَ  
فَبِتُّ وَالْأَرْضُ فِرَاشِي وَقَدْ غَذَّتْ «قَفَانِيكَ» مَصَارِيَنِي

ومن التضمين ما يحيل الشاعر فيه إحالة ، ويشير به إشارة ، فيأني به كأنه  
نظم الأخبار أو شبيهه به ، وذلك نحو قول بعضهم في معنى قول ابن المعتز \* كما  
قال عباس وأننى راغم \* إنه لم يرد الأنيات المقدم ذكرها ، وإنما أراد قوله للرشد  
حين هجرته ماردة :

لَا بَدَ لِلْعَاشِقِ مِنْ وَقْفَةٍ تَكُونُ بَيْنَ الْوَصْلِ وَالصَّرْمِ  
حَتَّى إِذَا الْمَجْرُ تَمَادَى بِهِ رَاجِعَ مِنْ يَهْوَى عَلَى رَغْمِ  
فَهَذَا النُّوعُ أَبْعَدُ التَّضْمِينَاتِ كُلِّهَا ، وَأَقْلَبُهَا وَجُودًا ، وَذَلِكَ بِحَقِّ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :  
لَعَمْرُؤُا مَعَ الرَّمْضَاءِ وَالنَّارِ تَلْتَقِي أَرْقُ وَأَحْمَى مِنْكَ فِي سَاعَةِ الْكَرْبِ  
أَرَادَ الْبَيْتَ الْمَضْرُوبَ بِهِ الْمَثَلُ :  
الْمُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ  
وَقَدْ صَنَعْتُ أَنَا فِي مَعْنَى الْمَجَاءِ :

عَرْسُهُ مِنْ غَيْرِ ضَيْرٍ عَرَسُ زَيْدِ بْنِ عَمِيرٍ  
أَبْدَأُ تَزْنِي فَإِنْ حَاضَتْ تَقْدُ حُبًّا لِأَيْرٍ  
وَلَهَا رَجُلَانِ مِنْ نَا قَهْ كَعْبِ بْنِ زَهِيرٍ  
هَكَذَا تَبْنَى الْمَعَالَى لَيْسَ إِلَّا كُلُّ خَيْرٍ

« زيد بن عمير » هو الذي يقول في زوجته :

تَقُودُ إِذَا حَاضَتْ ، وَإِنْ طَهَرَتْ زَنْتُ قَهِي أَبْدَأُ يُزْنِي بِهَا وَتَقُودُ  
و « كعب بن زهير » يقول في وصف ناقته :

تَهْوَى عَلَى بَسْرَاتٍ وَهِيَ لَاهِيَةٌ ذَوَابِلُ وَتَقْعُهُنَّ الْأَرْضَ تَحْلِيلِ  
فَكَانَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ فِي حَالِهَا لَا تَقَعُ رَجُلًا بِالْأَرْضِ : إِمَّا لِكثْرَةِ مَبَاضَعَةِ  
أَوْ شِدَّةِ مَشْيٍ فِي فُسَادٍ .



ومن أنواع التضمين تعليق القافية بأول البيت الذي بعدها ، وقد تقدم ذكره .

وأما الإجازة فإنها بناء الشاعر بيتاً أو قسماً يزيد على ما قبله ، وربما أجاز بيتاً أو قسماً بأبيات كثيرة ، فأما ما أجز فيه قسم بقسم فقول بعضهم لأبي العتاهية : أجز :

\* رَدَّ لِلْمَاءِ وَطَابَا \*

فقال :

\* حَبَّذَا الْمَاءَ شَرَابَا \*

وأما ما أجز فيه بيت بيت فقول حسان بن ثابت وقد أرق ذات ليله فقال :

مَتَارِيكَ أَذْنَابِ الْأُمُورِ إِذَا اعْتَرَتْ أَخَذْنَا الْفُرُوعَ وَاجْتَنَبْنَا أَصُولَهَا  
وَأَحْبَلْ ، فَقَالَتْ ابْنَتُهُ : يَا أَبْتُ ، أَلَا أَجِيزُ عَنْكَ ، فَقَالَ : أَوْعِنْدَكَ ذَلِكَ ؟  
قَالَتْ : بَلَى ، قَالَ : فَافْعَلِي ، فَقَالَتْ :

مَقَاوِيلَ لِلْمَعْرُوفِ خُرُسٌ عَنِ الْخُلَا كِرَامٌ يَعَاطُونَ الْعَشِيرَةَ سُوْلاً  
قَالَ : فَمَنْ الشَّيْخُ عِنْدَ ذَلِكَ ، فَقَالَ .

وَقَافِيَةٌ مِثْلُ السَّنَانِ رَدَفَتْهَا تَنَاولْتُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ نَزُوكَهَا  
فَقَالَتْ ابْنَتُهُ :

بَرَاهَا الَّذِي لَا يَنْطِقُ الشَّعْرُ عِنْدَهُ وَيَعْجِزُ عَنْ أَمْثَالِهَا أَنْ يَقُولَهَا  
وَذَكَرَ أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ الْأَحْنَفِ دَخَلَ عَلَى الذُّلْفَاءِ فَقَالَ : أَجِيزِي عَنِّي  
هَذَا الْبَيْتَ :

أَهْدَى لَهُ أَحْبَابُهُ أُتْرَجَةً فَبَكَى وَأَشْفَقَ مِنْ عِيَانَةِ زَاجِرٍ

فَقَالَتْ غَيْرَ مَفْكُورَةٍ :

خافَ التَّوَنَ إِذْ أَتَتْهُ لَأَنهَا لُونَانُ بِاطْنِهَا خِلَافُ الظَّاهِرِ  
فَخَلَفَ لَهَا بِكُلِّ الْإِيمَانِ ، وَكَانَتْ تَعَزُّهُ ، لَئِنْ ظَهَرَ الْبَيْتُ إِنْ دَخَلْتَ مَنْزِلَكُمْ  
أَبْدًا ، وَأَضَافَهُ إِلَى بَيْتِهِ .

وَأَمَّا مَا أُجِيزَ فِيهِ قَسِيمُ بَيْتِ بَيْتٍ وَنَصَفُ قَوْلِ الرَّشِيدِ لِلشُّعْرَاءِ : أُجِيزُوا :  
\* الْمَلِكُ لِلَّهِ وَحْدَهُ \*

[ ف ] قال الجواز :

\* وَلِلْخَلِيفَةِ بَعْدَهُ \*

وَالْمُحِبُّ إِذَا مَا حَمِيَّهُ بَاتَ عِنْدَهُ  
وَاسْتَجَازَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ أَبَا الطَّيِّبِ قَوْلَ عَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ :  
أَمِنِّي تَخَافُ انْتِشَارَ الْحَدِيثِ وَحَقْلِي فِي سَنَتِهِ أَوْفَرُ ؟  
فَصَنَعَ الْقَصِيدَةَ الْمَشْهُورَةَ :

هَوَاكَ هَوَايَ الَّذِي أَضْمَرُ وَسِرُّكَ سِرِّي فَا أَظْهَرُ  
إِلَّا أَنَّهُ خَرَجَ فِيهَا عَنِ الْمَقْصِدِ .

وَالِإِجَازَةُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مُشْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْإِجَازَةِ فِي السَّقْيِ ، يُقَالُ : أَجَازَ  
فُلَانٌ فُلَانًا ، إِذَا مَقَى لَهُ أَوْ سَقَاهُ ، الشُّكُّ مَنَى ، وَأَمَّا اللَّفْظَةُ فَصَحِيحَةٌ فَصِيحَةٌ .  
وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ : يُقَالُ لِلَّذِي يَرِدُ عَلَى أَهْلِ الْمَاءِ فَيَسْتَقِي : مُسْتَجِيرٌ ،  
قَالَ الْقَطَامِيُّ :

وَقَالُوا قَقِيمٌ قَقِيمٌ الْمَاءِ فَاسْتَجَزَ عِبَادَةً ؛ إِنْ الْمُسْتَجِيرَ عَلَى قُقْرٍ <sup>(١)</sup>

اشتقاق  
الإجازة

(١) قَالَ شَارِحُ دِيَوَانِهِ : اسْتَجَزَ : اطْلُبْ أَنْ تَسْقَى إِبْلَكَ ، يُقَالُ : أَجَزْنَا ، أَيْ  
اسْقَيْنَا ، وَنَجِيزُكَ : نَسْقِيكَ . وَالْجَوَازُ : الَّذِي تَشْرَبُهُ مِنْ مَاءِ قَوْمٍ ثُمَّ تَمُرُ . وَطَى قُتْرَ :  
أَيْ طَى خَوْفَ ، وَيُقَالُ : طَى خَطَرَ وَحَذَرَ مِنْ أَلَا يَسْقَى .

ويجوز أن يكون من « أجزت عن فلان الكأس » إذا تركته وسقيت غيره ، فجازت عنه دون أن يشربها ، قال أبو نؤاس :

وقلتُ لساقينا أجزنا فلم أكن ليأبى أمير المؤمنين وأشربا  
فَجَوَّزَهَا عني عَقَاراً ترى لها إلى الشَّرَفِ الأعلى شُعاعاً مُطنبا  
وقد تقدم ذكر الإجازة التي فيها عيوب القوافي ، وذكرنا اشتقاقها .

التعليق

ومن هذا الباب نوع يسمى التمليط ، وهو أن يتساجل الشعاران فيصنع هذا قسيما وهذا قسيما لينظر أيهما ينقطع قبل صاحبه ، وفي الحكاية أن امرأ القيس<sup>(١)</sup> قال للتوأم اليشكري : إن كنت شاعراً كما تقول فليط أنصاف ما أقول فأجزها ، قال : نعم ، قال امرؤ القيس :

\* أَحَارِ تَرَى بُرَيْقاً هَبَ وَهْنًا \*

فقال التوأم : \* كَنَارٍ مَجُوسَ تَسْتَعْرِ اسْتَعَارَا \*

فقال امرؤ القيس : \* أَرَقْتُ لَهُ وَنَامَ أَبُو شَرِيحَ \*

فقال التوأم : \* إِذَا مَا قُلْتَ قَدْ هَذَا اسْتَطَارَا \*

ولا يزالان هكذا ، يصنع هذا قسيما وهذا قسيما إلى آخر الأبيات .

وقد تقدم<sup>(١)</sup> إنشادها في باب أدب الشاعر من هذا الكتاب .

وربما ملط الأبيات شعراء جماعة ، كما يحكى أن أبا نواس والعباس بن الأحنف والحسين بن الضحاك الخليلي ومسلم بن الوليد الصريح خرجوا في متنزه لهم ومعهم يحيى بن المعلی ، فقام يصلي بهم ، فنسى الحمد وقرأ ( قل هو الله أحد ) فأرتج عليه في نصفها ، فقال أبو نواس : أجزوا :

أكثر يحيى غلطاً في قل هو الله أحد

(١) انظر الجزء الأول ( ص ٢٠٢ ) .

فقال عباس :

قام طويلا ساهيا حتى إذا أغيا سجد

فقال مسلم بن الوليد :

يَرْحَرُ فِي مَحْرَابِهِ زَحِيرَ حُبْلَى بَوْلَدٍ

فقال الخليل :

كَأَنَّ لِسَانَهُ شَدَّ بِحَبْلِ مَنْ مَسَدَ

وأنشدني بعض أصحابنا هذه الأبيات على طريق الاستملاح لها والاستظراف بها ، وقال : هذا الذي يعجز الناس عنه ، فقلت : فما بال عباس وأبي نواس لم يقولوا بعد البيت الأول :

وَنَسِيَ الْحَمْدَ فَا مَرَّتْ لَهُ عَلَى خَلَدٍ

ولا سيما وقد كان ذلك حقيقة ، وكذلك جَرَتْ الحكاية ، فقال : ولمن البيت ؟ فقلت : لابن وقته .

واشتقاق التمليط من أحد شيئين : أولهما أن يكون من الملائطين ، وهما جانبنا السنام في مرد الكتفين ، قال جرير :

ظَلَنَ حَوَالِي خَدْرٍ أَسْمَاءَ ، وَاتَّحَى بِأَسْمَاءَ مَوَارِ الْمَلَّاطِينَ أَرْوَحُ

فكان كل قسم ملاط ، أي : جانب من البيت ، وهما عند ابن السكيت العضدان . والآخر - وهو الأجود - أن يكون اشتقاقه من الملاط وهو الطين يدخل في البناء ملاط به الحائط ملاطاً ، أي : يدخل بين اللبن حتى يصير شيئاً واحداً . وأما اللط - وهو الذي لا يبالي ما صنع - والأملط الذي لا شعر عليه في جسده ؛ فليس لاشتقاقه منهما وجه .

اشتقاق التمليط

(٦٧) - باب الاتساع

وذلك أن يقول الشاعر بيتاً يتسع فيه التأويل ؛ فيأتى كل واحد بمعنى ، حد الاتساع  
وسببه  
أمثله  
من ذلك قول امرئ القيس :

مِكَرٌّ مِفَرٌّ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعَا كَجُلُودِ صَخْرٍ حَطَّ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ  
فإنما أراد أنه يصلح للسكر والفر ، ويحسن مقبلاً مدبراً ، ثم قال « معاً »  
أى : جميع ذلك فيه ، وشبهه في سرعته وشدة جريه بجلود صخر حطَّ السَّيْلُ  
من أعلى الجبل ؛ فإذا انحط من عال كان شديد السرعة ، فكيف إذا أعانته  
قوة السيل من ورائه ؟ ؟

وذهب قوم - منهم عبد الكريم - إلى أن معنى قوله \* كجلود صخر  
حطه السَّيْلُ من عَلٍ \* إنما هو الصلابة ؛ لأن الصخر عندما كلما كان أظهر  
للشمس والرياح كان أصلب .

وقال بعض مَنْ فسره من المحدثين : إنما أراد الإفراط ، فزعم أنه يرى مقبلاً  
ومدبراً في حال واحدة عند السكر والفر لشدة سرعته ، واعترض على نفسه ، واحتج  
بما يوجد عياناً ؛ فمثله بالجلود المنعقدة من قُنَّةِ الجبل ، فإنك ترى ظهره في النصبه  
على الحال التي ترى فيها بطنه وهو مقبل إليك ، ولعل هذا ما مر قط ببال  
امرئ القيس ، ولا خَطَرُ في وَهْمِهِ ، ولا وقع في خَلَدِهِ ، ولا رُوعِهِ .  
ومثله قول أبي نواس :

\* أَلَا فَاسْقِنِي خِمرًا وَقُلْ لِي هِيَ الخمر \*

فزعم مَنْ فسره أنه إنما قال « وَقُلْ لِي هِيَ الخمر » ليلتذ السَّمْعُ بِذِكْرِهَا كما  
التذت العينُ بِرؤيتها ، والأنفُ بِشمها ، واليدُ بِلمسها ، والضمُّ بِذوقها ،  
وأبو نواس ما أظنه ذهب هذا المذهب ، ولا سلك هذا الشعب ، ولا أراه

أراد إلا الخلّاعة والمعبّث الذي بنى عليه القصيدة ، ودليل ذلك أنه قال في تمام البيت :

\* وَلَا تَسْفِي سِرًّا إِذَا أَمَكْنَ الْجَهْرُ \*

ويروى « فقد أمكن الجهر » فذهب إلى المجاهرة ، وقلة المبالاة بالناس ، والمداراة لهم في شرب الخمر بعينها التي لا اختلاف بين المسلمين فيها .

وقد ثبت أن المأمون ذم أخاه الأمين على المنابر ، وذكر في مدامه أنه صاحب شاعراً من أمره ومن قصته أنه يجاهر بالمعاصي ، ويقول في قصيدة أولها كذا وأنشد البيت :

فَبَيْنَمَا يَرَانَا اللَّهُ شَرَّ عَصَابَةٍ نَجْرٍ<sup>(١)</sup> بِأَذْيَالِ الْفُسُوقِ وَلَا فَخْرُ

ومثل ذلك قول المفضل الضبي بين يدي الرشيد والكسائي حاضر في معنى قول الفرزدق :

أَخَذْنَا بَأْفَاقَ السَّمَاءِ عَلَيْنَاكُمْ لَمَّا قَمَرَاهَا وَالثَّجُومُ الطَّوَالِعُ

وقد سأل الأمين والمأمون : ما معناه ؟ فقالا : معناه في قوله « قمرها » تغليب المستعمل عندهم ؛ لأن القمر أكثر استعمالاً عند العرب من الشمس ، وكذلك قولهم « العمران » لما كان عمر أطول أياماً وأكثر تأثيراً ، فقال الرشيد : هكذا أخبرنا هذا الشيخ ، وأشار إلى الكسائي ، فقال المفضل : بل مراده بالقمرين جدّك إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما ، وبالنجوم الطوالع أنت وآباؤك الطيبون ، فأعجب الرشيد بذلك ووصّله ، والفرزدق ما قصد إلى شيء من ذلك [ و ] لا أراد ، ولا علم أن الرشيد بعده يكون أمير المؤمنين ، وإنما أراد أن كل مشهور فاضل فهو لنا عليكم ، ومنا لا منكم ، فنحن أشرف

(١) يروى \* نجر أذيال . . . .

بيتنا ، وأظهر فضلا ، وأبعد صوتا ، إلا أن التي جاء بها الفضل مُدَحَّة أفادت مالا .

و يتعلق بهذا قول أبي الطيب يذكر الروم :

وَقَدْ رَدَّتْ فَوْقَ اللَّقَانِ دِمَاؤُهُمْ      ونحن أناسٌ نُتْبِعُ البارد السُّخْنَا<sup>(١)</sup>  
أراد أنا نُتْبِعُ البارد من الدماء سخنا ، كأنه يتوعدهم بقتل آخر ، فيكون قد  
أخذه من قول سُويْد بن كراع - وهي أمه - يصف كلاباً وثوراً :  
فَهَزَّ عَلَيْهِ الْمَوْتُ وَالْمَوْتُ دُونَهُ      على رَوْقِهِ مِنْهُ مُذَابٌ وَجَامِدٌ<sup>(٢)</sup>

وقال الأصمعي : يعنى بالمذاب الحار ، وبالجامد البارد ، ويجوز أن يكون  
أبو الطيب أراد: ونحن أناس نتبع البارد من الطعام سخنا ، وكذلك أيضاً عادتنا في  
الدماء ؛ فيكون قد فرع .

وزعم قوم في قوله يشفع لبنى كلاب إلى سيف الدولة :

وَتَمَلَّكَ أَنْفَسَ الثَّقَلَيْنِ طَرَأَ      فكيف تحوزُ أنفُسها كلاب

أنه لم يرد القبيلة ، وإنما أراد أن يجعلهم كلاباً على باب التحقير لقدركم ،  
والتلطف لهم ، كما جعلهم في البيت الأول ذئاباً سُرَّاقاً ، ولا أظن ذلك ، بل  
لا أحققه ؛ لأن في القصيدة :

وَلَوْ غَيَّرُ الْأَمِيرُ غَزَا كِلَابًا      ثَنَاهُ عَنْ شَمْسِهِمْ ضَبَابُ

(١) اللقان : موضع ببلاد الروم . يريد أن دماء الروم التي أسالها سيف الدولة  
باللقان قد بردت ، وأراد بهذا الكناية عن تقادم عهده بغزوهم ، ثم ذكر أن عادته  
إتباع البارد من الدماء بالساختن

(٢) روقه : قرنه .

ولاقى دونَ بأيهم طعمانا مُبْلَاقِي عِنْدَهَا الذَّئْبُ الْفُرَابُ<sup>(١)</sup>

إلا أن يحملوا على الشاعر التناقض ، وينسبوه إلى قلة التحصيل ؛ فذلك إليهم ، على أن هذه القصيدة قليلة النظر في شعره : تناسبا ، وطبعاً ، وصنعة ، ومثلها الرائية في وزنها وذكر القصة بعينها .

### (٦٨) — باب الاشتراك

أنواع الاشتراك وهو أنواع : منها ما يكون في اللفظ ، ومنها ما يكون في المعنى ؛ فالذى يكون في اللفظ ثلاثة أشياء : فأحدها : أن يكون اللفظان راجعين إلى حد واحد ومأخوذين من حد واحد ، فذلك اشتراك محمود ، وهو التجنيس ، وقد تقدم القول فيه ، والنوع الثانى : أن يكون اللفظ يحتل تأويلين أحدهما يلائم المعنى الذى أنت فيه والآخر لا يلائمه ولا دليل فيه على المراد ، كقول الفرزدق :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا أَبُو أُمِّهِ حَيَّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ

فقوله « حى » يحتل القبيلة ، ويحتل الواحد الحى ، وهذا الاشتراك مذموم قبيح ، والمليح [ الذى ] يحفظ لكثير فى قوله يشبب :

لعمري لقد حَبَّبْتَ كُلَّ قَصِيرَةٍ إِلَى ، وَمَا تَدْرِي بِذَلِكَ الْقَصَائِرِ

(١) الثأى : جمع ثأية ، كراى وراية ، وهى حجارة تجعل حول البيوت بأوى إليها الراعى ليلا وفيها مبارك الإبل ومرايض النعم . يقول : لو غزا كلابا غير الأمير لشناه ضباب عن شمسهم ، وكأنه يريد وصفهم بالقوة وشدة الدود عن حياضهم ، ولوجد دون وصوله إلى بيوتهم حربا عوانا يتفانى فيها جيشه حتى يجتمع على جثث صرعا الوحوش وهى المراد بالذئب والطيور وهى العبر عنها بالقراب ؛ فأما الوحوش فتأكل عظامهم وأما الطيور فتأكل لحومهم كما قال عنترة :

لى النفوس ، وللطير اللحوم ، وللوحش العظام ، وللخيلة السلب



عَنَيْتُ قَصِيرَاتِ الْحِجَالِ وَلَمْ أَرِدْ قِصَارَ الْخَطَا؛ مَثَرُ النَّسَاءِ الْبَعَارِ  
فَأَنْتَ تَرَى فُطْنَتَهُ لَمَّا أَحَسَّ بِاشْتِرَاكِ كَيْفَ نَفَاهُ ، وَأَعْرَبَ عَنْ مَعْنَاهُ الَّذِي  
نَحَا إِلَيْهِ .

ومن نوع قول الفرزدق قول كشاجم يذكر الميدان :  
عَمَرْتُهُ بِفَتْيَةٍ صَبَاحٍ سُمُوحٍ ، بِأَعْرَاضِهِمْ شَحَاحٍ  
فنحن نعلم أنه أراد سُمُوحٍ شَحَاحٍ بِأَعْرَاضِهِمْ ، ولكن فيه من اللبس ماهو  
أولى من التأويل .

والنوع الثالث ليس من هذا في شيء ، وهو مسأَرُ الألفاظ المبتدلة للكلم  
بها ، لا يسمى تناولها سرقة ، ولا تداولها اتباعاً ؛ لأنها مشتركة لا أحد من الناس  
أولى بها من الآخر ، فهي مباحة غير محظورة ، إلا أن تدخلها استعارة ، أو  
تصحبها قرينة تُحْدِثُ فيها معنى ، أو تفيد فائدة ، فهناك يتميز الناس ، ويسقط  
اسم الاشتراك الذي يقوم به العذر ، ولو غيرت اللفظة وَأَتَى بما يقوم مقامها كقول  
ابن أحرر :

بِمَقْلَصِ دَرَكِ الطَّرِيدَةِ ، مَتْنُهُ كَصَفَا أَخْلَاقِيَةِ بِالْفَضَاءِ الْمَلْبَدِ<sup>(١)</sup>  
فَقَوْلُهُ « دَرَكِ الطَّرِيدَةِ » وقول الأسود بن يَغْفَرُ :

بِمَقْلَصِ عَتِدِ جَهِيرٍ شَدُّهُ قَيْدِ الْأَوَابِدِ وَالرَّهَانِ جَوَادِ<sup>(٢)</sup>

(١) قال في اللسان : « وصحرة حلقاء بينه الخلق : ليس فيها وسم ولا كسر  
وأنشد البيت « ١٥٠ »

(٢) فرس عتد - بكسر التاء المثناة أو فتحها - شديد تام الخلق سريع الوثبة  
معد للجري ليس فيه اضطراب ولا رخاوة .

جميعاً كقول امرئ القيس :

\* بمجرد قيد الأوابد هينكـل \*

وكذلك قول أبي الطيب :

\* أجل الظلم وربقة السرحان \*

فأما ما ناسب قول الأبيرد اليربوعي يرئ أخاه :

وقد كنت أستعفى الإله إذا اشتكى من الأجر لي فيه ، وإن عظم الأجر

وقول أئ نواس في صفة الخمر :

ترى العين تستعفيك من لماعها وتحسر حتى ما تقل جفونها

فهو من المشترك الذي لا يعد سرقة .

وقد نص عليه القاضي الجرجاني أنه من المنقول المتداول المبتذل .

وأما الاشتراك في المعاني فنوعان : أحدهما : أن يشترك المعنيان وتختلف

الاشتراك في المعاني وأنواعه

العبارة عنهما ، فيتباعد اللفظان ، وذلك هو الجسد المستحسن ، نحو قول

امرئ القيس :

كبر للفقاة البياض بصفرة غذاها تدير الماء غير محلل<sup>(١)</sup>

وقول غيلان ذي الرمة :

نجلاله في برج صفراء في تعج كأنها فضة قد مسها ذهب<sup>(٢)</sup>

فوصفا<sup>(٣)</sup> جميعاً لوناً بعينه : فشبه الأول بلون بيضة النعام ، وشبهه الثاني بلون

(١) البكر : أول ييض النعامة ، والمقناة : المخالطة ، يقال : ما ينانني خلق فلان ، أى : ما يشاكل خلقى ويخالط نفسى ، والبياض : مفعول للمقناة ، ونائب الفاعل - وهو المفعول الأول - ضمير مستتر ، والخير من الماء : الذى ينحج في الشاربة وإن لم يكن عذبا ، وغير محلل : لم يحلل عليه فيكدر .

(٢) رواية الديوان « كلاء في دعج » وقد سبقت المؤلف « كلاء في برج » وذلك في ( ص ٢٩ ) من هذا الجزء .

(٣) في الطبوعتين « فوصفها » وليس بشئ .

الفضة قد خالطها الذهب يسيراً ولذلك قال «قد مسها»

ونحو قول عبدة بن الطيب يصف ثوراً وحشياً :

مُجْتَابٌ نِصْعٌ جَدِيدٌ فَوْقَ نُقْبَتِهِ      وَفِي الْقَوَائِمِ مِنْ خَالِ سَرَائِلِ<sup>(١)</sup>

وقال الطرِّمَّاح يصف ظليماً :

مُجْتَابٌ شَمْلَةٌ بَرْجُدٍ لِسَرَاتِهِ      قَدَرًا فَأَسْلَمَ مَا سِوَاهُ الْبَرْجُدِ<sup>(٢)</sup>

فوصف الأول بياض الثور وسواد قوائمه وتخطيطها فشبه ظهره كأن عليه نصعاً جديداً ، وهو الثوب الأبيض ، وشبه ما في قوائمه من السواد والتخطيط بسراويل من الخال ، وهو ضرب من الوشي .

وقال النائي : إنه مجتاب شملة برجد ، يريد ماعلى الظلم من قرونه ، والبرجد : كساء أسود مُحْمَل ، وجعل الشملة قدراً لسراته دون رجليه وعنقه ؛ فدل على بياضهن

وقال عنتره :

صَعْلٍ يَمُودُ بِذِي الْعَشِيرَةِ بَيْضَهُ      كَالْعَبْدِ ذِي الْفَرَوِ الطَّوِيلِ الْأَصْلَمِ<sup>(٣)</sup>

(١) نصع - بكسر فسكون - ضرب من الثياب شديد البياض ، وعم بعضهم به كل جلد أبيض أو ثوب أبيض ، قاله في اللسان .

(٢) انظر (ج ١ ص ٢٩١ و ٢٩٨) من هذا الكتاب ، وقول المؤلف « وجعل الشملة قدراً لسرته » يدل على أنه بالراء المهملة من المقدار ، وقد فسرناه هناك على أنه قد بدالين ، وهذا الذي ذكرناه هناك رواية الأغاني ، وهي أولى .

(٣) الصعل : الصغير الرأس الدقيق العنق ، يعود : يأتي إلى بيضه ، كما تقول : عدت المريض . وذو العشيرة : موضع ، والأصل : المقطوع الأذنين ، والظلمان كلها لا آذان لها ، قاله الخطيب ؛ وانظره مع كلام المؤلف .

فشبهه بعبد طويل عليه فرو أصل ، أى : قصير الذبول ، وإنما خص القرو لأنهم كانوا يلبسونه مقلوباً ، وجعله عبداً لبياض ساقيه وعنقه وإشرايهما الحمرة يعنى صفات الروم ، ولم تكن العبيد فى ذلك الوقت إلا بيضاً ؛ فهذا اشتراك فى وصف الظاهر والقوأم واختلاف فى اللفظ والمعبارة .

والنوع الثانى على ضربين : أحدهما : ما يوجد فى الطُّباع من تشبيه الجاهل بالثور والحمار ، والحسن بالشمس والقمر ، والشجاع بالأسد وما شابهه ، والسخى بالفيث والبحر ، والعزيمة بالسيف والسيول ، ونحو ذلك ؛ لأن الناس كلهم - الفصيح والأعجم والناطق والأبكم - فيه سواء ؛ لأننا نجد مراكبا فى الخليقة أولاً .

والآخر ضرب كان مخترعاً ، ثم كثرت حتى استوى فيه الناس ، وتواطأ عليه الشعراء آخرأ عن أول ، نحو قولهم فى صفة الخلد « كالورد » وفى القد « كالفضن » وفى العين « كعين المهاء من الوحش » وفى العنق « كعنق الظبي » وكأبريق النضة أو الذهب « فهذا النوع وما ناسبه قد كان مخترعاً ، ثم تساوى الناس فيه ، إلا أن يولد أحد منهم فيه زيادة ، أو يخصه بقرينة ؛ فيستوجب بها الانفراد من بينهم ، ومثل ذلك تشبيه العزم بهبوب الريح ، والذكاء بشواظ النار ، وسيرد عليك من قواى باب السرقات وما ناسبها كثير ، إن شاء الله تعالى .

### (٦٩) — باب التغاير

وهو أن يتضاد المذهبان فى المعنى حتى يتقاوما ، ثم يصحاحا جميعاً ، وذلك من افتنان الشعراء وتصرفهم وغوص أفكارهم .  
 من ذلك قول بعض العرب المتقدمين يذكر قوماً بأنهم لا يأخذون إلا القود دون الدية :

لَا يَشْرَبُونَ دِمَاءَهُمْ بِأَكْفِهِمْ إِنَّ الدَّمَاءَ الشَّافِيَاتِ تُسْكَالُ

حد التغاير

وسببه

أمثلة من التغاير

وقال آخر وقد أخذ بثأره إلا أنه فيما زعم قتل دون من قتل له ، و يروى لامرأة حارثية :

فيقتل خير بامرئ لم يكن له بواء ، ولكن لا تكأيل بالدم  
ويروى « في فتى لم يكن له وفاة » فالأول يقول : لا أخذ بالدم لبناً ، لكن  
أخذ دماً بقدره ، فكان ذلك مكايلة ، والثاني يزعم أن قتيله قليل المثل والنظير ،  
فتى لم يقتل به إلا نظيره بعد انتقامه ، وعسر إدراكه الثأر فقال : إن الدماء  
ليست مما يكايل به في الحقيقة ، وقيل : إنما يعنى بذلك أن الإسلام لما جاء أزال  
المكايلة بالدم ؛ فكانوا لا يقتلون بالرئيس إلا رئيساً مثله .

ومن هذا الباب قول أبي تمام في التكرم بفضل على الكرم المطبوع :

قَدْ بَلَوْنَا أبا سَعِيدٍ حَدِيثًا وَبَلَوْنَا أبا سَعِيدٍ قَدِيمًا  
وَوَرَدَنَاهُ سَاحًا وَقَلِيًّا وَرَغِينَاهُ بَارِضًا وَجِيمًا<sup>(١)</sup>  
فَعَلَمْنَا أَنْ لَيْسَ إِلَّا بِشِقِّ النَّفْسِ صَارَ الْكَرِيمُ يُدْعَى كَرِيمًا

وقال أبو الطيب في خلافه :

لَوْ كَفَرَ الْعَالَمُونَ نِعْمَتَهُ لَمَّا عَدَتْ نَفْسُهُ سَجَايَاهَا  
كَالْشَّمْسِ لَا تَبْتَغِي بِمَا صَنَعَتْ تَكْرِمَةً عِنْدَهُمْ وَلَا جَاهًا

وإلى هذا المذهب نحا السيد أبو الحسن في قوله :

جَبْرُ الْكَسِيرِ إِذَا يُهَاضُ جَنَاحُهُ لَجَأُ الْمَطَرِ مُسْتَعَاثُ الْمُتَلَقِي

(١) أراد بالسائح : النهر ، والقليل : البئر . والبارض : أول ما يظهر من نبت الأرض ، وقيل : هو أول ما يعرف من النبات وتساوله النعم ، وقال الأصمعي : أول ما يظهر من البهي بارض ؛ فإذا تحرك قليلاً فهو نحيم .

جَمَعَ الفضائلَ والحامِدَ والعَلاَّ خُلُقٌ لَعَمْرُ أَيْكَ غَيْرُ تَخَلُّقٍ  
وأصلُ معنى قول أبي الطيب من قول بشار :  
لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَلِلْخَوْ فِ وَلَسِ كِنْ يَلْدُ طَعْمَ العطاء  
وقال البحتري في نحو ذلك :

لا يَتَعَبُ النَّائِلُ الْمُبْدُولُ هِمَّتَهُ وَكَيْفَ يُتَعَبُ عَيْنَ النَّاطِرِ النَّظَرُ !؟  
وكان أبو الطيب لقدرته واتساعه في المعاني كثيراً ما يخالف الشعراء ويغايِر  
مذاهبهم ، ألا ترى إلى قول علي بن العباس النوبختي - وهو في رواية الجرجاني  
لابن الرومي - يصف القلم ويفضله على السيف ، وكتب بذلك إلى علي بن مقلة  
في قصيدة :

إِنْ يَخْدُمُ الْقَلَمُ السِّيفَ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ خَوْفَهُ الْأُمَمُ  
كَذَا قَضَى اللَّهُ لِلْأَقْلَامِ مَذْبُورِيَّتَ أَنْ الشُّيُوفِ لَهَا مُذْ أُرْهِقَتْ خَدَمُ  
فَالَمُوتُ - وَالْمَوْتُ لَا شَيْءَ يُعَادِلُهُ - مَا زَالَ يَتَّبِعُ مَا يَجْرِي بِهِ الْقَلَمُ  
وهذا كلام مُتَقَنِ البنية ، صحيح المعنى ، لا مَطْنٍ فيه ، جاء أبو الطيب  
مخالفةً ومذهباً آخر يشهد بصحته العيان ، ويصححه البرهان ، فقال :

حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي : الْمَجْدُ لِلْسِّيفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ  
اكتب بهذا أبدأ قبل الكتاب بها<sup>(١)</sup> فإِذَا نَحْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْخَدَمِ

ومن التغاير قول الفرزدق يصف إبله ويفخر :

أَلَمْ تَسْمَعْ يَا بُنَى حَكِيمٍ حَنِينَهَا إِلَى السِّيفِ تَسْتَنْبِكِي إِذَا لَمْ تَعْقُرِ

(١) بدا : اسم الإشارة عائد إلى السيف ، بها : الضمير عائد إلى الأقلام .  
ورواية الديوان \* اكتب بنا أبدأ بعد الكتاب به \* وهي التي تتفق مع البيت  
السابق ( انظر الديوان : ج ٢ ص ٤١٣ ) .

فجعلها إذا لم تعقر حنت إلى السيف واستبكت ؛ لكثرة عاداتها ، وهذا غلو مُقْرِط ، وكان في مكان آخر يصفها بالجزع إذا رأت الضيف لعلها أنها تنحدر له :

تَرَى النَّيْبَ مِنْ ضَنْفِي إِذَا مَا رَأَيْتَهُ ضُمُورًا عَلَى جِرَاتِهَا مَا تُجَيِّزُهَا  
فزعم أنها تخفى حِسِّهَا حتى إنها لا تجترخوفا من النحر ، وهذا المعنى مأخوذ من بيتين مدح بهما النبي صلى الله عليه وسلم ، وهما :

وَأَيْبِكَ حَقًّا إِنْ لَابَلَ مُحَمَّدٍ عَزْلُ نَوَاحٍ أَنْ تَهَبَّ شَمَالُ  
وإذا رأيتَ لدى الفناء غريبةً فَدُمُوعُهُنَّ عَلَى الْخُلُودِ سِجَالُ<sup>(١)</sup>

يقول : إذا هبت الشمالُ - وهى من رياح الشتاء ، وعلامات المخل - أيقنُ  
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينحرفن للضيفان والجيران ؛ فهى نوايح لذلك ،  
وقوله \* وإذا رأيتَ لدى الفناء غريبة \* أى : يعرفن بذلك أنها ناقة ضيف  
فتُذْرى كلُّ واحدة دمعها ، لاتدرى هل هى المنحورة ، وهذا من مليح الشعر  
ولضيف المدح ، وقُلْ كل مدح لرسول الله صلى الله عليه وسلم  
ومن مليح التغاير قولُ أبى الشيص :

أَجْدُ الْمَلَامَةِ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةٍ حُبًّا لِلذِّكْرِ ؛ فَلَيْلُمْنِي اللُّؤْمُ  
وقول أبى الطيب فى عكس هذا :

أَحْبَهُ وَأَحْبُ فِيهِ مَلَامَةٌ ؟ إِنْ الْمَلَامَةُ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ

وهذا عند الجرجاني هو النظر والملاحظة ، وهو يعده فى باب السرقات ، قال :  
وأصله من قول أبى نُوَّاس :

إِذَا غَادَيْتَنِي بِصُبُوحِ عَدْلٍ فَمَمَزُوجًا بِتَسْمِيَةِ الْحَيِيبِ

ولأبى العلاء المعرى مثله من غير التزام :

(١) غريبة : أراد ناقة غريبة كما قال المؤلف ، أوطائفة ، أونسمة ، أو ما أشبه ذلك.

لَمْ يَبْقَ غَيْرُ الْعَذْلِ مِنْ أَسْبَابِهِمْ فَأَحَبُّ مَنْ يَدْنُو إِلَى عَذُولٍ  
يَعْدُو فَلَا مُسْتَعْجِرٍ عَنْ حَالِهِمْ غَيْرِي ، وَلَا مُسْتَعْجِرٍ مُسْتَوَلٍ

(٧٠) — باب في التصرف ، ونقد الشعر

يجب للشاعر أن يكون متصرفاً في أنواع الشعر : من جد وهزل ، وحلو  
وجزل ، وأن لا يكون في النسيب أربع منه في الرثاء ، ولا في المديح أنفذ منه في  
الهجاء ، ولا في الافتخار أبلغ منه في الاعتذار ، ولا في واحد مما ذكرت أبعد منه  
صوتاً في سائرهما ؛ فإنه متى كان كذلك حكم له بالتقدم ، وحاز قصب السبق ، كما  
حازها بشار بن برد ، وأبو نواس بعده .

مق يجوز  
الشاعر قصب  
السبق ؟

حكى صاحب بن عباد في صدر رسالة صنعها على أبي الطيب ، قال : حدثني  
محمد بن يوسف الحمادي ، قال : حضرت بمجلس عبيد الله بن عبد الله بن طاهر  
وقد حضره البحتري ، فقال : يا أبا عبادة ، أمسلم أشعر أم أبو نواس ؟ فقال :  
بل أبو نواس ؛ لأنه يتصرف في كل طريق ، ويبرع في كل مذهب : إن شاء جد ،  
وإن شاء هزل ، ومسلم يلزم طريقاً واحداً لا يتعداه ، ويتحقق بمذهب لا يتخطاه  
فقال له عبيد الله : إن أحمد بن يحيى ثعلباً لا يوافقك على هذا ، فقال : أيها الأمير ،  
ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه ممن يحفظ الشعر ولا يقوله ؛ فإمّا يعرف الشعر  
من دفع إلى مضايقه ، فقال : ورّيت بك زنادي يا أبا عبادة ، إن حكك ، في  
عيك أبي نواس ومسلم وافق حكم أبي نواس في عمية جرير والفرزدق ؛ فإنه سئل  
عنهما فضل جريراً ، فقيل : إن أبا عبيدة لا يوافقك على هذا ، فقال : ليس هذا  
من علم أبي عبيدة ؛ فإمّا يعرفه من دفع إلى مضايق الشعر ، وقد خالف البحتري  
أبا نواس في الحكم بين جرير والفرزدق ، فقدم الفرزدق ، قيل له : كيف تقدمه  
وجرير أشبه طبعاً بك منه ؟ فقال : إنما يزعم هذا من لا علم له بالشعر ، جرير

موازنة بين  
مسلم وأبي  
نواس

وبين جرير  
والفرزدق



لا يمدو في هجائه الفرزدقَ ذِكْرَ القين وجعثن وقتل الزبير، والفرزدق يرميه في كل قصيدة بآبدة، حكى ذلك غير واحد من المؤلفين .

فإذا كان هذا فقد حكم له بالتصرف، وبهذا أقول أنا، وإياه أعتقد فيهما، وإذا لم يكن شعر الشاعر نطقاً واحداً لم يله السامع، حتى إن حبيباً ادعى ذلك لنفسه في القصيدة الواحدة فقال :

الجِدُّ والهزلُ في تَوْشِيْعٍ لِحْمَتِهَا

والنبْلُ والسَخْفُ، والأشْجَانُ والطَرْبُ<sup>(١)</sup>

وقد قال إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية :

لَا يُصْلِحُ النَّفْسَ إِذْ كَانَتْ مُصَرَّقَةً إِلَّا التَّصَرُّفُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ

ليحي المنجم في  
نقد الشعر

وأنشد صاحب لأبي أحمد يحيى بن علي المنجم في نقد الشعر :

رُبَّ شِعْرِ نَقَدْتُهُ مِثْلَ مَا يَنْقُدُ رَأْسُ الصَّيَّافِ الدِّينَارَا

ثم أرسلته فكانت معانيه وألفاظه معاً أبكارا

لو تَأَتَّى لِقَالَةِ الشَّعْرِ مَا أُسْقِطُ مِنْهُ حَلُولَا بِهِ الْأَشْمَارَا

إنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ مَا يَسْتَعِيرُ النَّاسُ مِنْهُ وَلَمْ يَكُنْ مُسْتَعَارَا

وقال الجاحظ : ظلمت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه من عنده علم الشعر

فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه، فعطفت على أبي عبيدة

فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار، وتعلق بالأيام والأنساب، فلم أظفر بما

أردت إلا عند أدباء الكتاب : كالحسن بن وهب، ومحمد بن عبد الملك الزيات .

قال صاحب على أثر هذه الحكاية : فله أبو عثمان، فلقد غاص على سر

الشعر، واستخرج أرق من السحر.

(١) قال الأمدى : قوله « الجد والهزل في توشيع لحمتها » بيت في غاية الحق،

ومن يمدح وزيراً، فلم يضمن قصيدته الهزل والسخف؟ وإن كان هناك ما يدل على

هذا فلم نبه عليه واعترف به؟ اه، والتوشيع : من قولهم « وشمت البرد » إذا

جعلت فيه ألواناً وطرائق .

وسأذكر بعد هذا الباب قطعة من أشعار الكتاب يظهر فيها سرماهم ،  
ويستدل بها على مغزاهم ، ويعرف حسن اختيار الجاحظ فيما ذهب إليه من  
تفضيلهم ، ويشهد إلى مجودة اللّيز ، وفُرط التثبّت والإنصاف ، إن شاء  
الله تعالى .

### (٧١) - باب في أشعار الكتاب

والكتاب أرق الناس في الشعر طبعاً ، وأملحهم تصنيعاً ، وأحلاهم ألفاظاً ،  
وألطفهم معاني ، وأقدرهم على تصرف ، وأبعدهم من تكلف .

وقد قيل : الكتاب دَهَاقِينُ الكلام<sup>(١)</sup> ، وما نزيدك على قول إبراهيم  
إبراهيم الصولي من شعر ابن العباس الصولي بين يدي المتوكل حين أحضر لمناظرته أحمد بن المدبر  
فقال ارتجالاً :

صَدَّ عَنِّي وَصَدَّقَ الْأَقْوَالَا وَأَطَاعَ الْوُشَاةَ وَالْعُدَاَلَا  
أَتَرَاهُ يَكُونُ شَهْرَ صُدُودِي وَعَلَى وَجْهِهِ رَأَيْتُ الْهَلَالََا

فطرب له المتوكل واهتز ووصّله ، وخلع عليه وحمله ، وجدد له ولاية . وقيل  
له في التلطف والاستعطاف أكثر من هذا ، وأى مدح أروع وأبدع من قوله في  
الفضل بن سهل :

لِفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ يَدٌ تَقَاصَرَ عَنْهَا الْمَثَلُ  
فَبَاظَنَهَا لِلنَّدَى وَظَاهَرُهَا لِلْقُبُلِ  
\* وَنَائِلَهَا لِلغَى وَسَطَوَتْهَا لِلْأَجَلِ

أليس هذا الماء الزلال ، والسحر الحلال ؟ ؟

ولقد أجاد ابن الرومي في تناوله هذا المعنى حين قال :

مُقَبَّلُ ظَهْرِ الْكَفِّ ، وَهَابُ بطنِهَا لَهُ رَاحَةٌ فِيهَا الْحَطِيمُ وَزَمَزَمُ

(١) الدهاقين : جمع دهقان - بكسر فسكون - وهو التاجر البارع ، وقال الشاعر :

إِنَّمَا الدِّقَاءُ يَأْقُوْتَةُ أَخْرَجَتْ مِنْ كَيْسِ دِهْقَانِ

فظاهرُها للناس رُكْنٌ مُقْبَلٌ وباطنها عَيْنٌ من الجود عَظِيمٌ<sup>(١)</sup>  
إلا أن الأول أخف وزناً ، وأرشق لفظاً ومعنى . وهذان البيتان - وإن  
كانت فيهما زيادة - فإنما هما يلاء البيت الأوسط من أبيات إبراهيم فقط . .

ومن تغزل إبراهيم قوله :

أراك فلا أَرُدُّ الطرفَ كَيْلًا يكون حجابَ رؤيتك الجفونُ  
ولو أنى نظرتُ بكل عين لما استقصت محاسنك العيونُ  
فهذا وأبيك البيان ، والخبر الذي كأنه العيان .

وما أجد كل حلاوة وحسن طلاوة ، إلا دون قول [ ٤ ] :

ابتداءً بالتجنى واقتضاءً بالتظنى  
واشتغلاً بتجنيك لأعدائك منى  
بأنى قل لى لى أعلم لم أعرضت عنى  
قد تمنى ذاك أعداى ، فقد نالوا التنى

وأما الهجاء فقد بلغ فيه أبعد الغايات بقوله فى محمد بن عبد الملك الزيات :

فكن كيف شئت وقل ما تشاء وأرعدُ يميناً وأبرقُ شمالاً  
نجا بك لؤمك منجى الذباب حمته مقاذيره أن ينالا<sup>(٢)</sup>

ومن شعر محمد بن عبد الملك الزيات قوله لأحمد بن أبى دؤاد ، وقد أمر  
من شعر  
ابن الزيات  
الوائق أن يقوم جميعُ الناس لابن الزيات ، ولم يجعل فى ذلك رخصة لأحد ،  
وكان ابن أبى دؤاد يشتغل بصلاة الضحى إذا أحسَّ بقدومه أنفةً من القيام إليه  
فى دار السلطان ، وامتنالاً للأمر ، فصنع ابن الزيات :

صلى الضحى لما استفاد عداوتى وأراه ينسكُ بعدها ويصومُ  
لا تمل من عداوة مشئومة تركتكَ تقعدُ تارةً وتقومُ

ومن تغزله قوله ، وهو فى غاية العذوبة :

(١) عيلم - بفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة - أصله للبحر والماء  
الكثير ، والبرث الكثيرة الماء .

(٢) فى كثير من الأصول « حمته مقاذيره أن ينالا » بدون ياء .

قام بقلبي وقعد لما نفى عني الجلد  
يا صاحب القصر الذي أسهر عيني ورقد  
واعطشني إلى فم يمجّ خراً من برد  
إن قسّم الناس فحسبني بك من كل أحد

وقال يرثي جاريته سلوانة ، وهي أم ولده عمر الأصغر :

يقول لي الخلان: لو زرت قبرها فقلت: وهل غير الفؤاد لها قبر؟  
على حين لم أحدث فأجهل قدرها ولم أبلغ السن التي معها الصبر  
وقال أيضاً وأحسن ما شاء :

مالى إذا غبت لم أذكر بواحدة وإن مرضت فطال الشقم لم أعد  
ما أعجب الشيء ترجوه فتعثر به قد كنت أحسب أني قد ملأت يدي  
ومن شعره في هذا الباب مقطعات متفرقة تغني عن الإكثار منه ههنا .  
وأما الحسن بن وهب فن قوله :

من شعر  
الحسن بن  
وهب

لم تنم مقلتي لطول يكأها ولما جال فوقها من قذاها  
فالقذى كحلها إلى أن ترى وجه سليبي، وكيف لي أن تراها؟!  
أسعدت مقلتي بإدمانها الدمع وهجرانها الكرى مقلتها  
فلعمري في كل حين دموع إماما تستدرها عيناها  
وقدّم إليه كانون ، ومنه قينة كان يهواها ، فأمرت بإبعاد الكانون ، فصنع :  
بأبي كرهت النار حتى أبعدت فمرفت ما مفعناك في إبعادها  
هي ضرة لك بالتماع شعاعها وبحسن صورتها لدى إبعادها  
وأرى صديك بالقلوب صديعها بأراكها وسيكها وعراها  
شركتك في كل الجهات بحسنها وصيائها وصلاحتها وفسادها  
ومن مليح الشعر قوله يمدح محمد بن عبد الله بن طاهر غب مطر :  
هطّلتنا السماء هطلاً دراكاً جاوز المرزبان فيه السماكا

قلت للبرق إذ تألق فيه : يازناد السماء من أوزاك<sup>(١)</sup>  
 أحبيباً أحبته خفاكاً ؟ فمسي داك أن يعود كذاكا  
 أم تشبّهت بالأمير أبي العباس في جوده ؟ فلست هنا كا  
 وهذا هو الكلام الكتاني ، السهل ، المرسل ، الحسن الطلاوة ، والظاهر  
 الحلاوة .

ومن قوله يرني حبيباً الطائي ، وكان صديقاً له جداً :  
 سقى بالموصل القبرَ الغريباً سحائبُ يَنْتَحِينَ به نحيبا  
 إذا أظلمنه أطلقن فيه شعيب المزن يُتبعها شعيبا  
 ولطمت البروق له خدودا وشققن الرعود له جيوبا  
 فإن تراب ذاك القبر يحوي حبيباً كان يدعى لي حبيباً  
 وهي قصيدة كاملة أنيت بهذا منها معرضاً .

ومن شعراء الكتاب سعيد بن حميد الكاتب ، وهو الغافل في طول الليل :  
 من شعر  
 سعيد بن  
 حميد الكاتب  
 ياليلُ ، بلْ يا أبدُ أناثمُ عنك غدُ؟  
 ياليلُ، لو تلقى الذي ألقى بها أو أجِدُ  
 قصّرَ من طولك أو أضعفَ منك الجلدُ  
 ورواه قوم \* أنحل منك الجسد \* والأول عندي أصوب ، وعلى كل حال  
 فنه أخذ أبو الطيب قوله :

ألم يرَ هذا الليلُ عَيْنَيْكَ رُوبِي فتظهرَ فيهِ رقةٌ ومحولُ  
 وليس يلزم الكاتب أن يجاري الشاعر في إحكام صناعة الشعر ؛ لرغبة  
 الكتاب في حلاوة الألفاظ وطيرانها ، وقلة الكلفة ، والإتيان بما يخف على  
 (١) تألق : لمع ، وزناد السماء : شبه به البرق ، وأوراك : من قولهم « ثوري  
 الزند » إذا قدحه ليخرج نارا .

ملا يلزم  
 الكاتب

النفس منها ؛ وأيضا فإن أكثر أشعارهم إنما يأتي نظرفا ، لا عن رغبة ولا رهبة ،  
فهم مطلقون مُخَلَّوْنَ في شهواتهم ، مساحون في مذهبهم ؛ إذ كانوا إنما يصنعون  
الشعر تخيرا واستظرافا ، كما قال كشاجم الكاتب :

ولئن شعرتُ فما تعددت الهجاء ولا المديحة  
لكن رأيتُ الشعرَ للآدابِ ترجمةً فصيحته

وعلى هذا النخط يجري الحكم في أشعار الخلفاء ، والأسراء ، والمترفين من  
أهل الأقدار : لا يحاسبون فيها محاسبة الشاعر المبرز الذي الشعرُ صناعته ، والمديح  
بضاعته .

وقد أعرب أبو الفتح بن العميد وأعرب في قوله :  
فإن كان مَرَضِيًّا فقل : شعر كاتبٍ وإن كان مسخوطاً فقل : شعر كاتب<sup>(١)</sup>  
ولو حاولتُ أن أذكر من علمت من شعراء الكتاب - سوى من ذكرت -  
لبعد الأمد ، وطالت الشقة ، واحتجت إلى أن أقيم لهذا الفن ديواناً مفرداً ؛  
لكني عوّلت على ابن الزيات ، وابن وهب ؛ لإحالة الجاحظ في الفضل  
عليهما ، وأنستهما بائنين ليسا بدونهما ، ولو لم آت بهذا الباب إلا بما بنيته  
عليه من ذكر أشعار السيد الرئيس أبي الحسن أيده الله لكان ذلك فوق الرضا  
والكفاية .

فمن ذلك قوله :

بَاكَرِ الرَّاحَ وَدَعْ عَنكَ الْعَدْلَ      وَاسْعَ فِي الصَّحَّةِ مِنْ قَبْلِ الْعَمَلِ  
وَاعْتَنِمِ لَذَّةَ يَوْمٍ زَائِلٍ      فَاَلْمُنَايَا ضَاكِكَاتٌ بِالْأَمَلِ  
مَا تَرَى السَّاقِيَ كَشَمْسٍ طَلَعَتْ      تَحْمَلُ الْمِرْيَخَ فِي بُرْجِ الْحَمَلِ  
مَائِسًا كَالْعَصَنِ فِي دِعْصٍ نَقَا      فَاتِنِ الْمَقْلَةِ زِينَتُ بِالْكَحَلِ

من شعر  
أبي الحسن

(١) انظر (ج ١ ص ٣٣٥) تجد للمؤلف تعليقا على هذا البيت .

وقوله أيضا يتنزل :

مَرَّ بِنَا يَهْتَرُ فِي مَشْيِهِ      مثل اهْتَزَّازِ الْعُصْنِ الرَّطْبِ  
فَقَلَّتْ تَرْتَعُ فِي حُسْنِهِ      ومَقْلَتَاهُ أَحْرَقَتْ قَلْبِي  
قوله « أحرقت » وهما مقلتان كقول بعضهم ، وأنشده أبو الجراح في  
طبقات الشعراء :

أشركت عيناه ظالمه      في دمي يا عَظُمَ ما جنت  
فقال « ظالمه » وقال « جنت » لأن التثنية جمع في الحقيقة ، والجماعة تخبر  
عنها كما تخبر عن الواحد : لمكان التأنيث ، والشاهد من قول القدماء قول أحدهم :

لَمَنْ زُحْلُوقَةٌ زَلُّ      بهَا الْعَيْنَانِ تَنْهَلُ  
فقال « تنهل » وكان حقه أن يقول « تنهلان » لكن العلة ما قدمت .  
ومن الموعظة الحسنة البالغة قوله :

أَمِنُ الزَّمانَ زَمَانَةَ الْعَقْلِ      فَاخْشَ الْآلَهَ وَحُلَّ عَنِ الْجَهْلِ  
وَأَعْلَمُ بِأَنْكَ فِي الْحَسَابِ غَدًا      تُجْزَى بِمَا قَدَّمْتَ مِنْ فَعْلٍ  
ومن تشكى أحوال الناس وقلة ثقتهم وإنصافهم قوله :

أَيَّارِبُ ، إِنْ النَّاسَ لَا يُنْصِفُونَنِي      وَلَمْ يُحْسِنُوا قَرَضِي عَلَى حَسَنَاتِي  
إِذَا مَدَرَأُونِي فِي رِخَاءٍ تَرَدَّدُوا      إِلَى ، وَأَعْدَائِي لَدَى الْأَزْمَاتِ  
وَمَهْمَا أَكُنْ فِي نِعْمَةٍ حَزِنُوا لَهَا      ذُوو أَنْفُسٍ فِي شِدَّةٍ جَذِلَاتِ  
نِقَاتِي مَا دَامَتْ صَلَاتِي لَدَيْهِمْ      وَإِنْ عَنْهُمْ أَخْرَجْتُهَا فَعِدَاتِي  
سَأَمْنَعُ قَلْبِي أَنْ يَحِنَّ إِلَيْهِمْ      وَأَصْرَفَ عَنْهُمْ قَالِيَا لِحَظَاتِي  
وَأُلْزِمُ نَفْسِي الصَّبْرَ دَائِبًا لَعَلِّي      أَعَيْنُ مَا أَمَلْتُ قَبْلَ مَمَاتِي  
أَلَا إِمَّا الدُّنْيَا كَغَافٍ وَصِحَّةٌ      وَأَمِنُ ، ثَلَاثُ هُنَّ طَيْبُ حَيَاتِي  
قوله « ثلاث » يعني ثلاث خصال أو ثلاث أحوال ، كما قال طرفة :

\* فَلَوْلَا ثَلَاثٌ هُنَّ مِنْ لَذَّةِ الْفَتَى <sup>(١)</sup> \*

ثُمَّ فَسَّرَهُنَّ فَقَالَ :

\* فَهِنَّ سَبَقُ الْعَاذِلَاتِ شُرْبَةً <sup>(٢)</sup> \*

\* وَكَرَّرَى إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُجَنَّبًا <sup>(٣)</sup> \*

\* وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجَنِ <sup>(٤)</sup> \*

وَالسَّبَقُ وَالتَّقْصِيرُ وَالسَّكْرُ كُلُّهَا مَذْكُورَةٌ ، لَكِنْ أَرَادَ مَا قَدِمْتُ .

وَمِنْ أَحْسَنِ الْأَشْعَارِ قَوْلُهُ :

خَلِيلِيَّ ، إِنْ لَمْ تُسَمِّدْ أُنِي فَأَقْصِرَا      فَلَيْسَ يُدَاوِي بِالْعِتَابِ الْمُتَيْمُّ  
تَرِيدَانِ مَنِ النَّسْكَ فِي غَيْرِ حِينِهِ      وَغُصْنِي رَيَّانٌ وَرَأْسِي أَسْحَمُ  
وَقَوْلُهُ فِي قَصِيدَةِ طُويلَةٍ :

غَرَاهُ وَاضِحَةٌ يَنْوَسُ بِقُرْطُهَا      جَيْدٌ حَكَّى جَيْدَ الْغَزَالِ الْأَعْنَقِ  
صَدَّتْ فَأَغْرَتْ بِالسَّجُومِ مَدَامِي      وَالْعَيْنُ تَذْرِفُ بِالْدمُوعِ الشُّبْقِ  
تَشْكُو الْعِبَادَ إِذَا بَعْدَتْ تَصَبُّرًا      وَإِنْ ارْتَجَعْتَ إِلَى الزَّيَارَةِ تَفَرَّقِ  
وَلَقَدْ بَيَّتَ أَخُو الْمَوْدَةِ لِأُنْمَى      فِي حَبْهَا لَوْمَ الشَّفِيقِ الْمَشْفِقِ  
حَتَّى إِذَا طَلَعَتْ فَأَبْصَرَ شَخْصَهَا      أَخْرَزَى جِهَالَةَ لِأُنْمَى الْمُسْتَحَقِّ  
كَمْ قَدْ قَطَعْتَ بَوْصَلَهَا مِنْ لَيْلَةٍ      وَشَرَبَ صَافِيَةً كَالْوَنِ الزَّئْبِقِ

(١) تمامه \* وجدك لم أحفل متى قام عودي \*

(٢) تمامه \* كحيت متى ماتعل بالماء تزيد \* ويروى « سبق العاذلات »

(٣) مجنبا - بالجيم الموحدة - هكذا هو في رواية ضعيفة ، والرواية الموثوقة

بصحتها « عجبنا » بالحاء المهملة ، وتعام البيت \* كسيد الغضا نهته المتورد \*

(٤) البيت بتمامه هكذا :

وتقصير يوم الدجن والمعجب      بهسكنة تحت الحباء المعمد



يسعى بها كالبنير، ليلته تمه سحار الخاظ رخي المنطق  
آليت أترك ذا وتلك وهذه حتى يفارقتي سواد المفرق  
فله سلامة هذا الطبع واندفاعه ، وقرب هذا اللفظ واتساعه ، والله رقة معانيه  
وإرهاقها ، وظهورها مع ذلك وانكشافها ، ولطف مواقعها من القلوب ، وسرعة  
تأثيرها في النفوس ، وسيرد من شعره فيما بعد ما لاق بالمواضع التي يذكر فيها ،  
إن شاء الله تعالى .

### (٧٢) — باب في أغراض الشعر وصنوفه

وهو بسط لما بعده من الأبواب ، وقد فرط البسط له ، وفرغ من مقدمته  
في باب حد الشعر وتبيينه ، وأنا ذاكر هنا ما لا بد منه .

تكلّم قوم في الشعر عند أبي الصقر إسماعيل بن بلبل من حيث لا يعلمون .  
فكتب إليه أبو العباس الناشيء :  
لناشئ في صناعة الشعر

أعن الله صنعة الشعر ، ماذا من صنوف الجهال فيها لقينا ؟  
يؤثرون الغريب منه على ما كان سهلاً للسامعين مئينا  
ويروّن الحال شيئاً صحيحاً وخسيس المقال شيئاً ثميناً  
يجهلون الصواب منه ، ولا يدرون للجهل أنهم يجهلون  
فهم عند من سوانا يلامون ، وفي الحق عندنا يُعذرون  
إنما الشعر ما تناسب في النظم ، وإن كان في الصفات فنونا  
فأني بعضه يشاكل بعضاً قد أقامت له الصدور المتونا  
كل معنى أتاك منه على ما تتمنى لو لم يكن أن يكونا  
فتناهى عن البيان إلى أن كاد حسناً يمين للماظرينا  
فكان الألفاظ فيه وجوه والمعاني رُكّبت فيه عيوننا

فأثنا في المرام حَسَبَ الأمانى      فيجلى بحسنه المُشْدِدينَا  
 فإذا ما مدحت بالشعر جراً      رمت فيه مذاهب المسهينَا  
 فجعلت النسيب سهلاً قريباً      وجعلت المديح صدقاً مبينَا  
 وتنكبت ما تهجن في السمع ، وإن كان لفظه موزونَا  
 وإذا ما قرضته بهجاء      عفت فيه مذاهب المرفئينَا  
 فجعلت التصريح منه دواءً      وجعلت التعريض داءً دفينَا  
 وإذا ما بكيت فيه على الغا      دين يوماً للبين والظاعنينَا  
 حُلّت دون الأسى وذلت ما كا      ن من الدمع في العيون مَصُونَا  
 ثم إن كنت عاتباً شبت في الوعد      وعيدا وبالصعوبة لينا  
 فتركت الذي عتبت عليه      حذراً آمناً ، عزيزاً مهينَا  
 وأصح القريض ما فات في النظم ، وإن كان واضحاً مستبينَا  
 وإذا قبل أطمع الناس طراً      وإذا ريم أعجز المعجزينَا

قال أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري : كنت في حدائق أروم الشعر ،  
 وكنت أرحع فيه إلى طبع ، ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه ، ووجوه اقتضائه ،  
 حتى قصدت أبا تمام ؛ فانقطعت فيه إليه ، واتكلت في تعريفه عليه ، فكان  
 أول ما قال لي : يا أبا عبادة ، تخير الأوقات وأنت قليل الموم ، صفر من الغيوم ،  
 واعلم أن العادة في الأوقات أن يقصد الإنسان لتأليف شيء أو حفظه في وقت  
 الشَّحَر ، وذلك أن النفس قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم ، فإن  
 أردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقاً ، والمعنى رشيقاً ، وأكثر فيه من بيان الصَّباية ،  
 وتوجع السَّكَاة ، وقلق الأشواق ، ولوعة الفراق ، وإذا أخذت في مدح سيد  
 ذى أياد فاشهر منآقبه ، وأظهر مناسبه ، وأبين معالنه ، وشرف مقامه ، وتقاض  
 المعاني ، واحذر الجهول منها ، وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ الزَّريّة ، وكن

وصية  
 أبي تمام  
 للبحتري

كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الأجسام ، وإذا عارضك الضجر فأرخْ  
نفسك ، ولا تعمل إلا وأنت فارغ القلب ، واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة  
إلى حسن نظمه ؛ فإن الشهوة نعم المعين ، وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف  
من شعر الماصين : فما استحسنته العلماء فاقصده ، وما تركوه فاجتنبه ، ترشد إن  
شاء الله تعالى .

قال صاحب الكتاب : قد كنت أردت ذكر هذا الفصل فيما تقدم من  
باب عمل الشعر وشحذ القريحة له ، فلم أثق بحفظي فيه ، حتى صححته فأثبتته  
بمكانه من هذا الباب<sup>(١)</sup> .

للناشيء أيضا  
في الشعر

ومن قول الناشيء في معنى شعره الأول :

الشعر ما قومت زينج صدره	وشدذت بالتهذيب أمر متونه
ورأيت بالإطناب <sup>(٢)</sup> شغب صدوعه	وتحت بالإيجاز عور عيونه
وجعت بين قريبه وبعيده	ووصلت بين جمه ومعيه
فإذا بكيت به الديار وأهلها	أجريت للمحزون ماء شؤونه
وإذا مدحت به جوادا ماجدا	وفيته بالشكر حق ديونه
أصفينه بنفيسه ورصينه	وخصصته بخطيره وثمينه
فيكون جزلا في اتساق صنوفه	ويكون سهلا في اتفاق فنونه
فإذا أردت كفاية عن رتبة	باينت بين ظهوره وطلونه
فجعلت سامعه يشوب شكوكه	ببيانه وظنونه بيقينه
وإذا عتبت على آخر في زلة	أدجت شدته له في لينه
فترسته مستأنسا بدماثة	مستينسا لوغونه وحزونه

(١) انظر ج ١ ص ٢٠٨ من هذا الكتاب .

(٢) يقال « رأب الشعب » و « رأب الصدع » في معنى أصلح الفاسد .

وإذا نبذت إلى التي عُلِّقَتْهَا . إِنْ صَارَ مَتَكَ بِفَاتِنَاتِ شَوْوَنِهِ  
تَهْمَتَهَا . بلطفه ودقيقه وشغقتها بحبيبه ——— وكينه  
وإذا اعتذرت إلى أخ من زلة واشكت بين محبته ومبينه  
وهذا حين أبدأ بالكلام على هذه الأغراض والصنوف واحداً فواحداً ،  
إن شاء الله سبحانه وتعالى .

### (٧٣) — باب النسيب

حق النسيب أن يكون حلو الألفاظ رسلها ، قريب المعاني سهلها ،  
غير كرت ولا غامض ، وأن يختار له من الكلام ما كان ظاهر المعنى ، لين الإيثار<sup>(٢)</sup> ،  
رطب المكسر ، شفاف الجوهر ، يطرب الحزين ، ويستخف الرصين .  
روى أبو على إسماعيل بن القاسم ، عن ابن دريد ، عن أبي حاتم ، عن  
الأصمعي ، عن أبي عمرو بن العلاء ، عن راوية كثير<sup>(٣)</sup> قال : كنت مع جرير  
— وهو يريد الشام — فطرب ، وقال : أنشدني لأخي بني مليح — يعني كثيراً —  
فأنشدته حتى انتهيت إلى قوله :

وَأَدْنَيْتَنِي حَقِّي إِذَا مَا سَبَيْتَنِي<sup>(٤)</sup> بِقَوْلٍ يُحِلُّ الْقَصَمَ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ

(١) انظر نقد الشعر لقدامة ٢٤ الآستانة .

(٢) ربما قرئت « لين الأبخار » .

(٣) في جميع أصول هذا الكتاب « عن رواه عن كثير » وهو خطأ ،  
وما أثبتناه عن الأمازي ( ج ٢ ٢٢٨ ) وقد اعترضه البكري في التنبيه ، قال « هذا  
الشعر لجنون بن عامر ، لا لكثير ، ولا أعلم أحدا رواه له ، وقد وقع لي في ديوانه  
وبعد البينين :

فما حب ليلى بالوشيك انقطاعه ولا بالمؤدى يوم رد النتائج  
(٤) في الأمازي « إذا ما استميتني » والذي في الأصل موافق لرواية البكري  
في التنبيه .

تَجَافَيْتِ عَنِّي حِينَ لَا لِي حِيلَةٌ<sup>(١)</sup> وَخَلَّفْتَ مَا خَلَّفْتَ<sup>(٢)</sup> بَيْنَ الْجَوَائِحِ  
فَقَالَ : لَوْلَا أَنَّهُ لَا يَحْسُنُ بِشَيْخٍ مِثْلِي النَّخِيرُ لَنَخَرْتُ حَتَّى يَسْمَعَ هَشَامُ  
عَلَى سَرِيرِهِ . .

وَقِيلَ لِأَبِي السَّائِبِ الْحَزْمِيِّ : أَتَرَى أَحَدًا لَا يَشْتَهِي النَّسِيبَ ؟ فَقَالَ : أَمَّا  
مَنْ يُوْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا .

والنسيب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد . . وأما الغزل فهو إلف النساء،  
والتخلق بما يوافقهن ، وليس مما ذكرته في شيء ؛ فمن جعله بمعنى التغزل فقد  
أخطأ ، وقد نبه على ذلك قدامة وأوضحه في كتابه نقد الشعر<sup>(٣)</sup>

الفرق  
بين الغزل  
والنسيب

وَقَالَ الْحَاتِمِيُّ : مَنْ حَكَمَ النَّسِيبَ الَّذِي يَفْتَتِحُ بِهِ الشَّاعِرُ كَلَامَهُ أَنْ يَكُونَ  
مَمْرُوجًا بِمَا بَعْدَهُ مِنْ مَدْحٍ أَوْ ذَمٍّ ، مُتَصِلًا بِهِ ، غَيْرَ مُنْفَصِلٍ مِنْهُ ، فَإِنَّ الْقَصِيدَةَ مِثْلَهَا  
مِثْلَ خَلْقِ الْإِنْسَانِ فِي اتِّصَالِ بَعْضِ أَعْضَائِهِ بِبَعْضٍ ، فَتَقَى انْفِصَالُ وَاحِدٍ عَنِ الْآخَرِ  
وَبَايَنَهُ فِي صِحَّةِ التَّرْكِيبِ غَادِرُ الْجَسْمِ عَاهَةً تَتَخَوَّنُ<sup>(٤)</sup> مُحَاسِنَهُ ، وَتُعَقِّ مَعَالِمَ جَمَالِهِ ،  
وَوَجَدْتَ حُذَاقَ الشُّعْرَاءِ وَأَرْبَابَ الصَّنَاعَةِ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ يَحْتَرِسُونَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ  
الْحَالِ احْتِرَاسًا يَحْمِيهِمْ مِنْ شَوَائِبِ النِّقْصَانِ ، وَيَقِفُ بِهِمْ عَلَى مَحَاجَّةِ الْإِحْسَانِ .  
وَمِنْ مَخْتَارِ<sup>(٥)</sup> مَا قِيلَ فِي النَّسِيبِ قَوْلُ الْمُرَارِ الْعَدَوِيِّ .

من  
مختار نسيب  
التقدمين

- (١) فِي الْأَمَالِيِّ « حِينَ لَا لِي مَذْهَبٌ » وَكَذَلِكَ فِي التَّنْبِيهِ ( ص ١١٨ )
- (٢) فِي التَّنْبِيهِ « وَغَادَرْتُ مَا غَادَرْتُ » وَالَّذِي فِي الْأَصْلِ مُوَافِقٌ لِمَا فِي الْأَمَالِيِّ
- (٣) انْظُرْ نَقْدَ الشُّعْرِ ص ٤٢ .
- (٤) تَتَخَوَّنُ مُحَاسِنَهُ : أَيْ تَنْقُصُهَا .
- (٥) هَذِهِ الْأَبْيَاتُ مِنْ قَصِيدَةِ الْمُرَارِ احْتَارَهَا أَبُو الْعَبَّاسِ الْمَفْضَلُ الضِّي فِي  
« الْمَفْضَلِيَّاتِ » وَفِي رِوَايَةِ الْمَفْضَلِيَّاتِ أَبْيَاتٌ بَيْنَ بَعْضِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ وَبَعْضٍ ؛ فَلَعَلَّ  
الْمُؤَلِّفَ لَمْ يَقْصِدْ إِلَى اخْتِيَارِ قِطْعَةٍ كَامِلَةٍ مِنَ الْقَصِيدَةِ يَقْفُو بِهَا بَعْضُ أَبْيَاتِهَا بَعْضًا .

وَهِيَ هَيْفَاءٌ هَضِيمٌ كَشَحُهَا  
صَلَاتُهُ اخْذٌ طَوِيلٌ جَيِّدُهَا  
فَخَمَةٌ حَيْثُ يُشَدُّ الْمُؤْتَزَرُ  
ضَخْمَةُ الثَّدْيِ<sup>(١)</sup> وَلَمَّا يَنْكَسِرُ  
يُضْرَبُ السَّبْعُونَ فِي خَلْجَاهَا  
فَإِذَا مَا أَكْرَهَتْهُ يَنْكَسِرُ  
لَا تَمَسُّ الْأَرْضَ إِلَّا دُونَهَا  
عَنِ بِلَاطِ الْأَرْضِ ثَوْبٌ مَنْعَقَرُ  
تَطَأُ الْخَزَّ وَلَا تُكْرِمُهُ  
وَتُعْطِلُ الذَّيْلَ مِنْهُ وَتَجْرُ  
ثُمَّ تَنْهَدُ عَلَى أَعْمَاطِهَا  
مِثْلَ مَا مَالِ كَثِيبٍ مَنْعَقَرُ  
عَبَقُ الْعَنْبَرِ وَالْمَسْكِ بِهَا  
فَهِيَ صَفْرَاءُ كَرَجُونِ الْعَمْرِ  
أَمْلَحُ النَّاسِ إِذَا جَرَّدَتْهَا  
غَيْرَ سَمَطَيْنِ عَلَيْهَا وَوُورُ

قال عبد الكريم : هذه أملح وأشرف ما وقع فيه الوصف ، وهي أشبه  
بنساء الملوك .

وأنشد لغيره :

قليلة لحم الناظرين يزيناها  
أرادت لتنتاش الرواق فلم أقم  
شبابٌ وخفوض من العيش باردُ  
إليه ، ولكن طأطأته الولائدُ  
تناهى إلى لهُو الحديث كأنها  
أخو سقطة قد أسلمته العوائد

وأنواع النسب كثيرة ، وهذا الذي أنشدته أفضلها في مذاهب المتقدمين ،  
وللمحدثين طريق غير هذه كثيرة الأنواع أيضا :

فما أختار من ذلك ما ناسب قول أبي نواس :

حَلَّتْ سَعَادٌ وَأَهْلُهَا سَرَفًا  
وَكُنْ سَعْدَى إِذْ تَوَدَّعْنَا  
قَوْمًا عِدَى وَمَحَلَّةٌ قُدْفًا  
وَقَدْ اشْرَأَبَ الدَّمْعُ أَنْ يَكْفَا  
رَشًا تَوَاصِينَ الْقِيَانُ بِهِ  
حَتَّى عَقَدْنُ بِأُذُنِهِ شَفْعًا

مما يختار  
من نسب  
المحدثين

(١) رواية الفضليات « ناهد الثدي » .

لمسلم بن  
الوليد

فإن هذا في غاية الجودة ونهاية الإحسان ، وما ناسب قول مسلم بن الوليد :  
أَحِبُّ التي صَدَّتْ وقالت لِتَرْبِها : دَعِيه ، الثَّرَيَّا مِنْهُ أَقْرَبُ مِنْ وَصَلِي  
أَمَاتَتْ وَأَخَيَّتْ مُنْجَبِي فَغَيَّ عِنْدَها مُعَلَّقَةٌ بَيْنَ اللِّوَاعِيدِ وَالْمَظَلِ  
وَمَا نِلْتُ مِنْهَا نَائِلًا غَيْرَ أَنِّي بِشَجْوِ الْحَبِيبِ الْآلِي سَلَفُوا قَبْلِي  
بلى ، رَمَا وَكَلْتُ عَيْنِي بِنَظَرَةٍ إِلَيْهَا تَزِيدُ الْقَلْبَ خَبَلًا عَلَى خَبَلٍ

للبحترى

ومن الجيد قول الوليد بن عبيد البحتري :

رَدَدَنْ مَا خَفَّتْ مِنْهُ الْخُصُورُ إِلَى مَا فِي الْمَآزِرِ فَاسْتَمَقْلَنْ أَرْدَا  
إِذَا نَضَيْنَ شُؤْفَ الرِّيطِ آوَنَةً قَشَرْنَ عَنْ لَوْلُو الْبَحْرَيْنِ أَصْدَا  
والبحتري أرق الناس نسيبا ، وأما حهم طريقة ، ألا تسمع قوله :

إِلى وَإِنْ جَانَبْتَ بَعْضَ بَطَالَتِي وَتَوَهَّمِ الْوَاشُونَ أَنِّي مُقْصِرُ  
لَيْشَوْقِي سِحْرُ الْعَيُونِ الْمُجْتَلَى وَيُرَوِّقِي وَرْدُ الْخُلُودِ الْأَخْرُ

وشعره من هذا النمط ، لا سيما إن ذكر الطيف ؛ فإنه الباب الذي شهر به ،

ولم يكن لأبي تمام حلاوة توجب له حسن التغزل ، وإنما يقع له من ذلك التافه لأى تمام

اليسير في خلال القصائد ، مثل قوله :

بِتُّ أَرعى الْخُلُودَ حَتَّى إِذَا مَا فَارَقُونِي بَقِيَتْ أَرعى التُّجُومَا  
وقوله أول قصيدة :

أَرَامَةُ ، كُنْتُ مَا لَفَ كُلَّ رِيمٍ لَوْ اسْتَمْتَعْتُ بِالْأَنْسِ الْمُقِيمِ  
أَدَارَ الْبُؤْسِ ، حَسَنُكَ التَّصَابِي إِلَى فَهَرْتِ جَنَاتِ النِّعَمِ  
وَمِمَّا ضَرَّمِ الْبُرْخَاءُ أُنَى شَكُوتُ فَمَا شَكُوتُ إِلَى رَحِيمِ

للمتدى

وأما أبو الطيب فمن ملبح ما سمعت له قوله :

كَثِيْبًا تَوَقَّاهِ الْعَوَازِلُ فِي الْهَوَى كَمَا يَتَوَقَّى رَيْضَ الْخَيْلِ حَازِمُهُ

قَفِي تَعْرَمُ الْأَوَّلَى مِنَ الْإِحْظِ مُهْجَتِي      بَثَانِيَّة ، وَالْمُتَلَفُ الشَّيْءُ غَارْمَةٌ  
سَقَاكَ وَحَيَانَا بِكَ اللَّهُ ، إِنَّمَا      عَلَى الْعَيْسِ نَوْرٌ وَالْخُدُورُ كَأَمَّةٌ  
فَقَدْ جَاءَ بِأَمْلَحِ شَيْءٍ وَأَوْفَاهُ مِنَ الظَّرَافَةِ وَالْغَرَابَةِ .  
وَقَوْلُهُ يَذْكَرُ رَجَعَ أَحِبَابَهُ :

نَزَلْنَا عَنْ الْأَكْوَارِ نَمْسِي كَرَامَةً      لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُذَلِّمَ بِهِ رُكْبَا  
نَذَمُ السَّحَابِ الْغُرَّ فِي فَعْلَاهَا بِهِ      وَنُعْرِضُ عَنْهَا كُلَّمَا طَلَعَتْ عَتَبَا  
وَقَالَ فِي ذِكْرِ الدِّيَارِ أَيْضًا :

وَدُسْنَا بِأَخْفَافِ الْمَطِيِّ تَرَاهَا      فَلَا زِلْتُ أَسْتَشْفِي بِلَثْمِ الْمُنَاسِمِ  
دِيَارُ اللَّوَاتِي دَارُهُنَّ عَزِيزَةٌ      بِسُمْرِ الْقَنَا يُحْفَظْنَ لَا بِالتَّمَامِ  
حَسَانُ الثَّنْيَى يَنْقُشُ الْوَشْيُ مِثْلَهُ      إِذَا مِشْنَ فِي أَجْسَامِهِنَّ النُّوَاعِمِ  
وَيَبْسِمْنَ عَنْ دُرِّ تَقْلَدْنِ مِثْلَهُ      كَانَ التَّرَاقِي وَشَجَّتْ بِالْمُبَاسِمِ

ورد جماعة من الكتاب على العتابي ، وهو بحلب ، وفي يده رقعة ، وقد  
أطال فيها النظر والتأمل ، فقال : أرايتم الرقعة التي كانت في يدي ؟ قالوا : نعم ،  
قال : لقد سلك صاحبها واديا ما سلكه غيره ، فله دره ، وكان في الرقعة قول  
أبي نواس :

لَأَبِي نَوَاس      رَسَمُ الْبَكْرِى بَيْنَ الْجَفُونِ مُحِيلُ      عَفَى عَلَيْهِ بُسْكَى عَلَيْكَ طَوِيلُ  
أَيْضًا      يَا نَاطِرًا مَا أَقْلَعْتُ لِحَظَاتِهِ      حَتَّى تَشَحَّطَ بَيْنَهُنَّ قَتِيلُ  
أَغْزَلَ بَيْت      زَوَى الْأَصْمَعَى عَنْ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ أَنَّهُ قَالَ : أَغْزَلَ بَيْتَ قَالَتِهِ الْعَرَبُ  
لَا بِنَ أَبِي      قَوْلَ عَمْرِو بْنِ أَبِي رَيْعَةَ :

فَتَضَاحَكْنَ وَقَدْ قُلْنَ لَهَا :      حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مِنْ تَوَدُّ

وَكَانَ الْأَصْمَعَى يَقُولُ : أَغْزَلَ بَيْتَ قَالَتِهِ الْعَرَبُ قَوْلَ امْرِئِ الْقَيْسِ :

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبِي      نَسَهْمَيْكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ



وحكى عن الوليد بن يزيد بن عبد الملك أنه قال : لم تقل العرب بيتاً أغزل

لجميل

من قول جميل بن معمر :

لكل حديث بينهن بشاشة وكل قتل عندهن شهيد  
وفضلته بهذا البيت سكينه بنت الحسين بن علي رضوان الله عليهم ، وأثابته  
به دون جماعة من حضر من الشعراء .

للأحوص

وقال بعضهم : الأحوص من أغزل الناس بقوله :

لجميل أيضاً

إذا قلت إني مُستَفٍ بلقائها وحُمّ التلاقي بيننا زادني سُقماً  
وقال غيره : بل جميل بقوله :

لجرير

يَمُوتُ الهوى مني إذا ما لقيتها ويَحْيَا إذا فارقَتْهُ فيعودُ  
وقال آخر : بل جرير بقوله :

فلما التقى الحَيَّانِ أَلْقَيْتِ العَصِي ومات الهوى لما أصيبت مقاتله  
والأحوص عندهم أغزلهم في هذه الأبيات الثلاثة ؛ لزيادته سُقماً إذا  
التقى بالمحبيب .

لأبي صخر

وقال الحاتمي : أغزل ما قالته العرب قول أبي صخر :

لأبي نواس

فَيَا حَبِيبَ زِدْنِي جَوْيَ كُلِّ نَيْلَةٍ وَيَا سَلَوَةَ الْأَيَّامِ مَوْعِدُكَ الْخَشْرُ  
وقال أبو عبيدة : ما حفظت شعراً لحدث ، إلا قول أبي نواس :

الأسماء التي  
بتغزل الشعراء

كَأَنَّ نِيَابَهُ أَطْلَعَنَ مِنْ أَرْزَارِهِ قَمَرًا  
يزيدك وجهه حسناً إذا ما زِدْتُهُ نَظْرًا  
بعين خالط التفكير من أجفانها الحورًا  
وخذت ساري لو تصوب ماؤه قطراً

وللشعراء أسماء تخف على ألسنتهم وتحلو في أفواههم ، فهم كثيراً ما يأتون فيها

بها زوراً نحو : ليلي ، وهند ، وسلوى ، ودعد ، ولبنى ، وعفراء ، وأزوى ،  
وريا ، وفاطمة ، ومية ، وعُلوة ، وعائشة ، والرباب ، وجمل ، وزينب ،  
ونعم ، وأشباههن .

ولذلك قال مالك بن زغبة الباهلي ، أنشد الأصبعي :

وما كان طيبي حُبها غير أنه يُقام بسلي للقواف صدورها<sup>(١)</sup>

وأما عزة وبلينة فقد هما كثير وجميل ، حتى كأنما حرماً على الشعراء . .  
وربما أتى الشعراء بالأسماء الكثيرة في القصيدة ؛ إقامة للوزن ، وتحلية للنسيب ،  
كما قال جرير :

أجد رواح القوم ؟ بل لات رَوْحُوا      نعم كل من يُفنى بِجُملي مُبرِّح  
ثم قال بعد بيت واحد :

إذا سائرَت أسماء يوماً ظعائناً      فأسماءُ من تلك الظعائن أُمَلح<sup>(١)</sup>  
ظلمت حَوالي خدر أسماء فانتحى      بأسماء مَوَارُ الملائطين أروح  
صحَّ القلبُ عن أسماء قد برَّحت به      وما كان يلقي من تماضر أبرح  
وأما قول السيد الحميري :

ولقد تكونُ بها أوانس كالدمى      هند وعبدة والرباب وبوزع  
فإنه ثقیل من أجل بوزع .

وأنكر هذه اللفظة عبد الملك بن مروان على جرير ، فما ظنك بالسيد الحميري ؟  
وكما كانت اللفظة أخلى كان ذكرها في الشعر أشهى ، اللهم إلا أن يكون الشاعر لم  
يزور الاسم ، وإنما قصد الحقيقة لا إقامة الوزن ؛ فينشد لاملامة عليه ، ما لم يجد في  
الكنية مندوحة . .

وقال يزيد بن أم الحكم :

(١) الطب : العادة والسجية ، وقال الشاعر :

وما إن طبناجين ، ولكن منايا ودولة آخرينا

(٢) يروى \* . . . طعية . . . من تلك الطعينة . . .

أَمْسَى بِأَسْمَاءَ هَذَا الْقَلْبِ مَعْمُودًا إِذَا أَقُولُ صَحًّا يَعْتَادُهُ عِيدًا  
كَانَ أَحْوَرَ مِنْ غِرِّ لَانَ ذِي بَقَرٍ أَهْدَى لَهَا شَبَةَ الْعَيْنَيْنِ وَالْجِيدَا  
عَلَى أَنْ بَعْضُهُمْ رَوَاهُ « أَهْدَى لَهَا شَبَةَ الْعَيْنَيْنِ » وَهُوَ أَجُودُ لَا مَحَالَةَ ، وَمِثْلُ  
هَذَا كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِ الْقَدَمَاءِ ، وَلَسْتُ أَرَى مِثْلَهُ مِنْ عَمَلِ الْمُحَدِّثِينَ صَوَابًا ،  
وَلَا عِلْمَتَهُ وَقَعَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ ، إِلَّا مَا نَاسَبَ قَوْلَ السَّيِّدِ الْمُتَقَدِّمِ آتِنَا ، وَقَوْلُ أَيْ  
تَمَامِ الطَّائِي :

وَلَمَّا رَحَلْتُ فِي طُعْمِهِمْ وَحُدُوجِهِمْ زَيَانِبُ مِنْ أَحِبَابِنَا وَعَوَاتِكُ  
وَمِنْ عِيُوبِ هَذَا الْبَابِ أَنْ يَكْثُرَ التَّغْزُلُ وَيَقْلُ الْمَدِيحُ ، كَمَا يَحْكِي عَنْ شَاعِرٍ  
أَتَى نَصْرَ بْنَ سَيَّارٍ بِأَرْجُوزَةٍ فِيهَا مِائَةُ بَيْتٍ نَسِيبًا وَعِشْرَةَ أَيْتَاتٍ مَدِيحًا ، فَقَالَ  
لَهُ نَصْرُ : وَاللَّهِ مَا أَبْقَيْتُ كَلِمَةً عَذْبَةً وَلَا مَعَى لَطِيفًا إِلَّا وَقَدْ شَغَلْتَهُ عَنْ مَدِيحِي  
بِنَسِيبِكَ ، فَإِنْ أَرَدْتَ مَدِيحِي فَاقْتَصِدْ فِي النَّسِيبِ ، فَقَدْأَ عَلَيْهِ فَأَنْشَدَهُ :  
هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ لِأُمِّ عَمْرٍو ؟ دَعُ ذَا وَحَبْرٍ مَدْحَةٍ فِي نَصْرِ  
فَقَالَ نَصْرُ : لَا هَذَا وَلَا ذَاكَ ، وَلَكِنْ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ .

فَأَمَّا مَذْهَبُهُ الْأَوَّلُ فِي طَوْلِ النَّسِيبِ وَقَصْرِ الْمَدِيحِ فَإِنْ نَصَبْنَا اتَّبَعَهُ فِيهِ ، وَلَكِنْ  
ذَاكَ مِنْهُ إِنَّمَا كَانَ عَلَى اقْتِرَاحٍ فِي الْقَصِيدَةِ الَّتِي مَدَحَ بِهَا بَنِي جَبْرِيلَ ، وَأَمَّا الْمَذْهَبُ  
الثَّانِي فَانْتَحَلَهُ أَبُو الطَّيِّبِ فِي قَوْلِهِ :

وَاحَرَّ قَلْبَاهُ مِنْ قَلْبِهِ شَيْمُ وَمِنْ مَحْسَمِي وَحَالِي عِنْدَهُ مَقَمُ  
ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَدْحِ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي .

وَيَعَابُ عَلَى الشَّاعِرِ أَنْ يَفْتَخِرَ أَوْ يَتَعَاطَى [ فَوْقَ ] قَدْرِهِ ، كَمَا أَخَذَ عَلَى  
عَبَّاسٍ قَوْلَهُ :

فَإِنْ تَقْتُلُونِي لَا تَفْتَوُوا مَهْجَتِي مَصَالِيَتَ قَوْمِي مِنْ حَنِيفَةٍ أَوْ عَجَلٍ  
وَعَيْبُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ وَهُوَ صَمِيمٌ بِي تَمِيمٌ قَوْلُهُ :

يَا أُخْتَ حَاجِيَةِ بْنِ سَامَةَ إِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ بَنِيَّ إِنْ طَلَبُوا دُمِي  
اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ النِّسِيبُ الَّذِي يَصْنَعُ مَجَازَا كَالَّذِي فِي بَسْطِ الْقَصَائِدِ ،  
فَإِنْ ذَلِكَ لَا بَأْسَ بِهِ ، وَلَا مَكْرُوهٌ فِيهِ .

وسمع ابنُ أبي عتيق قولَ ابنِ أبي ربيعة المخزومي :

بِئْسَ مَا يَنْعَمُنَنِي أَبْصَرَ نَفْسِي دُونَ قَيْدِ الْمِيلِ يَعْدُو بِي الْأَغْرَ  
قَالَتِ الْكُبْرَى : أَتَعْرِفُنَ الْفَتَى ؟ قَالَتِ الْوُسْطَى : نَعَمْ ، هَذَا عَمْرُ  
قَالَتِ الصَّغْرَى وَقَدْ تَيْمَمْتُهَا : قَدْ عَرَفْنَاهُ ، وَهَلْ يَخْفَى الْقَمْرُ ؟  
فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ لَمْ تَنْسُبْ بِهِنَّ ، وَإِنَّمَا نَسَبْتَ بِنَفْسِكَ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَدْبِغِي لَكَ  
أَنْ تَقُولَ : قَالَتْ لِي قَتَلْتُ لَهَا ، فَوَضَعْتَ خَدِي فَوَطَّئْتَ عَلَيْهِ .  
وَكَذَلِكَ قَالَ لَهُ كَثِيرٌ لَمَّا سَمِعَ قَوْلَهُ :

قَالَتْ لَهَا أُخْتُهَا تَعَاتِبُهَا : لَا تُفْسِدَنَّ الطَّوَافَ فِي مُعَمَّرِ  
قَوْمِي تَصَدَّقْ لِي لِأَبْصَرِهِ ثُمَّ اغْمِزِيهِ يَا أُخْتَ فِي خَفَرِ  
قَالَتْ لَهَا : قَدْ غَمِزْتَهُ فَأَبَى ثُمَّ اسْتَبْطَرْتُ تَشْتَدُّ فِي أُتْرَى

أَهَكَذَا يُقَالُ لِلْمَرْأَةِ ؟ إِنَّمَا تُوصَفُ بِأَنَّهَا مَطْلُوبَةٌ مَمْتَنَّةٌ .

قال بعضهم - أظنه عبد الكريم - : العادة عند العرب أن الشاعر هو  
المفغزل المتماوت ، وعادة المعجم أن يجعلوا المرأة هي الطالبة والراغبة الخاطبة ، وهنادليل  
كرم النحيزة في العرب وغيرها على الحرم .  
وعاب كثير على نصيب قوله :

أَهَيْمُ بَدْعِي مَا حَيَّيْتُ ، فَإِنْ أَمْتُ فَيَا لَيْتَ شَعَرِي مَنْ يَهَيِّمُهَا بَعْدِي  
حَتَّى إِذَا قَالَ لَهُ : كَأَنَّكَ اغْتَمَمْتَ لِمَنْ يَفْعَلُ بِهَا بَعْدَكَ ، وَهُوَ لَا يَكُنِي . .  
ومثل هذه الحكاية ما قاله بعض الكتاب - وقد دخل على علي بن عبد الله بن  
جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وهو

محبوس - فقال: أين هذا الجعفرى الذى يَتَدَيَّثُ فى شعره ؟ قال على : فعلت أنه يريدنى لقولى :

ولما نَدَا لى أَمَها لا تَحْبِنى وَأَنْ هَوَاها لیس عَنِ بِمُنْجَلِى  
تَمَنَيْتُ أَنْ تَهْوِ سِوَاىَ ، لَعَلَّها تَذُوقُ صَبَابَاتِ الهوى فَتَرْقُ لى  
فَمَا كَانَ إِلَّا عَنْ قَلِيلٍ وَأَشْغَفْتَ مَحَبَّ غَزَالٍ أَدْعَجَ العُرفُ أَكْثَلَ  
وَعَذَّبَها حَتَّى أَذَابَ فُؤادَها وَذَوَّقَها طَعَمَ الهوى وَالتَذَلُّ  
فَقُلْتُ لَهَا : هَذَا بَهْذَا ، فَأَطْرَقَتْ حَيَاءً ، وَقَالَتْ : كُلُّ مَنْ عَايَبَ ابْتَلَى  
فَقُلْتُ : أَنَا هُوَ جَعَلْتُ فِدَاكَ ، وَأَنَا الَّذِى أَقُولُ فى الغيرة :

رَبِّمَا سَرَى صُدُودُكَ عَنِّى وَطَلَا بَيْكِ وَامْتِنَاعُكَ مِنِّى  
حَذَرًا أَنْ أكون مُفْتَاحَ غَيرِى فَإِذَا مَا خَلُوتُ كُنْتُ التَّمَنَّى

ويعاب ما ناسب قول الآخر ، وهو جميل :

فَلَوْ تَرَكْتُ عَقْلِي مَعِى مَا طَلَبْتُهَا وَلَسَكُنْ طَلَابُيْهَا لَمَّا فَاتَ مِنْ عَقْلِي  
لأن الصواب قول عباس ، أو مسلم :

أَبْكِ وَقَدْ ذَهَبَ الفُؤَادُ ، وَإِنَّمَا أَبْكِ لِفَقْدِكَ لَا لِفَقْدِ الذَّاهِبِ

طرد  
الخيال  
فأما طرد الخيال والحجارة فى المحبة فهو مذهب مشهور ، وقد ركه جلة  
الشعراء ، ورواه رواة : منهم طرفة ، ولييد ، ثم جرير ، ثم جميل ، فقال طرفة ،  
وهو أول من طرده :

فَقُلْ خَيَالِ الحَنَظَلِيَّةِ يَنْقَلِبُ إِلَيْهَا ، فَإِذَا وَاصِلٌ حَبْلٌ مَنْ وَصَلَ

وقال لييد فى مثل ذلك :

فَأَقْطَعْ لُبَّائَةً مِنْ تَعَرَّضَ وَصْلُهُ وَأَشْرُ وَاصِلٍ خُلَّةٍ صَرَّائِمُهَا

يقول : اقطع المزار من تعرض وصله للقطيعة - ويقال : تعرض التىء ،

إذا فسد ، حكاها الخليل - فإن شر من وصلك من قطعك بلا ذنب ، يريد

الذى تعرض وصله ، ومن الناس من رواه \* ونخير واصل خلة صرامها \*  
يقول : إن خير من وصل الخلة من قطعها باستحقاق ، يعنى نفسه . .

وقال جرير

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ ، وَلَيْسَ ذَا وَقْتُ الزَّيَارَةِ ، فَأَرْجِي بِسَلَامٍ  
على أن قوما زعموا أنه كان مُحَرِّمًا ، فلذلك طرد الخيال ، كأنه تخرج وليس  
طرد عتب .

وقال جميل :

وَلَسْتُ - وَإِنْ عَزَّتْ عَلَى - بِقَائِلٍ لَهَا بَعْدَ صَرِّمٍ : يَا بُتَيْنُ صِلِي  
وجرى على سَنَنِ هَؤُلَاءِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمَوْلَدِينَ ، واعتقدوا هذا المذهب قولاً  
وفعلًا ، حتى تعداه بعضهم إلى القتل ، مثل عبد السلام بن رغبان ، ونصر  
الخابز أُرْزُ<sup>(١)</sup> ومن شا كلهما من الشطار ، إلا أن أصل هذا المذهب عند  
قدامة فاسد ، وعاب على نابغة بنى تغلب - واسمه الحارث بن عدوان ، أحد بنى  
زيد بن عمرو بن غنم بن تغلب - قوله :

بَخِيلِنَا لِبَخْلِكَ لَوْ تَعْمَلِينَ وَكَيْفَ يَعْيبُ بُخَيْلٌ بُخَيْلًا ؟  
لأن الواجب عنده فى التفرل أن يكون على خلاف هذا ، وكل ما لا يليق  
بالحبيب فهو مكروه فى باب النسيب .

من الأمانى  
غير المقبولة

قالت عزة لكثير يوماً - ويقال بثينة - ما أردت بنا حين قلت :  
وَدِدْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ أَنْكَ بَكْرَةٍ وَأَنْى هَجَانٌ مُصْعَبٌ ثُمَّ نَهْرُبُ  
كلانا به عَرَّةٌ فَمَنْ يَرَنَا يَقُلْ عَلَى حُسْنِهَا جَرَبَاءُ تُعْدِي وَأَجْرَبُ  
نَسْكُونُ لَدَى مَالٍ كَثِيرٍ مُغْفَلٍ فَلَ هُوَ يَرَعَا وَلَا نَحْنُ نَطْلُبُ

إذا ما وردنا منهلًا صَاحَ أَهْلُهُ عَلَيْنَا ، فَلَا نَنْفَكُ نُرْمَى وَنُضْرَبُ  
لقد أردت بنا الشقاء ، أما وجدت أمنية أوطأ من هذه ؟ ! فخرج من  
ههنا خجلًا

وإنما اقتدى بالفرزدق حيث يقول ، وهذا من سوء الانبعاث :  
أَلَا لَيْتَنَا كُنَّا بَعِيرِينَ لَا نَرِدُ عَلَى حَاضِرٍ إِلَّا نَشْلُ وَنُقَذِفُ  
كَلَانَا بِهِ عَرًّا يُخَافُ قِرَافُهُ عَلَى النَّاسِ مَطْلَى الْأَشَاعِرِ أَخْشَفُ  
بَارِضٍ خِلَاءَ وَحَدَنَا وَثِيَابُنَا مِنَ الرِّبْطِ وَالِدِيَابِاجِ دِرْعٌ وَمَلْحَفُ  
وَلَا زَادَ إِلَّا فَضْلَتَانِ : سُلَافَةٌ وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْغَامَةِ قَرَقَفُ  
وَأَسْلَاهُ لَحْمٌ مِنْ حُبَارَى يَصِيدُهَا إِذَا نَحْنُ سِتْنَا صَاحِبٌ مُتَأَلِّفُ  
لَنَا مَا تَمْنَيْنَا مِنَ الْعَيْشِ مَادَعَا هَدِيلاً بَنِعَانٍ سَحَائِمٍ هَتَفُ  
وإذا كان بغيراً فما هذه الأمنية التي كلها للحيوان الناطق ؟ لولا أنه ردها إلى  
نفسه حقيقة ، وإلا فما أملح الجمل نشوان يصيد الحبارى بالبازي .  
وبغايب هذا الباب كثيرة ، وفيما قدمت منها دليل على باقيها .

اشتقاق  
التشبيب

واشتقاق التشبيب يجوز أن يكون من ذكر الشبيبة ، وأصله الارتفاع ، كأن  
الشباب ارتفع عن حال الطفولية ، أو رفع صاحبه ، ويقال : شَبَّ الفرسُ ، إذا  
رفع يديه وقام على رجليه .

قال الحافظ : يقال شَبَّتِ النارُ شَبُوبًا ، وشَبَّ الفرسُ بيديه فهو يشب  
شبيبًا ، ويقال : مالكَ عَضَاضٌ وَلَا شَبَابٌ ، انقضى كلامه .

و يجوز أن يكون من الجلاء ، يقال : شَبَّ الْحِمَارُ وَجْهَ الْجَارِيَةِ ، إذا جَلَّاهُ  
ووصف ما تحته من محاسنه ؛ فكأن هذا الشاعر قد أبرز هذه الجارية في صفته  
إياها وجَلَّاهَا للعيون ، ومنه الشب الذي يحتل به وجوه الدنانير ، ويستخرج  
غشها ، ومنها : شَبِيت النارُ ، إذا رفعت سَنَاهَا وزدتها ضياءً .

وأشد الأضحية لكاشة بن أبي مسعدة :

\* يَدْفَعُ عَنْهَا كُلَّ مَشْبُوبٍ أَغْرَ \*

قال : المشبوب الذي إذا رأيتَه فَرِغْتَ لِحْسَنِهِ . . قال ابن دريد : شببت في الشعر شيبياً ، مثل نسبت نسيباً ، والنسيب أكثر ما يستعمل في الشعر .

#### (٧٤) — باب في المديح

وسيل الشاعر — إذا مدح ملكاً — أن يسلك طريقة الإيضاح والإشادة بذكره للمدوح ، وأن يجعل معانيه جزلة ، وألفاظه نقيية ، غير ممتدلة سوقية ، ويحتجب — مع ذلك — بالتقصير والتجاوز والتطويل ؛ فإن للملك سامة وضجراً ، ربما عاب من أجلها ما لا يعاب ، وحرّم من لا يريد حرمانه ، ورأيت عمل البحترى — إذا مدح الخليفة — كيف يُقْلُ الأبيات ، ويبرز وجوه المعاني ، فإذا مدح الكتاب عمل طاقته ، وبلغ مراده .

وقد حكى عن عمارة أن جدّه جريراً قال : يا بُنَيَّ ، إذا مدحتهم فلا تطيلوا المادحة ؛ فإنه ينسى أولها ، ولا يحفظ آخرها ، وإذا هجوتهم فخالقوا . قال عبد الكريم : وهذا ضد قول عقيل بن عُلقمة المرادي ، وحكى غيره قال : دخل الفرزدق على عبد الرحمن بن أم الحكم ، فقال له عبد الرحمن : أبا فراس ، دعني من شعرك الذي ليس يأتي آخره حتى يُنسى أوله ، وقال : قل فيّ بيتين يعلقان بالرواة ، وأنا أعطيك عطية لم يعطكها أحد قط قبلي ، ففدا عليه وهو يقول :

وَأَنْتَ ابْنَ بَطْحَاوَيْ قُرَيْشٍ ، وَإِنْ تَشَأْ

تَكُنْ مِنْ ثَقِيفٍ سَيْلَ ذِي خَدَرٍ غَمَرٍ<sup>(١)</sup>

(١) في الديوان « تنل من ثقيف سيل ذي حدب غمر » .



وأنت ابنُ سوارِ الـيدين إلى العـلى  
تـكـفـت بك الشـمسُ المـضيئةُ للبـدرِ<sup>(١)</sup>  
قـال : أحـسـنت ، وأمر له بعـشرة آلاف درـهم .

وإذا كان المدوح ملكاً لم يبال الشاعر كيف قال فيه ، ولا كيف كيف يمدح  
أطنب ، وذلك محمود ، وسواء المذموم ، وإن كان سوقة فأياك والتجاوز به  
خطئه ؛ فإنه متى تجاوز به خطئه ؛ كان كمن نقصه منها ، وكذلك لا يجب أن  
يقصر عما يستحق ، ولا أن يعطيه صفة غيره ؛ فيصف الكاتب بالشجاعة  
والقاضي بالحكمة والمهابة ، وكثيراً ما يقع هذا لشعراء وقتنا ، وهو خطأ ، إلا أن  
تصعبه قرينة تدل على صواب الرأي فيه ، وكذلك لا يجب أن يمدح الملك  
ببعض ما يتجه في غيره من الرؤساء ، وإن كان فضيلة .

وذلك مثل قول البحترى يمدح المعتز بالله :  
لا العـذلَ يـرـدُّه ولا التـغـنـيفُ عن كـرمِ يـصـدُّه  
فإنه مما أنكره عليه أبو العباس أحمد بن عبد الله ، وقال : مَنْ ذا يعنف  
الخليفة على الكرم أو يصدّه ؟ هذا بالهجاء أولى منه بالمدح .  
وعيب على الأخطل قوله في عبد الملك بن مروان :  
وقـد جـعلَ اللهُ الخـلـافـةَ مِنْهُمْ لأبيض لا عارى الخوان ولا جَدْب  
وقالوا : لو مدح بها حراً سيئاً لعبد الملك لكان قد قصّر به .  
قلت أنا : وإن كان فلا بد من ذكر الضيافة والقرى ، كقول

ابن قيس الرقيات لمصعب بن الزبير :  
يلبسُ الجليشَ بالجيشِ ويسقى لبـنَ البُخـتِ في عِـسـاسِ الخـلـنـجِ  
لأن هذا - وإن لم يعدد به مباحة العرب في سقى اللبن - فقد زاده رتبة عرف  
بها أنه ملك . وأجود منه في معناه قولُ حسان في آل جَفَنَةَ :

(١) في الديوان :

وأنت ابن فرع ماجد لعقيلة تلقت له الشمس المضيئة بالبدر  
( ٩ - العدة ٢ )

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمْ  
بَرَدَى يُصَفَّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسِلِ  
ويروى « مسكا » .

وعابوا على الأحوص قوله للملك :  
وأراك تفعل ما تقول ، وبعضهم  
فقالوا : إن الملوك لا تمدح بما يلزمها فعله كما تمدح العامة ، وإعما تمدح  
بالإغراق والتفضيل بما لا يتسع غيرهم لبذله .  
ومن هذا النوع قول كثير :

رأيت ابن ليلى يعتري صلب ماله مسائل شتى من غنى ومُضَرِّمِ  
مسائل إن توجَّدَ لديك تجدُّ بها يداك ، وإن تُظَلِّمَ بها تَظَلِّمَ  
لأن هذا إنما يقع لمن دون الخليفة والملك ، وإنما أخذه من قول زهير في هَرَمِ  
أبن سنان ، وليس بملك ، ولذلك حسن قوله :  
هو الجواد الذى يعطيك نائله عَفْوَاً ، وَيُظَلِّمُ أحياناً قَيْظَلُ  
يريد أنه يُسأل أحياناً ما ليس قبله فيحتمله ، هذا ، وقد قال الصولى فى  
شرح قول<sup>(١)</sup> حبيب :

لويجاجى ركن المديح كثيرا بمعانيه خالها سيبا<sup>(٢)</sup>  
طاب فيه المديح والتَّذُّ ، حتى فاقَ وَصَفَ الدِّيارِ والتَّشْيِيبِ  
سألت عون بن محمد الكندى : لم خص كثيرا ؟ فقال : سمعته يقول : أمدح  
الناس زهير والأعشى ، ثم الأخطل وكثير .

(١) البيتان فى الديوان ( ص ٢٦ ) بتقديم الثانى على الأول من قصيدة يمدح  
بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغرى .  
(٢) رواية الديوان \* لوفادى ذكر المديح كثيرا \* وكان فى الأصول  
كلها « بمعانيهن » وهو خطأ ، وبه ينكسر وزن البيت .

وحكى غير الصولى أن مروان بن أبى حفصة كان يقدم كثيراً فى المدح على جرير والفرزدق .

ومما قدم به زهير قوله :

لو كان يقعدُ فوقَ النجمِ من كَرَمٍ      قومٌ بأولهم أو مجدهم قعدُوا  
قومٌ سِنَانُ أبوم حينَ تَنسُبُهُمْ      طابوا وطابَ من الأولاد ما ولدوا  
إنسٌ إذا أُمِنُوا ، حينَ إذا فزعُوا ،      مرزَأُونُ بهَالِيلٍ إذا جهدُوا  
مُحَسِّدُونَ على ما كانَ من نعمٍ      لا ينزعُ اللهُ عنهم ماله حسدُوا

ويروى \* غرَّبَ بهَالِيلٍ فى أعناقهم صَيِّدٌ \* وقَدَّمه قدامة بن جعفر الكاتب فقال فى كتابه نقد الشعر : لما كانت فضائل الناس من حيث هم ناس ، لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوانات ، على ما عليه أهل الألباب من الاتفاق فى ذلك ؛ إنما هى العقل والعفة والعدل والشجاعة ؛ كان القاصد للمدح بهذه الأربعة مصيباً ، وبما سواها مخطئاً .

فقال زهير :

أَخِي ثِقَّةٌ لَا يُهْلِكُ اتَّخَمُ مَالُهُ      وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ الْمَالُ نَائِلُهُ  
لأنه قد وصفه بالعفة لقلة إمعانه فى الذات وأنه لا ينفد فيها ماله ، وبالسخاء لإهلاكه ماله فى النوال وانحرافه إلى ذلك عن الذات ، وذلك هو العقل ، ثم قال :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتُهُ مُتَهَلِّلًا      كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ  
أراد أن فرحه بما يعطى أكثر من فرحه بما يأخذ ، فزاد فى وصف السخاء منه : بأن جعله يهش ، ولا يلحقه مضض ، ولا تسكرته لفعله . . ثم قال :

فَمَنْ مِثْلُ حِصْنٍ فى الحُرُوبِ ومثله      لِإِنْكَارِ ضَمِيمٍ أَوْ لِحَصْمٍ يُجَادِلُهُ

فأتى في هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة والعقل ، فاستوفى ضروب  
 المدح الأربعة . التي هي فضائل الإنسان على الحقيقة ، وزادها ما هو وإن  
 كان داخلا في الأربعة فكثير من الناس من لا يعرف وجه دخوله فيها  
 حيث قال « أخى ثقة » فوصفه بالوفاء ، والوفاء داخل في هذه الفضائل التي  
 قدمنا ، وقد تفنن الشعراء فيعدون أنواع الفضائل الأربع وأقسامها وكل  
 داخل في جملة ما مثل أن يذكروا ثقابة المعرفة ، والحياء ، والبيان ، والسياسة ،  
 والصدع بالحجة ، والعلم ، والحلم عن سفاهة الجهالة ، وغير ذلك مما يجري  
 هذا الجرى ، وهي من أقسام العقل ؛ وكذكركم القناعة ، وقلة الشهوة ،  
 وطهارة الإزار ، وغير ذلك ، وهي من أقسام العفة ؛ وكذكركم الحماية ،  
 والأخذ بالتأثر ، والدفع عن الجار ، والنكاية في العدو ، وقتل الأقران ، والمهابة ،  
 والسير في المهامه والقفار الموحشة ، وما شاكل هذا ، وهو من أقسام الشجاعة ؛  
 وكذكركم السماحة ، والتغابن ، والانظلام ، والتبرع بالنائل ، والإجابة  
 للسائل ، وقيرى الأضياف ، وما جاس هذه الأشياء ، وهي من أقسام العدل .

وأما تركيب بعضها من بعض فيحدث منها ستة أقسام : يحدث من تركيب  
 العقل مع الشجاعة الصبر على الملأ ونوازل الخطوب ، والوفاء بالإيماذ ؛ وعن  
 تركيب العقل مع السخاء البر ، وإنجاز الوعد ، وما أشبه ذلك ؛ وعن تركيب  
 العقل مع العفة التنزه ، والرغبة عن المسألة ، والاقتصار على أدنى معيشة ،  
 وما أشبه ذلك ؛ وعن تركيب الشجاعة مع السخاء الإتلاف ، والإخلاف ،  
 وما جانس ذلك ؛ وعن تركيب الشجاعة مع العفة إنكار الفواحش ، والغيرة على  
 الحرم ؛ وعن تركيب السخاء مع العفة الإسعاف بالقوت ، والإيثار على النفس ،  
 وما شاكل ذلك .

قال : وكل واحدة من هذه الفضائل الأربع المتقدم ذكرها وسط بين  
 طرفين مذمومين .

مدح أبو العتاهية عمر بن العلاء<sup>(١)</sup> فأعطاه سبعين ألفاً وخلع عليه حتى لم يستطع أن يقوم ، فغار الشعراء لذلك ، فجمعهم ثم قال : عجبا لكم معشر الشعراء ما أشد حسد بعضكم لبعض ، إن أحدم يأتينا لمدحنا فينسب في قصيدته بصديقه بخمسين بيتا فما يبلغنا حتى تذهب لذاذة مدحه ورونق شعره ، وقد أتى أبو العتاهية فنسب في أبيات بسيرة . ثم قال :

إني أمنتُ من الزمانِ وربِّه      لما علقتُ من الأميرِ حبَّالاً  
لو يستطيعُ الناسُ من إجلاله      لحدَّوا له حرَّ الخدودِ نعالاً  
إن المطايا تشكيك ؛ لأنها      قطعتُ إليك سباسباً وربَّالاً  
فإذا وردنَ بنا وردنَ خفائفاً      وإذا صدرنَ بنا صدرنَ فقَّالاً<sup>(٢)</sup>  
ومن مليح ما لأبي العتاهية في المدح قوله :

فتى ما استفاد المال إلا أفاده      سواء كأن الملك في كفه حلم  
إذا ابتسم المهديُّ نادى يمينه :      ألا من أتنا زائراً فله الحكم  
وله أيضاً في معنى بيتي الفرزدق اللذين سنعهما لعبد الرحمن بن أم الحكم<sup>(٣)</sup> :

(١) كان عمر بن العلاء مولى عمرو بن حريث صاحب المهدي بمدحه ، ومدحه أبو العتاهية فأمر له بسبعين ألف درهم ، فأنكر ذلك بعض الشعراء ؛ وقال : كيف فعل هذا بهذا السكوفي ؟ وأى شيء مقدار شعره ؟ فبلغه ذلك ، فأحضر الرجل وقال : إن الواحد منكم ليدور على المعنى فلا يصيبه ، ويتعاطاه فلا يحسنه ، حتى يشبب بخمسين بيتا ، ثم يمدحنا ببعضها ، وهذا كأن المعاني تجمع له ، مدحتي فقصر التشبيب ، ثم قال . . . وذكر الأبيات التي أنشدها المؤلف ، هذه رواية الأغاني هذا ، وقد انفقت نسخة الأغاني في ترجمة أبي العتاهية ( ٣ / ١٤٤ ) وترجمة بشار ( ٣ / ٤٦ ) على أنه « عمرو » بفتح العين وبالواو ، مع ذكر أبيات لبشار فيه ستأتي في ص ١٨٤ من هذا الجزء ولا تستقيم إلا بقراءته بضم العين وفتح الميم .  
(٢) في الأغاني ( ٣ / ١٤٤ بولاق ) « فإذا وردن بنا وردن مخففة » وقال : أخذ هذا المعنى من قول نصيب :

فعاوجوا فأثنوا بالذي أنت أهله      ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق

(٣) انظر ص ١٢٨ و ١٢٩ من هذا الجزء .

فلا مثلُ بَيْتَيْهِ في العالمين      أعزُّ بناء ولا أرفعُ  
قَبِيْتُ بِنَاءُ له هاشمٌ      وبيتٌ بِناء له تبعُ  
وَلَوْ حاولَ الدهرُ ما في يديه      لعادَ وعِرْنَيْنُهُ أجْدَعُ

ومن اللديح المخصوص عليه قول زهير :

وفيهم مقاماتٌ حِسانٌ وجُوهها      وأنديَّةٌ يَنْتَابُهَا القَوْلُ وَالْفِعْلُ  
وإن جتَّهم أَلْفَيْتَ حولَ بُيُوتِهِم      بحالٍسٍ قَدْ يُشْفَى بِأَحْلَامِهَا الْجَهْلُ  
عَلَى مُكْثَرِهِمْ حَقٌّ مَنْ يَغْتَرِبُهُمْ      وَعِنْدَ الْمُقْلِينَ السَّامَةِ وَالْبَذْلُ  
سَعَى بَعْدَهُمْ قَوْمٌ لَيْسَ يُذَكِّرُهُمْ      قَلَمٌ يَفْعَلُوا وَلَمْ يَلِيْمُوا وَلَمْ يَالُوا  
فَمَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا      تَوَارَتْهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ  
وَهَلْ يُنْبِتُ أَتْلَطَى إِلَّا وَشِيجُهُ      وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي هُنَاتِهَا النُّخْلُ

وكذلك أيضاً قوله :

مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمًا      يَلْقَى السَّامَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا  
لَيْثٌ يَبْعَثُ يَصْطَادُ الرِّجَالَ إِذَا      مَا كَذَبَ اللَّيْثُ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقًا  
يَطْعُنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا طَعَنُوا      ضَارَبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا اعْتَنَقَا  
فَضَلَ الْجَوَادِ عَلَى الْخِيلِ الْبِطَاءِ فَلَا      يُعْطَى بِذَلِكَ مَمْنُونًا وَلَا نَزَقًا  
هَذَا وَلَيْسَ كَمَنْ يَغِيَا بِخُطْبَتِهِ      وَسَطَ النَّدَى إِذَا مَا نَاطَقَ نَطَقًا  
لَوْ نَالَ حَتَّى مِنَ الدُّنْيَا مَكْرُمَةً      أَفْقَ السَّمَاءِ لَنَالَتْ كَفَّهُ الْأَفْقَا

وينبغي أن يكون قصد الشاعر في مدح السكاتب والوزير ما اختاره قدامة  
وغيره ، وكذلك ما ناسب حسن الروية ، وسرعة الخاطر بالصواب ، وشدة  
الحزم ، وقلة الغفلة ، وجودة النظر للحليفة ، والنيابة عنه في المعضلات بالرأى  
أوبالذات ، كما قال أبو نواس :

إِذَا نَابَهُ أَمْرٌ فَإِنَّمَا كَفَّيْتَهُ      وَإِنَّمَا عَلَيْهِ بِالْكَفِّ تَشِيرُ

ما يمدح به  
السكاتب  
والوزير

وبأنه محمود السيرة ، حسن السياسة ، لطيف الحس ، فإن أضاف إلى ذلك البلاغة ، والخط ، والتفنن في العلم ؛ كان غاية .

وأفضل ما مدح به القائد : الجود ، والشجاعة ، وما تفرع منهما ، نحو ما يمدح به القائد  
التخرق في الهيئات ، والإفراط في النجدة ، وسرعة البطش ، وما شاكل ذلك .  
و يمدح القاضي بما ناسب العدل والإنصاف ، وتقريب البعيد في الحق ، ما يمدح به  
وتباعد القريب ، والأخذ للضعيف من القوى ، والمساواة بين الفقير والغني ، القاضي  
وانسائط الوجه ، ولين الجانب ، وقلة البلالة في إقامة الحدود واستخراج  
الحقوق ، فإن زاد إلى ذلك ذكر الورع ، والتخرج ، وما شاكلهما ، فقد  
بلغ النهاية .

وصفات القاضي كلها لاثقة بصاحب المظالم ، ومن كان دون هذه الثلاث<sup>(١)</sup>  
الطبقات سوى طبقة الملك فلا أرى لمدحه وجها ، فإن دعت إلى ذلك ضرورة  
مدح كل إنسان بالفضل في صناعته ، والمعرفة بطريقته التي هو فيها ، وأكثر  
ما يعول على الفضائل النفسية التي ذكرها قدامة ، فإن أضيف إليها فضائل  
عرضية أو جسمية : كالجمال ، والأبهة ، وبسطة الخلق ، وسعة الدنيا ، وكثرة  
العشيرة ؛ كان ذلك جيداً ، إلا أن قدامة قد أبى منه ، وأنكره جملة ، وليس  
ذلك صواباً ، وإنما الواجب عليه أن يقول : إن المدح بالفضائل النفسية  
أشرف وأصح ، فأما إسكار ما سواها كركرة واحدة فما أظن أحداً يساعده فيه ،  
ولا يوافقه عليه .

وقد كره الخذاق أن تمدح الملوك بما ناسب قول موسى شهوات وروى لغيره :

(١) هذا استعمال كوفي ، وقد قال عنه الزحشرى : إنه « بمعزل عن الصواب »  
والصحيح عند البصريين أن يقال « ثلاث الطبقات » فيعرف المعدود ويضيف  
إليه العدد .

لَيْسَ فِيمَا بَدَأَ لَنَا مِنْكَ عَيْبٌ عَابَهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنْكَ فَاثِي<sup>(١)</sup>  
أَنْتَ نَعْمَ الْمَتَاعُ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَابْقَاءَ لِلنَّاسِ  
وَذَكَرَ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنَّهُ خَرَجَ مِنَ الْحَمَامِ ، وَهُوَ الْخَلِيفَةُ ، يَرِيدُ  
الصَّلَاةَ ، وَنَظَرَ فِي الْمَرَاةِ فَأَعْجَبَهُ جَمَالُهَا ، وَكَانَ حَسَنَ الْوَجْهِ ، فَقَالَ : أَمَا الْمَلِكُ  
الشَّابُّ ، وَيُرْوَى « الْفَتَى » فَتَلَقَّتْهُ إِحْدَى حَظَايَاهُ ، فَقَالَ لَهَا : كَيْفَ تَرِينَنِي ؟  
فَتَمَثَّلَتْ بِالْبَيْتَيْنِ الْمُتَقَدِّمِ ذَكَرَهَا ، فَتَطِيرُ بِهِمَا وَرَجَعَ ، فَحَمَّ فَمَا بَاتَ إِلَّا مَيِّتًا  
تِلْكَ اللَّيْلَةَ

سليمان بن  
عبد الملك  
يعجبه جماله

وَرَوَى عَنْ بَعْضِ الْمُلُوكِ أَنَّهُ قَالَ : مَا لِهَؤُلَاءِ الشُّعْرَاءِ قَاتِلُهُمُ اللَّهُ ، رُبَّمَا  
ذَكَرُونَا شَيْئًا نَحْنُ أَكْثَرُ ذِكْرًا لَهُ مِنْهُمْ فَيَنْغَضُّونَ بِهِ عَلَيْنَا أَوَاقَاتَ لَدُنَّا !! ؟ يَعْنِي  
بِذَلِكَ الْمَوْتَ .

وَمَنْ أَشْنَعَ مَا فِي ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :  
فَلْيَطْلُ عَمْرَهْ فُلُومَاتٍ فِي طَوِ سِمْيَا لَمَاتٍ فِيهَا غَرِيْبَا  
فَمَا الَّذِي دَعَا إِلَى ذِكْرِ الْمَوْتِ هَهُنَا إِلَّا النُّكْدُ وَالنَّعَاصَةُ ؟  
أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى تَقْدِيمِ قَوْلِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ بِمَدْحِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

مما يعاب على  
أبي تمام

مما يقدم قول  
كعب بن زهير  
في الرسول

تَحْمِلُهُ النَّاقَةُ الْأَدْمَاءُ مُعْتَجِرًا بِالْبَرْدِ كَالْبَدْرِ جَلِيَّ لَيْلَةٍ الظُّلَمِ  
وَفِي عِطَافَيْهِمْ أَوْ أُنْثَاءَ رِبْطَتِهِ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ دِينٍ وَمِنْ كَرَمٍ  
وَالْجَهَالُ يَرَوْنَ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ لِأَبِي دَهْبَلٍ الْجَمْحِيِّ ، وَيُنَاسِبُهُ قَوْلُ  
الْعَبَّاجِ :

يَحْمِلُنَ كُلَّ سُودٍ وَفَخْرٍ يَحْمِلُنَ مَا نَذَرِي وَمَا لَا نَذَرِي  
قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : وَأَصْلُهُ قَوْلُ الْحَارِثِ بْنِ حَازَةَ :

(١) الْبَيْتَانِ فِي الْأَغَانِي ( ٣ / ١٣٢ بَوَاقِ ) مَنْسُوبَيْنِ لِمُوسَى شَهَوَاتٍ ،  
يَقُولُهُمَا فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَثْمَانَ ، وَكَانَ مُوسَى قَدْ سَأَلَ بَعْضَ آلِ الزُّبَيْرِ حَاجَةً  
فَدَفَعَهَا عَنْهَا ، وَقَضَاهَا لَهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَثْمَانَ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ مِنْهُ .



وفعلنا بهم<sup>(١)</sup> كما علم الله وما إن الحائنين دماء  
قال : ولم يقل قطُّ شاعر « كما يعلم » أحسن من هذه الثلاثة المعاني<sup>(٢)</sup>  
قال أبو العباس المبرد : من الشعراء من يحمل المدح ، فيكون ذلك وجهاً  
حسناً ؛ لبلوغه الإرادة مع خلوه من الإطالة ، وبُعده من الإكثار ، ودخوله  
في الاختصار .

وذلك نحو قول الخطيئة<sup>(٣)</sup> :

تُزور فتي يُعطي على الحمدِ مالهُ      وَمَنْ يُعْطِ أَمَانَ المكارِمِ يُحْمَدِ  
تُزور فتي يُعطي على الحمدِ مالهُ      وَيَعْلَمُ أَنَّ الرءِ غَيْرُ مُخْلَدِ  
يَرَى البُخْلَ لَا يُبْقَى عَلَى الرءِ مالهُ      وَيَعْلَمُ أَنَّ الرءِ غَيْرُ مُخْلَدِ  
ورواه غيره \* أن المال غير مخلد \* .

كُسُوبٌ ومتلافٌ إذا ما سألته      تَهْلَلُ وَاهْتَزَّ أَهْتَزَّازَ المُنْهَدِ  
مَتَى تَأْتِيهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ ناره      نَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدِ

(١) سقط لفظ « بهم » من المصريتين ، وهو كما ترى ، وورد الشطر الثاني  
فيهما \* وما إن الحائنين ذماء \* على أن الحائنين بالخاء المعجمة جمع حائن ؛  
وذماء بالذال معجمة أيضاً ، والصواب أن الحائنين بالخاء مهملة جمع حائن وهو  
المهالك وفعله حان يحين حيناً ، ودماء بكسر الدال مهملة ، والمعنى وفعلنا بهم فعلاً  
بليغاً لا يحيط به إلا علم الله تعالى ، ولا دماء للمتعرضين للهلاك ، أي : لم يطلب  
بثأرهم ودمائهم .

(٢) سبق ( في ص ١٣٥ ) الاعتراض على هذا التعبير .

(٣) هكذا وردت رواية الأبيات في أصول هذا الكتاب ، والبيت الثاني  
منها لا وجود له في الديوان ( ص ٢٤ ) ولا معنى لبقائه قط ؛ لأنه من زيادات النسخ  
لا غير إذ هو عبارة عن تكرير صدر الأول وعجز الثالث .

تصرف في أبياته هذه في أصناف المديح ، وأتى بجماع الوصف وجملة المدح على سبيل الاختصار في البيت الأخير .

للشماخ

ومثله قول الشماخ :  
رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو إِلَى الْعَلِيَاءِ <sup>(١)</sup> مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ  
إِذَا مَارَايَهُ رُفِعَتْ لِجَدِيدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْمِينِ  
انتهى كلامه .

ومن أفضل ما مدح به الملوك وأكثره إصابة لغرض ما ناسب قول ابن هرمة المنصور :

أفضل  
مامدح به  
الملوك

له لحظاتٌ عن خِفَافِي سِرِيرِهِ <sup>(٢)</sup> إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلُ  
فَأُمِّ الذِي أَتَمَّتْ أَمْنَةَ الرَّدَى وَأُمِّ الذِي أَوَعَدَتْ بِالشَّكْلِ ثَاكِلَ <sup>(٣)</sup>  
وقول أبي العتاهية في مدح الهادي :

يَضْطَرُّ الْخُوفُ وَالرَّجَاءُ إِذَا حَرَّكَ مُوسَى الْقَضِيبُ أَوْ فُكِرَا  
وكذلك قول الحزین السكثانی في عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، وقد  
وقد عليه بمصر ، ويروى للفرزدق في علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي  
الله عنهم ، وقيل : بل قاله لاهية العين المنقري ، وقيل : بل الأبيات لداود بن سلم <sup>(٤)</sup>  
في قَسَمَ بن العباس بن عبد الله بن العباس :

فِي كَفِّهِ خَيْرُ رَأْيٍ رِيحُهُ عَاقِبُ مِنْ كَفِّ أَرْوَاحٍ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمُ  
يُنْفِضِي حَيَاءً وَيُنْفِضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُسْكَلُّ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ  
اجتمع الشعراء بباب المعتصم فبعث إليهم : من كان منكم يحسن أن يقول  
مثل قول منصور النيرى في أمير المؤمنين الرشيد :

الشعراء  
بباب المعتصم

- (١) في الديوان ( ص ٩٦ ) « إلى الخيرات » .
- (٢) المصريتین « خفافي » وهو تصحيف .
- (٣) في المصريتین « فأما . . وأما » وهو تحريف .
- (٤) في سائر الأصول « داود بن مسلم » تحريف ، وانظر ج ٢ ص ٢٥ من هذا الكتاب .

إِنْ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَهُ أَخْلَكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ  
إِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا فَاللَّهُ رَافِعُهُ وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الْأَقْوَامِ مُتَضَعٌ  
مَنْ لَمْ يَكُنْ بِأَمِينِ اللَّهِ مَعْتَصِمًا فَلَيْسَ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَنْتَفِعُ  
إِنْ أَخْلَفَ الْغَيْثُ لَمْ تُخْلَفْ أُنَامِلُهُ أَوْ ضَاقَ أَمْرُ ذِكْرِنَاهُ فَيَنْتَسِعُ  
فَلْيَدْخُلْ ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَهَبٍ : فِينَا مَنْ يَقُولُ خَيْرًا مِنْهُ ، وَأَنْشُدُ :  
ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهِمْ شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ<sup>(١)</sup>  
يَحْكِي أَفَاعِيلَهُ فِي كُلِّ نَائِلَةٍ الْغَيْثُ وَاللَيْثُ وَالصَّمَامَةُ الذِّكْرُ  
فَأَمْرٌ بِادْخَالِهِ وَأَحْسَنُ صَلَاتِهِ .

قَالُوا : لَمَّا حَضَرَتِ الْخَطِيبَةُ الْوَفَاةُ قَالَ<sup>(٢)</sup> : أَبْلَغُوا الْأَنْصَارَ أَنَّ أَخَاهُمْ أَمْدَحُ  
النَّاسِ حَيْثُ يَقُولُ :

يُغْشَوْنَ حَتَّى مَاتَهُ كَلَابِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمَقْبَلِ  
قَالَ ثَعْلَبُ : بَلْ قَوْلُ الْأَعَشَى :  
فَتَى لَوْ يَبَارَى الشَّمْسُ أَلْقَتْ فِنَاءَهَا أَوْ الْقَمَرُ السَّارَى لَأَتَى الْمَفَالِدَا  
أَمْدَحُ مِنْهُ .

وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ : بَلْ بَيْتُ جَرِيرٍ :  
أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونٌ رَاحَ  
أَسِيرٌ مَا قِيلَ فِي الْمَدْحِ وَأَسْهَلُهُ .  
وَقَالَ غَيْرُهُ : بَلْ قَوْلُ الْأَخْطَلِ :  
شُمْسُ الْعِدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَّرُوا  
وَقَالَ دَعْبَلُ : بَلْ قَوْلُ أَبِي الطَّمَحَانِ الْقَيْنِيِّ :  
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظُمَ الْعِقْدُ ثَائِقَهُ<sup>(٣)</sup>

(١) حَفْظِي «تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِطَلْعِهِمْ» (٢) فِي الْمَصْرِيَّتَيْنِ «قَالُوا» وَلَيْسَ بِشَيْءٍ .

(٣) حَفْظِي \* ... حَتَّى نَظُمَ الْجُزْعُ ثَائِقَهُ \*

قال : وقد تنازع في هذا البيت - يعني بيت أبي الطمحان - قوم ، وفي بيت حسان في آل جفنة ، وبيت النابغة :

فإنك شمسٌ والملوك كواكبُ إذا طلعت لم يبدُ مِنْهُنَّ كوكبُ  
وبيتُ أبا الطمَّحان أشعرُها .

قال الحاتمي : بل بيت زهير :

تراه إذا ماجتْهُ مُتَهَلِّلًا كأنك تُعْطِيهِ الذِي أَنْتَ سَائِلُهُ  
وحكى على بن هارون عن أبيه أنه قال : أجمع أهل العلم على أن بيتي أبي نُوَاس أجود ما للمولدين في المدح ، وهما قوله :

أَنْتَ الَّذِي تَأْخُذُ الْيَدِ بِحُجْرَتِهِ إِذَا الزَّمانُ عَلَى أَسْنَانِهِ كَلَحَا  
وَكَلَّتْ بِالْدهْرِ عَيْنًا غَيْرَ غَافِلَةٍ مِنْ جُودِ كَفِكَ تَأْسُوكُلَ مَاجِرًا

روى الحاتمي عن محمد بن عبد الواحد عن أحمد بن يحيى قال : سمعت ابن الأعرابي يقول : أمدح بيت قاله مولدٌ قول أبي نواس :

تَفَطَّيْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ فَعِمِي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي  
فَلَوْ تَسَأَلُ الْأَحْدَاثُ عَنِّي مَا دَرْتُ وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفَنِي مَكَانِي  
قال صاحب الكتاب : نحن إلى الإنصاف أحوج منا إلى المكابرة والخلاف ، أبو نواس ذهب مذهبا لطيفا يخرج له فيه العذر والتأويل ، وإلا فما في صفة الخمول أشد مما وصف ، لا سيما على رواية من روى :

\* فلو تسأل الأيام عني \*

ومن جيد ما سمعته لحدث - وأظنه لابن الرومي في عبيد الله بن سليمان ابن وهب ، ورأيت من يرويه لأبي الحسين أحمد بن محمد الكاتب - :

إذا أبو قاسم جادت لنا يدهُ لم يحمد الأجودان : البحرُ والمطرُ  
ولو أضاءت لنا أنوارُ غُرَّتِهِ تضائل النيران : الشمسُ والقمر

وإن مضى رأيه أو حَذُّ عزمته تأخر الماضيان : السيفُ والقَدَرُ  
من لم يبت حَذراً من خوفِ سَطَوته لم يدر ما المزحجان : الخوف والحذر  
ينال بالظنَّ ما يَفيًا العيانُ به والشاهدان عليه العَيْنُ والأثر  
كأنه وزمامُ الدهرِ في يده يرى عواقب ما يأتي وما يَذَرُ  
وقال خلف الأحمر : أغلب المدح أكثره مَلَقًا كقول زهير :

تَراه إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كأنك تُعْطيه الذي أنت سائلُهُ  
أخو ثقةٍ لا يَهْلِكُ الخمرُ مالهَ ولكنه قد يهلك المالُ نائِلُهُ  
غَدَوْتُ عليه غَدَوَةٌ فوجدته قعوداً لديه بالصَّريمِ عَوادِلُهُ  
يُفَدِّينُهُ طَوْرًا ، وطوراً يُلْمَنُهُ وأعيى فما يدرين أين تَحَايِلُهُ  
فأعرضن منه عن كريم مُرَرِّإ عَزُومٍ على الأمر الذي هو فاعله  
وقال طُفَيْلُ الغنوى :

جزى الله عنا جعفرًا حين أزلَّت بنا نملنًا في الواطئين فزَلَّتْ  
أَبَوا أَنْ يَمْلُونا ولو أنْ أَمَّنَّا تلاقى الذي لا قَوْهَ منا لَمَلَّتْ

وقال الأصمعي : أخلب الشعر قول حمزة بن بيض :

تقولُ لي والعميُونُ هاجعة : أقيم علينا يومًا ، فلم أقيم  
أى الوجوه انتجعت ؟ قلت لها : لا أى وجه إلا إلى الحكم  
متى بقل حاجبًا سُرَادِقِهِ هذا ابنُ بيضٍ بالباب بيتسم  
قد كنتُ أسلمتُ فيك مُقْتَبِلًا فهاتِ إِذْ حَلَّ أُعْطِيَ سَلَمِي

وسأل الرشيد المفضل الضبي : أى بيت قالته العرب أمدح ؟ فقال :

أغرُّ أبلجُ تائمُ الهداةُ به كأنه علمٌ فى رأسه نارُ  
هكذا روايته فيه .

قال شرجبيل بن معن بن زائدة : كنت أسير تحت قبة يحيى  
ابن خالد ، وقد حج مع الرشيد ، وعديله أبو يوسف القاضي ، إذ

أتاه أعرابي من بني أسد كان يلقاه إذا حج فيمدحه ، فأنشده شعراً أنكر يحيى  
منه بيتاً فقال : يا أخا بني أسد ، ألم أنك عن مثل هذا الشعر ؟ ألا قلت كما  
قال الشاعر :

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ اللِّقَاءِ كَأَنَّهُمْ	أَسُودٌ لَهَا فِي غِيلِ خَفَانٍ أَشْبَلُ
هُمْ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا	لِجَارِهِمْ بَيْنَ السَّمَائِينَ مَنْزِلُ
بَهَائِلٍ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ	كَأَوَّلِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ
هُمْ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا ، وَإِنْ دَعَا	أَجَابُوا ، وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا
وَلَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فَعَالَهُمْ	وَلَمْ أَحْسِنُوا فِي النَّائِبَاتِ وَأَجْمَلُوا

فقال أبو يوسف : لمن هذا الشعر أصلحك الله فما سمعت أحسن منه ؟ فقال  
يحيى : بقوله ابن أبي حفصة في أبي هذا الفتى ، وأوماً إلى ، فكان قوله أسر  
لى من جليل الفوائد ، ثم التفت إلى وقال : يا شرحبيل ، أنشدني أجود ما قاله  
ابن أبي حفصة في أبيك ، فأنشدته :

نِعَمَ الْمَنَاخُ لِرَاغِبٍ وَلِرَاهِبٍ	مَنْ تَصِيبُ جَوَائِحِ الْأَزْمَانِ
مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الَّذِي زِيدَتْ بِهِ	شَرَفًا عَلَى شَرَفِ بَنِي شَيْبَانَ
إِنْ عُدَّ أَيَّامُ اللَّقَاءِ فَإِنَّمَا	يَوْمَاهُ يَوْمٌ نَدَى وَيَوْمَ طِعَانِ
يَكْسُو الْأَسِيرَةَ وَالنَّابِرَ بِهَجَّةٍ	وَيَزِينُهَا بِجَهَارَةٍ وَبَيَانِ
تَمْضَى أَسَلْتُهُ وَيُسْفَرُ وَجْهُهُ	فِي الْحَرْبِ عِنْدَ تَقْيِيرِ الْأَلْوَانِ
نَفْسِي فِدَاكَ أبا الوليد إذا بدا	رَهَجُ السَّنَابِكِ وَالرَّاحِ دَوَانِي

فقال يحيى : أنت لا تدري جيد ما مدح به أبوك ، أجود من هذا قوله :

نَشَابَهُ يَوْمَاهُ عَلَيْنَا فَأَشْكَلا	فَلَا نَحْنُ نَدْرِي أَيْ يَوْمِيهِ أَفْضَلُ
أَيُّومُ نَدَاءِ الْقَمَرِ ، أَمْ يَوْمُ بَأْسِهِ ؟	وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا أَعْرُ مُحَجَّلُ

بما عيب  
في المديح

ومما أخذ على الكميت قوله يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :  
فاعتتب القول من فؤادى والشعر إلى من إليه مُعْتَبَب  
إلى السراج المنير أحمد لا يَغْدِلْنِي رَغْبَةٌ وَلَا رَهَبٌ  
حَنَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَلَوْ رَفَعَ النَّاسُ إِلَى الْعِيُونِ وَارْتَقَبُوا  
وَقِيلَ : أَفْرَطْتُ ، بَلْ قَصَدْتُ ، وَلَوْ عَنَّفَنِي الْقَاتِلُونَ أَوْ تَذَبَّأُوا  
إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ تَضَمَّنَتِ السَّارِضُ وَلَوْ عَابَ قَوْلِي الْعُيُبُ  
لَيَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسَانُ وَلَوْ أَكْثَرَ فَيْكَ الضَّجَّاجُ وَالصَّخْبُ  
قَالُوا : مَنْ هَذَا الَّذِي يَقُولُ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْرَطْتُ ، أَوْ  
يَعْنِفُهُ ، أَوْ يَثْلِبُهُ ، أَوْ يَعِيبُهُ ، حَتَّى يَكْثُرَ الضَّجَّاجُ وَالصَّخْبُ ١١٩ ؟ وَهَذَا كُلُّهُ خَطَأٌ  
مِنْهُ ، وَجَهْلٌ بِمَوَاقِعِ الْمَدْحِ ، وَقَالَ مَنْ احْتَجَّ لَهُ : لَمْ يَرِدِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،  
وَلِئِنْ أَرَادَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَوَرَّى عَنْهُ بِذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَوْفًا  
مِنْ بَنِي أُمِيَّةَ .

ومن الشعراء من ينقل المديح عن رجل إلى رجل ، وكان ذلك دأب البحترى ،  
وفعله أبو تمام في قصائد معدودة ؛ منها :

\* فَذَلِكَ أَثِيبُ أَرَبَيْتَ فِي الْعُلَوَاءِ \*

نقلها عن يحيى بن ثابت إلى محمد بن حسان ، فأما الذي قال : « هُنَّ بَنِيائِي  
أُنْكَحَهُنَّ مِنْ شَتَّى » فهو معذور إن لَمْ يُثَبِّ ، فأما إن أَثِيبَ فَذَلِكَ مِنْهُ قَلَّةٌ  
وَفَاءٌ ، وَفَرَطُ خِيَانَةٍ .

## (٧٥) - باب الافتخار

يقال فيه  
ما يقال في  
المديح

والافتخار هو المديح نفسه ، إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه ، وكل  
ما حسن في المديح حسن في الافتخار ، وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار ؛ فمن  
أبيات الافتخار قول الفرزدق :

أفخر بيت  
قاله شاعر

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَانَهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ  
قال أحمد بن يحيى : أَفْخَرُ بَيْتٍ قَالَتْهُ الْعَرَبُ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :  
مَا يَنْكُرُ النَّاسُ مُنْأَحِينَ مُلْكِهِمْ كَانُوا عَمِيدًا وَكُنَّا نَحْنُ أَرْبَابًا ؟  
وقال دعلج بن علي : أَخْرَجَ الشَّعْرُ قَوْلَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ :

وَبَيْتُ بَدْرِ إِذْ يَرْدُ وَجُوهَهُمْ جَبْرِيلُ تَحْتَ لَوَائِنَا وَمُحَمَّدُ  
وقال الخاتمي : قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

تَرَى النَّاسَ إِنْ سِرْنَا بِسُرُونِ خَلْفَانَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْ مَأْنَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا  
قال : وَيَتْلُوهُ قَوْلُ جَرِيرٍ :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَابًا  
وقال آخرون : بَلِ بَيْتُ الْفَرَزْدَقِ :

وَمَنْ إِذَا عَدَّتْ مَعْدً قَدِيمَهَا مَكَانَ النَّوَاصِي مِنْ وَجُوهِ السَّوَابِقِ  
وقال غيرهم : بَلِ قَوْلُهُ لَجَرِيرٍ :

وَإِذَا نَظَرْتَ رَأَيْتَ قَوْفَكَ دَارِمًا وَالشَّمْسُ حَيْثُ تَقْطَعُ الْأَبْصَارَا  
وقيل : بَلِ قَوْلُ ابْنِ مَيَّادَةَ - وَاسْمُهُ الرَّمَّاحُ بْنُ أْبَرْدَ - :

وَلَوْ أَنَّ قَيْسًا قَيْسَ عِيْلَانَ أَقْسَمْتُ عَلَى الشَّمْسِ لَمْ يَطْلُعْ عَلَيْكَ حِجَابُهَا  
وَأَخْرَجَ بَيْتَ صَفْعَةَ مُحَدِّثٌ عَنْهُمْ بَشَارَ :

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضِبَةً مُضَرِّيَةً هَتَكُنَّا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَمًا

إِذَا مَا أَعْرَنَّا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ ذَرَا مِنْفَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمَا

ويروى

\* هَتَكُنَّا سَمَاءَ اللَّهِ أَوْ مَطَرَتْ دَمًا \*

(١) لم أجد هذا البيت في ديوانه ، ولا عثرت عليه فيما نحلته امرؤ القيس .



ومن جيد الافتخار قول بكر بن النطاح الحنفي :

وَمَنْ يَفْتَقِرُ مَنَا يَعِشُ يَحْسَامَهُ      ومن يفتقر من سائر الناس يسأل  
ونحنُ وصِفْنَا دونَ كلِّ قبيلةٍ      ببأسٍ شديدٍ في الكتاب المنزَّلِ  
وإِنَّا لنلهو بالحروب كما لَهَتْ      فتاةٌ بعقدٍ أو سخابٍ قرَنُفَلِ

يعنى قول الله عز وجل : ( قل للمُخَلَّفِينَ من الأعرابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ) فدعوا في خلافة أبي بكر إلى قتال أهل الردة من بني حنيفة ، وبسبب هذا الشعر وأشباهه طلبه الرشيدُ أشدَّ طلبٍ ، وقال : كيف يفتخر على مُضَرٍّ ومنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خير البشر ؟ فهذا افتخار بالشجاعة خاصة .

ومن افتخر بالكثرة أوس ابن مفرء قال :

ما تَطْلُعُ الشَّمْسُ إِلَّا عِنْدَ أَوْلَانَا      ولا تَغِيْبُ إِلَّا عِنْدَ أَخْرَانَا

وقد أنكر قدامة أن يمدح الإنسان بآبائه دون أن يكون ممدوحاً بنفسه ؛  
لأن كثيراً من الناس لا يكونون كأبائهم ، والذي ذهب إليه حسن .

وأنكر الجرجاني على أبي الطيب قوله :

ما بقوى شَرُفْتُ بَلْ شَرُفُوا نِي      وبنفسي فخرتُ لا بِجِدْدِي

وإما أخذه من قول علي بن جبلة حيث يقول :

وما سَوَدَتْ عِجْلاً مَا تُرْغِمُهُمْ      ولكن بهم سادت على غيرهم عجلُ

قال : وهذا معنى سوء يقصر بالممدوح ، ويغض من حسبه ، ويحقر من شأن سلفه ، وإما طريقة للدح أن يجعل الممدوح يشرف بآبائه ، والآباء تزداد شرفاً به ؛ فجعل لكل واحد منهم حظاً في الفخر وفي المدح نصيباً ، وإذا حصلت الحقائق كان النصيبان مقسومين ، بل كان الكل خالصاً لكل فريق منهم ؛ لأن شرف الوالد جزء من ميراثه ، ومنقول إلى ولده كأنتمقال ماله ، فإن رعى وحرس ثبت

وازداد ، وإن أهمل وضيم هلك وناد . وكذلك شرف الوالد يعم القبيلة ، وللولد منه القسم الأوفر ، والحظ الأكبر .

قال صاحب الكتاب : والذي يقع عليه الاختيار عندي ما ناسب قول المتوكل الليثي : من المختار في الفجر

إنا وإن أحسابنا كُرمَتُ      لَسْنَا على الأحساب تَمَكَّلُ<sup>(١)</sup>  
نَبْنِي كما كَانَتْ أَوَائِلُنَا      تَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

وقول عامر بن الطفيل الجعفي :

فإني وإن كنت ابن سيد عامر      وفارسها المشهور في كل موكب  
فَمَا سَوَّدَتْنِي عَامِرٌ عَنْ وِرَاثَةٍ      أَبِي اللَّهِ أَنْ أَشْمُو بِأُمٍّ وَلَا أَبٍ  
ومن أفخر ما قال المولدون قول إبراهيم الموصلي يفخر بولائه من خزيمة بن حازم النمشلي :

إذا مُضِرُّ الجراء كَانَتْ أُرُومَتِي      وَقَامَ بِمَجْدِي حَازِمٌ وَابْنُ حَازِمٍ  
عَطَسْتُ بِأَنْفِي شَاخِحًا وَتَنَاوَلْتُ      يَدَايَ الثُّرَيَّا قَاعِدًا غَيْرَ قَائِمٍ

ومن قول السيد أبي الحسن يفخر بقومه بني شيبان :

يَا آلَ شَيْبَانَ لَا غَارَتْ نُجُومُكُمْ      وَلَا خَبَتْ نَارُكُمْ مِنْ بَعْدِ تَوْقِيدِ  
أَنْتُمْ دَعَانِمُ هَذَا الْمَلِكِ مَذْرُكُضَتْ      قُبُلُ الْخِيُولِ لِإِبْرَامَ وَتَوَكِيدِ  
لِلنَّعْمُونَ إِذَا مَا أْزَمَتْ أَرْلَمَتْ      وَالْوَاهِبُونَ عَيْتِقَاتِ الْمَزَاوِيدِ  
سَيُوفُكُمْ أَفْقَدَتْ كَسْرَى مَرَاذِبُهُ      فِي يَوْمٍ ذِي قَارٍ إِذْ جَاءُوا لِمَوْعُودِ  
وهذا هو الفخر الحلال غير المدعي فيه ولا المنتحل .

ومما عابه الأصمعي وغيره قول عامر بن معشر بن أسحم يصف أسيراً أسروه :

من شعر  
أبي الحسن  
في الفخر

مما عابه  
الأصمعي

(١) في نسخة « لَسْنَا وإن أحسابنا كُرمَت . . . يوماً » .

فَظَلْ يَخَالِسُ الْمَذَقَاتِ فِينَا يُقَادُ كَأَنَّهُ جَمَلٌ رَيقُ  
وذلك بأنه وصف أسيرهم بأنه جائع يخالس القليل المذوق من اللبن ، وإنما  
ذلك من الجهد .  
ومن أجود قصيدة افتخر فيها شاعر قصيدة السموأل بن عدياء اليهودي<sup>(١)</sup>  
فإنها جمعت ضروب المهادح وأنواع المفاخر ، وهي مشهورة .

### (٧٦) - باب الرثاء

وليس بين الرثاء والمدح فرق ؛ إلا أنه يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود  
به ميت مثل « كان » أو « عدمننا به كيت وكيت » وما يشاكل هذا ، ويعلم  
أنه ميت .

وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التمنع ، بين الحسرة ، مخلوطاً بالتلف والأسف  
والاستعظام ، إن كان الميت ملكاً أو رئيساً كبيراً ، كما قال النابغة في حصن بن  
حذيفة بن بدر:

يَقُولُونَ حِصْنٌ ثُمَّ تَأْبَى نَفْسُهُمْ وَكَيْفَ بِحِصْنٍ وَالْجِبَالُ جُنُوحُ  
وَلَمْ تَلْفِظِ الْمَوْتَ الْقُبُورُ ، وَلَمْ تَزُلْ نَجْمُ السَّمَاءِ ، وَالْأَدِيمُ صَحِيحُ  
فَعَمَّا قَلِيلٍ ثُمَّ جَاءَ نَعْيُهُ فَظَلَّ نَدَى الْحَى وَهُوَ يَنْوَحُ

فهذا وما شاكله رثاء الملوك والرؤساء الجلالة ، وإلى هذا المعنى ذهب أبو العتاهية  
حين قال :

\* مَاتَ الْخَلِيفَةُ أَيُّهَا الْقَفْلَانِ \*

(١) التي أو لها :

إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

فرغ الناس رهوسهم ، وفتحوا عيونهم ، وقالوا : نَعَاهُ إِلَى الْجَنِّ وَالْإِنْسِ ،  
ثم أدركه اللين والقنرة فقال :

\* فَكَأَنِّي أَفْطَرْتُ فِي رَمَضَانَ \*

يريد : إلى بمجاهرتي بهذا القول كأنما جاهرت بالإفطار في رمضان نهارا  
وكل أحد ينكر ذلك على ، ويستعظمه من فعلى ، وهذا معنى جيد غريب في  
لفظ ردىء غير مُعَرِّب عما في النفس.

ومن أفضل الرثاء قول حسين بن مطير يرى معن بن زائدة ، ويروى لابن  
أبي حفصة : الختار من  
جيد الرثاء

فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ ، كُنْتَ أَوَّلَ حُقْرَةٍ  
وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ ، كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ ؟  
بلى قد وسعت الجود والجود ميت  
فَتِي عَيْشٍ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ  
من الأرض حُطَّتْ لِلسَّهَابَةِ مَضْجَعًا  
وقد كان منه البر والبحر مُتَرَعًا  
ولو كان حيًّا ضِيقَتْ حَتَّى تَصَدَّعًا  
كما كان بعد السيل مجراه مَرْتَعًا

وما قصر أبو تمام في رثائه محمد بن حُمَيْد بالقصيدة التي يقول فيها :

أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ عَطَلَتْ لَهُ  
فَتَى كُلَّمَا فَاضَتْ عَيُونُ قَبِيلَةٍ  
وما مات حتى مات مضرب سيفه  
فَتَى مَاتَ بَيْنَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ مَيِّتَةً  
وقد كان فوت الموت سهلا فردّه  
وَنَفْسٌ تَخَافُ الْعَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا  
فَأَثْبَتَ فِي مَسْتَنْقَعِ الْمَوْتِ رِجْلَهُ (١)  
فَجَاجَ سَبِيلِ الثَّغْرِ وَاشْغَرِ الثَّغْرُ  
دَمًا ضَحِكَتْ عَنْهُ الْأَحَادِيثُ وَالنَّشْرُ  
من الضَّرْبِ وَأَعْتَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَنَا الشُّمْرُ  
تَقُومُ مَقَامَ النَّصْرِ إِذْ فَاتَهُ النَّصْرُ  
إِلَيْهِ الْخِطَابُ الْمَرْءُ وَالْخُلُقُ الْوَرُّ  
هُوَ الْكُفْرُ يَوْمَ الرُّوْعِ أَوْ ذُوْنَهُ الْكُفْرُ  
وَقَالَ لَهَا مَنْ تَحْتَ أَخْصَكَ الْحَشْرُ

وقد أجاد أيضا في القصيدة التي رثى بها إدريس بن بدر السامي يقول فيها :

(١) في نسخة « في مستنقع الموت رحله » .

ولم أنس سَعَى الْجُودِ خَلْفَ سَرِيرِهِ      بِأَكْسَفِ بِالٍ يَسْتَقِلُّ وَيَظْلَعُ  
وتكبيره خَمْسًا عَلَيْهِ مُعَالِفًا      وَإِنْ كَانَ تَكْبِيرَ الْمُصَلِّينَ أَرْبَعُ  
وما كنت أدري - يعلم الله - قَبْلَهَا      بَأَنَّ النَّدَى فِي أَهْلِهِ يَتَشَمِعُ

وليس في ابتداءات المرائي المولدة مثل قوله :

أَصَمَّ بِكَ النَّاعَى وَإِنْ كَانَ أَسْمَاءً      وَأَصْبَحَ مَغْنَى الْجُودِ بَعْدَكَ بَلَقَاءً  
يرثي بها محمد بن حميد ، وجعل خاتمتها :

فإن أترم عن عمر تداني به المدى      فثانك حتى لم تجد عنه مَنَزْعًا  
فما كنت إلا السيف لاقى ضريبة      فَقَطَّعَهَا ثُمَّ انْتَنَى وَقَطَّعًا

وأبو تمام من المعدادين في إجادة الرثاء ، ومثله عبد السلام بن رغبان ديك  
الجن ، وهو أشهر في هذا من حبيب ، وله فيه طريق انفرد بها ، وذلك أنه قتل  
جاريته واتهم بها أخاه ، ثم قال يرثيها :

يا مَهْجَةً جَمَّمَ الْحَمَامَ عَلَيْهَا      وَجَنَى لَهَا ثَمَرَ الرَّدَى بِيَدِهَا  
رَوَّيْتُ مِنْ دَمِهَا التَّرَابَ ، وَرَبَّمَا      رَوَّى الْهَوَى شَفَقِيَّ مِنْ شَفَقَتِهَا  
حكمت سبقي في مجال خناقها      وَمَدَامَعِي تَجْرِي عَلَى خَدَّيْهَا  
فَوَحَقَّ نَعْلُهَا لِمَا وَطِئَ الْحَصَى      شَيْءٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَعْلِهَا  
ما كان قَتْلُهَا لَأَنِّي لَمْ أَكُنْ      أَخْشَى إِذَا سَقَطَ الْغَبَارُ عَلَيْهَا  
لَكِنْ بَخَلْتُ عَلَى الْأَنَامِ بِحَسْنِهَا      وَأَنْفَتُ مِنْ نَظَرِ الْعَيُونِ إِلَيْهَا

وقال أيضا فيها على بعض الروايات :

أَشْفَقْتُ أَنْ يَرِدَ الزَّمَانُ بَعْدَهُ      أَوْ أُبْتَلَى بَعْدَ الْوَصَالِ بِهَجْرِهِ  
فَقَتَلْتُهُ ، وَلَهُ عَلَى كَرَامَةِ      مِلءُ الْحَسَا ، وَلَهُ الْفَوَادُ بِأَسْرِهِ  
قَرُّ أَنَا أَسْتَخْرِجُهُ مِنْ دَجْنِهِ      لِجَلَّتِي وَزَفَقَتُهُ مِنْ خِذْرِهِ  
عَهْدِي بِهِ مَيِّتًا كَأَحْسَنِ نَأْمٍ      وَالْحَزَنُ يَنْحَرُّ دَمْعَتِي فِي بَحْرِهِ

الذى أعرف « ينحدر مقلتي » وهو أصح استعارة .  
لو كان يدرى الميتُ ماذا بعده بالحيِّ مِنْهُ بَكَى لَهُ فِي قَبْرِهِ  
غُصَصُ تَكَادُ تَغِيضُ مِنْهَا نَفْسُهُ وَيَكَادُ يَخْرُجُ قَلْبُهُ مِنْ صَدْرِهِ  
والرواية الأخرى أن المتهم بالجارية غلام كان يهواه قتله أيضاً ، فصنع فيه  
هذه الأبيات ، فصنعت فيه أخت الغلام :

يا ويح ديك الجن ، بل تَبًّا لَهُ مَاذَا تَصَمَّنْ صَدْرُهُ مِنْ غَدْرِهِ  
قتل الذى يهوى وعمرَّ بعده يَارَبِّ لَا تَمُدُّ لَهُ فِي عُمرِهِ  
ويكون الرثاء مجحلاً كالمدح الحمل فيقع موقعاً حسناً لطيفاً : كقول ابن المعتز  
في المعتضد :

قَضَوْا مَا قَضَوْا مِنْ أَمْرِهِ ثُمَّ قَدَّمُوا إِمَامًا الْخَيْرِ بَيْنَ يَدَيْهِ  
وَصَلُّوا عَلَيْهِ خَاشِعِينَ كَأَنَّهُمْ صُفُوفٌ قِيَامٌ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ  
وقال في عبيد الله بن سليمان بن وهب :

قَدِرَ اسْتَمَوَى النَّاسُ وَمَاتَ الْإِسْكَالُ وَصَاحَ صَرْفُ الدَّهْرِ : أَيْنَ الرِّجَالُ !  
هَذَا أَبُو الْعَبَّاسِ فِي نَعْشِهِ قَوْمُوا انْظُرُوا كَيْفَ تَسِيرُ الْجِبَالُ  
يَا نَاصِرَ الْمَلِكِ بَارَأْنَهُ بِعَدِّكَ لِلْمَلِكِ لَيْسَالٍ طَوَالَ  
وذكر غير واحد أن أرقى بيت قيل :

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ فَطَيَّبُوا ثُرَابَ الْقَبْرِ دَلَّ عَلَى الْقَبْرِ

ومن عادة القدماء أن يضربوا الأمثال في المرائي بالملوك الأعزة ، والأمم  
السالفة ، والوعول الممتعة في قلل الجبال ، والأسود الخادرة في الغياض ، وبحمر  
الوحش المتصرفة بين القفار ، والنسور ، والعقبان ، والحيات ؛ لبأسها وطول  
أعمارها ، وذلك في أشعارهم كثير موجود لا يكاد يخلو منه شعير .

أرئى  
بيت

من عادة  
القدماء في  
الرثاء

قال أبو علي : فأما المحدثون فهم إلى غير هذه الطريقة أميل ، ومذهبهم في الرثاء أمثل ، في وقتنا هذا وقبله ، وربما جروا على سنن من قبلهم اقتداء بهم وأخذاً بستمهم كالذي صنع أبو أيوب في رثائه أبا البيداء الأعرابي وخلف بن حيان الأحمر ومرائيه فيهما فائيتان وقافية مشهورات : إحداهن قوله :

لَا تَلِثُ الْعُصْمُ فِي الْمَضَابِ وَلَا شَعْوَاهُ تَغْدُو فَرْخَيْنِ فِي لُجْفِ

والثانية قوله : \* لو كان حيًّا واثلاً من التَّلَفِ \*

والثالثة قوله في أبي البيداء :

هَلْ خَطِيءٌ يَوْمَهُ عُمْرُهُ بِشَاهِقَةٍ تَرَعَى بِأَخْيَانِهَا شَمًا وَطَبَاقًا

وكما صنع ابن المعتز يرى أماء بالقصيدة اللامية المقيدة في الرمل :

رُبَّ حَتَفٍ بَيْنَ أَثْنَاءِ الْأَمَلِ وَحَيَاةِ الْمَرْءِ ظِلٌّ مُنْتَقِلٌ

وهي أيضاً معروفة ، ولولا اشتها هذه القصائد ، ووجودها ، وخيفة التطويل بها ؛ لأبنتها في هذا الموضع .

وليس من عادة الشعراء أن يقدموا قبل الرثاء نسيباً كما يصنعون ذلك في المدح والهجاء ، وقال ابن الكلبي — وكان علامة — : لا أعلم مرثية أولها نسيب إلا قصيدة دريد بن الصمة :

أَرَثَ جَدِيدُ الْحَبْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبِدٍ بِعَافِيَةٍ وَأَخْلَفَتْ كُلَّ مَوْعِدٍ ؟

وعن علي بن سليمان ، عن أبي العباس الأحول ، أن القصيدة التي لأبي قحافة أعشى باهلة ، إنما هي لابنة المنتشر ، واسمها الدجاء .

قال : وقال علي بن سليمان : حدثني أبي أن أولها .

هَاجَ الْفَوَادَ عَلَى عِرْفَانِهِ الذَّكْرُ وَذَكَرَ خَوْدٍ عَلَى الْأَيَّامِ مَا يَذَرُ

قَدْ كُنْتُ أَذْكَرُهَا وَالِدَارِ جَامِعَةً وَالْدهْرِ فِيهِ هَلَاكُ النَّاسِ وَالشَّجَرُ

هكذا أنشد النحاس والذي أعرف « وذ كرميت » وأعرف أيضاً « والدهر فيه هلاك الناس والغير » كذلك أنشدني الموصلي في الأغاني ، ثم عطف النحاس فقال : هذان البيتان لا يُعرَفَانِ في أول هذه القصيدة ؛ وما يزيد الاسترابة بهما أن المتعارف عند أهل اللغة أنه ليس للعرب في الجاهلية مرثية أولها تشييب إلا قصيدة دريد ، وأنا أقول : إنه الواجب في الجاهلية والإسلام ، وإلى وقتنا هذا ، ومن بعده ؛ لأن الأخذ في الرثاء يجب أن يكون مشغولاً عن التشييب بما هو فيه من الحسرة والاهتمام بالمصيبة ؛ وإنما تغزل دريد بعد قتل أخيه بسنة ، وحين أخذ ثأره ، وأدرك طلبته . وربما قال الشاعر في مقدمة الرثاء « تركت كذا » أو « كبرت عن كذا » و « شغلت عن كذا » وهو في ذلك كله يتغزل ويصف أحوال النساء ، وكان الكميت ركاباً لهذه الطريقة في أكثر شعره ؛ فأما ابن مقبل فن جفاء أعرايته أنه رثى عثمان بن عفان رضى الله عنه بقصيدة حسنة أتى فيها على ما في النفس ، ثم عطف وقال :

فَدَعَّ ذَا ، وَلَكِنْ عَلَقْتُ حَبْلَ عَاشِقٍ      لِإِحْدَى شُعَابِ الْحَيْنِ وَالْقَتْلِ أَرِيبِ  
وَلَمْ تُنْسِنِي قَتْلِي قَرِيشٍ ظِعْمَانًا      تَحْمَلُنَ حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ تُغْرِبُ  
يُطْفَنَ بِغَرِيدٍ يَحُلُّ ذَا الصَّبَا      إِذَا رَامَ أَرْكَوبُ الْفَوَايَةِ أَرْكَبُ  
مَنْ الْهَيْفِ مَبْدَانِ تَرَى نَظْفَاتَهَا      بِمَهْلَكَةِ أَحْرَاصِهِنَّ تَذْذِيبُ

والنسيب في أول القصيدة على مذهب دريد خير ما ختم به هذا الجلف ، على تقدمه في الصنعة ، إلا أن تكون الرواية « ظعائن » بالرفع .

ومما عيب به الكميت في الرثاء قوله في ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
وَبُورِكَ قَبْرُ أَنْتَ فِيهِ ، وَبُورَكَتْ      بِهِ - وَلَهُ أَهْلٌ - بِذَلِكَ يَثْرِبُ  
لَقَدْ غَيَّبُوا بَرًّا وَحَزَمًا وَنَائِلًا      عَشِيَّةً وَارَاهُ الضَّرِيحُ الْمَنْصَبُ

مما عيب في  
الرثاء



حكاه الجاحظ وغيره ، وأظن أن المراد بما عيب الثاني من هذين البيتين ، فأما الأول مجيد .

ومن العجب أن يقول عبدة بن الطبيب في تأبين قيس بن عاصم :  
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ      وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا  
 نَحْيَةٌ مِنْ أَلْبَسَتْهُ مِنْكَ نِعْمَةً      إِذَا زَارَ عَنْ شَحْطٍ بِلَادَكَ سَلَمًا  
 فَإِذَا كَانَ قَيْسُ هَلَكُهُ هَلَكَ وَاحِدٍ      وَلَكِنَّهُ بُبَيَّانُ قَوْمٍ تَهْدَمَا  
 ويقول الكمي في تأبين رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا القول ، فهلا  
 قال مثل قول فاطمة رضى الله عنها :

أَغْبَرَ آفَاقُ السَّمَاءِ وَكُوِّرَتْ      شَمْسُ النَّهَارِ وَأُظْلِمَ الْعَصْرَانِ  
 فَلْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ كَثِيبَةٌ      أَسْفًا عَلَيْهِ كَثِيرَةُ الرَّجْفَانِ  
 فليبكِ شَرْقُ الْبِلَادِ وَغَرْبُهَا      وَلِيَبْكِكِ مُضَرٌّ وَكُلُّ يَمَانِي  
 وليبكِ الطَّوْدُ الْمُعْظَمُ جَوْهُ      وَالْبَيْتُ ذُو الْأُسْتَارِ وَالْأَرْكَانِ  
 يَا خَاتِمَ الرُّسُلِ الْمُبَارَكِ صَنُوهُ      صَلَّى عَلَيْكَ مُنْزَلُ الْقُرْآنِ  
 صلى الله عليه وسلم ، ورحم وكرم وعظم .

والنساء أشجى الناس قلوباً عند المصيبة ، وأشدهم جزعاً على هالك ؛ لما رُكِبَ  
 الله عز وجل في طبعهن من الخورِ وضعف العزيمة .

على الجزع  
 بيني الرثاء

وعلى شدة الجزع بيني الرثاء ، كما قال أبو تمام :  
 لَوْلَا التَّفَجُّعُ لَادَعَى هَضْبُ الْحَى      وَصَفَا الْمُشَقَّرُ أَنَّهُ مَحْزُونُ  
 فانظر إلى قول جلييلة بنت مرة ترى زوجها كليباً ، حين قتله أخوها جساس ،  
 ما أشجى لفظها ، وأظهر الفجعية فيه !! وكيف يثير كوامن الأشجان ، ويقدح  
 شررَ النيران ، وذلك :

يَا ابْنَةَ الْأَقْوَامِ إِنْ لُمْتَ فَلَا      تَعَجَّلِي بِاللَّوْمِ حَتَّى تَسْأَلِي

فإذا أتت تبينت التي      عندها اللوم فلو موى وأغذلي  
 إن تكن أخت امرئ لميت على      جزع منها عليه فافعللى  
 فعل جساس على ضنى به      قاطع ظهري ومذن أجلى  
 لو بعين فديت عيني سوي      أختها وانفقات لم أخفى  
 تحمل العين قدى العين كما      تحمل الأم قدى ما تفتلى  
 إننى قاتلة مقتولة      ففعل الله أن يرتاح لى  
 يا قتيلاً قوض الدهر به      سقى بيتي جميعاً من عل  
 ورمى قداه من كتب      رمية المصمى به المستأصل  
 هدم البيت الذى استحدثته      وسقى فى هدم بيتي الأول  
 مسنى فقد كليب بلظى      من ورأى ولظى مستقبلي  
 ليس من يبكى ليومين كن      إنما يبكى ليوم ينجلي  
 درك النائر شافيه<sup>(١)</sup> وفى      دركى ثأرى ثكل المشكل  
 ليت كان دمي فاحتلبوا      درراً منه دمي من أكل

ومن أشد الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثى طفلاً أو امرأة ؛ لضيق الكلام عليه فيهما ، وقلة الصفات ، ألا ترى ما صنعوا بأبي الطيب - وهو فحل مجود إذا ذكر المحدثون - فى قوله يذكر أم سيف الدولة :

صلاة الله خالقنا حنوطاً      على الوجه المسكّن بالجمال

فقالوا : ماله ولهذا العجوز يصف جمالها ؟ وقال صاحب بن عباد : استعارة حداد فى عرس ، فإن كان أراد صاحب بالاستعارة الحنوط فقد والله ظلم وتعسف ، وإن كان أراد استعارة السكفن بجمال العجوز فقد اعترض فى موضع اعترض إلى

(١) يروى \* يشتمى المدرك بالنار . . \* ويروى أيضاً \* درك النائر  
 لشافيه . . \*

أشد الرثاء  
 صعوبة

مواضع كثيرة في هذه القصيدة ، على أن فيها ما يمحو كل رآة ، ويعنى على كل إساءة  
قال صاحب بن عباد : ولقد مررت على مرثية له في أم سيف الدولة تدل  
مع فساد الحس على سوء أدب النفس ، وما ظنك بمن يخاطب ملكا في  
أمة بقوله :

رِوَاقُ الْعَرْزِ فَوْقَكَ مُسَبَّطٌ وَمُلْكُ عَلَى ابْنِكَ فِي كَالِ

ولعل لفظة الاسطرار في مرأى النساء من الخلدان الصفيق الرقيق ، وأنا  
أقول : إن أشد ما هجَّن هذه اللفظة وجعلها مقام قصيدة هجاء أنه قرنها بقولك ؛  
فجاء عملا تاماً لم يبق فيه الافضاء .

ومن صعب الرثاء أيضاً جمع تعزية وتهنئة في موضع ، قالوا : لما مات معاوية . <sup>الجمع بين</sup>  
<sup>التهنئة والتعزية</sup> أجمع الناس بباب يزيد ، فلم يقدر أحد على الجمع بين التهنئة والتعزية ، حتى  
أتى عبيد الله بن همام السلولي فدحل فقال : يا أمير المؤمنين ، آجرك الله على الرزية ،  
وبارك لك في العطية ، وأعانك على الرعية ، فقد رزئت عظيماً ، وأعطيت جسيماً ،  
فاشكر الله على ما أعطيت ، واصبر على ما رزئت ، فقد فقدت خليفة الله ،  
وأعطيت خلافة الله ، ففارقت جليلاً ، ووهبت جزيلاً ؛ إذ قضى معاوية تحببه ،  
ووليت الرئاسة ، وأعطيت السياسة ، فأورده الله موارد السرور ، ورفقك  
لصالح الأمور .

فاصر يزيدُ فقد فارقتَ ذا ثِقَةٍ      واشكر حبياء الذي بالملك أصفاً كما  
لارزء أصبح في الأقوام معلماً      كما ررئت ولا عُقبى كعقبى كما  
أصبحت إلى أمر الناس كلهم      فانت ترعاهم والله يرعا كما  
وفي معاوية الباقي لنا خلفٌ      إذا بيعت ولا نسمع بمنعاً كما<sup>(١)</sup>  
ففتح للناس باب القول .

(١) في عامة الأصول «إذا بقيت ولا نسمع بمنعاً» وهو تحريف ولا يتم مع معنى

وعلى هذا السنين جرى الشعراء بعده ؛ فقال أبو نواس يعزى الفضل بن الربيع  
عن الرشيد ، ويهنئه بالأمين :

تَعَزَّ أبا العباس عن خَيْرِ هَالِكٍ      بِأَكْرَمِ حَيٍّ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنْ  
حَوَادِثُ أَيَّامٍ تَدُورُ صَرُوفُهَا      لَهْنٌ مَسَاوِي مَرَّةً وَنَحَّاسِينَ  
وَفِي الْحَيِّ بِالْمِلَّةِ الَّذِي غَيَّبَ التَّرَى      فَلَا الْمُلُوكُ مَغْبُورُونَ وَلَا الْمَوْتُ غَابِنُ  
ويروى : \* فلا أنت مغبورون \*

واتبعه أبو تمام بالقصيدة التي أولها :

\* مَا لِلدُّمُوعِ تَرُومٌ كُلِّ مَرَامٍ \*

يقولها للوائق بعد موت المعتصم ، صرَّفَ الكلام فيها كيف شاء ، وأطلب  
كما أراد ، واحتج فيها فأسهب ، وتقدم فيها على كل من سلك هذه الناحية من  
الشعراء ، وأراد ابن الزيات مُحْكَرَاتِهِ فَعَلِمَ مِنْ نَفْسِهِ التَّقْصِيرَ فَاقْتَصَرَ عَلَى قَوْلِهِ :

قَدْ قُلْتُ إِذْ غَيَّبُوكَ وَاضْطَلَقْتُ      عَلَيْكَ أَيْدٍ بِالْتَرْبِ وَالطَّيْنِ  
أَذْهَبَ فَنَعِمَ الْمُعِينُ كُنْتُ عَلَى الدُّ      نِيَا وَنِعَمَ الظَّهِيرِ لِلدِّينِ  
لَنْ يَجْهَرَ اللَّهُ أُمَّةً فَقَدْتُ      مِثْلَكَ إِلَّا بِمِثْلِ هَارُونَ

مما رثى به النساء      ومن جيد ما رثى به النساء وأشجاء وأشدّه تأثيراً في القلب وإثارة للحزن قول  
محمد بن عبد الملك هذا في أم ولده :

أَلَا مَنْ رَأَى الطِّفْلَ الْمَفَارِقَ أُمَّهُ      بُعِيدَ الْكَرَى عَيْنَاهُ تَبْتَدِرَانِ  
رَأَى كُلَّ أُمَّ وَأَبْنَاهَا غَيْرَ أُمِّهِ      بَيْتَانِ تَحْتَ اللَّيْلِ يَنْتَجِيَانِ<sup>(١)</sup>  
وَبَاتَ وَحِيداً فِي الْفَرَّاشِ تَحْتَهُ      لَلَّالُ قَلْبٍ دَائِمٍ الْخَفَقَانِ

(١) في الأصول « ينتجبان » وهو تصحيف

يقول فيها بعد أبيات :

ألا إن سَجَلًا واحدًا قد أَرْقَتْهُ      من الدمع أو سَجَلَيْنِ قد شَفَّيَا  
فلا تَلَحِّيَايَ إن بكيت ؛ فإنما      أداوى بهذا الدمع ما تريانِ  
وإن مكانًا في الثرى خُطَّ لَحْدُهُ      لمن كان في قلبي بكل مكان  
أحقُّ مكانٍ بالزيارة والهوى      فهل أنما إن عَجَبْتُ مُنْتَظَرَانِ

ومن أشجى الشعر رثاء قوله في هذه القصيدة :

فهبني عَزَمْتُ الصَّبْرَ عَنْهَا لَأَنْتِي      جَلِيدٌ ، فمنِ الصبرِ لأبنِ ثَمَانٍ ؟  
ضَعِيفِ الْقَوَى لا يعرف الأجر حِسْبَةً      ولا يَأْتِي بالناس في الحدَثَانِ  
ألا من أمنيهِ المني فَأَعُدَّهُ      لعثرة أيامي وصَرْفِ زَمَانِ  
ألا من إذا ما جِئْتُ أَكْرَمَ مَجْلِسِي      وإن غِئْتُ عنه حَاطَني وَرَعَانِي  
فلم أر كالأَقْدَارِ كيف تصيبني      ولا مِثْلَ هذا الدهر كيف رَمَانِي

فهذه الطريق هي الغاية التي يجري حُذَاق الشعراء إليها ، ويعتمدون في  
الرثاء عليها ، ما لم تكن المرثية من ساء الملوك ، وبنات الأشراف ، وغير  
خوات محارم الشاعر ؛ فإنه يتجافى عن هذه الطريقة إلى أرفع منها ، نحو قول  
أبي الطيب :

وَلَوْ أَنَّ النِّسَاءَ كَمَنْ قَدَدْنَا<sup>(١)</sup>      لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ

وقوله في هذه القصيدة :

مَشَى الْأَمْرَاءُ حَوْلَ لَيْهَا حُفَاةً      كَأَنَّ الْمَرَوَ مِنْ زِفِّ الرِّثَالِ  
ونحو قوله لأخت سيف الدولة :  
يَا أُخْتَ خَيْرِ أَخٍ ، يَا بِنْتَ خَيْرِ أَبٍ      كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النِّسَبِ  
أَجِلُّ قَدْرِكَ أَنْ تُدْعَى مُوَثَّنَةً      وَمَنْ يَصِفُكَ فَقَدْ سَمَّاكَ لِلْعَرَبِ

ورثاء الأطفال أن يذكر مخايلهم ، وما كانت الفراسة تُعطيهم فيهم ، مع  
تَحْزَنُ لمصابهم ، وتفجع بهم ، كالذي صنع أبو تمام في ابني عبد الله بن طاهر .

## ٧٧ — باب الاقتضاء والاستنجاز

ما يستوجبه  
الاقتضاء  
حسب الشاعر أن يكون مدحه شريفاً ، واقتضاؤه لطيفاً ، وهجاؤه إن هجا  
عقياً ؛ فإن الاقتضاء الخشن ربما كان سبب المنع والحرمان ، وداعية القطيعة  
والهجران ، وقوم يدرجون العتاب في الاقتضاء ، والاقتضاء في العتاب ، وأنا  
أرى غير هذا المذهب أصوب ؛ فالأقتضاء طلب حاجة ، وباب التلطيف فيه  
أجود ؛ فإن بلغ الأمر العتاب فإنما هو طلب الإبقاء على المودة والمراعاة ، وفيه  
توبيخ ومعارضة لا يجوز معها بعد الاقتضاء ، إلا أن الناس خلطوا هذين البابين ،  
وساوا بينهما .

أحسن المختار  
في الاقتضاء  
من أحسن الاقتضاء - على ما تخيرته ، ونحوت إليه - قول أمية بن  
أبي الصلت لعبد الله بن جُدعان :

أذكر حاجتي أم قد كفاني  
وعلمك بالحقوق وأنت فرغ  
خليل لا يفيره صباح  
فأرضك كل مكرمة بَلَّتْهَا  
إذا أثنى عليك المرء يوماً  
تُبَارَى الريح مكرمة وجوداً  
حيائك ؟ إن شيمتك الحياء  
لك الحسب المذهب والسناء  
عن الخلق الجميل ولا مساء  
بنو تيم وأنت لها سماء  
كفاه من تعرّضه الثناء  
إذا ما الكلب أبحرَه الشتاء  
فأنت ترى هذا الاقتضاء كيف يُبلِنُ الصخر ، ويستنزل القطر ، ويحط  
العُصم إلى السهل ؟ ؟

ومثله قول الآخر :

لأشكرنك معروفاً هَمَمْتَ به إن اهتممك بالمعروف معروف

ولا أومك إن لم يُنْضِهِ قَدَرٌ فالشيء بالقدر المحتوم مصروف  
وأما ما ناسب قول محمد بن يزيد الأموي لعيسى بن فرخان شاه ؛ إذ يقول  
له مستبطنًا :

أبا موسى ، سبق أرضك داني مُسْبِلِ القطرِ  
وزادَ الله في قَدَرِكَ ما أخلت من قدرى  
لقد كُنْتُ أَرْجِيكَ لما أخشى من الدهر  
فقد أصبحت من أوكَدِ أسبَابِ إلى الفقر  
أرضى لى بأن أرضى بقصيرك فى أمرى؟  
وقد أفنيت ما أفنيت فى شكرك من عمرى  
مواعيد كما أختب سراب المِهمِ القفرِ  
فمن يوم إلى يوم ومن شهر إلى شهر  
فلم أخصل على قيمة ما قلّمت من ظفري  
لعلَّ الله أن يصنع لى من حيث لا أدري  
فألقاك بلا شكر وتلقانى بلا عذر  
ولا أرجوك فى الحالىن لا العسر ولا اليسر

فهذا هو العتاب المِضُّ ، والتوبيخ الذى دونه الْجُلْدُ بالسوط ، بل  
بالسيف !!

ومما صنعه فى العتاب على هذا الشكل بعد اليأس المستحكم على ما شرطته :  
رَجَوْتُكَ للأمر المِهمِّ وفى يدي بقايا أُنْقِى النَّفسَ فيها الأمانيا  
فساوتَ بى الأيام حتى إذا انقضت أواخر ما عندى قطعت رجائيا  
وكنْتُ كَأَنى نازفُ البئرِ طالبا لإجماعها أو يرجعَ الماء طافيا  
فلا هو أبقي ما أصاب لنفسه ولا هى أعطته الذى كان راجيا

ومن أملح ما رأيته في الاقتضاء والاستبطاء قول أبي العتاهية لعمر بن العلاء<sup>(١)</sup>  
وابن المعتز يسمى هذا النوع مزحاً يراد به الجدة ، وهو :  
أصابت علينا جودك العين يا عمر ف نحن لها نبغى التمام والنشر  
سنزقك بالأشعار حتى تملها فإن لم تُفِقْ منها رقيقك بالسور  
و كنت أنا صنعت في استبطاء :

أَحْسَنْتَ فِي تَأْخِيرِهَا مِنَّةً لَوْ لَمْ تُؤَخِّرْ لَمْ تَكُنْ كَامِلَةً  
و كَيْفَ لَا يَحْسَنُ تَأْخِيرُهَا بَعْدَ يَقِينِي أَنَّهَا حَاصِلَةٌ ؟  
وَجَنَّةُ الْفَرْدَوْسِ يُدْعَى بِهَا آجَلَةٌ لِلْمَرَّةِ لَا عَاجِلَةٍ  
لَكِنَّمَا أَضْعَفُ مِنْ هَمِّي أَيَّامَ عَمْرٍ دُونَهَا زَائِلَةٌ

والعتاب أوسع حداً من الاقتضاء ؛ لأنه يكون مثله بسبب الحاجات ، وقد  
يكون بسبب غيرها كثيراً ، والاقتضاء لا يكون إلا في حاجة .

#### ٧٨ — باب العتاب

عتابي العتاب العتاب — وإن كان حياة المودة ، وشاهد الوفاء — فإنه باب من أبواب  
الخدعة ، يسرع إلى الهجاء ، وسبب وكيد من أسباب القطيعة والجفاء ، فإذا  
قل كان داعية الألفة ، وقيد الصعوبة ، وإذا كثر خشن جانبه ، وثقل صاحبه  
للعتاب طرائق وللعتاب طرائق كثيرة ، وللناس فيه ضروب مختلفة ؛ فمنه ما يمازجه  
الاستعطاف والاستئلاف ، ومنه ما يدخله الاحتجاج والانتصاف ، وقد يعرض  
فيه المن والإجحاف ، مثل ما يشركه الاعتذار والاعتراف .  
وأحسن الناس طريقاً في عتاب الأشراف شيخ الصنعة وسيد الجماعة  
أبو عبادة البحتري الذي يقول :  
أَحْسَنُ النَّاسِ طَرِيقاً فِي الْعِتَابِ  
يُرِيْبُنِي الشَّيْءُ تَأْتِي بِهِ وَأَكْبَرُ قَدْرِكَ أَنْ أُسْتَرِيَا

(١) انظر من ١٣٣ السابقة ثم انظر ص ١٨٤ الآتية .



وأكره أن أتمادي على سبيل اغترار فألقى شعوبا  
أكدّظ ظني بأن قد سخطت وما كنت أعهد ظني كذوبا  
ولو لم تكن ساخطا لم أكن أذم الزمان وأشكو الخطوبا  
ولا بد من لومة أنتحي عليك بها مخطئا أو مصيبا  
أيضبح وزدى في ساحتك طرفا ومرعاى مَحَلًّا جديبا؟  
أبيع الأحبّة بيع السّوام وآسى عليهم حبيبا حبيبا  
ففي كل يوم لنا موقف يشقّ فيه الوداع الجيوباً  
وما كان سُخْطُكَ إلا الفراق أفاض الدموع وأشجى القلوبا  
ولو كنت أعلم ذنباً لمّا تخالجتى الشكّ في أن أتوبا  
سأصبر حتى ألقى رضا ك إمّا بعيّدا إمّا قريبا  
أراقب رأيك حتى يصبح وأنظر عطفك حتى يؤوبا<sup>(١)</sup>  
والذى يقول أيضا :

وأصيد إن نازعته اللحظ ردّه  
ثناه العدى غنى فأصبح مُعرّضا  
وقد كان سهلا واضحا فتوغّرت  
أمتخذ عِنْدِي الإساءة محسن  
ومكتسب في الملامة ما جدد  
يخوفنى من سوء رأيك معشر  
أعذك أن أخشاك من غير حادث  
أست الموالى فيك غرّ قصائد  
ثنا كأن الروض فيه مُنوّر  
كليا، وإن راجعته القول جمعا  
وأوهمه الواشون حتى توهما  
رُباه وطلقا ضاحكا فتجهما  
ومنتقم منى امرؤ كان منعا؟  
يرى الحمد غنما والملامة مغرما  
ولا خوف إلا أن تجور وتظلمنا  
تبيّن أو جرّم إليك تقدما  
هى الأنجم اقتادت مع الليل أنجا  
ضحّا، وكأنّ الوشى فيه منمنما

للبحترى في  
العتاب أيضا

(١) في الديوان « حتى يشوبا » والمعنى واحد .

ولو أننى وقّرتُ شعرى وفارّه  
لأَكْبَرْتُ أن أومى إليك بأصبع  
كان الذى يأتى به الدهر هيناً  
ولكننى أغلى تحلى أن أرى  
وأجالتُ مدحى فيك أن يتهمّما  
تضرّع أو أدنى لمذرة فها  
على ولَوْ كانَ الحِمَامَ المُقَدِّمًا  
مُدِلًّا وأستحييك أن اتعظما  
فهذا عتاب كما قال :

عِتَابٌ بِأَطْرَافِ الْقَوَافِي كَأَنَّهُ  
طِعَانٌ بِأَطْرَافِ الْقَنَا الْمُتَكَسِّرِ

وقد نحوت أنا هذا النحو فى كلمة عاتبت بها القاضى جعفر بن عبد الله  
الكوفى قلت فيها :

للمؤلف فى  
العتاب

وقد كنت لا آتى إليك مُخَاتِلًا  
ولكن رأيت المدح فيك فريضة  
فممت بما لم يخف عنك مكانه  
ولو غيرك الموسوم عني بريية  
فلا تتخالجك الظنون فإنها  
فوالله ما طوّلت باللوم فيكم  
ولامت عنكم بالوداد ، ولا انطوت  
بلى ربما أكرمت نفسى فلم تهن  
ولم أرض بالخط الزهيد ، ولم أكن  
فباينت لا أن العداوة باينت  
ألود بأكناف الرجاء ، وأتقى  
لديك ، ولا أننى عليك تصنعاً  
على إذا كان المديح تطوعاً  
من القول حتى ضاق مما توسعا  
لأعطيت منها مدعى القول ما دعى  
مأثم ، وأترك في الصنيع موضعاً  
لساناً ، ولا عرضت للذم مستمعاً  
حبالى ، ولا ولّى ثنائى ، مودعا  
وأجلتها عن أن تذلل وتخضعا  
ثقيلا على الإخوان كلاً مُدفعاً  
وقاطعت لا أن الوفاء تقطعا  
شمت العدا ، إن لم أجِدْ فيك مَطْمَعاً

ومن معاتبات أبى تمام قوله لابن عبد الملك الزيات :

لئن هممى أوجدتنى فى تقلى  
وإن رمت أمراً مُدِيرَ الوجه لئننى  
مألاً لقد أفقدنى منك مؤثلاً  
لأترك حظاً فى فنائك مُقْبِلاً

لأبى تمام فى  
العتاب

وإن كنتُ أخطو ساحة المحل إني  
كذلك لا يُلقى المسافرُ رَحْلَهُ  
ولا صاحبُ التطوافِ يَغمرُ منها  
ومن ذا يداني أو ينائي ؟ وهل قى  
فَمَرِنِي بِأَمْرِ أَخِي وَذِي

أرى الناس قد أُرْووا وأصبحتُ مُرِملاً  
فسيانٍ عِنْدِي صَادِفُوا لِي مَطْعَمًا  
ومن قصيدة أخرى لأبي تمام :

تَقَطَّعَتِ الْأَسْبَابُ إِن لَمْ تُغْرِهَا  
سوى مُطَلَّبٍ يُنْضِي الرِّجَاءَ بِطَوْلِهِ  
وقد تَأَلَّفَ الْعَيْنُ الدَّجَى وَهُوَ قَيْدُهَا  
وَلِي عِدَّةٌ تَمْضِي الْعُصُورَ وَإِنِهَا  
سَيُونُ قَطْمَنَاهُنَّ عَشْرًا كَأَنَّ مَا  
وإنَّ جَزِيَلَاتِ الصَّنَائِعِ لَأَمْرِي  
وإنَّ لِلْمَعَالِي يُسْتَرَمُّ بِنَاوِهَا  
ولو حَارَدَتْ شَوْلٌ عَذْرَتْ لِقَاحِهَا  
مَنْحَتُهَا تَشْفِي الْجَوَى وَهُوَ لَا عِجْ  
تَرُدُّ قَوَافِيهَا إِذَا هِيَ أَرْسَلَتْ ،  
وكيف إِذَا حَلَّتْ بِهَا بِحُلِيِّهَا  
أَكْبَرْنَا ، عَطْفًا عَلَيْنَا ؛ فَإِنَّا

وقال ابن الرومي لأبي الصقر إسماعيل بن بلبل يعاتبه في قصيدة جيدة مختارة :

(١) في الديوان ( ٢٥٩ ) « ولي همة تضي العصور . . . لخامل » .

(٢) أُمى : كأن الذي قطعناه مراحل .

لأبي تمام في  
العتاب أيضا

لابن الرومي  
يعاتب إسماعيل  
ابن بلبل

«عَقِيلَ الندى ، أطلق مدائح جة  
وَكُنْتَ مَتَى تُنْشِدُ مَدِيحًا ظَلَمْتَهُ  
عَذْرَتِكَ لَوْ كَانَتْ سَمَاءُ تَقَشَّعَتْ  
وَلَكِنَّا سَقِيًّا حُرِمْتَ رَوِيهَا  
وَأَكْلًا مَعْرُوفٍ حَمِيتَ مَرِيْعَهَا  
فِيَالِكَ بِحَرًّا لَمْ أَجِدْ فِيهِ مَشْرَبًا  
مَدِيحِي عَصَا مُوسَى ، وَذَاكَ لِأَنِّي  
فِيَالَيْتَ شَعْرِي إِنْ ضَرَبْتُ بِهِ الصَّغَا  
كَتَلْتُكَ الَّتِي أَبَدْتُ نَرَى الْبَحْرِيَا بِسَا  
سَاءَ دَحْ بَعْضُ الْبَاخِلِينَ كَعَلَّهُ  
خَوَاسِي حَسَرَتِي قَدْ أَبَتْ أَنْ نَسْرَحَا  
يَكُنْ لَكَ أَهْجِي كُلَّمَا كَانَ أَمْدَحَا  
سَحَابُهَا أَوْ كَانَ رَوْضُهُ تَصَوَّرَحَا  
وَعَارِضُهَا مُلْقِي كَلَا كُلَّ جُنْحَا  
وَقَدْ عَادَ مِنْهَا الْحَزَنُ وَالسَّهْلُ مَسْرَحَا  
وَإِنْ كَانَ غَيْرِي وَاجِدًا فِيهِ مَسْبَحَا  
صَرَبْتُ بِهِ بِحَرِّ النَّدَى فَتَصَحَّحْصَحَا  
أُبَحِّثُ لِي فِيهِ جَدَاوِلَ سِيحَا  
وَشَقْتُ عُيُونًا فِي الْحَجَارَةِ سُفْحَا  
إِذَا أُطْرِدَ الْمَقْيَاسُ أَنْ يَتَسَمَّحَا

فهذا هو الذي لا يبلغ جودة ، ولا يجارى سبقًا ، على أن البحترى قد تقدم  
إلى بعض المعنى في قوله للفتح بن خاقان :

غَمَامٌ خَطَايِي صَوْبُهُ وَهُوَ مُسْبِلٌ وَبَحْرٌ عَدَانِي قَيْضُهُ وَهُوَ مُقْعَمٌ  
وَبَدْرُ أَضَاءِ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَمَوْضِعُ رَحْلِي مِنْهُ أَسْوَدُ مَظْلَمٌ  
وَمَا بَحْلَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ بِالْنَدَى وَلَكِنَّا الْأَقْدَارُ تُعْطَى وَتُحْرِمُ

وأما أبو الطيب فكان في طبعه غلظة ، وفي عتابه شدة ، وكان كثير  
التعامل ، ظاهر الكبر والأنفة ، وما ظنك بمن يقول لسيف الدولة :

يَا أَعْدَلُ النَّاسِ إِلَّا فِي مَعَامَلَتِي فَيْكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخِصَمُ وَالْحَكَمُ  
أَعْيَدُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تَحْسَبَ الشَّحْمَ فَيَمْنُ شَحْمُهُ وَرَمَ  
وَمَا انْتَفَاعُ أُخَى الدُّنْيَا بِنَظَرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ  
أَنَّ الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبِي وَأَسْمَعْتَ كَلَامِي مَنْ بِهِ صَمَمٌ

للمتنبى يعاتب  
سيف الدولة

أَنَامُ مِنْ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا وَيَسْهَرُ النَّاسُ جِرَّاهَا وَيَنْتَعِمُ  
وَجَاهِلٌ مَدَّةً فِي جِهْلِهِ ضَحْكِي حَتَّى أَتَتْهُ يَدُ فِرَاسَةٍ وَقَمُ  
إِذَا رَأَيْتَ نُيُوبَ اللَّيْلِ بَارِزَةً فَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْلَ يَبْتَسِمُ

فهذا الكلام في ذاته في نهاية الجودة ، غير أنه من جهة الواجب والسياسة  
غاية في القبح والرداءة ، وإما عرض يقوم كانوا ينتقصونه عند سيف الدولة  
ويعارضونه في أشعاره ، والإشارة كلها إلى سيف الدولة ، ثم قال بعد أبيات :

يَا مَنْ يَعْزُّ عَلَيْنَا أَنْ نَفَارِقَهُمْ وَجَدَانَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ  
مَا كَانَ أَخْلَقْنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمَمُ  
إِنْ كَانَ سَرَّكُمْ مَا قَالَا حَاسِدُنَا فَمَا يُجْرَحُ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمُ  
وَبَيْنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَلِكَ مَعْرِفَةً إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النِّهْيِ ذِمَمُ  
كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْبًا فَيُعْجِزُكُمْ وَيَكْرَهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمُ؟  
مَا بَعْدَ الْعَيْبِ وَالنَّقْصَانِ مِنْ شَرَفِي أَنَا التَّوْبَى وَذَانِ الشَّيْبِ وَالْمَرْمُ  
لَيْتَ الْغَنَامَ الَّذِي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الدِّيمُ  
أَرَى النَّوَى يَقْتَضِينِي كُلَّ مَرَّحَلَةٍ لَا تَسْتَقِلُّ بِهَا الْوَحَادَةُ الرَّسْمُ  
لَنْ تَرَكُنْ ضَمِيرًا عَنْ مَيَامِنَا لِيَحْدِثَنَّ لِمَنْ وَدَعْتَهُمْ نَدَمُ

وإما قال أولا \* ليحدثن لسيف الدولة الندم \* ثم بدله ، وليس هذا عتابا ،  
لكنه سباب ، وبسبب هذه القصيدة كاد يقتل عند انصرافه من مجلس إنشادها ،  
وهذا الغرور بعينه .

عتاب  
الأكفاء

فأما عتاب الأكفاء ، وأهل المردات ، والمتمشقين من الظرفاء ، فبآية أخرى  
جارية على طرقاتها .

قال إبراهيم بن العباس الصولي يعاتب محمد بن عبد الملك الزيات ، وقد تغير  
عليه لما وُزِّرَ :

لأصول يعاتب  
ابن الزيات

وَكُنْتُ أَخِي بِإِخَاءِ الزَّمَانِ      فَلَمَّا نَبَا صِرْتَ حَرَبًا عَوَانًا  
وَكُنْتُ أَذْمُ إِلَيْكَ الزَّمَانَ      فَأَصْبَحْتُ فِيكَ أَذْمُ الزَّمَانَا  
وَكُنْتُ أَعْدُكَ لِلنَّائِبَاتِ      فَهَا أَنَا أَطْلُبُ مِنْكَ الْأَمَانَا  
وهذا عندي من أشد العتاب وأوجعه .

لأبي الحسن

وَمَنْ أَكْرَمَ الْعِتَابُ قَوْلُ السَّيِّدِ أَبِي الْحَسَنِ أَدَامَ اللَّهِ سَيَادَتَهُ وَسَعَادَتَهُ :  
وَإِنِّي لَا طَرِيَّ كُلَّ خِلٍّ صَحِيْبَتُهُ      وَأَنْتَ تَرَى شَتْمِي بِغَيْرِ حَيَاةٍ  
سَتَعْلَمُ يَوْمًا مَا أَسَاتَ لِصَاحِبِ      تَكْرُمٍ أَخْلَاقِي وَحُسْنِ وَقَائِي  
وَمَنْ مَلِيحٌ مَا سَمِعْتُ قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ حَمِيدٍ يَعْتَابُ صَدِيقًا لَهُ :

لسعيد بن حميد

أَقْلِلْ عِتَابَكَ فَالْبَقَاءُ قَلِيلُ      وَالذَّهْرُ يَعْدِلُ تَارَةً وَيَمِيلُ  
لَمْ أَبْكْ مِنْ زَمَنِ ذَمَّتْ صُرُوفُهُ      إِلَّا بَكَيْتُ عَلَيْهِ حِينَ يَزُولُ  
وَلِكُلِّ نَائِبَةٍ أَلَمَتْ مُدَّةٌ      وَلِكُلِّ حَالٍ أَقْبَلَتْ تَحْوِيلُ  
فَالنَّاتِمُونَ إِلَى الْإِخَاءِ عَصَابَةٌ      إِنْ حُصِّلُوا أَفْنَاهُمْ التَّحْصِيلُ  
وَلَعَلَّ أَحْدَاثَ اللَّيْنَةِ وَالرَّدَى      يَوْمًا سَتَصْدَعُ بَيْنَنَا وَنَحْوِلُ  
وَلَثْنُ سَبَقْتُ لَتَبَكِينَ بِحَسْرَةٍ      وَلَيْسَ كَثْرَنَ كَلِّيَّ مِنْكَ عَوِيلُ  
وَلَتَفْجَعَنَّ بِمَخْلَصٍ لَكَ وَامِقٍ      حَبْلُ الْوَفَاءِ بِحَبْلِهِ مَوْصُولُ  
وَلَثْنُ سَبَقْتُ، وَلَا سَبَقْتُ، لِيَمْضِينَ      مَنْ لَا بُشَاكَ لَهُ لَدَى خَلِيلُ  
وَلِيَذْهَبَنَّ بِهَاءِ كُلِّ مَرْوَةٍ      وَلِيُقْقَدَنَّ جَاهُهَا الْمَاهُولُ  
وَأَرَاكَ تَكْلِفَ بِالْعِتَابِ وَوُدُّنَا      صَافٍ، عَلَيْهِ مِنَ الْوَفَاءِ دَلِيلُ  
وَدُّدًا لِذَوِي الْإِخَاءِ جَمَالُهُ      وَبَدَتْ عَلَيْهِ بِهَيْجَةٍ وَقَبُولُ  
وَلَعَلَّ أَيَّامَ الْحَيَاةِ قَصِيرَةٌ      فَعَلَامَ يَكْثُرُ عَنَبُنَا وَيَطْوُلُ  
إِلَى ههنا أوما أبو الطيب بقوله :

ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذُ وَنُفْسَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا      فَمَفْتَرِقٌ جَارَانِ دَارُهُمَا الْمَعْمَرُ

بنی عامر ، ماتامرون بشاعر  
أعفو كما يعفو الكريم فإنني  
تخیر آیات الكتاب هجانیا؟  
أرَى الشَّعْبَ فما بیننا متدانی

أَمْ أَغْمِضُ بَيْنَ الْجُلْدِ وَاللَّحْمِ غَمَضَةً      بمبرد روى يَقْطُ النِّوَاصِيَا  
فَأَمَّا سَرَاقَلْتُ الْمُهْجَاءَ فَإِنَّهَا      كلام تهاداه اللثام تهاديا  
أَمْ أَخْبِطُ خَبْطَ الْفِيلِ هَامَةً رَأْسَهُ      بِمَجْرَدٍ فَلَا يُبْقَى مِنَ الْعَظْمِ بَاقِيًا  
وعندى الدهيم لو أحلَّ عقابها      فتصبح لم تعد من الجن حاديا  
شبهه لسانه بمبرد روى لمضائه ، وشبه القصيدة التي لو شاء هجاء بها بالدهيم  
وهى الداهية ، وأصل ذلك أن الدهيم ناقة عمرو بن زبَّان الذَّهْلَى التي حملت رءوس  
بنيه معلقة في عنقها ، فجاءت بها الحى ، فضرب بها المثل للداهية .

لجريد

وقال جرير لبنى حنيفة ، وكان ميلهم مع الفرزدق عليه :  
أَبْنَى حَنِيفَةً أَخْصَمُوا سَفَهَاءَكُمْ      إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضَبَا  
أَبْنَى حَنِيفَةً إِنِّى إِنْ أَهْجَكُم      أَدْعِ الْيَمَامَةَ لَا تَوَارِىْ أَرْبَا  
« أَحْكُوا » كَفُوا ، من حكمة اللجاء .  
وقال أيضا لثيم الرباب رهط عمر بن لجأ :

يَا تَيْمٌ تَيْمٌ عَدِيَّ لَا أَبَا لَكُمْ      لَا يَلْقَيْنَكُمْ فِى سَوَاقٍ مُعْمَرُ  
وكان على بن سليمان الأخفش فى صباه يعيث ببن الرومى لما يعلم من طيرته ،  
فيجعل من يقرع الباب عليه بكرة ويتسمى له بأقبح الأسماء ، فيمنعه ذلك من  
التصرف ، فقال يتوعده :

لابن الرومى

قُولُوا لِنَحْوِيَّتِنَا أَبِى حَسَنٍ      إِنْ حُسَامِى مَتَى ضَرَبْتُ مَضَى  
وَإِنْ تَبَلِّى مَتَى هَمَمْتُ بِأَنْ      أَرِى نَصَلْتُهَا بِمَجْرٍ غَضَى  
لَا تَحْسَبَنَّ الْمُهْجَاءَ يَحْفَلُ بِالْـ\_\_\_\_رَفْعِ وَلَا خَفْضِ خَافِضٍ خَفْضَا  
وَلَا تَحْلُ عَوْدَتِى كَعَادَتِى      سَأَسْطِ السَّمَّ مِنْ عَصَى الْخَفْضَا  
أَعْرِفُ فِى الْأَشْقِيَاءِ لى رَجُلًا      لَا يَنْتَهَى أَوْ يَصِيرَ لى غَرَضًا  
يُليحُ لى صَفْحَةِ السَّلَامَةِ وَالسَّلَامِ ، وَيُخْفِى فِى قَلْبِهِ الْمَرْضَا



يَضْحَى مَغِيظًا عَلَى أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَنَلْتُ مِنْهُ رِضًا  
وَلَيْسَ تُجْدِي عَلَيْهِ مَوْعِظَتِي إِنْ قَدَّرَ اللَّهُ حَيْثَهُ فَقَضَى  
كَأَنِّي بِالشَّقِيِّ مُعْتَذِرًا إِذَا الْقَوَانِي أَدْقَنَهُ مَقْضَا  
يَنْشُدُنِي الْعَهْدَ يَوْمَ ذَلِكَ وَالْعَهْدُ خِفَارٌ إِذَا لَهُ قَبْضَا  
لَا يَأْمَنُ السَّفِيهَ بَادِرَتِي فَإِنِّي عَارِضٌ لِمَنْ عَرِضَا  
عِنْدِي لَهُ السُّوْطُ إِنْ تَلَوَّمْ فِي السَّيْرِ وَعِنْدِي اللَّجَامُ إِنْ رَكِضَا  
أَسْمَعْتُ أَنْبَاءَ صِبْيَتِي أَبَا حَسَنِ وَالنَّصِيحَ لِأَشْكَ نَصِيحَ مَنْ مَحْضَا  
وَهَوَّ مُعَافَى مِنَ السَّهَادِ فَلَا يَجْهَلُ فَيَشْرَى فِرَاشَهُ قَضِيضًا  
أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَا غَفْرَتَ لَهُ إِنْ وَاحِدٌ مِنْ عُرُوقِهِ نَبِيضًا  
وَكَذَلِكَ قَدْ فَعَلَ ، وَقَدْ مَرَّقَهُ بِالْهَجَاءِ كُلِّ مَرَّقٍ ، وَجَعَلَهُ مُثَلَّةً بَيْنَ أَصْحَابِهِ ،  
عَلَى أَنْ الْأَخْفَشَ كَانَ يَتَجَلَدُ عَلَيْهِ ، وَيُظْهَرُ قَلَّةُ الْمِبَالَةِ بِهِ ، وَهِيَاهُ ! وَقَدْ وَسَمَهُ

للمؤلف في  
الوعيد

سمة الدهر ، وسامه سوم الخسف والقهر . ومما قلته في هذا الباب :

يَا مُوجِعِي شَتْمًا عَلَى أَنَّهُ لَوْفَرَكَ الْبَرْغُوثُ نَا أَوْجَمَا  
كُلُّ لَه مِنْ نَفْسِهِ آفَةٌ وَآفَةُ النَحْلَةِ أَنْ تَلْسَمَا

وقلت من قصيدة خاطبت بها بعض بني مناد :

مِنْ بَصْحَبِ النَّاسِ مَطْوِيًّا عَلَى دَخَلٍ لَا يَصْحَبُوهُ ؛ فَخَلُّوا كُلَّ تَذْخِيرٍ  
لَا تَسْتَطِيلُوا عَلَى ضَعْفِي بِقَوْتِكُمْ إِنْ الْبَعُوضَةُ قَدْ تَعَدُّو عَلَى الْغِيلِ  
وَجَانِبُوا الْمَرْحَ ؛ إِنْ الْجَدِّ يَتَّبِعُهُ وَرُبُّ مُوجِعَةٍ فِي لَأْسِ تَقْبِيلِ  
ومنها بعد أبيات لا تليق بلموضع خوف الحشو :

يَا قَوْمَ لَا يَلْقَيْتَنِي مِنْكُمْ أَحَدٌ فِي الْمَهْلَكَاتِ ؛ فَإِنِّي غَيْرُ مَغُولٍ  
لَا تَدْخُلُوا بِالرِّضَا مِنْكُمْ عَلَى غَرَرٍ فَتُخْرِجُوا اللَّيْثَ غَضَبَانًا مِنَ الْغِيلِ  
إِلَّا تَكُنْ حَمَلَتْ خَيْرًا ضَامِرَكُمْ أَكُنْ تَأَبَّطَ شَرًّا نَاكِحَ الْغُولِ

(٨٠) — باب الهجاء

خير الهجاء

يروى عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال : خَيْرُ الهجاء ما تشده العذراء في خدرها فلا يقبح بمنزلها ، نحو قول أوس :

إذا ناقةٌ شَدَّتْ بِرَحْلِ وَغَمَرِ  
إلى حَيْثُكُمْ بَعْدِي فَضَلَّ ضَلَّاهَا  
واختار أبو العباس قول جرير :

لو أن تغلبَ جَمَعَتْ أَحْسَابَهَا  
يومَ التَّفَاخُرِ لم تَزِنْ مِثْقَالَ  
ومثل قوله :

فَقَضَ الطَّرْفَ لِمَنَّاكَ مِنْ نَمِيرٍ  
فَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابًا

الهجاء  
للقذع

وبين الاختيارين تناسب في عفة المذهب ، غير أن بيت جرير الثاني أشد هجاء لما فيه من التفضيل ، فقد حكى محمد بن سلام الجُمُحِي عن يونس بن حبيب أنه قال : أشد الهجاء الهجاء بالتفضيل ، وهو الإقذاع عندهم .

عقوبة الهجاء  
في الإسلام

قال النبي صلى الله عليه وسلم « من قال في الإسلام هجاء مقذعا فلسانه هَدَّر » ولما أطلق عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخطيئة من حبسه إياه بسبب هجائه الزبرقان بن بدر قال له : إياك والهجاء المُقْذَع ، قال : وما المُقْذَع يا أمير المؤمنين ؟ قال : المُقْذَع أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء وأشرف ، وتبني شعراً على مدح لقوم وذم لمن تعاديهم ، فقال : أنت واقع يا أمير المؤمنين أعلم مني بمذاهب الشعر ، ولكن حَبَانِي هؤلاء فمدحتهم وحرمتي هؤلاء فذكرت حرمانهم ولم أنل من أعراضهم شيئاً ، وصرفت مدحى إلى مَنْ أَرَادَهُ ورغبت به عن كرهه وَزَهَدَ فيه ، يريد بذلك قصيدته المهموزة التي يقول فيها:

وَأَنَيْتُ الْعِشَاءَ إِلَى سُهَيْلٍ  
أَوِ الشُّعْرَى فِطَالَ بِي الْإِنَاءِ

وهي أحب ما صنع . وفيها أَوْ من أجلها قال خلف الأحمر : أشد الهجاء أبلغ الهجاء أعفه وأصدق ، وقال مرة أخرى : ما عَفَ لفظه وصدق معناه ، ومن كلام صاحب الوساطة : فأما الهجو فأبلغه ما خرج نخرج التهزل والتهافت ، وما اعترض بين التصريح والتعريض ، وما قربت معانيه ، وسَهَّلَ حفظه ، وأسرع عُلُوقَهُ بالقلب ولصوقه بالنفس ، فأما القذف والإغشاش فسباب محض ، وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن .

ومما يدل على صِحَّةِ ما قاله صاحب الوساطة وحُسن ما ذهب إليه إعجابُ الحُذَّاق من العلماء وفرسان الكلام بقول زهير في تشكيكه وتهزله وتجاهله فيما يعلم :

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء  
فإن تكن النساء مُحَبَّاتٍ فَحَقُّ لكلِّ محضنة هداة  
وإن هذا عندهم من أشد الهجاء وأمَّضه .

ولما قدم النابغة بعد وقعة حِسِّي سأل بنى ذبيان : ما قلت لعامر بن الطَّفِيل وما قال لكم ؟ فأنشدوه ، فقال : أخشتم على الرجل وهو شريف لا يقال له مثل ذلك ، ولكي سأقول ، ثم قال :

فإن يكَّ عامرٌ قد قال جهلاً فإنَّ مَطِيَّةَ الجهل <sup>(١)</sup> السَّبَابُ  
فكن كأيك أو كأبي براء تُصَادِفُكَ الحكومة والصواب <sup>(٢)</sup>  
فلا يذهب بلبك طائشات <sup>(٣)</sup> من الخيلاء ليس لمن باب

(١) في إحدى روايات الديوان \* فإن مطية الجهل . . . وفيه « الشباب »

(٢) في الديوان \* توافقك الحكومة . . . .

(٣) في الديوان \* فلا تذهب بلبك طاميات \* والطاميات : المرتفعات ، والخيلاء : التكبر والاختيال ، وقوله « ليس لمن باب » معناه لا ينكشفن عنه ولا مفرج له منهن .

فإنك سوف تحلم أو تنأهى<sup>(١)</sup> إذا ما شئت أو شاب الغرابُ  
فإن تكن الفوارس يوم حسي أصابوا من لقائك ما أصابوا  
فما إن كان من سبب بعيد<sup>(٢)</sup> ولكن أدركوك وهم غصابُ  
فلما بلغ عامراً ما قال النابغة شقّ عليه ، وقال : ما هجاني أحد حتى هجاني  
النابغة ، جعلني القوم رئيساً ، وجعلني النابغة سفيهاً جاهلاً وتهم بي !

وروى أن شاعراً مدح الحسين بن علي رضي الله عنهما ، فأحسن عطيته ،  
فموتب على ذلك ، فقال : أترون [ أي ] خفت أن يقول إنني لست ابن فاطمة  
فثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابن علي بن أبي طالب ؟ ولكن  
خفت أن يقول : لست كرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولست كعلي ، فيصدق  
ويحمل عنه ، ويبقى مخلداً في الكتب ، ومحفوظاً على ألسنة الرواة ، فقال الشاعر :  
أنت والله يا ابن رسول الله أعلم بالمدح والذم مني ، وقد وقع الحسن بن زيد بن  
الحسين بن علي في بعض ما قال جده ، قال فيه ابن عاصم المديني ، واسمه محمد بن  
حمزة الأسدي :

له حق ، وليس عليه حق ومهما قال فالحسن الجليل  
وقد كان الرسول يرى حقوقاً عليه لأهلها وهو الرسول

وجميع الشعراء يرون قصر الهجاء أجود ، وترك الفحش فيه أصوب ،  
إلا حريراً فإنه قال لبنيه : إذا مدحتم فلا تطيلوا المادحة ، وإذا هجوتم فخالقوا ، وقال  
أيضا : إذا هجوت فأضحك . وسلك طريقته في الهجاء سواء على بن العباس  
ابن الرومي ، فإنه كان يطيل ويفحش ، وأنا أرى أن التعريض أهجى من التصريح ؛

مذاهب  
الشعراء في  
الهجاء

(١) في الأصول . . سوف تحم . . والتصويب عن الديوان .

(٢) في الديوان \* فما إن كان من نسب بعيد \*

لاتساع الظن في التعريض ، وشدة تعبق النفس به ، والبحث عن معرفته ، وطلب حقيقته ، فإذا كان الهجاء تصریحاً أحاطت به النفس علماً ، وقبلته يقيناً في أول وهلة ، فكان كل يوم في نقصان لنسيان أو مكلل يعرض ، هذا هو المذهب الصحيح ، على أن يكون المهجو ذا قدر في نفسه وحسبه ؛ فأما إن كان لا يوقظه التلويع ، ولا يؤله إلا التصريح ؛ فذلك ، ولهذا العلة اختلف هجاء أبي نواس ، وكذلك هجاء أوى الطيب فيه اختلاف ؛ لاختلاف مراتب المهجوين .

لربيعة الرقي في  
الهجاء

فن التفضيل في الهجاء قول ربيعة بن عبد الرحمن الرقي :

لشتان ما بين اليزيد بن الندى      يزيد سليم والأغر ابن حاتم  
فهم الفتى الأزدي إلتلاف ماله      وهم الفتى القيسي جمع الدراهم  
فلا يحسب التتمام أوى هجوته      ولكنني فضلت أهل المكارم

لزياد الأعجم

ومن الاستحقاق والاستخفاف قول زياد الأعجم :

قَمُّ صَاغِرًا يَا شَيْخَ جَرْمٍ فَأَيُّمَا      يقال لشيخ الصديق : قُمْ غَيْرَ صَاغِرٍ  
فَنَ أُنْتُمْ ؟ إِنَّا نَسِينَا مَنْ أَنْتُمْ      وريحكم من أى ريح الأعاصر !!  
أَنْتُمْ أَوْلَى جِئْتُمْ مَعَ التَّمَلِّ وَالذَّبَابِ      فطار ، وهذا شيخكم غير طائر  
قَضَى اللَّهُ خَلْقَ النَّاسِ ثُمَّ خُلِقْتُمْ      بَقِيَّةَ خَلْقِ اللَّهِ آخِرَ آخِرٍ  
فَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَّا مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ      ولم تدركوا إلا مدق الخوافر

للطرماح

وأخذ الطرماح منه هذا المعنى فقال :

وَمَا خُلِقْتَ تَيْمٌ وَعَبْدٌ مَنَاتِهَا      وَصَبَّةٌ إِلَّا بَعْدَ خَلْقِ الْقَبَائِلِ

لجريد

ومن الاحتقار أيضاً قول جرير في التيم :

وَيُقَضَّى الْأَمْرُ حِينَ تَغِيبُ تَيْمٌ      وَلَا يُسْتَأْذَنُونَ وَهُمْ شُهُودٌ  
فَابْكُ لَوْ رَأَيْتَ عَيْدَ تَيْمٍ      وَتَيْمًا قَالَتْ : أَيُّهُمْ الْعَبِيدُ ؟

لأبي هفان في  
التهمك

ومن ملبح التهم والاستخفاف قول أبي هفان :

سَلِيمَانُ مَيْمُونُ النَّقِيَّةِ حَازِمٌ      وَلَكِنَّهُ وَقَفَ عَلَيْهِ الْهَزَائِمُ  
الْأَعْوَدُوهُ مِنْ تَوَالِي فَتُوْحِهِ      عَسَاهُ تَرُدُّ الْعَيْنَ عَنْهُ التَّعَامُ

وفيه يقول ابن الرومي :

قَرْنُ سَلِيْمَانٍ قَدْ أَضْرَّ بِهِ      شَوْقٌ إِلَى وَجْهِهِ سَيُتْلَفُهُ  
كَمْ يَبْعِدُ الْقَرْنَ بِاللِقَاءِ ؟ وَكَمْ      يَكْذِبُ فِي وَعْدِهِ وَيُخْلِفُهُ ؟  
لَا يَعْرِفُ الْقَرْنَ وَجْهَهُ ، وَيَرَى      قَفَاهُ مِنْ فَرَسَخٍ فَيَغْرِفُهُ

أخذ معنى البيت الأخير من قول الخارجي وقد قال له المنصور : أى أصحابي كان أشد إقداماً في مبارزتك ؟ فقال : ما أعرف وجوههم ، ولكن أعرف أقفأهم ، فقل لهم يدبروا لأعرف .

أجود الهجاء

وأجود ما في الهجاء أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية وما تركب من بعضها مع بعض ، فأما ما كان في الخلقة الجسمية من المعاييب فالهجاء به دون ما تقدم ، وقدامة لا يراه هيجوا البتة ، وكذلك ما جاء من قبل الآباء والأمهات من النقص والفساد لا يراه عيباً ، ولا يعد الهجو به صواباً ، والناس - إلا من لا يُعَدُّ قِلَّةً - على خلاف رأيه ، وكذلك يوجد في الطباع [ وقد جاء ] ما أكد ذلك من أحكام الشريعة .

لأبي الحسن  
في الهجاء

وقد جمع السيد أبو الحسن أنواع الفضائل وسلبها بعض من رأى ذلك فيه صواباً ، فقال :

وَخِلْ لَا سَبِيلَ لَصَرَمِ حَبْلِهِ      تَعَرَّضَ لِي مَحْتَفٍ فَرَطَ جَهْلِهِ  
رَدِيُّ الظَّنِّ لَا يَأْوِي لَخَلْقٍ      وَلَا يُؤْوِي إِلَيْهِ لِسُوءِ فَعْلِهِ  
يُصَدِّقُ هَاجِسًا يَغْرَى ، وَيُغْرَى      بِتَكْذِيبِ الْعِيَانِ لضعفِ عَقْلِهِ  
وَيَشْنَأُ كُلَّ ذِي دِينٍ وَعِلْمٍ      وَأَصْلُ ثَابِتٍ لِفَسَادِ أَصْلِهِ

وكان السيد أبو الحسن في هذا الباب الذي سلكه من الهجاء كما قال ولئ  
إحسانه :

إذا لم تجد بداً من القول فانتصف بحمد لسان كالحسام المهند  
فقد يدفع الإنسان عن نفسه الأذى بمقوله ، إن لم يدافعه باليد  
ويقال : إن أهبى بيت قاله شاعر قول الأخطل في بني يربوع رهط أهبى بيت  
جرب :

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأهمهم : بولي على النار  
لأنه قد جمع فيه ضروباً من الهجاء : فنسبهم إلى البخل بوقود النار لثلا  
يهتدى بها الضيفان ، ثم البخل بإيقادها إلى السائرين والسالبة ، ورماهم بالبخل  
بالخطب ، وأخبر عن قلتها وأن بولة تطفئها ، وجعلها بولة عجوز ، وهي أقل من  
بولة الشابة ، ووصفهم بامتهان أهمهم وابتذالها في مثل هذا الحال ، يدل بذلك على  
العقوق والاستخفاف ، وعلى أن لا خادم لهم ، وأخبر في أضعاف ذلك ببخلهم  
بالماء ، وقال محمد بن الحسين بن عبد الله الأنصاري : إنه رماه في هذا البيت  
بالمجوسية ؛ لأن المجوس لا ترى إطفاء النار بالماء ، ولا أدري أنا كيف هذا والبول  
ماء غير أنه ماء بحس قدر ؟

وقيل لبني كليب : ما أشد ما هُجيتُم به ؟ قالوا : قول البعيث :

أنت كليباً إذا سيم خطة أقر كآقرار الحليلة للبعل  
وكل كليمي صحيفة وجهه أذل لأقدام الرجال من النعل

وكان النابغة الجعدي يقول : إني وأوسا لنبتدر باباً من الهجاء ، فن سبق  
منا إليه غلب صاحبه ، فلما قال أوس بن مغراء :

لعمرك ما تبلى سراويل عاصر من اللوم مادامت عليها جلودها

قال النابغة : هذا والله البيت الذي كنا نبتدره . والذي أراه أنا على كل

حال أن أشد الهجاء ما أضراب الغرض ، ووقع على النكتة ، وهو الذى قال  
خلف الأحمر بعينه .

### ( ٨١ ) باب الاعتذار

وينبغى للشاعر أن لا يقول شيئاً يحتاج أن يعتذر منه ، فإن اضطره المقدار  
إلى ذلك ، وأوقعه فيه القضاء ؛ فليذهب مذهباً لطيفاً ، وليقصد مقصداً عجيباً ،  
وليعرف كيف يأخذ بقلب المعتذر إليه ، وكيف يسبح أعطافه ، ويستجلب رضاه ،  
فإن إتيان المعتذر من باب الاحتجاج وإقامة الدليل خطأ ، لاسيما مع الملوك وذوى  
السلطان ، وحقه أن يلطف برهانه مدججا فى التضرع والدخول تحت عفو الملك ،  
وإعادة النظر فى الكشف عن كذب الناقل ، ولا يعترف بما لم يجنّه خوف تكذيب  
سلطانه أو رئيسه ، ويحيل الكذب على الناقل والحاسد ، فأما مع الإخوان  
فقلك طريقة أخرى

للأصباغى فى الاعتذار وقد أحسن محمد بن على الأصباغى حيث يقول:

العتذر يلحقه التحريف والكذب وليس فى غير ما يرضيك لى أرب  
وقد أسأتُ فبالنعمى التى سَلَقْتُ إلا مَنَنْتَ بعفوٍ ماله سَبَبُ

لإبراهيم بن المهدي وقال إبراهيم بن المهدي للمأمون فى أبيات يعتذر إليه :

اللهُ يعلمُ ما أقولُ فإنها جهد الألية من مُقرٍ خاضع  
ما إن عصيتك والفؤاد تمدنى أسبابها إلا بِنِيَّةٍ طائع

لأبى على البصير وقد سلك أبو على البصير مذهب الحجة وإقامة الدليل بعد إنكار الجناية ،  
فقال :

لم أجنِ ذنباً فإن زَعَمْتَ بأن جَنَيْتُ ذنباً ففسيرُ معتمدٍ  
قد تطرفُ الكفُّ عينَ صاحبها ولا يرى قطعها من الرشدِ  
ونحوت أنا هذا النحو فقلت :

للمؤلف



لَا يُبْعِدُ اللَّهُ أَبَا جَعْفَرٍ دُعَابَةً بَتُّ عَلَى نَارِهَا  
وَلِإِنْ تَأْذَيْتُ فَيَا رَبِّمَا تَأْذَتِ الْعَيْنُ بِأَشْفَارِهَا

وَأَجَلٌ مَا وَقَعَ فِي الْاِعْتِذَارِ مِنْ مَشْهُورَاتِ الْعَرَبِ قِصَائِدُ النَّابِغَةِ الثَّلَاثِ :  
اعْتِذَارَاتِ النَّابِغَةِ الدِّيَّانِي إِحْدَاهُنَّ :

\* يَادَارُ مَيَّةَ بِالْعَلِيَاءِ فَالْسَّنْدِ (١) \*

يقول فيها :

فَلَا لِعَمْرٍ الْذِي مَسَّخَتْ كَعْبَتَهُ وَمَاهُرٍ بَقَى عَلَى الْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ  
وَالْمُؤْمِنِ الْعَائِذَاتِ الطَّيْرِ تَمْسَحُهَا رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغِيلِ وَالسَّنْدِ  
مَا قَلْتُ مِنْ سَيِّئٍ مِمَّا أَتَيْتَ بِهِ إِذَا فَلَا رَفْعَتِ سَوْطِي إِلَى يَدِي  
إِذَا فَعَاقِبَنِي رَبِّي مُعَاقِبَةً قَرَّتْ بِهَاعَيْنُ مِنْ يَأْتِيكَ بِالْحَسَدِ (٢)  
إِلَّا مَقَالَةَ أَقْوَامٍ شَقِيتُ بِهَا (٣) كَانَتْ مَقَاتِلُهُمْ قِرْعًا عَلَى الْكَبْدِ  
نُبِذْتُ أَنْ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي وَلَا قَرَارَ عَلَى زَارٍ مِنَ الْأَسَدِ  
وَالثَّانِيَّةُ :

\* أَرْسَمَا جَدِيدًا مِنْ سَعَادٍ تَجَمَّبُ (٤) \*

(١) عجزه \* أقوت وطال عليها سالف الأمد \*

(٢) في الديوان « بالفند » وهو بفتح نين : الكذب.

(٣) في الديوان . . . . شقيت بهم . . . . قرعا على كبدي .

(٤) لم أقف على هذا المطلع في نسخ الديوان التي بين يدي ، ولا في غيرها من  
المراجع ، وكل ما وقفت على قوله أن بعض الرواة يذكر هذه الأبيات من كلمة أولها :

أَتَانِي - أَيْتِ اللَّعْنُ - أَنْكَ لَمْتَنِي وَتِلْكَ الَّتِي أَهْتَمُّ مِنْهَا وَأَنْصَبُ  
فَبِتْ كَانَ الْعَائِدَاتِ فَرَشَنَ لِي هَرَّاسًا بِهِ يَلْعَى فَرَّاشِي وَيَقْشِبُ

( ١٢ - العمدة ٢ )

يقول فيها معتذراً من مدح آل جفنة ومحتجاً بإحسانهم إليه :  
 حلفتُ فلم أتركْ لنفسك ربيبةً      وليس وراء الله للمرء مذهب  
 لئن كنت قد بلغت عني خيانةً      لمبلغك الواشى أغش وأكذب  
 ولكنني كنت امرأ إلى جانبٍ      من الأرض فيه مُستترادٌ ومهرب  
 ملوك وإخوان إذا ما لقيتهم      أحكم في أموالهم وأقرب  
 كفعلك في قوم أراك اصطفتهم      فلم ترهم في شكرهم لك أذنبوا  
 فلا تتركني بالوعيد كأنني      إلى الناس مطلي به القار أجرب  
 وذلك أن الله أعطاك سورةً      ترى كل ملكٍ دونها يتذبذب  
 فإنك شمسٌ والملوك كواكبٌ      إذا طلعت لم يبدُ منهم كوكب  
 والثالثة :

\* عفا ذو حسي من فرتنا فالقوارع<sup>(١)</sup> \*

يقول فيها بعد قسم قدمه على عاداته :  
 لكلفتني ذنبٌ امرئٍ وتركته      كذي العر يُكوى غيره وهوراتع  
 فإن كنت لاذوا الضغن عني مكذبٌ      ولا حليفي على البراء نافع  
 ولا أنا مأمون بقول أقوله      وأنت بأمرٍ لا محالة واقع  
 فإنك كالليل الذي هو مدركي      وإن خلت أن المتأى عنك واسع  
 وقد تعلق بهذا المعنى جماعة من الشعراء : قال سلم الخاسرُ يعتذر إلى  
 المهدي :

إلى أعوذ بخير الناس كلهم      وأنت ذاك بما نأى وبجتنب  
 وأنت كالدهر مَبْثُوثاً حَباً لله      والدهرُ لا ملجأ منه ولا هرب  
 ولو ملكتُ عنانَ الریح أصرِفُهُ      في كل ناحية ما فاتك الطلب

لسلم  
الخاسر

(١) عامه \* فسطا أريك فالنلاع الدوافع \*

فليسَ إلا أَنْتَظَارِي مِنْكَ عَارِفَةً فِيهِامِنَ الْخَوْفِ مَنَجَاةً وَمُنْذَرَةً

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

لعبيد الله  
بن عبد الله  
بن طاهر

وَإِنِّي وَإِنْ حَدَّثْتُ نَفْسِي بِأَنِّي أَفُوتُكَ إِنَّ الرُّأْيَ مِنِّي لَعَارِبُ  
لَأَنَّكَ لِي مِثْلُ الْمَكَانِ الْمُحِيطِ بِي مِنْ الْأَرْضِ أُنِ اسْتَنْهَضْتَنِي لِلْمَذَاهِبِ

للمتنى

وإلى هذه الناحية أشار أبو الطيب بقوله :

وَلَكِنَّكَ الدُّنْيَا إِلَى حَبِيبَةٍ فَمَا عَنْكَ لِي إِلَّا إِلَيْكَ ذَهَابُ  
إِلَّا أَنَّهُ حَرَفَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ .

لعلى بن جبلة

وَأَخْتَارَ الْعُلَمَاءُ لِهَذَا الشَّأْنِ قَوْلَ عَلِيِّ بْنِ جَبَلَةَ :

وَمَا لِمَرِيءٍ حَاوَلْتُهُ عَنْكَ مَهْرَبٌ وَلَوْ رَفَعْتُهُ فِي السَّمَاءِ لِلْمَطَالِعِ  
بَلِي هَارِبٌ لَا يَهْتَدِي لِمَكَانِهِ ظِلَامٌ وَلَا ضَوْءٌ مِنَ الصَّبْحِ سَاطِعُ  
لَأَنَّهُ قَدْ أَجَادَ مَعَ مَعَارِضِهِ النَّابِغَةِ ، وَزَادَ عَلَيْهِ ذِكْرَ الصَّبْحِ ، وَأَخَذَهُ  
اِقْتَدَى بِقَوْلِ الْأَصْمَعِيِّ فِي بَيْتِ النَّابِغَةِ : لَيْسَ اللَّيْلُ أَوْلَى بِهَذَا التَّمْلِ مِنَ النَّهَارِ  
وَفِي هَذَا الِاعْتِرَاضِ كَلَامٌ يَأْتِي فِي مَوْضِعِهِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ، إِنْ شَاءَ  
اللَّهُ تَعَالَى .

وَأَفْضَلُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ( يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ) .

لأبي الهول  
الحميري

ووجد الفضل بن يحيى على أبي الهول الحميري فدخل إليه فأنشده :

كَسَانِي وَعِيدُ الْفَضْلِ ثَوْبًا مِنَ الْبَلِي وَإِعَادَةُ الْمَوْتِ الَّذِي مَالَهُ رَدُّ  
وَمَا لِي إِلَى الْفَضْلِ بِنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ مِنَ الْجَرَمِ مَا يَخْشَى عَلَى مِثْلِهِ الْحَقْدُ  
فَجَدُّ بِالرَّضَا لَا أَبْتَنِي مِنْكَ غَيْرَهُ وَرَأْيُكَ فِيمَا كُنْتَ عَوْدَتِي بَعْدُ

فقال له الفضل على مذهب الكتاب في تحرير الخطاب : لا أحتمل والله قولك : « ورأيتك فيما كنت عودتني » فقال أبو الهول : لا تنظر أعزك الله إلى قصر باعى ، وقلة تمييزي ، وافعل بى ما أنت أهله ، فأمر له ببال جسيم ، ورضى عنه ، وقرَّبه .

وفي اشتقاق الاعتذار ثلاثة أقوال : أحدها أن يكون من الخو ، كأنك محوت آثار الموجدة ، من قولهم : اعتذرت للنازل ، إذا درست ، وأنشدوا قول ابن أحر :

اشتقاق  
الاعتذار

أَمْ كُنْتَ تَعْرِفُ آيَاتِ فَقْدٍ جَعَلَتْ  
أُطْلَالُ إِنْكَ بِالْوَدَّاءِ تَعْتَذِرُ<sup>(١)</sup>

والثانى : أن يكون من الألقاع ، كأنك قطعت الرجل عما أمسك في قلبه من الموجدة ، ويقولون « اعتذرت للمياه » إذا انقطعت . وأنشدوا للبيد :  
شُهُورُ الصَّيْفِ وَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ نَطَاقُ الشَّيْطَانِ مِنَ السَّمَاءِ  
والقول الثالث : أن يكون من الحَجَرِ والمنع . . . قال أبو جعفر : يقال « عذرت الدابة » أى جعلت لها عذاراً يحجزها من<sup>(٢)</sup> الشَّرَادِ ، فعنى « اعتذر الرجل » احتجز ، وعذرتة : جعلت له بقبول ذلك منه حاجزاً بينه وبين العقوبة والعَتَبِ عليه ، ومنه « تَعَذَّرَ الأمر » احتجز أن يُقْضَى ، ومنه « جارية عَذْرَاء » .

(١) قبل هذا البيت قوله :

بان الشباب وأفسى ضعفه العمر لله درك أى العيش تنتظر ؟  
هل أنت طالب شيء لست مدركه ؟ أم هل لقلبك عن ألافه وطر ؟

(٢) العذار - بوزن الكتاب - اللجام ، ويحجزها : يمنعها ، والشرد - بكسر الشين - النفار والجماع .

(٨٢) — باب سيرورة الشعر ، والحظوة في المدح

كان الأعشى أشير الناس شعراً ، وأعظمهم فيه حظاً ، حتى كاد يُنسى الناس  
أصحابه المذكورين معه ؛ ومثله زهير ، والنابعة ، وامرؤ القيس ؛ وكان جرير  
نابعة الشعر مظفراً ، قال الأخطل للفرزدق : أنا والله أشعر من جرير ، غير أنه  
رُزِقَ من سيرورة الشعر ما لم أرزقه ، وقد قلت بيتاً لا أحسب أن أحداً قال أهجى  
منه ، وهو :

قَوْمٌ إِذَا اسْتَنْبَحَ الْأَصْيَافَ كُلَّهُمْ      قَالُوا لِأَمِهِمْ : يُؤْلِي عَلَى النَّارِ

وقال هو :

وَالْتَعَلَّجْتُ إِذَا نَفَخْتَحَ لِلْقَرَى      حَكَّ اسْتُهُ وَتَعَلَّ الْأَمْثَلَا

فلم يبق سقاء ولا أمة حتى روته . قال الأصمعي : فكما له بسيرورة الشعر

قال الحسين بن الضحاك الخليلي : أنشدت أبا نواس قولي :

وشاطريّ اللسان مخلق التكريه شاب المَجُونِ بِالنُّسْكِ

إلى أن بلغت إلى قولي :

كأَنَّمَا نُصَبَ كَأْسُهُ قَرَرٌ      يَكْرَعُ فِي بَعْصِ أَجْمِ الطَّلَكِ

ففنر نَفْرَةً منكراً ، فقلت : مالك فقد أفرغتني ؟ ! ! فقال : هذا معنى مليح

وأنا أحقُّ به ، وسترى لمن يروى ، ثم أنشدني بعد أيام :

إِذَا عَبَّ فِيهَا شَارِبُ الْقَوْمِ خَلَهُ      يَقْبَلُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ كَوَكْبَا

فقلت : هذه مصالحتة بأعلى ، فقال : أتظن أنه يروى لك معنى مليح وأما في الحياة ؟ ! !

وأنت ترى سيرورة بيت أبي نواس كيف نُسيَ معها بيت الخليلي ، على أن

له فضل السبق ، وفيه زيادة ذكر القمر ، وقد أربى ابن الرومي عليهما جميعاً بقوله :

الذين  
سار شعرهم  
في الجاهلية  
وفي الإسلام

بين الخليلي  
وأبي نواس

أَبْصَرْتَهُ وَالْكَأْسُ بَيْنَ فَمٍّ مِنْهُ وَبَيْنَ أَنْأَمِلِ خَمْسٍ  
وَكُنْهَا وَكَأَنَّ شَارِبَهَا قَعَرٌ يُقَبِّلُ عَارِضَ الشَّمْسِ  
ولكن بيت أبي نواس أملاً للفم والسمع ، وأعظم هيبة في النفس والصدر  
ولذلك كأن أسير .

وفي زماننا هذا قوم يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون .  
وليس في العرب قبيلة إلا وقد نيل منها ، وهجيت ، وعيرت ؛ فخط الشعر بعضاً  
منهم بموافقة الحقيقة ، ومضى صفحاً عن الآخرين لما لم يوافق الحقيقة ، ولا صادف  
موضع الرمية .

فمن الذين لم يحك فيهم هجاء إلا قليلاً على كثرة ما قيل فيهم : تميم بن مرة ،  
وبكر بن وائل ، وأسدي بن خزيمه ، ونظراؤهم من قبائل اليمن .

قبائل  
لم يحك هجاؤهم  
إلا قليلاً  
قبائل شقيت  
بالهجاء

ومن الذين شقوا بالهجاء ، ومزقوا كل ممزقٍ على تقدمهم في الشجاعة والفضل  
أحياء من قيس : نحو غني وباهلة ابني أعصر بن سعد بن قيس عيلان ، واسم غني  
عمرة ، وكانوا موالى عامر بن صعصعة : يحملون عنهم الديات والنوائب ، ونحو محارب  
ابن خصفة بن قيس عيلان ، وجسر بن محارب<sup>(١)</sup> حالفوا بني عامر بن ربيعة بن عامر  
ابن صعصعة على لوم الحلف ، ومن ولد طابخة بن إلياس بن مضر : تميم وعُكْل ابنا  
عبد مناة بن أد ، صادف الشعر سباء كان وقع عليهم في الجاهلية ، فاستهان العرب  
بهم ، وانطبع الهجاء فيهم ، وعدى بن عبد مناة ، كانوا قطينا لحاجب بن زُرارة ،  
وأراد أن يستملكهم ملك رُق بسجل من قبل المنذر ، والحِطَّات ، وهم ولد الحارث  
ابن عمرو بن تميم ، وسمى الحارث الحِطَّ لعظم بطنه ، شبهوه بالجل الحبط ،  
وهو الذي انتفخ بطنه مما رعى الخُلا ؛ فأما سُلُول فقد قال فيهم أبو زياد

(١) في الأصول « حسي بن مخالف » وجسر بن محارب : ابن خصفة بن قيس

عيلان .

الكلابي : كرام من كرام من صمصعة ، لم يحالفوا ، ولم يدخلوا في صغار ، وإنما كلمة عامر بن الطفيل التي حدثت هي التي شأمتهم ، يريد قوله « أعدّة كغدة البعير وموت في بيت سلوية » قلت : أما عامر فقد قال هذه الكلمة حين دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فما يصنع بقول السموأل بن عاديا :

ونحن أناس لا زرى القتل سبة إذا ما رآته عامرٌ وسلول  
والسموأل في زمان امرئ القيس ، وبين امرئ القيس ومبعث رسول الله  
صلى الله عليه وسلم مائة وأربع وخمسون سنة

قال الجاحظ : لم تمدح قبيلة قط في الجاهلية من قريش كما مدحت مخزوم الذين حظوا  
قال : وكان عبد العزيز بن مروان أحظى في الشعر من كثير من خلفائهم ،  
قال : ولم يكن من أصحابنا وخلفائنا أحظى في الشعر من الرشيد ، وقد كان  
يزيد بن مزيد وعنه معن بن زائدة ممن أحظاه الشعر ، ولا أعلم في الأرض  
نعمة بعد ولاية الله تعالى أعظم من أن يكون الرجل ممدوحاً .  
قلت أنا : أما هذه النعمة فقد أحلها الله مضاعفة عند السيد أبي الحسن ،  
وقرّنها منه بالاستحقاق ، فقرت مقرها ، ونزلت منزلها المختار لها ، وأحيا الله  
لبنى شيبان حمداً لم يشبهه ذم ، وجوداً لم يعقبه قدم ، مما زاد على يزيد ، ولم يدغ  
لمن معنى في الجود .

وقال غيره : كان عمر<sup>(١)</sup> بن الهلاء ممدوحاً ، وفيه يقول بشار بن برد :

(١) هذا الاسم قد وقع في ترجمة أبي العتاهية من الأغاني (٣ / ١٤٤ بولاق)  
مع الأبيات السابق ذكرها في ص ١٣٣ من هذا الجزء « عمرو بن العلاء » بفتح  
العين وسكون الليم وبالواو الفارقة ، وكذلك وقع في ترجمة بشار بن برد من الأغاني  
(٣ / ٤٦) مع ثلث هذه الأبيات وبيتين من أبيات أبي العتاهية ، وكذلك  
في مذهب الأغاني (٨ / ٤٨) واسكن أبيات بشار لا تستقيم إلا على قراءته بضم  
العين وفتح الليم وبدون واو ، وهو الصواب . وانظر - مع ذلك - ص ١٨٤ الآتية

قل للخليفة إن جئته نصيحاً ولا خيرَ في التهم  
إذا أيقظتكَ حُرُوبُ العدا فنبه لها مُعمرًا ثم نم  
فتى لا يبيتُ على دمنة ولا يشرب الماء إلا بدم  
دعاني إلى عمرٍ جوده وقول العشيبة بجرٍ خضم  
ولولا الذي زعموا لم أكن لأمدحَ ريحانة قبلَ شم

وله يقول أبو العتاهية :

إن المطايا تشتكيك لأنها قطعتُ إليك سباسباً ورمالا  
وقد مرت الأبيات فيما مضى من هذا الكتاب (٢).

قال أبو عبيدة : لم يمدح أحد قط بني كليب غير الخطيئة بقوله :

لعمرك ما المجاور في كليب بمقصي الجوار ولا مضاع  
هم صنعوا جارهم وليست يد الخرقاء مثل يد الصنّاع  
ويحرم سرّ جارهم عليهم ويأكل جارهم أنف القصاص

مفاخر  
تميم

كانت قيس تفتخر على تميم ؛ لأن شعراءهم تضرب المثل بقبائل قيس ورجالها

فأقامت تميم دهرًا لا ترفع رءوسها حتى قال لييد :

أبني كليب كيف تنفي جعفرٌ وبنو ضبيينة حاضرو الأجاب  
قتلوا ابن عروة ثم لطؤوا دونه حتى يحاكمهم إلى جواب  
يرعون منخرق الحديد كأنهم في العزاسة حاجب وشهاب  
متظاهري حلق الحديد عليهم كبنى زُرارة أو بنى عتاب  
قومٌ لهم عرّفت معدّ فضلها والفضل يعرفه ذوو الألباب

وقال زبان بن منصور الفزاري :

فجاءوا يجمعُ مُحزِلٌ كَأَنَّهُمْ بنو دارم إذ كان في الناس دارم



فتكلمت تميم وافتخرت ؛ لمكان هذين الشاعرين للعظيمى القدر فى قيس ،  
فدل هذا على أن قيساً أحظى بالمدح من تميم .

الأوابد  
من الشعر

والأوابد من الشعر الأبيات السائرة كالأمثال ، وأكثر ما تستعمل الأوابد  
فى الهجاء ، يقال : رماها بأبدة ، فتكون الأبدة هنا الداهية ، قال الجاحظ :  
الأوابد الدواهي ، ومنه أوابد الشعر ، حكاه عن أبى زيد ، وحكى :  
الأوابد الإبل التى تتوحشُ فلا يُقدر عليها [إلا] بالعقر ، والأوابد الطير التى  
تقيم صيفاً وشتاء ، والأوابد الوحش ؛ فإذا حملت أبيات الشعر على ما قال  
الجاحظ كانت المعانى السائرة كالإبل الشاردة المتوحشة ، وإن شئت  
المقيمة على من قيدت فيه لا تفارقه كاقامة الطير التى ليست بقواطع ، وإن  
شئت قلت : إنها فى بعدها من الشعراء وامتناعها عليهم كالوحش فى نفارها  
من الناس .

المجدودون  
فى التكسب  
بالشعر

وأما المجدودون فى التكسب بالشعر والحظوة عند الملوك فمنهم : سلم الخاسر  
مات عن مائة ألف دينار ، ولم يترك وارثاً ، وأبو العتاهية صنع :

تعالى الله يا سلمُ بنَ عمرو أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ

وكان صديقه جداً ، فقال سلم : ولى من ابن الفاعلة ، جمع القناطير من  
الذهب ونسبني إلى ماترون من الحرص ، ولم يرد ذلك أبو العتاهية ، لكن  
دعاه يعجبه كما يفعل الصديق مع صديقه ، ومروان بن أبى حفصة : أُعْطِيَ  
مائة ألف دينار غير مرات ، وكان لا يقابل إلا بالكثير ، وهو لعمرى من  
ذوى البيوتات ، والمعرقين فى التكسب بالشعر ، وكان أبو نواس محظوظاً  
لا يدرى ماوصل إليه ، لكنه كان متلاًفاً متمحاً ، وكان يتساجل فى الإنفاق  
هو وعباس بن الأحنف وصريع الغوانى ، وكان البحتري مَلِيّاً قد فاض  
كسبه من الشعر ، وكان يركب فى موكب من عبيده ، وأبو تمام فما وفى

حقه مع كثرة ما صار إليه من الأموال ؛ لأنه تبذل ، وجاب الأرض ، وكذلك أبو الطيب .

### (٨٣) — باب ما أشكل من المدح والهجاء

لرجل  
سعدى  
أنشدنا أبو عبد الله محمد بن جعفر النحوى ، عن أبي على الحسين بن إبراهيم  
الأمدى ، لرجل من بنى عبد شمس بن سعد بن تميم :

تَصَيَّفَنِي وَهَنَا ، قُلْتُ : أَسَابِقِي إِلَى الزَادِ؟ شَلَّتْ مِنْ يَدَيَّ الْأَصَابِعُ  
وَلَمْ تَلْقَ لِلسَّعْدِيِّ ضَيْفًا بِقَفْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ إِلَّا وَهُوَ عُرْيَانٌ جَائِعٌ  
لَمْ يَرِدْ أَنَّهُ يَسْبِقُ ضَيْفَهُ إِلَى الزَادِ فَيَكُونُ قَدْ هَجَا نَفْسَهُ ، وَلَكِنَّهُ وَصَفَ ذُبَابًا  
لَقِيَهُ لَيْلًا ، فَقَالَ : أَتَسْبِقُنِي أَنْتَ إِلَى الْأَكْلِ ؟ أَيْ : تَأْكُلُنِي ، شَلَّتْ إِذْنُ أَصَابِعِي  
إِنْ لَمْ أُرْمَكْ فَأَقْتُلْكَ فَأَكُلْ مِنْ لَحْمِكَ !! ثُمَّ قَالَ عَلَى جِهَةِ الْمَثَلِ : لَمْ تَلْقَ  
لِلسَّعْدِيِّ — يَعْنِي نَفْسَهُ — ضَيْفًا بِقَفْرَةٍ لَا مُسْتَعْتَبَ فِيهَا — يَعْنِي الذُّبَابَ — إِلَّا وَهُوَ جَائِعٌ ،  
يَقُولُ : فَهُوَ لَا يَبْقَى عَلَيَّ لِأَنِّي بَغَيْتُهُ .

مما أنشدوه

ومن أناشيدهم :

أَبُوكَ الَّذِي نُبِّئْتُ يُجَحِّسُ خَيْلَهُ غَدَاةَ النَّدَى حَتَّى يَجِفَّ لَهَا الْبَقْلُ  
قَالُوا : إِذَا أَخَذَ مَطَرُ الصَّيْفِ الْأَرْضَ أَنْبَتَتْ بَقْلًا فِي أَصُولِ بَقْلِ قَدِيبِيسَ  
فَذَلِكَ الْأَخْضَرُ هُوَ النَّشْرُ ، وَهُوَ الْغَمِيرُ ، فَتَأْكُلُهُ الْإِبِلُ ، فَيَأْخُذُهَا الشُّهُامُ ، وَلَا  
سَهَامَ فِي الْخَلِيلِ ؛ فَعَابَهُ بِالْجَهْلِ بِالْخَلِيلِ .

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : هَذَا الْقَوْلُ خَطَأٌ ، بَلْ مَدَحَهُ بِمَعْرِفَةِ الْخَلِيلِ ؛ لِأَنَّ النَّشْرَ مُؤْذٍ  
لِكُلِّ مَنْ يَأْكُلُهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ثُمَّ سُهَامٌ .

وَقَالَ سَلْيَانُ بْنُ قَنَسَةَ فِي رِثَاءِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَذَكَرَ آلَ  
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيُرْوَى لِلْفَرَزْدَقِ :

لسليان  
ابن قنّة

أُولَئِكَ قَوْمٌ لَمْ يَشِيمُوا سَيُوفَهُمْ وَلَمْ تَكْثُرِ الْقَتْلَى بِهَا حِينَ مُلَّتِ  
أَرَادَ لَمْ يَعْمِدُوا سَيُوفَهُمْ إِلَّا بَعْدَ أَنْ كَثُرَتْ بِهَا الْقَتْلَى ، كَمَا تَقُولُ : لَمْ أَضْرِبْكَ  
وَلَمْ تَجْنِ عَلَى إِلَّا بَعْدَ أَنْ جَنَيْتَ عَلَى ؛ وَقَالَ آخَرُونَ : أَرَادَ لَمْ يَسْلُوا سَيُوفَهُمْ  
إِلَّا وَقَدْ كَثُرَتْ بِهَا الْقَتْلَى ، كَمَا تَقُولُ : لَمْ أَلْقُكَ وَلَمْ أَحْسَنْ إِلَيْكَ إِلَّا وَقَدْ  
أَحْسَنْتَ إِلَيْكَ ، وَالْقَوْلَانِ جَمِيعًا صَحِيحَانِ ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْأَضْدَادِ .

كعم الكلب

وَيَنْشُدُونَ قَوْلَ الْآخَرِ :

هَجَمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْمُمُ كَلْبَهُ دَعِ الْكَلْبَ يَنْبَحْ إِنَّمَا الْكَلْبُ نَابِحٌ

وَيُرْوَى :

دُفِعْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْنُقُ كَلْبَهُ أَلَا كُلُّ كَلْبٍ - لَا أَبَالِكَ - نَابِحٌ  
قَالُوا : فَالْمَدْحُ أَنْ يَكُونَ إِنَّمَا يَكْمُمُهُ لثَلَا يَنْقَرُ الضِّيُوفَ ، وَالذَّمُّ أَنْ يَكُونَ  
ذَلِكَ لثَلَا يَنْبَحُ فَيَدُلُّ عَلَيْهِ الضَّيْفَ ، وَأَنَا أَعْرِفُ هَذَا الْبَيْتَ فِي هِجَاءِ مَخْضٍ لِلرَّاعِي  
هَجَا بِهِ الْخَطِيئَةَ ، وَهُوَ :

أَلَا قَبِيحَ اللَّهِ الْخَطِيئَةُ ؛ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ مَنْ وَافَى مِنَ النَّاسِ سَالِحٌ

وَيُرْوَى : \* عَلَى كُلِّ ضَيْفٍ ضَافَهُ فَهُوَ سَالِحٌ \*

هَجَمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْمُمُ كَلْبَهُ دَعِ الْكَلْبَ يَنْبَحْ إِنَّمَا الْكَلْبُ نَابِحٌ  
بَكَيْتَ عَلَى مَذْقِ خَبِيثِ قَرِيئَتِهِ أَلَا كُلَّ عَدِيْسٍ عَلَى الزَّادِ نَابِحٌ

وَأَنشَدَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ :

تجنّب  
الجيوش

تَجَنَّبُكَ الْجِيُوشُ أَبَا خَبِيْبٍ وَجَادَ عَلَى مَنَازِلِكَ السَّحَابُ

وَيُرْوَى : \* أَبَا رَيْبٍ \* قَالَ : إِنْ دَعَا لَهُ فَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَعَافِيَ مِنَ الْجِيُوشِ ،  
وَأَنْ يَجُودَهُ السَّحَابُ فَتُخَصِّبَ أَرْضَهُ ، وَإِنْ دَعَا عَلَيْهِ قَالَ : لَا بَقِيَ لَكَ خَيْرٌ تَطْمَعُ  
فِيهِ الْجِيُوشُ ، فَهِيَ تَجَنَّبُ دِيَارَكَ لَعَلَّهُمْ بِقَسْلَةِ الْخَيْرِ عِنْدَكَ ، وَيَدْعُو عَلَى  
مَحَلَّتِهِ بِأَنْ تَدْرُسَهَا الْأَمْطَارُ .

وقال غيره : معناه جاد على محلتك السحاب فأخصبت ولا ماشية لك ، فذلك  
أشد لهلك وغمك ، ويكون المعنى حينئذ كقول الآخر :  
وخيفاء ألقى الغيث فيها ذراعهُ فسرّت وساءت كلّ ماشٍ ومصرم  
أى : فسرت كل ماشية ، وساءت كل فقير .  
وأنشد [ أبو عبد الله ] أيضا :  
إني على كل إيسارٍ ومّعسرٍ أدعو حبيشاً كما تدعى ابنة الجبل  
وروى المبرد : \* أدعو حنيفا \*

ابنة  
الجبل

يريد أنه يجيب بسرعة كالصّدى ، وهو ابنة الجبل ، وقيل : ابنة الجبل  
الصخرة المنحدرة من أعلاه ، وزاد أبو زيد في روايته بيتاً ، وهو :  
إن تدعه موهناً يعجل بجأته عارى الأشاجع يسقى غير مُستملٍ  
فهذا مدح لا محالة ، ومنهم من حمله على قول الآخر :  
كأنى إذ دعوتُ بنى حنيفٍ دعوتُ بدعوتى لهمُ الجبالا  
ورواه قوم : \* بنى سليم \*  
من مدح جعله كالأول في سرعة الإجابة ، ومن ذمّ نسبهم إلى النقل عن  
إجابته مثل الجبال .

ومن الدعاء الذى يدخل فى هذا الباب قول الآخر :  
تفرّقتُ غمى يوماً فقلتُ لها : يارب سلطْ عليّ الذئب والضبعُما  
قيل : لئنهما إذا اجتماعا لم يؤذيا ، وشغل كل واحدٍ منهما الآخر ، وإذا  
تفرقا آذيا ، وقيل : إن معناه فى الدعاء عليها قتل الذئب الأحياء عيئاً ، وأكل  
الضبع الأموات ، فلم يبق منها بقية .

ومن لطيف ما وقع فى هذا الباب قول النابغة الذبياني :  
يصدُّ الشاعرُ الثّنيانُ عني صدودَ البكرِ عن قرمٍ هجانٍ

الثنيان

لم يرد أنه يغلب الثنيان ولا يغلب الفعل ، لكن أراد التصغير بالذى هاجاه ،  
فجعله ثانياً ، وقال الآخر :

وَمَنْ يَفْخَرُ بِمَثَلِ أَبِي وَجَدَى يَجِيءُ قَبْلَ السَّوَابِقِ وَهُوَ ثَانِي  
أراد وهو ثان من عنانه ؛ لأنه يسبق متمهلاً .

ذو فجرات

وقال ابن مقبل :

إِذَا الرِّفَاقُ أَنْأَخُوا حَوْلَ مَنْزِلِهِ حَلُّوا بِذِي فَجَرَاتٍ زَنْدُهُ وَارِي  
قال ابن السكيت « بذى فجرات » أى : يتفجر بالسخاء والعطاء ، ويدل

على ما قال ابن السكيت أن لصيق هذا البيت :

جَمُّ الْمَخَارِجِ ، أَخْلَاقُ الْكَرِيمِ لَهُ ، صَلَّتِ الْجَبِينِ ، كَرِيمِ الْخَالِ مَغْوَارِ  
ومما يمدح به ويدم قولهم « هو بيضة البلد » فن مدح أراد بها أصل الطائر ،  
ومن ذم أراد أنها لأصل لها ، قالت أخت عمرو بن عبدود فى على بن أبى طالب  
رضى الله عنه لما قتل أخاها :

لَوْ كَانَ قَاتِلُ عَمْرٍو غَيْرَ قَاتِلِهِ تَقَدَّ بِكَثِّتٍ عَلَيْهِ آخِرَ الْأَبَدِ  
لَكِنَّ قَاتِلَهُ مِنْ لَا يُعَابُ بِهِ وَكَانَ يُدْعَى قَدِيمًا بَيْضَةُ الْبَلَدِ  
فهذا مدح كما تراه .

وقال الراعى النميرى يهجو عدى بن الرقاع العاملى :

لَوْ كُنْتُ مِنْ أَحَدٍ يَهْجَى هَجْوُكُمْ يَا أَبْنَ الرَّقَاعِ ، وَلَكِنْ لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ  
تَأْتِي قُضَاعَةٌ أَنْ تَرْضَى لَكُمْ نَسَبًا وَابْنَا نَزَارٍ ؛ فَأَنْتُمْ بَيْضَةُ الْبَلَدِ  
وأشدد بعض العلماء :

وَإِنِّي لَفَلَّامٌ لِأَشْمَثَ بَائِسٍ عَرَانَا ، وَمَقْرُورٍ بَرَى مَالَهُ الدَّهْرُ  
وَجَارٍ قَرِيبَ الدَّارِ ، أَوْ ذَى جِنَايَةِ غَرِيبٍ بَعِيدِ الدَّارِ لَيْسَ لَهُ وَفْرُ  
يظنه السامع هجا نفسه بظلم هؤلاء الذين ذكر ، وإنما مدحها بأنه يظلم

الناقة فينحر فصيلها من غير علة ولا داء ، إلا لضيافة هذا الأشعث ، والجار ، وأشباههما .

#### (٨٤) — باب في أصول النسب ويوتات العرب

أول النسب بعد آدم صلى الله عليه وسلم من نوح عليه السلام ؛ لأن جميع من كان قبله قد هلك ، وإنما بقي من ولده سام ، وحام ، وياث ؛ فولد يافث الصقالبة وبرجان والأشبان ، وكانت منازلهم أرض الروم ، من قبل أن تكون الروم ، ومن ولده الترك ، والخزر ، وياجوج ومأجوج ؛ وولد حام كوش وكنعان وقوط ؛ فأما قوط فنزل أرض الهند والسند فأهلها من ولده ، وأما كوش وكنعان فأجناس السودان ، والنوبة ، والزنج ، والزارة ، والحبشة ، والقبط ، وبربر من أولادها ؛ وولد سام إرم ، وإرخشذ ، فعاد بن عوص بن إرم ، وطشم وجديس ابنا لاوذ بن إرم ، ومنهم العماليق ، ومنهم فراعنة مصر ، والجبابرة ، ومنهم ملوك فارس ، وأجناس الفرس كلها ولده ، وثمود بن عابر بن سام ، وماش بن إرم نزل بابل ، و [ من ] ولده نمرود الذي فرق الله الأسنة في زمانه ، وهو الذي بنى الصرح ببابل ، ويقال : إن النبط من ولد ماش ؛ ويقال أيضاً : إنهم من ولد شاروخ بن فالغ بن إرخشذ ، والأنبياء كلها عريبيها ومجميها ، والعرب كلها يمنيها ونزارية من ولد سام بن نوح ، حكى جميع ذلك ابن قتيبة ، ومن ولد إرخشذ قحطان بن عابر بن شالخ بن إرخشذ ، وكان مسكن قحطان اليمن ، فكل يمان من ولده ، فهم من العرب العاربة . ويقطن بن عابر ، وهو أبو جرم ، وكانت مساكن جرم اليمن ، ثم نزلوا مكة فسكنوا بها ، وتزوج إسماعيل صلى الله عليه وسلم امرأة منهم ؛ فهم أحوال العرب المستعربة .

أصل  
الأنساب

طبقات  
العرب

قال الزبير بن بكار : العرب ست طبقات : شعب ، وقبيلة ، وعارة ،

وبطن ، وفخذ ، وفصيلة : فمضر شعب ، وربيعة شعب ، ومذحج شعب ، وحجير شعب ، وأشباههم ، وإنما سميت الشعوب لأن القبائل تشعبت منها ، وسميت القبائل لأن العائر تقابلت عليها : أسد قبيلة ، ودودان بن أسد عمار ، والشعب يجمع القبائل ، والقبيلة تجمع العائر ، والعمارة تجمع البطون ، والبطون تجمع الأخاذ ، والأخاذ تجمع الفصائل : كنانة قبيلة ، وقريش عمار ، وقصى بطن ، وهاشم فخذ ، والعباس فصيلة .

وزعم أبو أسامة — فيما رأيت بخطه ، وقد عاصرتة ، وكان علامة باللغة — أصل تسمية الطبقات أن تأليف هذه الطبقات على تأليف خَلَقِ الإنسان الأرفع فالأرفع ؛ فالشعب أعظمها ، مشتق من شعب الرأس ، ثم القبيلة من قبلته ، ثم العمارة ، قال : والعمارة الصدر ، ثم البطن ، ثم الفخذ ، ثم الفصيلة ، قال : وهى الساق ، أو قال : المفصل ، الشك منى أنا ، قال : والحق أعظم من الجميع ؛ لاشتغال هذا الاسم على جملة الإنسان .

وأما أبو عبيدة فجعل بعد الفخذ العشيرة ، قال : وهم رَهْطُ الرجل دنيا<sup>(١)</sup> ثم الفصيلة ، قال : دون ذلك بمنزلة المفصل من الجسد ، وهم أهل بيت الرجل ، فأما البيوتات فكل يدعى لنفسه سابقة ، ويمتث بفصيلة ، غير أن الصحيح ما اتفق عليه العلماء ، وتداوله الرواة .

قال ابن الكلبي : كان أبى يقول : العدد من تميم فى بنى سعد ، والبيت فى بنى دارم ، والفرسان فى بنى يربوع ، والبيت من قيس فى غطفان ، ثم فى بنى فزارة ، والعدد فى بنى عامر ، والفرسان فى بنى سليم ، والعدد من ربيعة [ فى بكر ] والبيت والفرسان فى شيبان .

(١) فى الأصول « دينا » بتقديم الياء على النون ، والصواب العكس كما أثبتناه

قال ابن سلام الجمحي : كان يقال : إذا كنت من تميم ففاخر بحفظلة ، وكأثر بسعد ، وحارب بعمرو ، وإذا كنت من قيس ففاخر بقطفان ، وكأثر بهوازن ، وحارب بسليم ، وإذا كنت من بكر ففاخر بشيبان ، وكأثر بشيبان ، وحارب بشيبان .

مفاخر  
القبائل

قال أبو عبيدة : ليس في العرب أربعة إخوة أنجب ولا أعد ولا أكثر فرساناً من بني ثعلبة بن عُكَّابة ، وكان يقال له : الأغر والحصن ، وبنوه شيبان ، وذُهل ، وقيس ، وتميم الله . قال : ففارس غطفان الربيع بن زياد العبسي ، وفاتكها الحارث بن ظالم ، وحاكمها هرم بن قطبة<sup>(١)</sup> ، وجوادها هرم بن سنان المري ، وشاعرها النابغة الذبياني ، وفارس بني تميم عتيب<sup>(٢)</sup> بن الحارث بن شهاب أحد بني يربوع ، وفارس عمرو بن تميم طريف بن تميم العنبري ، وفارس دارم عمرو ابن عمرو بن عُدُس ، وفارس سعد فدكي<sup>(٣)</sup> بن أعبد النخري<sup>(٤)</sup> ، وفارس الرباب زيد الفوارس بن حصن الضبي ، وفارس قيس عامر بن الطفيل ، وفارس ربيعة بسطام بن قيس .

فرسان  
العرب

قال أبو عبيدة : بيوت العرب ثلاثة : فبيت قيس في الجاهلية بنو فزارة ومركزه بنو بدر ، وبيت ربيعة بنو شيبان ، ومركزه ذو الجدين ، وبيت تميم بنو عبدالله بن دارم ، ومركزه بنو زُرارة .

بيوتات  
العرب

وقال أبو عمرو بن العلاء : بيت بني سعد اليوم إلى الزُّبُرْقَانِ بن بدر من بني بهذلة بن عوف بن كعب بن سعد ، وبيت بني ضبة بنو ضرار بن

(١) ويقال « قطنة » انظر ( ج ١ ص ٥٣ ) .

(٢) هكذا في النسخ ، والمحفوظ « عتية » وشاهده قول الشاعر :

إن يقتلوك فقد ثلثت عروشهم بعتية بن الحارث بن شهاب

(٣) هو جد عمرو بن الأهمم لأمه ؛ فإن أم عمرو ميا بنت فدكي بن أعبد .



عمرو<sup>(١)</sup> الرديم ، وبيت بنى عدى بن عبد مائة آل شهاب من بنى ملكان ، وبيت التميم آل النعمان بن جساس .

قال : وليس في العرب جساس غيره .

قال الجحى : فارس اليمى فى بنى زبيد عمرو بن معدى كرب ، وشاعرها امرؤ القيس ، وبيتها فى كندة الأشعث بن قيس ، لا يختلف فى هذا ، وإنما اختلف فى نزار .

قال : وأما الشرف [ ف ] ما كان قبل النبى صلى الله عليه وسلم إلى عهد النبى واتصل فى الإسلام .

قال أبو إياس البصرى : كان بيت قيس فى آل عمرو بن ظرب العدوانى ، ثم فى غنى فى آل عمرو بن يربوع ، ثم تحول إلى بنى بدر ، فجاء الإسلام وهو فيهم .

وقال الأخفش على بن سليمان : فرعا قريش هاشم وعبد شمس ، وفرعا غطفان بدر بن عمرو بن لوزان وسيار بن عمرو بن جابر ، وفرعا حنظلة رياح وثعلبة ابنا يربوع ، وفرعا ربيعة بن عامر بن صعصعة جعفر وبكر ابنا كلاب ، وفرعا قضاة عذرة والحارث بن سعد .

### (٨٥) — باب مما يتعلق بالأنساب

قال أبو عبيدة : قريش البطاح قبائل : كعب بن لؤى بن عبد مناف قريش البطاح وبنو عبد الدار وعبد العزى ابنا قصي ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو مخزوم ابن يقظة ، وبنو تميم بن مرة ، وبنو جح وسهم ابنا هصيص بن كعب ، وبعض بنى عامر بن لؤى .

(١) قال المجد فى القاموس : « والرديم كأمير : لقب فارس منهم » ١ هـ .

- قريش الظواهر : بنو محارب والحارث ابنا فِهْرٍ ، وبنو الأذرم بن غالب ابن فِهْر ، وعامة بني عامر بن لؤى، وغيره .
- القاب لبعض القبائل : كان يقال : مازن غسان أرباب الملوك ، وحير أرباب العرب ، وكندة كندة الملك ، ومذحج مذحج الطعان ، وهمدان أحلاس الخليل ، والأزد أسد البأس ، والذهلان : أحدهما ذهل بن شيان بن ثعلبة ويشكر ، والآخر ضبيعة وذهل بن ثعلبة ، والهرمزان : أحدهما عجل وتيم اللات ، والأخرى قيس بن ثعلبة وعَنْزَة ، وكلهم من بكر بن وائل ، إلا عَنْزَة بن أسد بن ربيعة .
- الأحايش : حلفاء قريش .
- قال ابن قتيبة : هم بنو المصطلق ، والحياة بن سعد بن عمرو وبنو الهون بن خزيمية : اجتمعوا بذنب حبشي - وهو جبل بأسفل مكة - فتحالفوا بالله إنا ليدُّ على غيرنا ما سَجَا ليلٌ وأوضح نهار، وما أرسى حبشي مكانه (١) .
- وقال حماد الراوية : إنما سُمُّوا بذلك لاجتماعهم ، والتحابس : هو التجمع في كلام العرب .
- المطيون : عبد مناف ، وزهرة ، وأسد بن عبد العزى ، وتيم ، والحارث ابن فِهْر ، وعبد قصى .
- الأحلاف : مخزوم ، وعدى ، وسهم ، وجمح ، وعبد الدار .
- سموا أولئك المطيبين لخلق صنعتهم لهم أم حكيم فغمسوا أيديهم فيه ، وسموا الآخرون أحلافًا لجزور نحروه ، فدافوا دمه في جفنة فسوه بأيديهم ولعقوا منه ، وسموا «الأحلاف» و«لعقة الدم» .
- الأراقم : جُشم ، ومالك ، وعمرو بن ثعلبة ، ومعاوية ، والحارث ، بنو بكر ابن حبيب بن غنم بن تغلب بن وائل ، قال أبو علي : ليس في العرب نصراني غيره .

(١) في القاموس « ووضح نهار ، ومارسا - إلخ » .

**البراجم** : خمسة بطون من بني حنظلة : قيس ، وغالب ، وعمرو ، وكلفة ،  
والظليم ، وهو مرة ؛ تبرجموا على إخوتهم يربوع وربعة ومالك ، وكلهم أبوهم  
حنظلة بن مالك بن زيد مائة بن تميم بن مرة .

**الثعلبات** : ثعلبة بن سعد بن ضبة ، وثعلبة بن سعد بن ذبيان ، وثعلبة بن  
عدى بن فزارة ، وأضاف إليهم قوم ثعلبة بن يربوع .

**الرباب** : هم ضبة بن أد بن طابخة ، وتيم ، وعدى ، وعوف — وهو عُكْلٌ —  
وثور ، وكل هؤلاء بنو عبد مائة بن أد بن طابخة <sup>(١)</sup> :

**الأجارب** : خمس قبائل من بني سعد : وهم ربعة ، ومالك ، والحارث —  
وهو الأعرج — وعبد العزى ، وبنو حمار .

**الحرام** : بنو كعب بن سعد بن زيد مائة .

**الضباب** : هم أربعة بطون من بني كلاب : ضب ، وضُبَيْب ، وحِسل ،  
وحُسَيْل ، بنو معاوية بن كلاب ، كذا زعم ابن قتيبة وغيره .

وقال أبو زيد الكلبي ، وهو أعلم بقومه : هم بنو عمرو بن معاوية بن  
كلاب ، وإنما سموا ضباباً لأنه سمي فيهم ضبا وحسلا وحسيلا ، فقال له الرجل  
وسمعه يهتف بهم : والله ما بنوك هؤلاء إلا الضباب ، فسمو الضباب إلى اليوم ؛  
قال : ومن ولد عمرو بن معاوية بن كلاب : ضب ، وحسل ، وحسيل ، وحصن ،  
وحصين ، وخالد ، وعبد الله ، وقاسط ، والأعراف ، وتولب ، وشقيق ، وخزيم ،  
والوليد ، وزهير ؛ فهؤلاء أربعة عشر لم تدرج منهم قبيلة ، وهم الضباب جميعاً .

(١) قال المرتضى : « والرباب أحياء ضبة ، وهم تيم وعدى وعكْل ، وقيل :  
تيم وعدى وعوف وثور وأشب ، وضبة عمهم . مما وبذلك لتفرقهم ؛ لأن الربة الفرقة  
ولذلك إذا نسبت إلى الرباب قلت ربي ، فترده إلى واحد » ١ هـ .

الأخبار

الأخبار : شيبان ، وعامر ، وجليحة ، والحارث بن ثعلبة بن عكابة بن صعب  
ابن علي بن بكر بن وائل .

بنو أم البنين

بنو أم البنين : عامر ، والطفيل ، وربيع ، وعبيدة ، ومعاوية ، بنو مالك  
ابن جعفر بن كلاب ، هكذا عند أكثر الناس ، قالوا : وإنما اضطرت<sup>(١)</sup> القافية  
ليبدأ فجعلهم أربعة وهم خمسة .

وقال أبو زيد الكلبي ، وهو أعلم بقومه : إن بني أم البنين أربعة ،  
كما قال ليبيد : ابتكرت عامراً ملاعب الأسنة ، وثنت بالطفيل ، ثم تزوج عليها  
مالك سلامة السلميَّة ، فغارت أم البنين وأسقطت له ثلاثة ذكورا ، وجاءت السلميَّة  
بثلاثة ، وهم : سلى ، وعبيدة ، وعقبة ، فأدار مالك الحيلة على أم البنين وأخيها  
زهير بن خدَّاش بن زهير ، حتى أخذ عليها حكما بأن لا تسقط ولداً وكانت حاملا  
فولدت معاوية مَعُوذَ الحكماء<sup>(٢)</sup> ، ثم ثَنَّتْ بربيعة أبي ليبيد ، وزعم بعض شيوخه  
الذين أخذ عنهم أنه سمي معوذ الحكماء<sup>(٣)</sup> من أجل أنه تولى حكما عن زهير بن  
عمرو على أخيه ، وروى أبيات معاوية التي من أجلها سمي معوذ الحكماء<sup>(٣)</sup>

(١) في قوله أمام العمان بن المنذر :

نحن بني أم البنين الأربعة ونحن خير عامر بن صعبه  
وانظر هذا الكتاب (ج ١ ص ٥١) .

(٢) معوذ الحكماء - بالدال المعجمة كما في اللسان عن ابن بري - والذي في  
القاموس وشرحه « معوذ الحكماء » بالدال مهجلة ، ومنهم من يلقبه « معوذ  
الحكام » جمع حليم - باللام - ومنهم من يلقبه « معوذ الحكماء » والذي في القاموس  
أولى ، قال : « ومعوذ الحكماء لقب معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب لقوله :

أعود مثلها الحكماء بعدى إذا ما الحق في الأشياخ نابا

ونابا : عمرا ، ويروى في مكانه « بابا » أي ظهر ، ويروى في مكان الشطر الثاني

\* إذا ما معضل الحدثن نابا » اهـ ، مع زيادات من الشرح ، وفيه بعض تصرف  
وانظر ص ٢٢١ الآتية

لزید الخلیل ، غیر أنه لم ینشد البیت ، وزعم أنه ناقض بها طَفَيْلاً  
الْفَنَوِيَّ .

قال : وأم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الضحيا .

الكمة : بنو زياد العبسيون ، وهم : أنس الحفاظ ، ويقال له أيضاً : أنس  
الفوارس ، وعمارة الوهاب ، وربيعة الكامل ، وقيس الجواد ، هكذا رويناه  
عن النحاس .

قال المبرد وغيره : ربيع الحفاظ ، وعمارة الوهاب ، وأنس الفوارس ، أمهم  
فاطمة بنت الخرشب الأمازي .

الحمس : هم قريش ، وكنانة ، ومن دَانَ بدينهم من بني عامر بن صعصعة .  
قال أبو عمرو بن العلاء : الحمس من بني عامر : كلاب ، وكعب ، وعامر ،  
بنو ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وأمهم مجد بنت التيم الأدرم بن غالب بن فهر  
ابن مالك ، وكانوا في الجاهلية يتعمسون في أديانهم ، أي : يتشددون ، لا يستظلون  
أيام منى ، ولا يدخلون البيوت من أبوابها ، وقيل : سمو أحمساً لشدة بأسهم ، ويعدون  
في الحمس خزاعة .

العنابس : حرب ، وأبو حرب ، وسفيان ، وأبو سفيان ، وعمرو ، وأبو عمرو ،  
بنو أمية بن عبد شمس .

والأعياص : العاص ، وأبو العاص ، والعيص ، وأبو العيص ، وبنوه أيضاً  
أم القبائل : هند بنت تميم بن مر ، ولدت لعمرو بن قاسط تيم الله ، وأوس  
الله ، وعائذ الله ؛ وولدت لوائل بن قاسط بكرراً ، وتغلب ، وعزنا ، وقيل :  
هو عز بن وائل ؛ وولدت لعبد القيس بن قصي اللبوك بن عبد القيس ، وبعضهم  
يقول : اللبوء - بالهمز وبضم الباء - وفيه اختلاف بين العلماء .

الجرات : جرات العرب : ضبة ، وعبس ، والحارث بن كعب ؛ سمو بذلك

لأن أهمهم الخشباء بنت مرة — فيما يقال — رأت في المنام كأن ثلاث جمرات خرجت منها ، قال أبو عبيدة : فطفئت من الجمرات اثنتان : الحارث بن كعب حالفت في غطفان ، وضبة حالفت الرباب وسعداً ، وبقيت عبس لم تطفأ ؛ لأنها لم تحالف ، وأما الجاحظ فجعلها عبسا وضبة ونميراً . وأشار إلى أن في تميم جماراً أيضاً ، وصرح بذلك المفضل ، فقال : هم بنو يربوع ، وزعم الفرزدق أنهم بنو العدوية ، نسبوا إلى أهم ، وهم زيد ، وصدى ، وجشيش ، بنو مالك بن حنظلة ، وزعم آخرون أنهم بنو مالك بن خزيمة بن تميم بن جل بن عبد مناة بن أد ، غير أنهم جعلوا مكان جشيش يربوعاً ، ومن الجمرات التي لم تطفأ عند بعضهم نمير ابن عامر بن صعصعة ؛ لأنهم لم يحالفوا أحداً من العرب .

قال الجاحظ : إنما قيل لكل واحد منها جمة ؛ لأنهم تجمعوا حتى قوا على عدوهم واشتدوا ، قال : ويجوز أن يكون اشتقاقه من تجمير المرأة شعرها ، وإذا ضفرت قيل : قد جمرته ؛ وقال غيره : ومنه « خف بجر » إذا كان مجتمعا شديداً .

بنو طهية طهية بنت عبشمس بن سعد ولدت لمالك بن حنظلة عوفا ، وأبا سود ، وربيعاً ، وآخر لم يعرفه ابن الكلبي ، فعرّف أولادها بها .

الموالي ثلاثة : مولى اليمين الحالف ، ومولى الدار المجاور ، ومولى النسب للوالي ابن العم والقراية . قال الشاعر :

نبئت حياً على نعمان أفردهم مولى اليمين ومولى الدار والنسب

(٨٦) - باب ذكر الوقائع والأيام

قد أسبغت في هذا الباب ما تأدى إلى من أيام العرب ووقائعهم ، مستخرجة من القنائص وغيرها ، ولم أشرط استقصاءها ، ولا ترتيبها ؛ إذ كان في أقل مما

## ٨٦ - باب ذكر الوقائع والأيام ١٩٩

جئتُ به غنيّ ومقنّع ، ولأن أبا عبيدة ونظراءه قد فرغوا مما ذكرتُ ؛ فإنما هذه القطعة تذكرة للعالم ، وذريعة للتعلم ، وزينة لهذا الكتاب ، ووفاء لشرطه ، وزيادة لحسنه ؛ إذ كان الشاعر كثيراً ما يؤتى عليه في هذا الباب ، وأنا أذكر ما علمته من ذلك في أقرب ما أقدر عليه من الاختصار إن شاء الله تعالى ، بعد أن أقدم في صدره أيامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقائعه مع المشركين ؛ لأنه أولى بالتقديم ، وأحق بالتعظيم ، ولما أرجوه من بركة اسمه ، وافتتاح القصص بذكره .

مغازي  
الرسول

غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة «ودّان» على رأس الحول من الهجرة ، ثم غزا عيرا لقريش بعد شهر وثلاثة أيام ، ثم غزا في طلب كرز بن حفص حتى بلغ بدرأ بعد عشرين يوماً ، ووجهت القبلة إلى الكعبة ، ثم غزا «بدرأ» فكان يوم بدر ستة عشر يوماً خلت من شهر رمضان من سنة اثنتين ، وكان المشركون يومئذ تسعمائة وخمسين رجلاً ، والمسلمون ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، فقتل من المشركين خمسون رجلاً ، وأسر أربعة وأربعون ، واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً .

يوم أحد : كان في شوال من سنة ثلاث . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعمائة ، وقريش في ثلاثة آلاف ، وفي هذه الغزوة استشهد حمزة رضي الله عنه .

يوم الخندق : كان في سنة أربع

يوم بني المصطلق وبنو نضير : في شعبان سنة خمس

يوم خيبر : في سنة ست

وكان يوم «مؤتة» في سنة ثمان ، واستشهد فيه زيد بن حارثة أمير الجيش ، وجعفر بن أبي طالب أمير الجيش أيضاً بعده ، وعبد الله بن رواحة

أمير الجيش بعدهما ، وقام بأمر الناس خالد بن الوليد ، وكانوا في ثلاثة آلاف .

وكان فتح مكة في شهر رمضان سنة ثمان ، وبعده بخمس عشرة ليلة سار إلى « حُفَيْن » في شوال ، ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع هَوازِن في شوال للنصف منه ، فانهزم المسلمون ، وكان الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : علي بن أبي طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس بن عبد المطلب ، وأبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وابنه ، وأيمن بن عبد الله ، وهو ابن أم أيمن ، واستشهد ذلك اليوم ، وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وأسامة بن زيد بن حارثة ، وفي رواية أخرى أبو بكر ، وعمر ، وعلي ، والعباس ، وابنه ، وأبو سفيان بن الحارث ، وربيعة بن الحارث ، وأيمن ، وأسامة ، ثم رجع الناس من وقتهم ، وانهزم للمشركون ، وكانت الكفرة عليهم الله ورسوله .

ثم سار بعد حُفَيْن إلى « الطائف » فحاصرها شهراً ، ولم يفتتحها ، وغزا بلد الروم في رجب من [ سنة ] تسع ؛ فبلغ تَبُوكَ وَبَنَى بها مسجداً ، وهو بها إلى اليوم وفتح الله عليه في سفره ذاك « دومة الجندل » على يد خالد بن الوليد ، وكل هذا مختصر من كتاب ابن قتيبة ، وإياه قلدت فيما رأيت من هذه الطريقة ، والله المستعان ، وعليه توكلت

يوم إراب وهذه أيام العرب : يوم « إراب » <sup>(١)</sup> لبني ثعلبة بن بكر : رئيسهم الهذيل بن حسان ، علي بن رياح بن يربوع ، وكان الهذيل سبي نساء بني

(١) إراب - بكسر الهمزة و آخره باء موحدة - قال ياقوت : بخط اليزيدي في شرحه « إراب ماء لبني رياح بن يربوع بالحزن » اهـ .



رياح ، والتقى بهم على إراب ، وقد سبقه بنو رياح إليه لينعموم الماء ، حتى يرد السبي ، فأقسم الهذيل: لئن رددتم إلينا ماء فارغاً لنأتينكم فيه برأس إنسان تعرفونه فاشتروا منه بعض السبي ، وأطلق البعض .

يوم «نعف فشاوة» لبسطام بن قيس رئيس بني شيبان ، على بني يربوع ، قتل فيه بجيراً ، وأسر أباه أبا مليل ، ثم من عليه من وقته ، وترك له مليلاً ولده ، وكان أسيراً عنده بعد أن كساه وحمله .

يوم «نجران» للأقرع بن حابس في قومه بني تميم ، على الين ، هزمهم وكانوا أخلاطاً ، وفيهم الأشعث بن قيس ، وأخوه ، وفيهم ابن باكور الكلاعي الذي أعتق في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أربعة آلاف أهل بيت في الجاهلية أسروا .

يوم «الصمد» <sup>(١)</sup> وهو يوم «طلح» ويوم «بلقا» ويوم «أود» ويوم الصمد «ذي طلوح» كلها يوم واحد ، لبني يربوع على بني شيبان ورئيسهم الحوفزان ، ورئيس الهازم أبجر بن بجير <sup>(٢)</sup> العجلي .

يوم طخفة <sup>(٣)</sup> وهو أيضاً يوم «ذات كهف» ويوم «خزاز» في قول بعضهم لبني يربوع والبراجم على المنذر بن ماء <sup>(٤)</sup> السماء ، أسروا فيه أخاه حسان ، وابنه قابوس ، وجزّت ناصية قابوس ، وكان ذلك بسبب إزالة الرذافة عن عوف بن عتاب الرياحي

(١) الصمد - بفتح فسكون - أصله الصلب من الأرض .

(٢) الذي في ياقوت «أبجر بن جابر العجلي» .

(٣) طخفة - بكسر الطاء ويروى بفتحها مع سكون الحاء - موضع بعد النجاج وبعد إمرة ، في طريق البصرة إلى مكة ، وقال الأصمعي : جبل أحمر طويل حذاء بئر ومنهل .

(٤) في ياقوت «على قابوس بن المنذر بن ماء السماء» .

يوم المروت «<sup>(١)</sup>» : وهو يوم « إرم السكبة » نقاً قريب من النجاج ،  
لبنى حنظلة وبني عمرو بن تميم ، على بني قُشَيْر بن كعب بن ربيعة بن عامر بن  
صعبصة ، وكان الذكر فيه لبني يربوع ، وإنما أغارت قُشَيْر على بني العنبر فاستنقذ  
نوي يربوع أموال بني العنبر وسبيهم من بني عامر

يوم مليحة «<sup>(٢)</sup>» : لبني شيبيان على بني يربوع ، رئيسهم «<sup>(٣)</sup>» بِسْطَام بن  
قيس ، وقتل ذلك اليوم عصمة بن النجار ، فلما رآه بسطام قال : ما قتل هذا  
إلا لتشكّل رجلاً أمه ، فقتل به يوم العظالي قاتله الهبش بن المقعاس

يوم اللوى «<sup>(٤)</sup>» : لفزارة على هوازن ، وفيه قتل عبد الله بن الصمة ، وأُخِن  
أخوه ذَرِيد

يوم الصليفاء «<sup>(٥)</sup>» : لهوازن على فزارة وعَبْس وأَشَجَج ، وفيه قتل دريد  
بأخيه ذَوَاب بن أسماء .

يوم الهباءة «<sup>(٥)</sup>» : وهو « يوم الجفر » لعبس على ذبيان ، وفيه قتل حذيفة

(١) المروت - بفتح الميم وتشديد الراء مضمومة وبعد الواو تاء مثناة - اسم  
نهز ، وقيل : واد بالعالية كانت فيه الوقعة .

(٢) مليحة - على زنة المصغر - اسم جبل في غربي سلسي أحد جبلي طيء ، وبه  
آبار كثيرة وملح ، وقيل : مليحة موضع في بلاد تميم .

(٣) هو رئيس بني شيبيان .

(٤) كذا هو في الأصول ، وليس صحيحاً ، وإنما الصحيح « الصلعاء » بالعين  
المهله بعد السلام . قال أبو محمد الأسود : أغار دريد بن الصمة على أشجع بالصلعاء  
وهي بين حاجر والقرعة « اهـ من ياقوت ، والصلفاء : يوم غير هذا .

(٥) الهباءة : هي أرض ييلاد غطفان كانت فيها الوقعة ، وجفر الهباءة :  
مستنقع في هذه الأرض .

ابن بدر وأخوه سَحْل سيدا بنى فزارة ، وكان يقال لحذيفة «رب معدّ» .  
يوم «عُراير»<sup>(١)</sup> : لعبس على كلب وذبيان ، وفيه قتل مسعود بن مصاد يوم عراير  
الكلبي ، وكان شريفاً .

يوم «الفروق»<sup>(٢)</sup> : بين عبس وبني سعد بن زيد مناة ، قاتلوهم فمئنت يوم الفرق  
عبس أنفسهم وحرّيمها ، وخابت غارة بني سعد ، وقيل لقيس بن زهير - ويقال  
عنقرة - : كم كنتم يوم الفرق ؟ قال : مائة فارس كالذهب ، لم نكثر فنفسل  
ولم نقل فنذل .

يوم «شعب جبلة»<sup>(٣)</sup> : قال أبو عبيدة : كانت عظام أيام العرب ثلاثة : يوم  
كلاب ربيعة ، ويوم شعب جبلة ، ويوم ذي قار ، وكان يوم الشعب لبني عامر  
ابن صعصعة وعبس حلفائهم على الحليّفين أسد وذبيان ، ورئيسهم حصن بن حذيفة  
يطلب عبساً بدم أبيه ، وتطلب عبس بن بغيض بدم أبيهم ، ومعهم معاوية بن  
الجون السكندی في جمع من كِنْدَة ، وعلى بني حنظلة بن مالك والرباب رئيسهم  
يقيط بن زُرارة يطلب بدم مقبّد أخيه ، ويثرب بن عدس ومعهم حسان بن الجون  
أخو معاوية - وقيل : بل عمرو بن الجون - وحسان بن مرة الكلبي أخوالنعمان  
ابن المنذر لأمه .

وقال غير أبي عبيدة : كان مع أسد وذبيان معاوية بن شرحبيل بن الحارث

---

(١) عراير - بضم العين المهملة الأولى وكسر الثانية - ماء لـكلب بناحية الشام .  
(٢) الفرق - بفتح الفاء - عقبة دون هجر إلى نجد بين هجر ومهب الشمال .  
(٣) قال ياقوت : « جبلة - بالتحريك - اسم لعدة مواضع : منها جبلة -  
ويقال : شعب جبلة - الموضع الذي كانت فيه الموقعة المشهورة بين بني عامر وتميم  
وعبسي وذبيان وفزارة . وجبلة هذه هضبة حمراء بنجد بين الشريف - مصغرا -  
والشرف . والشريف : ماء لبني نمر . والشرف : ماء لبني كلاب .

ابن عمرو بن آكل المزمار ، ومع بني حنظلة والرباب حسان بن عمرو بن الجون في جموع من كندة وغيرهم ، فأقبلوا إليهم بوضائع كانت تكون مع الملوك بالحيرة وغيرها ، وهم الرابطة ، وجاءت بنو تميم فيهم لقيط وحاجب وعمرو بن عمرو ، ولم يتخلف منهم إلا بنو سعد ؛ لزمهم أن صمصعة هو ابن سعد ، ولم يتخلف من بني عامر إلا هلال بن عامر وعامر بن ربيعة بن عامر ، وشهدت غني وباهلة وناس من بني سعد بن بكر وقبائل بجيلة إلا قشيراً ، وشهدت بنو عيس بن رفاعة ابن بهثة بن سليم عليهم مرداس بن أبي عامر أبو العباس بن مرداس صاحب النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهد معهم نفر من عكّل ، فأنتهى جميع أهل الشعب يومئذ ثلاثين ألفاً .

وجاء الآخرون في عدد لا يعلمه إلا الله عز وجل ، ولم يجتمع قط في الجاهلية جمع مثله ، فانهزمت تميم وذبيان وأسد وكندة ومن لفّ لفّهم ، وقتل لقيط بن زرارة ، طعنه شريح بن الأحوص ، فحمل مرتشاً مات بعد يوم أو يومين ، وأسر حسان بن الجون ، أسره طفيل بن مالك ، وأسر معاوية بن الحارث بن الجون ، أسره عوف بن الأحوص ، وجزّ ناصيته وأطلقه على الثواب ، ولقيه قيس بن زهير فقتله ، وأسر حاجب بن زرارة ، أسره ذو الرقيصة مالك بن سلمة بن قشير ، وأسر عمرو بن عمرو بن عدس ، أسره قيس بن المنتفق ، فجزّ ناصيته وأطلقه على الثواب ، وكان يوم جَبَلَة قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة ، وقبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبع عشرة سنة ، وفي يوم الشعب ولد عامر ابن الأطفيل ، هكذا روى محمد بن حبيب عن أنى عبيدة ، وروى عنه غيره خلاف ذلك .

يوم أقرن : يوم « أقرن » : لبى عيس على بني تميم ، وبخاصة بني مالك بن مالك بن حنظلة ، وفي هذا اليوم قتل عمرو بن عمرو بن عدس ، وابنه شريح ، وأخوه ربي ، وكان عمرو بن عمرو خرج مراغماً للنعمان بن المنذر ، فسبي سبياً من

عبس ، وغنم مالا ، وابتنى بحارية من السبي ، فأدركنه عبس فسكان من أمره ما كان .

يوم « زُبَالَة » <sup>(١)</sup> : لبني بكر بن وائل ، وبخاصة بني شيبان وبني تميم الله ، رئيسهم بسطام ، على بني تميم ورئيسهم الأفرع بن حابس ، أسرفيه الأفرع وأخوه فراس ، واستنقذهما بسطام بعد أن حكم عليه عمران بن مرة بمائة ناقة .

يوم « جَدُود » <sup>(٢)</sup> : لبني سعد بن زيد مَنَاءَ على بني شيبان ، وكانت بنو شيبان أغارت مع الحَوْفَزَانِ على سعد ، فأدركنهم قيس بن عاصم المنقرى قتلهم واستنقذ ما كان في أيديهم ، وفاته الحَوْفَزَانِ لَصَلَابَةِ فرسه ، فلما يؤس من أسره حفزه بالرمح في خزانة وركه فانتفضت عليه بعد حول فأت منها ، وسالت في هذا اليوم بنو يربوع الجيش على تمر أخذوه منهم وقُضِلَ ثياب ، فعيرتهم بذلك منقر .

يوم « الكَلَابِ الأول » لسلمة بن الحارث بن عمرو لَأَقْصُور ، ومعه بنو تغلب والممر بن قاسط وسعد بن زيد مَنَاءَ والصنائع ، على أخيه شرحبيل

يوم الكلاب  
الأول

(١) زبالة - بضم الزاي - قال ياقوت : « منزل معروف بطريق مكة من الكوفة ، وهي قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والثعلبية ، وقال أبو عبيد السكوني : زبالة بعد القاع من الكوفة ، وقبل الشقوق ، فيها حصن وجامع لبني عاضرة من بني أسد . ويوم زبالة من أيام العرب ، قالوا : سميت زبالة بزبلها الماء أي بضبطها له ، وقال ابن السكبي : سميت زبالة باسم زبالة بنت مسعر امرأة من العمالة نزلتها » اهـ .

(٢) جدود - بفتح الجيم - اسم موضع في أرض بني تميم قريب من حزن بني يربوع على سمت اليمامة . . . وكانت فيه وقعتان مشهورتان عظيمتان من أعرف أيام العرب اهـ من ياقوت .

ابن الحارث بن عمرو ومعه بكر بن وائل بن حنظلة بن مالك وبنو أسد وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب ، ولم يكونوا ذلك الوقت يدعون رباباً ، وإنما تَرَبَّوْا بعد ذلك ، حكاه أبو عبيدة ، فَقُتِلَ شرحبيل : قتله أبو حنش عاصم ابن النعمان الجُشَمِي ، ويقال : بل قتله ذو النثية حبيب بن عتبة الجُشَمِي ، وكانت له سن زائدة ، وهو أخو أبي حَـنْـشٍ لأمه ، وهي سلمى بنت عدى بن ربيعة أخى مهلهل ، هكذا أثبتوا في هذا الموضع أن عديا أخو مهلهل ، ويسمى الكلاب الأول أيضاً .

يوم الشعبة<sup>(١)</sup> [ وهو ] يوم « الكلاب الثاني » لبني تميم وبني سعد والرباب رئيسهم قيس بن عاصم ، على قبائل مَذْحِج في نحو اثني عشر ألفاً رئيسهم زيد بن المأمور ؛ وهو مذحج وهمذان وكندة ، وفي هذا اليوم أسر عبد يغوث بن وقاص الحارثي وهُتَمَ فم سمي بن سنان ، بعد أن أسر رئيس كندة : هَتَمَه قيس بن عاصم بقوسه ، وانتزع عبد يغوث من يدي الأهتم بعد أن شرط المأسور لموصله إليه مائة ناقة من الإبل ، انتزعتهم التيم فقتلوه برئيسهم النعمان بن جساس ، وكان قد قتل ذلك اليوم ، وسمى الكلاب الثاني أيضاً .

يوم حر الدوابر « قال أبو عبيدة : لم يشهد من تيم إلا الرباب وسعد حر الدوابر خاصة ، وكان الفناء من الرباب لتيم ، ومن سعد لقاعس »

يوم ذى ييضم « أغار الحوفزان على بني يربوع فسبى نسوة منهم ، فأصرختهم بنو مالك بن حنظلة ، واستنقذوا النسوة ، وأسروا الحوفزان : أسره حنظلة بن بشر بن عمرو ، وزعم قوم أن هذا اليوم يوم « الصمد » .

(١) شعبية - بضم ففتح - واد أعلاه من أرض كلاب ، ويصب في سد قناة ، وهو واد

يوم  
عاقل

يوم « عاقل » : لبني حنظلة على هوازن ، وفيه أسر الصمة بن الحارث ابن جشم ، وهزم جيشه ، وكان الذي أسره الجعد بن الشماخ أحد بني عدى ابن مالك بن حنظلة ، ثم أطلقه بعد سنة ، وجز ناصيته على أن يثيبه ، فأناه على الثواب فضرب الصمة عنقه ، ثم غزا بني حنظلة ثانية فأسره الحارث ابن نبيه المجاشعي ، وأسر رجل من بني أسد - وكان نزيبا عند ابن أخت له في بني يربوع - ابناً للصمة ، فافتدى الصمة نفسه ، ومضى مع ابن نبيه في فداء ابنه إلى الأسدي النازل في بني يربوع ، فطعنه أبو مرحب بالسيف فقتله ؛ لشيء كان بينهما عند حرب بن أمية ، فبنو مجاشع تغير بذلك .

يوم  
عينين

يوم « عَيْنَيْنِ <sup>(١)</sup> » : لبني نهشل على عبد القيس ، منعوا فيه بني منقر وقد خرجوا ممتارين من البحرين ، فعرضت لهم عبد القيس ، واستغاثوا بني نهشل فحموهم واستنقذوهم .

يوم  
قلبي

يوم « قَلْبِي <sup>(٢)</sup> » : منعت بنو ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن عبس الماء وغلبتهم عليه بعد إصلاح فزارة ومرة ، حتى أخذوا دية عبد العزى بن جذار ومالك بن سبيع .

يوم  
بزاخة

يوم « بُزَاخَة » : لبني ضبة على محرق النساني وأخيه فارس مودود ، أغاروا

(١) عينين ، هذا هو صوابه على صورة مثني العين ، ووقع في الأصول خطأ « عينين » قال أبو عبيدة : عينان بهجر ، وكان بها بين بني منقر وعبد القيس وقعة وفيها يقول الفرزدق :

ونحن كففتنا الحرب يوم ضرية ونحن منعنا يوم عينين منقرا

(٢) قلبي - بفتح القاف واللام جميعا فيما ذكر سيويوه ، وذكر غيره أن اللام ساكنة - وفيه وفي هذا اليوم يقول معقل بن عوف الثعلبي :  
تظل دماؤهم ، والفضل فينا ، على قلبي ونحكم ما نريد

على بني ضبة ببزاخة في طوائف من العرب من إباد وتغلب وغيرها ، فأدركتهم بنو ضبة ، فأمرَ زيد الفوارس مُحَرِّقًا ، وأمر أخاه حنش بن الدلف ثم قتلاهما بعد أن هزمَ مَنْ كانَ معهما ، وقتل معهما عدة .

يوم إضم

يوم « إضم » : لبني عائذة بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة على الحارث ابن مُزَيْقِيَا الملك الغساني ، وهو عمرو بن عامر ، وفيهم كان ملك عسان بالشام في آل جَفْنَةَ ... علنة بن عمرو بن عامر قتل بني عائذة قتلا ذريعا ، وفي ذلك اليوم قتل الرديم ، وحمل رجل من بني عائذة بن قيس يدعى عامر بن ضامر فقال : والله لأطعنن طعنة كمنخر الثور النعر ، ثم قصد ابن مُزَيْقِيَا فطعنه فقتله وانهمزم أصحابه هزيمة فاحشة ، وزعم قوم أن هذا اليوم هو يوم « بزاخة » .

وقال آخرون : بل كانت الواقعة مع عبد الحارث من ولد مزيقيا ، وزعم غيرهم أيضا أنها مع مزيقيا نفسه لا مع ولده ، والله أعلم .

يوم نقا الحسن

يوم « نقا الحسن <sup>(١)</sup> » : الحسن شجر ، سمي بذلك لحسنه ، وقيل : هو جبل ، وهذا اليوم لبني ثعلبة بن سعد بن ضبة على بكر بن وائل ، وفيه قتل بسطام بن قيس : قتله عاصم بن خليفة أخو بني صباح ، وكان رجلا أعسر فأصاب صُدْغَه الأيسر حتى نجم السنان من الصدغ الأيمن .

يوم أعيار

يوم « أعيار » : وهو أيضا يوم « النقيعة » لبني ضبة على بني عبس ، وفيه قتل عمارة الوهاب : قتله شرحاف بن المثلم بآبن عم له يدعى مفضالا كان عمارة قد قتله وانطوى خبره ، ثم سمع شرحاف ذكره على شراب ، وكان حينئذ غلاما ، فحين شَبَّ أخذ بثأر ابن عمه يوم النقيعة ، واستنقذت بنو ضبة إبلها من عبس ، وقد كانوا أدركوهم في البراعي .

(١) في العقد الفريد (ج ٣ ص ٩٠) « بقاء الحسن » .



يوم رحرحان الأول دارم بنى عامر بن صعصعة ، وعلى بنى عامر قريط بن عبيد بن أبي بكر ، وقتل يثربى .

يوم رحرحان الثانى يوم « رحرحان الثانى » : لبنى عامر بن صعصعة ، ورئيسهم الأخوص ، على بنى دارم ، وفى ذلك اليوم أسر معبد بن زُرارة : أسره عامر بن مالك وأخوه طفيل وشاركهما فى أسره رجل من غنى يقال له : أبو عميرة عصمة بن وهب وكان أخا طفيل من الرضاة ، وفى أسره مات معبد ، شذوا عليه القِدِّ وبعثوا به إلى الطائف خوفا من بنى تميم أن يستنقذوه ، كان هذا كله بسبب قتل الحارث بن ظالم المرى من مرة بن سعد بن ذبيان خالد بن جعفر غدرأ عند الأسود بن المنذر — وقيل : عند النعمان — والتجأه إلى زرارة بن عدس ، فلما انقضت وقعة رَحْرَحَانَ جمع قَريط بن زُرارة لبنى عامر وأبَّ عليهم ، وكان بين يوم رحرحان وغزوة جَبَلَة سنة واحدة

يوم ضرية : اختلفت سعد والرباب على بنى حنظلة ، وكان بنو عمرو ابن تميم حالفوا بكر بن وائل ، فضاقت حنظلة بسعد والرباب ، فساروا إلى عمرو ابن تميم فردوهم وحالفوهم ، ثم جمعوا لسعد والرباب ورئيسهم يومئذ ناجية بن عقال ، ورئيس سعد والرباب قيس بن عاصم ، فقال ابن خفاف لسعد والرباب : مَنْ لعيال عمرو وحنظلة إن قتاتم مقاتلتهم ؟ قالوا : نحن ، قال : فمن لعيالك إن قتلا مقاتلتكم ؟ قالوا : هم ، قال : فدعوهم لعيالهم وليدعوكم لعيالك ، وتكلم الأهم بمثل ذلك ورجال من أشراف سعد ، وساروا إلى عمرو وحنظلة إلى النصار من حى ضرية ، فأجابهم ناجية بن عقال والقعقاع بن معبد بن زرارة وسنان بن علقمة بن زرارة إلى الصلح ، وأبى ذلك مالك بن نويرة

يوم النِّسار : وذلك أن عامر بن صعصعة ومن معهم من هوازن

انتجعوا بلاد سعد والرباب ، وهم يمتنون إليهم برحم ؛ لأنهم يزعمون أن  
صمصعة أبا عامر هو ولد سعد بن زيد مناة بن تميم .

وقال آخرون : إنما غضبوا على سعد لما أنهب المعزى بمكاظ ، فلحق بيني أمه  
ولد معاوية بن بكر وهوازن ، وكان سعد قد فارقها بعد أن ولدت له صمصعة  
وتزوجها معاوية بن بكر فضمن سعد والرباب الأهم ، واسمه سنان بن سمى بن  
سنان ، وقيل : سمى بن سنان ، وضمن هوازن مرة بن هبيرة ، فسرقت خيل لذي  
الرقبة ، ثم اعترفت بعد ذلك بيسير عند الحنيف بن المنتجع ، اعترفها بعض  
القشيريين ، فضربه القشيري على ساعده ، وضربه الحنيف فقتله ، فأرادت  
هوازن القود من الرباب ، فطلبهم بذلك ضامن سعد ، فأبت الرباب إلا البدية ،  
ففارقهم سعد ، وضافت هوازن ، فاستمدت بنو ضبة أسداً وطيثاً والتقوا بالنسار ،  
فعبأت أسد لسعد والرباب لهوازن ، فانهزمت هوازن وسعد ، وكان حامى أديار  
بنى عامر يومئذ قدامة بن عبد الله القشيري ، فرماه ربيعة بن أبي - وكان أرمى  
الناس - فقتله ، فلما رأت ذلك بنو عامر منه وسائر هوازن سألوا أن يؤخذ منهم  
شطور أموالهم وسلاحهم ، وقبل ذلك منهم ، وهذا يوم « المشاطرة » ويوم « النسار »  
وهو من مذكورات أيام العرب في الجاهلية ، وبنو ضبة تزعم أن هذا اليوم قبل  
يوم جيلة ، وأبو عبيدة لا يشك أنه بعده .

يوم الصرائم يوم « الصرائم »<sup>(١)</sup> وهو أيضاً يوم « الجرف » لبني رباح بن يربوع  
على بني عيس ، وفي هذا اليوم أسر الحكم بن مروان بن زنباع العبسي ، أسره

(١) قال ياقوت : الصرائم : موضع كانت فيه وقعة بين تميم وعبس ، قال شमित  
ابن زنباع :

وسائل بنا عبسا إذا ما لقيتها      على أي حى بالصرائم دلت  
قتلنا بها صبرا شريحا وجابرا      وقد نهلت منا الرماح وعلت

## ٨٦ — باب ذكر الوقائع والأيام ٢١١

أسيد بن حياة السليطي ، وأسر بنو حمير بن رياح زنباعاً وفروة ابني مروان ابن زنباع ، واستنقذوا جميع ما أصابته عبس لربيعة بن مالك بن حنظلة وأسرفوا ذلك اليوم في قتل بني عبس

يوم « الغبيط »<sup>(١)</sup> : لبني يربوع على بني شيبان ، وكان الشيبانيون قد غزوه متساندين على ثلاثة ألوية : الحوفزان بن شريك ، والأسود أخوه ، وبسطام بن قيس ، وفي هذا اليوم أسر الأسود بن الحوفزان وزيد بن الأسود ابن شريك ، وحى بسطام آخر القوم حتى حسيوه قتل وأسر ، وراث بعضهم بمراثٍ عدة ، وزعم سعد عن أبي عبيدة أن يوم الغبيط هو يوم « الأياد » ويوم « العظالي » سمي بذلك لأن بسطام بن قيس وهانيء بن قبيصة ومقرون ابن عمرو والحوفزان بن شريك تماثلوا على الرئاسة .

وقال مرة أخرى : لم يشهد الحوفزان يوم العظالي ، قال : وهو أيضاً يوم « الإفاقة » ويوم « أعشاش » ، ويوم « مليحة » .

يوم « ذى نجب »<sup>(٢)</sup> لبني يربوع على بني عامر ، وفيه قتل حسان بن يوم ذى نجب معاوية بن آكل المزار الملك ، قتله حشيش بن نمران من بني رياح بن يربوع ، وقيل : بل هو عمرو بن معاوية — أغنى المقتول — وأما حسان فأسر ، أسره

(١) قال ياهوت : غبيط الفردوس : في ديار بني يربوع ، وفيه يوم لبني يربوع دون مجاشع ، وفيه يقول جرير :

ولا شهدت يوم الغبيط مجاشع ولا نفلان الخيل من قلتي نسر

(٢) قال ياقوت : نجب — بفتح أوله وثانيه — موضع كانت فيه وقعة لبني تميم على بني عامر بن صعصعة . . . وفيه يقول سحيم بن وثيل الرياحي :

ونحن ضربنا هامة ابن خويلد يزيد ، وخرجنا عبيدة بالدم

بذي نجب إذ نحن دون حرينا على كل جيش الأحرار مرجم

دريد بن المنذر ، وكانت بنو عامر أتت به تغزو بني حنظلة بن مالك بعد يوم جبلة بعام ، ففتح لهم بنو مالك بن عمرو بن عمرو بن عدس ، وتركوا في صدورهم بني يربوع ، فهزمت بنو عامر هزيمة عظيمة ، وأسر يومئذ يزيد بن الصعقي ، وقتلت بنو نهشل خليف بن عبيد الله النخعي ، وأسر يزيد بن ثعلبة الحصان ، وهو عامر بن كعب بن أبي بكر بن كلاب ، وقتل خالد بن ربيع النهشلي عمرو ابن الأحوص ، وكان رئيس بني عامر يومئذ .

يوم خزازي<sup>(١)</sup> : ويقال : « خزاز » واختاف فيه : فقال قوم : كان رئيس نزار فيه كليب بن ربيعة . وقال آخرون : رئيسهم زرار بن عدس ، وقال آخرون : بل ربيعة بن الأحوص ، وقد أنكر أبو عمرو بن العلاء جميع ذلك والذي ثبت عنده أنه قال : هو يوم لنزار على ملك من ملوك اليمن قديم لا يعرف من هو منهم ، وأما ربيعة فيقول : لا شك أنه يوم « خزاز » لكليب بن ربيعة على مذحج وغيرهم من اليمن ، وكان بعقب يوم الشلان ، فجمع كليب جموع ربيعة ، فاقتتلوا ، فانهزمت مذحج والذين معهم من اليمن .

يوم ملزق<sup>(١)</sup> : وهو أيضاً يوم « الشوبان » كان لبني تميم على عيس

(١) قال ياقوت : ويوم خزاز كان بعقب السلان . وخزاز وكير ومتالع : أجيال ثلاثة بطخفة ، ما بين البصرة إلى مسكة : فتالع عن يمين الطريق للذهاب إلى مسكة ، وكير عن شماله ، وخزاز بنحر الطريق ، إلا أنها لا يمر الناس عليها ثلاثها .

(٢) ملزق - الأكترون على كسر الهمزة وفتح الزاي وآخره قاف ، وفيه يقول أوس بن مضاء :

ونحن بملزق يوما أبرنا فوارس عامر لما لقونا

وعامر بعد أن قاتلث تميم جميع من أتى بلادها من القبائل ، وهم إباد ، وبلحارث بن كعب ، وکلب ، وطیء ، وبكر ، وتغلب ، وأسد ، كانوا يأتونهم حياً حياً فقتلهم تميم وتنفيهم عن البلد ، وآخر من أتاها بنو عبس وبنو عامر .

يوم « الوند » وهي بالدهناء ، أغارت بنو هلال على نَعَمَ بنى نَهْشَل . يوم الوند فأنزلتهم بنو نهشل بالوند - وهي بالدهناء - فما أفلت من بنى هلال إلا رجل واحد يقال له : فراس طواف ؛ وقيل أواب .

يوم « فيف <sup>(١)</sup> الريح » ، ورأيت به بخط البصري « فيفا » مقصوراً في يوم فيف الريح مواضع من كتاب نوادر أبي زياد الكلابي .

وأشد أبو زياد لعامر بن الطفيل :

وبالفيفا من اليمين استنارت قبائل كان ألهم فثاروا

الفيفا : جبل طويل من جبال خنم يقال له : فيفا الريح ، وكان الصبر فيه والشرف لبني عامر ، وقد اجتمعت كلها إلى عامر بن الطفيل على قبائل مذحج ، وقد غزتهم مذحج في عدد عظيم من بنى الحارث بن كلب وج في وزبيد وقبائل سعد العشيرة ومراد وصدى ونهد ، ورئيسهم الحصين بن يزيد الحارثي ، واستغنوا بخنم ، فجاءت شهران وناهس وأكلب عليهم أنس بن مدرك ، وأسرع القتل في الفريقين ، فافترقوا ، ولم تغم طائفة منهم طائفة ،

(١) فيف الريح - بفتح الفاء وسكون الياء - بأعلى نجد . قال ياقوت : وهو يوم من أيامهم ، فقتل فيه عين عامر بن الطفيل ، فقأها مسهر الحارثي بالرمح ، وفيه يقول عامر :

لعمرى ، وماعمرى على بهين ، لقد شان حر الوجه طعة مسهر

وفي هذا اليوم أصيبت عين عامر ، وزعم عبد الكريم وغيره أن يوم فيفا الريح هو يوم « طلع »

يوم ذى بهدى يوم « ذى <sup>(١)</sup> يَهْدَى » : لبني يربوع على تغلب ، أسروا فيه الهذيل ، قال جرير للأخطل يعيره بذلك :

هل تعرفون بذى يَهْدَى فوارسنا يوم الهذيل بأيدى القوم مقتسر

يوم البشر يوم « البشر <sup>(٢)</sup> » لبني كلاب على الأرقام ، ورئيس قيس يومئذ الجحاف ابن حكيم الكلابي ، وكان سبب ذلك تعيير الأخطل إياه

يوم الرغام يوم « الرغام » لبني ثعلب بن يربوع ، ورئيسهم عتيبة بن الحارث بن شهاب ، أغار فيه على بني كلاب فأطرد إبلهم ، وقتل يومئذ أخوه حنظلة ، قتله الحوثره ، وأسر الحوثره ذلك اليوم ، فدفع إلى عتيبة فقتله صبراً بأخيه ، وانهمز الكلابيون بعد أن أسرع فيهم القتل والأسر

(١) قال ياقوت : بهدى بوزن سكرى ، ويقال ذو بهدى : قرية ذات نخل بالجمامة ، وقيل : هما موضعان متقاربان ، ويوم ذى بهدى من أيامهم . قال ظالم بن البراء الفقيمي :

ونحن غداة يوم ذوات بهدى لدى الوتدات إذ غشيت تميم  
ضربنا الخيل بالأبطال حق تولت وهي شاملها السكوم  
بضرب يلحق الضبان منه طروقه ويلجئه الأروم

(٢) البشر - بكسر فسكون - اسم جبل يمتد إلى الفرات من أرض الشام ، وكانت بنو تغلب قد قتلت عمير بن الحباب السلمي ، فاتفق أن قدم الأخطل على عبد الملك بن مروان والجحاف بن حكيم جالس عنده ، فقال الأخطل :  
ألا سائل الجحاف هل هو نائر يقتلى أصيبت من سليم وعامر  
نخرج الجحاف مغضبا يجر مطرفه ، فكانت الوقعة بسبب ذلك . انظر ياقوت .

يوم «المراميت»<sup>(١)</sup> للضباب ، وهم معاوية بن كلاب ، على إخوته بنى جعفر يوم المراميت ابن كلاب ، وكان هذا اليوم في زمن عبد الملك بن مروان ، وكذلك يوم البشر

يوم «الوقيظ» كان في فتية عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وهو يوم الوقيظ للهازم ، رئيسهم أنجر بن أنجر ، على بنى مالك بن حنظلة ، فأما بنو عمرو بن تميم فأنذرهم ناشب بن بشامة العنبري ، فدخلوا الدّهناء فنجوا ، وفي هذا اليوم أسر ضرار بن القعقاع بن معبد ، أسره الفرز الشيباني ورجل من تميم اللات ، فجزت تميم اللات ناصيته ، وخلته تحت الليل مضارة للفرز ، ويسمى أيضا هذا اليوم يوم «الخنو»

يوم «جزع طلال» لفزارة ورئيسهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن يومجزع طلال بدر ، على التيم وعدى وعكل وثور أطحل بنى عبد مناة ، وأخذ يومئذ شريك ابن مالك بن حذيفة من التيم وعكل أربعين امرأة ثم أطلقهن ، وأخذ خارجة ابن حصن نفرا من التيم فأطلقهم بغير فداء ، ثم أغارت فزارة بعد ذلك عليهم ورئيسهم عيينة ، فقتلوا التيم قتلا ذريعا وأخذوا منهم مائة امرأة قسمهن عيينة في بدر ، وجعلهن مع أزواجهن الأسارى ينقلن الخرى هونا لهم ، ثم أطلق الجميع بعد ذلك بغير فداء ، وأغارت عليهم بعد ذلك بنو غيظ بن مرة ، ورئيسهم زيد ابن شيبان بن أبي حارثة ، فقتلوا التيم وعديا وسبوا سبيكا كثيرا لم يردوا منه شيئا ، فنعى هذا كله عليهم جرير

يوم «أواره» الأول : لتغلب والنمر بن قاسط مع المنذر بن ماء السماء ، يوم أواره الأول

(١) قال ياقوت : هراميت آبار مجتمعة بناحية الدهناء ، كان بها يوم بين الضباب وجعفر ، زعموا أن لقمان بن عاد احتفرها ، وقال أبو أحمد : وكان القتال بسبب بئر أراد أحد أن يحتفرها .

على بكر بن وائل مع سلمة بن الحارث ، واسم سلمة معدى كرب ، وهو أيضاً الغلفاء ، بعد قتل أخيه شرحبيل ، والذي قتل سلمة الغلفاء بن عمرو بن كلثوم ، عرفه حمل عليه حتى قنعه السيف ، وكان سبب هزيمة بكر بن وائل ، وحلف المنذر يومئذ ليقْتَلَنَّ بكرًا على رأس أواره حتى يلحق الدم بالحضيض ، فشفع لهم مالك بن كعب العجلي ، وقال للمنذر : أنا أخرجك من يمينك ، فصب الماء على الدم فلحق الأرض ، وبريمين المنذر ، فكفَّ عن القتل ، وكان مالك هذا رضيع المنذر

يوم «أوراة» الأخير : كان لعمر بن هند على بنى دارم ، وذلك أن ابنا له كان مُسْتَرْضِعًا عند زرارة بن عدس اسمه أسعد ، وكان قد تَبَنَّاه فعبث بِنَاقَةٍ لأحد بنى دارم يقال له سويد ، فخرق ضَرَعَهَا ، فشد عليه فقتله ، وأتى الخبر زرارة ، وهو عند عمرو ، وكان كالوزير له ، فلحق بقومه وأدركه الموت على عقب ذلك ، فغزا عمرو بنى دارم ، وحلف ليقْتَلَنَّ منهم مائة ، فقتل منهم تسعة وتسعين ، وأتم المائة برجل من البَرَّاجِم ، وفي حكاية أخرى أنه أحرَقَهُمْ ، وبذلك تشهد مقصورة ابن دريد وشعر الطَّرِمَّاح ، وزعم أبو عبيدة أن من زعم أنه أحرَقَهُمْ فقد أخطأ ، وذُكِرَ [ له ] شعر الطرماح ، فقال : لا علم له بهذا ، واستشهد بقول جرير :

يوم أوراة  
الأخير

أَيْنَ الَّذِينَ بِسَيْفٍ عَمَرُوا قُتِلُوا أَمْ أَيْنَ أَسْعَدُ فَيْكُمُ الْمُسْتَرْضِعُ

يوم «زرود» الأول : لشيبان مع الحوفزان ، على بنى عبس ، وأنحنى ذلك اليوم عمارة الوهاب جِرَاحًا ، غير أنه سلم فلم يمت منها

يوم زرود  
الأول

يوم «زَرُود» الآخر : أغار حزيمة بن طارق التغلبي على بنى يربوع ، فاستاق النعم ، فأدركوه ، فأسره أسيد بن حناء السليطي وأنيف بن جبلة الضبي وكان ثقيلا في بنى يربوع ، وردوا الغنيمة من أيدي التغلبين

يوم زرود  
الآخر



يوم « تثليث » غزت سُلَيْم مع العباس بن مِرْدَاس مرادا ، فجمع لهم عمرو بن معدى كرب ، فالتقوا بتثليث ، فصر الفريقان ولم تظفر طائفة منهم بالأخرى ، وفي ذلك اليوم صنع العباس قصيدته السينية ، وهي إحدى المنصفات .

يوم « ذى علق » كان بين بنى عامر وبنى أسد ، وفي هذا اليوم قتل يوم ذى علق ربيعة أبو ليبيد .

يوم « العذيب » : كان لبني سعد بن زيد مناة وعَنْزَة ، على مذبح وحير ، وكان رأس اليمين الأصهب الجعفي ، بعث إليه النعمان يذكر عليه بلوغ سعد وعَنْزَة العذيب ، فحشد لهم ولقيهم ، فقتلوه ، قتل الأخر بن جندل ، واهزمت اليمانية هزيمة شديدة ، وأخذ منهم مال كثير وسي

يوم « الصفقة » : وهو أيضاً يوم « المُشَقَّر » كان على بنى تميم بسبب غير كسرى التي كان يُحِيزُهَا هُوذة بن علي السحيمي ، فلما سارت ببلاد بى حنظلة اقتطعوها برأى صمصمة بن ناجية جد الفرزدق ، فكتب كسرى إلى المُكْتَمِر عامله على هَجَرِ فَاغْتَالَهُمْ ، وأرام أنه يعرضهم للعطاء ويصطنعهم ، فكان أحدهم يدخل من باب المشقر فينزع سلاحه ويخرج من الباب الآخر فيقتل ، إلى أن قَطَنُوا ، وأصفق الباب على مَنْ حصل منهم ؛ فلذلك سميت الصفقة ، وشفع هُوذة في مائة من أسارهم فتركوا له ، فكساهم وأطلقهم يوم الفصح وكان نصرانيا .

يوم « ذى قار » : كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو لبني بكر بن وائل وقادمة بنى شيبان وبعدهم بنو عجل ، على الأعاجم جنود كسرى ومن معهم من العرب رئيسهم إِيَّاس بن قبيصة الطائي ، وكان مكان النعمان بن المنذر بعد قتل كسرى إياه ، وتحت يديه طيء وإياد وبَهْرَاء وقضاة

والعباد وتغلب والنمر بن قاسط ، قد رأس عليهم النعمان بن زرة — أعنى النمر وتغلب — وكان سبب يوم « ذى قار » طلب كسرى تركة النعمان ابن للنذر، وكان النعمان قد تركها وترك ابنا له وبنقا عند هانيء بن قبيصة بن هانيء بن مسعود الشيباني ، فنع رسول كسرى من الوصول إلى ما طلب ؛ وكتب كسرى إلى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ، وكان عاملا له على الطف ، بأن يعين إياسا ، فأنفذ إلى قومه ليلا ، وحرّضهم على القتال ، وتواطأت العرب على العجم ، فطارت إياد عن العجم حين تشاجرت الرماح كأنهم مهزومون ، وقتل الهامرز بن خلا بزر عامل كسرى ، وأسر النعمان ابن زرة التغلبي ، وبسبب ما صنع قيس بن مسعود استدرجه كسرى حتى أتاها فقتله .

يوم « الفجار » الأول : كان بين كنانة بن خزيمه وبين عجز هوازن ، بسوق عكاظ أول يوم من ذى القعدة ، وبذلك سمي فجارا ؛ لأنهم فجروا في الشهر الحرام ، وكان سبب ذلك أن بدر بن معسر الكناني كان يستطيل على من ورد عكاظ فيمد رجله ويقول : أنا أعز العرب ؛ فن كان أعز منها فليضربها بالسيف فضربها الأحمر بن هوازن من بني نصر بن معاوية ، وكان بين القبيلتين تشاجر دون أن يقع بينهما دماء ، وليس هذا الفجار عند ابن قتيبة ، وقد ذكره أبو عبيدة .

يوم الفجار  
الأول

يوم « الفجار » الثاني : كان بسبب فتیان من غزية قريش وكنانة رأوا امرأة وضيفة من بني عامر بن صعصعة بسوق عكاظ ، فسألوها أن تُسفر لهم ، فأبت ، فحلّ أحدهم ذيلها إلى ظهر درعها بشوكة ، فلما قامت انكشفت ، فقالوا : منعتنا رؤية وجهك وأريتنا درك !! فصاحت : يالَ عامرٍ

يوم الفجار  
الثاني

فتهايجوا ، وجرت بين الفريقين دماء يسيرة ، حملها الحارث بن أمية ، وليس هذا الفجار أيضا عند ابن قتيبة ، وقد ذكره أبو عبيدة .

يوم  
الفجار  
الثالث

يوم « الفجار » الثالث : كان بسبب دين كان لأحد بنى نصر على أحد [ بنى ] كنانة ، فأتى النصرى بقرذ فقال : من يبيعنى مثل هذا بمالى على فلان ؟ فرأى أحد بنى كنانة قتل القرد ، فتصايح القرىقان ، ثم سكنوا ، وكان هذا سبب الأمر العظيم من قتل البراء الكنانى عروة الرمال بن عينة بن جعفر بن كلاب واتبعت هوازن قريشا ، وكانوا قد أدر كهم بنخلة ، حتى دخلوا الحرم ، وجنهم الليل ، ثم ألتقوا بعد حول فكانت الواقعة أيضا عليهم ، وهو يوم « شمة » ثم التقوا أيضا بعد حول ، فكانت الكرة على هوازن وفى ذلك اليوم سمو بنى أمية العنابس لما فعل حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان من تقييدهم أنفسهم حتى يظفروا أو يمتلوا ، هذه رواية أنى عبيدة ، وأما ابن قتيبة فجعل ماجرى بين النصرى والكنانى هو الفجار الأول ، وقال فى آخره : ولم يكن بينهم قتال ، إنما كان ذلك القتال فى الفجار الثانى ، وجعل سبب الفجار الثانى أن عينة بن حصن ابن حذيفة أتى سوق عكاظ فرأى الناس يتبايعون ، فقال : أرى هؤلاء مجتمعين بلا عهد ولا عقد ، ولئن بقيت إلى قابل ليعلمن ، فغزاهم من قابل ، وأغار عليهم ، قال : فهذا الفجار الثانى ، والحرب فيه بين كنانة وقيس ، والدائرة على قيس عيلان

يوم  
الجفار  
يوم  
الصريف

يوم « الجفار » : للأحاليق فى ضبة وإخوتها الرباب وأسد وطى . ، على بنى تميم ، واستحر القتل يومئذ فى بنى عمرو بن تميم فقتلوا قتلا ذريعا .  
يوم « الصريف » : كانت هذه الواقعة فى أيام الرشيد ، وهى لبنى ضبة على بنى حنظلة ، وفى ذلك يقول شاعرهم ، وأظنه من ولد جرير :

صَبَرْتُ كُلَّ نَبِّ لِلطَّعَانِ وَمَالِكٍ  
يوم الصريفِ وَفَرَّتْ الْأَحْمَالُ  
و « الأحمال » : بطون من بنى حنظلة .

وقد أوفيت بما عقدت به في صدر هذا الكتاب من إنبات ما انتهى إلى من أيام العرب ، مجتهداً في اختصارها ، بريثاً بمواقع فيها من الاختلاف ، وإنما عهدة ذلك على الرواة .

وسأذكر من مفاخر بني شيبان لمّا أختم بها هذا الباب كما بدأت به ؛ لأنني لو تقيّست ذلك لأفريت العمر دون تقضى الجزء الذي لا يتجزأ منه قلة ، لكنني ذهبت فيهم وفي سيدهم أبي الحسن مذهب أبي الطيب في إخوتهم بني تغلب وفي سيدهم على بن حمدان حيث يقول :

مفاخر  
بني شيبان

ليت المذائح تستوفي مدائحها فاكليب وأهل الأعصر الأول  
خُذْ ما تراه ودَعْ شيئاً سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

قال أبو عبيدة : قدم على النعمان بن النذر وفود ربيعة ومضر بن نزار ، وكان فيمن قدم عليه من وفود ربيعة بسطام بن قيس والحوفزان بن شريك البكريّان ، وفيمن قدم عليه من وفد مصر من قيس عيلان عامر بن مالك وعامر بن الطفيل ، ومن تميم قيس بن عاصم والأقرع بن حابس ، فلما انتهوا إلى النعمان أكرمهم وحباهم ، وكان يتخذ للوفود عند انصرافهم مجلساً : يطعمون فيه معه ، ويشربون ، وكان إذا وضع الشراب سقى النعمان ، فمن بدى به على أثره فهو أفضل الوفد ، فلما شرب النعمان قامت القينة تنظر إلى النعمان من الذي يأمرها أن تسقيه وتفضله من الوفد ، فنظر في وجهها ساعة ثم أطرق ثم رفع رأسه وهو يقول :

وفود ربيعة  
عند النعمان  
ابن النذر

اسقي وفودك مما أنت ساقيتي فابدى بكاس ابن ذي الجدين بسطام  
أغرّ ينمي من شيبان ذو أنف حامى الدمار وعن أعراضها رامي  
قد كان قيس بن مسعود ووالده تبدا الملوك بهم أيام أبي  
فأرضوا بما فعل النعمان في مضر وفي ربيعة من تعظيم أقوام  
هم المجامع والأذنان وغيرهم فأرضوا بذلك أو بوءوا بإرغام

فقال عامر بن الطفيل :

كان التبايعُ في دهرٍ لهم سلفٌ \* وابن المُرَّار وأملكُ على الشام  
حتى انتهى الملك من لحم إلى ملك \* بادی السنان لمن لم يزمه رامي  
أنحى علينا بأظفار فطوقنا \* طَوَّقَ الحِمام ياتعاس وإرغام  
إن يمكن الله من دهرٍ نساء به \* نتركك وَخَذَكَ تدعو رَهْطاً بسطام  
فانظر إلى الصَّيْدِ لم يحموك من مضر \* هل في ربيعة إن لم تدعنا حامي ؟؟  
فأجابه بسطام بن قيس فقال :

لعمري لئن ضجعت نيم وعاصم \* لقد كنت يوماً في حلوقهم شَجِي  
أروني كسعود وقيس وخالد \* وعمرو وعبد الله ذى الباع والندي  
وكانوا على أفناء بكر بن وائل \* ربيما إذا ماسال سائلهم جدى  
فسيرت على آثارهم غير تارك \* وصيتهم حتى انتهت إلى مدى

قال : وافخر رجلان بباب معاوية بن أبي سفيان : أحدهما من بني شيبان ،  
والآخر من بني عامر بن صعصعة ، فقال العامري : أنا أعد عليك عشرة من  
بني عامر ، فمد على عشرة من بني شيبان ، فقال الشيباني : هات إذا شئت ،  
فقال (١) العامري : خذ عامر بن مالك مُلَاعِب الأُسنة ، والطفيل بن مالك قائد  
هوازن وفارس قرزل ، ومعاوية بن مالك معوذ الحكماء (٢) ، وربيعه بن مالك فارس  
ذى علق ، وحمير بن الطفيل ، وعلقمة بن عُلائة ، وعتبة بن سنان ، ويزيد بن  
الصَّعِق ، وأريد بن قيس ، وهو أريد الحتوف ، فقال الشيباني : خذ قيس بن  
مسعود رهينة بكر بن وائل ، وبسطام بن قيس سيد فتیان ربيعة ، والخوفزان  
ابن شريك فارس بكر بن وائل ، وهانيء بن قبيصة أمين النعمان بن المنذر ،

مفاخرة  
عند معاوية  
بين عامري  
وشيباني

(١) لم يذكر العامري عشرة فيما ذكر المؤلف ، وإعماهم تسعة .

(٢) انظر ص ١٩٦ من هذا الجزء .

وقبيصة بن مسعود وافد المنذر ، ومفروق بن عمرو حاضن الأيتام ، وسنان بن مفروق ضامن الدمن ، والأصم عمرو بن قيس صاحب رءوس بني تميم ، وعمران ابن مرة الذي أسرى زيد بن الصعق مرتين ، وعمر بن النعمان ، فتلاً حياً ، فخرج حاجب معاوية فصادفهما على تلك الحال ، فدخل على معاوية فأخبره بالقضية ، فدعا بهما ، فلما دخلا عليه نَسَبهما ، فانسبا له ، فقال معاوية : عامر أخضر هوازن ، وشيبان أخضر بكر بن وائل ، وقد كفا كما الله المؤنة ، هذان رجلان من غير قومكما عندي يحكمان بينكما : عدي بن حاتم ، وشريك بن الأعور الحارثي ، احكما بينهما ، ثم قال معاوية للشيباني : من يعي لعامر بن مالك ؟ قال الأصم بن أبي ربيعة الذي قتل من تميم مائة رجل على دم ، فقال معاوية للرجلين : ما تقولان ؟ قال : رجح الأصم على عامر بن مالك ، قال معاوية : فن يعي لعامر ابن الطفيل ؟ قال الشيباني : الحوفزان بن شريك ، قال الحكمان : رجح الحوفزان ، قال : فن يعي لعقمة بن عُلَثة ؟ قال الشيباني : بسطام بن قيس ، فقالا : رجح بسطام ، قال معاوية : فن يعي لعتبة بن سنان ؟ قال الشيباني : مفروق بن عمرو ، فقالا : رجح مفروق ، قال معاوية : فن يعي للطفيل بن مالك ؟ فقال الشيباني : عمران بن مرة ، فقالا : رجح عمران بن مرة ، فقال معاوية : فن يعي لمعاوية بن مالك ؟ قال الشيباني : عوف بن النعمان ، فقالا : رجح عوف بن النعمان ، قال معاوية : فن يعي لعوف بن الأحوص ؟ قال الشيباني : قبيصة بن مسعود ، فقالا : رجح قبيصة ، قال : فن يعي لربيعة بن مالك ؟ قال : عافى بن قبيصة ، فقالا : رجح عافى بن قبيصة ، قال معاوية : فن يعي ليزيد بن الصعق ؟ قال : سنان بن مفروق ، فقالا : رجح سنان بن مفروق ، قال : فن يعي لأربد بن قيس ؟ قال : الأصم بن شريك ، فقال معاوية للشيباني : فأين نسيت قيس بن مسعود ؟ قال : أصاحك الله ! قيس ليس من هذه الملائكة فاتهم

نسبهم بهذا سؤالا ، فقال الحارثي في ذلك :

أعدُّ إذا عددتُ أبا براء  
وكان الجعفرى أبو عليّ  
ووالده الذى حُدِّثَتْ عنه  
وكان معودُ الحكم المباري  
وقد أورت زنادُ أبى لبيدٍ  
وعلقمة بن أحوص كان كهفًا  
وعُتْبَةُ والأغرُّ يزيدُ ، إلى  
وعَوْفًا ثم أُرْبَدَ ذا المعالي  
أولئك من كلاب فى ذُرَاهَا  
فكان علا على الأقوام فضلًا  
إذا ما هاجتِ الهيجاءُ علاً  
طفيلٌ خَيْرُنَا يَفْعًا وطفلاً  
رياح الصيف أعلى القوم فعلا  
ربيعة يومَ ذى علقى فأبلى  
كلابيا رحيبَ الباع سَهْلًا  
رأيتهما لكلِّ الفخر أهلا  
كفى بهما عليك ندى وَبَذَلَا  
وَخَيْرُ قرومها حَسَبًا وَثَبَلَا

فقال الشيباني مجيباً له :

أعدُّ إذا عددتُ أبا خفافٍ  
وهانئنا الذى حُدِّثَتْ عنه  
ومفروقًا وذا النجْدَاتِ عَوْفًا  
وأسود كان خير بني شريك  
أولئك من عكابة خير بكر  
وأفضل من ينصُّ إلى المعالي  
وأكثر قومهم بالشرُّ طَوْفًا  
وعمران بن مرة والأصم  
وكان قبيصة الأنف الأثم  
وبسطامًا ووالده الخضم  
ولم يكُ قرنه كُغْبَشًا أجمًا  
وأكرم من يليكَ أبا وأثما  
إذا ما حَصَلُوا خالًا وعَمًا  
وأبعد قومهم فى الخيرهما

فقال معاوية للحكمين : ما تقولان ؟ قال : شيبان أكرم الحيين ، فقال معاوية :

وذاك قولى ، فأكرمهما وحباهما ، وفضل الشيباني على العامري .

حديث  
ذى الجدين

قال : وكان من حديث ذى الجدين أن الملك النعمان قال : لأعطين أفضل  
العرب مائة من الإبل ، فلما أصبح الناس اجتمعوا لذلك ، فلم يكن قيس بن مسعود  
فيهم ، وأراذه قومه على أن ينطلق ، فقال : لئن كان يريد بها غيرى لأشهد ذلك

وإن كان يريدني بها لأعطينها ، فلما رأى النعمان اجتماع الناس قال لهم : ليس صاحبها شاهداً ، فلما كان من الغداة قال له قومه : انطلق ، فانطلق ، فدفعها إليه الملك ، فقال حاجب بن زرارة : أبيت اللعن ، ما هو أحق بها مني ، فقال قيس ابن مسعود : أنا فره عن أكرمنا قعيدة ، وأحسننا أدب ناقة ، وأكرمنا لثيم قوم ، فبعث معهما النعمان من ينظر ذلك ، فلما انتهوا إلى بادية حاجب بن زرارة مروا على رجل من قومه ، فقال حاجب : هذا ألام قومي ، وهو فلان بن فلان ، والرجل عند حوضه ومورد إبله ، فأقبلوا إليه ، فقالوا : يا عبد الله ؛ دعنا نستقي ؛ فإننا قد هلكنا عطشاً وأهلكنا ظهورنا ، فتجهم وأبى عليهم ، فلما أعياهم قالوا للحاجب : اسفر ، فسفر فقال : أنا حاجب بن زرارة ، فدعنا فلنشرب ، قال : أنت ؟ فلا مرحباً بك ولا أهلاً ، فأتوا بيته ، فقالوا لامراته : هل من منزل يا أمة الله ؟ قالت : والله مارب المنزل شاهد ، وما عندنا من منزل ، وراودوها على ذلك فأبت ، ثم أتوا رجلاً من بكر بن وائل على ماء يورد ، قال قيس : هذا والله ألام قومي ، فلما وقفوا عليه قالوا له مثل ما قالوا للآخر فأبى عليهم ، وهم أن يضربهم ، فقال له قيس بن مسعود : ويلك أنا قيس بن مسعود ، فقال له : مرحباً وأهلاً ، أورد ، ثم أتوا بيته ، فوجدوا فيه امرأته وقد رها يثبط ، فلما رأت الركب من بعيد أنزلت القدر وبردت ، فلما انتهوا إليها قالوا : هل عندك يا أمة الله من منزل ؟ قالت : نعم أنزلوني في الرحب والسعة ، فلما نزلوا طعموا وارتملوا ، فأخذوا ناقتيهما ، فأنأخوهما على قريتين للنمل ؛ فأما ناقة قيس بن مسعود فتضورت وتقلبت ثم لم تنز ، وأما ناقة حاجب فمكثت وثبتت ، حتى إذا قالوا قد اطمأنت طفقت هاربة ، فأتوا الملك فأخبروه بذلك ، فقال له : قد كنت يا قيس ذا جد ، فأنت اليوم ذو جدين فسمي بذلك ذا الجدين ، وقيل : إنما سمي بذلك لأسيرين أسرها مرتين ، وقيل : بل سبقَ سَبَقَيْنِ ، هكذا جاءت الرواية .

والذي أعرف أنا أن ذا الجدين إنما هو عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام ،



سُمِّيَ بذلك لأنه اشترى كسب بن مائة من أيدي قوم من غزوة أسروه ، فكتم نفسه ، وعرفه عبدُ الله [ وأظهر ] أنه لم يشتره عن معرفة ، فوهبه كلُّ ما لقي في طريقه من إبل أبيه بعُبدانها ، وكانت سوداً وحمراً وصُهباً ، وبلغ به إلى أبيه فأجاز له ذلك ، وأعطاه قبته بما فيها ، فلما أتى الحيرة قال بعض من رآه لصاحبه : إنه لذو جدٍّ ، قال الآخر : بل هو ذو جدَّين ، فسمى بذلك .

### (٨٧) — باب في معرفة ملوك العرب

وأنا أذكر في هذا الباب من ملوك النواحي مَنْ أخذهُ حِفْظِي ، وبلغته روايتي ، على شريطة الاختصار والتلخيص ، بحسب الطاقة والاجتهاد ، إن شاء الله تعالى .

ملوك اليمن : قال ابن قتيبة وغيره : أول من حُيِّيَ بتحية الملوك «أَبَيْتَ اللَّعْنَ» ملوك اليمن و«أنعم صباحاً» يَعْرُبُ بْنُ قَحْطَانَ ، فولد له يشجب ، وولد ليشجب سبأ ، وقيل : إنه أول من سَبَّيَ السَّبْيَ من ولد قحطان . واسمه عبد شمس ، وقيل : عامر ، وأول الملوك المتوحيين من ولده حمير بن سبأ مَلَكَ حتى مات هرما ، ولم يزل الملك في ولد حمير لا يعدو ملكهم اليمن ، حتى مضت قرون ، وصار الملك إلى الحارث الراش ، وبينه وبين حمير خمسة عشر أباً ، فخرج من اليمن ، وغزا وجَلَبَ الأموال ، فَرَأَشَ النَّاسَ ، وبذلك سُمِّيَ الراش ، وفي عصره مات لقمان صاحب النور ، وهو لقمان الذي بعثته عاد ليستسقى لها بمكة ، وكان مُلْكُ الرَّاشِ مائة وخمسة وعشرين سنة ، وذكر نبينا صلى الله عليه وسلم ، وأنشد ابن قتيبة :

وأحدُ إسمه ، يالَيْتَ أَنِي أَعْمَرُ بَعْدَ مبعثه بعام

ثم أبرهة ذو المنار بن الراش ، وكان ملكه مائة وثلاثاً وثمانين سنة ، ثم أفريقس بن أبرهة ، وهو الذي بنى أفريقية ، وبه سميت ، وكان ملكه

مائة وستين سنة؛ ثم العبد بن أبرهة ، وهو ذو الأذعار ، سعى بذلك لقوم سباهم مُنْكَرِي الوجوه تزعم العرب أنهم النسناس ، وكان ملكه خمسا وعشرين سنة ، ثم هدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن الراءش ، وهو أبو بلقيس ، ملك سنة واحدة ثم بلقيس إلى أن أسلمت على يدَي سليمان صلى الله عليه وسلم ، ثم ناشر بن عمرو ابن يعفر بن شرحبيل ، وكان ملكه خمسا وثمانين سنة ، ثم شمر بن أفريقس ، وهو الذي أخرب مدينة سمرقند ، وبه سميت سمرقند ، ومعنى كند أخربها ، وهو الذي يسمى شمر يرعش ؛ لارتعاش كان به ، وكان ملكه مائة وسبعا وثلاثين سنة ، ثم ابنه الأقرن بن شمر يرعش ، وكان ملكه ثلاثا وخمسين سنة ، ثم تبع الأكبر بن الأقرن ، وكان ملكه مائة وثلاثا وستين سنة ، ثم ابنه كليكرب ؛ ولم يغز حتى مات ، وكان ملكه خمسا وثلاثين سنة ، ثم تبع بن كليكرب وهو أبو كرب تبع الأوسط ، وكان يغزو بالنجوم ويعمل أعماله كلها بأحكامها ، ويقال : إنه آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو القائل فيه :

شهدتُ على أحمدٍ أنه رسولٌ من الله باري النَّسَمِ  
فلو مدَّ عُمرِي إلى عُمرِهِ لَكُنْتُ وزيراً له واثناً عَمِ

ثم حسان بن تبع الأوسط ، وهو الذي غزا جديسا وقتل اليمامة التي سميت بها جَوْ اليمامة ، ثم عمرو بن تبع أخو حسان ، وكان ملكه ثلاثا وستين سنة ، ثم عبد كلال بن مثوب ، وكان على دين عيسى يستر إيمانه ، وكان ملكه أربعين سنة ؛ ثم تبع بن حسان وهو الأصغر ، وكان الحارث بن عمرو بن حُجْر جد امرئ القيس ابن أخيه ، وتبع هو الذي عقد الحلف بين ربيعة واليمن ، وهو الذي أدخل في اليمن دين اليهود ثمانية وسبعين سنة ، ثم أخوه لأمه مرثد بن عبد كلال ، وقيل : مرزبد ، وكان ملكه إحدى وأربعين سنة ، ثم ابنه ربيعة بن مرثد ، ملك سبعا

وثلاثين سنة ، ثم أبرهة بن الصباح ، ملك ثلاثا وسبعين سنة ، وكان يكرم معداً ويعلم أن الملك كائن في بني النضر بن كنانة ، ثم حسان بن عمرو بن تبع بن كليكرب ، ملك سبعاً وثلاثين سنة ، ومدحه خالد بن جعفر بن كلاب لما شقمه في أسارى من قومه ، ثم ذو الشنار ، واسمه نجيمة ينوف ، ولم يكن من أهل بيت المملكة ، لكنه من أبناء المَقاول ، قتله ذو نَوَاس ، وكان غلاماً من أبناء الملوك حَسَنَ الوجه له ذؤابتان ، أراد ذو الشنار على نفسه فوجَّاه بخنجر كان قد أعدَّ له فقتله ، ورضيته حمير لنفسها لما أراحها من ذى الشنار ، وذو نواس صاحب الأخدود الذى ذكره الله عز وجل ، وكان يهودياً ، فَخَذَّ الأخدودَ ليقوم من أهل نجران تنصروا على يد قَيْلٍ من آل نجفة ، وعلى أيام ذى نواس دخلت الحبشة اليمن ، واقتحم البحر منهزماً ففرق ، وكان ملكه ثمانيا وستين سنة ، وقام بعده ذو جدن فهزمته الحبشة ، فاقتحم البحر فهلك ، وملك اليمن أبرهة الأشرم ، وهو الذى زحف إلى مكة بالقليل فهلك جيشه ، وابتلى بالأكلة ، فحمل إلى اليمن فهلك بها ، وملك بعده ابنه يكسوم فساءت سيرته باليمن ، فاستجاش سيف بن ذى يزن كسرى ، فجيش له جيشاً عظيماً ، وقد مات يكسوم ، وولى بعده مسروق أخوه ، وهو أيضاً أخو سيف لأمه ، فقتلته الحبشة ، وسبيت نساؤهم ، فقام سيف ملكاً من قبل كسرى حتى غدره خُدَامُه من الحبشة ولم يجتمع ملك اليمن لأحد بعده ، ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكشفت به الظلمة ، واهتدت بهديده الأمة ، واستقر الملك في نصابه ، بعد الخلفاء الأربعة من أصحابه ، بمن وجبت طاعته ، وصحت بيعته ، وأنا واقف عند الشبهة ، قائل في هذا بما قالت به الجماعة ، فقد تنازع اسم أمير المؤمنين من لا يصلح له ، ولا يسلم إليه ؛ فلذلك أعرضت عن ذكر من لم أذكره ، ولولا ذلك لذكرت كل واحد وزمانه ، ومنتهى عمره ، إلى وقتنا هذا ، وما توفيقي إلا بالله .

## ملوك الشام

ملوك الشام : كانت بالشام سليج<sup>(١)</sup> وهم من غسان ، ويقال : من قضاة  
وأول ملوكهم النعمان بن عمرو بن مالك ، ثم من بعده ابنه مالك ، ثم من بعد مالك  
ابنه عمرو ؛ إلى خروج مُزَيْقيا - وهو عمرو بن عامر - من اليمن في قومه من الأزد ،  
وسمى مُزَيْقيا لأنه كان يمزق كل يوم حلة لا يعود إلى لباسها ثم يهبها ، ويسمى  
عامر ماء السماء ؛ لأنه كان يحىء في المَحَلِّ فينوب عن الغيث بالرغد والعطاء [وهو]  
ابن حارثة<sup>(٢)</sup> الفطريف ، بن امرئ القيس البطريق ، بن ثعلبة البهلول ، بن  
مازن قاتل الجوع ، بن الأزد<sup>(٣)</sup> ، ومعه رجل يقال له جذع بن سنان ،  
فنزلا بلاد عكّ ، فقتل جذع ملك بلاد عكّ ، فافترقت الأزد والملوك فيهم حينئذ  
ثعلبة بن عمرو بن عامر ، فانصرف عامله فخارب جرحم فأجلاهم عن مكة ، واستولوا  
عليها زماناً ثم أحدثوا الأحداث ، وجاء قُصَي بن كلاب لجمع معداً - وبذلك  
سمى مُجَمَّعاً - واستعان ملك الروم فأعانه ، وحارب الأزد فغلبهم ، واستولى على  
مكة دونهم ، فلما رأت الأزد ضيق العيش بمكة ارتحلت ، وانخرعت خزاعة لولاية  
البيت - وبذلك سميت - فصار بعض الأزد إلى السَّوَاد فملكوا عليهم مالك بن  
فهم أبا جذيمة الأبرش ، وصار قوم إلى يثرب ، وهم الأوس والخزرج ، وصار  
قوم إلى عمان ، وصار قوم إلى الشام ، وفيهم جذع بن سنان ، فأتاه عامل الملك  
في خَرْج وجَبَّ عليه فدفع إليه سيفه رهناً ، فقال الرومي : أدخله في كذا من  
أم الآخر ، فغضب جذع وفتنه فقتله ، فقتل : خُذْ من جذع ما أعطاك<sup>(٤)</sup> ،  
وسارت مثلاً ، وولوا الشام ، فكان أولهم الحارث بن عمرو مُحَرِّق ، سمي بذلك  
لأنه أول من حرَّق العرب في ديارها ، وهو الحارث الأكبر ، ويكنى أبا شَمِير ،  
ثم ابنه الحارث بن أبي شمر الغساني ، وهو الحارث الأعرج ، وأمه مارية ذات

(١) في بعض الأصول « سليخ » بالخاء المعجمة .

(٢) في بعض الأصول « جارية » .

(٣) في الأصول « من الأزد بن الأزد » وليس بشيء .

(٤) انظر الثل رقم ١٢٤١ من مجمع الأمثال للبيداني ( ١ / ٢٣١ بتحقيقنا ) .

الْقُرْطَيْنِ ، وهى مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية الكندى ، وأختها هند الهنود امرأة حُجْرٍ آكل المُرَّار الكندى ، وإلى الحارث الأعرج زَحَفَ المنذر الأكبر فانهزم جيشه ، وقتل ، ثم الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر ، وهو ولد الحارث الأعرج [ثم] عمرو بن الحارث ، وكان يقال له : أبو شمر الأصغر ، وله يقول نابغة بنى ذبيان :

صَلَّى لِعَمْرٍو نِعْمَةً بَعْدَ نِعْمَةٍ لَوْلَا دِهِ لَيْسَتْ بِذَاتِ عِقَارِبِ

والنعمان بن الحارث هو أخو الحارث الأصغر ، وله يقول النابغة :

هَذَا غُلَامٌ حَسَنٌ وَجْهُهُ مُسْتَقْبِلُ الْخَيْرِ سَرِيعُ الْقِيَامِ

والنعمان هذا ثلاثة بنين : عمرو ، وحُجْرٌ ، والنعمان ، ومن ولد الأعرج أيضاً المنذر ، والأيهام أبو جَبَلَةَ ، وجَبَلَةَ آخر ملوك غسان ، كان طوله اثني عشر شبراً ، وهو الذى تنصّر فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ملوك الحيرة : أولهم مالك بن قهم بن عمرو بن دَوْس بن الأزد ، مَلَكَ ملوك الحيرة العرب بالعراق عشرين سنة ، ثم ابنه جَذِيمَةُ بن مالك ، وهو الأبرش ، وهو الوَصَّاح ، كان ملكه ستين سنة ، ثم عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة اللخمي ، ويقال : إن نصرأ هو الساطرون صاحب الخضر ، وهو جرمقائى من أهل الموصل ، وقيل : بل هو من أشلاء قنص بن معد بن عدنان ، وعمرو هذا هو ابن أخت جذيمة الأبرش وفيه قيل : « سَبَّ عمرو عن الطَّوْق » ثم امرؤ القيس ابن عمرو بن عدى ، ويقال : بل الحارث بن عمرو ، وإنه الذى يدعى محرّقا ، ثم النعمان بن امرئ القيس ، وهو النعمان الأكبر الذى بنى الخوَزَنَقَ ، ثم المنذر بن امرئ القيس ، وهو المنذر الأكبر بن ماء السماء أخو النعمان الأكبر ، ثم المنذر بن المنذر ، وهو الأصغر ، ثم أخوه عمرو بن المنذر ،

وهو عمرو بن هند ، ويسمى محرقاً ؛ لأنه حرق بنى تميم ، وقيل : بل حرق نخل  
اليمامة ، ثم النعمان بن المنذر صاحب النابغة الذبياني ، وهو آخر ملوك لَخْمٍ ، ثم ولي  
بعده إلياس بن قبيصة الطائي ، ثم ابنه أشهر ، واضطرب ملك فارس وضعفوا ،  
وكانت ملوك الحيرة من تحت أيديهم ، وأتى الله عز وجل بالإسلام فعرز أهله بالنبي  
صلى الله عليه وسلم .

## ٨٨ -- باب من النسبة

- الأرحية قال ابن دريد : الإبل الأرحية منسوبة إلى أرحب بن همدان .  
خفية أسد خفية<sup>(١)</sup> وأسد خفان<sup>(٢)</sup> وهما أجمتان من العذيب على ليلة .  
اليزنية الرماح اليزنية : منسوبة إلى ذي يزن الملك ، ويقال الأيزنية ، قال ذو الرمة :  
أرين الذي استودعن سواد قلبه هوئى مثل شك الأيزريّ النواجم<sup>(٣)</sup>  
هكذا جاءت الرواية في هذا البيت .  
الفرعونية الدروع تنسب إلى فرعون . قال راشد بن كثير :  
بكل فرعونية لونها مثل بصيص البغشة الغادية

(١) خفية - بفتح أوله وكسر ثانيه وباء مشددة مثناة - أجمة في سواد  
الكوفة ، بينها وبين الرحبة بضعة عشر ميلاً ، ينسب إليها الأسود ، يقال : أسد خفية ،  
وانظر ياقوت .

(٢) خفان - بفتح أوله وتشديد ثانيه وآخره نون - موضع قرب الكوفة  
يسلكه الحاج أحياناً ، وهو مأسدة ، قيل : هو فوق القادسية ، وانظر ياقوت .

(٣) وقع في الأصول \* أين الذي . . . . . الأزاني النوجم \* وهو  
تصنيف ، والتصويب عن الديوان .

وتنسب إلى داود ، وسليمان ، وتبع ، ومحرق ، يريدون بذلك القِدَمَ وجودة الصنعة .

السكنائن الزُّغَرِيَّة : منسوبة إلى زغر<sup>(١)</sup> وهو موضع بالشام تعمل فيه كنانن الزغرية حمر مذهبة .

قال أبو دؤاد يصف فرساً :

ككنانة الزُّغَرِيَّ زَيْبَنَهَا من الذهب الدلاص

السمهرى : السمهرى : الرمح الشديد ، يقال : اسمهر الأمر ، إذا اشتد .

الأتحمية : برود منسوبة إلى أتحم<sup>(٢)</sup> باليمن .

القَعَضِيَّة : ضرب من الأسنة ، تنسب إلى قَعَضَب ، رجل قشيري كان يعملها ، وكذلك الشرعبيَّة أيضا . قال الأعشى :

وَلَدَنْ من اَلْخَطْطِ فيها أسنة ذخائر مما سَنَ أبزى وشرعَب<sup>(٣)</sup>

والشرعية أيضا من الثياب الحارية في قول امرئ القيس :

فلما دخلناها أضفنا ظهورنا إلى كل حارىٍّ جديدٍ مُشْطَب<sup>(٤)</sup>

قال الأصمعي : اَحْتَبَّوْا بِجَمَائِلِ سَيُوفِهِمْ

(١) زغر - بضم ففتح - قرية بمشارف الشام .

(٢) وقال المرتضى : « قال شيخنا : والياء في الأتحمى ليست للنسب على الأصح » ١٨١ .

(٣) في الديوان ( ص ١٣٨ ) « فيه أسنة »

(٤) في الديوان ( ص ٢٠ ) « فلما دخلناه » ومعنى « أضفنا » أسندنا . والمشطَب : المخطط ، على ما فسره أبو عبيدة .

قال أبو عبيدة : ما نسبت إلى الخيرة سيوف قط ، وإنما يريد الرجال كما قال الآخر : .

\*مشدودة برحال الخيرة الجدد\*<sup>(١)</sup>

قال ابن الكلبي : أول من اتخذ الرجال علاف ، وهو زبائن بن جرم ؛ فلذلك قيل للرجال « علافية » وأول من عمل الحديد من العرب الهالك ابن مراد بن أسد بن خزيمه ؛ فلذلك قيل لبني أسد القيون ، وقيل لكل حداد : هالكى .

العلافية  
والهالكى

قال أبو عبيدة : أجود السهام التي صنعتها العرب في الجاهلية سهام بلام ، وسهام يثرب ، وهما بلدان قريبان من حجر اليمامة ، وأنشد الأعشى :

\* بسهام يثرب أم سهام بلام \*<sup>(٢)</sup>

سَلُوق : قرية باليمن ، وإليها تنسب الكلاب والدروع .

السلوقية

سيف مشرق : منسوب إلى مشرف ، وهي قرية باليمن كانت السيوف تعمل بها ، وليس قول من قال إنها منسوبة إلى مشارف الشام أو مشارف الريف بشيء عند العلماء ، وإن قاله بعضهم .

المشرفى

والسيوف السريجية : منسوبة إلى سريج<sup>(٣)</sup> رجل من بني أسد ، قال محمد ابن حبيب : هو أحد بني معرض بن عمرو بن أسد بن خزيمه ، وكانوا قيونا .

السريجية

(١) هذا عجز بيت للناطقة الديباني ، صدره \* والأدم قد خيست فتلا مراقبها \* والأدم : البيض من النوق . وخيست : ذلت ، فتلا : بانت عن آباطها مراقبها والرجال : جمع رجل ، وهو شبه السرج ، الجدد : جمع جديد .

(٢) لم يذكر ياقوت بلاما ، والذي فيه وفي القاموس وشرحه ، « ويلمان موضع باليمن أو بالهند أو بالسند منه السيوف البيلمانية الجيدة » اهـ .

(٣) في الأصول « الشريجية . . . شريج » وهو تحريف .



الدروع الحطمية : منسوبة إلى حطمة بن محارب بن عمرو بن وديعة بن الحطمية  
لُكَيْز<sup>(١)</sup> بن عبد القيس بن أفعى .

وقال ابن الكلبي : هي منسوبة إلى حطم ، وهو أحد بني عمرو بن مرثد  
من بني قيس بن ثعلبة ، وقال الأصمعي : لا أعلم ما تنسب إليه .

الخط : جزيرة بالبحرين تنسب إليها الرِّمَاحُ ، قال الأصمعي : ليست تنبت  
الرماح لكن سفن الرماح ترفأ إلى هذا الموضع قليل للرماح خطية .

والمسك الدَّارِيُّ : منسوب إلى دارين ، يعنى عطاراً بالبحرين ، زعم ذلك  
أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي ، والأكثر المشهور عند العلماء أن دارين وغزة  
موضعان بالشام .

عصفور ، وداعر ، وشاعر ، وذا الكلبتين : فحول إبل النعمان بن المنذر .

عصافير النعمان : أولاد عصفور الفحل ، وهو أكرم فحل للعرب فيما يزعمون .  
والقسي العصفورية : منسوبة إلى رجل يسمى عصفوراً ، حكاه الجاحظ .

وأنشد لابن سثير :

عطف السيّات بواقع في بذلها تُعزَى إذا نُسِبَتْ إلى عصفور  
يعنى قِيسَ البندقي ، دَعَا بها على حَمَام جاره .

ويقال للقسي أيضاً « الماسخية » منسوبة إلى رجل من الأزد ، واسمه ماسخة  
هو أول من عملها .

والإبل العسجدية والعبدية والعمانية : إبل ضربت فيها الوحوش .

والإبل الشذقية والجديلية عن غيره منسوبة إلى شذقم وجديل ، وهما فحلان

مشهوران .

الجر الأخدرية : منسوبة إلى حمار يسمى أخدر ، وقيل : هو فرس كان لبعض  
الملوك ، أظنه أزدشير بن بابك ، توحش فضرِب في عانة<sup>(٢)</sup> فنسبت أولاده إليه ، وهو

(١) في الأصول « بكير » تصحيف (٢) العانة : القطيع من الأتْن ، هنا .

أقره الحمر ، هكذا تزعم العرب ، والعادة أن يكون ما تتأخّر منه بغالا . فأما الكدّاد  
فخمار معروف من الوحشية تتج . قال الفرزدق :

حمار لهم من بنات الكدّاد يدهيج بالوطب والزود  
والبغال يزعمون أن قارون أول من أنتجها ؛ فهي تُنسب إليه ، وقيل : بل  
أول من أنتج البغال أنتجها قبله أفريدون .

### (٨٩) — باب العتاق من الخيل ومذكوراتها

وأول ما أذكر منها خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومراكبه ، جرياً  
على العادة في التبرك باسمه : فنها « السكّب » وهو فرسه يوم أحد ، حكاة ابن  
قتيبة ، ومنها « المرتجز » وكان له فرس يقال « اللزاز » وفرس يقال له « الضرب »  
وفرس يقال له « اللجيف » وفرس يقال له « الورد » وزاد غير ابن قتيبة فرساً يقال  
له « سحة » وكانت بغاته يقال لها « دلدل » وكان حماره يقال له « يعفور »  
وكانت ركائبه « القُصوى » و « الجدعاء » و « العَضْبَاء » .

وهذه خيل العرب : قال ابن قتيبة عن أبي عبيدة : الغراب والوجيه ولاحق  
ومذهب ومكتوم كانت كلها لغى .

وقال أحمد بن سعد الكاتب : كان أعوج أولاً لسكنده ، ثم أخذته سليم ،  
ثم صار لبني عامر ، ثم لبني هلال ، قال ابن حبيب : رُكِبَ رطباً فأعوجت قوائمه  
وكان من أجود خيل العرب ، وأمه سبل كانت لغى ، وأم سبل البشامة ، كانت  
لجمدة ، ولهم أيضاً الفياض .

قال ابن سعد : والوجيه ولاحق لبني سعد ، قيل : وحلاب لبني تغلب ،  
والصريح لبني نهشل ، وزعم غيره أنه كان لآل المنذر ، وجلوى لبني ثعلب  
ابن يربوع ، وذو العقال لبني رياح بن يربوع ، وهو أبو داحس ، وكان داحس

والغبراء لبني زهير ، وهى خالة داحس ، وأخته من أبيه ذى العقال ، [ و ] قرزل  
والخطار والحنفاء لحذيفة بن بدر ، وهى أخت داحس من أبيه وأمه ، [ و ] قرزل  
آخر للطفيل بن مالك ، [ و ] حذفة لخالد بن جعفر بن كلاب ، وحذفة أيضا لصخر  
بن عمرو [ بن ] الشريد ، [ و ] الشقراء زهير بن جذيمة العيسى ، والزعفران لبسطام  
ابن قيس ، والوديقة ونصاب وذو الحمار لمالك بن نويرة ، والشقراء أخرى لأسيد  
ابن حنافة السليطي ، والشيط لأنيف بن جبلة الضبي ، والوجيف لعامر بن الطفيل  
والسكلب والمزنوق والوردلة أيضا ، والخنثى فرس لعمر بن عمرو بن عدس ، [ و ] الهداج  
فرس الريب بن شريق السعدى ، وجزة فرس يزيد بن سنان المرى فارس غطفان ،  
والنعامة للحارث بن عباد ، وابن النعامة لعنقرة ، والنحام فرس السليك بن السلكمة  
السعدى ، والعصا فرس جذيمة بن مالك الأزدي ، والمراوة لعبد القيس بن  
أفصى ، واليحموم فرس النعمان بن المنذر ، وكامل فرس زبد الخليل ، والربذ فرس  
الحوفزان ، وأبو الزعفران فرس بسطام ، والمراودة<sup>(١)</sup> فرس السكلبة اليربوعي ،  
انتهى كلام أحمد بن سعد

وعن ابن دريد : القطيب فرس كان للعرب ، وكذلك البطين واللماب  
والعباءة فرس حرث بن ضمرة النخلى ، والمدعاس فرس النواس بن عامر  
المجاشعي ، وصهباء فرس النمر بن توباب ، وحافل فرس مشهور ذكره حرب بن  
ضرار فى قوله :

كملت عبادة السراة نعى بها — إلى نسب الخيل الصريح وحافل  
والعسجدى لبني أسد ، والشموس فرس زيد بن حذاف العبدى ، والضيف  
لبني تغلب ، وهراوة الغراب فرس الريان بن حويص العنبري ، يقال : إنها جاءت  
سابقة طول أربع عشرة سنة فتصدق بها على العزّاب يتكسبون عليها فى السباق  
والغارات ، والحرون فرس تنسب إليه الخيل ، وكان لمسلم بن عمرو بن أسيد الباهلي

(١) فى الأصول « والجمالة » وانظر ( أنساب الخيل ٤٧ ) .

والزليف فرس مشهور ، وهو من نسل الخرون ، ومناهب فرس تنسب إليه الخيل  
أيضا ، قال الشمر دل .

لأخيل ثلاثة سمينا مناهبا والضيف والخرونا

والعلمان : فرس أبي مليك عبد الله بن الحارث اليربوعي .

ومن أقدم الخيل زاد الراكب ، وهبه سليمان عليه السلام لقوم من الأزد  
كانوا أصهاره .

وكان إسماعيل عليه السلام أول من دَلَّلَ الخيل وركبها ، وكانت قبلُ من  
سائر الوحوش .

#### (٩٠) — باب من المعاني المحدثه

قال أبو الفتح عثمان بن جني : المولدون يستشهد بهم في المعاني كما يستشهد بالقدماء  
في الألقاظ ، والذي ذكره أبو الفتح صحيح بين ؛ لأن المعاني إنما اتسعت لاتساع  
الناس في الدنيا ، وانتشار العرب بالإسلام في أقطار الأرض ، ففصروا الأمصار ،  
وحضروا الحواضر ، وتأنقوا في المطاعم والملابس ، وعرفوا بالعِيَانِ عاقبة مآلاتهم  
عليه بذاهة العقول من فضل التشبيه وغيره ، وإنما خصصت التشبيه لأنه أصعب  
أنواع الشعر ، وأبعدها متعاطى ، وكل يصف الشيء بمقدار ما في نفسه من ضعف  
أو قوة ، وعجز أو قدرة ، وصفة الإنسان ما رأى يكون لاشك أصوب من  
صفته ما لم ير ، وتشبيهه ما عاين بما عاين أفضل من تشبيهه ما أبصر بما لم يبصر ،  
ومن هنا يحكى عن ابن الرومي أن لا تمسك لامة فقال : لم لا تشبه تشبيه ابن المعتز  
وأنت أشعر منه ؟ قال : أنشدني شيئا من قوله الذي استعجزتني في مثله ، فأنشده  
في صفة الهلال :

عن يصح  
الاستشهاد  
وسره

فانظر إليه كزورق من فضة قد أثقلت حمله من عنبر

فقال : زدني ، فأنشده :

كأن آذريونها والشمس فيه كاليه

مَدَاهِنَ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا بَقَايَا غَالِيَةٍ

فصاح : وَاغْوَيْنَاهُ ، يَا اللَّهُ ، لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا ، ذَلِكَ إِنَّمَا يَصِفُ مَا عُنُونُ بَيْتِهِ ؛ لِأَنَّهُ ابْنُ الْخُلَفَاءِ ، وَأَنَا أَيْ شَيْءٌ أَصْفُ ؟ وَلَكِنْ انظُرُوا إِذَا وَصَفْتَ مَا أَعْرَفَ أَيْنَ يَقَعُ النَّاسُ كُلُّهُمْ مِنِّي ؟ هَلْ قَالَ أَحَدٌ قَطُّ أَمْلَحُ مِنْ قَوْلِي فِي قَوْسِ الْغَمَامِ :

صفة قوس  
قوس لابن  
الرومي

وَقَدْ نَشَرَتْ أَيْدِي السَّحَابِ مَطَارِفًا

عَلَى الْأَرْضِ دُكْنَا وَهِيَ خُضِرَتْ عَلَى الْأَرْضِ  
يَطْرُزُهَا قَوْسُ الْغَمَامِ بِأَصْفَرٍ عَلَى أَحْمَرٍ فِي أَخْضَرٍ وَسَطٍ مُبْيَضٍّ  
كَأَذْيَالِ خَوْدٍ أَقْبَلْتُ فِي غَلَائِلِ مُصْبَغَةٍ وَالْبَعْضُ أَقْصَرُ مِنْ بَعْضِ

وصف الرقاقة  
وخبازها له

وقولي في قصيدة في صفة الرقاقة :

مَا أُنْسَ لَا أُنْسَ خَبَازًا مَرَرْتُ بِهِ يَدْخُو الرِّقَاقَةَ وَشَكَ اللَّحْمَ بِالْبَصْرِ  
مَا بَيْنَ رُؤْيَيْهَا فِي كَفَّةٍ كُرَّةً وَبَيْنَ رُؤْيَيْهَا زَهْرَاءُ كَالْقَمَرِ  
إِلَّا بِمَقْدَارِ مَا تَنَدَّاحُ دَائِرَةٌ فِي صَفْحَةِ الْمَاءِ يُرْمَى فِيهِ بِالْحَجَرِ

وهذا كلام إن صح عن ابن الرومي فلا أظن ذلك أمراً لزمه فيه الدرك ؛ لأن جميع ما أراه ابن المعتز أبوه وجده في ديارهم — كما ذكر أن ذلك علة للاجادة وعذر — فقد رآه ابن الرومي هنالك أيضاً ، اللهم إلا أن يريد أن ابن المعتز ملك قد شغل نفسه بالتشبيه فهو ينظر ماعون بيته وأثاثه فيشبه به ما أراد ، وأنا مشغول بالتصرف في الشعر طالباً به الرزق : أمدح هذا مرة ، وأهجو هذا كرة ، وأعاب هذا تارة ، وأستعطف هذا طوراً ، ولا يمكن أن يقع أيضاً عندي تحت هذا ، وفي شعره أيضاً من مליح التشبيه مادونه النهايات التي لا تبلغ ، وإن لم يكن التشبيه غالباً عليه كابن المعتز .

ولم أدلّ بهذا البسط كله على أن العرب خلت من المعاني جملة ، ولا أنها

أفدتها، لكن دلت على أنها قليلة في أشعارها ، تكاد تحصر لو حاول ذلك محاول ، وهي كثيرة في أشعار هؤلاء ، وإن كان الأولون قد نهجوا الطريق ، ونصبوا الأعلام للمتأخرين ،. وإن قال قائل : ما بالك معشر المتأخرين كلما تبادى بكم الزمان قلّت في أيديكم المعاني ، وضاق بكم المضطرب ؟ قلنا : أما المعاني فما قلّت غير أن العلوم والآلات ضعفت ، وليس يدفع أحد أن الزمان كل يوم في نقص ، وأن الدنيا على آخرها ، ولم يبق من العلم إلا رَمَقُهُ معلقاً بالقدرة ، ما يسكه إلا الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه .

تكثر المعاني كلما  
تقدم العصر

وإذا تأملت هذا تبين لك مافى أشعار الصدر الأول الإسلاميين من الزيادات على معاني القدماء والمخضرمين ، ثم مافى أشعار طبقة جرير والفرزدق ولهمحباهما من التوليدات والإبداعات العجيبة التي لا يقع مثلها للقدماء ، إلا في الندرة القليلة والقلّة المفردة ، ثم أتى بشار بن برد وأصحابه فزادوا معاني ما مرت قط بخاطر جاهلي ولا مخضرم ولا إسلامي ، والمعاني أبدأت تردد وتتولد ، والكلام يفتح بعضه بعضاً وكان ابن الرومي ضئيلاً بالمعاني ، حريصاً عليها ، يأخذ المعنى الواحد ويولده ، فلا يزال يقلبه ظهراً لبطن ، وبصرفه في كل وجه ، وإلى كل ناحية ، حتى يمتيه ويعلم أنه لا مطمع فيه لأحد ، ثم نجد من بعده [مَنْ] لا ينتهي في الشعر ، بل لا يشره ، قد أخذ المعنى بعينه فولّد فيه زيادة ، ووجه له وجهة حسنة ، لا يشك البصير بالصناعة أن ابن الرومي مع شرّه لم يتركها عن قُدرة ، ولكن الإنسان مبنى على النقصان .

منزلة ابن  
الرومي في  
توليد المعاني

وسأورد عليك من معاني المتقدمين ، وأظهرها بأمثالها من أقوال المولدين لأعدها ليتبين البرهان ، هذا ، على أنني ذممت إلى المحدثين أنفسهم في أماكن من هذا الكتاب ، وكشفت لهم عوارهم ، ونعيت لهم أشعارهم ، ليس هذا جهلاً بالحق ، ولا ميلاً إلى بنيات الطرق ، لكن غصاً من الجاهل المتعاطي ، والتحامل الجاني ، الذي إذا أعطى حقه تعاطى فوقه ، وأدعى على الناس الحسد ،

وقال : أنا ولا أحد ، وإلى كم أعيش لكم ؟ وأى علم بين جنبي لو وجدت له مستودعاً ؟ فإذا عورض في شعره بسؤال عن معنى فاسد أو مُتَّهم ، أو طوّل بجملة في لحنه أو شاذ ، أو نوّظ في كلمة من ألفاظ العرب مُصَحَّفة أو نادرة ، قال : هكذا أعرف ، وكأنما أعطى جوامع الكلم ، حاشَ الله ! وأستغفر الله ، بل هو العي الأَكبر ، والموت الأصغر ، وبأى إمام يرضى ، أو إلى أى كتاب يرجع ، وعنده أن الناس أجمعين بضعة منه ، بل فضلة عنه ، فهو كما قال حمادُ عَجَرْدٍ في يونس بن فروة :

أما ابنُ فروةَ يُونسُ فكأنه من كبره أيرُ الحمار القاسم  
ما الناس عندك غير نفسك وحدها والناس عندك ما خلاك بهائم

وأين من ذكر من بشار بن برد حين قيل له : بم قُتتَ أهل عرك وسبقتَ بشاريين  
سبب تفوقه أبناء عصرك : في حسن معاني الشعر ، وتهذيب ألفاظه ؟ قال : لأنني لم أقبل كل ما تورده على قريحتي ، ويناخيني به طبعي ، ويبعثه فكري ، ونظرت إلى مغارس الغطن ، ومعادن الحقائق ، ولطائف التشبيهات ، فسرت إليها بفكر جيد ، وغريزة قوية ، فأحكمت سبْرَهَا ، وانتقيت حُرَّهَا ، وكشفت عن حقائقها ، واحترزت عن متكلفها ، ولا والله ما ملك قِيَادِي الإعجاب بشيء مما آتني به .

وكم في بلدنا هذا من الخلفاء قد صاروا ثعابين ، ومن البغاث قد صاروا شواهين ، إن البغاث في أرضنا يستنسر ، ولولا أن يُعرَفوا بعد اليوم بتخليد ذكرهم في هذا الكتاب ، ويدخلوا في جُملة من يعد خطله ، ويحصى زلله ؛ لذكرت من لحن كل واحد منهم وتصحيحه وفساد معانيه وركاكة لفظه ما يدلك على مرتبته من هذه الصناعة التي ادَّعَوْهَا باطلا ، وانتسبوا إليها انتحالا ، وقد بلغني أن بعض من لا يتورع عن كذب ، ولا يستحي من فضيحة ، زعم أني أخذت عنه

مسائل من هذا الكتاب لو سئل عنها الآن ما علمها ، والامتحان يقطع الدعوى ،  
كما قال بعض الشعراء :

من نَحَلَّ بغير ما هو فيه فَضَحَ الإمتحانُ ما يدعيه

وكنت غنياً عن تهجين هذا الكتاب بالإشارة إلى مَنْ أشرت إليه أنفاً من  
ذكره ، وعُزُوفاً بهمتي عن الانحطاط إلى مُساواته ، ولكن رأيت السكوت عنه  
هجزاً وتقصيراً ، كما قال أبو تمام :

تَرَكَ اللّيثُ ولم يُمَزِّقْ عرضه نَقَصَ على الرجل الكريم وعَارُ

وكما قال أبو الطيب ، وقد استحق المعنى عليه :

إذا أنتِ الإساءة من وضعٍ ولم أَلْمِ المسىء فن أُلومُ ؟

ثم أعود إلى التشطير فأطرح عن المحدث المولد ما كان من جنس تشبيه النعامة  
للطرماع<sup>(١)</sup> ، وصفة الثور الوحشي له أيضاً ، وصفة مغارز ريش النعامة إذا أمرط  
للشماخ ، ومثل بيت العنكبوت فيما يمتد من لفاف الناقة تحت لحبيها في شعر الخطيئة ؛  
وتشبيه الذباب بالأجذم ، ولحي الغراب بالجلَم لعنفرة ، وأشباه هذا مما انفردت به  
الأعراب والبادية كعاداتها ، كأنفرادها بصفات النيران ، والفَلَوَات الموحشة ،  
وورود مياهاها الآجنة ، وتَعَشُّف طرقاتها المجهولة ، إلى غير ذلك مما لا يعرف عياناً ؛  
إذ كان المحدث غير مأخوذ به ، ولا محمول عليه ، ألا ترى إلى أبي نواس —  
وهو مُقَدِّم في المحدثين — لما وصف الأسد وليس من معارفه ، ولعله ما شاهده  
قط إلا مرة في العمر إن كان شاهده ؛ دخل عليه الوهم فجعل عينيه بارزة  
وشبههما بعيون الخنوق ، وقام عنده أن هذا أشنع وأشبه بشتامة وجه  
الأسد ، وذهب عنه من صفة أبي زبيد وغيره لغوور عينيه مما هو أعلم به  
من أخذ عليه ، وأكثر ظني — والله أعلم — أن أبا نواس إنما رَجَعَ بالصفة

(١) انظر التشبيهات العقم التي أوردها المؤلف في الباب الأربعين (ج ١ ص

٢٩٦ من هذا الكتاب) .



إلى الرجل المشبه بالأسد ، وجعل ازورار عينيه وبروز جفنيه من علامات النبط والحنق على أقرانه في الحرب .

وكذلك لما تعاطى الأعراى أبو نُخَيْلَةَ<sup>(١)</sup> ما لا يعرف قال :

\* ولم تَذُقْ من البُقُولِ الفُسْتُقَا \*

فجعله بقلاً<sup>(٢)</sup> على ما في نفسه من لعاع البقل .

على أن المحدثين قد شاركوا القدماء في كل ما ذكرته أيضاً ، إلا أن أولئك أولى به ، وأحق بالتقدمة فيه ، كما خالطوهم في صفات النجوم ومواقعها ، والسحب وما فيها من البروق والرعود ، والغيث وما ينبت عنه ، وبكاء الحمام ، وكثير مما لا يتسع له هذا الباب ، ولكنى أفرد له كتاباً قائماً بنفسه أذكر فيه ما انفرد به المحدثون ، وما شاركهم فيه المتقدمون ، وآتى ما هنا من هذين النوعين بما يسد خلة المفتقر إلى سماعه من المبتدئين .

ما جاء في  
طول الليل

قال النابغة يذكر طول ليله :

كلينى لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

تطاول حتى قلت ليس بمفقص وليس الذى يرى النجوم بأيب

وقال أبو الطيب في وزنه ورويه :

أعيدوا صباحي فهو عند الكواكب ورُدُّوا رقادى فهو لحظ الجباب

فإن نهارى ليلة مدلهمة على مقلة من قد كرم في غياهب

فأنت ترى ما فيه من الزيادة وحسن المقصد ، على أن يبقى النابغة عندهم في

غاية الجودة .

(١) في أكثر الأصول « أبو جبلة » وهو تصحيف ، وقبل هذا البيت قوله :

\* جارية لم تأكل المرققا \* (٢) ويجعله بعضهم « ولم تذق من النقول » جمع نقل ، بالنون .

( ١٦ - المدة ٢ )

ما جاء في  
حلق الشعر

وقال يزيد بن الطثرية حين حلق أخوه ثور جمته :  
فأصبح رأسي كالصخرة أشرفت عليها عقابٌ ثم طارت عقابها  
وهذا البيت من أفضل الأوصاف وأحسنها بياناً عند قدامة وغيره  
وقال بعض المتأخرين ، وأحسبه الزيادي ، في غلام حلق وفترته :  
حلقوا رأسه ليكسوه فبحاً غيرة منهم عليه وشحاً  
كان صبحاً عليه ليل بهم فمحووا ليله وأبقوه صبحاً  
وقال روبة بن المجاج :

أمت شواتي كالصفاة صفصفاً فصار رأسي جنبه إلى القفا  
فقال ابن الرومي وأحسن ما شاء :

يجذب من نقرته طرة إلى مدى يقصر عن نياله  
فوجه يأخذ من رأسه أخذ نهار الصيف من آليه

ولو تتبععت هذا لأطلت في غير موضع الإطالة .

فأما ما انفرد به المحدثون فمثل قول بشار :

يا قوم أذني لبعض الحى عاشقة والأذنُ تعشق قبل العين أحياناً  
قالوا: بمن لا ترى تهذى؟ فقلت لهم: الأذنُ كالعين تُوفي القلب ما كانا  
وكرره فقال :

قالت عقيل بن كعب إذ تعلقها قلبي وأمسى به من حبها أثرُ :  
أنى ولم ترها تهذى؟ فقلت لهم: إن الفؤاد يرى ما لا يرى البصر  
وقوله أيضاً :

وكيف تناسى من كان حديثه بأذنى - وإن غيبت - قرط معلق  
واختراعاته كثيرة ، واشتهاره بذلك يغنى عن الإنشاد له .  
وكقول أبي نواس ، وقد ذكر المبرد أنه لم يسبق إليه ، وهو :

مما انفرد  
به بشار

مما اشعرده  
أبو نياس

أيها الرأحانُ باللومُ لوماً لا أذوق للنسام إلا شميماً  
نالني بالسلام فيها إمام لا أرى لي خلافةً مستقيماً  
فاصرفاها إلى سواي فإني لست إلا على الحديث نديماً  
كبرُ حظي منها إذا هي دارت أن أراها أو أن أشم النسيماً  
فكأنني وما أزيّنُ منها قعدِي يُزَيّنُ التحكيماً  
كلَّ عن حمله السلاح إلى الحرِّ بفأوصي المطيق أن لا يقيماً

« القعدية » : فرقة من الخوارج ترى الخروج وتأمر به ، وتقعده عنه .

وقوله أيضاً :

بنينسا على كسرى سماء مدامة مكحلة حافاتها بنجـومـ  
فلورُد في كسرى بن ساسان روحه إذا لاصطفاني دون كل نديم  
وهذا المعنى أيضاً لم يتناوله أحد قبله .

وكذلك قوله :

قد قلتُ للعباسِ معذراً من ضعف شكرِيه ومعترفاً :  
أنت امرؤٌ جلّلتني نعماً أو هت قوى شكرى فقد ضمناً  
فإليك مني اليوم تقدمةً تلقاك بالتصريح منكشفاً  
لا نسدين إلى عارفةً حتى أقوم بشكر ما سلفاً

وقال أيضاً في صفة النساء الخمارات ؛ ويروى لابن المعتز :

وتحت زناويرٍ شدّدن عقودها زناويرُ أعكانٍ معاقدها السررُ  
فهذا تشبيه ما علمت أنه سبق إليه .

وقال أيضاً :

لست أدري أطلال كَيْلى أم لا كيف يدري بذاك من يتقلّى ؟  
لو تفرغت لاستطالة لَيْلى ولزغى النجوم كنت غخلا

ومعاني أبي نواس واختراعاته كثيرة .

ما انفرد به أبو تمام والقاسم بن مهرويه<sup>(١)</sup> قد زعم أن جميع ما لأبي تمام من المعاني ثلثه : أحدها قوله :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طُوِيَتْ أتاح لها لسان حُسوِدٍ  
لولا اشتعال النار فيما جاوَرَتْ ما كان يعرف طيب عَرَفِ العودِ  
والثاني قوله :

بنى مالك، قد نهبت خايل الثرى قُبُورٌ لكم مستشرفات العالم  
غوامض قيد الكف من متناول وفيها عُلَّا لا يرتقى بالسلام  
والثالث قوله :

يأبى على التصريد إلا نائلاً إن لم يكن محضاً قرأحاً يمدق  
نُزراً كما استكرهت عائر نفعة من فارة المسك التي لم تفتق  
وأنا أقول : إن أكثر الشعراء اختراعاً ابن الرومي ، وسيأتي برهان ذلك  
في الكتاب الذي شرطت تأليفه إن شاء الله سبحانه . . ولا بد هاهنا من نبذ  
بسيرة أشغل بها الموضوع : منها قوله :

عيني لعينك حين تنظر مَقْتَلُ لكن لحظك منهم حَتَفٍ مرسلُ  
ومن العجائب أن معنى واحداً هُوَ منك سَهْمٌ وهُوَ مني مقتل  
وقوله في عتاب :

توددتُ حتى لم أدع مُتَوَدِّداً وأفنيتُ أقلامي عتاباً مُرَدِّداً  
كأنني أستدعي بك ابن حنية إذا النزع أدناه من الصدر أبعداً  
وقوله في أبيات يتفضل فيها ، وإن كان قد كرر المعنى :

نظرت فأقصدت الفؤاد بلحظها ثم انشئت عنه فظل يهيم  
فالموت إن نظرت وإن هي أعرضت وقع السهام وتزعُهنَّ أليم

(١) انظر الموازنة للآمدي (ص ١١٤ بتحقيقنا) وفي الأبيات بعض اختلاف لا يغير المعنى .

وقوله ولم أسمع أحسن منه في معناه :

وما يعـتريها آفة بشرية من النوم إلا أنها تتبختر  
وغير عجب طيب أنفاس روضة منورة باثـ ترأح وتمطر  
كذلك أنفاس الرياض بسحرة تطيب ، وأنفاس الورى تنغير

(٩١) - باب في أغاليط الشعراء والرواة<sup>(١)</sup>

ولابد أن يؤتى على الشاعر المفلق ، والعالم المتقن ؛ لما بنى عليه الإنسان من  
النقص والتقصير ، وخير ما في ذلك أن يرجع المرء إلى الحق إذا سمعه ، ولا يتأدى  
على الباطل لجاجة وأنفة من الخطأ ؛ فإن تماديه زيادة في الخطأ الذى  
أنف منه .

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن جعفر النحوى ، عن أبي على الأمدى ، عن على  
ابن سليمان الأخفش ، عن محمد بن يزيد المبرد ، قال : تلاحى مسلم بن الوليد  
وأبو نواس ، فقال [ مسلم ] : ما أعلم بيتاً لك يخلو عن سقط ، فقال أبو نواس :  
أذكر شيئاً من ذلك ، فقال : بل أنشد أنت أى بيت شئت ، فأنشد  
أبو نواس :

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا وأمله ديك الصباح صياحا  
فقال مسلم : قف عند هذا ، لم أمله ديك الصباح ، وهو يبشره بالصبوح ،  
وهو الذى يرتاح إليه ؟ فقال أبو نواس : فأنشدنى أنت ، فأنشده :

عاصى الشباب فراح غير مفند وأقام بين عزيمة وتجدد  
فقال أبو نواس : ناقضت ، ذكرت أنه راح ، والرواح لا يكون إلا بالانتقال  
من مكان إلى مكان ، ثم قلت « وأقام » فجعلته منتقلاً مقبلاً في حال ، هذا متناقض .

(١) ألف المـرزبانى كتابه « الموشح » فى مأخذ العلماء على الشعراء ، وألف  
العسكرى كتاب التصحيف والتحريف ، فيما ورد فى عبارات الرواة ورواياتهم  
من التحريف .

قال أبو العباس : وكلا البيتين صحيح ، ولكن من طلب عيباً وجده ومن طلب له مخرجا لم يفته .

قال الأصمعي : وأخطأ زهير في قوله « كأحمر عاد<sup>(١)</sup> » ولا أدري لم خطأه مأخذ للأصمعي  
على زهير ورده  
وقد سمع قول الله عز وجل \* ( وأنه أهلك عاداً الأولى ) \* فهل قال هذا إلا ونم عاد أخرى ؟ وهي هلكت بالنمل من ولد قحطان . قال قيس بن سعد ابن عبادة :

\* سراويل عادِيٍّ نَمَتْهُ ثُمُود \*

وكان يقال لثمود « عاد الصغرى » .

وخطأ الشماخ [ في قوله ] في وصف ناقته :

\* رَحَى حَنْزُومِهَا كَرَحَى الطَّحِينِ<sup>(٢)</sup> \*

مأخذ له  
على الشماخ

ظنه يصفها بالكبر ، وهو عيب لا محالة ، وإنما وصفها بالصلابة لا غير .  
وأخذ ابن بشر الأمدى على البحتري قوله :

مأخذ للأمدى  
على البحتري

(١) هذه قطعة من بيت لزهير يقع في معلقته ، وهو بتمامه :

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ، ثم ترضع فننظفهم  
وعصل اعتراض الأصمعي أن قوله « كأحمر عاد » فيه نسبة قدار عاقر ناقة ثمود إلى عاد ، وهو مالا يصادقه عليه العارفون بالأنساب والتاريخ ، وقد أجيب عن هذا الاعتراض بما ذكره المؤلف من أن عاداً يسمى به جماعاتان ، وأنه يقال لثمود « عاد الأخرى » بدليل الآية ، وأنصار الأصمعي لا يقولون هذا الجواب ويزعمون أن « الأولى » في قوله تعالى ( عاداً الأولى ) معناه السابقة التي كانت قبل ثمود ، وليس يدل على أن هناك عادين . وعصل هذا أن الوصف آتى به للايضاح لا للاحتراز .

(٢) صدره \* فنعم المرتجى ركدت إليه \* والمرتجى : الذي يرجى لنواب  
الدهر . وركدت إليه : بركت عنده . ورحى حيزومها : كركرتها ، شبهها  
بالرحى في الصلابة ، لافي العظم ؛ لأنه مما يعاب في الإبل ، وسيذكر لك المؤلف ذلك

هَجَرَ تَنَا يَقْطَى وَكَادَتْ عَلَى مَذَى هَبَهَا فِي الصُّدُودِ تَهْتَجِرُ وَشَنَى  
قال : هذا غلط<sup>(١)</sup> ؛ لأن خيالها يتمثل له في كل أحوالها ، يقظى كانت  
أَوْ وَشَنَى أَوْ مَيْتَةً ، والجيد قوله :

أَرَدْتُ دُونَكَ يَقْطَانَا وَيَأْذُنُ لِي عَمَلِيكَ سُكْرِ الْكُرَى إِنْ جِئْتُ وَسَنَانَا  
وأنا أقول : إن مراده أنها لشدة هجرها له ونحوها<sup>(٢)</sup> عليه لاتراه في المنام إلا  
مبهجوراً ، ولاتراه جملة ، فالمعنى حينئذ صحيح لافساد فيه ، ولا غلط ، ولعل  
الرواية « وكادت<sup>(٣)</sup> » وهذا موجود في كلام الناس اليوم ، ومثله يقولون « فلان  
لا يرى لي مناماً صالحاً » وليس بين يتي البحتري تناسب من جهة المعنى جملة  
واحدة ؛ لأنه أولاً يحكى عنها ، وثانياً يحكى عن نفسه ، بلى إن في اللفظ  
اشتراكاً ظاهراً .

وفي كتاب عبد الكريم من المأخوذ على أبي تمام قوله :  
مها الوحش إلا أن هاتاً أو انسٌ قَنَا انْخَطَّ إِلَّا أَنْ تَلَّكَ ذَوَابِلُ  
قال : فيه غلط من أجل أنه نفى عن النساء لين القنا ، وإنما قيل للرماح  
« ذوابل » للينها وتثنيتها ، فنفى ذلك أبو تمام عن قدود النساء التي من أكل  
أوصافها اللين والتثني والانعطاف .

قلت أنا : أما أبو تمام فقله الصواب ؛ لأنهم يقولون « رمح ذابل » إذا  
كان شديد الكعوب صلباً ، وهو الذي تعرف العرب ، ومنه قولهم « ذبلت  
شفتاه » إذا يبستا من الكرب أو العطش أو نحوها ، فأما كلام المعترض فغير  
معروف إلا عند المولدين ؛ فإنهم يقولون « نوارهٌ ذابلة » وليسوا بقدوة ؛ على  
أن كلامهم راجع إلى ماقلناه ، إنما ذلك لقلة المائية وابتداء اليبس ، وإنما  
نقل عبد الكريم كلام ابن بشر الآمدى<sup>(٤)</sup> .

(١) انظر كتاب الموازنة للآمدى ( ص ٣١٤ من الطبعة الثانية بتحقيقنا ) .

(٢) كذا ، ولعله « وحنوها عليه » (٣) هي كذلك في جميع نسخ ديوانه

(٤) انظر الموازنة ١٣٠ .

قال الأصمعي<sup>(١)</sup> : قرأتُ على أبي محرز خلف بن حيان الأحرش شِعْرَ جرير ،  
فلما بلغت إلى قوله :

مأخذ على  
جرير  
ورده

وليل كاهبهم الحبارى محبب إلى هواه غالب لي باطلته  
رزقنا به الصيد الغرير ولم نكن كن نبله محرومةً وحبائله  
فيالك يوماً خيرُهُ قبل شره تنيبَ واشيه وأقصر عاذله

قال خلف : ويحه ، ما ينفعه خير يؤول إلى شر ؟ فقلت : هكذا قرأته على  
أبي عمرو بن العلاء ، قال : صدقت ، وكذا قال جرير ، وكان قليل التنقيح  
لأنفاظه ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع ، قلت : فكيف يجب أن يكون  
قال : الأجود أن يكون « خيرهُ دون شره » فاروه كذلك ، وقد كانت الرواة  
قديماً تصلح أشعار الأوائل ، فقلت : والله لا أرويه إلا كذا .

قلت أنا : أما هذا الإصلاح فمليح الظاهر ، غير أنه خلاف الظاهر ، وذلك  
أن الشاعر أراد أنه كان ليلة في وصال ، ثم فارق حبيبته نهراً ، وذلك هو الشر  
الذي ذكر ، والرواية جعله لم يفارق فغير عليه المعنى ، إلا أن تكون الرواية  
\* ويوم كاهبهم الحبارى \* فحينئذ .. على أن « دون » تحتل ما قصد ، وتحتل  
معنى قبل ؛ فهي لفظة مشتركة ، وتكون أيضاً بمعنى بعد ؛ لأنها من الأضداد ،  
ولكن في غير هذا الموضع .

وخطأ الأصمعي بشامة بن الغدير في قوله يصف راحلته :  
ومدّر لها مهيع كالجليف تخال بأن عليه شليلا  
لأن من صفة النجائب قلة الورر .

مأخذ على بشامة  
ابن الغدير

وخطأ أيضاً كعب بن زهير في قوله يصف راحلته :  
\* فَعَمَّ مَقِيدُهَا ضَخْمٌ مُقْلِدُهَا \*

مأخذ على كعب  
ابن زهير

لأن النجائب دقيقات المذايح .

(١) انظر الموشح لامر زباني ١٢٥ .



ونبه أبو الفضل بنُ العميد على البحترى في بيت كسره ، وهو قوله :  
ولماذا تَتَّبَعُ النفسُ شيئاً جعلَ اللهُ الفردوسَ منه جزاء  
قال ننشده :

\* جعل الله الخلدَ منه جزاء \*

ليستقيم ، حكى ذلك صاحب بن عباد . . وأنشد له أيضاً :  
أبا غالب بالجوّد تذكر واجبي إذا ما غنى الباخلين نسيه  
وزعم أنه لحن ، ولست أرى به بأساً ، هذا الشاعر أسكن الياء لما يقتضيه  
بناء القافية ، فإذا أسكن الياء وما قبلها مكسور لم تكن الهاء إلا مكسورة إتباعاً لما  
قبلها ، لا سيما وهي طرفٌ ، وقد فعلوا مثل هذا في وسط الكلمة . . وقال  
رؤبة :

\* كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِيقُ \*

ولم يقل أَيْدِيَهُنَّ بالضم استئقلاً ، وأيضاً فكأنه - أعني البحترى - نوى  
الوقوف ، ثم جر القافية كعادتهم في تحريك الساكن أبداً إلى الجر  
وأنشد صاحب بن عباد قال : أنشدني علي بن المنجم ، قال : أنشدني أبو  
الغوث لأبيه :

وأحقُّ الأيام بالأنس أن يؤثرفيه يوم المهرجان الكبير  
وأنا أقول : إن أبا الغوث جاء من قبله الخذلان في هذه الرواية ، فويل  
للآباء من أبناء السوء ، ودع المثل القديم ، ولا أظن البحترى قال إلا :  
وأحقُّ الأيام بالأنس أن تؤثرفيه يوم المهرجان الكبير  
وأخذ الأحرار على المفضل روايته في قول امرئ القيس :  
\* تَمَسُّ بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ أَكْفَنًا \*

مأخذ على  
البحترى

مأخذ على  
المفضل في  
رواياته

وما هو إلا « نَش » أى : نَمَسَح ، والمشوش المنديل .  
وكذلك قول المفضل :

وإذا ألم خيالها طرقت عيني فاء شُجُونها <sup>(١)</sup> سَجَمُ  
وإنما هو « طرقت » بالفاء .  
وأخذ عليه الأصمى فى قول أوس :

\* تصمت للماء تَوَلَّبا جَدَعَا \* <sup>(٢)</sup>

وإنما هو « جدعا » بدال مكسورة غير معجمة ، ولأمر ما قال ذو الرمة  
لموسى بن عمرو : اكتب شعرى ، فالكاتب أعجب إلى من الحفظ ؛ لأن الأعرابى  
ينسى الكلمة قد تعب فى طلبها ليلة ، فيضع فى موضعها كلمة فى وزنها ، ثم ينشدها  
الناس ، والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاما بكلام .

قال الأخطل : أخطأ الفرزدق حيث قال :

أبني غُدَانَة إِنني حَرَزْتُكُمْ موهبتكم لِعَطِيَّةِ بن جَعَال  
لولا عَطِيَّةُ لاجتدعت أنوفكم من بين الأيم أَوْجُهُ وسبال

كيف يكون وهب له وهو يهجوم هذا الهجاء ؟ فانبرى له فتى من بنى تميم  
فقال : وأنت الذى قلت فى سويد بن منجوف <sup>(٣)</sup> :

فما جِدْعُ سوء خرق السوس بَطْنَه لما حملته وائل بمطيق  
أردت هجاءه فرعمت أن وائلا تعصب به الحاجات ، وقَدَّرُ سويد لا يبلغ  
ذلك عندهم ، فأعطيته الكثير ، ومنعته القليل ، وأردت أن تهجو حاتم بن النعمان  
الباهلى ، وأن تصغر شأنه ، وتضع من قدره ؛ فقلت :

وَسَوَدَ حَاتِمًا أَن لَيْسَ فِيهَا إِذَا مَا أَوْقَدَ النَّيِّرَانِ نَارُ

(١) أحسبه \* ... فاء شؤونها . . . \*

(٢) صدره \* ودات هدم عار نواشرها \* وقد عاب قوم طى أوس هذا

البيت ؛ لأنه سمي الصبي « تولبا » وإنما هو ولد الحمار .

(٣) انظر الموشح للمرزبانى ١٣٣ وما بعدها .

ما أخذ على  
الفرزدق ، وعلى  
الأخطل

فأعطيته السؤدد من قيس الجزيرة ، ومنعته مالا يضر منعه ؛ وأردت أن  
تمدح سمانكا الأسدى فقلت : .

نعم المجيرُ سمالكٌ من بني أسد      بالطف إذ قتلت جيرانها مضرُ  
قد كنت أحسبه قينا وأنبؤه      فالآن طسير عن أثوابه الشرر<sup>(١)</sup>  
فانصرف الأخطل خجلا .

قال الحسن لعل بن زيد : رأيت قول الشاعر :

لولا جريرٌ هلكت بجيلة      نعم الفتى وبئست القبيلة  
مدحه أم هجاء ؟ قال : مدحه وهجا قومه ، فقال الحسن : ما مدح من  
هجي قومه .

معذرة عن  
النابعة

وقال من اعتذر للنابعة في قوله :

فإنك كالليل الذي هو مدركي      وإن خلت أن المنتأى عنك واسع  
إنما قدم الليل في كلامه لأنه أهول ، ولأنه أول ، ولأن أكثر أعمالهم  
إنما كانت فيه ؛ لشدة حر بلادهم ، فصار ذلك عندهم متعارفاً .  
وكذلك اعترفوا لزهير [ في قوله ] يصف الضفادع<sup>(٢)</sup> :

معذرة عن  
زهير

يخرجن من شربات ماؤها طجل      على الجذوع يحفن القمر والفرقا  
فقال : لم يرد أنها تخاف الفرق على الحقيقة ، ولكنها عادة من هرب  
من الحيوان من الماء ، فكأنه مبالغة في التشبيه ، كما قال الله عز وجل :  
( وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال ) وقال : ( وبلغت القلوب الحناجر )  
والقول فيهما محمول على « كاد » هكذا ذكر الخداق من المفسرين ، مع أنا  
نجد الأماكن البعيدة القمر من البحار لا تقربها دابة ، خوفاً على نفسها من  
الملكة ، فكأنه أراد المبالغة في كثرة ماء هذه الشربات ، وإنما اقتدى فيه  
بقول أوس بن حجر :

فباكرن جونا للعلاجيم فوقه      مجالس غرق لا يحلأ ناهله

(١) في الأصول « فأنبؤه » (٢) انظر الموازنة ص ٣٥ .

مأخذ على  
أبي نواس

وعند القاضي الجرجاني من غلط أبي نواس في الوزن قوله :  
رأيتُ كلَّ من كان أحقاً معتوهاً في ذا الزمان صار المقدم الوجيها  
يارب نذل وضعيع نوهته تنوھيها هجوته لکيما أزيده تشويها  
ولم يقل أبو نواس - فيما علمت - إلا « رب وضعيع نذل » وهذا أفرط  
في التعصب والحمية على أبي نواس وغيره لمن لا يُجْزَى في حَلْبَتهم ولا يُشَقَّ  
غبارهم .

### (٩٣) - باب ذكر منازل القمر

سر ذكر المؤلف  
لهذا الباب

ولما رأيت العرب - وهم أعلم الناس بهذه المنازل وأنوائها ؛ لأنها سقف  
بيوتهم ، وسبب معاشهم وانتجاعهم - غلطوا فيها فقال أحدهم : من الأنجم  
العزل والراحمة .. وقال اسرؤ القيس .

\* إذا ما الترياً في السماء تعرّضت \* (١)

فأتى بتعرض الجوزاء ، ورأيت كل من عني بالنجوم من المحدثين واستوفى  
جميع المنازل مخطئاً ، لا شك في خلافه ؛ لأنه إنما يصف نجوم ليلة سهرها ،  
والنجوم كلها لا تظهر في ليلة واحدة ، ولذلك قلت أنا احتياطاً في الليل من نسيب  
قصيدة مدحت بها السيد أبا الحسن أدام الله عزه :

قد طالَ حتى خلتهُ من كل ناحيةٍ وسَطُ  
وتكررت فيه المنازلُ مِنْهُ لا مِنِّي الغلطُ

وجب أن أذكر هذه المنازل وأنوائها ، واختلاف الناس فيها ، وعولت  
في ذلك على ما ذكره أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ، مجتهداً فيما  
استطعت من البيان والاختصار ، إن شاء الله تعالى .

(١) عجزه \* تعرض أثناء الوشاح الفصل \* وهو بيت من معلقته .

أجزاء السنة  
وما يتبعها

السنة أربعة أجزاء ، لكل جزء منها سبعة أنواء ، لكل نوء ثلاثة عشر يوماً ، إلا نوء الجبهة فإنه أربعة عشر يوماً ، زيد فيه يوم لتكمل السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً ، وهو المقدار الذي تقطع الشمس فيه بروج الفلك الاثنى عشر ، لكل برج منزلتان وثلاث منزلة ، وكلما نزلت الشمس منزلة من هذه المنازل سترته ؛ لأنها تستر ثلاثين درجة : خمسة عشر من خلفها ، ومثلها من أمامها ، فإذا انتقلت عنها ظهرت ، هكذا قال الزجاجي .

النوء

وإذا اتفق أن تطلع منزلة من هذه المنازل بالغداة ويغرب رقبه فذلك النوء لا يتفق لكل منزلة إلا مرة واحدة في السنة ، وهو مأخوذ من « ناء ينوء » إذا نهَضَ متثاقلاً ، والعرب تجعل النوء للغارب ؛ لأنه ينهض للغروب متثاقلاً ، وعلى ذلك أكثر أشعارها ، وتفسير بعض العلماء في قوله تعالى : ( ما إنَّ مفاعهُ لتنوء بالعصبة أوى القوة ) أى : تميل بهم إلى الأرض ، وهذا التفسير أوجه من قول من جعل الكلمة من المقلوب ، قال : وبعضهم يجعله للطالع ، وهذا هو مذهب المنجمين ؛ لأن الطالع له التأثير والقوة ، والغارب ساقط لا قوة له ولا تأثير . قال المبرد : النوء على الحقيقة للطالع من الكواكب ، لا الغارب ، وهذه المنازل كلها يطلع بها الفلك من المشرق ، ويغرب في المغرب ، كل يوم وليلة ، وتلك دورة من دوراته .

الربيع الأول  
من السنة  
الربيع

العواء

الربيع الأول من السنة ، وابتدأؤه من سبعة عشر يوماً من آذار ، وبعضهم يجعله في عشرين يوماً منه ، فيستوى حينئذ الليل والنهار منه ، ويطلع مع الغداة فرع الدلو الأسفل ، وهو المؤخر ، ويسقط العواء ، وإليها ينسب النوء ، وهى تمد وتقصر ، وصفتها خمسة كواكب كأنها ألفت معطوفة الذنب إلى اليسار ، وبذلك سميت ، وتقول العرب : عويت الشئ ، إذا عطفته ، وقال آخرون : بل هى كأنها خمسة أكلب تعوى خلف الأسد ، قال ابن دريد : هى دبر الأسد ، والعواء فى كلامهم الدبر .

نوء السماك

النوء الثاني : السَّمَاك ، وهما سما كان : أحدهما السَّمَاك الأعزل ، نجم وفاد ، شبهوه بالأعزل من الرجال ، وهو الذى لا سلاح معه ، وهو منزل القمر ، والآخر : كوكب تقدمه آخر ، شبهوه بالرمح ، وهما ساقا الأسد ، وسمى سما كا لعلوه ، ولا يقال أخيره إذا علا سماك ، هكذا قال سيبويه مما حكى الزجاجى عن أبى إسحاق الزجاج ، غير أنه قال فى الأعزل : وقيل إنما سُمى أعزل لأن القمر لا ينزل به . وأنا أقول : القول الآخر خلاف ما عليه جميع الناس ، ورؤية العين تدركه على غير ما يزعم الزاعم .

الغفر

النوء الثالث : الغفر ، وهو ثلاثة كواكب غير زُهرٍ ، وبذلك سميت ، من قولك : غَفَرْتُ الشَّيْءَ ، إذا غَطَّيْتَهُ ، ومنه سميت الغفارة التى تلبس ، وقيل : إنما سُمى غفراً من الغفرة ، وهى الشعر الذى فى طَرْفِ ذَنَبِ الأسد ، وقال أبو عبيدة : الغفر كل شعر صغير دون الكثير ، وكذلك هو فى الریش ، وقال قوم : هو من النكس فى المرض ، يقال : أغفر المريض ، إذا نكس ، كأن النكس غطاء العافية .

الزبانان

النوء الرابع : الزبانان ، كوكبان مفترقان ، وهما قَرْنَا العقرب ، وقيل : يداها ، وسميا زبانيْن لبعْد كل واحد منهما عن صاحبه ، من قولهم : زَبَنْتُ كَذَا ، إذا دفعته لتبعده عن نفسك ، ومنه اشتقاق الزَّبَانِيَّة ؛ لأنهم يدفعون أهل النار إليها .

الإكليل

النوء الخامس : الإكليل ، ثلاثة كواكب على رأس العقرب ، وبذلك سميت إكليلًا .

القلب

النوء السادس : القلب ، كوكب أحمر وفاد : جعلوه للعقرب قلبًا ، على معنى التشبيه .

الشولة

النوء السابع : الشولة ، كوكبان أحدهما أخفى من الآخر ، وهما ذَنَبَا العقرب ،

وذنب العقرب شائل أبداً ، فشيء به ، هذا قول بعضهم ، وبعضهم يجعل الشولة الإبرة التي في ذنب العقرب ، وهم أهل الحجاز ، وهو أصح على مذهب من زعم أنهما كوكبان فقط .

الربيع الثاني : الصيف ، أول أنوائه « النعائم » وهي ثمانية كواكب نيرة :  
من السنة الصيف أربعة منها في الهجرة تسمى الواردة ، وأربعة خارجة منها تسمى الصادرة ، وشبهت بالخشب التي تكون على البئر يعلق بها البكرة والدلاء .

الثاني من الصيف « البلدة » وهي فرجة لطيفة لا شيء فيها ، لكن بجوارها كواكب تسمى القلادة ، وإنما قيل لتلك الفرجة البلدة تشبيهاً بالفرجة التي بين الحاجبين ، إذا لم يكونا مقرونين ، يقال منه : رجل أبْلَدُ ، ويقال : بل شبهت بالبلدة ، وهي باطن الراحة كلها ، وقيل : باطن ما بين السبابة والإبهام .

الثالث منه « سعد الذابح » وهما نجمان صغيران : أحدهما مرتفع في الشمال معه كوكب آخر يقال هو شاته التي تذبح ، والآخر هابط في الجنوب .

الرابع منه « سعد بُلْع » وهما كوكبان صغيران مستويان في الهجرة ، شبها بضم مفتوح ، يريد أن يبتلع شيئاً ، وقيل : إنما قيل بلع كأنه بلع شاته ، وبلْع غير مصروف ؛ لأنه معدول من بالع ، مثل زُفِرَ وقُتِمَ ، وسعدٌ مضاف إليه .

الخامس منه « سعد السعود » وهما كوكبان : أحدهما أنور من الآخر ، سمي بذلك لأن وقت طلوعه ابتداء كمال الزرع وما يعيش به الحيوان من النبات .

السادس منه « سعد الأخبية » وهما كوكبان عن شمال الخباء ، والأخبية أربعة كواكب : واحد منها في وسطها يسمى الخباء ؛ لأنها على صورة الخباء ، وزعم ابن قتيبة أنه سمي بذلك لطلوعه وقت انتشار الحيات والهوام ، وخروج ما كان مختبئاً .

السابع : فرع الدلو الأعلى ، وهو المقدم ، وبعضهم يسميه العروة العليا تشبيهاً بفرع الدلو الأعلى

برقوة الدلو ، وهما كوكبان مفترقان نيران ، وقيل له « دلو » لأنه تأنى فيه الأمطار العظيمة ، ويقال : بل سميا بذلك لأنهما مثل صليب الدلو الذى يفرغ منه الماء .

ربع السنة  
الثالث الحريف  
الربع الثالث : الحريف ، أول أنوائه « فرع الدلو الأسفل » وصورته كوكبان مضئان بينهما بعد صالح يتبعان العرقة العليا .

الحوت  
ثم الحوت ، وهو كوكب أزهر نير في وسط السمكة .

الشرطان  
ثم الشرطان ، وهما كوكبان مفترقان مع الشمال ، منهما كوكب دونه في القدر ، وسميا شرطين لأن سقوطهما علامة ابتداء المطر واتصاله ، وكل من جعل لنفسه علامة فقد شرطها ، ومنه سمي الشرط ؛ لأن لهم علامة عرفوا بها .

البطين  
ثم البطين : وهو ثلاثة كواكب طمس خفيا ، وهو بطن الحبل ، إلا أنه قد صغر .

الثريا  
ثم الثريا ، وهو النجم ، وصورتها ستة كواكب متقاربة حتى كادت تتلاصق ، وأكثر الناس يجعلها سبعة ، وقد جاء الشعر بالقولين جميعا ، سميت بهذا لأن مظهرها عنه تكون الثروة وكثرة العدد والغنى ، وهى تصغير ثروى ، ولم يتعلق بها إلا مصفرة .

الدبران  
ثم الدبران ، كوكب وقاد على أثر نجوم تسمى القلاص ، وقيل له « دبران » لأنه دبر الثريا ، أى : جاء خلفها ، ويقال له أيضا « الراعى » و « التالى » و « التابع » و « الحادى » على النشيه .

الهقمة  
ثم الهقمة ، سميت بهذا تشبيها بالدائرة التى تكون عند عقب الفارس فى جنب الفرس ، وصورتها ثلاثة أنجم صغار متقاربة كآثار رؤس أصابع ثلاث فى ترى إذا جمعت الوسطى والسبابة والإبهام ، وهى رأس الجوزاء .



الرابع: الشتاء ، وهو آخر أرباع السنة ، وأول أنوائه « الهنعة » سميت بذلك الربيع الرابع  
لأنها كوكبان مقتربان كل واحد منهما منعطف على صاحبه ، من قولك : الشتاء  
هنعه ، إذا عطف بعضه على بعض ، واقتربا في الحجرة بين الجوزاء  
والذراع المقبوضة .

ثم الذراعان ، وهى ذراع الأسد المبسوطة والمقبوضة : كوكبان يتران بينهما  
كواكب صغار تسمى الأظفار .

ثم النثرة ، وهى لطخة لطيفة بين كوكبين ، وهى عندهم ما بين فم الأسد  
وأفقه ، ومن الإنسان فرجة ما بين الشاربين حيال وترّة الأنف ، وقيل : إنما سميت  
نثرة لأنها كقطعة سحاب نثرت .

ثم الطرف ، عينا الأسد ، وهما كوكبان صغيران بينهما نحو قامة فى ( الطرف )  
عينا الأسد مرأى العين .

ثم الجبهة ، أربعة كواكب معوجة ، فى اليماني منها بريق ، وهى جبهة  
الأسد عندهم .

ثم الزبرة ، نجمان يرى أحدهما أكبر من الآخر ، ويقال لهما « الخرتان »  
كأنهما نفذّا إلى جوف الأسد ، والعيان يبطل ذلك ، كما قال الزجاجى .

ثم الصرفة ، كوكب وقاد عنده كواكب طمس ، سمى بذلك لانصراف  
البرد لسقوطه .

فهذه عدة المنازل وصفاتها ، وإنما أضيفت إلى القمر دون الشمس ، وحظهما  
فيه واحد ؛ لظهورها معه ، وتسمى نجوم الأخذ ، كأن الأرض تأخذ عنها بركات  
المطر ، وقيل : لأخذ الشمس والقمر سمتهما فى سيرها .

(٩٣) — باب في معرفة الأماكن والبلدان

حد الحجاز قال أبو عبيدة : الحِجَاز هو ما بين الجُحْفَة وجبل طيء ، وإنما سمي حجازاً لأنه حَبَزَ ما بين نجد والغور ، وحكى ابن قتيبة عن الرياشي عن الأصمعي : إذا خلفت حِجْراً مُصْعِداً فقد أُنْجِدت ، فلا تَزَال مُنْجِداً حتى تنحدر من ثنايا ذات عِرْقٍ ، فإذا فعلت فقد أَتَهَمْتَ إلى البحر ، فإذا عرضت لك الحِرَارُ وأنت مُنْجِد فتلك الحجاز ، وإذا تَصَوَّبْتَ من ثنايا العَرَج واستقبلت المَرْنَخ والأراك فقد أَتَهَمْتَ ، وسمي حجازاً لأنه حَجَزَ ما بين نجد وتهامة ، فأما محمد بن عبد الله الأسدي فقال : حد الحجاز الأول بطن نَحْلَة وظهر جدة ، والحد الثاني مما يلي الشام شَغْبِي <sup>(١)</sup> وبَدَا ، والحد الثالث مما يلي تهامة بدر والسقيا ورهاط وعكاظ ، والحد الرابع ساية [ و ] ودان ، ثم تنحدر إلى الحد الأول بطن نخل .

الجزيرة وأما الجزيرة فإنها ما بين دِجْلَة والفُرَات والموصل ، والسوادان : سواد البصرة والأهواز ودست ميسان وفارس ، وسواد الكوفة كسكر إلى الزاب وحلوان إلى القادسية.

جزيرة العرب وجزيرة العرب قال أبو عبيدة : هي في الطول ما بين حَفِيرِ أَبِي مُوسَى إلى أَقْصَى الْيَمِين ، وفي العرض ما بين يَثْرِينَ إلى السماوة .

وقال الأصمعي : هي ما بين بَجْرَان والعُدَيْب ، حكاه ابن قتيبة عن الرياشي ،

(١) في الأصول « شعب » بالعين المهملة ، وصوابه ما أثبتناه ، وفيه وفي « بدا » يقول كثير :

وأنت التي حبيت شغبي إلى بدا ، وأوطاني بلاد سواها

قال : وحكى عنه أبو عبيدة أنها في الطول من أقصى عدن إلى ريف العراق، وفي العرض من جدة وما والاها من طراز البحر إلى طراز الشام .

العراق

وقيل : سمى العراق تشبيهاً بعراق الزيادة ، وهو موضع الخرز المستطيل في أسفلها ، وقال بعضهم : هو جمع عِرْق ؛ لاشتباك عروق النخل والشجر في تلك الأرض ، وقيل : إن اسمه كان بالفارسية « إيران شهر » أى : أسفل الأرض، فمررت .

الشام واليمن

وأما الشام واليمن فمن اليد اليمنى واليد الشؤمى ، وهى الشمال ؛ لأن الذى يستقبل الشمس تكون اليمن عن يمينه والشام عن شماله ، ويقال « شام » بالهمز والتخفيف ، ومنهم من جعل الشام جمع شامة ، وهى النكته تكون فى الجسم سوداء أو نحو ذلك ، وكذلك فى الأرض .

قال ذو الرمة :

وإن لم تكونى غيرَ شامٍ بقفَرَةٍ تجرُّ بها الأذيال صيفية كدرُ

#### (٩٤) — باب من الزجر والعيافة

الفرق بين  
القال والطيرة

وعنهما يكون القال والطيرة ، وبين الطيرة والقال فرقان عند أهل النظر والمعرفة والحقائق ؛ وذلك أن القال تقوية للعزيمة ، وتحضيض على البغية ، وإطماع فى النية ؛ والطيرة تكسر النية ، وتصد عن الوجهة ، وتذنى العزيمة ، وفى ذلك ما يعطل الإحالة على المقادير .

الرسول يحب  
القال ويكره  
الطيرة

وقد تفاعل النبي صلى الله عليه وسلم ونهى عن الطيرة فى قوله : « لا عدوى ، ولا طيرة » ، ولا هامة ، ولا صقر « وقد تقدم ذكرها ، وقيل فى الهامة : إنها هذه المعروفة .

والطيرة من أحد شيئين : مشتقة إما من الطيران ، كأن الذى يرى ما يكره اشتقاق الطيرة

أو يسمع يطير ، كما قال بعضهم :

عَوَى الذئبُ فاستأنستُ للذئبِ إذ عَوَى

وَصَوَّتَ إِنْسَانٌ فَكِدْتُ أَطِيرُ

وإما من الطير ، وهو الأصل والمختار من الوجهين ، هكذا ذكر الزجاجي . وكانت العرب تزجر الطير والوحش ؛ فن قال بالقول الأول احتج بأن الوحش يُطَيَّرُ بها ، وزجرت مع الطير ، ومن قال بالقول الثاني قال : إنما كان الأصل في الطير ، ثم صار في الوحش ، وقد يجوز أن يغلب أحد الشئيين على الآخر فيذكر دونه ويرادان جميعاً .

الزجر عند  
العرب

أنشد الجاحظ :

ما يعيفُ اليومَ في الطير الدوح من غُرَابِ البَيْنِ أوتيسِ بَرَحٍ

قال : فجعل التيس من الطير ؛ إذ قدم ذكر الطير وجعله من الطير في معنى التطير ، والعرب تتطير بأشياء كثيرة : منها العطاس<sup>(١)</sup> ، وسبب تطيرهم منه دابة يقال له العاطوس يكرهونها ، والغراب أعظم ما يتطيرون به ، والقول فيه أكثر من أن يُطلب عليه شاهد ، ويسمونه حاتمًا ؛ لأنه يحتم عندهم بالفراق ، ويسمونه الأعور على جهة التطير بذلك ؛ إذ كان أصح الطير بصراً ، ويقال : سى أعور لقولهم : « عَوَّزْتُ الرجلَ عن حاجته » إذا

(١) وفيه يقول امرؤ القيس :

وقد أغتدى قبل العطاس بهيكل شديد ، منيع الجيب ، نعم المبط

أراد أنه يتنبه للصيد قبل أن يتنبه أحد لثلاث سمع عطاساً فيشام به ؛ وكانوا إذا عطس من يحبونه قالوا له : « عمرا وشبابا » وإذا عطس من يهضونه قالوا له « وريا وقحابا » والورى - بفتح فسكون - داء يصيب السكند فيمسدها ؛ وكان الرجل منهم إذا عطس قال : « كلابي » وكان تشاؤمهم بالعطسة الشديدة أشد .

رددته عنها ، وقد اعتذر أبو الشَّيْصِ للغراب وتَطَيَّرَ بالإبل - وإن كان غيره سبقه إلى المعنى - فقال :

الناسُ يَلْحَوْنَ غِرا      بَ البينِ لما جهلوا  
وما على ظهْرِ غِرا      بَ البينِ تَطَوَّى الرُّحْلُ  
ولا إذا صاحَ غِرا      بَ في الديارِ احتملوا  
ما فَرَّقَ الأحبابَ بعدَ الله إلا الإبلُ  
وما غرابُ البينِ إلا      لاً ناقةٌ أو جملُ

هكذا رويته ، وبعضهم يجعل الشعرَ \* ما قرب الأحباب \* و بعده \* والناس يَلْحَوْنَ . . \* بواو مكان الهمزة يعطف بها

وقال آخر فُلِحَ وظرف :

زعموا بأنَّ مَطِيئَهُمْ عَوْنُ النوى      والمؤذِناتُ بِفِرْقَةٍ الأحباب  
لو أنها حَتَفِي لما أبغضتها      ولها بهم سَبَبٌ من الأسباب

ويتطيرون بالصُّرْد ، ومن أسمائه الأَخِيل ، والأخْطَب ، ويقال : الأَخِيل مما يتطرون به الشُّقراق ، ويقال : بل طائرٌ يشبهه ، والواق أيضاً الصرد ، قال <sup>(١)</sup> زبَانُ بْنُ مَنْظُورٍ الفَزَارِيُّ في حديث له كان مع نابعة بنى ذبيان - وقد تطير من جرادة سقطت عليه فرجع من الغزو ومضى زبَانُ فظفر وغنم :

(١) روى المؤلف هذه القصة معكوسة ، ولم يصب في ضبط أعلامها . والصواب فيها أن النابعة الذيباني كان يسير مع زياد بن سيار يريدان الغزو ، فرأى زياد جرادة ، فقال : حرب ذات ألوان ، ثم رجع ، ومضى النابعة في سبيله ، فلما رجع غامقاً قال : يلاحظ طيرة أبداً زياد لتخبره ، وما فيها خير أقام كأن إقمان بن عاد أشار له بحكته مشير وبعد هذين البيتين البيتان اللذان رواهما المؤلف (وانظر ديوان النابعة ص ٦٥) .

تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا طَيْرَ إِلَّا عَلَى مُتَطَيِّرٍ ، وَهِيَ الشُّبُورُ  
بَلَى شَيْءٌ لَا يُوَافِقُ بَعْضُ شَيْءٍ أَحَابِينَا ، وَبَاطِلُهُ كَثِيرٌ  
يَقُولُهَا فِي آيَاتٍ لَا أَقِفُ عَلَى <sup>(١)</sup> جَهْلَتِهَا .

وَقَالَ شَاعِرٌ قَدِيمٌ لَزَبَانَ أَيْضًا :

لَا يَمْنَعُكَ مِنْ بَقَا ۖ الْخَيْرُ تَعَقُّدُ التَّمَاثُلِ  
لَا ، وَالتَّشَاؤُمُ بِالْمُطَا ۖ سَ وَلَا التَّيَامُنُ بِالْمُقَاسَمِ  
وَلَقَدْ عَدَدْتُ وَكُنْتُ لَا أَحْدُو عَلَى وَاقٍ وَحَاتِمِ  
وَإِذَا الْأَشْأَمُ كَالْأَيَا ۖ مِنْ ، وَالْأَيَامُ كَالْأَشْأَمِ  
قَدْ خُطَّ ذَلِكَ فِي الزَّبُو ۖ رَ الْأُولِيَّاتِ الْقَدَائِمِ  
وَيَتَشَاءُمُونَ بِالْثُورِ الْأَعْضَبِ ، وَهُوَ الْمَكْسُورُ الْقَرْنِ .

وَقَالَ الْكُمَيْتُ يَنْفَى الطَّيْرَ وَيُدْفَعُهَا عَنْ نَفْسِهِ :

وَلَا أَنَا يَمْنَنُ يَزْجُرُ الطَّيْرَ هَمَّهُ ۖ أَصَاحَ غَرَابٌ أَمْ تَعْرِضُ ثَعْلَبُ  
وَلَا السَّانِحَاتُ الْبَارِحَاتُ عَشِيَّةً ۖ أَمْرٌ صَحِيحُ الْقَرْنِ أَمْ مَرٌّ أَعْضَبُ  
وَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ مِنْ هَذَيْنِ يَشْبَهُ بَيْتَ الْأَعَشَى الَّذِي أَنْشَدَهُ الْجَاهِظُ .

وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ «فَلَانُ كِبَارِحِ الْأُرُوى» وَفِيهِ قَوْلَانُ : أَحَدُهُمَا أَنَّ الْأُرُوى  
يُمْتَشَاءُ بِهَا ، فَإِذَا كَانَتْ بَارِحًا فَقَدْ عَظُمَ الْأَمْرُ ، وَالْآخَرُ أَنَّهَا إِنَّمَا تَكُونُ فِي قُرُونِ  
الْجِبَالِ ، وَلَا تَكَادُ تَكُونُ سَانِحَةً وَلَا بَارِحَةً .

وَفِي السَّامِحِ وَالْبَارِحِ اخْتِلَافٌ : قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَلَاءِ : سَأَلَ يُونُسُ رُؤْبَةَ عَنْ  
السَّامِحِ وَالْبَارِحِ ، فَقَالَ : السَّامِحُ مَا وَلَاكَ مِيَامِنُهُ ، وَالْبَارِحُ مَا وَلَاكَ مِيَاْسِرُهُ ،

السَّامِحُ  
وَالْبَارِحُ

(١) انظر الهامشة التي قدمناها في الصفحة السابقة .

قال ابن دريد : السانح يتيمن به أهل نجد ويتشاءمون بالبارح ، ويخالفهم أهلُ العالية فيتشاءمون بالسانح و يتيمنون بالبارح .

قال الشاعر الهذلي يذكر امرأته :

زَجَرْتُ لها طير السنيح فإن يكن هواك الذي تهوى يصبك اجتنابها  
قال : والسانح : الذي يلقاك وميامنه عن ميامنك ، والبارح الذي يلقاك وشمائله  
عن شمائلك ، والجابه والناطح : اللذان يستقبلانك ، والقعيد : الذي يأتيك  
من ورائك .

قال صاحب الكتاب : السكارس الذي ينزل عليك من الجبل ، حكاه  
الثعالبي ، قال أبو جعفر النحاس : السنيح عند أهل الحجاز : ما أتى عن اليمين إلى  
اليسار ، والبارح عندهم : ما أتى من اليسار إلى اليمين ، وهم يتشاءمون بالسانح ،  
و يتيمنون بالبارح ، وأهل نجد بالضد من ذلك ، والسانح عندهم هو البارح عند  
أهل الحجاز .

وقال المبرد : السانح : ما أراك مياسره فأمكن الصائد ، والبارح : ما أراك  
ميامنه فلم يمكن الصائد إلا أن ينحرف له .

وقد يتطهرون من البازي والغراب وأشياء كثيرة من جهة التسمية ، و يتيمن  
بها آخرون .

ومن مליح ما رأيت في الزجر والعيافة ، قال الصولي : كان لأبي نواس  
إخوان لا يفارقهم ، فاجتمعوا يوماً في موضع أخفوه عنه ، ووجهوا إليه برسول  
معه ظهر قرطاس لم يكتبوا فيه شيئاً ، وحزموه بزير وختموه بقار ، وتقدموا إلى  
رسولهم أن يرمى بالكتاب من وراء الباب ، فرمى به ، فلما رآه استعلم خبرهم فلم  
أنه من فعلهم وتعرف موضعهم وأتاهم فأنشدهم :

زجرت كتابكم لما أتاني كزَجْرِ سَوَانِحِ الطير الجواري

من مليح  
الزجر

تظرت إليه مخزوماً بزير على ظهر ، ومختوماً بقار  
قلت : الزير مذهبية ومسلم قلت : القار من دن العقار  
قلت : الظهر أهيف ذو جمال تركب صدغه فوق العذار  
فجئت إليكم طرباً وشوقاً فما أخطأت داركم بداري  
فكيف ترونني وترون زجري ألسنت من الفلاسفة الكبار؟!

### ( ٩٥ ) — باب ذكر المعازلة والتشبيح

حقبة المعازلة  
واشتقاقها  
المعازل في القوافي : التضمين ، حكاة الخليل بن أحمد ، وزعم قدامة أن المعازلة  
سوء الاستعارة ، وهو عندهم مشتق من التداخل والتراكب ، ومنه « تعازلت  
الجراد والكلاب » وأنشد قدامة بيت أوس بن حنبل :  
وذا هذيم عارٍ نواشِرُهُا تُصْنِيتُ بالماء تولبا جدعا<sup>(١)</sup>  
لأنه قد أساء الاستعارة عنده ؛ لجملة الطفل تولبا ، وهو ولد الحمار .

التشبيح  
وأما التشبيح فهو طول الكلام واضطرابه ، ولا يقال « كلام مشبيح » حتى  
يكون هكذا ، ويقال : رجل مشبيح الخلق ، إذا كان طويلاً في اضطراب ،  
والتشبيح عند الصولي في الخط ألا يكون بيتاً ، وكذلك هو الكلام .  
ورغم قوم أن المعازلة تداخل الحروف وتراكبها ، كما عيب على كعب بن  
زهير قوله :  
رأى آخر  
في المعازلة

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسم كأنه مُنْهَلٌ بالراح مَعْلُولُ  
وعاب ابن العميد حبيباً لقوله :  
كريم متى أمدحه أمدحه والورى معى ، ومتى مالمته لمته وحدى  
بالتكرير في « أمدحه أمدحه » مع الجمع بين الحاء والهاء في كلمة ، وهما معاً  
من حروف الخلق ، وقال : هو خارج عن حد الاعتدال ، نافر كل النفاذ ،  
حكى ذلك عنه صاحب بن عباد .

(١) انظر ص ٢٥٠ السابقة .



٩٦ — باب الوحشى المتكلف ، والركيك المستضعف ٢٦٥

وزعم آخرون أنها ترصيب الشيء في غير موضعه ، كقول الكهيت رأى ثالث في  
ابن زيد :  
العاظلة

وقد رأينا بها حوراً مُنَعَمَةً      بيضاً تكمّل فيها اللؤلؤ والشنبُ  
وهذا البيت مما عابه عليه نصيب .  
ومثله عندي قول أبي الطيب :

يحمل المسك عن غداثرها الريح ويَفْتَرُّ عن شنب<sup>(١)</sup> برود

(٩٦) — باب الوحشى المتكلف ، والركيك المستضعف

الوحشى من الكلام : ما نفر عنه السمع ، والمتكلف : ما بعد عن الطبع ،  
الركيك : ماضعت بنيتها ، وقَلَّتْ فائدته ، واشتقاقه من الرِّكَّة ، وهى المطر  
الضعيف ، وقيل : من الرِّك ، وهو الماء القليل على وجه الأرض .  
الكلام والتكلف والركيك

وأشد النحاس

تهادى كعوم الرِّكَّ يقطعه الحيا      بأبطح سهل حين تمشى تأوِّداً  
و«فلان ركيك» أى : ضعيف العقل ، ويقال للوحشى أيضاً : حُوشِيٌّ ، كأنه  
منسوب إلى الحوش ، وهى بقايا إبل وَبَارٍ بأرض قد غلبت عليها الجن فعمرتها  
ونفت عنها الإنس ، لا يَطُوهَا إنسى إلا خَبَلُوه .

قال رؤبة :

\* جَرَّتْ رجالاً من بلادِ الحوش \*

وإذا كانت اللفظة خَشِنة مستغربة : لا يعلمها [إلا] العالم المبرز ، والأعرابي القح؛

(١) فى الأصول « عن شنب » وهو تصحيف ، والشنيب : الثمر الذى فيه  
الشنب ، وهو حدة الأسنان ، وقيل : الرقة والعذوبة . والبرود - بفتح الباء -  
البارد

فتلك وَخْشِيَّةٌ ، وكذلك إن وقعت غير موقعها ، وأتى بها مع ما ينافرها ، ولا يلائم شكلها .

أبو تمام وولعه  
بالوخشي  
والمتني

وكان أبو تمام يأتي بالوَخْشِيَّةِ الخشن كثيراً ويتكلف .

وكذلك أبو الطيب كان يأتي بالمستغرب ليدل على معرفته ، نحو قوله :

\* كل آخائِهِ كرام بنى الدنيا وَلِـكِنَّهُ كَرِيمٌ كَرَامٌ \*

وهذا مع غرابته وتكلفه غير محمول على ضرورة يكون فيها عذر ؛ لأن قوله « كل إخوانه » يقوم مقامه بلا بغاضة .

ومن التكلف قول إبراهيم بن سيار للفضل بن الربيع ، ويروى أيضاً لإبراهيم بن شابة :

أمثلة من  
التكلف

هَبْنِي ظَلَمْتُ وَمَا ظَلَمْتُ بَلَى ظَلَمْتُ أَقْرَبَ كِي يَزِدَادَ طَوْلَكَ طَوَلَا  
إِنْ كَانَ جُرْمِي قَدْ أَحَاطَ بِجُرْمِي فَأَحِطْ بِجُرْمِي عَفْوِكَ الْمَأْمُولَا  
فَتَبَارَكَ اللَّهُ كَأَنَّهُمَا لَمْ يَخْرُجَا مِنْ يَنْبُوعٍ وَاحِدٍ .

قال إبراهيم بن المهدي لعبد الله بن صاعد كاتبه : إياك وَتَتَّبَعِ الْوَخْشِيَّةَ مِنْ  
الْكَلَامِ طَمَعاً فِي نِيلِ الْبَلَاغَةِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الْعِيءُ الْأَكْبَرُ ، عَلَيْكَ بِمَا سَهَلَ مَعَ  
تَجَنُّبِكَ أَلْفَاظِ السُّفْلِ .

من كلام  
أبي تمام في  
البلاغة

وقال أبو تمام يمدح الحسن بن وهب بالبلاغة :

لَمْ يَتَّبِعْ شَنْعَ اللُّغَاتِ ، وَلَا مَشَى رَسْفَ الْمُقِيدِ فِي طَرِيقِ الْمُنْطَقِ  
يَنْشَقُّ فِي ظَلَمِ الْمَعَانِي إِنْ دَجَّتْ مِنْهُ تَبَاشِيرُ الْكَلَامِ الْمَفْلُوقِ  
وَقَالَ عَلَى بْنِ بِسَامٍ :

وَلَا خَيْرَ فِي اللَّفْظِ الْكَرِيهِ اسْتِمَاعُهُ وَلَا فِي قَبِيحِ الْأَخْنِ وَالْقَصْدُ أَرْزَنُ

قال علي بن عيسى الرمائي : أسباب الإشكال ثلاثة : التفسير عن الأغلب  
كالقديم والتأخير وما أشبهه ، وسلوك الطريق الأبعد ، وإيقاع المشترك ، وكل

أسباب إشكال  
الكلام

ذلك اجتمع في بيت الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حتى أبو يقر به

فالتغيير عن الأغلب سوء الترتيب ؛ لأن التقدير « وما مثله في الناس حتى يقر به إلا مملكا أبو أمه أبو » يريد بالملك هشام بن عبد الملك ، والممدوح هو إبراهيم بن هشام خال هشام بن عبد الملك ؛ وأما سلوك الطريق الأبعد فقوله « أبو أمه أبو » وكان يُجْزئه أن يقول « خاله » وأما المشترك فقوله « حتى يقر به » لأنها لفظة « حتى » تشترك فيها القبيلة والحي من سائر الحيوان [المتصف] بالحياة ، قال : وإذا تفقدت أبيات المعاني رأيتها لا تخرج عن هذه الأسباب الثلاثة .

وحكى الصولي قال : أنشدني بعض الكتاب عن أحمد بن يحيى ثعلب قول

للبحري في وصف البلاغة

البحري للحسن بن وهب :

وإذا دَجَتْ أَقلامه ثم انتحت  
برقت مصابيح الدجى في كُتُبِهِ  
فاللفظ يقرب فهمه من بعده  
منا ، ويبعد ثقله في قر به  
حكم سحائبها خلال بنائه  
هطالة ، وقلبيها في قلبه  
كالروض مؤثلاً بحمرة نوره  
وبياض زهرته وخضرة عُشْبِهِ  
وكأنها والسمع معقود بها  
وجه الحبيب بدا لعين محبه

واستعادها أبو العباس حتى فهمها ، ثم قال : لو سمع الأوائل هذا الشعر لما فضّلوا عليه شعراً .

## (٩٧) - باب الإحالة والتغيير

وهذه ملح أتيت بها تدل من عرفها على ردايتها ، وتدعو إلى كرايتها واجتنابها ، وقد وقعت في أشعار الجلة من المتقدمين ، والنس لهم فيها العذر لأنهم أرباب اللغة وأصحاب اللسان ، وليس المولد الحضري منهم في شيء

أمثلة من  
الإحالة

فمن الإحالة قولُ ابن مقبل :  
أما الأداةُ ففينا ضميرُ صَنَعَ جودٌ حواجز بالأبادِ واللجمِ  
ونسج داود من بيضِ مُصَاعِفٍ من عهدِ عادٍ ، وبعْدُ الحى من إرم  
فكيف يكون نسج داود من عهد عاد ؟ اللهم إلا أن يريد فينا ضميرُ صنع  
من عهد عاد ؛ فذلك له على سبيل المبالغة ، مع أن الإحالة لم تفارقه ، وكم بين  
قيس عيلان وبين عاد ، فضــــلا عن بنى العجلان ؟ !

وقال عبد الرحمن بن حسان :  
وإن مالَ الضجيعِ بها فدِعْصُ من السكُتبانِ مُلتَبِدٌ مَهِيلُ  
قالوا : وكيف يكون ملتبداً مهيلاً ؟ هذا مستحيل متناقض ، والذي عندي  
فيه أنه صواب ؛ لأنه إنما أراد بالتباد صلابه ملمس العجيزة ، وأنها غير مُسترخية  
وجعله مهيلاً لارتعاده واضطرابه من العظم ، كما قال ابن مقبل :  
يمشِين هَيْلَ النَّقَاسَاتِ جَوَانِبُهُ يَهَالُ طَوْرًا ، وينهاهُ الثرى حيناً  
فقد جعله مرة ينهال ، ومرة ينهال الثرى والثنى الذى فيه . .

أمثلة من التغير

وقال جميل فى التغير :  
لاحسناها حُسْنٌ ، ولا كدلالها دَلٌّ ، ولا كوقارها توقيرُ  
فحذف كاف التشبيه فصار المعنى كأنه ليس حسننا حسناً (١) ، وقد يغيرون  
اللفظ كما قال النابغة :

ونسج سليمٍ كلَّ قضاء ذائلٍ (٢)

وهذا أمهل من قول الآخر :

(١) هذا فى قولها « لا حسننا حسن » لأنه يريد لا مثل حسننا حسن ، أو نحوه  
(٢) فى الأصل « ذابل » بالباء موحدة ، وفى الديوان « ذائل » بالهمز ،  
وصدر هذا قوله \* وكل صموت ثلة تبعية \* والصموت : الدرع الثقيلة التى =

مِنْ نَشِجِ دَاوُدَ أَبِي سَلَامٍ.

وهذا كثير يخرج منه في هذا الموضع ما ذكرت .

### (٩٨) باب الرخص في الشعر

وأذكر هنا ما يجوز للشاعر استعماله إذا اضطرَّ إليه ، على أنه لا خير في  
الضرورة ، على أن بعضها أسهل من بعض ، ومنها ما يسمع عن العرب ولا يعمل  
به ؛ لأنهم أتوا به على جِبِلَّتِهِمْ ، والمولد الحدث قد عرف أنه عيب ، ودخوله  
في العيب يلزمه إياه .

فمن ذلك قصر الممدود على مذاهب أهل البصرة والكوفة جميعا ، وله -  
على ما أجاز الكوفيون - وصل ألف القطع ، وهو قبيح . . قال حاتم طي :  
أبوه أبي ، والأمهات أمهاتنا فأنعم فذاك اليوم أهلي ومعشري  
قال بعضهم : إنما الرواية « والأم من أمهاتها »

وله تخفيف المشدد في القافية ، وأما في حشو البيت فمكروه جداً ، وحذف  
التنوين لالتقاء الساكنين ، وربما حذفوا النون الساكنة . . كما قال :

فلست بآتيه . ولا أستطيعه . وَلَاكِ اسْقِيْ إِنْ كَانَ مَأْوُكَ ذَا فَضْلٍ <sup>(١)</sup>

وأن يحذف للألف واللام أو الإضافة ما يحذف للتنوين مثل قول  
خُفَّاف :

== إذا صبت لم يسمع لها صوت . والثلة - ومثلها الثرة - الواسعة من الدروع ،  
والقضاء : الدرع للمسحورة الحشنة المس من جدتها لم تنسحق بعد . والدائل :  
الطويلة الذيل ، ويقال : درع ذائل ودائلة .

(١) البيت للنجاشي ( انظر كتاب سيديويه ج ١ ص ٩ ) . وأصل الكلام :  
« ولكن اسقي » لكنه لما اضطر حذف نون « لكن » تشبيها لها بالتنوين

كَنَوَاحٍ رِيشَ حَمَامَةٍ نَجْمِدِيَّةٍ وَمَسِيحَتِ اللَّثْمَيْنِ عَصْفَ الْإِثْمَدِ<sup>(١)</sup>

وأن يحذف حرفاً من الكلمة كقول العجاج :

\* قَوَاطِنَا مَكَّةَ مِنْ وَرَقِ الْحَمِي \*<sup>(٢)</sup>

وحرفين كقول علقمة بن عبدة :

\* مُقَدِّمٌ بِسَبَابِ الْكَتَانِ مَلُثُومٌ \*<sup>(٣)</sup>

يريد بسبائب الكتان ، وأن يحذف من المكنى في الوصل ما يحذف منه في الوقف . . كقول الشاعر :

\* سَأَجْمَلُ عَيْنِيهِ لِنَفْسِهِ مَقْنَعًا \*<sup>(٤)</sup>

وأقبح منه أن يحذف من المكنى المنفصل كقول الآخر :

فَبَيْدِنَاهُ بِشَرِي رَحْلَهُ قَالِ قَائِلٌ : لَمَنْ جَمَلٌ رِخْوُ الْمَلَاطِ نَجِيبٌ ؟

وأقبح من ذلك أن يحذف الألف من ضمير المؤنث . . أنشد قطرب :

أما تقولُ به شاةٌ فَيَا كَاهَا أَوْ [أَنْ] تَبِيعَةً فِي بَعْضِ الْأَرَاكِيبِ

أراد « تبيعها » فحذف الألف ، قال : ولا يجوز استعمال هذا للمحدث

(١) أراد « كنواحي ريش - إلخ » فحذف الياء مع الإضافة ضرورة تشبيها بحال الأفراد والتنوين وحال الوقف ، يصف شفق امرأة فشبهها بنواحي ريش الحمامة في رقتها ولطافتها وحوتها ، وأراد أن لثانها تضرب إلى السمرة فكأنها مسحت بالإثمد .

(٢) أراد « الحمام » فغيرها إلى ماترى ، وفي ذلك وجوه أحسنها أن يكون قد حذف اليم الثانية للضرورة ثم قلب الألف ياء بعد كسر اليم الأولى .

(٣) صدره \* كَأَنْ يُرِيقِيهِمْ ظِي عَلَى شَرَفِ \*

(٤) هذا عجيب بيت لمالك بن خريم الحمداني ، وصدره \* فَإِنْ يَكُ غَثَا أَوْ

سمينا فإنني \* أراد « لنفسه » فحذف الياء ضرورة . وصف ضيفاً فيقول : سأقدم إليه ما عندي غثا كان أو سمينا ، وأحكمه فيه ليختار أفضل ماترى عيناه فيقنع بذلك .

لشدوذه وقبحه ، ويجوز له حذف الياء والواو من المضمرة المذكر لكثرتهم واطراده ،  
وللشاعر أن يحذف اسم « ليت » إذا كان مضمراً . . أنشد المفضل لعدى  
ابن زيد :

فليتَ دَفَعَتِ الهمَّ عَنِّي سَاعَةً      فبتنا على ما خيلتَ نَاعِيَتِي بال  
يريد « ليتك » وله حذف الفاء من « افنعلته » من التتوى وماتصرف منها ،  
أنشد المفضل لخداش بن زهير :

تَقْوُهُ أَيُّهَا الْفَتَيَانُ ؛ إِنِّي      رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ غَلَبَ الْجُدُودَا  
وأنشد أبو زيد الأنصاري :

إِنَّ الْمَنِيَةَ بِالْفَتَيَانِ ذَاهِبَةٌ      وَإِنْ تَقْوَهَا بِأَرْمَاحٍ وَأَدْرَاعٍ  
وحذف الفاء من جواب الجزاء كما قال :

يَا أَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ يَا أَقْرَعُ      إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ تُصْرَعُ<sup>(١)</sup>  
قال سيبيويه : تقديره<sup>(١)</sup> إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ فَتُصْرَعُ .

ومثله أيضاً :

مَنْ يَفْعَلُ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا      وَالشَّرَّ بِالشَّرِّ عِنْدَ اللَّهِ مِثْلَانِ  
يريد « فإله يشكرها » وهذا أبين من الأول ، وحذف النون من تثنية  
« الذي » وجمعه

(١) في الأصول \* إِنَّكَ إِنْ تُصْرَعُ أَخُوكَ تُصْرَعُ \* وهو غير رواية سيبيويه  
وغيره من النحويين ، ولذلك أثبتنا روايتهم ، وفيما نقله المؤلف عن سيبيويه خطأ  
غير وجه الكلام وجعل المعنى فاسداً ، وعبارة سيبيويه (ج ١ ص ٢٣٩) هكذا  
« أراد إِنَّكَ تُصْرَعُ إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ » ومعنى هذا أن جواب الشرط محذوف ، وجملة  
« تُصْرَعُ » مع نائب الفاعل في محل رفع خبر إن .

قال الأخطل :

أَبْنَى كُنَائِبٍ إِنَّ عَمِّيَ الَّذَا قَتَلَ الْمُلُوكَ وَفَكَكَ الْأَغْلَالَ  
وَأَنشَدَ سَبْيُوِيَه :

وإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِقَلَجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ  
أَرَادَ « الَّذِينَ » وَعَلَى هَذَا قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

أَلَسْتَ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِي مِنْ رَمَاحِهِمْ نَدَاهُمْ ، وَمِنْ قَتْلَاهُمْ مُهْجَةُ الْبُخْلِ  
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَعَلَ « الَّذِي » لِلْجَاعَةِ وَالوَاحِدِ كَمَا جَعَلَ « مَنْ » وَقَدْ  
حَكَى ذَلِكَ الزَّجَاجِيُّ .

قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ( كَتَلَ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ  
مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ) : إِنَّ « الَّذِي » هُنَا  
بِعَنَى الَّذِينَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَحُذِفَ الْيَاءُ مِنْ « الَّذِي » فَهُمْ مِنْ يَسْكُنُ الذَّالَ بَعْدَ الْحَذْفِ ، وَمِنْهُمْ  
مَنْ يَدْعُهَا مَكْسُورَةً عَلَى لَفْظِهَا ، أَنشَدَ الْبَصْرِيُّونَ وَالْكُوفِيُّونَ جَمِيعًا :  
فَطَلْتُ فِي شَرٍّ مِنَ اللَّذِّ كَيْدًا كَمَنْ تَزَبَّى زُبْيَةً فَاصْطِيدَا  
وَيُرْوَى \* كَالَّذِ تَزَبَّى زُبْيَةً فَاصْطِيدَا \* فَجَمَعَ بَيْنَ الْكَلِمَتَيْنِ <sup>(١)</sup> . وَنُظِّرْ هَذَا

حَذْفَ الْيَاءِ مِنْ « الَّتِي » وَإِسْكَانَ النَّاءِ ، وَأَنشَدُوا :

فَقُلْ لِّتْ تَلُوْمُكَ : إِنَّ نَفْسِي أَرَاهَا لَا تُعَوِّدُ بِالْقِيمِ

وَحُذِفَ الْيَاءُ وَالنَّاءُ مِنْ « اللَّوَاتِي » ، أَنشَدَ الزَّجَاجِيُّ :

---

(١) كَلَا ، بَلْ هَالِغَةٌ وَاحِدَةٌ ؛ فَإِنْ ذَالَ الْكَلِمَتَيْنِ فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي عَلَى  
الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ — وَهِيَ الْمَشْهُورَةُ الْمَعْرُوفَةُ فِي أَكْثَرِ كُتُبِ النُّحُوِّ وَالْأَدَبِ —  
سَاكِنَةٌ ، يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ لَهُ أَدْنَى مَسْكَةٍ بِعِلْمِ .



تَجَمُّعَهَا مِنْ أَيْتُنِي غَزَارٍ مِنَ اللُّوَا شَرَفَنَ بِالصَّرَارِ  
وحذف الموصول وترك الصلة . كما قال يزيد بن مفرغ ؛  
عَدَسٌ مَا لِعَبَادٍ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ تَجَوَّتِ وَهَذَا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ  
أراد « وهذا الذي تحملين » فحذف<sup>(١)</sup> .  
وحذف اسم « إن » و « لكن » . كما قال :  
وَلَكِنْ مَنْ لَا يَلْقَى أَمْرًا يُنَوِّبُهُ بِعُدَّتِهِ يَنْزِلُ بِهِ وَهَوَّ أَغْزَلَ  
فحذف الهاء من « لكن » لأنه قد جازى بمن ، ولو أعمل فيها « لكن »  
لم يميز أن<sup>(٢)</sup> يجازى بها .  
ومثله قول الآخر<sup>(٣)</sup> :  
إِنْ مَنْ يَدْخُلُ الْكَنِيسَةَ يَوْمًا يَلْقَى فِيهَا جَاذِرًا وَظَبَاءَ  
أراد « إنه » . ويبدلون من الحروف السالمة حروف المد واللين ، وأنشدوا :

(١) في كلام المؤلف خطأ ، وبيان الموضوع أن الكوفيين ذهبوا إلى جواز  
مجيء أسماء الإشارة أسماء موصولة مع اتصال حرف التنبيه بها ، واستشهدوا على ذلك  
بهذا البيت فقالوا : إن « هذا » اسم موصول بمعنى الذي ؛ فليس هو من حذف  
الموصول وإبقاء صلته عندهم ، والبصريون يمنعون مجيء « هذا » وغيره من أسماء  
الإشارة مع حرف التنبيه أسماء موصولة ، وعندهم أن « هذا » اسم إشارة مبتدأ ،  
وخبره « طليق » في آخر البيت ، وجملة « تحملين » في محل نصب على الحال ، أي  
وهذا طليق حال كونه محمولا عليك ؛ فتخريجهم للبيت لا يوافق أحد المذاهب .  
(٢) أي : لأن أسماء الشرط لها الصدارة في الكلام فلا يعمل ما قبلها فيها ،  
ومن الذي تستحقه أن يتأخر عنها ما يعمل فيها نحو قوله تعالى : ( أَيَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ  
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ) وهنا لا يمكن ذلك ؛ لأن « لكن » حرف ، وهو لا يعمل متأخرا  
فلذلك تقدم « لكن » وقدر اسمه ضمير شأن ، وجملة الشرط والجواب في محل  
رفع خبر « لكن » فافهم ذلك .  
(٣) ينسب للأخطل .

لها أشار ير من لحم تُثْمَره من الثعالى ووخر من أرائنها  
أراد « من الثعالب » « ومن أرائنها » ويلينون الهمزة ، وذلك كثير  
جدا جائز فى المنثور والفصيح ، وله حذف ألف الاستفهام ، كما قال الأخطل :  
كَذَّبْتُكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلامُ مِنَ الرَّبَّابِ خَيْالًا  
وهذا ردىء فى المنثور جدا .

ونقصان الجوع عن أوزانها لضرورة القافية كما قال رؤبة :  
\* حتى إذا بَلَّتْ حَلَاقِمُ الْخَلْقِ \*

يريد « الخلق » وترك صرف ما ينصرف ؛ لأنه يحذف منه التنوين وهو  
يستحقه ، وهو غير جائز عند البصريين ، إلا أنه قد جاء فى الشعر . قال  
عباس بن مرداس يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَاسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِى تَجْمَعِ  
وعلى هذا المذهب قال أبو نواس :

عَبَّاسُ عَبَّاسٌ إِذَا احْتَدَمَ الْوُغَا وَالْفَضْلُ فَضْلٌ وَالرَّيْبُ رَيْبٌ  
ويروى \* إذا حضر الوغا \* والقراء يرى ترك الصرف لعل واحد ، وهى  
التعريف ، والبصريون يخالفونه فى ذلك ويأبونه .

ومن أقبح الحذف حذف حركة الإعراب للضرورة ، وأنشدوا لأمى القيس :  
فَالْيَوْمَ أَشْرَبْتُ غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ إِنَّمَا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ  
ومثله للفرزدق :

رُحْتُ وَفِى رِجْلَيْكَ مَا فِيهِمَا وَقَدْ بَدَّاهْتِكَ مِنَ الْمُنْزَرِ  
وزعم قوم أن الرواية الصحيحة فى قول أمى القيس \* اليوم أسقى \*  
وبذلك كان المبرد يقول ، وقال الآخرون : بل خاطب نفسه كما يخاطب<sup>(١)</sup> غيره ،

(١) يريد أن قوله « اشرب » فعل أمر مبنى على السكون ، وليس فعلا مضارعا  
فورد على هذا أن الهمزة فى « اشرب » همزة قطع ، ونحن نعلم أن همزة أمر الثلاثى  
همزة وصل ، فقيل : إن الرواية « فالיום فاشرب » وقد أشار المؤلف إلى هذا الجواب .

فقال : فالיום فأشرب ، وفي بيت الفرزدق \* وقد بدا ذاك من المزج \* كناية  
عن الهن ، وهذا مما يسمع ويحكي ، ولا يقاس عليه البتة .  
هذا صدر جيد مما علمته يجوز للشاعر من الحذف والنقصان .

ضرورات  
الزيادة

والذي يجوز له من الزيادات أنا ذا كرمته أيضاً ما وسعته قدرتي ، إن شاء الله تعالى :  
فن ذلك صرف مالا ينصرف ، وإجراء المعتل مجرى الصحيح ؛  
فيرب في حال الرفع والخفض ، تقول : هذا القاضي ، ومررت بالقاضي ، وزيد  
يَقْضِي وَيَفْزُو ، ولا يجوز في المنثور من الكلام ، وعلى هذا قول قيس  
ابن زهير :

ألم يَأْتِيكَ والأبناء تنمى بما لاقت لبون بن زياد  
كأنه يقول في الرفع يَأْتِيكَ بضم الياء ، فلما جزمها أسكنها .  
ومنهم من يبدل من الياء همزة ، وهو القليل ، فيقول : القاضي ، والغازي ،  
وأنشد :

يا دار سلى بدكاديك البرق سقياً وإن هيجت شوق المُشْتَقِ  
همز الياء ، وليس أصلها الهمزة .  
وله إظهار التضعيف كقوله :

يشكو الوحي من أظلل وأظلل

ولما هو « الأظلل » وهو باطن خف البعير .

وتنقيل الخفيف في وصل الكلام على نية من يقف على الثقل ، وأنشدوا :  
يَبْأَزِلِ وجناء أو عَيْهَلْ كَانَ مَهْوَهاً عَلَى الكَلْكَلْ  
موقع كَفَى راهبٍ يُصَلِّي

فثقل « العيهل » وهي السريعة ، و « الكلكل » في صلة الشعر ، وهما مخففتان

وله إدخال النون الخفيفة أو الثقيلة في الواجب ، وإنما تدخل فيما ليس  
بواجب ، نحو الأمر والنهي والاستنهام . قال القطامي :

وهم الرجالُ ، وكلُّ ذلك منهمُ يحزنُّ في رَحْبٍ وفي مُتَضَيِّقٍ  
وأشدوا لآخر ، وهو جذيمة الأبرش :

رُبَّمَا أَوْفَيْتُ فِي عَالَمٍ تَرْفَعُنْ ثَوْبِي شِمَالَاتُ

وله إدخال الفاء في جواب الواجب ، والنصب بها على إضمار « أن » .  
قال طرفة :

لنا هَضْبَةٌ لَا يَنْزِلُ النَّهْلُ وَسَطَهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا الْمُسْتَجِيرُ فَيْعَصَمَا  
فنصب بالفاء على الجواب .

وقال آخر :

سَأَتْرُكُ مَنَزْلِي لِبْنِي تَمِيمٍ وَالْحَقُّ بِالْحَجَّازِ فَاسْتَرِيحَا  
وقطعُ ألف الوصل لأنه زيادة حركة ، والجزم بحرف وحرفين ، وأكثر من  
ذلك ، وقد مضى فيما تقدم من هذا الكتاب .

وزيادة حرف في المجموع نحو قول الشاعر :

تَنَفَّى يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ نَفَى الدَّرَاهِمِ تَفْقَادُ الصَّيَارِفِ  
فزيادة في « الدراهم » وياه في « الصيارف » إن لم تكن الرواية تختلف ،  
على أن الدراهم لا يضطر فيها إلى زيادة الياء ؛ إذ كان الوزن يقوم دونها ،  
وإن قيل في بعض اللغات « دِرْهَام » .

وله على مذاهب الكوفيين خاصة مد المقصور ، وقد أزم ابن ولاد  
البصريين مده على مذهب سيبويه في امتناع الحركة

ويجوز له التقديم والتأخير ، كما قال العجّير السّلولي :

وما ذاك إن كان ابنُ عمي ولا أخى ولكن متى ما أملك الضرَّ أنفعُ

بالرفع ، أراد وليكن أنفع متى ما أملك الضر ، ولا أدري ما الفرق بين هذا وبين \* إن يُضْرَع أخوك تصرع \* حيث فرقوا بينهما <sup>(١)</sup> غير أنا نسلم لهم كما سلم من هو أثقب منا حسا وأذكى خاطرا

وقال عمرو بن قتيبة :

لمسأت سائدا ما استعبرتُ الله درُّ اليومَ مَنْ لَامَهَا  
وهذه أشياء من القرآن وقعت فيه بلاغة وإحكاما لا تصرفا وضرورة ، وإذا وقع مثلها في الشعر لم ينسب إلى قائله عجز ولا تقصير ، كما يظن من لا علم له ولا تفتيش عنده :

من ذلك أن يذكر شيئين ثم يخبر عن أحدهما دون صاحبه اتساعا ، كما قال الإخبار  
الله عز وجل : ( وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها ) . أو يجعل الفعل لأحدهما عن واحد  
ويشرك الآخر معه ، أو يذكر شيئا فيقرن به ما يقاربه ويناسبه ولم يذكره ، من اثنين  
كقوله تعالى في أول سورة الرحمن : ( فبأى آلاء ربكما تكذبان ) وقد ذكر الإنسان قبل هذه الآية دون الجان ، وذكر الجان بعدها .

وقال المتنبي العبدى :

فما أدري إذا يمت أرضا أريد الخير أئيمًا يلى  
الخير الذى أما أبتغيه أم الشر الذى هو يبتغى  
فقال « أئيمًا » قبل أن يذكر الشر ؛ لأن كلامه يقتضى ذلك .

وأن يعدف جواب القسم وغيره ، نحو قوله عز وجل : ( ق والقرآن المجيد ، حذف  
بل عجبا أن حدهم مندرهم ) وقوله : ( والنازعات غرا ) إلى قوله : ( يوم حواب القسم  
ترجف الراجعة ) فلم يأت بحواب ؛ لدلالة الكلام عليه ، وقال عز وجل : وغيره

(١) قد عرفت بما علمناه لك عن سبويه أن يخرجهما في العربية واحد ، ولا محل لما قال .

( ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوفٌ رحيم ) أراد « لعذبكم » أو نحوه  
ومن هذا قول امرئ القيس :  
ولو أنها نفسٌ تموتُ جميعَةً      ولسكنها نفسٌ نسأقطُ أنفسا  
وقد تقدم ذكره .

ومن ذلك إضمار ما لم يذكر كقوله جل اسمه : ( حتى توارت بالحجاب )  
يعنى الشمس ، وقوله : ( فائِزن به نقعاً ) ولم يجر للوادي ذكر  
وقال حاتم طيء :

إضمار  
ما لم يجر  
له ذكر .

أماوى ، ما يغنى الثراء عن النقى      إذا حشرت يَوْمَ مَاضٍ قَبَها الصُّدُورُ ؟  
يعنى النفس ، وأنشد ابن قتيبة عن الفراء :  
إذا نُهِىَ السَّفِيه جَرى إِلَيْهِ      وخالف ، والسفيه إلى خلاف  
يعنى « جرى إلى السَّفِيه »

وحذف « لا » من الكلام وأنت تريدُها ، كقوله تعالى ( كَجَيزٍ بَعْضُكُمْ  
لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ ) وزيادة « لا » في الكلام كقوله سبحانه ( وما يشعركم  
أنها إذا جاءت لا يؤمنون ) فزاد « لا » لأنهم لا يؤمنون ، هذا قول ابن قتيبة ،  
وقال جل اسمه : ( ما منعك أن لا تسجدَ ) أى : ما منعك أن تسجدَ ، قال :  
وإنما تزداد « لا » في الكلام لإباء أو جَعْد ، وقال : ( لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ  
أن لا يقدرُونَ على شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ) أى : ليعلمَ .  
وقال أبو النجم :

\* فما ألوم النجم أن لا تسهرا \*

يريد « أن تسهرا » .

وحذف المنادى كقوله تعالى : ( ألا يا اسجدوا لله ) كأنه قال « ألا يا هؤلاء  
اسجدوا لله » وقال ذو الرمة في مثل ذلك :

حذف  
المنادى

الا ياسلمى يا دارمى على البلى ولا زال مُنْهَلًا بِجَزَعَانِكَ الْقَطَر

وأن يخاطب الواحد بخطاب الاثنين والجماعة ، أو يخبر عنه ، كقوله تعالى : خطاب الواحد  
( إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجرات ) وإنما كان رجلاً واحداً ، وقوله ( ألقيا  
في جهنم ) وإنما يخاطب مالكا خازن النار ، وقيل : بل أراد ألقى ألقى ، فنفى<sup>(١)</sup>  
الفعل ، وقوله : ( فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ) فخاطب الاثنين بخطاب  
الواحد ، وقوله : ( فقد صَعَتْ قلوبكما ) وقوله : ( وألقى الألواح ) وهما لوحان  
فيما زعم المفسرون ، حكاه ابن قتيبة ؛ وأن يصف الجماعة بصفة الواحد كقوله :  
( وإن كنتم جُنُبًا ) .

ومن غرائب هذا الباب أن يأتي المفعول بلفظ الفاعل ، كقوله تعالى : عصى المفعول  
بلفظ الفاعل وعكسه  
( لا تعصم اليوم من أمر الله ) أى : لا معصوم ، وكذلك قوله : ( من ماء دافق )  
أى : مذقوق ، وقوله : ( فى عَيْشَةٍ راضية ) أى : مَرْضِي بها ، وقوله : ( وجعلنا  
آية النهار مُبَيِّرة ) أى : مُبَصِّرٌ فيها ، وأن يأتي الفاعل بلفظ المفعول به كقوله  
تعالى : ( إنه كان وعده مَأْنِيًّا ) أى آتِيًا .

وقد جاء الخصوص فى معنى العموم فى قوله تعالى : ( يا أيها النبي إذا طلقتم النساء )  
وجاء العموم بمعنى الخصوص فى قوله : ( يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً )  
ومن الحمل على المعنى قوله تعالى : ( وكذلك زين لكثير من المشركين  
فَتَلْ أولادهم شركاؤهم ) كأنه قيل : مَنْ زينه ؟ فقيل : شركاؤهم .

والحمل على المعنى فى الشعر كثير ، ومن أنواعه التذكير والتأنيث ، ولا يجوز  
أن تؤنث مذكراً على الحقيقة من الحيوان ، ولا أن تذكر مؤنثاً .

(١) ودل : الألف هى نون التوكيد الخفيفة ، عاملها فى الوصل معاملتها فى  
الوقف ، وإنما فى هذا الموضوع بحث طويل ووجوه كثيرة من الاستدلال فى شرحنا  
على العلاقات .

قال ابن أبي ربيعة المخزومي :

فكان مجننىً دون من كنت أتقى ثلاثُ شُخُوصٍ كاعبان ومُعَصِرُ  
فأنث الشخوص على المعنى . وكل جمع مكسر جائز تأنيثه وإن كان  
واحدةً مذكراً حقيقياً .

ومما أنث من المذكر خلا على اللفظ قول الشاعر ، أنشدته الكسائي :  
أبوك خليفة وَلَدَتُهُ أُخْرَى وأنت خليفة ، ذاك السكالي  
ومثل هذا في الشعر كثير موجود .

#### ٩٩ — باب السرقات ، وماشا كلها

وهذا باب متسع جداً ، لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعى السلامة منه ،  
وفيه أشياء غامضة ، إلا عن البصير الحاذق بالصناعة ، وآخر فاضحة لا تخفى على  
الجاهل المغفل ، وقد أتى الخاتمي في «حلية المحاضرة» بألقاب محدثة تدبرتها ليس لها  
محصول إذا حققت : كالاصطراف ، والاجتلاب ، والانتحال ، والاهتدام ،  
والإغارة ، والمرافدة ، والاستلحاق ، وكلها قريب من قريب ، وقد استعمل  
بعضها في مكان بعض ، غير أني إذا كررها على ما خيلت فيما بعد .

لا يدعى  
السلامة منه  
أحد

وقال الجرجاني — وهو أصح مذهبا ، وأكثر تحقيقا من كثير ممن نظروا في  
هذا الشأن — : ولست تعد من جهابذة الكلام ، ولا من نُقَادِ الشعر ، حتى تميز  
بين أصنافه وأقسامه ، وتحيط علما برتبة ومنازله ، فتفصل بين السَّرَقِ والغصب  
وبين الإغارة والاختلاس ، وتعرف الإلمام من الملاحظة ، وتفرق بين المشترك  
الذي لا يجوز ادعاء السرقة فيه واللبتذل الذي ليس واحد أحقَّ به من الآخر ،  
وبين المختص الذي حازه المبتدئ فليسكه واجتباؤه السابق فاقطعه .

رأى  
الجرجاني

قال عبد الكريم : قالوا : السَّرَقُ في الشعر ما نقل معناه دون لفظه ، وأبعد

السرقة عند  
عبد الكريم



فى أخذه ، على أن من الناس من بعد ذهنه إلا عن مثل بيت امرئ القيس وطرفة<sup>(١)</sup> حين لم يختلفا إلا فى القافية ؛ فقال أحدهما « وتحمل » ، وقال الآخر « وتجلد » ومنهم من يحتاج إلى دليل من اللفظ مع المعنى ، ويكون الغامض عندهم بمنزلة الظاهر ، وهم قليل .

والسرقة أيضاً إنما هو فى البديع الخترع الذى يختص به الشاعر ، لافى المعانى للمشركة التى هى جارية فى عاداتهم ومستعملة فى أمثالهم ومحاوراتهم ، مما ترتفع الظنة فيه عن الذى يؤرده أن يقال إنه أخذه من غيره .

قال : واتكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز ، وتركة كل معنى سبق إليه جهل ، ولكن المختار له عندى أوسط الحالات .

وقال بعض الخذاق من المتأخرين : من أخذ معنى بلفظه كما هو كان سارقاً ، فإن غيّر بعض اللفظ كان ساعياً ، فإن غير بعض المعنى ليخفيه أو قلبه عن وجهه كان ذلك دليل حذقه .

وأما ابن وكيع فقد قدم فى صدر كتابه على أبى الطيب مقدمة لا يصح لأحد معها شعر إلا الصدر الأول إن سلم ذلك لهم ، وسماه « كتاب المنصف » مثل ماسمى اللدين سليمان ، وما أبعد الإنصاف منه .

والاصطراف : أن يعجب الشاعر ببيت من الشعر فيصرفه إلى نفسه ، فإن الاصطراف

(١) هما بيتان متشابهان وقعا فى معلقى امرئ القيس وطرفة بن العبد : أما بنت امرئ القيس فقوله :

وقوفا بها صحبى على مطيهم يقولون : لا تهلك أسى وتحمل

وأما بيت طرفة فقوله :

وقوفا بها صحبى على مطيهم يقولون : لا تهلك أسى وتجلد

فأنت ترى أن البيتين لم يختلفا إلا فى القافية كما حكى المؤلف .

بقية أنواع  
السرقه

صرفه إليه على جهة المثل فهو اختلاب واستلحاق ، وإن ادعاه جملة فهو انتحال ، ولا يقال «منتحل» إلا لمن ادّعى شعراً لغيره وهو يقول الشعر ، وأما إن كان لا يقول الشعر فهو مُدّع غير منتحل ، وإن كان الشعر لشاعر أخذ منه غلبة فتلك الإغارة والغصب ، وبينهما فرق أذكره في موضعه إن شاء الله تعالى ، فإن أخذه هبة فتلك المرافدة ، ويقال : الاسترفاد ، فإن كانت السرقه فيما دون البيت فذلك هو الاهتدام ، ويسمى أيضاً النسخ ، فإن تساوى المعنيان دون اللفظ وخفي الأخذ فذلك النظر والملاحظة ، وكذلك إن تضادا ودل أحدهما على الآخر ، ومنهم من يجعل هذا هو الإلمام ، فإن حول المعنى من نسيب إلى مديح فذلك الاختلاس ، ويسمى أيضاً نقل المعنى ، فإن أخذ بنية الكلام فقط فتلك الموازنة ، فإن جعل مكان كل لفظة ضدها فذلك هو العكس ، فإن صح أن الشاعر لم يسمع بقول الآخر — وكانا في عصر واحد — فتلك الموارد ، وإن ألف البيت من أبيات قد ركب بعضها من بعض فذلك هو الالتقاط والتلفيق ، وبعضهم يسميه الاجتذاب والتركب ، ومن هذا الباب كشف المعنى والمحدود من الشعر ، وسوء الاتباع ، وتقصير الأخذ عن المأخوذ منه ، وسأورد عليك مما رويته أو تأدى إلى فهمه لكل واحد من هذه الألقاب مثالا يعرفه العالم ، ويقتدى به المتعلم ، إن شاء الله تعالى .

الاصطراف على ضربين أما الاصطراف فيقع من الشعر على نوعين : أحدهما : الاجتلاب ، وهو الاستلحاق أيضاً كما قدمت ، والآخر : الانتحال ؛ فأما الاجتلاب فنحو قول النابغة الذبياني :

وصهباء لا تخفي القذى وهو دونها      تصفق في راووقها حين تقطب  
تمزرتها والديك يدعو صباحه      إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا

فاستلحق البيت الأخير فقال

وإجانة رّيا السرور كأنها إذا غمست فيها الزجاجة كوكب  
تمزنتها والديك يدعو صباحه إذا ما بنو نعش دَنُوا فَتَصَوَّبُوا  
وربما اجتلب الشاعر البيتين على الشريطة التي قدمت ؛ فلا يكون في ذلك  
بأس ، كما قال عمرو ذو<sup>(١)</sup> الطوق :

صددت الكأسَ عنا أمَّ عمرو وكان الكأسُ مجراه اليمين  
وما شرُّ الثلاثة أمَّ عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا  
فاستلحقهما عمرو بن كلثوم ؛ فهما في قصيدته ، وكان عمرو بن العلاء وغيره  
لا يرون ذلك عيباً ، وقد يصنع المحدثون مثل هذا .

قال زياد الأعجم :  
أشتم إذا ما جئت للعرف طالبا حباك بما تحوى عليه أنامله  
ولم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتنق الله سائله  
ويروى هذا لأخت يزيد بن الطثري ، واستلحق البيت الأخير أبو تمام فهو  
في شعره .

وأما قول جرير للفردق وكان يرميه بانتحال شعر أخيه الأخطل بن غالب :  
ستعلم من يكون أبوه قيناً ومن كانت قصائده اجتلاباً  
فإنما وضع الاجتلاب موضع السرقة والانتحال لضرورة القافية ، هكذا ذكر  
العلماء من هؤلاء المحدثين ، وأما الجحى فقال : من السرقات ما يأتي على سبيل  
للمثل ليس اجتلاباً ، مثل قول أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي :  
تلك المسكارم لا قعبان من لبن شيباً بماء فعاداً بعد أنوالاً .  
ثم قاله بعينه النابغة الجعدي لما أتى موضعه ، فبنو عامر ترويه للجعدي ، والرواة  
يجمعون أنه لأبي الصلت ؛ فقد ذهب الجحى في الاجتلاب مذهب جرير أنه انتحال ،  
ولم أر محدثاً غيره يقول هذا القول .

والانتحال عندهم قول جرير :

الانتحال

(١) هو عمرو بن عدى ، ابن رقاش أخت جذيمة الأبرش .

إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِبَلْبِكَ غَادَرُوا      وَشَلَّاءَ بِعَيْنِكَ لَا يَزَالُ مَعِينًا  
عَيْضُنَ مِنْ عَيْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَا لِي :      ماذا لقيتَ من الهوى ولقيتنا ؟  
فإن الرواة مجمعون على أن البيتين المملوطين السعدي اتحلها جرير ، وانتحل  
أيضاً قول طفيل الغنوي :

ولما التقى الحَيَّانِ أَلْقَيْتِ النَّصَى      وماتَ الهوى لما أصيبت مقاتله  
ولذلك قال الفرزدق :

إِنَّ تَذَكُّرًا كَرَّمِي بِلُؤْمِ أَبِيكُمْ      وَأَوَابِدِي تَتَنَحَّلُوا الْأَشْعَارَا  
وكانا يتقارضان الهجاء ، ويعكس كل واحد منهما المعنى على صاحبه ، وليس  
ذلك عيباً في المناقضات ، ولما قال الفرزدق في بني ربيع :

تمنت ربيع أن يحيى صغارها      بخير ، وقد أغيا ربيعا كبارها  
أحذه البعيثُ بعينه في بى كليب رهط جرير فقال الفرزدق :  
إذا ما قلتُ قافيةً شروداً      تنحلها ابنُ حمراءِ العجبانِ  
يعنى البعيث ؛ وكان ابنُ سُريّة .  
وأما قول البحتري :

رَمَتْنِي غَوَاةُ السَّعْرِ مِنْ بَيْنِ مَفْخَمٍ      وَمُنْتَحِلٍ مَالِمْ يَقْتُلُهُ وَمُدْعَى  
فيشهد لك بما قدمت ذكره ؛ لأنه قسمهم ثلاثة أقسام : مفخم قد تجز عن  
الكلام فصلا عن التحلى بالشعر غير أنه يدبغ الشعراء ؛ والآخر منتحل لأجود من  
شعره ، والثالث مدع جملة لا يحسن تديثا .

والإغارة : أن يصنع الشاعر بيتا ويخترع معنى مليحاً فينأوله مَنْ هو أعظم  
منه ذكراً وأبعد صوناً ، فيروى له دون فائله ، كما فعل الفرزدق بحميل وقد  
سمعه يمدح .

الإغارة

تَرَى النَّاسَ مَا سَرُّنَا بِسَيْرُونِ خَلَقْنَا      وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا

فقال : متى كان المثلث في بني عذرة ؟ إنما هو في مضر وأنا شاعرها ، فغلب الفرزدق على البيت ، ولم يتركه جميل ولا أسقطه من شعره .

وقد زعم بعض الرواة أنه قال له : تجاف لي عنه ، فتجافى جميل عنه ، والأول أصح ؛ فما كان هكذا فهو إغارة ، وقوم يرون أن الإغارة أخذ اللفظ بأسره والمعنى بأسره ، والسرقة أخذ بعض اللفظ أو بعض المعنى ، كان ذلك لمعاصر أو قديم .

النصب

وأما الغصب فنقل صنيعه بالسرذل اليربوعي ، وقد أنشد في محفل :

فما بين من لم يُعطِ سَمْعاً وطاعةً وبين تميم غنير حَزَّ الحلاقم

فقال الفرزدق : والله لتدع عنه أولئذ عن عرضك ، فقال : خذ لا بارك الله لك فيه .

وقال ذو الرمة بحضرته : لقد قلت أبياتاً ، إن لها لعروضاً وإن لها لمراداً ومعنى

بعيداً ، قال : وما قلت ؟ فقال : قلت :

أحينَ أعاذتُ بي تميمَ نساءها وجُرِّدتُ تجريدَ ألياني من الغمدي

ومدَّتْ بَصْبَعِي الرِّبابُ ومالكٌ وعمرٌ ووسالتُ<sup>(١)</sup> من ورأى بنو سَعْدِ

ومن آل يربوع زهاء كانه دجى الليل محمود النكايه والرقد

فقال له الفرزدق : إياك وإياها لا تعودن إليها ، وأنا أحق بها منك ، قال :

والله لا أعود فيها ولا أنشدها أبداً إلا لك

وسمعت بعض المشايخ يقول : الاضطراب في شعر الأموات كالإغارة على

شعر الأحياء ، إنما هو أن يرى الشاعر نفسه أولى بذلك الكلام من قائله .

(١) في الديوان « وشالت » وبعد الأبيات الثلاثة التي رواها المؤلف قوله :

تمنى ابن راعي الإبل شتمى ، ودونه معاقل صعبات طوال على العبد

معاقل لو أن التميرى رامها رأى نفسه فيها أذل من القرد

للمرافدة

وأما المرافدة فإن يعين الشاعر صاحبه بالأبيات يهبها له ، كما قال جرير لذي الرمة : أنشدني ما قلت لهشام المرئي<sup>(١)</sup> ، فأنشده قصيدته :

نَبَتْ عَيْنَاكَ عَنْ طَلَلٍ بِحُزْوَى      تَحْتَهُ الرِّيحُ وَامْتَنَحَ الْقَطَارَا  
فَقَالَ : أَلَا أَعَيْنَكَ ؟ قَالَ : بَلَى بِأَبَى وَأُمَى ، قَالَ : قُلْ لَهُ :

يَعُدُّ النَّاسِبُونَ إِلَى تَمِيمٍ      بُيُوتَ الْمَجْدِ أَرْبَعَةً كِبَارًا  
يَعُدُّونَ الرَّبَابَ وَآلَ سَعْدٍ      وَعَمْرًا ثُمَّ حَنْظَلَةَ الْخِيَارَا  
وَيَهْلِكُ بَيْنَهَا الْمُرِيُّ لَغَوَا      كَمَا أَلْغَيْتَ فِي الدَّيَةِ الْحَوَارَا

فلقيه الفرزدق فاستنشدته ، فلما بلغ هذه قال : جيد ، أعده ، فأعاده ، فقال : كلا والله ، لقد علمك من هو أشد لحيتين منك ، هذا شعر ابن المرافدة . واسترشد هشام المرئي جريراً على ذي الرمة فقال في أبيات :

يُمَاشِي عَدِيًّا لَوْمَهَا مَا تَجْنِهُ      مِنَ النَّاسِ مَا مَاشَتْ عَدِيًّا ظِلَالُهَا  
فَقُلْ لِعَدِيٍّ تَسْتَعْنُ بِدَسَائِهَا      عَلَى فَقْدِ أَعْيَا عَدِيًّا رَجَالُهَا  
أَذَا الرَّمِّ ، قَدْ قُلْتُ قَوْمَكَ رَمَةً      بِطَيْفِكَ بِأَيْدِي الْعَاقِدِينَ انْجِلَاحُهَا

ويروى \* بأيدي المطلقين \* فقال ذو الرمة لما سمعها : يا ويلتنا ، هذا والله شعر حنظلي ، وغلب هشام على ذي الرمة بعد أن كان ذو الرمة مستمعاً عليه . وقد استرشد نابغة بني ذبيان زهيراً فأمر ابنه كعباً فرفده .

والشاعر يستوهب البيت والبيتين والثلاثة وأكثر من ذلك ، إذا كانت

(٢) في الأصول « المرى » وهو خطأ ، وصوابه « المرئي » كما أثبتناه ، وهشام أحد بني امرئ القيس بن سعد مناة ، هذا ، ورواية الديوان ( ص ٣٣ ) في البيت الثاني \* يعدون الرباب لهم وعمرا \* وسعدا ثم . . . ورواية البيت الثالث في غير هذا الكتاب \* ويسقط منها المرئي . . . \*

شبيهة بطريقته ، ولا يعد ذلك عيباً ؛ لأنه يقدر على عمل مثلها ، ولا يجوز ذلك إلا للحاذق المبرز .

الاهتمام

والاهتمام نحو قول الفجاشي :

وكنت كذبي رجلين رجل صحيحه      ورجل رمت فيها يدُ الخلدان  
فأخذ كثير القسم الأول واهتمد باقي البيت فجاء بالمعنى في غير اللفظ ، فقال :  
\* ورجل رمتي فيها الزمانُ فشلت \*  
والاهتمام بالملاحظة فمثل قول مهمل :

النظر  
وللملاحظة

أنبضوا معجس القسي وأبرقنا كما تواعد الفحولُ الفحولاً  
نظر إليه زهير بقوله :

يطعمهم ما ارتموا حتى إذا أطمعوا      ضارب حتى إذا ماضوا بوا اعتنقاً  
وأبو ذؤيب بقوله :

ضروبٌ لهامات الرجال سيفه      إذا حنَّ تبعم بينهم وشريح  
والإلمام : ضرب من النظر ، وهو مثل قول أبي الشيص :

الإلمام

\* أجد الملامة في هواك لذيدة \*

وقول أبي الطيب :

\* أحبه وأحب فيه ملامة \*

البيت ، وقد تقدم <sup>(١)</sup> ذكرهما في التفخير .

الاختلاس

وأما الاختلاس فهو قول أبي نواس :

ملك تصوّر في القلوب مثاله      فكأنه لم يخجل منه مكان  
اختلسه من قول كثير :

(١) انظر ( ص ١٠٣ ) من هذا الجزء ، وفيها تمام بيت أبي الشيص وللتنبى .

أريدُ لأُنسى ذِكْرَها فكأنَّما تَمَثَّلُ لي لَيْلَى بَكلِّ سَبيلٍ  
وقولُ عبدِ اللهِ بنِ مصعبٍ :  
كَأَنَّكَ كُنْتَ مُحْتَكَا عَلَيْهِمُ تَخَيَّرُ فِي الْأَبْوَةِ مَا تَشَاءُ  
ويروى \* كَأَنَّكَ جِئْتَ مُحْتَكَا عَلَيْهِمُ \* اختلسه من قول أبي نواس :  
خُلِّيتُ وَالْحُسْنَ تَأْخُذُهُ تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ  
فَاكْدَسَتْ مِنْهُ طَرَائِفُهُ ثُمَّ زَادَتْ فَضْلَ مَا تَهَبُ  
أردت البيت الأول .

ومن هذا النوع قولُ امرئ القيس :  
إِذَا مَا رَكِبْنَا قَالَ وَلَدَانُ حَيِّنَا تَعَالَوْا إِلَى أَنْ يَأْتِنَا الصَّيْدُ نَحْطُبُ<sup>(١)</sup>  
نقله ابن مقبل إلى القدح فقال :  
إِذَا امْتَحَنَتْهُ مِنْ مَعْدِي عَصَابَةٌ عِدَارِيَّةٌ<sup>(٢)</sup> قَبْلَ الْإِفَاضَةِ يَقْدَحُ  
نقله ابن المعتز إلى البازي فقال :  
قَدْ وَثِقَ الْقَوْمُ لَهُ بِمَا طَلَبُ فَهُوَ إِذَا عَرَى لَصِيدًا وَاضْطَرَبَ  
\* عَرَوْا سَكَ كَيْنَهُمْ مِنْ الْقُرْبِ<sup>(٣)</sup> \*

نقلته أنا إلى قوس البندق فقلت :  
طَيْرُ أَبَابِيلُ جَاءَ تَنَاقُمًا بَرَحَتْ إِلَّا وَأَقْوَانَا الطَّيْرُ الْأَبَابِيلُ  
تَرْمِيهِمْ بِحَصَى طَيْرٍ مُسَوِّمَةٍ كَأَنَّ مَعْدِنَهَا لِلرَّمَى سَجَّيلُ  
تَعْدُو عَلَى ثِقَةٍ مِنْهَا بِأَطْيَبِهَا فَالنَّارُ تَقْدَحُ وَالطَّنَجِيرُ مَنَسُولُ  
والموازنة مثل قول كثير :

الموازنة

تَقُولُ مَرَضْنَا فَمَا عُدَّتْنَا وَكَيْفَ يَمُودُ مَرِيضٌ مَرِيضًا  
وازن في القسم الآخر قول نابغة بنى تغلب :

(١) في الديوان « ولدان أهلنا » . (٢) في نسخة « غذارية » .

(٣) في ديوان ابن المعتز ( ٤ / ٧ ) « فهو إذا جلى » وفي نسخة منه « فهو إذا جلى » وفي نسخة في ثالث هذه الأبيات « سلوا سكا كينهم » .



بَحَلْنَا لُبْخَلِكِ قَدْ تَعْلَمِينَ وَكَيْفَ يَعِيبُ بَحِيلُ بِحِيلًا؟

والعكس قول ابن أبي قيس ، و يروى لأبي حنص البصرى :  
ذهب الزمان برهط حسان الأولى كانت مناقبهم حديث الغابر  
وبقيت في خلف يحل ضيوفهم منهم بمنزلة اللثيم الفادر  
سود الوجوه لثيمة أحسابهم فطس الأنوف من الطراز الآخر  
وقد عاب ابن وكيع هذا النوع بقلة تمييز منه أو غفلة عظيمة .

وأما الموارد فقد ادعاها قوم في بيت امرئ القيس<sup>(١)</sup> وطرفة ، ولا أظن  
هذا مما يصح ؛ لأن طرفة في زمان عمرو بن هند شاب حول العشرين ، وكان  
امرؤ القيس في زمان المنذر الأكبر كهلا واسمه وشعره أشهر من الشمس ؛  
فكيف يكون هذا موارد ؟ إلا أنهم ذكروا أن طرفة لم يثبت له البيت ، حتى  
استحلف أنه لم يسمعه قط خلف ، وإذا صح هذا كان موارد ، وإن لم يكونا  
في عصر ، وسئل أبو عمرو بن العلاء : رأيت الشاعر ينبتان في المعنى ويتواردان  
في اللفظ لم يلق واحد منهما صاحبه ولم يسمع شعره ؟ قال : تلك عقول رجال توافت  
على ألسنتها ، وسئل أبو الطيب عن مثل ذلك فقال : الشعر جادة ، وربما وقع  
الحافر على موضع الحافر .

والا لتقاط والتلفيق فمثل قول يزيد بن الطثرية :  
إذا مارآنى مُقبلاً غَضَّ طرفه كأن شعاع الشمس دونى يقابله  
فأوله من قول جميل :

إذا ما رأوتى طالعا من ثنية يقولون: من هذا؟ وقد عرفوني

(١) ذكرناها أول الباب فانظر ( ص ٢٨١ ) من هذا الجزء .  
( ١٩ - العمدة ٢ )

ووسطه من قول جرير :  
فَنُضِّ الطَّرْفَ لِمَنكَ مِنْ نَمَيرٍ      فَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كَلَابًا  
ومجزه من قول عنتره الطائي<sup>(١)</sup> :

إذا أبصرتني أعرضت عني      كأن الشمس من حولي تدورُ  
فأما كَشَفُ المعنى فنحو قول امرئ القيس :  
نَمَشُ بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ أَكَفْنَا      إذا نحن قمنا عن شواء مضهب  
وقال عبدة بن الطيب بعده :

ثُمَّ قَمْنَا إِلَى جُرْدٍ مُسَوِّمَةٍ      أَعْرَافِهِنْ لِأَيْدِينَا مَنَادِيلُ  
فكشَفُ المعنى وأبرزه .

كشَفُ  
المعنى

وأما المجدود من الشعر فنحو قول عنتره العبسي :

الشعر المجدود

\* وَكَمَا عَلِمْتَ شِمَائِلِي وَتَسْكَرْمِي \*<sup>(٢)</sup>

رزق جدا واشتهاراً على قول امرئ القيس :

وشمائي ما قد علمت ، وما      نَبَحَتْ كِلَابُكَ طَارِقًا يَمِثْلِي

ومنه أخذ عنتره ، والمخترع معروف له فضله ، متروك له من درجته ،  
غير أن المتبع إذا تناول معنى فأجاده - بأن يختصره إن كان طويلاً ، أو  
يبسطه إن كان كزاً ، أو يبينه إن كان غامضاً ، أو يختار له حسن الكلام إن  
كان سَفْسَافاً ، أو رشيق الوزن إن كان جافياً - فهو أولى به من مبتدعه ،  
وكذلك إن قلبه أو صرفه عن وجه إلى وجه آخر ، فأما إن ساوى المبتدع

مق يكون  
الآخذ أولى  
بالمعنى ؟

(١) هو عنتره بن عكبرة الطائي ، وهي أمه ، وأبوه الأخرس بن ثعلبة : فارس

شاعر ، ذكره الآمدي في المؤلفات والمختلف .

(٢) صدره \* وإذا صحوت فما أقصر عن ندى \*

فله فضيلة حسن الاقتداء لا غيرها ، فإن قصر كان ذلك دليلا على سوء طبعه ، وسقوط همته ، وضعف قدرته .

فما أجاد فيه المتبع على المبتدع قول الشماخ :  
إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي عَرَابَةً فَأَشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ  
فقال أبو نواس :

أَقُولُ لِنَاقَتِي إِذَا بَلَغْتَنِي لَقَدْ أَصْبَحْتِ مِنِّي بِالْيَمِينِ  
فَلَمْ أَجْعَلْكَ لِلْعَرَبَانِ نَحْلًا وَلَا قَلْتُ «أَشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ»  
وكرره فقال :

وَإِذَا أَلْمَطْتُ بَنَّا بَلَغْنَ مُحَمَّدًا فظهورهنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامٌ  
قَرَّةً بَنَانًا مِنْ خَيْرِ مَنْ وَطِئَ الْخَصِي فَلَهَا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وَذِمَامٌ  
ومما يتساوى فيه السارق والمسرور منه قول امرئ القيس \* فلو أنها  
نفس<sup>(١)</sup> \* البيت ، وقول عبدة بن الطيب \* فما كان قيس<sup>(٢)</sup> \* البيت .

وسوء الاتباع أن يعمل الشاعر معنى رديا ولفظا رديا مستهجنًا ثم يأتي من  
بعده فيتبعه فيه على رداءته ، نحو قول أبي تمام :

بَاشَرْتُ أَسْبَابَ الْغَنَى بِمَدَائِحِ ضَرَبْتُ بِأَبْوَابِ الْمُلُوكِ طُوبُولًا  
فقال أبو الطيب :

إِذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيْفًا لِلدَّوْلَةِ فِي النَّاسِ بُوقَاتُ لَهَا وَطُوبُولُ

(١) هذه قطعة من بيت سبق ذكره مرارا ، وهو بتمامه :

فلو أنها نفس تموت جميعا ولكنها نفس تساقط أنفسا

(٢) هذه قطعة من بيت ، وهو بتمامه :

فما كان قيس هلكه هلاك واحد ولكنه بنيان قوم تهتما

وسبق ذكره مرارا أيضا .

فسرق هذه اللفظة لثلاث نفوته .

ومما قصر فيه الآخذ عن المأخوذ منه قول أبي دهل الجمحي في معنى بيت الشماخ:

يَانَاقُ سِيرِي وَأَشْرُقُ بِدِيمِ إِذَا جُشْتِ الْمُغِيرَةُ

سَيُثْبِتُنِي أُخْرَى سِوَاكَ ، وَتَلْكَ لِي مِنْهُ بِسِيرِهِ

فَأَنْتَ تَرَى أَيْنَ بَلَغْتَ هَمَّتَهُ ؟؟

ومما يعد سرقا وليس بسرَق اشتراك اللفظ المتعارف كقول عنتره :

وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِخَيْلٍ عَلَيْهَا الْأُسْدُ تَهْتَصِرُ اهْتِصَارَا

وقول عمرو بن معدى كرب :

وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِخَيْلٍ تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجَمِيعُ

وقول الخنساء ترفى أخاها صخرأ :

وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِخَيْلٍ فَدَارَتْ بَيْنَ كَبْشَيْهَا رَحَاهَا

ومثله :

وَخَيْلٍ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِخَيْلٍ تَرَى فُرْسَانَهَا مِثْلَ الْأَسْوَدِ

وأمثال هذا كثير .

وكانوا يقضون في السرقات أن الشاعرين إذا ركباهما كان أولاهما به أقدمهما

أولى الشاعرين

موتا ، وأعلامهما سنا ، فإن جمعهما عصر واحد كان ملحقا بأولاهما بالإحسان ،

بالمعنى

وإن كانا في مرتبة واحدة روى لهما جميعا ، وإنما هذا فيما سوى المختص الذي

حازه قائله ، واقتطعه صاحبه ، ألا ترى أن الأعشى سبق إلى قوله :

وَفِي كُلِّ عَالِمٍ أَنْتَ جَائِشٌ مُغْزَوٌ تَشُدُّ لَأَقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَا<sup>(١)</sup>

مُورَثَةٌ مَجْدًا ، وَفِي الْأَصْلِ رِفْعَةٌ لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرْوٍ نَسَائِكَا<sup>(٢)</sup>

(١) روى أبو عبيدة \* ... حاشم رحلة \*

(٢) في الديوان ( ص ١٢ ) \* مورثة مالا وفي المجد ... \* وروى أبو

عبيدة \* ... وفي الذكر رفعة \* ولو ضاع ....

فأخذه النابغة فقال :

شُعْبُ الْمَلَأَفِيَّاتِ بَيْنَ فُرُوجِهِمْ وَالْمُحْصَنَاتِ عَوَازِبُ الْأَطْهَارِ<sup>(١)</sup>  
و بيت النابغة خير من بيت الأعشى باختصاره ، وبما فيه من المناسبة بذكر  
الشعب بين الفروج وذكره النساء بعد ذلك ، وأخذه الناس من بعده ، فلم يعلبه  
على معناه [ أحد ] ، ولا شاركه فيه ، بل جعل مقتدياً تابعاً ، وإن كان مقدماً  
عليه في حياته ، وسابقاً له بماته .

وقال أوس بن حجر :

كَأَنَّ هَرَا جَنِيْبًا عِنْدَ غَرَضَتِهَا وَالتَفَ دِيكَ رَجُلِيهَا وَخَزِيرُ  
فلم يقربه أحد ، وكذلك سائر المعاني المفردة والتشبيهات المغمى تجرى  
هذا المجرى .

وأجل السرقات نظم النثر وحل الشعر ، وهذه ملحمة منه . قال نادر نظم النثر  
الإسكندر « حركنا الملك بسكونه » فتناوله أبو العتاهية فقال :  
وحل الشعر

قَدْ آمَرِي حَكِيْتُ لِي غُصَصَ الْمَوْتِ وَحَرَكَتِي لَهَا وَسَكَنَتَا  
وقال أرساطاطا ليس يندبه « قد كان هذا الشخص واعظاً بليغاً ، وما وعظ  
بكلامه عظة قط أبغ من موعظته بسكوته » وقال أبو العتاهية في ذلك :  
وكانت في حياتك لي عِظَاتٌ فَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا  
وقال عيسى عليه السلام : تعملون السيئات وترجون أن يُجَازَوا عليها بمثل  
ما يُجَازَى به أهلُ الحسَنَاتِ ، أجل لا يُجَنَّبِي الشوك من العنب .

(١) شعب : جمع شعبة ، وهى مرج بين أعواد الرجل ، ومن السرج ما بين  
قربوسه ومؤخرته . والعلافيات : رجال منسوبة إلى حى من اليمن اسمه علاف  
(وانظر ص ٢٣٢ السابقة) . والمحصنات : يعنى نساءهم . عوازب : بعيديات . الأطهار :  
جمع طهر . يريد أنهم دائماً على صهوات الخيل فوق السروج أو فوق رجال الإبل ؛  
فلا يشتغلون عن العزو بنسائهم .

فقال ابن عبد القدوس :

إِذَا وَتَرْتِ امْرَأً فَأَخَذَرُ عَدَاوَتَهُ مَنْ يَزْرَعُ الشُّوكَ لَا يَحْصُدُ بِهِ عِنَبًا  
وأخذ الكتاب قولهم « قدمت قبلك » من قول الأقرع بن حابس ،  
ويروى لحاتم :

إِذَا مَا أَتَى يَوْمٌ يُفَرِّقُ بَيْنَنَا يَمُوتُ فَكُنْ أَنْتَ الَّذِي تَتَأَخَّرُ  
وقولهم « وأتم نعمته عليك » من قول عدى بن الرقاع العاملي :  
صَلَّى الْإِلَآهَ عَلَى اسْرِيءْ وَدَعَّاهُ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا  
فما جرى هذا المجرى لم يكن على سارقه جناح عند الخذاق ، وفي أقل  
ما جئت به منه كفاية .

#### (١٠٠) — باب الوصف

أكثر الشعر يرجع إلى الوصف وهو مناسب للتشبيه ، مشتمل عليه ، وليس به ؛ لأنه كثيراً ما يأتي في أضعافه ، والفرق بين الوصف والتشبيه أن هذا إخبار عن حقيقة الشيء ، وأن ذلك مجاز وتمثيل .

أحسن الوصف وأحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثل عياناً للسامع ، كما قال النابغة الجعدي يصف ذئباً افترس جؤذراً :

فَبَاتَ يَذْصَكُمِي بِغَيْرِ حَديدٍ أَخُو قَنْصٍ يَمْسِي وَيَصْبِحُ مَفْطَرًا  
إِذَا مَا رَأَى مِنْهُ كَرَاها تَحَرَّكَتْ أَصَابَ مَكَانَ الْقَلْبِ مِنْهُ وَفَرَفَرَا  
فأنت ترى كيف قام هذا الوصف بنفسه ، ومثل الموصوف في قلب سامعه . قال قدامة : الوصف إنما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات ،

ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني كان أحسنهم وصفاً من أتى في شعره أكثر للمعاني التي الموصوف بها مركب فيها ، ثم بأظهرها فيه ، وأولاها به ، حتى يحكيه ويمثله للحس ببعته .  
وقال بعض المتأخرين : أبلغ الوصف ما قلب السمع بصرًا . وأصل الوصف الكشف والإظهار ، يقال : قد وصف الثوب الجسم ، إذا نم عليه ولم يستره ، ومنه قول ابن الرومي :

إذا وصفت ما فوق بحرٍ وشاحٍ غلايلها ردت شهادتها الأزر  
إلا أن من الشعراء والبلغاء من إذا وصف شيئاً بالغ في وصفه ، وطلب الغاية القصوى التي لا يعدوها شيء : إن مدحا فدحا ، وإن ذما فدما .

والناس يتفاضلون في الأوصاف ، كما يتفاضلون في سائر الأصناف : فمنهم تفاضل الناس من يجيد وصف شيء ولا يجيد وصف آخر ، ومنهم من يجيد الأوصاف كلها في الوصف وإن غلبت عليه الإجابة في بعضها : كأمريء القيس قديما ، وأبي نواس في عصره ، والبحتري وابن الرومي في وقتها ، وابن المعتز ، وكشاجم ؛ فإن هؤلاء كانوا متصرفين مجيدين الأوصاف ، وليس بالحدث من الحاجة إلى أوصاف الإبل ونعوتها ، والفقار ومياهاها ، وحر الوحش ، والبقر ، والظلمان<sup>(١)</sup> ، والوعول ؛ ما بالأعراب وأهل البادية ؛ لرغبة الناس في الوقت عن تلك الصفات ، وعلمهم أن الشاعر إما يتكلفها تكلفا ليجري على سنن الشعراء قديما ، وقد صنع ابن المعتز وأبو نواس قبله ومن شا كلهما في تلك الطرائق ما هو مشهور في أشعارهم : كرائية الحسن في الخصيب ، وجيمية ابن المعتز المردفة في الضرب الثاني من الكامل .

والأولى بنا في هذا الوقت صفات الخمر والقيان وما شا كلهما ، وما كان مناسبا لهما كالسكوروس والقناني والأباريق ، وتفتح التحيات ، وباقات الزهر  
(١) الظلمان : جمع ظليم ، وفي الأصول «والظلمات» وأعتقد أنه تحريف ما أثبت

إلى ما لا بد منه من صفات الحدود ، والقُدود ، والنهود ، والوجوه ، والشعور ،  
والريق ، والثور ، والأرداف ، والخصور ، ثم صفات الرياض والبرك والقصور ،  
وما شا كل المولدين ؛ فإن ارتفعت البضاعة فصفت الجيوش وما يتصل بها من  
ذكر الخيل ، والسيوف ، والرماح ، والدروع ، والقيسي ، والنبل ، إلى نحو ذلك  
من ذكر الطبول ، والبُنود ، والمنحرفات ، والمنجنيقات ، وليس يتسع بنا هذا  
الموضع لاستقصاء ما في النفس من هذه الأوصاف ؛ فحينئذ أدل على مظانها دلالة  
مجملة ، وأذكر بما قل شكله وعز نظيره شواهد وأمثلة يعرف بها المتعلم كيف العمل  
فيها ومن حيث المسلك إليها ، إن شاء الله تعالى .

ذكر شعراء  
اشتهروا في  
وصف أشياء  
أما نعات الخيل فامرؤ القيس ، وأبو دؤاد ، وطُفَيْل الغنَوِي ، والنابغة  
الجعدى ، وأما نعات الإبل فطرَفة في معلقته من أفضلهم ، وأوس بن حَجَر ،  
وكعب بن زهير ، والشمخ ، وأكثر القدماء يجيد وصفها ؛ لأنها مراكبهم ،  
ألا ترى رُوبة لما غلط في وصف الفرس كيف قال : أذني من ذنب البعير ،  
وكان عُبيد بن حُصَيْن الراعي النُميري أوصف الناس للإبل ، ولذلك سمى راعيا ،  
وأما الحر الوحشية والقيسي فأوصف الناس لها الشمخ ، شهد له بذلك الخطيئة  
والفرزدق ، وهذان يجيدان صفات الخيل والقيسي أيضاً والنبل ، وأما الخمر فن  
أوصاف الأعشى والأخطل وأبي نُوَاس وابن المعتز ، ولأبي نواس أيضاً وابن المعتز  
الصيد والطرْد ، فما شئت من هذه الأوصاف فالتمسها حيث ذكرت ، ومن  
الأوصاف القليلة المثل قول رُوبة يصف الفيل :

أَجْرُدُ أَخْضِرَ طَوِيلَ النَّابِئِ مشرب اللحي صغير الفقمين<sup>(١)</sup>

وصف  
فيل

(١) لا يتفق هذا ووزن الرجز ، وقد وقع في نسخة :

أيض كالحصن طويل النابئ مشرف اللحي صغير العينين  
ولم أجد هذا البيت في ديوان أراجيزه .



\* عليه أذنانِ كفضلِ الثوبين \*

وقال آخر يصفه ، أنشده عبد الكريم :

من يركب الفيل فهذا الفيلُ    إن الذي يحمـله محمولُ  
على تهاويلَ لها تهاويلُ    كالطَّوْدِ إلّا أنه يـحـولُ

\* وأذنِ كأنها منديلُ \*

هكذا أنشده ، وبين البيتين الأخيرين أبيات كثيرة أسقطتها ، وقد أنشدها غلام ثعلب عنه عن ابن الأعرابي .

في وصف الفيل  
أيضا

وقال عبد الكريم فجمع ما فرقه وزاد عليهما :

وأضخمَ هندیّ النجارُ نَعْدَهُ    ملوك بني ساسان إن رابها أمرُ  
من الورق لا من ضر به الورق ترتعي    أضاح ولا من ضر به الخمس والعشر  
يجي كطَّوْدِ جائل فوق أربع    مضبَّرة لمت كما لمت الصخر  
له فخذان كالكتيبين لبدا    وصدْرُ كأوفى من الهَضْبَةِ الصَّدْرُ  
ووجهه به أنف كراووق خمرة    ينالُ به ما تدركُ الأمل العشر  
وأذنُ ك نصف البرد يسمعه الندأ    خفيا وطرف ينقصُ الغيب مزورُ  
ونابان شقّا لا يريك سواهما    قناتين سمراوين طَعْنُهما نثرُ  
له لونُ ما بين الصباح وليله    إذا نطق العصفور أو غلس الصقر

وصنعت أنا في زرافة أنت في الهدية من مصر إلى مولانا خلد الله ملكه من في وصف زرافة

قصيدة طويله :

وأنتك من كسب الملوك زَرَافَهُ    شقى الصفات لكونها أثناء  
جمعت محاسن ما حكّت فتناشبت    في خلقها وتنافت الأعضاء  
تحشها بين الخوافق مشية    بادٍ عليها الكبرُ والخيلاء

وتمدَّ جيذاً في الهواء يزينا  
حطَّتْ مآخرها وأشرفَ صدرها  
وكانَ فهرَ الطيب مارجتَ به  
وتخبرتْ دون الملابسِ حُلَّةً  
لونا كلون الزبل إلا أنه  
أو كالسحاب المكفهر خيطة  
أو مثل ما صدئت صفائحُ جَوْشَنٍ  
نعم التجافيف التي اذَّرتْ به  
وصنعت أنا أيضاً :

مُذَلَّلَةٌ الظهر للراكب  
بمثل السَّنام بلا غاربٍ  
يَحْنَأُ وَشِي يَدُ السَّكَّابِ  
خالجٌ من كل جانبٍ [؟] <sup>(١)</sup>

وقال كشاجم يصف اصطرباً :

في وصف  
اصطرب

ومستدير كجرم البدر مسطوح  
صُلب يُدَارُ على قطب يُلْتَمِئُهُ  
مثل البنان وقد أوفتْ صفائحُه  
كأنما السَّبْعَةُ الْأَفلاكُ مُحْدِقَةٌ  
تنبيك عن طالع الأبراج هيئته  
وإن مضت ساعة أو بعضُ ثانية  
وإن تعرَّضَ في وقت يقدره

(١) كذا ، وليس عندنا بمستقيم .

عن كل رابعة الأشكال مصفوح  
تمثال طَرْفٍ بِشَكَمِ الخدق مشبوح  
على الأقاليم في أقطارها الفيح  
بالماء والنار والأرضين والريح  
بالشمس . طوراً وطوراً بالمصابيح  
عرَّفتْ ذاك بعلم منه مشروح  
لك التشكُّكُ جلاء بتصحيح

مميزٌ في قِيَّاسَاتِ النجوم لنا بين الشَّائِمِ منها والمناجِيعِ  
له على الظَّهر عَيْنَا حَكْمَةٍ بهما يحوى الضياء ويحنيه من اللوح  
وفي الدوائر من أشكاله حكمٌ مُتَلَقَّحُ الفهم منا أَيْ تَلْقِيحُ  
لا يستقلُّ لِمَا فيها بمعرفة إلا الحَصِيفُ اللطيفُ الحِسُّ والروحُ  
حتى تَرَى الغَيْبَ عنه وهو منغلق الأبواب عن سواء جدِّ مفتوح  
نتيجة الدهر والتفكير صَوَّرَهُ ذُو العُقُولِ الصَّحِيحَاتِ المراجيحِ  
وقال أيضا يصف تحت حساب الهندسة :

وقلمٍ مِدَادُهُ تُرَابٌ في صحفٍ سَطُورُهَا حساب  
يكثر فيه الهو والإضراب من غير أن يُسَوِّدَ الكتاب  
حتى يبين الحق والصواب وليس إعْجَامٌ ولا إعراب  
فيه ولا شكٌّ ولا ارتياب

في وصف  
بركار

وقال يستهدى بركارا :

جُدُلِي ببركارك الذي صنعت فيه يَدَا قَيْنَةٍ أعاجيبا  
مَلَأَمُ الشَّفَرَتَيْنِ مُعْتَدِلٌ مَاشِينَ من جانب ولا عيباً  
شخصان في شكل واحد قدرا وركبا في العقول تركيبا  
أشبه شيئين في اشتباههما بصاحب لا يَمَلُّ مصحوبا  
أوثق مسجاره وغُيِّبَ عن نَوَاطِرِ النَّاكِدِينَ تنقيبا  
فمين من يحتليه تحسبه في قالب الاعتدال مصبوبا  
وَضَمَّ شَطْرِيهِ مُحْكَمٌ لَهَا ضَمٌّ مُحِبٌّ إِلَيْهِ محبوبا  
يزداد حرصاً عليه مبغره ما زاده بالبنان تقاييا  
فقوله كَلِمًا تأمله طُوبَى لِمَن كَانَ ذَالَهُ طُوبَى

ذو مُقَلَّةٍ بصرتَه مذهبة لم تأله زينة وتذهيباً  
ينظر منه إلى الصواب به فلا يزال الصواب مطلوباً  
لولاه ما صحَّ شكلُ دائرة ولا وجدنا الحساب محسوباً  
الحق فيه. فإن عدلت إلى سواء كان الحساب تقريباً  
لوعَيْنُ إقليدس به بَصُرَتْ خر له بالسجود مكبوباً  
فابسته واجنَّبه لى بمسطرة تلقى الهوى بالثناء مجنوباً  
لازلت تجدى وتجدى حكماً مستوهباً للصديق موهوباً

وقال في صفة البنكام :

في وصف  
البنكام

روح من الماء في جسم من الصُّفْرِ  
مستعبر لم يَغِبْ عن إلفه سَكَنٌ  
له على الظاهر أجنان مُجَجَّرَةٌ  
تنشاله حركات في أسافله  
وفي أعاليه حسابان يُفَصِّلُهُ  
إذا بكى دار في أحشائه فَلَّكْ  
مترجم عن مواقف تخبرنا  
تقضى به الخمس في وقت الوجوب ، وإن

غَطَّى على الشمس سِتْرَ النِّيمِ والمطر  
وإن سَهَرَتْ لأسبابٍ تُورِقُنِي  
مُحَرَّرٌ كُلُّ مِيقَاتِهِ تَخِيرُهُ  
ومخرج لك بالإجراء أَلْفُهَا  
نتيجة العلم والأفكار صَوَّرَهُ  
وقال يصف زرمانج آبنوس :

عَرَفْتُ مقدار ما ألقى من السهر  
ذوو التخير للأسفار والحضر  
من النهار وقوس الليل والسحر  
يا حبذا بدعُ الأفكار في الصور

في وصف  
زرمانيج

نعم المعين على الآداب والحكم  
لا تستمد مداداً غير صبغتها  
خفت وجفت فلم تدنس لحاملها  
وأمكن المحو فيها الكف فانتسعت  
حليتها بلجين وانتخبته لها  
فالكم يعيق منها حين تودعه  
لو كنّ ألواح موسى حين يغضبه  
صنائف حلك الألوان كالظلم  
فيسرّ ذي اللب منها غير مكتم  
ثوبا ولم يخش منها نبوة القلم  
لما تضمن من نثر ومنتظم  
وقاية من ذكيّ العود لا الأدم  
عرفاً تنسّم منها أطيب النسم  
هارون لم يلقها خوفاً من الندم

وله من قصيدة ذكر فيها طاووساً مات له :

في وصف  
طاووس

زُرِّيَّتُهُ رَوْضَةً يَرُوقُ ، ولم  
جَمَلُ الذَّنَابِي كَانَ سَدْسَةً  
مُتَوَجِّجًا خَلْقَةً حَبَاءَ بَهَا  
كَأَنَّهُ يَزْدَجِرْدُ مُنْتَصِبًا  
يُطْبِقُ أَجْفَانَهُ وَيَخْسِرُ عَنْ  
أَدَلِّ بِالْحَسَنِ فَاسْتَدَالَ لَهُ  
ثُمَّ مَشَى مِشْيَةَ الْعُرُوسِ ؛ فَن  
نَسْمَعُ بَرُوضٍ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ  
زُرَّتْ عَلَيْهِ مَوْشِيَةُ الْعِلْمِ  
ذُو الْفِطْرِ الْمَعْجَزَاتِ وَالْحَكْمِ  
يَبْنِي بَقِيَّةً عَلَى مَآثِرِ الْعِجْمِ  
فَصَيَّنَ يَسْتَصْبِحَانِ فِي الظُّلْمِ  
ذِيلاً مِنَ الْكِبَرِ غَيْرِ مُخْتَشِمِ  
مُسْتَظَرَفٍ مُعْجَبٍ وَمُبْتَسِمِ

فهذا طرف مما شرطته كافٍ ، يرى به المتعلم نهج هذه الطريقة ، إن شاء

الله تعالى .

### (١٠١) باب الشطور ، وبقيّة الزحاف

القول في الشطور على أحد وجهين : إما أن يراد بالشطر نصف البيت ، جد الشطور  
وإما أن يراد به القصد ، وذلك أنهم إذا ذكروا الشطور فرمما أنشدوا أبياتا  
كاملة ، وليست أقسمة ؛ فيكون هذا من قوله تعالى : ( قَوْلَ وَجْهِكَ شَطْرَ

المسجد الحرام) وكذلك القسيم أيضاً : يجوز أن يكون نصف البيت ، ويجوز أن يكون بمعنى الحظ من الوزن ؛ لأن الحظ يقال له قسيم وقسم .

قال جرير :

أَتَارِكَةٌ أَكَلَ الْخَزِيرَ مُجَاشِعٌ      وَقَدْ خَسَّ إِلَّا فِي الْخَزِيرِ قَسِيمُهَا  
يريد حظها . وقالت ابنة<sup>(١)</sup> المذربن ماء السماء :

بَعَيْنٍ أَبَاغَ قَاسِمًا الْمَنِيَا      فَكَانَ قَسِيمُهَا خَيْرَ الْقَسِيمِ  
وهذا حين أبدأ بذكر الشطور على مذهب الجوهري لقلة حشوه .

الطويل : مثنى قديم ، سدس محدث ، أجزاءه « فَعُولُنْ مفاعيلن » ثمانى مرات<sup>(٢)</sup> وزحافه : الْقَبْضُ ، التَّمْ ، التَّرْم ، السَّكْف ، الحذف . ومسدسه أن يحذف منه مفاعيلن الآخرة من كل قسم .

الطويل

الديد : مثنى محدث ، سدس قديم ، مربع قديم ، أجزاءه « فاعلاتن فاعلن » ثمانى مرات<sup>(٢)</sup> وعلى ذلك أنى محدثه ، وبيت مربعه السالم :  
بُوْأَسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي غَاذَرْتُ قُوْوَئِي سُدًى  
قال : وهذا شعر قديم ، إلا أن الخليل لم يذكروه . زحافه : الخنن ، الكف ، الشكل ، القصر ، الحذف ، الصلم .

الديد

البسيط : مثنى قديم ، سدس قديم ، مربع محدث ، أجزاءه « مستفعلن مستفعلن فاعلن » ثمانى مرات<sup>(٢)</sup> ومسدسه « مستفعلن فاعلن مستفعلن » مكررة ، قال :

البسيط

(١) الذى فى ياقوت أن هذا البيت لابنة فروة بن مسعود ترى أباه ، وكان قد قتل بعين أباه - بضم الهمزة ، وفى آخره غين معجمة - وبعد هذا البيت :  
وقالوا سيدا منكم قتلتنا كذلك الرمح يكلف بالكريم  
(٢) صوابه « أربع مرات » .

وله مسدس آخر يسميه الخليل السريع ، وقد نقص منه « فاعلن » الأولى والثالثة وبيته المربع المحدث :

دَارٌ غَفَاهَا الْقِدَمُ بَيْنَ الْبَلَى وَالْقَدَمِ

زحافه : الخبلن ، الطي ، الخبل ، القطع ، الإذالة ، التخليع . ومعنى التخليع : قطع « مستفعلن » في العروض والضرب جميعاً .

الوافر : مسدس قديم ، مربع قديم ، أجزاءه « مفاعلتن » ست مرات ، ولم يجيء عن العرب في مسدسه بيت صحيح . زحافه : العصب ، القطف ، النقص ، العقل ، العضب ، القصم ، العقص ، الجهم .

الكامل : مسدس قديم ، مربع قديم ، أجزاءه « متفاعلن » ست مرات ، زحافه : الإضمار ، الوقص ، الخزل ، القطع ، الخرم ، الترفيل ، الإذالة .  
الهزج : مسدس محدث ، مربع قديم ، أجزاءه « مفاعيلن » أربع مرات ، بيته المسدس المحدث :

أَلَا هَلْ هَاجَكَ الْأَطْعَامُ إِذْ بَانُوا وَإِذْ صَاحَتْ بِشَطِّ الْبَيْنِ غِرْبَانُ

زحافه : الخزم ، الكف ، القبض ، الحزب ، الشتر ، الحذف .

الرجز : مسدس ، مربع ، مثلث ، مُثَنَّى ، كله قديم ، موحد محدث ، أجزاءه « مستفعلن » ست مرات ، زحافه : الخبلن ، الطي ، الخبل ، القطع ، الفرق ، الوقف ؛ ومعنى قوله الفرق : أن يفرق الوجد المجموع في حشو مسدسه فيعود مستفعلن مستفعلن — بتقديم النون — فيكون وزنه مفعولات .

قال : وهو الذي يسميه الخليل المنسرح ، ولم يجيء ضربه إلا مطوياً ، وفي صدره ربعة ، قال : وهو الذي يسميه الخليل المقتضب ، وفي ضرب مثناه ومثلته إلا أنه ساكن اللام ؛ لأن آخر البيت لا يكون إلا متحركاً ، وذلك هو الوقف .

الرمل : مسدس قديم ، مربع قديم ، أجزاءه « فاعلاتن » ست مرات ، زحافة : الخبن ، الكف ، الشكل ، الحذف ، القصر ، الإسباع .

الخفيف : مسدس قديم ، مربع قديم ، أجزاءه « فاعلاتن مستفعِلن فاعلاتن » مكرر ، ومربعه « فاعلاتن مستفعِلن » قال : وقد ركب منه مريم آخر ، وهو الذى يسميه الخليل مجتثا ، وقد نقص منه « فاعلاتن » الأولى والرابعة . زحافه : الخبن ، الكف ، الشكل ، الحذف ، القطع ، التشعيث ، الإسباع ، الطى .

المضارع : مربع قديم لا غير ، أجزاءه « مفاعِلن فاعلاتن » مكرر ، ولم ينجى عن العرب فيه بيت صحيح . زحافه : القبض ، الكف ، الحذف ، الشتر ، الخبن .

المقتارب : مثنى قديم ، مسدس مربع محدث ، أجزاءه « فعولن » ثمانى مرات . زحافه : القبض ، التلم ، الترم ، القصر ، الحذف ، البتر ، وبيت مربعه المحدث :

وَقَفْنَا هُنَيْهَ بِأَطْلَالٍ مَيَّهَ

المتدارك : مثنى قديم ، مسدس محدث ، أجزاءه « فاعِلن » ثمانى مرات ، وبيته السالم من مثنىه :

لَمْ يَدْعُ مَنْ مَضَى لِلَّذِي قَدْ غَبَرَ فَضْلَ عِلْمِهِ سِوَى أَخْذِهِ بِالْأَثَرِ

وشعر عمرو الجنى مخبون . زحافه : الخبن ، القطع ، الإذالة ، الترفيل . . وهذا شرح الألقاب عن أى زهرة النحوى وغيره . كل ما حذف ثانيه الساكن فهو مخبون ، وكل ما حذف رابعه الساكن منه فهو مطوى ، وما حذف خامسه الساكن فهو مقبوض ، وما حذف سابعه الساكن فهو مكفوف ، وما حذف ثانيه ورابعه الساكنان فهو مخبول ، وما حذف ثانيه وسابعه الساكنان



فهو مشكول ، وما حذف ثانيه المتحرك فهو موقوص ، وما حذف خامسه المتحرك فهو معقول ، وما حذف سابعه المتحرك فهو مكشوف عند التحليل ، ولم يعتد به الجوهري ، وما حذف رابعه الساكن وأسكن ثانيه المتحرك فهو مخزول ، وما أسكن ثانيه المتحرك فهو مُضَمَّر ، وما أسكن خامسه المتحرك فهو معصوب ، وما أسكن سابعه المتحرك فهو موقوف ، وما حذف ساكن سببه وأسكن متحركه فهو مقصور ، وإن كان هذا العمل في وَتَدٍ فهو مقطوع ، وكل سبب زيد عليه حرف ساكن ليس من الجزء الذي هو فيه فهو مُسْتَعٍ ، وإن كان ذلك في وتد فهو مُدَّيْل ؛ فإن زيد على الوند حرفان فهو مُرَقَّل ، وكل ما حذف منه وتد مجموع فهو أَحَدٌ ، فإن حذف وتد مفروق فهو أَصْلَمَ ، وإذا حذف من الجزء سبب وأسكن المتحرك الذي يليه فهو مقطوف ، وكل وتد مجموع كان في مبتدأ البيت فحذف أول الوند فهو مخروم ، وإن كان ذلك في « فعولن » فهو أَتْلَمَ ، فإن كان فيه مع الخرم قبض فهو أَرَمَ ، وإن كان الخرم في « مفاعلاتن » فهو أعصب ، وإن كان مع ذلك عصب فهو أقصم ، وإن كان فيه مع الخرم قبض فهو أعفص ، وإن كان فيه مع الخرم عَقْلٌ فهو أَجْمٌ ، وإذا خرمت « مفاعيلن » فهو آخرم ، وإذا كَفَفَتْهُ مع ذلك فهو أخرب ، وإذا خرمته وقبضته فهو أَشْتَرُ ، وما ذهب منه جزآن من العروض والضرب فهو مَجْزُو ، وما يذهب منه شطره فهو مشطور ، وما ذهب ثلثاه فهو مَنَهْوُكٌ ، وما سلم من الزحاف - وهو يجوز فيه - فهو سالم ، وما سلم من الخرم فهو موفور ، وما استوفى دأثرته فهو تام ، وما استوفى أجزاء دأثرته وكان في بعض الأجزاء نقص فهو وَافٍ ، وكل جزء كان في ضرب أو عروض فكان بمنزلة الحشو فهو صحيح ، وإن خالف الحشو فهو معتل ، ومخالفة الحشو: أن يدخل فيه من النقص والزيادة مالا يدخل الحشو ، أو يمتنع من النقص

الذى يدخل الحشو ، والمعتدل على أربعة أوجه : ابتداء ، وفصل ، وغاية ، واعتماد . وقد شرحتها فيما تقدم .

( ١٠٢ ) — باب بيوتات الشعر والمُعْرِقِينَ فِيهِ

بيت  
أبي سلمى  
منها في الجاهلية بيتُ أبي سلمى : كان شاعراً واسمه ربيعة ، وابنه زهير كان شاعراً ، وله خؤولة في الشعر : خاله بَشَامَةُ بن (١) الغدير ، وكان كَعْبٌ ومُجَبَّر ابنا زهير شاعرين ، وجماعة من أبنائهما .

بيت  
حسان بن ثابت  
ومن المخضرمين حَسَّان بن ثابت بن المنذر بن حَرَام ، وهو وأبوه وجده وأبو جده شعراء ، وابنه عبدالرحمن شاعر ، وسعيد بن عبد الرحمن شاعر ، ذكر ذلك المبرد

بيت  
النعمان بن بشير  
وبعد هذين بيت النعمان بن بشير ، وبنوه : أبان ، وبشير ، وشبيب ، وابنته حيدة ، ومن بنى بنيه عبد الخالق بن عبد الواحد ، وعبد القدوس بن عبد الواحد ابن النعمان ، وأم النعمان عمرة بنت رَوَاحَة شاعرة ، وخاله عبد الله بن رَوَاحَة أحد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم .

بيت  
نهشل بن حري  
ومن المعرقين في الشعر — عن عبد الكريم — نَهْشَل بن حَرَّى بن ضمرة نهشل بن حري بن جابر بن قطن ، ستة ليس يتوالى في بنى تميم مثلهم شعراً وشرفاً وفعالا .

وعن ابن قتيبة القاسم بن أمية بن أبي الصَّلْتِ ، وهو القائل :

قوم إذا نزل الغريبُ بدارهم تركوه رَبَّ صَـ — وَاَهْلَ وَقِيَان  
وربيعة بن أمية عن غير ابن قتيبة .

بيت جرير  
ومن بيوتات الشعر في الإسلام بيت جرير : كان هو وأبوه عطية وجده انْطَلَقِي شعراء ، وكان بنوه وبنو بنيه شعراء . . قال أبو زياد الكلابي :

(١) في الأصول «أسامة بن الغدير» وهو تصحيف من وجهين ، وصوابه ما أثبتنا

رأيت باليمامة نوحا و بلالا ابْنَي جرير و هما يتسايران ولهما جمال وهيئة وقدر عظيم ،  
وأشعر من باليمامة يومئذ حَجْناء بن نوح بن جرير ، وكان عقيل بن بلال شاعراً ،  
وعمارة ابنة شاعراً ، أدرك الطائي حبيباً ولقيه المبرد .

ابن رؤبة  
بن العجاج

ومن المعرقين عُقبة بن رؤبة بن العجاج .

بيت  
أبي حفصة

ومن البيوتات بيت أبي حفصة : كان مروان شاعراً ، وجعانة بيته شعراء  
يضربون بالسنتهم أنوفهم ، حكاه الجاحظ ، وكان يحيى جد مروان شاعراً  
يهاجي اللعين المنقرى ، وجريراً ، وأكثر أهل بيته شعراء رجالاً ونساء .

بيت  
أبي عينة

[بيت] أبي عينة بيت شعر : منهم مجد و بنوه أبو عينة وعبد الله وداود  
وعباد بن داود لقبه الخرق لقوله :

أما الخرق أعراض اللثام كما كان المرقق أعراض اللثام أبي

بيت  
الرقاشيين

وبيت الرقاشيين منهم عبد الصمد بن الفضل وابناء الفضل والعباس ،  
وأكثرهم شعراء .

بيت  
اللاحقين

وبيت اللاحقين : كان تحمّذان شاعراً ، وابنه ، وأبوه أبان شاعراً ، وجده  
عبد الحميد شاعراً ، ولاحق أبو عبد الحميد شاعر ، وإليه نسبوا ، وهو مولى الرقاشيين ،  
وأكثر أهل هذا البيت شعراء .

بيت  
أمية الكاتب

وبيت بية الكاتب ذكرهم دعبل ، وهم أمية وإخوته : علي ، وعبد ،  
والعباس وسعيد ، ومن أولاد هؤلاء أبو العباس بن أمية وأخواه علي وعبد الله ،  
وابن عمهم محمد بن علي بن أبي أمية .

بيت  
رزين

وبيت رزين بيت شعر ، منهم عبد الله شاعر ، وابنه أبو الشيص شاعر ،  
واسمه محمد ، ومنهم علي شاعر ، وابناه دعبل وعلي شاعران .

بيت  
حميد

وبيت حميد بن عبد الحميد : كان حميد شاعراً ، وبنوه أهرم وأبو عبد الله  
وأبو نصر وأبو نهشل شعراء ، ذكرهم دعبل

الفرق بين  
للمرق ودي  
البيت

والفرق بين المُرَقِّ وبين ذى البيت أن المرق من تكرار الأمر فيه وفي أبيه وفي جده فصاعداً ، ولا يكون مُعْرِقاً حتى يكون الثالث فما فوقه ، وعلى هذا فسر قول أبي الطيب :

العارض المهنُ ابن العارض المهنِ ابن العارض المهنِ  
قالوا : إنما أراد أنه مُعْرِق ، وزاد واحداً على الشرط المتعارف ، وإنما أخذه أبو الطيب من قول محمد بن عبد الملك الزيات :

ما كان يندرننا ويؤمن سربنا ويحيرنا من شر كل مخيفة  
إلا مقامُ خليفة خليفة خليفة خليفة خليفة

يعنى الواقف بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور ، فصديق وحسن في معناه ، ونقص المتن بواحد بعد سرقة .

وذو البيت من عم الأمر جميع أهل بيته أو أكثرهم ، فهذا فرق بينها .

ومن الإخوة ومن لم يعرق : لبيد وأخوه لأمه أربد ، والشمخ وأخوه جَزء ويزيد - وهو مُزرد - وبنو ابن مقبل وهم عشرة إخوة ، تميم ، وفضالة وحيان : ورفاعة ، ووبرة ، والمضاء ، وأعقد ، وعبد الله ، وخفاف ، وأبو الشمال ، وأم تميم ابنة أمية بن أبي الصلت ، وفي أولاد إخوته المذكورين أنفا شعر ؛ وقيس ابن عمرو النجاشي وأخوه خديج ، وعمرو بن أحر وأخوه سنان وسيار ، وغيلان ذو الرمة وإخوته : أوفى ، ومسعود ، وهشام ، وحرقالس ، شعراء خستهم ، ومسلم ابن الوليد وأخوه سليمان الكفيف ، وأشجع السلمي وأخوه أحمد .

الثنيان  
من الشعراء

وأما الشاعر ابن الشاعر فقط فيقال له « الثنيان » حكاه عبد الكريم عن غيره ، وهو كثير لو أخذنا في ذكرهم لطالت مسافة الباب .

### ١٠٣ - باب حكم البسملة قبل الشعر ، ١٠٤ - باب أحكام القوافي في الخط ٣٠٩

#### (١٠٣) - باب حكم البسملة قبل الشعر

قال أبو جعفر النحاس : اختلف العلماء في كُتِبَ « بسم الله الرحمن الرحيم »  
 أمام الشعر ؛ فكره ذلك سعيد بن المسيب والزهرى ، وأجازته النخعي ، وكذا  
 يروى عن ابن عباس ، قال : أكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » أمام الشعر  
 وغيره ؛ قال أبو جعفر : ورأيت علي بن سليمان يميل إلى هذا ، وقال : ينبغي أن  
 يكتب أمام الشعر « بسم الله الرحمن الرحيم » لأنه يجيء بعده « قال فلان »  
 وما أشبه ذلك . . قلت أنا : إنما هذا في الشعر إذا دُوِّنَ ، فأما قصيدة رفعها  
 الشاعر إلى ممدوحه فلا يكتب قبلها اسم قائلها ، لكن بعدها ، وإذا كان الأمر  
 هكذا فلا سبيل إلى كتاب البسملة ؛ لأن العذر حينئذ ساقط .

#### (١٠٤) - باب أحكام القوافي في الخط

إذا صارت الواو الأصلية والياء الأصلية وصلا للقافية سقطت في الخط كما  
 تسقط واو الوصل وياؤه ، مثل واو « يغزو » للواحد ، و ( يغزوا ) للجماعة  
 إذا كانت للقافية على الزاى ، ألا ترى أنهم أسقطوها في اللفظ فضلا عن الخط . .  
 قال الراجز :

\* كريمة قَدْرُهُمْ إذا قَدَرَ \*

يريد « إذا قدروا » قال أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن السمين وقد  
 سأله عن هذا : لا يجوز حذف هذه الواو إلا في أشد ضرورة ، للعرب لا للمولدين ؛  
 لأنها علامة جمع وإضمار ؛ لحذفها يلتبس بالواحد ، قال : وهذا مذهب سيدي  
 والبصريين ، ومثل واو « يغزو » وياو « يقضى » للغائب « وتقضى »

للمؤنة الغائبة والمذكر المحاطب . وكذلك ياء ثم القاضي والغازي إذا كانا معرفين بالألف واللام ، هذا هو الوجه ، فإن كتب يائبات الواو والياء فعلى باب المساحة ، والأجود أن تكون الواو والياء خارجاً في الغرض ، وكذلك ياء الضمير محو غلامى إذا كانت القافية الميم فالوجه سقوط الياء ، فإن كتبت مساحة في الغرض كما قدمت ، وقد أسقطها بعضهم في اللفظ . ثم أنشدني أبو عبد الله للأعشى :

ومن شائىء كسيف وجهه إذا ما انتسبت له أنكرن

قال : يريد « أنكرنى » فحذف الياء ، فأما ما يكون مُنَوَّناً نحو « قاض ، وغاز » أو مجزوماً نحو « لم يقض ، ولم يغز » فلا يجوز أن يثبت فيهما الياء والواو على المساحة ؛ لأنهما سقطا بالتنوين والعامل . . ومن العرب من يقول « هذا الغاز ، ومررت بالقاض » بغير ياء ، وهذا تقوية لمذهب من حذفها في الخط إذا كانت وصلاً للقافية .

وإن كان في قوافي قصيدة ما يكتب بالياء وما يكتب بالألف كتباً جميعاً بالألف لتستوى القوافي ، وتشتبه صورتها في الخط .

### (١٠٥) — باب النسبة إلى الروى

إذا قلت قصيدة فنسبتها إلى ما [كان] على حرفين قلت هذه قصيدة بائية وحائية ، وكذلك أخواتهما ، وإن شئت جعلت المهمزة واواً فقلت : ياوية ، وكان أبو جعفر الرقاشى ينسب إلى ما كان على حرفين يقول : هذا ييوى ، ويتوى ، وكذلك أخواتهما ، إلا «ا» و «لا» فإنه يقول : موى ، ولوى على فعلى ، وتقول على هذا القول : قصيدة موية ولوية ، قال ثعلب : ما كان على ثلاثة أحرف الأوسط ياء فليس فيه إلا وجه واحد ، تقول : سينت سيناً ، وعينت عيناً ، إذا كتبت سيناً وعيناً ، فيقول على هذا : قصيدة مسينة ومعينة

كيف تنسب  
إلى ما كان  
على حرفين

وسينية وعينية ، وكذلك قصيدة ميمية ، ولا تقول « مؤومة » فإنه خطأ ، وتقول في الواو وهي على ثلاثة أحرف الأوسط ألف بالياء لا غير ؛ لكثرة الواوات ، فتقول : وَوَيْتُ وَاوَأَ حسنة ، وبعضهم يجعل الواو الأولى همزة لاجتماع الواوين فيقول : أُوَيْتُ وَاوَأَ حسنة ، فالقصيدة على هذا واوية ومؤواة وسوواة ، وقال بعضهم في « ما » و « لا » من بين أخواتهما : مويت ماء حسنة ، ولويت لاء حسنة ، بالمد ؛ لمكان الفتحة من ما ولا .

(١٠٦) — باب الإنشاد وما ناسبه

ليس بين العرب اختلاف — إذا أرادوا الترنم ومدّ الصوت في الغناء والحداء — في إتباع القافية المطلقة ، مثلها من حروف المد واللين في حال الرفع والنصب والخفض ، كانت مما ينون أو مما لا ينون ، فإذا لم يقصدوا ذلك اختلفوا : فمنهم من يصنع كما يصنع في حال الغناء والترنم ؛ ليفصل بين الشعر والكلام المنشور ، وهم أهل الحجاز ، ومنهم من ينون ما ينون ومالا ينون : إذا وصل الإنشاد أتى بنون خفيفة مكان الوصل فجعل ذلك فصلا بين كل بيتين فينشد قول النابغة :

يَا دَارَ مَيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ فَالْسَّنَدِ

منونا إلى آخر القصيدة ، لا يبالى بما فيه ألف ولا م ، ولا مضاف ، ولا بفعل ماض ، ولا مستقبل ، ومن ناس كثير من بنى تميم .

ومنهم من يجري القوافي مجراها ولولم تكن قوافي فيقف على المرفوع والمكسور موقوفين ويعوض المنصوب ألفا على كل حال ، ومن ناس كثير من قيس وأسد ، فينشدون :

لا يبعد الله جيرانا لنا خلعتوا لم أدر بعد غداة البين ما صنع

الوقف  
على لغة  
قيس وأسد

يريد « ما صنعوا » . وكذلك ينشدون :  
ففاضت دموع العين منى صباية على النحر حتى بل دمي محمل  
فإذا وصلوا جعلوه كالسكلام وتركوا المدة لعلهم أنها في أصل البناء .  
قال سيبويه : سمعناهم ينشدون :

\* أَقْلَى الْأَوَمِّ عَاذِلَ وَالْعِتَابِ \*

إذا كان منوناً أنبتوا تنوينه ووصلوه كما يفعلون بالسكلام المنشور .  
ومن العرب مَنْ في لفته أن يقف على إشباع الحركة : فتجبر الضمة واواً ،  
والكسرة ياء ، والفتحة ألفاً ، فينشد هذا كله موصولاً من غير قصد غناء  
ولا ترنم .

الوقف  
بإشباع الحركة

ومنهم من في لفته أن لا يعوض شيئاً من النصب فهو ينشد هذا كله موقوفاً  
من غير اعتقاد تقييد ، وإذا كان الشعر مقيداً كان تنوينه بإزاء إطلاقه ، فهو  
غير جائز ؛ لأن الشعر المقيد يكسر بتنوينه كما يكسر بإطلاقه ، ما خلا الأوزان  
التي قدمنا القول فيها أنها من بين ضروب الشعر يجوز إطلاقها وتقييدها .

ويحكى عن رؤية أنه أشد قصيدته القافية المقيدة منونة ، فرد ذلك الزجاجي  
وأنكره ، وذكر أنه وهم من السامع ، وأن الوجه فيه أن من العرب من يزيد بعد  
كل قافية « إن » الخفيفة المكسورة إعلماً بانقضاء البيت ، فينشد :

وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَاوِيِ الْخُتْرِقِ إِنَّ مُشْتَبِهَ الْأَعْلَامِ لَمَّا عُ اتْلَقَتْ إِنَّ  
\* يَكْلُ وَفْدُ الرِّيحِ مِنْ حَيْثُ انْخَرَقَ إِنَّ \*

الوقف  
بنقل الحركة المضموم والمكسور — بنقل الحركة كما أنشد أعرابي من بني سنبس قول  
ذى الرمة :

\* وَلَا زَالَ مِنْهَلًا بِمِجْرَعَاتِكَ الْقَطْرُ \*



— بضم الطاء وإسكان الراء لما وقف — حكى ذلك عبد الكريم ، وعلى هذا قال الآخر :

\* أنا ابن ماوية إذ جد النفر \*

أراد « النفر » بالخيول .

وأنشد أبو العباس ثعلب :

أَرْتَنِي حِجْلًا عَلَى سَاتِهَا فَهَشْ الْفَوَادِ لِدَاكِ الْحِجْلُ

فقلت ولم أخف من صاحبي : أَلَا بَأْبَى أَصْلُ تِلْكَ الرَّجْلُ

وقال : نَقَلَ لِاضْطِرَارِ الْقَافِيَةِ .

ومما يدخل في شفاة هذا الباب : الغناء ، والحداء ، والتغبير ، قال الشاعر :

تَغْنٌ بِالشَّعْرِ إِمَّا كُنْتَ قَائِلُهُ إِنَّ الْغَنَاءَ لِهَذَا الشَّعْرِ مِصْمَارُ

ويقولون : فلان يتغنى بفلان أو بفلانة ، إذا صنع فيه شعراً .

قال ذو الرمة :

أَحِبُّ الْمَكَانَ الْقَفْرَ مِنْ أَجْلِ أَنِّي بِهِ أَتَغَنَّى بِاسْمِهَا غَيْرَ مُعْجِمٍ

وكذلك يقولون : حدّا به ، إذا عمل فيه شعراً .

قال المرار الأسدي :

وَلَوْ أَنِّي حَدَوْتُ بِهِ أَرْفَأَتْ نِعَامَتَهُ وَأُبْصَرَ مَا يَقُولُ

وغناء العرب قديماً على ثلاثة أوجه : النصب ، والسناد ، والمزج .

أنواع  
غناء العرب

فأما النصب فغناء الركبان والفتيان ، قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : وهو

الذي يقال له المرأى ، وهو الغناء الجنبى ، اشتقه رجل من كلب يقال له جناب

ابن عبد الله بن هبل ، فنسب إليه ، ومنه كان أصل الحداء كله ، وكله يخرج من

أصل الطويل في العروض .

وأما السناد فالثقیل ذو الترجيع ، الكثير النغمات والنبرات ، وهو

على ست طرائق : الثقيل الأول ، وخفيفه ، والثقيل الثانى ، وخفيفه ،  
والرمل ، وخفيفه .

وأما المزج فالخفيف الذى يرتص عليه ، ويمشى بالدف والمزمار فيطرب ،  
ويستخف الحليم ، قال إسحاق : هذا كان غناء العرب حتى جاء الله بالإسلام ،  
وفتحت العراق ، وجلب الغناء الرقيق من فارس والروم ، فغنوا الغناء  
الجزأ المؤلف بالفارسية والرومية ، وغنوا جميعاً بالعيدان والطنابير والمعازف  
والمزامير .

فرق ما بين  
العرب والعجم  
قال الجاحظ : العرب تقطع الألحان الموزونة على الأشعار الموزونة ، والعجم  
تمشط الألفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل فى وزن اللحن فتضع موزوناً على  
غير موزون .

ويقال : إن أول من أخذ فى ترجيعه الحداء مضر بن نزار ؛ فإنه سقط عن  
جمل فأنكسرت يده فحمله وهو يقول : وايداه ، وايداه ، وكان أحسن خلق الله  
جرماً وصوتاً ، فأصغت الإبل إليه وجدت فى السير ، فجعلت العرب مثلاً لقوله  
هايدا هايدا يحدون به الإبل ، حكى ذلك عبد الكريم فى كتابه .

وزعم ناس من مضر أن أول من حدا رجل منهم ، كان فى إبله أيام  
الربيع ، فأمر غلاماً له ببعض أمر ، فاستبطأه ، فضربه بالعصا ، فجعل ينشد فى  
الإبل ويقول : يايداه ، يايداه ، فقال له : الزم الزم ، واستفتح الناس الحداء من  
ذلك الوقت .

وذكر ابن قتيبة أنهم قالوا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، وحكى الزبير  
ابن بكار فى حديث يرفعه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم من بنى غفار  
سمع حاديهم بطريق مكة ليلاً فقال إليهم : إن أباكم مضر خرج إلى بعض  
رعاته فوجدها قد تفرقت ، فأخذ عصا فضرب بها كف غلامه ، فعدا

السلام في الوادي وهو يصيح : وايداه ، وايداه ، فسمعت الإبل ذلك فمطفت ، فقال مضر : لو اشتق مثل هذا لا تنفعت به الإبل واجتمعت ، فاشتق الحداء .

وَأما التغبير فهو تهليل أو تردد صوت ، بقراءة أو غيرها ، حكى ذلك ابن دريد ، وحكى أبو إسحاق الزجاجي قال : سألت بعض الرؤساء : لم سمي التغبير تغبيرا ؟ قلت : لأنه وضع على أنه يرغب في الغابر — أي : الباقي ، أي : يرغب في نعيم الجنة وفيما يعمل للآخرة — وقال غيره : إنما قيل له تغبير لأنه جعل ما يخرج من الفم بمنزلة الغبار ، فعرض الجوابان على أحمد ابن يحيى ، فاستجاد جوابي .

يقال للراسل في الغناء : المثالي ، حكاه غلام ثعلب

## ١٠٧ - باب الجوائز والصلوات

قال أبو جعفر النحاس : أصل الجائزة أن يعطى الرجل ما يجيزه ليذهب إلى وجهه ، وكان الرجل إذا ورد ماء قال لقيمه : أجزني — أي : أعطني ماء حتى أذهب لوجهتي وأجوز عنك — فكثر حتى جعلت الجائزة عطية .

قال الراجز :

يا قيم الماء فذتكَ نفسى أحسن جَوَازِي وأقل حَبْسِي

قال ابن قتيبة : أصل الجائزة والجوائز أن عبد عوف بن أصرم من بني هلال بن عامر بن صعصعة ولي فارس لعبد الله بن عامر ، فمر به الأحنف بن قيس في جيشه غازيا إلى خراسان ، فوقف لهم على قنطرة السكر فجعل ينسب الرجل فيعطيه على قدر حسبه ، فكان يعطيهم مائة مائة ، فلما كثروا عليه قال : أجزوهم ، فأجزوا ؛ فهو أول من سن الجوائز .

أول من  
سن الجوائز

قال الشاعر :

فِدَى لِلْأَكْرَمِينَ بَنِي هَلَالٍ عَلَى عِلَاتِهِمْ عَمَّى وَخَالِي  
هُمْ سَنُوا الْجَوَازِ فِي مَعَدَّةٍ فَصَارَتْ سُنَّةٌ أُخْرَى الْيَالِي

والبدرة : عشرة آلاف درهم ، سميت بذلك لوفورها ، قال بعضهم : ومنه  
سمى القمر ليلة أربع عشرة ﴿ نُذْرًا ﴾ لتمامه وامتلائه من النور ، ويقال : لمبادرته  
الشمس ، وقيل : بل البُدْرَةُ جلدة السَّخْلَةِ إِذَا فُطِمَتْ والجذع من المعز يملأ مالا ،  
فسمى المال ﴿ بُدْرَةً ﴾ باسم الوعاء مجازا .

البدره

والصَّلَّةُ ﴿ مَا أَخَذَهُ الرَّجُلُ مِنَ السُّلْطَانِ أَوَّلَ مَا يَتَّصِلُ بِهِ ، ثُمَّ كَثُرَ ذَلِكَ حَتَّى  
قِيلَ لَهْبَةٌ لِلَّهِ ﴾ صِلَةٌ .

الصلة

وهذه أبيات كنت صنعتها للسيد أبي الحسن أدام الله عزه ختمت بها الكتاب  
لما جاء موضعها :

وَجَرَى لِسَانِي فِيهِ أَوْ قَلْبِي	إِنَّ الَّذِي صَاغَتْ يَدِي وَفِي
وَاخْتَرْتَهُ مِنْ جَوْهَرِ السِّكِّمِ	مِمَّا عَنَيْتَ لِسَبِّكَ خَالِصَهُ
ذَكَرْتُ تَجِدُّهُ عَلَى الْقَدَمِ	لَمْ أَهْدِهِ إِلَّا لَتَكْثُورِهِ
لَكِنَّهُنَّ مَصَائِدُ الْكُرْمِ	لَسْنَا نَزِيدُكَ فَضْلَ مَعْرِفَةٍ
وَسَخَّتَ عَنْهُ آيَةَ الْعَدَمِ	فَأَقْبَلَ هَدِيَّةً مَنْ أَشَدَّتْ بِهِ
تَأْتِي بِمِثْلِكَ فَائِقَ الْمَهْمِ	لَا تَحْسِبِ الدُّنْيَا أَبَا حَسَنِ

الحمد لله الذي بنعمته تكمل الصالحات ، وصلى الله على سيدنا محمد  
أشرف الكائنات ، وعلى آله وصحبه نجوم الهداية وأعلام الدرايات ، وسلم  
تسلماً كثيراً .

وبعد ، فقد نجز كتاب « العمدة ، في محاسن الشعر وآدابه » لأبي علي  
الحسن بن رشيق الأزدي : المولود في سنة ٣٩٠ من الهجرة ( ١٠٠٠ م )  
المتوفى في ذي القعدة من سنة ٤٥٦ من الهجرة ( ١٠٦٤ م ) بعد أن صقله  
التحقيق ، وجلاؤه حُسن الوضیع ، وزانه رَوْنَقُ الطُّبْعِ ، وبعد أن قضيتُ  
نصف حَوَلٍ في المراجعة ومعاودة النظر ، وقضيت من بعد ذلك ثلاثة أشهر  
في الإشراف على طبعه ، لا يحملني على تجشُّم هذه الأحوال إلا الرغبة  
الصادقة في خدمة العربية ، والحرص على أن تكون كتبها صحيحة المعنى جميلة  
الرواء .

وإني أتضرع إلى الله تعالى أن يثيبني على هذا بمقدار إخلاص في لوجه ؛

عَلَّامُ الْغُيُوبِ

فهو حسبي ونعم الوكيل .

## فهرس الجزء الثاني، من كتاب

« العمدة ، في محاسن الشعر ونقده »

لأبي على الحسن بن رشيق ، القيرواني ، الأزدي

ص	الموضوع	ص	الموضوع
	باب التصدير	١٧	أشعر بيت قالته العرب
٣	حد التصدير ، وفائده	—	من أمثلة المقابلة أيضاً
—	أقسام التصدير	—	من جيد المقابلة
—	الفرق بين التصدير والترديد	—	من خفي المقابلة
—	أمثلة للتصدير	١٨	من جيد المقابلة في المنثور
٤	من التصدير نوع يسمى « المضادة »	—	مما عيب من المقابلة
	باب المطابقة	١٩	منها نوع يختص باسم « الموازنة »
٥	حد المطابقة ، والاختلاف فيه	٢٠	من أملح الموازنة وتعديل الأقسام
٧	رد الحدود المختلفة بعضها إلى بعض		باب التقسيم
—	أمثلة من المطابقة	٢٠	حد التقسيم
٩	مما يظن أنه من المطابقة ، وليس منه	٢١	من جيد التقسيم
١١	من أمثلة المطابقة أيضاً	٢١	من جيد التقسيم في المنثور
—	من شعر أبي الحسن في الطباق	٢٢	عود إلى جيد التقسيم في الشعر
١٢	أمثلة مما يغلط فيه الناس من هذا الباب	—	أصح تقسيم
	باب ما اختلط فيه التجنيس بالمطابقة	٢٥	جمع الأوصاف ( التعقيب )
١٢	أسباب اختلاط أحد النوعين بالآخر	—	من أنواع التقسيم التقطيع
١٤	مما ظاهره التجنيس وباطنه طباق	٢٦	الترصيع
	باب المقابلة		باب التسليم
١٥	حد المقابلة	٣١	الاختلاف في تسميته ، وأنواعه
—	أكثر ما نجى فيه المقابلة الأمتداد	٣٤	من جيد التسليم
١٦	نوع خاص من المقابلة يسمى « مقابلة الاستحقاق »	—	مأخذ التسليم والتوشيح
—	من أمثلة المقابلة		باب التفسير
		٣٥	حد التفسير

م	الموضوع	م	الموضوع
٣٥	من جيد التفسير	٦٠	من الإيغال نوع يسمى «الاستظهار»
٣٩	باب الاستطراد	—	اشتقاق الإيغال
—	أوضح الاستطراد ، وأول من قاله	باب الغلو	
٤١	من الاستطراد نوع يسمى «الإدماج»	٦٠	أسماءه ، وميزته
—	باب التعرّيع	٦١	أصح الكلام
٤٢	حد التفرّيع ، ومنزلته من الاستطراد	—	تعريف الغلو لقدامة
—	أمثلة من التفرّيع	—	اختلاف الناس في الإفراط
—	باب الالتفات	—	قول الحاتمي في الغلو
٤٥	حد الالتفات ، والاختلاف في تسميته	٦٢	من أبيات الغلو
—	أمثلة منه	٦٣	من علو المتن
٤٦	قد يجيء الالتفات في آخر البيت	٦٤	أحسن الإغراق
—	باب الاستثناء	٦٥	اشتقاق الغلو
٤٨	تسميته ، وحده	—	الإغراق
—	أمثلة من ملبح هذا النوع	باب التشكك	
—	باب التتميم	٦٦	فائدة التشكك
٥٠	حد التتميم	—	أمثلة منه
٥١	من أمثلة التتميم في القرآن الكريم	٦٨	أول من نطق بهذا المعنى
—	من أمثلة التتميم في الشعر	باب الحشو وفصول الكلام	
—	باب المبالغة	٦٩	أسماءه ، وحده
٥٣	آراء الناس في المبالغة	—	أمثلة من الحشو
٥٥	من المبالغة نوع يسمى «التقصي» وحده	٧١	الكلمات التي يكثر الحشو بها
—	ترادف الصفات	٧٢	من الحشو نوع يسمى «التفصيل»
—	الغاي	باب الاستدعاء	
—	باب الإيغال	٧٣	حد الاستدعاء
٥٧	حد الإيغال	—	أمثلة الاستدعاء
—	صفة أشعر الناس	باب التكرار	
—	أول من ابتكر هذا النوع	٧٣	متى يحسن التكرار ؟ ومتى يقبح ؟
٥٨	أمثلة من الإيغال	٧٤	أمثلة من التكرار
		٧٧	من تكرير المعنى

ص	الموضوع	ص	الموضوع
	باب من التكرار		١٠٠ أمثلة من التغاير
٧٨	صماء ابن المعتز « المذهب الكلامي »		باب في التصريف ونقد الشعر
٧٩	أمثلة منه	١٠٤	مقي يحوز الشاعر قصب السبق ؟
—	نوع آخر هو أولى بهذه التسمية ، وأمثلة له	١٠٤	موازنة بين مسلم بن الوليد وأبي نواس
	باب نفي الشيء بإيجابه	—	موازنة بين جرير والهرزدق
٨٠	هو من المبالغة ، ولا يختص بها	١٠٥	ليحيي المنجم في نقد الشعر
—	أمثلة له	—	من عنده علم الشعر
٨٢	للعيب من هذا النوع		باب في أشعار الكتاب
—	باب الاطراد	١٠٦	من شعر إبراهيم بن العباس الصولي
٨٢	حده ، ومنزله	١٠٧	من شعر محمد بن عبد الملك الزيات
—	أمثلة له	١٠٨	من شعر الحسن بن وهب
	باب التضمين والإجازة	١٠٩	من شعر سعيد بن حميد
٨٤	يختلط على كثير من الشعراء	—	مالا يلزم الكاتب
—	حد التضمين	١١٠	من شعر أبي الحسن
—	أمثلة من جيد التضمين		باب في أغراض الشعر وصنوفه
٨٩	حد الإجازة ، وأنواعها	١١٣	لأبي العباس الناشيء في صناعة الشعر
—	أمثلة منها	١١٤	وصية أبي تمام للبحتري
٩٠	اشتقاق الإجازة	١١٥	لأبي تمام أيضا في صناعة الشعر
٩١	منها نوع يسمى « التخليط »		باب النسب
٩٢	اشتقاق التخليط	١١٦	حق النسب
	باب الاتساع	١١٧	الفرق بين الغزل والنسب
٩٣	حد الاتساع ، وسببه	—	من يختار نسيب المتقدمين
—	أمثلة له	١١٨	مما يختار من نسيب المحدثين
	باب الاشتراك	١١٩	لمسلم بن الوليد
٩٦	أنواع الاشتراك ، أمثلة له	—	للبحر ، لأبي تمام
٩٨	الاشتراك في المعاني ، وأنواعه	—	للحقيقي
—	أمثلة له	١٢٠	لأبي نواس
	باب التغاير	—	أعزل بيت ، واختلاف العلماء في اختياره
١٠٠	حد التغاير ، وسببه	١٢١	لأبي نواس أيضا
		—	الأسماء التي يتعزل الشعراء فيها



ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٢٣	من عيوب هذا الباب	١٤٣	يقال في الاقتخار ما يقال في المديح
١٢٥	طرد الخيال ، ومن ركب من الشعراء	١٤٤	أفخر بيت ، واختلاف العلماء في اختياره
١٢٦	من الأمانى غير المقبولة	١٤٥	ما أنكره قدامة في المديح
١٢٧	اشتقاق التشبيب	—	ما أنكره الجرجاني (صاحب الوساطة)
باب في المديح		١٤٦	من المختار في الفخر
١٢٨	سبيل الشاعر في المدح	—	من شعر أبي الحسن في الفخر
١٢٩	كيف يمدح الشاعر الملوك والسوقة ؟	—	ما عابه الأصمعي
١٣٣	أبو العتاهية وعمر بن العلاء	باب الرثاء	
١٣٤	ما يمدح به الكاتب والوزير	١٤٧	الفرق بين الرثاء والمدح
١٣٥	ما يمدح به القائد	—	سبيل الرثاء
١٣٥	ما يمدح به القاضي ، وصاحب المظالم	١٤٨	المختار من جيد الرثاء
١٣٦	سليمان بن عبد الملك يعجبه جماله	—	لابن أبي حفصة
—	ما يعاب على أبي تمام	—	لأبي تمام
—	ما يقدم في المدح قول كعب بن زهير	١٤٩	لديك الجن (عبد السلام بن رغبان)
—	في رسول الله صلى الله عليه وسلم	١٥٠	يكون الرثاء مجعلا كالمدح
—	ما يناسب ذلك	—	أرثي بيت
١٣٧	من شعر الخطيئة في المدح	—	من عادة القدماء في شعر الرثاء
١٣٨	من شعر الشماخ	١٥١	مذهب المحدثين في الرثاء
—	أفضل ما مدح به الملوك	—	ليس من عادة الشعراء تقديم نسب
—	الشعراء يباب المعتصم	قبل الرثاء	
١٣٩	أمدح بيت ، واختلاف العلماء في اختياره	١٥٢	ما عيب في الرثاء شعر للسكيت
١٤٠	من أجود ما يختار للمحدثين في المديح	١٥٣	على شدة الجزع يبنى الرثاء
١٤٣	ما عيب في المديح شعر للسكيت في مدح النبي	١٥٤	أشد الرثاء صعوبة
		١٥٥	الجمع بين التهنة والتعزية
		١٥٦	مما رثي به للنساء

الموضوع	ص	الموضوع	ص
باب الهجاء		باب الاقتضاء والاستنجاز	
١٧٠ خير الهجاء		١٥٨ ما يستوجب الاقتضاء	
— الهجاء المقذع		— أحسن المختار من الشعر في الاقتضاء	
— عقوبة الهجاء في الإسلام		قول أمية بن الصلت لعبد الله بن	
١٧١ أبلغ الهجاء		جدعان	
١٧٢ مذاهب الشعراء في الهجاء		١٥٩ قول محمد بن يزيد الأموي لعيسى بن	
١٧٣ لريعة الرقي في الهجاء		فرخان	
— للطرماح		— للمؤلف	
— لجرير في بني التيم		باب العتاب	
١٧٤ لأبي هفان في التمسك		١٦٠ عقي العتاب	
— أجود الهجاء		— للعتاب طرائق	
١٧٤ لأبي الحسن في الهجاء		— أحسن الناس طريقا في العتاب	
١٧٥ أهدى بيت		البحترى	
باب الاعتذار		١٦١ للبحترى أيضا في العتاب	
١٧٦ لمحمد بن علي الأصمعي في الاعتذار		١٦٢ لمؤلف الكتاب في العتاب	
— لإبراهيم بن المهدي		— لأبي تمام في العتاب	
— لأبي علي البصير		١٦٣ لأبي تمام في العتاب أيضا	
— للمؤلف		١٦٤ لابن الرومي يعاتب إسماعيل بن بلبل	
١٧٧ اعتذارات النابتة الديباني		— للعتبي يعاتب سيف الدولة	
١٧٨ لسلم الحاسر يعتذر إلى المهدي		١٦٥ عتاب الأكفاء ودوى المودات	
١٧٩ لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر		١٦٦ للصولي يعاتب ابن الزيات	
— للعتبي		— لأبي الحسن	
— لعلي بن جبلة		— لسعيد بن حميد يعاتب صديقا له	
— لأبي الهول الجيري		١٦٧ لبشار بن برد	
١٨٠ اشتقاق الاعتذار		باب الوعيد والإنذار	
باب سيورة الشعر والخطوة في المدح		١٦٧ لا بن مقبل	
١٨١ الذين سار شعرهم في الجاهلية ، وفي		١٦٨ لجرير	
الإسلام		— لا بن الرومي	
— بين حسين بن الضحاك الخليل وأبي نواس		١٦٩ للمؤلف ، في الوعيد	

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٨٢	قبائل لم يحك هجاؤم إلا قليلا	١٩٤	الأحلاف
—	قبائل شقيت كثيرا بالهجاء	—	الأرقام
١٨٣	الذين حفظوا بالمديح	١٩٥	البراجم
١٨٤	مفاخر تميم	—	التعليقات
١٨٥	الأوبد من الشعر	—	الرباب
—	المجدودون في التكسب بالشعر	—	الاجارب
باب ما أشكل من للدح والهجاء		—	الحرام
١٨٦	لرجل من بني عبد شمس بن سعد بن تميم	—	الضباب
—	مما أنشده العلماء	١٩٦	الأكابر
—	لسليمان بن قنة	—	بنو أم البنين
١٨٧	كعم الكلب	١٩٧	الكلمة
—	تجنب الجيوش	—	الحمس
١٨٨	ابنة الجبل	—	العنايس
—	الثنيان	—	الأعياص
١٨٩	ذو فجرات	—	أم القبائل
—	بيضة البلد	—	الجرات
باب في أصول النسب		١٩٨	بنو طيبة
١٩٠	أصول الأنساب	—	الموالي
١٩١	أصل تسمية الطبقات	باب ذكر الوقائع والأيام	
١٩٢	مفاخر القبائل	١٩٩	مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم
—	فرسان العرب	٢٠٠	يوم إراب
—	بيوتات العرب	٢٠١	يوم نعب فشاوة
باب مما يتعلق بالأنساب		—	يوم نجران
١٩٣	قريش البطاح	—	يوم الصمد
١٩٤	قريش الظواهر	—	يوم طخفة
—	ألقاب لبعض القبائل	٢٠٢	يوم المروت
—	الأحاشيش	—	يوم مليحة
—	المطيون	—	يوم اللوى
		—	يوم الصليفاء (الصلاء)

الموضوع	ص	الموضوع	ص
٢١٤ يوم البشر		٢٠٢ يوم الهبة	
— يوم الرغام		٢٠٣ يوم صراع	
٢١٥ يوم المهراميت		— يوم الفروق	
— يوم الوقظ		٢٠٣ يوم شعب جبلة	
— يوم جزع طلال		٢٠٤ يوم أقرن	
— يوم أواره ( الأول )		٢٠٥ يوم زبالة	
٢١٦ يوم أواره ( الأخير )		— يوم حدود	
— يوم زرود الأول		— يوم السكاب الأول	
— يوم زرود الآخر		٢٠٦ يوم الشعبية ( السكاب الثاني )	
٢١٧ يوم تثليث		— يوم حر السوار	
٢١٧ يوم ذى علق		— يوم ذى ييض	
— يوم العذيب		٢٠٧ يوم عاقل	
— يوم الصفقة		— يوم عنين	
٢١٨ يوم الفجار الأول		— يوم قلمى	
— يوم الفجار الثاني		— يوم زاخة	
٢١٩ يوم الفجار الثالث		٢٠٨ يوم إضم	
— يوم الجفار		— يوم نقا الحسن	
— يوم الصريف		— يوم أعار	
٢٢٠ مفاخر بنى شيان		٢٠٩ يوم رحران الأول	
— وفود ربيعة عند النعمان بن المنذر		— يوم رحران الثاني	
٢٢١ مفاخرة بين عامرى وشيبان عند معاوية		— يوم ضرية	
٢٢٢ حديث ذى الجدين		٢١٠ يوم الصرائم	
باب فى معرفة ملوك العرب		٢١١ يوم الفيض	
٢٢٥ ملوك اليمن		— يوم ذى نجب	
٢٢٨ ملوك الشام		٢١٢ يوم خزازى	
٢٢٩ ملوك الحيرة		— يوم ملزق	
باب من النسبة		٢١٣ يوم الوند	
٢٣٠ الإبل الأرحبية		— يوم فيف الريح	
		٢١٤ يوم ذى بهدى	

الموضوع	ص	الموضوع	ص
٢٣٨ تكثر المعاني كلما تقدم العصر		٢٣٠ أسد خفية	
— منزلة ابن الرومي في توليد المعاني		— الرماح اليزنية	
٢٣٩ بشار بن برد يبين سبب تفوقه		— الدروع الفرعونية	
٢٤٠ معان سبق إليها المتقدمون ولا تطلب		٢٣١ الكتائن الزغرية	
من المحدثين		— الرمح السمري	
٢٤١ ماجاء في طول الليل		— البرود الأخمية	
٢٤٢ ماجاء في حلق الشعر		— الأسنة القعضية	
— مما انفرد به بشار بن برد		— الثياب الحارية	
٢٤٣ مما انفرد به أبو نواس		٢٣٢ الرجال العلافية	
٢٤٤ مما انفرد به أبو تمام		— الكلاب والدروع السلوقية	
— أكثر الشعراء اختراعا ابن الرومي		— السيوف السرجية	
٢٤٥ بين مسلم بن الوليد وأبي نواس		٢٣٣ الدروع الحطمية	
٢٤٦ مأخذ للأصمعي على زهير ، ورده		— الرماح الحطية	
— مأخذ له على الشماخ		— المسك الداري	
— مأخذ للأمدى على البحتري		— فحول إبل النعمان	
٢٤٧ من المأخوذ على أبي تمام		— القسي العصفورية	
٢٤٨ مأخذ على جرير ، ورده		— القسي الماسخية	
— مأخذ على بشامة بن الغدير		— خيار الإبل	
— مأخذ على كعب بن زهير		٢٣٣ الحجر الأخدرية	
٢٤٩ مأخذ على البحتري		٢٣٤ أول من أنتاج البغال	
— مأخذ على الفضل في رواياته		باب العتاق من الحيل ومذكوراتها	
٢٥٠ مأخذ على الفرزدق وعلى الأخطل		٢٣٤ مراكب رسول الله صلى الله عليه وسلم	
٢٥١ معذرة عن النابغة الذبياني		— خيل غنى ، أعوج	
— معذرة عن زهير بن أبي سلمى		— عدة من فحول الحيل	
٢٥٢ مأخذ على أبي نواس		باب من المعاني المحدثه	
باب ذكر منازل القمر		٢٣٦ من الذي يصح الاستشهاد بشعره ؟	
٢٥٢ السبب الذي دعا المؤلف لذكر		وبيان السر في ذلك	
هذا الباب		٢٣٧ صفة قوس قزح ، لابن الرومي	
٢٥٣ أجزاء السنة وما يتبعها		— وصف الرقاقة وخبازها ، له	

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٥٣	النوء	٢٥٧	الصرقة
—	الربع الأول من السنة الربيع	باب في معرفة الأماكن والبلدان	
—	العواء	٢٥٨	حد الحجاز
٢٥٤	نوء السماك	—	الجزيرة
—	الفقر	—	جزيرة العرب
—	الزبانان	٢٥٩	العراق
—	الإكليل	—	الشام واليمن
—	القلب	باب من الزجر والعيافة	
—	الشولة	٢٥٩	الفرق بين القائل والطيرة
٢٥٥	الربع الثاني من السنة الصيف	—	كان الرسول صلى الله عليه وسلم
—	البلدة	يحب القائل ويكره الطيرة	
—	سعد الداج	—	اشتقاق الطيرة
—	سعد بلع	٢٦٠	الزجر عند العرب
—	سعد السعود	٢٦١	مما تطيرون به
—	سعد الأخبية	٢٦٢	الساح والبارح ، واختلاف العرب
—	فرع الدلو الأعلى	في التيمن والتطير بكل منهما	
٢٥٦	الربع الثالث من السنة الحريف	٢٦٣	من مليح الزجر
—	الحوت	باب ذكر المعاطلة والتثبيج	
—	الشرطان	٢٦٤	حقيقة المعاطلة ، واشتقاقها
—	البطين	—	التثبيج
—	الثريا	—	رأى آخر في المعاطلة
—	الدبران	٢٦٥	رأى ثالث في المعاطلة
—	الهقعة	باب الوحش المتكلف والريك المستضعف	
٢٥٧	الربع الرابع من السنة الشتاء	٢٦٥	بيان الوحش من الكلام ، والتكلف
—	القدراعان	والريك	
—	النثرة	—	اشتقاق الريك
—	الطرف ( عينا الأسد )	٢٦٦	ولع أبي تمام والنسي بالوحش
—	الجبهة	—	أمثلة من التكلف
—	الزبرة	—	من كلام أبي تمام في البلاغة

الموضوع	ص	الموضوع	ص
أنواع السرقة	٢٨١	أسباب إغفال الكلام	٢٦٦
— الاصطراف	—	٢٦٧ للبحر في وصف بلاغة الحسن	—
٢٨٢ سرد بقية أنواع السرقة	—	ابن وهب	—
— الاصطراف على ضربين	—	باب الإحالة والتعبير	—
٢٨٣ الانتحال	—	٢٦٧ وقعت في شعر الجلة من المتقدمين	—
٢٨٤ الإغارة	—	٢٦٨ أمثلة من الإحالة	—
٢٨٥ الغصب	—	— أمثلة من التعبير	—
٢٨٦ المرافدة	—	باب الرخص في الشعر	—
٢٨٧ الاهتمام	—	٢٦٩ هل يجوز للدولدار تكاتب الضرورات؟	—
— النظر والملاحظة	—	— سرد أنواع من الضرورات ، وذكر	—
— الإلمام	—	مثال لكل نوع منها	—
— الاختلاس	—	٢٧٥ أنواع لضرورات الزيادة ، ومثال	—
٢٨٨ الموازنة	—	لكل نوع	—
٢٨٩ العكس	—	٢٧٧ مما جاء في القرآن على خلاف	—
— الموارد	—	الظاهر ، وهو من البلاغة والإحكام	—
— الالتقاط والتلفيق	—	لامن الضرورة	—
٢٩٠ كشف المعنى	—	— الإخبار عن واحد من اثنين	—
— الشعر المجذود	—	— حذف جواب القسم وغيره	—
— متى يكون الآخذ أولى بالمعنى؟	—	٢٧٨ إضمار ما لم يجر له ذكر	—
٢٩١ سوء الاتباع	—	— حذف « لا » وزيادتها	—
٢٩٢ مما يعد سرقا وليس بسر	—	— حذف للناس	—
— أولى الشاعرين بالمعنى	—	٢٧٩ خطاب الواحد كالاثنتين والجماعة	—
٢٩٣ نظم النثر ، وحل الشعر	—	— مجيء المفعول بلفظ الفاعل ، وعكسه	—
باب الوصف	—	— الحذف على المعنى	—
٢٩٤ أكثر الشعر يرجع إلى الوصف	—	باب السرقات ، وماشاكلها	—
— أحسن الوصف	—	٢٨٠ لا يدعى السلامة منه أحد	—
٢٩٥ تفاضل الناس في الوصف	—	— رأى القاضي الجرجاني	—
٢٩٦ ذكر شعراء اشتهر كل منهم في	—	— السرقة عند عبد الكريم	—
وصف شيء	—	٢٨١ فيم تكون السرقة ؟	—

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٩٦	وصف قبل	٣٠٨	الثنيان من الشعراء
٢٩٧	في وصف قبل أيضا		باب جواز كتب البسملة قبل الشعر
—	في وصف زرافة	٣٠٩	اختلاف الأئمة ، وتحديد موضع الاختلاف
٢٩٨	في وصف إسطرلاب		باب احكام القوافي في الخط
٢٩٩	في وصف بركار	٣٠٩	ياء الوصل وواو ، والياء والواو الأصليتان
٣٠٠	في وصف البنكام		باب النسبة إلى الروي
٣٠١	في وصف زرمانج	٣١٠	كيف تنسب إلى ما كان على حرفين؟
—	في وصف طاووس		باب الإنشاد وما ناسبه
	باب الشطور وبقية الزحاف	٣١١	الوقف بالترنم
٣٠١	حد الشطور	—	الوقف على لغة قيس وأسد
٣٠٢	الطويل ، اللديد ، البسيط	٣١٢	الوقف بإشباع الحركة
٣٠٣	الوافر ، السكامل ، الهزج ، الرجز	—	الوقف بنقل الحركة
٣٠٤	الرمل ، الخفيف ، المضارع ، المتقارب	٣١٣	أنواع غناء العرب
	المتدارك	٣١٤	فرق ما بين العرب والعجم في الغناء
	باب بيوتات الشعر والمعريقين فيه	—	أول من حدا ، وسبب ذلك
٣٠٦	بيت أبي سلمى المزني	٣١٥	التغيير
—	بيت حسان بن ثابت ، بيت النعمان		باب الجوائز والصلوات
	بن بشير ، بيت نهشل بن حري ، بيت جرير بن عطية بن الخطفي	٣١٥	اشتقاق الجائزة وأصلها
٣٠٧	عقبة بن رؤبة بن العجاج	—	أول من سن الجوائز
	بيت أبي حفصة ، بيت أبي عينة	٣١٦	البدرة ، وأصلها ، الصلة
	بيت الرقاشيين ، بيت اللاحقيين	—	من شعر المؤلف الذي صنعه لأبي الحسن
	بيت أمية السكاك ، بيت رزين		
—	بيت حميد		
٣٠٨	الفرق بين العرق وذى البيت		
—	من الشعراء الإخوة الذين لم يعرفوا		

تمت - بحمد الله تعالى واهب القوى والقدر - فهرست للموضوعات الواردة في الجزء الثاني من كتاب « العمدة ، في صناعة الشعر ونقده » لابن رشيق القيرواني ، مفصلة غاية التفصيل . والحمد لله رب العالمين ، وصلاته وسلامه على إمام اللتين ، سيدنا محمد خاتم المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين









